2342

قال الراوي ففرحت بنو همذان بوعد ملكهم فارس البطاح وباتوا الى الصباح فلما طلع النهار وبان نورهُ للابصار برز الملك المجاج بن سراج الى بين الصفين واشتهر بين الفريقين ونادى بعلو صوته حتى سمعتهُ الطائفتان وقال بالطي من عرفني فقد اكتفي ومن لم يعرفني فما في خفا انا الملك المجاج بن سراج ثم انهُ طلب الانصاف كعادة الاشراف وقال لا يبرز لي الا الملك ملجم او اخوهُ شارب الدما البطل الغشمشم فلما سمع الملك ملجم منهُ ذلك المقال اراد ان يبرز اليهِ وينصفهُ في القتال فقال لهُ الاسد الرهيص ومن هو هذا الجبان حتى تساويه انت في الميدان وتحاربهُ في مقام الجولان وانا سيفك القاطع ودرعك المانع فانا اخرج اليهِ وآخذ زوحهُ من بين جنبيه ثم انهُ قفز بالحصان وصار في حومة الميدان وزعق يا الملك المجاج وقال يامن هو بين القوم مذلول وامره مهمول هل بلغ من قدرك ان تطلب قتال الملك الهمام والاسد الضرغام فها انا واحد من بني عمهِ واعوانهِ وغلام من بعض غلمانهِ فان انت قتلتني طال بالسعة لسانك وعلا مجدك بين اقرانك والا فاليوم ارديك واحسر عليك اهليك فقال لهُ المجاج ومن تكون انت من الفرسان فقال لهُ انا وزر بن جابر فارس بني نبهان فعرفهُ الملك المجاج وقال لهُ بخ بخ انك والله لفارس جسيم وبطل كريم ثم انهما بعد ذلك الكلام اخذا بالخصام وصدم كل واحد منهما صاحبهُ ولاصقهُ وقاربهُ وجعل يطاعنهُ ويضاربهُ فجالا طويلاً واعتركا مليًا وغاصا في الاوابد وصبرا على الشدائد وامتدت اليهما الاعناق وشخصت بهما الاحداق ولما نظر وزر الى المجاج ومقامهِ وسرعة هجومهِ وصرخ فيهِ فابهره واضجره وضايقهُ وطابقهُ وسد عليهِ مذاهبهُ وطرايقهُ وطعنهُ بين ثدييه اطلع السنان يلمع من بين كتفيه فمال عن الجواد يخور في دمهِ على وجه المهاد ثم اطبق وزر بعد ذلك على بني همذان وحملت من ورائهِ الابطال والشجعان ودام الحرب والطعان ساعة وقد حجبهم الغبار عن الابصار ووقع ببني همذان الانبهار ونفذ فيهم حكم الملك القهار فولوا هزايم وخلفوا اموالهم وخيامهم واثقالهم لبني طي وبني نبهان غنائم وقبل الملك ملجم الاسد الرهيص بين عينيه وعلم انهُ هو الذي كسر القوم وحده فشكره واثنى عليهِ وغدا بنو نبهان بوزر بن جابر مسرورين ولهُ شاكرين وهو في اوائل الفرسان كانهُ النمر الحردان وقد اعجب بنفسهِ وافتخر على ابناء جنسهِ فانشد وقال

لقينا بني همذان في حومة الوغي ... ببيض حداد قط لن تتثلما

وارديت فرسانًا لهم وحماتهم ... اقيمت بهم سيفي ورمحي المقوما

فولوا حيارى في القفار وكلهم ... طعامهم مرٌ مازج علقما

ولما بغى الحجاج حربي اجبته بصدر جواد طالما خاض في الدما
وعاجلته عند النزال بطعنة فالفيته ملقى صريعاً محطما

قال الراوي فلما سمع بنو طي مقالته اعجبتهم فصاحته وعادوا يطلبون ارضهم و بلادهم ومنازلهم واوطانهم هذا ما كان من هولاء واما ما كان من عنترة واخيه شيبوب وعبلة فانهم ساروا كما ذكرنا في البراري والقفار والسهول والاوعار حتى اشرفوا على حلة الاسد الرهيص فعند ذلك كمن عنترة في البر الاقفر ووثب شيبوب ودخل الحلة حتى يكشف له الخبر وما زال سائراً حتى اشرف على حلة زيد الخيل وسال بعض الفرسان عن وزر بن جابر وفرسان الحي فاخبره انهم ساروا الى نجدة بني طي فعاد شيبوب على الاثر واخبر اخاه عنتر فقال عنترة دعنا ندخل الى حلته وننهبها ولا ننكر في غابرته ولا قصته وناخذ زوجته وندبح كبشه ونلعن اباه والداية التي ربته فقال شيبوب اعلم يا اخي ان الكبش في هذه المغارة وعنده جماعة من العبيد يحرسونه فقال له عنترة امض بنا اليها في الحال وان يكن فيها عالم بعدد الرمال فعند ذلك ساروا فوجدوا فيها قنديلاً من البلور لا يطفأ في ليل ولا نهار ورأوا العبيد الموكلين بالخروف واقفين وشاهرين بايديهم السيوف فلما رآهم عنترة صاح فيهم وهجم عليهم واطلق فيهم السيف البتار وانزل بهم الدمار وكانوا عشرين عبداً صناديد فمددهم على وجه الصعيد واخرج الكبش من المغارة فقاده شيبوب ولم يزل عنترة بن معه سائر حتى وصل الى بيت وزر بن جابر فدخل اليه كانه الاسد الكاسر وصرخ صرخة عظيمة كالرعد القاصف والريح العاصف فثار الناس منزعجين ومن تلك الزعقة مبهوتين وركبوا الخيل وكانوا في الف وثلثمائة فارس كانهم الليوث العوابس فلما عاينوا عنتر اندهشوا واخذتهم الرجفة والفكر وبهتت فيه المشايخ والشباب وحاروا كيف يبادئونه بالخطاب وترجلوا عن خيولهم وتقدموا اليه وقالوا له ما حاجتك يا فارس عبس وعدنان وفزارة وذبيان وواحد هذا العصر والاوان اعلمنا بها فقال لهم عنتر وقد طار من عينيه الشرر اريد منكم وزر بن جابر الخبيث الغادر

قال المصنف فلما سمعوا كلامه بلا مهلة قالوا له انه يا ابا الفوارس غائب عن الحلة هو وزيد الخيل وقد ذهب عند ملجم بن حنظلة فقال لهم عنترة اعلموا انني ما اتيت الى هذه الارض والسبسب الا حتى اقهره وانحر كبشه الذي ياخذ به الغفارة من العرب واقلع من راسه هذا الجهل والعجب وافصل مفاصله والعصب بهذا الحسام المشطب وكل من انتصر له من سائر الملوك اسقيه كؤوس العطب فقالوا له يا ابا الفوارس اما الكبش فانه في النار

من غير كذب ولا انكار فشانك وما تريد واما نحن فاننا لك اطوع من العبيد فقال لهم عنترة اما الكبش فانني اخذتهُ وملكتهُ فسيروا قدامي الى بيت وزر حتى انحر فيهِ كبشهُ والطخ مضربهُ بدمهِ ولا افكر فيهِ ولا في قبيلتهِ ولا بمن يليهِ فقالوا لهُ هذا بيتهُ بين يديك يافارس العرب وليثها المنتخب فعند ذلك سار عنترة هو وشيبوب الى بيت وزر ومعهما الكبش واشهر عنترة سيفه وقد طار من عينيهِ الشرر ووقف عند شجرة كان سرير الاسد الرهيص منصوبًا تحتها وهو مجلسهُ الذي كان يجلس فيهِ وكان لهُ كرسي مرصع بالذهب يقعد عليهِ فاتي عنترة بالكبش وذبحهُ على ذلك الكرسي وسلخهُ وقطعهُ نصفين وقال لشيبوب نطبخ نصفهُ وناكلهُ ونملح النصف الثاني وناخذه معنا الى الاوطان وهو قسم الملك قيس وبني عبس وعدنان ثم فعل ما اليهِ اشار وامر زوجة الاسد الرهيص ريحانة ان تشد وسطها مثل بعض الجوار وتضرم النار وتطبخ لهم من لحم ذلك الكبش ما ياكلونهُ فقامت ريحانة وقد انحدرت دموعها ووضعت القدر وطبخت اللحم ولما نضج انزلتهُ وافرغتهُ في قصعة الاسد الرهيص بعلها وخبزت لهم بعض ترامس واجلست عنترة وعبلة على مقعدها واتكأا على وسايدها وجلس شيبوب بالقرب منهما ثم قدمت لهم القصعة فامر عنترة ريحانة بان تاخذ المروحة وتقف على راس عبلة تروح عليها ففعلت ذلك وهي مشدودة الوسط واقفة على راس عبلة مثل الجارية

قال الراوي فلما اكلوا وشبعوا رفع عنترة الشقة الثانية من اللحم بعد ان ملحها وقال هذه قسم الملك قيس وبني عبس ووضعها في الحقيبة واخذ جميع ما كان على الكبش من القلائد والعقود والفضة والذهب والمعادن والجواهر واخذ سائر ما كان في بيت وزر من الذخائر وهم ان يسبي ريحانة فقالت لهُ ياحامية عبس عند البلا والكرب كيف تسبيني وانا اخت صاحبك عمرو بن معدي كرب فبهت عنترة من هذا الشان وقال لها وكيف زوجك اخوك بهذا الشيطان فعند ذلك حدثتهُ بحديثها من اولهِ الى اخرهِ وليس في الاعادة افادة فقال لها لمَ لم تعلميني في بادىء الامر انك اخت عمرو قبل ان عملت هذا العمل فقالت سبق السيف العذل فقال لها عنترة لا يصيبك الا ن مطر السما وقد وهبتك جميع اموال الاسد الرهيص ومال هذه الارض والحما ثم اعاد عبلة الى هودجها وسار طالبًا ارضهُ والديار وقد فرح بقضاء حاجتهِ وفرحت عبلة بعلو شانها على سائر البشر وعظم هيبة ابن عمها عنتر ثم التفت عنترة الى المهلهل وبني نبهان وقال لهم اذا اتى وزر بن جابر قولوا لهُ يخبرك عنترة بن شداد انهُ من الان وصاعدًا ان جعلت لك كبشًا تصادر بهِ الاقران وبلغتهُ الاخبار فانهُ يجيء اليك

ويفعل بك كما فعل بكبشك وينزل بك الذل والهوان والتفت الى ريحانة وقال لها والله لولا صداقة اخيك عمرو لكنت اسوقك حافية تقودين ناقة عبلة وراس الكبش معلق براسك الى حي بني عبس ولكن مراعاة اخيك عمرو عليّ واجبة ولذلك لا اقدر ان امد يدي اليك بسوء ثم انهُ ركب جواده الابجر وشيبوب وولده

الكتاب الثاني والعشرون بعد المائة

من سيرة عنترة بن شداد العبسي

يقودان زمام ناقة عبلة وراس الكبش معلق على رقبة البعير وعنترة ينشد ويقول

اسمعاني الصياح كل صباح ... ونداء الاقران عند الرواح
فنديمي صوت القنا شرعوها ... ووقوع السيوف بين الرماح
كلُّ قرمٍ يلقى الحروب تراهُ ... عاشق الحرب لم يخف من كفاح
قلت قولاً انا وافي بقولي ... لم يكن في اليمين قول مزاح
انني انحر الغفير بسيفي ... لو تدانت اليَّ سمر الرماح
سوف ياوزر يخبرونك اني ... صنت ريحانةً من الافتضاح
لاخيها الكريم عمرو صديقي ... وخليلي وصاحبي وجناحي
لست ارعى يانذل قدرك هذا ... قول جدٍّ وفعل اشل السماح
ان سعدي علا كنجم الثريا ... فاختفى المشتري ونور الصباح

قال الراوي . فلما فرغ عنترة من هذه الابيات طربت بنت عمهِ عبلة وتعجبت من انشادهِ وتوقد خاطرهِ وحدَّة ذهنهِ وقوة قلبهِ وجسارتهِ . ثم انهُ سار وشيبوب والخذروف بين يديهِ وعبلة تشكرهُ وتثني عليهِ وتقبل يديهِ هذا ما كان من عنترة بن شداد وما نالهُ من بلوغ القصد والمراد واما ما كان من وزر بن جابر فانهُ رجع من قتال بني همذان ويدهُ ممتلئة من العز والشان وما زال سائراً حتى اشرف على ديار قومهِ بني نبهان ونظر الى رسوم الحي والاوطان فرأى آثار النار وقتاماً ودخان وأثر الدم في الحيطان وكذا اثر لحم الكبش والادهان فسال اهل الحي عن ذلك الحال وقد تبلبل منهُ البال واذا هو بباقي عبيدهِ قد اقبلوا عليهِ يدعون بالويل والثبور وعظائم الامور ويقولون وامصيبتاه واذلاه وانعس حالاه فانزعج الاسد الرهيص غاية الانزعاج واضحى جسمهُ وسائر اعضائهِ في اختلاج وسالهم عن الخبر

وعن جلية الاثر فقالوا له اعلم ايها السيد المغوار انهُ قد هجم علينا الى هذه الديار الفارس الكرار والبطل المغوار والاسد الجبار الذي وقعت هيبتهُ في سائر الارض والاقطار وشهدت لهُ العرب بالفروسية وغلوّ المقدار فارس الحرب والجلاد وحيةُ بطن الواد الثابت يوم الطراد الامير عنترة بن شداد الذي اذل العرب بالجملة . ومعهُ اخوهُ شيبوب وولد اخيهِ الخذروف وزوجته عبلة فنزل في مضاربك واجلس زوجتهُ على مراتبك واقام ريحانة في خدمتهِ وخدمة زوجتهِ واوقفها على راس ابنة عمهِ بالمروحة بعدما شدت وسطها كانها الامة المجنحة وذبح الكبش على سريرك واطعم عبلة من لحمهِ في محل عزك وسرورك وبعد هذه الفعال علق راس الخروف على عنق بعير عبلة تحت هودجها في الحال وسار بعد ما اخذ سائر اموالك ولم يترك منها درهماً ولا ديناراً وقد البسك بفعالهِ الذل والعار وجعلك احدوثةً عند الكبار والصغار وقد مضى طالبًا ارضهُ وبلاده دون ان يعبأ بك وقال للفرسان قولوا لوزر ان رجع وجعل لهُ كبشًا مثل هذا يصادر بهِ العربان وبلغتني الاخبار اجي اليهِ وانزل بهِ الدمار وها انت قد اتيت وبعينك قد رايت فاكشف عنا وعنك هذا العار ان كنت كفوءًا لهذا البطل المغوار

قال الراوي . فلما سمع وزر بن جابر ذلك المقال من العبيد والموال اسودت الدنيا في عينيهِ وهانت نفسهُ عليهِ ولم يعد يعرف ما بين يديهِ وتعجبت بنو نبهان من هذا الامر والشان اما زيد الخيل فوجد مع وزر موضعًا للكلام لما سمع بما فعلهُ عنترة في حقهِ من خرق الاحتشام فقال لهُ يا وزر لا يصعب هذا الامر عليك ولا تغتمّ مما قد جرى فالذي كان لي قد اوصلهُ الدهر اليك ولا تعجب مما جرى على كبشك من الاخراق من فارس الافاق الذي كنت تعيرني بهِ كلما وقفت بين يديك فها هو قد هجم عليك واخرق شجاعتك وهتك حرمتك وزوجتك وقتل جماعتك وذبح غنيرك على فراشك وسريرك وقد كنت نلت بهِ الطبقة العليا على سائر العرب من بعد منها ومن اقترب فالان قد لبست العار وتدرعت بالذل والشنار وهذه وحق ذمة العرب هي الفروسية عينها عند سائر الناس والقبائل وغيرها

قال فلما سمع وزر من زيد الخيل هذا الكلام كان عليهِ اشد من ضرب الحسام فقال لهُ ان كان عنترة هجم في غيبتي على ابياتي وزوجتي وذبح كما تقول كبشي وما خاف سطوتي وعلق راسهُ بعنق بعير عبلة وسار طالبًا اهلهُ والديار . فوحق اللات والعزى لاردنك راسهُ معلقًا ببعير ابنة عمي ريحانة واسبي عبلة واجعلها لزوجتي خادمة وفي بيتها مشدودة الوسط كالاماء تقاسي انواع الذل والعناء ثم انهُ قصد موطنهُ والنار تلعب في مهجتهِ واذا بزوجته ريحانة قد التقتهُ وهي

لاطمة خدها ناشرة شعرها من عظم وجدها معلنة نداها بائحة بشكواها تنادي واذلاه وتصيح وتبكي على ما جري ودموعها قد بلت الارض والثرى فلما رآها الاشد الرهيص على ذلك الحال الذميم حل به هم عظيم وخطب جسيم وما وجد له بداً من المسير في طلب عنترة بن شداد فارس الحرب والطراد لاجل انجمو على حيو وحلتو وذبح كبشو في غيبتو فطيب قلب زوجته ووعدها بانه ياتيها بعبلة مهانة وان يعلق راس عنترة في عنق بعيرها ثم انه تجهز من وقتو وساعتو ولبس كامل عدتو واعتلى على ظهر جواده والنار تلعب في فواده واخذ معهُ خمس جنائب من خيلو واركب زوجتهُ ريحانة في هودج وسلم زمام بعيرها الى غبده نجم وكان الهودج من العرعر المرصع بالذهب الاحمر المكلل بالدر والجوهر والزمرد الاخضر وفوقهُ ثوب ديباج مدنر وعقدان من اللؤلؤ المدور وسار قاصداً عنترة فارس البدو والحضر بقلب حنق وفواد قلق فتبعتهُ فرسانه وابطالهُ وشجعانه الذين يعتمد عليهم في مهامو و يعول عليهم في حربو وصدامو فابى مسيرهم معهُ وقال لهم اعلموا يا سادات بني نبهان وفرسان الزمان لا اسير الا وحدي لا بلغ من ذلك العبد قصدي فوحق من بسط الارض ورفع السماء بلا عمد لا يتبعني منكم احد لا ابيض ولا اسود وان لم ترجعوا عني قتلت نفسي وسكنت رمسي . فلما سمع قومهُ منهُ تلك الاقسام ودعوه وعادوا وسار هو يقتفي الاثر خلف الامير عنتر ومعهُ زوجتهُ ريحانة وعبده نجم الذي يسبق بجريهِ النعامة وهو كانهُ الاسد الغضبان او النمر الحردان وكان عنترة سائراً على مهل غير خاش سطوة العربان طالباً الاهل والديار وعبلة معهُ تناشده الاشعار حتى وصلوا الى مرج يقال لهُ مرج القراهب من ارض اليمن وتلك المعاهد والدمن قد التفت اشجاره وكثرت غدرانهُ وتعطرت ازهاره وارضهُ بيضاء نقية . ترفل في اثوابها العسجدية وحللها الزبرجدية وشبائكها اللؤلؤية ومعادنها الياقوتية وعقودها الجوهرية واطيارها ناطقة واشجارها باسقة وهي جنة للناظرين ونزهة للعاشقين كما قال فيها بعض واصفيها

منزلٌ قد زهت بهِ الازهارُ ... وتغنت في دوحهِ الاطيارُ
قد حوى الوحش والطيور جميعاً ... فتجلى الاطيار والازهارُ
خير ارض يحل فيها واوفى ... منزل فهو يبتغي و يزار
واذا ما بكت عليهِ الغوادي ... ضحكت من خلالهِ الانهارُ
تنثني فيهِ الغصون اختيالاً ... واعجاباً كما يميل العقار
و بدا النبت كالديابج لما ... نشرتهُ على الربى الامطار
ذو حياض مملوءة ورياض ... عجزت عن صفاتهِ الافكارُ

فكأنَّ الشقيق فيهِ خدود لطمنها الكواعب الابكارُ
وكأنَّ الاقاح فيهِ ثغور لم يزل دائمًا لهن افترارُ .

قال الراوي . فنزلوا فيه لحسن ازهاره وكثرة اثماره ولما استقر بهم المقام انطرح عنترة على وجهه ونام كعادة العرب الكرام وانطرح ايضًا شيبوب على الارض والآكام . وجلست عبلة تتفرج على تلك البراري والقفار وتلك الازهار والاطيار والماء الدائم الانحدار

قال الراوي . فبينما عبلة غارقة في بحر الافتكار واذ لاح لها شخص من تلك البراري والقفار وهو مقبل اليهم من صدر البرية كانهُ النار الحمية فلما راته عبلة خافت منهُ وزعقت على عنترة فانتبه وعيناه مثل الجمر اذا استعر ولما استيقظ قال لها ما خبرك كفانا الله شرك فقالت له يا ابن العم وكاشف الهم والغم اني ارى فارسًا مقبلاً وقدامه راجلاً والفارس على جواد اشهب وقدامه شيء لا يلوح كانه كوكب فقال لها يا ابنة العم لا باس عليك فقري بهذا الامر عينيك هذا الاصهب بن سراجيل فارس اليمن وهذه الارض والدمن فقالت يا ابن العم اراه قاصدنا ورامياً شره علينا فقال لها لا تجزعي ولا تفكري ولا تفزعي فاني لو كنت نائمًا لما عبات بهِ ولا هو ينبهني من منامي فبينما هما بالكلام واذا بالاصهب قد هجم عليهم غير عالم انه عنترة وزعق فيهم زعقة ارتجت لها الارض والمهاد ونادى خلِّ ايها اللئيم الظعينة وانجُ بنفسك قبل ان تسكن رمسك فلم يجبهُ عنترة بجواب ولا رد عليهِ خطاب فزعق عليهِ ثانيًا فلم يتكلم عنترة بحرف واحد فعندها صرخ فيهِ وقال لهُ ويلك قم واركب جوادك واعتد بعدة جلادك والا سلم نفسك من غير قتال ولا حرب ولا نزال فلما سمع عنترة منهُ ذلك المقال احمرت مقل عينيهِ وزاد الغيظ عليهِ وثار كانهُ الاسد وركب الابجر وخطف بيده الرمح الاسمر وهزَّهُ حتى التوى طرفاه وصاح فيهِ ويلك يا ابن سراجيل مثلي من يسلم الظعينة من غير قتال ولا حرب ولا نزال فلما سمع الاصهب صوت عنترة بن شداد رمى روحهُ من ظهر الجواد الى الارض والمهاد وصاح الجيرة يا فارس الجلاد ثم تقدم اليهِ وقبل في الركاب رجليهِ وقال لهُ نعمت صباحًا ولقيت سرورًا ونجاحًا يا حامية عبس وعدنان وفزارة وذبيان فقال لهُ عنترة حييت انت ماذا تروم وتريد وما الذي اتى بك الى هذا القفر والبيد فقال الاصهب اعلم يا ابا الفوارس وزين المجالس اني خرجت في طلب المكسب والمعاش فرايت هذه القبة والفراش فقلت والله هذه غنيمة هينة لا دافع عنها ولا مانع وانا احمل عليها واغتنمها وافوز بها في هذا البر الاقفر وما علمت ان دونها الهلاك والموت الاحمر فلما سمع عنترة ذلك تبسم فقال لهُ الاصهب وحق ذمة العرب يا ابا الفوارس لو علمت انك نازل في هذا المكان والسبسب لسيرت اليك الخمور

ونحرت النحور فالان اعود الى الديار وانفذ لك ما كان رائجًا عندنا من الطعام وانواع
المدام فقال لهُ عنترة جوزيت خيرًا ايها الفارس المشهور والبطل المذكور فعند ذلك
ركب الاصهب جوادهُ وعادَ الى حال سبيلهِ فاقبل عنترة على عبلة وقال لها كيف رايت كلام
ابن عمك اما قلت لو كنت نائمًا وعرفني لما جسر ان ينبهني ولو عرفني لما دخل هذا الوادي
وقرب مني فقالت لهُ عبلة والله لقد رجفت اعضائي منهُ واستولى عليَّ الفزع والخوف والهلع
فقال لها عنترة لا باس عليك ثم انهُ زعق عليه وقال مهلاً يا ابن سراجيل فلا بد لي ان
اضع هذا السنان في نحرك فقال لهُ الاصهب اتغدرني يا حامية عبس وعد ان بعد عهدك لي
والامان فوالله ليس من شيمتك الغدر ولا الخديعة والمكر فانا لست ممن يناتلك ابدًا ولا
اقف قدامك سرمدًا فقال له عنترة لما اشرفت علينا قالت بنت عمي انها فزعت منك والان
قد استوهبتك مني فعفوت عنك ولكني انزعك سراويلك فقال لا تفعل ايها الفارس الكرار
فالبس بذلك ثوب العار فقال لهُ عنترة لا بد من ذلك او اضع هذا السنان في نحرك واسقيك
كاس المهالك فخلع الاصهب السراويل ورماها وانهزم هاربًا فاخذها عنترة على راس الرمح
ووضعها قدام عبلة وقال لها انظري فنظرت اليها فاذا الاصهب من شدة فزعهِ من عنترة قد
بال فيها فضحكت عبلة عليهِ ثم انهم اقاموا في ذلك المكان مدة ثلاثة ايام وهم في سرور وشرب
مدام وبعد ذلك رحلوا منهُ وما زالوا سايرين يجدون السير الى ان وصلوا الى جبل عالٍ يكاد ان
لا يدرك الانسان مقدار علوه وهو اخضر اللون املس ليس فيهِ طرف يصعد عليهِ جمل
ولا فرس وتحتهُ شجرة كبيرة قديمة العهد تظلل اكثر من مايتي فارس وتحتها عين ماء صاف
ومن حولها وحوش كثيرة تحيط بها من اليمين والشمال ولا تقدر ان يدنو من الماء وقد كادت
تموت من شدة الظما فتعجب عنترة من هذا الحال وحار ولحقهُ الاندهال وبينما هو غارق في
بحور الافكار واذا برجل قد عبرت عليهِ السنون وقدامهُ صبي مراهق قد نبت عذاره وفي
يده حجران وهو يبكي بدموع غزيرة ويلطم على وجههِ وصدره وينادي آه وامونساه وولداه
وامهجة كبداه ثم جذب بيده سيفًا ماضيًا بتار واراد ان يقتل روحهُ ويشرب كاس البوار
فناداه عنترة لا تفعل ايها الشيخ ولا تقتل نفسك بيدك فقص عليَّ قصتك واشرح لي حال
ولدك واخبرني عن هذه الوحوش التي حول هذه العين وما بالها لا تشرب منها وقد كاد
ان يهلكها العطش والظما فرد على عنترة ذلك الشيخ في الوقت والحال وقال لهُ اعلم يا من
هو من نسل السادة الفضلاء ان هذه العين تسمى عين السم الناقع والبلاء النابع ترد اليها
الوحوش من سائر المواضع ولا تستطيع القرب من مائها النابع لما فيها من السم الجامد الناقع على

انهُ اذا جاءها الحنتيت ينزل فيها ويخوضها بقرنيه فيغور السم الى قعرها لان قرنيه يهرب منهما السم لما جعل الله فيهما من الترياق النافع فعند ذلك تنزل اليها سائر الوحوش والاطيار وتشرب من مائها فاذا طلع منها الحنتيت عاد الماء الى عادتهِ وقد هلك يامولاي من هذه العين خلق كثير لا يعلم عددهم الا اللطيف الخبير وهذا ما يمنع هذه الحيوانات التي تراها من الدنو الى الماء اما انا فمن بني وائل واهل تلك الاراضي والقبائل وكان عليَّ دم من قديم الزمان لجماعة من العرب اصحاب المناهل والغدران ولما كبرت وانحنى ظهري رزقت هذا الولد الذي كانهُ قضيب بان او ريم عطشان فكبر حتى بلغ من العمر خمسًا وعشرين سنة فلما رايت روحي قد كبرت وضعفت خفت عليهِ من القتل المعجل فاخذتهُ معي واتيت بهِ وكمنت بمغارة في هذا الجبل فاقمت بهِ يامولاي في هذا الجبل الصوان مدة سنة كاملة ونحن في هناء واطمئنان من نوائب الزمان ولما كان الليل المار مر بالجبل قطعة من الوحوش التي في هذه الاراضي والقفار فلما راها ولدي ايها الفارس المنتخب قام على حيلهِ وجد خلفها في الطلب فعثرت رجلهُ فسقط على ام راسهِ من ذروة هذا الجبل الى وجه الارض والجندل وارى الشيخ عنترة وعبلة الموضع الذي سقط منهُ الغلام وقال وكان الغلام قد وقع على ام راسهِ فخمدت جميع انفاسهِ وقد وقعت صخرة كبيرة من الجبل فوقهُ فطحنت لحمهُ وعظامهُ وهو يامولاي كما ترى لا اعرف لهُ يدين من رجلين

قال الراوي فلما سمع عنترة كلامهُ رق قلبهُ عليهِ وفاض دمعهُ من عينيهِ وانحدر على خديهِ وقال لهُ ياشيخ اصبر لحكم من فرق وجمع واضرّ ونفع فلو كان ابنك هذا اسيرًا فديناه او كان احد قتلهُ لكنا قتلناه او كان في قبضة ملك من الملوك العتاة لكنت سرت اليهِ وخلصتهُ لك من قبضة يديهِ وان كنت ياشيخ لا تعرف حسبي ونسبي فانا اعرفك بنفسي انا عنترة بن شداد العبسيّ فامض معي من هذا المكان فاني الحق بك قومي وعشيرتي واهلي وعزوتي ونقعد تحت ظل سيفي الفتاك حتى يدركك مناك فقال لهُ الشيخ ودموعهُ جارية على خديهِ لاعدمت منك يامولاي الفضل والجميل والاحسان انني لا ابرح من هذا المكان ولا افارق مستقره فاتمّ جميلك وعاوني على دفنهِ فانني ما بقيت ابرح من قبره فعند ذلك بكت عبلة عليهِ بدموع غزار وقد انطلق في باطنها لهيب النار ونزلوا كلهم وعاونوه واقاموا عنده حتى انهم دفنوه وبعد ذلك ودعهم الشيخ وودعوه وساروا وكان قد زين عنترة جمل عبلة براس كبش الاسد الرهيص كما ذكرنا وكان لهُ اثنا عشر خلخالاً من الذهب الاحمر فيها حبوب الياقوت والجوهر اما عنترة فظل سائرًا في البر والبحر لا يفتكر باحد من العرب ولا من الحضر

ولا على قلبهِ هم ولا غم ممن غاب او حضر وكان قد بعد عن ديار بني نبهان مسافة خمسة ايام يسيرها غيره في يومين وما كان عنترة سائرًا هذا السير الضعيف الا ليطول عليهِ الطريق مع بنت عمهِ عبلة ويلتذ بالنظر اليها بالنهار والظلام وان يشبع من حديثها والكلام لان كلامها كان يشكرهُ من غير مدام فلما كان اليوم السادس عند طلوع الشمس وهم سائرون اشرف عليهم الاسد الرهيص يقطع تلك الاراضي والفلاة وفي قلبهِ النار من عنترة الذي ذبح كبشة في ارضهِ وحماه . قال فالتفت شيبوب الى ورائهِ فابصر الغبار ثائرًا فقال لاخيهِ عنترة اما ترى يا ابن الام هذا الغبار الذي ظهر من خلفنا وثار فقال لهُ عنترة اي وابيك ياشيبوب ومفرج الكروب ان هذا الغبار الذي خلفنا قد ظهر وثار وملا البراري والاقطار هو من ديار بني نبهان وتلك الاراضي والقيعان ولا شك انهُ من اعدائنا الذين يطلبون تعويقنا واذانا فقال لهُ شيبوب يا اخي ان صدقني حزري هذا غبار الاسد الرهيص وزر بن جابر الماكر الغادر فقال لهُ عنترة ان كلامك حق وحديثك صدق فسوف ترى مني العجب ما يؤرخ بعدي ويكتب ثم انهُ بعد هذا المقال وقف مكانهُ وقفة الاسد الرئبال وقد عدل عن المسير وترك الاموال والعبيد كلها خلف ظهرهِ في الحال وما كان معهُ من النوق والفصلان ووقف ينظر من هو قادم عليهِ من الفرسان وما تحت هذه الغبرة من الابطال والاقران واذا بهِ قد رأى فارسين مقبلين عليهِ من تحت ذلك الغبار كانهما شعل النار وكان الفارس الواحد قيس المرادي ابن المكشوح وكان الاسد الرهيص قد التقاه في الطريق فسالهُ قيس عن مسيره بزوجتهِ وحده من غير صاحب ولا رفيق وقال لهُ الى اين انت قاصد في هذه البيد والفدافد فاخبره وزر بن جابر بقصتهِ من الاول الى الاخر وكان هذا قيس المكشوح من خيار فرسان العرب وحامي بلاد اليمن وتلك الاراضي والدمن وهو من الفرسان المذكورة في ذلك الزمان والجبابرة المشهورة في تلك الاوان وكانت لهُ وقعات وحملات مؤرخة عند عرب الجاهلية وكانت تحسبهُ الفرسان بثلثين الف عنان اذا برز الى حومة الميدان وقد ذكره عمرو بن معدي كرب الزبيدي فارس دهره ونتيجة عصره في بعض شعره حيث يقول

هجمنا على ابنـــا مراد وحيهم ... بجيل شبيه البرق بالليل تصعدُ
وصحنا عليهم عند وقت مجالنا ... فولوا حيارى هاربين وشردوا
ولما طلبنا نكسب المال جاءنا ... كمي شجـاع في الحروب مؤيد
ينادي انا قيس المكشوح وهمتي ... علت لم ينلها بدر افقٍ وفرقدُ

فيا لك ليثًا ضيغمًا متغشرمـًا   وفيًا لهُ يعنو الحسام المهنـد
فلولاه حزنا السبي والمال كلهُ   وسقنا العذارى والرجال نقيد

قال الراوي وكان قيس المرادي قد سمع بفعال عنترة بن شداد وانهُ قد سما في زمانهِ وساد واذل فرسان الجلاد ولكن ما اتفق لهُ ان يراه بقتال ولا حرب ومجال فصار في قلبهِ اثار ولهيب نار اكثر مما في قلب الاسد الرهيص واضحى اكثر منهُ قهرًا من عنتر فلما سال وزر بن جابر عن سبب مسيره وحده كما ذكرنا وحدثهُ وزر انهُ سائر الى لقاء عنترة بن شداد كما قدمنا اقسم عليهِ بن خلفة وانشاه بان ياخذه معهُ الى حرب عنترة ولقاه فسار الاثنان ولحقا بعنترة فنظر الاسد الرهيص الى عنترة بن شداد وانفراده في ذلك البر وتلك المهاد وقد وقف بعد ما اعن الجواد بيديهِ ينظر من يقدم عليهِ وقد زاغت في وجههِ مقل عينيهِ فعند ذلك قفز وزر بن جابر بجوادهِ اليهِ وصار قدامهُ وصاح بعد ما زعق عليهِ ويلك يا اسود الجلد وملعون الاب والجد من الذي طغاك على الهجوم على غابة الاسد وسبي حريم البطل الامجد والصل الانكد والحسام المهند فوالله ياعبد السوء لقد هجمت بجهلك على موضع تهابهُ الملوك اصحاب الاكاليل والتيجان والسادات من طوائف العربان وتخاف من عظم هيبتهِ الانس والجان ولكن قد قادك القضا الى جزع انفك ومصرعك وحتفك قال فلما استتم الاسد الرهيص كلامهُ حتى صار عنترة قدامهُ وزعق عليهِ صوتًا كانهُ الرعد وقال لهُ ويلك يا ابن جابر اقصر عن هذا الكلام الاشنع الذي لا يضر ولا ينفع وكف عن فشارك وكلامك قبل ان اسقيك كاس حمامك واجعل اليوم اشأم ايامك فلا تغتر بلياليك وايامك ولا بمن لاقيتهُ في الحرب والجلاد واعلم يا وزر اني انا عنترة بن شداد انا الرفيع العماد وحية بطن الواد وحافظ العهود والوداد وقاتل الاعادي والحساد وشارب ادمية الفرسان يوم الحرب والجلاد وممهد الارض والبلاد لظهور سيد العباد فلما سمع وزر منهُ ذلك الكلام ونظر الى سرعة عودتهِ وسمع شديد زعقتهِ اخذ يتاملهُ ويزنهُ بميزان خبرتهِ وعقلهِ ومعرفته وينظر الى شجاعته وفروسيته فعرف بعد التامل والاعتبار انهُ ثقيل الوزن والعيار يزيد على خصمهِ كل درهم قنطارًا وانهُ فارس جبار وليث مغوار لا يصطلى لهُ بنار ولا يعتدي على جار

قال الناقل وقد تعجب ايضًا قيس المكشوح المرادي من شكل عنترة وفروسيته وقوة قلبهِ وشجاعته ومن عظم اقدامه في الميدان وعلم انهُ اوحد زمانهِ وفريد عصره واوانهِ ثم ان الاسد الرهيص قال لعنترة ويلك يا لئيم ما الذي حملك على الهجوم الى داري وذبحك كبشي بين اهلي وانصاري وقد سمعت سائر العرب حديثي واخباري وخافت من

سيفي وخطاري فقال له عنترة من غير خوف ولا عنا ويلك ياولد الزنا وتربية الخنا حملني على ذلك قوة جناني وثباتي في ميداني وحد مضارب حسامي المشطب وذلك من شدة غيرتي على شان فرسان العرب اصحاب الحسب والنسب وما قد فعلت بهم من تجبرك وكثرة جهلك وتكبرك واذلالك لاعناقهم بكبشك وتشتيتك العربان من ديارهم والاوطان فوالله لم يسبقك احد على هذه الفعال في هذا الزمان فلما سمع الاسد الرهيص من عنترة ذلك الكلام صار الضياء في عينيه ظلام وقفز بجواده اليه واشار اليه بطرف الرمح العسال وطلب الحرب والقتال وانشد وقال

بضرب البيض والبتر	وطعن الخيل بالسمر
وزعقاتي باهل الحر	ب تحت القسطل الوعر
وخوضي في صفوف القو	م عند الكر والفر
على مهر من الخيل	دقيق الكشح والخصر
اذا ما انقض في حرب	كطير حط في وكر
ترى مع وقع رجليه	تطاير من لظى جمر
ففيه همتي لاقت	مرار الكاس بالخمر
فدونك عنتر مني	ضراب البيض والسمر
فلي قلب على الاعدا	ء مخلوق من الصخر
انا المعروف في الهيجا	باني هاتك الستر

فلما فرغ وزرمن كلامه وشقشقة لسانه قال له ويلك يا لئيم ياوغد يا زنيم اتذكر قبائح اعمالك وتستحسن فضائح افعالك وهل رايت احداً قبلك يفتخر بهتك الستور وسبي البنات البكور من وسط الخدور ومن فعل من فرسان العرب هذه الامور واجابه يقول

احب الطعن بالسمر	وضرب الخصم بالبتر
وشربي من دما الابطال	يوم الكر والفر
انا كالنار في حربي	وعزمي القدح في الجمر
انا ليث الشرى حقاً	وفي الوثبات كالنمر
انا صقر الفلا اهوي	الى الفرسان كالنسر
انا غيث الندا حقاً	وكالراسي وكالبحر
انا التنين والافعى	انا النمل الذي يسري

وحامي

منك المنازل

لما سمع من ابنة

فكم ليل به سيري بـــلا خوف ولا ذعرِ
على مهرٍ شبيه الليل ـــ مثل البرق اذ يجري
واسمع ضجة الغيـــلا ن ثم الجنّ في القفرِ
فلما يسمعوا صوتي يولي الكل في البرِ
انا حامي حمى جاري بطعن الرمح والبترِ
ومن حفظي عهود الخل ـــ اخفي السر في الصـــدر
ولم انظر الى الجارات ـ لو كنَّ كما البـــدرِ
والقى الضيف فرحانـــا واخفض للملا قدري
وان اخطا اسامحهُ ازيل العسر باليسرِ
وذكري شاع بين الناس ـــ في برٍّ وفي بحرِ
براني ربنا العالي كسيف القطع للعمرِ
اهد هذه الدنيا الى المبعوث بالنصرِ
نبي شـــافع مولى شفيع الخلق في الحشر
انا ان شمتهُ انجو بهِ من ظلمة الكفرِ
واحق كل اعداه بيوم الحرب والكرّ

قال الراوي فلما فرغ عنترة من شعره والنشيد اطبق على الاسد الرهيص بقلب اقوى من الحديد وكانت لها ساعة يشيب لهولها الوليد وتلين لها الجلاميد لانهما كانا فارسين عظيمين وجبارين قادرين وبطلين شديدين واخذا في الكر والفر وتضاربا وتطاعنا طعناً لا يبقي ولا يذر فتقصفت في ايديهما الرماح وتثلمت البيض الصفاح وصاحا باصوات مثل الرعود وتجاذبا مجاذبة الاسود واختارا العدم على الوجود والتصقا التصاق وادي زرود وافترقا افتراق جبال الاخدود وجرى بينهما من الحرب ما يشيب الاطفال في المهود . قال ولم يتحدث احد من العربان بين الابطال والفرسان بمثلما جرى لهذين الفارسين من الحرب والطعان وما وقع لاحد في سائر الافاق ما وقع لهما من الضرب والانطباق والمباعدة والالتصاق والانفصال والاتصال والحرب والنزال واشتد بينهما الحرب وكثر البلا والكرب وماجا رقًا وغربا واظهرا العجائب والاهوال وحملا يمينًا وشمال وكلت ايديهما والاوصال ـنا والوبال وعبلة وريحانة في الهوادج تنظران الى خالها وشيبوب ونجم قابضان ـ حارا مما رايا منهما وقيس المرادي ينظر الى ما وقع لهما من الاهوال فاندهش

واخذه الاندهال لما نظر حربهما والنزال وكذا عبلة وريحانة كانتا تنظران الى ما يجري من زوجيهما من القتال فحارت منهما الابصار واندهشت عقولهما والافكار فصاحت عبلة على ابن عمها عنترة بن شداد ابن فروسيتك والجلاد حط على خصمك هذا الولد الزنا فدتك نفسي من السوء والفنا اما ريحانة فصارت تبكي ودمعها قد انحدر على خدودها قبل نحرها وعقودها واما الفارسان فقد اخذهما الملل والضجر والبلا والكدر وتجريع الموت الاحمر حتى حيرا الفكر وعادا الى الطعن والضرب ومداومة البلاء والحرب والمطابقة تحت اذيال الظلام وشرب كاس الحمام وما زالا على مثل ذلك الحال حتى كلت من تحتهما الخيل وابيض مفرق الشرق وطلعت غرة الصباح وانقضي سواد الليل وكانا قد عدما القوى والحيل وكانت ريحانة تنظر الى المعمعة وهي خائفة منذعرة ودموعها على خديها منحدرة وبهت قيس المكشوح مما جرى بينهما قال فعند ذلك زعقت عبلة على عنترة ونهرته وصاحت عليه وتقربت في هودجها اليه ونادته وارادت بذلك ان تبين من ابن عمها عنترة نخوته وتظهر في وقت حملته قوته حتى ياخذ خصمه او يعدمه جوهرته ويحسر عليه عبده نجم وريحانة زوجته واهله وعشيرته فصرخت بملء صوتها ويلك يا ابن زبيبة ما بال همتك قد لانت وشيمتك قد هانت اين شجاعتك وقوتك وبراعتك اخمد من خصمك الانفاس وهد منه الحيل والاساس فما صحبتك الا لارى طرفًا من شجاعتك ونوعًا من براعتك وانفرج على فروسيتك في وقت حربك وحملتك فما لي ارى وقوفك مع خصمك قد طال في طابق الجولان وما بلغت منه الامال

قال الراوي فلما سمع عنترة من عبلة هذا الكلام ظهرت فيه النخوة العربية وثارت في راسه حمية الجاهلية ونادى يا لها من ساعة ما اشدها على هذا التعيس وزر بن جابر الملقب بالاسد الرهيص وصاح عليه ويلك يا لئيم الى كم اطيل معك في اللقا ونحن في مقام الفنا والخطر وعبلة ترمقنا بالنظر ثم انه زعق في وجهه زعقة اذهلته وحيرت منه العقل والفكر وانحط عليه انحطاط الموت الاحمر او النسر الاغبر حتى حك الركاب بالركاب فضايق عليه وقد جمع خناقه وقبض عليه من درعه فصار اعلى ما فيه رجلاه وصاح عنترة يا لعبس لا شقيت ابدًا هذا والاسد الرهيص قد صار بعد عزه ذليلاً حقيرًا ثم ان عنترة جلد به الارض فكاد ان يختلط بعضه في بعض فغاب عن الدنيا فنادت عبلة فدتك نفسي يا ابا الفوارس وحامي النساء والعرائس فيحق لي ان افديك وتنال مني ما تحب ويرضيك فلا خلت منك المنازل والاطلال ولا زال سيفك محكمًا في رقاب الرجال ففرح عنترة سيد الابطال لما سمع من ابنة

عمهِ ذلك المقال وترك حمائل السيف الباتر في عنق وزر بن جابر وساقهُ ذليلاً حتى اوقفهُ بين يدي بنت عمهِ عبلة وانشد وجعل يقول

اعبلة لا تنسي مقامي فانني اسرت الاعادي بالسيوف الصوارم
صبرت لوزر بعد ان رام مقتلي وما كنت رعديداً غداة التلاحم
انا ابن سراة الناس شرقًا ومغربًا سلالة عبس والليوث الضراغم
اجازي الاعادي يوم مشتجر القنا بابيض مصقول وسمر اللهاذم
فلو نظرت عيناكِ يا بنت مالك وحولي جيوش كالنسور القشاعم
لقلت فدتك النفس يا عنتر الوغى ويا فارس الفرسان يوم التصادم
انا عنتر العبسي للحرب اصطلي واقتل ابطال اللقاء بصارمي
انا اخذ النوق العصافير عنوة وثبت على النعمان وثبة هاجم
انا حية الوادي اذا لانَ لمسها فانيابها فيها سموم الاراقم
انا الجبل العالي على كل من رقي اصول كمثل النسر صولة حائم
انا الصقر خطاف الاعادي بمخلبي واني كبحر لم يزل في التلاطم
انا الغيث الا انني غير حابس انا الاسد الضاري بيوم التهاجم
ايا عبل قد لاح المشيب بمفرقي وقد شاب راسي من هموم عظائم
فما غير الدهر الخؤون عزائي ولا قل باسي عند ضرب الصوارم
ولا خفت في يوم اللقاء فوارسًا لو اجتمعوا من عربها والاعاجم
ايا عبل من يحميك بعدي من العدى اذا الحرب قامت اقعدت كل قائم
ألا فاذكريني بعد موتي واندبي عليَّ ولا تنسي حصاني وصارمي
انا الجن تخشاني وتعرف صولتي وسعدي علا فوق السهى والنعائم

قال الناقل فلما فرغ عنترة من هذه الابيات تقدم شيبوب وشد وزر بن جابر كتاف واوثق منهُ الزند والاطراف حتى كاد يشرف على الفنا والتلف فلما راى قيس المكشوح ذلك وراى عنترة اخذ وزر بن جابر اسيراً برز الى عنتر ونادى بصوتهِ المجهر وهو راكب على جوادهِ وقد تفتت على اسد الرهيص فوادهُ وذابت اكبادهُ ثم صال وجال ولعب برمحهِ العسال وانقض على عنتر كانهُ القضاء والقدر فتلقاه عنترة بقلب اقوى من الحجر وناداه ويلك من تكون من فرسان العرب وذوي الرتب وما سبب لحاقك بي في هذا البر والسبسب فقال لهُ قيس ويلك يا اسود يا زنيم يا انذل يا لئيم انا فارس العرب المذكور وبطلها المشهور وليثها الغيور

حامي الحريم من الاعادي قيس المكشوح المرادي الذي حميت القبائل في كل قفر وواد والبوم اخذ للاسد الرهيص منك بالثار واجللك بالذل والعار واسبي ابنة عمك عبلة التي ترميك في المصائب والاخطار

قال الراوي وكان عنترة قد سمع بذكره من الفرسان وعلم انهُ فارس شديد الحرب في الميدان فقال لهُ والله يا ابن اللئام ونسل الحرام انني قد لقيت مثلك خلقًا كثيرًا وفعلت بهم فعل النسر الخطير فقد جلبت لنفسك الشؤم بحيث تطوى تحت الرسوم ثم انهُ حمل عليهِ حملة منكرة فحمل قيس المكشوح بقلب كانهُ النار المسعرة وجالا طويلاً واعتركا مليًا وكان عراكهما عراكًا مهولاً وغاصا في الاوابد وصبرا على الشدائد وعضت الخيل على الشكايم وقد صار الغبار على رؤوسهما خايم وامتدت لهما الاعناق وشخصت نحوهم الاحداق فانحط عنترة على قيس بالطعن والضرب واشتد عليهما البلاء والكرب وما زالا في قتال ونزال الى ان مالت الشمس الى الزوال فعند ذلك وقف قيس عن الحرب والقتال وقد ذاق من عنترة العجائب والاهوال وقال لهُ يا ابن زبيبة ان الخيل قد قصرت بنا في طابق المجال واقبل الليل بالانسدال فعد بنا الى ان يطلع النهار فقال عنترة لا وحق الملك الجبار خالق الليل والنهار فعند ذلك حمل عليهِ قيس حملة صادقة فالتقاه عنترة بهمة خارقة وقد حجبهما الغبار عن الارض والسماء وزاد بهما العطش والظماء فصاحت عبلة على ابن عمها عنتر الجزامر غريمك فدتك نفسي من الضرر فلما سمع عنترة صياحها نزل على قيس نزول البازي على اضعف الاطيار وصاح عليهِ صوتًا كانهُ الرعد في الغمام وطعنهُ بعقب الرمح الاسمر فوقع في صدره كوقوع الصواعق فغاب صوابهُ وسكر ووقع على ام راسهِ في ذلك البر الاقفر فانقض عليهِ شيبوب واوثقهُ كتاف وشد منهُ السواعد والاطراف وقرنهُ مع صاحبهِ وزر بن جابر وعاد عنترة عند بنت عمهِ عبلة وهو فرحان ببلوغ مراده واخذ غريمهِ في حومة الميدان ثم انهُ بات في ذلك المكان بامان واطمئنان وبنت عمه معهُ في حديث وكلام ولعب وابتسام الى ان طلع النهار بضياه وذهب الليل بظلماه وكان عنترة اراد ان يقتل وزر بن جابر قبل طلوع النهار فبرك على صدره ووضع السيف على نحره وقال لهُ تمنَّ لك اية ميتة تموتها فقال لهُ وزر يا ابا الفوارس تأنَّ في امورك ولا تعجل ثم انحدرت دموعه على خديهِ ولم يجد لهُ مجيرًا من يد ذلك الجبار ولما ذل وزر تحت السيف عفا عنهُ عنتر وقال وحق البيت الحرام لا فعلت اليوم فيك امرًا يا نسل اللئام الاحتى اصل الى بلادي والاطلال وادخل بك البهم على هذا الشان ذليلاً مهان وانت بحالة السوء والهوان ثم قام ومشي وهو يرتعد مثل السعفة

من الغضب على انهُ لما راى ما حصل لهُ من النصر بالجملة وهو بحضرة ابنة عمهِ عبلة فرح الفرح التام وسلم الاسد الرهيص الى اخيهِ شيبوب فاخذه واجاد كتافهُ وساقهُ بين يديهِ ثم ان عنتر التفت الى ريحانة اخت عمرو وقال لها يا ريحانة وحق ذمة العرب لولا الصداقة التي بيني وبين اخيك لكنت اخذتك سبية وسقتك بين يدي كما قدت زوجك قود الكلاب من غير ارتعاب حتى تتعجب من امرك جميع الاصحاب والان لا يد لي تمد اليك بامر من الامور كرامة لاخيك عمرو البطل الجسور فارجعي الى اهلك مصونة ولك مني يد المساعدة والمعونة فشكرتهُ ريحانة على مقالهِ واثنت عليهِ بفعلهِ الجميل وما كان في ظنها الا ان عنترة يسبيها او يأسرها او يقتلها و يرميها فعاد العبد بها من وقتهِ وساعتهِ وهو يقود بزمام جملها وقد انهلت عبرته وسار بها طالبًا ديار الاسد الرهيص وعشيرته فقالت لهُ ويلك يا نجم اعلم ان العار اعظم من الحريق بالنار لان الاقدمين قالوا النار ولا العار وان رجوعنا من هنا الى الديار ونعينا وزرًا واشاعة هذا الخبر هو غاية العار لان الخبر المشؤوم لا يكتتم وانا قلبي لا يطاوعني على ان اكون في اللذة والسرور وزوجي مع عنترة بن شداد ماسور فقال لها العبد يا مولاتي وما تحبين ان تصنعيهُ اذكريهِ لاني لحديثك سامع واليهِ تابع فقالت لهُ اقطع هذه القفار والبيد واقصد بنا وادي زبالة وجبال طويلع ومنازل بني زبيد واوصلني عند اخي عمر بن معدي كرب حتى اعلمهُ بقصتي وما جرى لزوجي من الكرب لعلهُ يقوم معي ويساعدني على خلاصهِ من يد قناصهِ قبل ان يفوت فيهِ امر من الامور لان رواحه مع عنترة الى بني عبس هو غاية الويل والثبور ولا آمن عليهِ من نوائب الدهور فلما سمع العبد كلامها استصوب رايها وقال في نفسهِ دعها لعلها تبلغ مرادها ولم يقدر ان يخالفها في مقالها فسار بها يقطع تلك القفار والبيد قاصدًا جبال طويلع ومنازل بني زبيد هذا ما كان من امر نجم وريحانة زوجة وزر بن جابر واما ما كان من عنترة بن شداد الاسد الكاسر فانهُ سار من وقتهِ وساعتهِ وهو فرحان مسرور وقد عول على قتل وزر واتلاف مهجتهِ ووكل بهِ الخذروف واباه شيبوب المحتال وامرهما في الوقت والساعة بالشد والارتحال بما كان مع وزر من السلب والمال ففعل شيبوب ما امره اخوه عنترة في عاجل الحال وسار وركبت عبلة هجينها واخذ شيبوب يقود بزمامهِ وفرحت الفرح الاكبر بنصرة ابن عمها عنتر

قال الراوي ثم ان عنترة لم يزل سائرًا في ذلك البر الاقفر حتى وصل الى ديار بني عبس المغاوير وفي قبضتهِ ذلك الاسير فوقعت بينهم البشاير وفرحت بهِ اصحابهُ والعشاير وماج الحي بكل من فيهِ بقدومهِ وخرج الي لقائهِ اصحابهُ ومحبوهُ واقبل عليهِ عروة بن الورد

خليلة وصار يسلم عليهِ ويعانقهُ الا عمارة بن زياد فان روحه كادت ان تنازقهُ وكذلك اخوه الربيع فان مرارتهُ كادت ان تنفطر وكان بودهما ان لا ينظرا رؤيتهُ ونظر الملك قيس عند خروجه الى لقائهِ ذلك الاسير المربوط قدام الجمال ولم يكن عنده خبر منهُ ولا من تلك الاحوال ونظر ايضًا الى راس الكبش المعلق في رقبة البعير فتعجب من ذلك الامر الخطير وتحير من ذلك الفعل وقال لهُ يا حامية عبس وعدنان وقاهر الفرسان ما هذا الراس المعلق في رقبة البعير ومن هذا الاسير اخبرنا يا ابا الفوارس عن هذا الامر والشان فقال لهُ عنتر يا ملك الزمان انهما اسيران احدهما الاسد الرهيص وزر بن جابر النبهاني والثاني قيس المكشوح المرادي والراس راس كبش وزر الذي اقامهُ غنيرًا على العرب واخذ بهِ الجزية من الملوك اصحاب الرتب فلما سمع الملك قيس ذلك الكلام تعجب غاية العجب وكذلك جميع الفرسان وازداد عنترة في اعينهم رفعة وحرمة وعلو شان لما وصل اليهِ من شجاعتهِ وعلو قدره وهمته وعلموا ان عز عشيرتهِ مقرون بسعادتهِ فقال لهُ الملك قيس والله يا عنترة يحق لك ان تسمى حامية بني عبس وعدنان والحامي عن كل من فيها من الرجال والنسوان فلا اخلانا الله من طلعتك ولا عدمنا شجاعتك فشكره عنترة على مقالهِ واثنى عليهِ وقبل يديهِ ودعا لهُ وسلم على سائر الفرسان الذين خرجوا لاستقبالهِ وسار بعد ذلك لابياتهِ فاستقبلتهُ سائر نسائهِ وقراباتهِ ونزلت عبلة ودخلت الى ابياتها وفرح بها اهلها وسائر اصحابها ثم ان عنترة جعل اسيريهِ في مضرب خلق غير جديد وامر شيبوب في الحال ان يضرب لكل واحد اربع سكك حديد ويزجها بينها ويعذبهما العذاب الشديد ففعل شيبوب بهما ذلك . فعلم كل منهما انهُ لا محالة هالك ولما استقرت عبلة في ابياتها وطابت لها الاقامة اتتها كل نساء الحي لتهنئها بالسلامة وهي فرحانة بما فعل عنترة معها وانالها المنزلة العليا على نساء الحي كلهن هذا ووهب عنترة واعطى وتكرم ثم انهُ بات الى ان اصبح الله بالصباح فقام وقصد ابيات الملك قيس فلما علم بهِ قيس خرج الى استقبالهِ وهناه بما وصل اليهِ ولما جلسوا واستقر بهم المقام اخذوا يتعاودون الكلام ويسالون عنترة عما كان . وكان من جملة من حضر الربيع بن زياد واخوه عمارة فحكى لهم عنترة ما جرى وما كان منهُ ومن الاسد الرهيص وقيس المكشوح المرادي وكيف سار الى بني نبهان وذبح كبش الاسد الرهيص وطبخهُ واكلهُ فقال الربيع بن زياد لعنترة استهزاء بهِ اين قسمنا من لحم الكبش فقال عنترة لشيبوب هات ما عندك وما اوصيتك بهِ فعندها احضر ذلك اللحم الذي ملحهُ فلما راوه تعجبوا من هذا الشان وقال عمارة ربما يكون حامينا التقى في طريقهِ ببعض الرعيان فاخذ منهُ هذا الخروف وذبحهُ

وفعل هذه الفعال وقال لنا هذا راس الكبش الذي لوزر الاسد الريبال ولم يكن عمارة قد راى عنترة عند دخوله الحي لا هو ولا احد من بني زياد ولا خرج احد منهم ولا راوا الاسد الرهيص وعبلة فلما سمع عنترة من عمارة هذا الخطاب قال له والله يا عمارة بن زياد يا قليل البطش وكثير الفساد اعلم ان فعالي ليست كما تنعله من الهذيان وانما فعلت ذلك عيان ثم انهُ بعد ذلك الكلام صار الضيا في عينيهِ كالظلام والتفت الى شيبوب الصل الاغبر وقال له هات مخلاة الابجر في هذه الساعة وضعها بين يدي هذه الجماعة فاتى بها في الحال وافرغها بينهم بقوة عزم وشدة بطش واذا فيها القلايد والجواهر التي كانت على الكبش والاساور والحلي والفضة والذهب فتعجب الحاضرون غاية العجب ولما تاكدوا ذلك الامر والشان صاح عمارة وقال الويل لكم يا بني عبس وعدنان ماذا تصير حالتكم اذا طلبكم الاسد الرهيص وبنو نبهان لاجل كبشهِ وما فعل بهِ عنترة من الهوان فعندها صاح عنترة وقال له اسكت يا جبان يا ذليل يا مهان ان كنت انت تخاف من الاسد الرهيص وبني نبهان وذلك الجمع الكثير فها الاسد الرهيص في يدي اسير ثم انه نهض من بينهم حردان وترك في قلوب بني زياد نيران ودام الاسد الرهيص وصاحبهُ قيس المكشوح المرادي عند عنترة في ذلة الاسر والهوان ثم ان عنترة اولم الولايم فاجتمعت اليها الكبار والصغار والرجال والنسوان واقام ياكل ويشرب ويلذ ويطرب غير مبال بنوائب الزمان

قال الراوي هذا ما كان من امر عنترة وزوجتهِ وما جرى للاسد الرهيص من الاهانة واما ما كان من العبد نجم وريحانة فانهُ لم يزل سائرًا بها في البراري والقفار الى ان وصلت الى اهلها وتلك الديار ودخلت على اخيها عمرو سيد بني زبيد واكثرت من التعديد والبكاء الشديد بعد ما قبلت يديه وسلمت عليهِ فلما نظر عمرو تذللها واحزان قلبها وشكواها سكن بكاها واعولها وسالها عن احوالها وما جرى لها ونالها فاخبرتهُ بجميع ما جرى لها وكيف عفا عنها عنتر ولم يحدث فيها امراً منكراً وانهُ قال لها انتِ هبة مني لاخيك عمرو فان بيني وبينهُ صداقة وصفاء وداد وانا منذ نشأتي لم اخن عهداً ولم اخلف وعداً فقال لها اخوها عمرو لاتكوني مهانة فقالت لا والله يا اخي فان الكلام لايحتاج الى الامانة ان عنترة ليس بظالم وزرقانه ما فعل بهِ تلك الفعال الا غيرة منهُ على العرب لما اوصل اليهم من الاذلال فان الذي صنعهُ وزر ما صنعهُ ممن قرب او بعد وحكت له عن الكبش الذي اتخذهُ غفيرًا والبسهُ الحلي والحرير وكيف كان ياخذ بهِ الغفارة فقال لها بلغني ذلك كلهُ ولا يرضى بهذا الامر احد من بعده ولا من قبلهِ ثم انها الحت على اخيها عمرو وقالت له بالله عليك يا اخي ان تسعفني

على هذا الامر واريد من فضلك واحسانك المساعدة عليهِ فان هذا الشيء لاغنى لنا عنهُ وان تذهب معي وتعمل مصلحتهُ وتطلقهُ من اسره فقال لها اما تعلمين ما جرى علينا منهُ من الاهانة وكيف اخذك من وسط الحي سبية مهانة وانهُ والله يستحق العطب والذل والحرب لانهُ ظالم بملاقاتهِ عنترة بن شداد وانا لااقدر ان اسطو على عنترة الضرغام ولا اجرد في وجههِ الحسام لما بيني وبينهُ من الصفو والوداد ولا القي بنفسي في المهالك ولا افعل في حق عنترة شيئًا من العناد لان لهُ والله عليَّ جميلاً واحسان

الكتاب الثالث والعشرون

من سيرة عنترة بن شداد

لاانساهُ على مدى الزمان ولاسيما خلاصهُ اياي من يد سليك بن سلكة لما اخذني واراد ان يحل بي الهلكة فساقهُ الله اليَّ بغير معرفة بيني وبينهُ وخلصني وبعد ذلك منَّ عليَّ بروحي واعتقني فقالت لهُ بالله عليك اترك النفسانية وارجع الى المعروف فانهُ ما بقي لنا بدٌّ من خلاص هذا الرجل اذ صار بيننا عيش ومودة وقلبي عليهِ ملهوف فعند ذلك قال لها ان كان لابد لك من فعل هذا الامر فانا اهدي الى عنترة هدية واسالهُ اطلاق وزر واتوسل اليهِ لعلهُ يهبهُ لي فان ابي ذلك فلا سبيل الى خلاصهِ منهُ ثم ان عمرًا جهز من الخيل والمتاع ما لاتخفى قيمتهُ وسار من وقتهِ وساعتهِ وظل سائرًا حتى وصل الى اوطان بني عبس فالتقى الاسد الرهيص خارجًا من الحلة هو وقيس المكشوح وهما يضحكان فتلقاهُ عمرو وحياهُ وسالهُ كيف كان خلاصهُ من يد قناصهِ فاخبرهُ بذلك قال وكان السبب في خلاص وزر بن جابر ورفيقهِ سبب عجيب وذلك انهُ لما اسرهُ عنتر واحل بهِ العبر سلمهُ لاخيهِ شيبوب فربطهُ وانزل بهِ الكروب الى ان كان في بعض الايام وقد عزم عنترة على صلبهِ ليجازيهُ على ذنبهِ وكان ما وقع من الاتفاق وما قدرهُ الملك الخلاق لاجل امور تجري ونسطر في الاوراق ولاجل ما اراده الله من طول المهلة انهُ خرجت في تلك الليلة الاميرة عبلة وفي صحبتها اترابها وبنات عمها واصحابها تريد الفرجة على غدير ذات الاصاد فسرن وهي بينهن مثل ضوء القمر او هلال الاعياد وكان القمر قد انبسط في الصحراء فمرت بالاسد الرهيص وهو على ذلك الحال يقاسي الذل والنكال فلما رآها وهي كانها غصن البان نادى بعض العبيد الموكلين بهِ وقال يا اولاد حام من هذه الامراة التي كانها البدر التمام فاني ارى عليها هيبة

ووقار فلعلها من نساء السادات الاخيار او زوجة الملك قيس بن زهير لما عليهامن الحلي والحلل والخير فقال لهُ العبيد ويلك ياوزر هذه عبلة بنت مالك بن قراد زوجة حامية عبس عنترة بن شداد فلما سمع الاسد الرهيص كلام العبيد صاح بها الصياح الشديد وقال لها يابنت الكرام انا في جيرتك يابنت مالك والحسب جيرة العرب للعرب فلما سمعت عبلة نداءه قالت للعبيد ويلكم من هذا الذي يستجير بي فقالوا لها يامولاتنا ما اسرع ما نسيته هذا وزر بن جابر الملقب بالاسد الرهيص الذي عمل معكم تلك الاعمال واتى بهِ ابن عمك وربطهُ في القيود والاغلال فلما سمعت كلامهم قالت لهم حلوه من عقالهِ واطلقوا سبيلهُ ليذهب في حالهِ فقالوا لها ياسيدتنا انت تعلمين ان ابن عمك وكلنا به فما يكون جوابنا اذا اراد ان يضرب رقابنا فقالت لهم ويلكم حلوه والى حال سبيلهِ خلوه فانهُ استجار بي دون كل احد فما بقي يصيبهُ عناء ولا نكد ثم انها زعقت فيهم فخافوا منها وحلوه ومن قيده ووثاقهِ اطلقوه فنهض قائمًا على قدميهِ ومن شدة فرحهِ نسي جميع ما جرى عليهِ واراد ان يطلب ديار قومهِ من ساعتهِ ويومهِ فوصل الخبر الى ابي الفوارس عنتر بان الاسد الرهيص انطلق فسال عن سبب اطلاقهِ فاخبروه بما لهُ اتفق وانهُ استجار بعبلة فاطلقتهُ فاجاز عنترة ذمام عبلة والمقال وتركهُ كانهُ لم يخطر لهُ على بال ثم انهُ دعاه اليه فحضر وامر عنترة باطلاق قيس المكشوح وامر لهما بجلتين وزودهما واحسن اليهما واركبهما جوادين اكرامًا لعبلة فركبا وسارا فالتقى بهما عمرو بن معدي كرب وكان مع عمرو ريحانة كما ذكرنا وكانا قاصدين وزرًا ليسعيا في خلاصهِ ومعهما تلك الخيرات والاموال والانعام فقال عمرو بما اني وصلت الى هنا فلا بد لي من الدخول على عنترة لاجل السلام ولاجدد معهُ عهدًا واشكره على فضلهِ والانعام فوصل الخبر الى عنتر ففرح واستبشر وخرج الى لقائهِ وترحب به وحياه وانزلهُ واكرم مثواه فشكره عمرو على ما فعل وما اوصل الى الاسد الرهيص من حسن العمل ثم ان عنترة جازاه على هديتهِ وشكرهُ على حسن وداده وصحبتهِ واقام بواجب وزر وعمرو ثلاثة ايام وكذلك ريحانة عند عبلة في غاية الاكرام وبعد ذلك ودعوا بعضهم وطلبوا الرواح وساروا يقطعون الربى والبطاح فلما تمادى بهم السير والترحال اقبل عمرو على وزر وقال لهُ اخبرني ما الذي اضمرتهُ لعنترة من الخير فقال اضمرت لهُ السيف الماحق والرمح الحارق والاجل المتلاحق فوالله لاغفلت عن اخذ ثاري ولا نمت عن كشف عاري فلما سمع عمرو من وزر ذلك الخطاب غاب عن الصواب وقال لهُ وحق الرب القديم ما انت الا لئيم ياويلك يفعل معك الرجل هذه الفعال ويطلقك بشفاعة العيال ويخلع عليك ويحسن اليك وتضمر لهُ هذا الضمير

فما انت الا اعمى غير بصير ثم انهُ بعد ذلك فارقهُ واشتد غيظهُ وحنقهُ وحلف انهُ ما بقي برافقهُ وطلب دياره وحلتهُ وسار يقطع البراري والقيعان وسار وزر وزوجتهُ وعبده يطلبون ديار بني نبهان وسار قيس المكشوح طالبًا حلته وهو متعجب من وزر ومحنهِ اما الاسد الرهيص فما زال يجد المسير في البر الاقفر والمهمه الاغبر الى ان وصل الى اهلهِ وعشيرتهِ ولكنهُ جعل دخولهُ في الليل خوفًا من شماتة الاعداء ولا سيما زيد الخيل وانما لم يخف على اهل الحلة دخولهُ فوقع الصياح في الحي بوصولهِ فاتت الفرسان اليهِ وتوجعوا لهُ وسلموا عليهِ وسمع زيد الخيل وابوه بقدومهِ فاتيا اليهِ ومعهما جماعة من قومهما وسلموا عليهِ فقال زيد الخيل يا وزر من عاب غيرهُ ابتلي بعيب كيف رأيت ما صنع الله بك وكيف اعابك بين اهلك واقاربك وجالك بالذل والشنار وهكذا الدهر يا وزر اقبال وادبار

قال الراوي فلما سمع وزر كلامهُ قال لهُ ليس عليَّ في هذا عار فرد الان كلامك عليك لان الحرب لك وعليك وليس الدهر كلهُ لعنتر فلا بد ان يغلب معي ويقهر واذا انا نمت عن اخذ ثاري اكون قد تجللت بعاري ويحق لك عند ذلك ان تعيرني وبالاسر والوثاق تهددني لاني وحق البيت الحرام لابد لي ان اسقيهُ كاس الحمام واسبي زوجتهُ واقلع شافتهُ وابيد غابرتهُ واقلع اثار بني عبس حقًا واشتت شملهم غربًا وشرقًا واترك ارضهم قفارًا يتحدث فيها الناس في الامصار فقال لهُ زيد الخيل وقد ازداد غيظهُ عليهِ لابد لك ان تقع مرة ثانية بيديهِ ويفعل معك مثلما فعل في الاول ثم انهُ قام وخرج من عنده هو وابوه المهلهل وتركاه وقد كاد قلبهُ ان ينفطر مما حل بهِ من الغيظ والكدر وكلما زاد الكلام زادت بهِ الالام ولما كان في بعض الايام ركب وزر وطلب بعض الغدران فتبعهُ جماعة من بني نبهان فقال لهم يا بني عمي ومن بهم بزول همي وغمي انتم تعلمون الخبر وما قد حل بي من العبر من ذاك العبد الاسود عنترة بن شداد وقد سارت باخباري واخباره الركبان الى جميع الامصار والبلدان فاود ان اموت ولا اقعد عن اخذ ثاري منهُ وكشف عاري فهل انتم لي مساعدون وعلى حربهِ معاضدون فان ابيتم اقطع نسبي منكم واقصد حيًا غيركم فقالوا لهُ لما سمعوا كلامهُ وفهموا مرامهُ ايها السيد بارواحنا نفديك وبانفسنا نقيك فلما سمع وزر كلامهم فرح بذلك وشكرهم على مقالهم وفعالهم وقال لهم يا بني الاعمام انا لا اطير الا بجناحكم وما انا بشيء الا بكم لانني بسيوفكم اضرب وبعزائمكم اغلب ثم انهُ انفذ من وقتهِ الى المنهال بن ناقد بن الجلاح يستنجده ويحثهُ على قتال عنترة وحربهِ والكفاح اما المنهال هذا فكان عنترة قد قتل اباه منذ نشاتهِ لما فدى الابجر بما كان معهُ من الغنيمة في نوبة غياض بن ناشب وسبي امية

بنت يزيد بن حنظلة فكتب وزر كتاب و بعثه اليه مع نجاب يقول فيه من الاسد الرهيص
وزر بن جابر الى الامير المنهال نسل الاكابر امابعد فارغب اليك يا ابن العم ان تنهض الى كشف
عارك واخذ ثارك من ذلك العبد الزنيم والوغد اللئيم فقد صارت لي معه مطالبة ووقعت
بيني و بينه المحاربة وقد عولت من اجل حربه وقتاله ان استنجد بالملوك الذين على رؤوسهم
الاعلام وانت اولهم فاسرع في التاهب والحضور عندنا والسلام فلما وصل الكتاب الى المنهال
فضه وقراه وعرف ما فيه من المقال ففى عاجل الحال جرد عساكره وجمع مواكبه وعبى
دساكره وصار على ظهر جواده كانه الليث العابس ومعه من العساكر خمسة الاف فارس
كانهم الاسود العوابس غائصين في الحديد والزرد النضيد وهو قدامهم كانه ليث البطاح
غائص في شكيمته غارق في لامته مسربل بعدته فسار هو وقومه مجدين وللحرب متاهبين
واخذوا يقطعون المناهل والغدران ويبطنون السهول والوديان الى ان وصلوا الى ديار
بني نبهان فلما قربوا من الاطلال لاقاهم الاسد الرهيص في عاجل الحال واستقبلهم احسن
استقبال ونحر لهم النوق والجمال واتكل عليهم في اخذ الثار وكشف العار وظنوا انهم ينالون المراد
من قتل عنترة بن شداد فارس عبس وقراد

قال الراوي وقام الاسد الرهيص بضيافة تلك الاقوام مدة ثلاثة ايام يقدم لهم الطعام
وصافي المدام ثم انه في رابع الايام استعرض عساكره والفرسان ومن اجتمع اليه من العربان
حلفاء بني نبهان فكان عدة الجميع سبعة الاف فارس كلهم اسود عوابس فعند ذلك فرح
وزر بن جابر بذلك الجمع المتكاثر ورتبهم في مسيرهم اوائل واواخر وساروا والمنهال في
اوائل الخيل والعساكر تندفق من خلفه مثل السيل ووزر الى جانبه وقد فضله لاجل حاجته
على اهله واقاربه وكانوا كانهم النار المشعلة لكن بضاعتهم في هذه النوبة مهملة لانهم في هذه
الكرة لاجل سعادة عنترة تنكسر دولتهم وتباد غابرتهم و يتشتت شملهم

قال الراوي ولم يزالوا وهم في سيرهم مجدون والى ديار بني عبس قاصدون هذا ما كان
من هولاء واما ما كان من عنترة بن شداد فارس الطراد فانه كانت قد خمدت غاراته
واغتنم لذاته وواظب على الاكل والشرب ومعاشرة الاصحاب وكان يلتذ بالنظر الى عبلة مساء
وصباح وقلبه من الصداع قد ارتاح وملوك العرب تهابه وتخشاه وهو مع ذلك يعطي و يتكرم
وكل من سأله شيئا اعطاه وما زال يعطي ويهب الى ان قل ما بيده فلم يجد له بدا من طلب
المال والمكسب من قبائل العرب فتجهز هو وولده ميسرة وغصوب ومازن وعروة بن الورد
الاسد الوثوب ومعه رجاله الذين يعتمد عليهم في شدته واهواله وامرهم باخذ الاهبة

وتجهيزهم معهُ وذلك لما بينهُ وبينهم من المودة والصحبة فعند ذلك لبسوا الحديد وغاصوا في الزرد النضيد وخرجوا من الخيام تحت الظلام وكان اكثر الفرسان نيام وساروا حتى بعدوا عن المضارب والخيام وعنترة في اوائلهم كانهُ الاسد الضرغام فقال لعروة يا ابا الابيض قد عولت في هذه النوبة على ان اقصد ديار بني كهلان واقصد بعد ذلك ديار بني قحطان واجعل هذه السفرة ذات شان تحدث فيها سائر العربان وتسير باخبارها الركبان في سائر النواحي والبلدان فقال لهُ عروة افعل ما بدا لك فكلنا تابعون اقوالك ومن ذا الذي يمنعك عن هذا الطلب وهيبتك قد وقعت في قلوب العرب من بعدها ومن اقترب ونحن اسود الغاب واصحاب الطعان والضراب فشكره عنترة على كلامهِ وحمده على حسن مودتهِ واهتمامهِ وامر شيبوبًا بان يسير بهم الى ديار بني حمير وكهلان فسار بين ايديهم كانهُ النمر الحردان لانهُ كان يعرف البلاد وسائر الاراضي والمهاد هذا ما كان من هولاء واما ما كان من بني عبس واهل الحلة فانهم افتقدوا عنترة واصحابهُ فلم يجدوا لهم اثر وكذلك عروة ورجالة الغرر وكان سبب الافتقاد ان الربيع واخاه عمارة ابني زياد كانا في تلك الايام عند بني فزارة الطائفة الغدارة لما بينهم من الصحبة اللطيفة التي كانت منذ القديم بينهما وبين حذيفة وكان حصن في تلك الايام قد صنع وليمة دعا اليها الربيع واخوتهُ للمشاورة على الغدر بعنترة بن شداد لانهم كانوا يودون محو اثره من تلك البلاد

قال الراوي فلما وصل رسول حصن الى الربيع جمع اخوتهُ واصحابهُ وكانوا مائة وخمسين فارس ابطال عوابس فساروا حتى قدموا على حصن فاجلسهم باحسن المجالس واكرمهم غاية الاكرام ونحر لهم النوق والاغنام واكثر لهم الخمرة حتى اختلطت عقولهم وعملت فيهم السكرة فجرى بينهم ذكر عنتر وما لهُ من الفروسية التي تذكر فقال الربيع وحق البيت الحرام وما عليه من الآلهة والاصنام ان في قلبي حسرة من ذلك العبد الذليل ولو قدرت على قتلهِ لكنت قتلتهُ وشفيت منهُ الغليل لانني قد بغضتهُ بغضة شديدة وبغضت من اجلهِ صهري الملك قيس لاجل ميلهِ اليهِ فلما سمع حصن كلام الربيع تذكر ما صنعت بنو عبس مع ابيهِ واعمامهِ وكيف قتلوهم على جفر الهباة وكان حصن في ذلك الوقت حاضرًا مع ابيهِ الا انهُ كان صغيرًا فقال للربيع ان كان في قلبك من عنترة بعض ما فيهِ فكيف حال من لا ينام الليل لاجل قتلة ابيهِ فان كنت قد اضمرت لعنترة امرًا فافعلهُ او غرضًا تريد قضاءهُ فعجل بهِ ولا تمهلهُ وانا اوافقك على ما تريد ان تعملهُ وتساعدنا بنو فزارة على قلع اثاره وآثار بني عبس ووقوعهم في الذل والخسارة والان ابشرك يا ربيع بشارة فقال الربيع واخوتهُ وما هذه

البشارة يا فارس قبيلته وسيد اهله وعشيرته فقال لهم حصن اعلموا يا اصحاب الحسب والنسب
انه قد اتاني بالامس رجال سلالون بالشطارة موصوفون واخبروني ان الاسد الرهيص
قد سار الى قتال عنترة في خمسة الاف فارس وانا اعلم انه في هذه المرة يقلع من بني عبس
الاثار ويشتتهم في البراري والقفار فان اردت ان تشفي فوادك وفوادنا فقم لنركب مع سادات
قومنا ورجالنا ونسير الى الاسد الرهيص ونشكو له حالنا واذا اتفقنا معه سرنا من جملة
عساكره ونترك عنترة في هذه النوبة قتيل ونسبي عبلة ونشفي منها الغليل فقال الربيع والله
يا حصن لقد احسنت البشارة واصبت في هذه العبارة وانا ابشرك بشارة اخرى وهي ان عنترة سار
الى ارض اليمن فاذا اشرفنا على الحلة وانزلنا بمن فيها المصائب والمحن واذا وقع بنا الصائح هجرنا
حالنا وامرت اخوتي بان يشيلوا في الهوادج حريمنا وعيالنا ويطلبوا ارضكم وننزل بعد
ذلك ببني عبس الرزية ونقلع اصولهم بالكلية ونعيش واياكم عيشة هنية واذا عاد عنترة من
سفرته دبرنا على هلاكه واتلاف مهجته فقال حصن هذا راي فيه الصلاح وامر سد يد ذو نجاح
ثم انهم بعد هذا الكلام تفرقوا للمنام ولما اصبح الصباح واضاء بنوره ولاح ركبوا في خمسة
الاف فارس فزارية وساروا على هذه النية الى ان خرجوا من امياه عدنان ووصلوا الى ارض
بني قحطان واذا هم بعساكر الاسد الرهيص طلعت واسنة رماحهم لمعت وبيض شفارهم سطعت
وزلزلت الارض من وقع جوافر الخيل وصار النهار من شدة الغبار كالليل فعندها سبق
الربيع بن زياد وحصن بن حذيفة نسل الاوغاد الى وزر بن جابر وسلما عليه واخبراهُ
بانسابهما بين العشائر واعلماهُ انهما يكونان من بعض اجناده ويعاوناه على ما يريد من
بلوغ مراده ففرح الاسد الرهيص بقولهما واستقبلهما احسن استقبال ووعدهما ببلوغ الامال
وترجل عن جواده اجلالاً لهما واخذ يسالهما عن احوالهما فقال له حصن بن حذيفة لعلك
يا سيدي قد سمعت بما جرى علينا من بني عبس وانهم قتلوا ابي واعمامي على جفر الهباة والبسنا
عنترة ثوب العار وتركنا بين العرب مثلاً في سائر الاقطار ومع هذا كنت اصبر على الضرر
لان يدي كانت قصيرة عن اخذ الثار على اني لما سمعت بمسيرك في هذا العسكر الجرار
لقتال عنترة بن شداد وبلوغ القصد والمراد لم اجد لي وحي مصطبر وايقنت اني بقوة عزمك
افوز بالنصر والظفر وها انا قد سرت اليك ارجو الثار على يديك فاعلم ان الحي خالٍ من
الرجال وعنترة غائب باصحابه والابطال وليس في الحي من يجرد حساماً ويدافع عن الحريم
والعيال وها انا معي في الطريق مائة وخمسون فارساً اجواد ومعي ايضاً هذا السيد الربيع
بن زياد واخوه عمارة القواد وهو الذي يساعدنا على هلاك بني عمه لعله يظفر بعنترة ويشرب

دمهٔ وتنهب انت الاموال وما اخذوه من اموال الملوك الغوال ونسبي عبلة زوجة ذلك الاسود والشيطان الانكد واذا عاد من سفرتهِ و بادر الينا في قومهِ وفرسان عشيرتهِ بطلب خلاص زوجتهِ دبرنا نحن وانتم على اتلاف مهجتهِ فلما سمع الاسد الرهيص كلام حصن فرح وطاب قلبهُ وايقن باخذ الثار وكشف العار ثم انهُ عاد الى ظهر جواده وسار ولما قارب ارض الشربة والعلم السعدي وتلك الديار التفت الى المنهال وقال لهُ خذ معك الفين من هولاء الابطال وسر نحو الاموال وسق ما قدرت عليهِ من النوق والجمال واذا رايت الصيحات من خلفك قد علت والرجال اليك قد اقبلت سلم المال الى من تثق بهِ ومره ان يسير في مائتي فارس قدامك وارجع انت في بقية الجيش وقف في وجوههم وقاتلهم الى ان اجيء انا من خلف ظهورهم واملك البيوت والاطلال واسبي نساءهم والاطفال واضع السيف في العبيد والموال واترك ديارهم بلقع ياوي اليها البوم والسمعمع قال فلما سمع المنهال من الاسد الرهيص ذلك المقال استصوب رايهُ واجابهُ الى مرامهِ واخذ معهُ نصف العسكر وسار طالبًا ديار بني عبس وكان مسيره عند طلوع الشمس فسار معهُ حصن بن حذيفة وكان المنهال في اوائل العسكر كانهُ البرج المشيد او الليث القسور وساروا الى ناحية الاموال كما امر الاسد الرهيص الفارس الرئبال وهم في الفي فارس كماة اشاوس واما باقي الخيل فقد كمنت في بعض الوديان واقام معهم الربيع بن زياد واخوه عمارة القواد خوفًا على حريتهم والاولاد وشن المنهال الغارة على الاموال وساق ما في المراعي من الاغنام والجمال وكانت ستة الاف ناقة برعيانها ونتاجها وفصلانها فوقع الصياح وارتفعت الضجة فسمع الملك قيس الضجة فسال عن الخبر فقالوا قد هجم على المراعي خيل اكثر من الفي فارس ابطال وساقوا العبيد والاموال والرعاة والجمال فاندهش الملك قيس وقال ويلكم وما عرفتم اولئك الفرسان فقالوا نعم ايها الملك العظيم الشان قد سمعناهم ينادون يا لمعن يا لقحطان ورأينا معهم فارس البطاح المنهال بن ناقد الجلاح الذي قتل عنترة اباه في اول منشاه وقد ساق اكثر من ستة الاف ناقة وجمل وهو في جيش قد سد السهل والجبل فلما سمع الملك قيس هذا الكلام انذهل ونادى يا ارباب الخيل ثم انهُ لبس ذرعهُ والة حربه وركب على ظهر جواده داحس وتقلد بسيفهِ ذي النور وساق وقد ضاقت عليهِ الامور وركبت لركوبهِ سائر اخوتهِ وسادات عشيرتهِ وغاصوا في الحديد والزرد النضيد ونفرت بنو عبس نفور القطا واستوى عندهم الصواب والخطا وساقوا حتى التقوا بالاعداء ولحقوا الغلمان والرعيان وهم ينادون يا لعبس يا لعدنان وقد انتضوا سيوفهم وشهروا رماحهم فلما رأى

المنهال قد اقبلت عليهِ الرجال سلم الاموال التي ساقها الى رجل من بني عمرو يقال لهُ قدام بن فياض وكان في الحرب بحرًا لا يخاض وضم اليه مائة فارس وقال امضِ بهذه الاموال الى المنزل الذي كنا فيهِ البارحة ثم انهُ عطف على فرسان بني عبس وعدنان وكانت على اجسادهم الدروع المانعة وفي ايديهم السيوف القاطعة فتواصلت الفرسان واختلط العسكران وعلا الصياح وعملت السيوف والرماح وجرى الدم وساح ونادت بنو عبس لا براح فبينما هم كذلك واذا بالاسد الرهيص قد كبس الحريم واذاقهم العذاب الاليم وسبى البنات والنسوان وملك الاطفال والولدان وارتفع الغبار الى العنان وذل العزيز وهان وعلا صياح النسوان فالتفت الى ورائهِ فرأى سيوفًا تسطع واسنة تلمع والنساء يمانعن عن انفسهن والاسد الرهيص بين البيوت مثل المجنون وقد قلعها هو ورجالهُ وسلم السبي الى مائتي فارس من اقاربهِ وذويهِ وامرهم بان يسوقوهُ الى المنزل الذي كانوا فيهِ اما الربيع فحرص على خلاص حريمهِ وحريم اخوتهِ فلم يقدر على ذلك الحال لان الاخ اضحى لا يعقل على اخيهِ ولا الوالد على بنيهِ وعم بني عبس البلاء واشتدت عليهم المصائب واطبقت عليهم العساكر من كل جانب وانزلوا بهم النوائب والاسد الرهيص يدور بين البيوت كانهُ الاسد الكاسر ويصيح انا وزر بن جابر فلما سمعت بنو عبس نداه تحيروا وحلت بهم الفكر وعلموا انهم ابتلوا بالاسد الرهيص الغضنفر وانهُ لم يبقَ لهم من الموت مفر فثبتوا في القتال وصبروا على الاهوال وقاتلوا اشد قتال ثم انفرد من اخوة قيس ثلاثة في فرقة من بني عبس للاسد الرهيص ودام قيس في بقية الرجال لقتال المنهال فاشتدت الاهوال وعظم النزال وانهرق الدم وسال وانطرحت الرجال على الرمال واستقبل وزر جندل اخا قيس وصرخ في وجههِ فارتعش وتخبل واندهش فمد وزر اليهِ يدهُ وامسكهُ من اطواقه وزعق بهِ ونادى يالنبهان وجذبهُ فاخذهُ من سرجه ذليلاً مهان وسلمهُ الى عبدهِ نجيم وطلب الاخ خلاص اخيهِ فلم يقدر على ذلك وكاد ان يشرف على المهالك فانقض عليهِ الاسد الرهيص كانهُ الاسد الريبال او الغيث الهطال ولم يزالوا على ذلك حتى قاربت الشمس الزوال وقتل من بني عبس ثلاثمائة من الرجال الشداد واسر منهم جماعة من السادات الامجاد وطلبت بقية اولاد الملك زهير الهرب وافتضحوا فضيحة زائدة بين العرب وسبيت حريمهم والعيال ونهبت اموالهم والاطفال وكانوا يسمعون عن بعد صياحهم وليس لهم سبيل الى خلاصهم وعبلة قد سبيت واهلها ملكت ومضاربهم نهبت والتفتت عبلة يمينًا وشمالًا فرأت اهلها وبني عمها على الروابي والتلال فنادت وافضيحتاه واسبياه وابن عماه ابن عمناه يا عنترة ترانى مسبية مهتوكة وفي ايدي الاعداء مملوكة

قال الراوي فلما سمع المنهال كلامها ونداءها اقبل نحوها ورآها فانذهل بحسنها وبهاها ورق قلبهُ لبكاها وشكواها فالتفت لاحد بني عمها وقال لهُ ويلك من تكون هذه الجارية ومن يكون ابن عمها الذي دموعها عليهِ جارية فقال لهُ ايها الفارس الجواد هذه عبلة بنت مالك بن قراد وزوجها وابن عمها الذي تندبهُ هو فارس بني عبس بن شداد فلما نظر صفاتها وسمع خطابها ورأى حزنها والتهابها قال انا احق منها واولى لان ثاري عنده مقيم وهو الذي قتل ابي وسبي زوجتهُ اميمة وربيت انا يتيم ثم التفت الى عبلة وقال لها ويلك يابنت البهيم تهددينا بالاسود الزنيم والوغد اللئيم فسوف اذيقك العذاب الاليم فلما سمعت عبلة مقالهُ قالت لهُ ياوغد قومهِ وعشيرتهِ لو كان ذلك الاسود حاضرًا في الحي لقصرت يدك في الهجوم عليَّ ولكن لابد من مجيئهِ وحينئذٍ ياتي اليك وياخذ روحك من بين جنبيك فلما سمع المنهال كلامها رق لها ولكنهُ قال لها سوف اذيقك العذاب الوان واتركك تقاسي البلاء والهوان ونظر الربيع الى حريمهِ وحريم اخوتهِ وهن مشدودات على الجمال وقد نزل بهن الاذلال فندم على ما ابداه من الاسباب والتفت الى حصن بن حذيفة وقال لهُ ايها السيد هذا شيءٌ ما كان لنا في حساب ولا ظننا انهُ يحل بنا هذا المصاب فلما سمع حصن هذا الكلام لام نفسهُ وزادت بهِ الالام وقال والله لو فعل غيرنا باهلهِ هذه الفعال لكنا اكلنا لحمهُ بالملام دون الرجال فان علمت بنو عبس وعنترة اننا كنا مع الاعداء لايبقون من بني فزارة بشر فاذا وقعت القسمة بين الرجال نقول لهم اعطونا حريمنا والعيال ثم ناخذ حريمنا ومن قدرنا عليهِ من حريم بني عبس ومن تصل ايدينا اليهِ ونعبر بهن انا وانت ونسلمهن الى الملك قيس ونعتذر لهُ بما نستطيع من الخطاب ونرى ما يجري من الامور والاسباب فقال الربيع هذا هو الصواب والامر الذي لا يعاب هذا اما كان من هولاء واما ما كان من الاسد الرهيص فانهُ التفت الى المنهال وقال لهُ اعلم اننا اقدمنا على امر عظيم وخطب جسيم وجعلنا عنترة بن شداد لنا غريم وهو لايقعد عن اخذ الثار وكذا قيس بن زهير ملك جليل القدر جبار فلا بد ان يجمع العرب من سائر الاقطار ولا يدع ان يقر لنا قرار وحصن والربيع هما والقوم ابناء اعمام وانا اعلم ان في قلوبهما علينا العتب والملام ولا آمن منهما ان يغدرا بنا ومثلما عملنا بقومهما يعملان بنا فقد عملنا شيئًا ونريد اتمامهُ فمن الراي اذا نزلنا في المنزل وحضر معنا القوم اقول لكم اقسموا الاموال ولا تدعوا لاحد علينا ملامًا ولا مقال واعطوا الربيع وحصن حقوقهما حتى يمضيا الى حال سبيلهما فتقول انت والله ياوزر لانفعل هذه الفعال ولا نعطي من هذه الاموال عقال ولاي سبب ندفع غنيمة كسبناها وباسيافنا خلصناها

وهما من جملة اعدانا ثم امر الرجال ان يقبضوا عليهما في ساعة الحال وعلى من معهما من بني فزارة وقد دبرت هذا التدبير عالمًا انهُ ربح بلا خسارة

قال الراوي فلما سمع المنهال كلامهُ قال لهُ يا وزر اني عزمت على امر واريد ان افعلهُ واظنهُ صوابًا فلا تهملهُ وهو ان الربيع وحصنًا ما فعلا ذلك الامر الخطير ودبرا على قومهما هذا التدبير الا لاجل حسدهما و بغضهما لعنترة عبدهما ولما لهُ من الهيبة في قلوبهما وانا اعلم انهما ندما على ما فعلا لاننا اخذنا في الجملة اموالهما وسبينا حريمهما وعيالهما وما الفايدة في الصبر عنهما الى وقت قسمة الاموال فاريد في هذه الساعة ان اقبض عليهما وعلى من معهما من الرجال ونرجع بعساكرنا والابطال ونشهر بايدينا الصفاح ونطلب ارض بني فزارة وتلك البطاح ونبذل فيهم اسنة الرماح ونعمل بهم مثلما عملنا ببني عبس الفرسان الوقاح وتكون المطالبة واحدة وايدينا على السراء والضراء متعاقدة واعلم انهُ متى جاءنا عنتر البطل القسور والفارس المغوار وقامت بنو عبس تطالبنا باخذ الثار ساعدتهم بنو فزارة مثل شعل النار فاذا نحن قطعنا مجاورتهم خفت عنا مطالبتهم فاستصوب الاسد الرهيص رايهُ وقال لهُ وحق الملك الوهاب انك اهدى مني الى الصواب فلا تعرف القبض عليهم الا مني ثم انهم باتوا باقي ليلتهم ولما لاح الصباح تاهبوا للمسير والرواح فاوقف المنهال في ذلك المكان مائة فارس من بني نبهان واعلمهم بما قد عول عليهِ من الشان وكان الربيع وحصن ومن معهما من الفرسان محاذين لهم في عرض البر والصحصحان وهما يتحادثان في امر خلاص العيال والنسوان فبرز لكل واحد منهم فارسان من بني نبهان وكان اول من زعق بهم الاسد الرهيص فطعن الربيع بن زياد بعقب الرمح ارداه وعن جواده رماه وامر عبده نجمًا بان يربطهُ ويشده ثم زعق في الحال على حصن فاعدمهُ رشده واما اصحابهُ فلم يكن فيهم من مانع ولا عن نفسهِ دافع لان الجمع كان عليهم كثيرًا والعدد غزيرًا فضلاً عن ان الاسد الرهيص كان يلقى وحده الفًا من الشجعان وشجاعتهُ لا تخفى على الابطال فشدوا الجميع بالحبال وانزلوا بهم الوبال ثم احضرهم الاسد الرهيص الى بين يدي المنهال فامر بان يضافوا الى باقي الاسارى من الرجال ومن سبوا من النساء والاطفال فعند ذلك التفت وزر الى المنهال وقال لهُ ايها السيد المفضال ما الذي تشير بهِ علينا من الفعال فارى من الراي ان تجعل السبي والاموال مع اربعمائة فارس من الابطال وتسير بنا في بقية هذا الجيش الى بني فزارة الطائفة الغدارة فنقلع منهم الاثر ونجعلهم بين العرب مثلاً يذكر فاستصوب المنهال رايهُ وحسن مشورتهِ ونهض من وقته وساعته وفي الحال قدم على الغنائم والاسارى رجلاً من الابطال اسمهُ قدامة

ابن فياض وكان من الجبابرة المذكورة والفرسان المشهورة وكان يعرف بين العشائر بالعقاب الكاسر فاضاف اليهِ المنهال ثلاثمائة فارس من كل ليث عابس وقال لهُ يا ابن العم احتفظ بن معك على السبي والرجال والاسارى والاموال وفرق من حولهم العبيد والابطال ففي الوقت والحال فعل هذه الفعال ودارت بهم اربعمائة فارس ولما آمن قلب المنهال والاسد الرهيص من هذا القبيل اخذا ما تبقى معهما من العسكر وسارا بهم قاصدين بني فزارة وقد اخفيا الخبر حتى وصلوا اليهم وهجموا عليهم وعلى حيهم وديارهم وهم كما ذكرنا عازمون على قلع اثارهم وكبسوا الحلل وانطبقوا عليهم من الاربع الجهات انطباق الاجل وما تعالى النهار حتى نهبوهم ومكنوا منهم السلاح وقلعوا الحلة بمضاربها وخيامها بعد ما احاطوا بها من ورائها وقدامها وربطوا الرجال وسبوا الحريم ونهبوا الاموال وتركوا ارضهم قاعًا صفصفًا وفعلوا بحقهم من الفضيحة ما لا يوصف وساقوا الغنيمة بين ايديهم وقفلوا راجعين والى الاموال التي خلفوها مع قدامة بن فياض طالبين فلما وصلوا اليهم طابت نفوسهم بهم

قال فلاحت من عبلة التفاتة فنظرت الربيع بن زياد موثوقًا مع جملة الاسارى بقوي الشداد وكذلك اخوهُ عمارة القواد وحصن بن حذيفة ومعهُ بنو فزارة الاوغاد فقالت للربيع لقد علمنا انكم جميعًا مع القوم فوالله لم نصبنا هذه المحن الا بمكرك ودهاك وما وقعت الا جزاء بما جنت يداك فقال والله يا بنت العم ما عندي مما تقولين خبر وقد كنا في الوليمة وما علمنا الا والخيل كبستنا واقبلت علينا من البر الاقفر فركبنا وقاتلنا الى ان اشرفنا على العطب فلما قل منا العدد وكثر علينا المدد سلمنا نفوسنا واخذونا اسارى ولا نعلم ما تم لنا من بني فزارة ولو كانت هذه النوبة من فعلي او شهوتي لما كنت هكذا مربوطًا معهم انا واخوتي وحريمنا كما تري مع هذه الاسارى والساعة لم يبق لنا يا بنت فرج الا ان ياتينا فارسنا الاوحد وبطلنا الامجد فلما سمعت عبلة بذكر ابن عمها تحسرت من شوقها عليهِ وعلمت انها لا خلاص لها الا على يديهِ وبعد ذلك اشرفت نساء بني فزارة فملأن الارض بالطول والعرض وسار القوم طالبين الديار لا ياخذهم هدو ولا قرار والمنهال اشتد بعبلة الغرام وزاد بهِ السقم والهيام ووقع بهِ الالام فشكا حالهُ الى ابن عم لهُ اسمهُ واقد بن ظاعن فقال لهُ يا ابن العم ما وجدت لكشف اسراري سواك واريدك ان تعمل ما اشكرك عليهِ فانهُ يخلصني من الهلاك ثم انهُ شرح قصتهُ واعلمهُ انهُ قد زادت به من عشق عبلة بليتهُ فقال لهُ طب نفسًا وقر عينًا فاننا اذا وصلنا الى الحلل اخذناها من وزر من غير مهل وزوجناك بها طوعًا او كرهًا فقال لهُ المنهال يا ابن العم امض اليها واخطبها من نفسها واعرض الامر عليها فان انعمت لك بقضاء الحاجة

العساكر والرجال فما الراي عندك فيما نفعل من الافعال وما هو الصواب فيما نعمله من الاعمال واعلم اني ما قلت لك هذا القول فزعًا من الموت ولا خوفًا من حلول الفوت وانما تكلمت بذلك لتكون على اهبة من امرك لاني اريد الهجوم على اقليمه وآخذ امواله وحريمه ولو ركب بعساكر وجنود بعدد قوم عاد وثمود لقيتهم وبذلت فيهم المجهود فعند ذلك قفز شيبوب واتى عنده وقال له يا ابن الام اعلم انني انا اخبر منكم بالملك وجنده واعرف منكم بهذه الارض والبلاد وما حولها من الاجناد فعساكره تسد الاقطار وتملأ البطاح والقفار وارضه كما ترى كثيرة الاوعار والدحال والاشجار والجبال وقد قال اهل المعرفة ان القلة عند الكثرة علة وانا اعلم انه لو كان معك الف فارس تحمي ظهرك لكنت القيت بنفسك على من تراه عينك والحال ان ليس معك سوى مائتين من الفرسان والراي عندي غير هذا الشان فقال له عنترة ما الراي الذي عندك يا ابن السوداء فقال له الراي عندي اننا نتحصن في بعض المواضع ونحمي ارواحنا ونقيم بعيدًا من ديارهم ونشن عليهم الغارة ونبليهم بالخسارة ونخرب البلاد وننهب العباد حتى تمتلئ ايدينا من اموالهم ويصير عند ناشئ كثير من نوقهم وجمالهم ونرجع الى ديارنا ونكون قد نلنا الغرض فان بلغ الخبر الملك وارسل لنا عسكرًا كسرناه واخذنا سلبه ونهبناه وهذا خير لنا من الدخول اليهم والهجوم عليهم فاننا اذا فعلنا تلك الفعال وقتل منا احد ممن يعز علينا من الرجال فانه يساوي آل قحطان وما عندهم من الاموال فعند ذلك استصوب عنترة كلام شيبوب وكذلك عروة بن الورد بل كلهم وقالوا هذا هو الصواب والامر الذي لا يعاب وكمن بهم عنترة في بعض المكامن التي انتخبها لهم شيبوب بمعرفته فوجدوها حمى لا يقدر ان يصل اليها احد واقام شيبوب جاسوسًا على فم الوادي وصار يتنسم لهم اخبار القوافل التي ترد اليهم من القرى والبلدان وصار عنترة كل حين يخرج ويقطع الطريق ويعدم عرب اليمن السعادة والتوفيق حتى ضج منه ذلك الاقليم وانزل بهم البلاء العظيم وقد خافوا من هيبته ونفرت الخلق من سطوته وكثرت الشكاوى الى الملك وهب بن موهوب من هذه الامور التي طرأت في مملكته فعند ذلك اغتاظ وزاد به الحرد لما سمع بهذا الامر الذي عليه تجدد فعند ذلك احضر الملك وزيره بين يديه وسأله عن هذه الامور التي طرأت عليه وقال له اما تنظر ايها الوزير الى هذه المحنة التي نزلت في ارضنا والجبال فمن ذا الذي يجسر ان يفعل بنا هذه الفعال وكيف انقطعت الطرقات وقل المسافرون من اهل التجارات فقال له الوزير ايها الملك وحق النجم اذا ظهر لا اعلم ماذا جرى من الخبر وقد اخبرني من اثق به ان الذي علينا قد تجاسر هو اسود بني عبس المسمى بعنتر

الذي علق قصيدته على البيت الحرام في جملة القصائد التي للشعراء ارباب الافهام وقد قهر الانام وإسر كل ملك هام وهو الذي قطع الطرقات واخذ الاموال واباد الرجال

قال الراوي فقال له في كم يكون هذا الرجل من العشائر وكم ينقاد تحت حكمه من الجنود والعساكر فقال له الوزير ايها الملك المفضال قد سمعت من بعض الرجال انه في مائتي فارس ابطال منهم مائة يقاتل بها من يلحقه من الرجال ومائة تتاخر وراءهم وتحمي ما يكسبه من الاموال ولكن بلغني ان كل واحد من هولاء المائتي فارس يعد بالف بطل مداعس ولو لم يبلغ بهم الامر الى ما عرضت من الكلام لما سمتهم العرب فرسان المنايا والموت الزؤام فقال له الملك وهل ان مائتي فاوس يوقعون كل هذا القوم بالذل والوساوس أو ليس هم من الناس حتى الحقوا بهذا العدد الغفير الجزع واليأس فقال له الوزير ايها الملك لا تحتقرهم ولا ياخذك التواني عنهم فهولاء الذين اذلوا الرقاب وهونوا الصعاب ألم تسمع عنهم انهم اذلوا كسرى وقيصر وقهروا ملوك بني الاصفر أو لم يبلغك ايضاً ما جري منهم مع يكسوم وكيف كسروا عساكره التي هي بعدد النجوم وكيف قتلوا طود الاطواد وكسروا جيوشه والاجناد ونهبوا اموالهم ولم يبقوا لهم من اثر وجعلوا لهم حديثاً يذكر فقال له وهب من شدة الغيظ الذي نزل عليه يا وزير أفعلى هذا الحساب نعول من هذا الوقت على الهرب والذهاب ونترك ارضنا والبلاد خوفاً من لقاء عنترة بن شداد فلما نظر الوزير الى الملك وقد خرج الجد منه اخذ يمسح اطرافه ويلين بالكلام اعطافه ويتلطف به ويسكن غيظه ويقول له ياملك وصفت لك عنهم هذه الصفة حتى تثبت عندك ما هم فيه وتحقق بهم المعرفة فلا تهمل امرهم فيصل اليك شرهم فقال الملك ايها الوزير دبر من الراي ما تريد وتحكم في العسكر حكم الموالي على العبيد حتى ننظر ما يكون من امرهم فلعل الله يفتح لنا باباً نستدل به على هلاك هذا الشيطان ونرسل له من الفرسان من يصده ويرده عما يفعله في هذه البلاد فقال له الوزير السمع والطاعة ثم انه نهض كما امره الملك وامر في الحال باحضار الف فارس من كل ليث مداعس للحديد لوابس وقدم عليهم فارساً ليس كالفرسان وقرناً يفوق الاقران يقال له طارق فارس بني حمير وكان ابن عم الملك وهب وابن عم سبيع الفارس الغضنفر وهو فارس عبوس وليث شروس وكانت تسميه العرب خطاف النفوس لا يبالي بالرجال ولا بكثرة الابطال ولذلك قدمه الوزير على الف من الابطال الصناديد غائصين في الحديد والزرد النضيد ولما تكاملت الفرسان والابطال عرضهم على الملك وهب ففرح بتلك الاعمال وخلع على ابن عمه الخلع الغوال ووعده بالخير والاحسان ان اتاه بعنترة مقاداً بحبال

الذل والهوان فعند ذلك خرج طارق من قدام وهب وهو فرحان وسار من ذلك المكان يقطع البراري والكثبان بقوة عزم واجتهاد طالبًا المكان الذي فيهِ ابو الفوارس عنترة بن شداد وكان شيبوب قد انزل عنترة في موضع معشب بين جبلين في بقعة عاصية وكان في تلك الارض عين منها المياه جارية والارض هناك خضرة مخصبة نضرة وذلك الوادي منيع الجوانب لا يقدر ان يدخلهُ ماشٍ ولا راكب لان مدخلهُ ضيق واقام لهم شيبوب ديدبانًا على باب الجبل ياخذ لاخيهِ عنترة اخبار من يرى من السفار وكانوا اذا نظروا احدًا من المسافرين يصرخون عليهِ ويتفرقون من حواليهِ وينهبون ما معهُ من الاموال ويدخلون بها بين تلك الجبال وكان شيبوب يعلمهم بما ياتي من القوافل والاحمال وكلما سمعوا بقافلة عابرة او تجارة الى بلاد اليمن سائرة يخرجون وياخذونها بامان بعد ان يقتلوا من معها من التجار والفرسان هذا وعنترة منفرد في تلك الوديان ياكل ويشرب ويلذ ويطرب مع الفرسان وليس على قلبهِ همٌّ من صروف الزمان وقد طاب لهُ ذلك المكان

قال الراوي فبينما هم على ذلك الشان واذا بالزعقة قد علت في تلك الوديان وهجم من هنالك رجال وفرسان ففي ساعة الحال نزل شيبوب من راس الجبل ودخل على اخيهِ عنترة وهو مكروب وامره في ساعة الحال بالركوب وقال لهُ يا ابن الام قد اتاك القوم في عسكر جرار سيوفهم احد من شرار النار فقم وخذ لنفسك الحذر فانك اليوم على شفا الخطر فقد اتتك الخيل والرجال وتبادرت نحوك الفرسان والابطال وهم في جمع عظيم كأنهُ الليل البهيم وكلهم اليك وارد وقتالك قاصد فلما سمع عنترة من اخيهِ هذا الكلام وثب كالاسد الضرغام وامر من معهُ من الفرسان بالركوب في عاجل الحال فعندها ركب ميسرة وعروة وغصوب واعتقلوا برماحهم وتقلدوا بصفاحهم وفي مقدمتهم حاميهم عنتر وهو على ظهر جواده الابجر معتقل برمحهِ الاسمر متقلد بسيفهِ الضامي الابتر ثم انهم تبادروا الى الصفاح وقوَّموا في ايديهم عوامل الرماح وكلٌّ منهم اطلق لفرسهِ العنان وقد خرجوا من ذلك المكان وامر عنترة اخاه مازنًا ان يكون في جماعة من الابطال ويحموا ما جمعوه من الاموال وخرج عنترة في مائة وخمسين فارس مثل الاسود العوابس وخرجوا الى ساحة الفضاء كانهم سهامُ القضاء فلما سمع طارق اصواتهم ورآهم في هذه الشرذمة اليسيرة اخذتهُ الحيرة هذا والخيل قد طلعت والغبائر ارتفعت والسيوف لمعت والصناديد رجفت والاصوات اختلطت وسهام المنايا فوقت وكان طارق في اول الجيش كانهُ قلة من القلل او قطعة فصلت من جبل وهو يقول ويلكم يا مذلولين سوف تعودون من هذه الديار نادمين . لقد سعت بكم ارجلكم

الى دماركم وفروغ آجالكم فلم يجبهُ بنو عبس بل حملوا كاسود الغيل واستقبلوا بصدورهم الخيل ومالوا عليهم كل الميل فانطبقت عليهم الالف فارس التي من بني حمير وعمل بين الطائفتين الصارم الذكر ولحق نفس الجبان الكرب والضجر وصاح الشجاع وافتخر ولم يزل الحرب يعمل والرجال تقتل والدم يبذل ونار الحرب تشعل حتى اقبلت جيوش الظلام بالاغساق ونادوا بالافتراق وقد بلي بنو حمير بما لا يطاق وقتل من الطائفتين مائتان وخمسون فارساً اجواد وجرح من بني عبس عشرة رجال في الحرب والجلاد

قال الراوي وبات الناس يتحارسون الى الصباح فلما اضاء بنوره ولاح تواثبوا الى صهوات الجرد القداح وعادوا الى الحرب والكفاح ولم يزالوا في قتال ودمار الى ان تنصف النهار وقدح من حوافر الخيل على صم الجلاميد شرار النار فعند ذلك افترقوا عن ضرب البتار وكانت بنو حمير مما قاست في الحرب قد ركنت الى الهرب والفرار فعند ذلك زعق فيهم طارق زعقة ارجف فيها القلوب ونادى بهم ويلكم ما الذي دهاكم وما حل بكم من الكروب حتى انكم قصرتم عن القتال وركبتم العيوب فقال له فارس من قومهِ يا فارس البيدا اما بليت انت بما بلينا بهِ من الردى وما قاسيناه من هذا الفارس الاسود الذي مثلهُ في هذا الزمان لم يوجد فلما سمع طارق كلام ذلك الرجل قال له ويلك فكم فيهم اسود انا حملت على الميمنة فرايت اسود وقصدت الميسرة فرايت اسود وطلبت القلب فرايت اسود وعدت الى الوراء فرايت اسود فقال له الفارس الذي يخاطبهُ اعلم ان الفارس الذي في الميمنة هو ولده غصوب البلاء المصبوب والذي في الميسرة ولده ميسرة واما الذي في القلب فهو عنترة النار المسعرة واما الرجال الذي وراه وقدامهُ فانهم رجالهُ واقاربهُ وبنو اعمامهِ فلما سمع طارق من ذلك الرجل هذا الكلام ورأى ما رأى من بني عبس من الطعان والصدام ما كان عنده جواب الا انهُ وثب وثبة الاسد المهاب وقال لمن معهُ امهلوا عن الحملة قليلاً وثبتوا الاقدام فاني اليوم افديكم بروحي من هولاء اللئام وانا اريد ان ابارز ابطالهم وابيد اقيالهم فان نصرت عليهم ورميتهم بالوبال والتدمير فهو الفوز الكبير وقد هان كل امر عسير وان انتصروا عليَّ واخذوني من بينكم اسير فدبروا بعد ذلك ما تريدون من التدبير ثم انهُ صبر قليلاً وبعد ذلك قفز بالجواد الى موقف الطعان ونادى باعلى صوتهِ حتى سمعهُ كل من كان في الميدان ونادى يا لعبس من عرفني فقد اكتفى ومن لم يعرفني فما بي خفا انا طارق الوثوب ابن عم الملك وهب بن موهوب وابن عم سبيع بن الحارث الذي يعد في الحرب بسبعة الاف فارس والان قد طلبت منكم الانصاف وتركت الجور والاسراف فلا يبرز لي الا فارسكم عنتر حتى

اذيقهُ الموت الاحمر ثم انهُ جال بفرسهِ بين الصفين ولعب بقناتهِ بين الفريقين ونادى يطلب البراز وسرعة الانجاز فلم يتركهُ غصوب ان ينادى في هذيانهِ حتى ساواه في ميدانهِ وكان مراد عنترة ان يبرز اليهِ فقال لهُ غصوب يا ابتاه ومن يكون هذا الوغد حتى تحمل انت عليهِ فانا انوب عنك واقاتل هذا اللئيم قتال من يحمي نفسهُ واصحابهُ ممن يكون لهُ غريم ثم انهُ في عاجل الحال صار مع طارق وحمل عليهِ كانهُ البلاء الطارق وقال لهُ ابشر يا ويلك بالحتف السابق والاجل المتلاحق فمن تكون انت يا اخس العربان حتى تطلب براز ابي الفرسان وليث الميدان فها انا ولده قد خرجت الى قتالك حتى اذيقك كاس وبالك ثم ان غصوبًا اطبق عليهِ وقاربهُ وهمَّ ان يطاعنهُ ويضاربهُ فعند ذلك انشد طارق يقول

يا ذا الذي يبغي الفساد سفاهةً ... ابشر بطعنة ذابلٍ عسالِ
يا وغد عبس يا لئيم عشيرة ... يا ابن الفواجر من ذوي الانذالِ
اليوم تسقى كاس حتفك عاجلاً ... بمهندٍ يوم اللقا فصالِ
فادن الى بطل ترى من كفهِ ... ضربًا يقد مجامع الاوصالِ

قال الراوي فلما سمع غصوب كلامهُ وفهم شعره ونظامهُ قال لهُ اسكت اخرس الله لسانك وهدم اركانك فمن تكون من فرسان بني حمير ومن يقال لك بين البشر لانني ما سمعت لك في عمري خبرًا يذكر فقال طارق انا الريح العاصف والبرق الخاطف انا طارق الحميري ليث الحروب وابن عم الملك وهب بن موهوب وايضًا ابن عم سبيع بن الحارث الاسد الوثوب وسأتركك ملقىً على الصحصحان بهذا السيف اليمان وبعد ما دار بينهما ما ذكرنا من الكلام وما انشده طارق من الشعر والنظام حمل على غصوب حملة منكرة وهجم عليهِ كالنار المسعرة فزعق فيهِ غصوب زعقة عظيمة اوقفهُ عن الحملة وادهشهُ عن تلك الصدمة الجسيمة وقال لهُ اسمع جواب شعرك وقس قبرك بشبرك قبل ان تلقى حتفك بسيف لا يشينهُ فلول ثم اجابهُ على شعره يقول

يا من اتانا بالوعيد سفاهةً ... يبغي قتال الاغلب الرئبالِ
اسد الاسود وفارس ما مثلهُ ... يردي الفوارس في الوغى بقتالِ
من نسل عبس الاكرمين اولي النهى ... سادوا الورى بفعائل ونزالِ
اليوم افني جمعكم بمهند ... وسنان رمح اسمر عسالِ
وانا المنية وابن كل منيةٍ ... في الطعن اسبق قبضة الاجالِ

قال الراوي ثم انهما بعد ما دار بينهما من الكلام والشعر والنظام اخذا في معاناة الحرب

والصدام وانطبق غصوب عليهِ وصوب سنان رمحهِ اليهِ فالتقاه طارق بقلب لا يخاف من البوائق وتقاتلا تحت الغبار حتى اشخصت نحوهما الابصار ورأى غصوب طول مقامهِ معهُ في الحرب والطعان فخاف من ابيهِ ان يراه بعين النقصان فحمل عليهِ ومال بكليتهِ اليهِ وصاح فيهِ ارعبهُ وقلب سنان رمحهِ وطعنهُ بعقبهِ فقلبهُ عن مركبهِ فما صار على وجه الارض الا وشيبوب عليهِ انقض وكتفهُ بعد ان كاد يدركهُ تلفهُ فلما نظرت بنو حمير الى صاحبها وقد اسراكبت روسها في قرابيس سروجها وحملت حملة رجل واحد فعند ذلك زعق عنترة على رجالهِ وحمل بابطالهِ واراهم عظم اهوالهِ وخطف الارواح في مجالهِ وكان في الحرب مثل الشهاب الثاقب او السهم الصائب فلم يأتِ اخر النهار حتى ولت بنو حمير الادبار وطلبت الفرار وهم يقولون يالك من اسود انطس و بطل اشرس ما اشد قتالك واعظم نزالك وفروا هاربين وهم يقولون هذا الكلام وتبعهم عنترة . وغصوب وميسرة وسبيع اليمن الى ان اغسق الظلام وخفيت مواقع الاقدام وقد قتلوا اربعمائة همام واسروا مائـة فارس ضرغام فاضافهم عنترة الى طارق وعادوا الى الوادي وتباشروا بالنصر على الاعادي واحضر عنترة طارقًا الى بين يديهِ والقيود في رجليهِ وقال لهُ ويلك أما كان في عسكر وهب بن موهوب افرس منك حتى ارسلك الى قتالنا ولكن تاهب لوزن المال والا ضربت رقبتك فقال لعنترة ضرب رقبتي اهون عليَّ من ان تسمع العرب عني اني افتديت بالمال مهجتي فامر عنترة شيبوبًا ان يوسده و يضربهُ على قمتهِ و ينتف لحيتهُ فتواثبت اليهِ العبيد وجلس بعضهم على راسهِ والبعض على رجليهِ ونزل شيبوب بالسوط على جسده فاخذ يستغيث فلا يغاث و يستجير فلا يجار حتى تمزق جلده فصار ينادي ياحامية عبس ارفع الضرب عني فقد المني . وانا افدي روحي بالمال وعليَّ كل ما تريده من نوق وجمال فقال عنترة اريد ثلاثة الاف ناقة وجمل بعبيدها واموالها وخمسين راس خيل بعددها ولا ماتها وعشرين طبلة من العنبر وعشر نوافج مسك اذفر وعشرة ارطال ذهب احمر وعشرة عقود من خالص الجوهر فقال طارق سمعًا وطاعة ياابا الفوارس انا احضر لك كل ما تريده من المال فقال عنترة لعروة ياابا الابيض دعنا ناخذ فدية طارق وهذه الاموال ونطلب ديارنا والاطلال فقال عروة نخاف انهُ يكون قد خدعنا بالمقال وانطلى علينا منه المحال وانفذ الى الملك وهب يعلمه بهذه الاحوال فيقصدنا بفرسان قومهِ والابطال و يقع بيننا و بينهم الحرب والقتال و يطول علينا المطال وربما يخلصون من ايدينا المال والاسرى الذين معنا من الاعتقال فقال عنترة ما هذا المقال وحق مولى الموالي ومقدر الارزاق والاجال ان اتى الملك وهب

الى هذا المكان وقصدنا بالابطال والفرسان لاريته في نفسو الذل والهوان ولا تركنة سيف القيود واطلب فديته اضعاف ما طلبت من طارق من المال ثم انه التفت الى طارق وقال لهُ وحق الخالق الرازق رب المغارب والمشارق ان اتى ابن عمك يطلب خلاصك لاحذفنّ لهُ راسك واحمل بعد ذلك عليهِ واطير راسهُ بين الدكادك واخذ روحه من بين جنبيه واترك النوائح تنوح عليه فانفذ بعض بني عمك اليهِ والا ادبت فيك سائر القبائل فكتب طارق الى الملك وهب يقول بسم الله الملك الوهاب مهون العسير والامور الصعاب و بعد فالذي نعلم بهِ الملك الكبير والسيد الخطير ادام الله على الناس ظلهُ وانفذ في الافاق حكمهُ وعدلهُ انني لما سرت من حضرتك ومعي تلك الالف فارس ونحن في خدمتك وسرنا الى ملتقي عنتر وكان في ظني انني القى فارسًا من البشر فحملنا عليهم حملة رجل واحد وقلنا لا ندع منهم الا من هو مربوط في ايدينا مصفد فرايناهم شياطين الفلا وجن الارض السفلى وكل واحد منهم يلقى الف شجاع ويكون رابحًا غير مرتاع والان فقد صرت في هذه الساعة على خطر وار يدمنك ان تشتريني وتعتقني من يد هذا الفارس الغضنفر والا اصير مقتولاً مدرجًا في الحفر واعلم انك ان دمت طول عمرك ترسل الفًا وراء الف فان عنترة لها كفوء ولهُ ولد يقال لهُ غصوب كانهُ البلاء المصبوب وهو الذي افنى الرجال واباد الابطال واني اغتررت بروحي وبرزت الى الميدان فخرج اليّ ولده غصوب كانهُ شيطان فرايت منهُ فارسًا لا يطاق وعلقماً مر المذاق وهو بطل مغوار وفارس كرار يلاقي بصدره عسكرًا جرار فخطفني من سرجي خطفة النسور لاضعف الطيور و بعد ذلك اطبق ابوه على الخيل ففرقها و في ساحة الفضاء مزقها ولما ملكني ضربني بالسياط حتى مزق جلدي فكثر مني العياط وقد طلب مني الفدا فاشتريت روحي منهُ بكذا وكذا فارحم ذلي وخلصني مما انا فيهِ من المصائب وليكن في علمك انهُ لولا مسيري في خدمتك لما اصابتني هذه النوائب واذا قرأت هذا الكتاب لا يكون لي وصية الا ارسال الفدا جواب واياك ثم اياك ان تحدثك نفسك بلقاء هذا البطل فيقلب عليك الدول ويجعلك بين الناس مثل فلا تتوانَ عني فاني في ضيق الخناق وشدة الاسر والوثاق وقد قال ان انت انيت في طلبي قتلني من ساعتي واعدمني مهجتي فالحقني يا ابن العم بالمال وارحمني مما انا فيهِ من العذاب والاهوال ثم انهُ طوى الكتاب وختمهُ وسلمهُ الى رجل من ابناء عمهِ يقال لهُ عناب وقال لهُ يا ابن العم في ساعة وصولك الى قومك لا اعرف خلاصي الا منك فقال لهُ السمع والطاعة وخرج من قدامهِ في تلك الساعة واخذ الكتاب وسار يقطع البراري والقفار هذا ما كان من هولاء من الاخبار واما ما كان

من امر الملك وهب فانهُ كان واثقًا بابن عمهِ طارق ان يجلو عنهُ الكرب و يريحهُ من كل امر صعب لانهُ ما انفذه قط في امر الا وانجزه ولا في حال مستصعب الا وجهزه فبينما هو جالس بين الاكابر من دولتهِ منتظرين طارقًا ان يأتي لهم بعنترة ومن معهُ في حالة الذل والهوان واذا بالمنهزمين الذين سلموا من الالف الفارس قد وصلوا اليهِ وهم حفاة عراة مشاة على الاقدام يدعون بالويل والثبور وعظائم الامور وقد اعلنوا بالصياح وجهروا بالصراخ والنواح فعند ذلك مال الملك عن سريرهِ وسال عن الخبر فقيل لهُ ان جماعة من الالف الفارس الذين كانوا مع ابن عمك طارق الذي املت بان يفرج بهم همك وارسلوا الى قتال عنترة بن شداد لما سمعت انهُ قطع الطريق على القوافل وخرب البلاد فقال الملك وما الذي جرى لهم فقالوا يا ملك قد اتونا حفاة عراة مجرحين وفي اقطار البر مشتتين فلما سمع الملك ذلك امر باحضار المنهزمين وقد نزل عن مرتبتهِ وهو باكي العين حزين فلما حضروا بين يديهِ سالهم عما جرى لابن عمهِ وما صار عليهم وعليهِ فقالوا لهُ ايها الملك العظيم الشان لما سرنا من عندك ظننا اننا نلتقي مثلنا من بني ادم فما لقينا الا شياطين الفلا وجن الارض السفلى والفينا رجالاً لا يبالون بالموت ولا يخافون حلول الفوت وسيوفهم تعمل في اجسادنا بخلاف ما تعمل سيوفنا في اجسادهم والمقدم عليهم رجل اسود مثلهُ في هذا الزمان لا يوجد لهُ رمح للقلوب خارق وسيف للاعمار ماحق وما كنا بين يديهِ الا شبيه الغنم او شبه الحصيد اذا انهشم او انحطم

قال الراوي . فلما سمع الملك وهب ذلك الكلام زاد بهِ الحنق ومن شدة الغيظ كاد ان يختنق وهم ان يجمع العساكر و يسير بهم الى عنترة ومن معهُ من العشائر واذ قد وصل اليهِ عتاب الذي ارسلهُ طارق بالكتاب وقد مزق ما عليهِ من الثياب واكثر بين يديهِ البكاء والانتحاب وهو يقول واذلاه من هذا الاسد الاسود الغدار حتى دخل على الملك وهب وهو في تلك الحالة فانذهل الملك وقال لهُ ويلك حدثني ما الذي جرى عليكم وما هذه الداهية التي وصلت اليكم فقال يا ملك لا احدثك عن هذا البلاء العظيم والهول الجسيم حتى تقرأ هذا الكتاب وترد الجواب فاننا كنا نظن اننا نلقى رجلاً مثلنا فوجدناه فارسًا لا يطاق وعلقمًا مر المذاق كانهُ قد من صخور او صاعقة وهو مثل النار المحرقة وما الامر الا بالبيان وليس الخبر كالعيان وما في الامر الا انك تريح ابن عمك من اللوم والعتاب . وتخلصهُ مما يقاسيهِ من العذاب ولو لم يعد هذا الرجل بالفدا لكان انزل بهِ الردى فانهُ ازمع على ان يضرب راسهُ بالحسام فسال فضلهُ ان يبقيهُ عشرة ايام فما قبل منهُ ذلك الكلام فقال لهُ ابقني خمسة

ايام وان لم تصل اليك الفدية اقتلني شر قتلة ثم بعد ذلك سلمهُ الكتاب فقراه ولما تمعن بعناه قال للوزير ما تقول في هذا الامر الخطير وما حل بنا من الذل والتدمير وما هذا الامر المنكر ومن هذا الرجل المدعو بعنتر فقال لهُ الوزير اعلم ايها الملك الكريم ماعندي من التدبير لخلاص ابن عمك وقومك الا ان ترسل لهم الفداء من يومك ونترك قتال عنترة الى يوم اخر فنرسل لهُ شرزمة عساكر مع فارس من الشجعان يكفينا امر هذا الكشخان فقال لهُ الملك ما بقي في الامر الا الذي عولت عليهِ لاني اعرف ان انا عولت على المسير اليهِ اخشى على ابن عمي من القتل وحلول الردى ولكن ارسل له الفدا وبعد ذلك ادبر حيلة على قتل هولاء الاعداء واسير خلفهم بعساكري واجنادي واشفي منهم فوادي واقلع منهم الاثر ولا ابقي منهم على بشر ثم انهُ امر الوزير بان يخرج لهُ الفداء ففعل ذلك في الحال وسيره مع جماعة من الرجال وشيع ايضًا هدية من المال

قال الراوي فبينما عنترة جالس هو ورفقتهُ ومن يعز عليهِ اذا بالمال قد حضر بين يديهِ والهدية والفدا داخلان عليهِ فقال عنترة لعروة يا ابا الابيض الان قد استراحت قلوبنا وانشرحت خواطرنا وزاد سرورنا ولو علمت ان الفداء في عاجل الحال يحضر لكنت طلبت قدره مرتين واكثر فقال لهُ عروة يا اخي قد فات الامر وشربت كل ارض ماءها والان لا نغدر بهذه الفرسان ونسفك دماءها فانت قد عرفت بالوفا واعلم انهُ قد صار عندنا من المال ما يكفينا فعند ذلك قبض عنترة المال واطلق طارقًا ومن معهُ من الرجال ورحل من وقتهِ وساعتهِ وهو مثل القضاء وبين يديه اموال تسد الفضاء وسار عنترة في المقدمة برجالهِ وغصوب في المؤخرة هو وسائر ابطالهِ وهم فرحون بما قد وصل اليهم من الاموال والغنائم ولم يزل عنترة سائرًا والفرسان تفزع منهُ وعن طريقهِ تحايد الى ان قربوا من ارضهم وبقي بينهُ وبين الديار يوم واحد فقال عنترة لاخيهِ شيبوب يا ابن الام اسبقنا الى اهلنا وبشرهم بقدومنا حتى يخرج المحبون الينا ويلاقونا وينظر بني زياد ما معنا من الاموال والنوق والجمال فتنفطر مرائرهم وتذوب اجسادهم فامتثل شيبوب ما امراخوه عنتر وفي الحال اوسع في البر الاقفر والمهمه الاغبر وغاص في تلك البراري والقفار ولم يزل يجد السير الى الديار حتى وصلها فوجدها خالية قفار كانما ليس بها سكان ولا عمار وهي قاع صفصف ليس فيها بيت يعرف ولا مضرب يوصف فاندهش شيبوب من ذلك وحار واضحى وفي قلبهِ لهيب النار وتقدم الى الابيات فراى بعض الرجال حفاة عراة لا يملكون من المال عقال فقال لهم ما اصابكم ومن الذي طرقكم فقالوا يا شيبوب قد قتلت رجالنا وهلكت ابطالنا واخذت

اموالنا وسبيت عيالنا واخذت عبلة وجميع النسوان والاطفال والولدان فقال شيبوب وابن كان الملك قيس وعشيرته فقالوا والله يا شيبوب لو انك نظرت الساعة الملك قيس لما عرفته فانهُ لم يبقَ لهُ شيء من المال غير فرسهِ وما نجا الا بنفسه وكل ذلك خوفاً من الاسد الرهيص الذي كان على نهب مهجته حريص فعند ذلك عاد شيبوب ودخل على الملك قيس وسلم عليهِ وقبل يديه فبكى قيس حين راه حتى بلت دموعهُ رداه فقال لهُ شيبوب ما هذا الحال وما دهاكم من الوبال في غيبة اخي عنتر فقال لهُ قيس ودمعهُ قد انحدر اعلم يا شيبوب ان الاسد الرهيص دهمنا على حين غفلة وغزانا في سبعة الاف فارس ولم يعلم بهِ احد منا وكنت انا في الصيد والقنص فاغتنم الفرصة وفعل بنا هذه الفعال وتركنا على حريمنا ومالنا تنتغص فهذا ما جرى علينا ووصل من المضرة الينا على كون اخيك غائباً عنا في الفرسان والابطال وبقية العشيرة كانت مشتغلة بما لها من الاشغال متفرقين في الشعاب والتلال فاتى الحي وسبي العيال ونهب الاموال والنوق والجمال وفي عاجل الحال طلب البر والفضا وسار من اول امس ومضى وما ترك لنا بيتاً ناوي اليهِ ولا فرساً ولا ثوباً ولا زاداً ناكله ولنا الان خمسة ايام ونحن ناكل من نبات الارض وفي الليل نحرس بعضنا البعض فلما سمع شيبوب من قيس ذلك الكلام وراي ما حل بهِ من الآلام قال ابشر ايها الملك الهمام فقد اتاك اخي مثل الليث الضرغام سالماً غانماً ومعهُ اموال وغنائم يضيق بها المستوى وتسد منافس الهواء وابشر ايضاً بخلاص اموالكم من الاعداء فانهُ سوف يعيدكم الى ما كنتم عليهِ في الابتدا ويسقي الاسد الرهيص كؤوس الردى فقال لهُ قيس امض يا ولدي الى اخيك واعلمهُ بهذه القضية واخبره بهذه الاحوال الردية فنهض شيبوب من ساعتهِ وسار ليعلم اخاه عنترة بما اخبره الملك قيس من قصتهِ وما زال سائراً حتى وصل الى اخيهِ فمزق جميع لباسهِ وحثا التراب على راسهِ واخذ ينادي بالويل والثبور وعظائم الامور ويقول يا ابن الام ازل عنا هذا العار والذل والشنار فان الحلة قلعت من اساسها وسبيت حريمها وعيالها واخذت اولادها ورجالها وانساقت اموالها وسبيت ابنة عمك عبلة ونسوان الحي بالجملة فلما سمع عنترة كلام شيبوب تحير وزاغ منهُ البصر وقفز بالجواد اليهِ وقال لهُ ويلك من فعل بقومنا هذه الفعال فقال شيبوب فعل ذلك الاسد الرهيص فانهُ دهمهم على حين غفلة وانزل بهم الذل والنكال وقتل الرجال ونهب الاموال . فلما سمع عنترة هذا المقال قال يحق لهُ ان يفعل تلك الفعال ويكافئنا على ما اوليناه من الافضال والان حيث كفر بالنعمة فقد استحق النقمة ثم انهُ عض من عظم غيظهِ على اطراف الكفوف وقال آه

ياقليل المعروف والله لابد لي ان اكافئك على سوء فعلك وافرّح عليك جفون اهلك . قال واشتغل قلب عنترة على بنت عمو عبلة وسار حتى اشرف على الحلة والديار والتقى بالملك قيس ودموعهُ تجري على خديهِ كالامطار فعانقهُ وسلم عليهِ وقبل يديهِ ورأى الملك قيس تلك الاموال التي اتى بها معهُ وقد ضاقت دونها الاقطار وملئت بها البراري والقفار فقال لهُ عنترة هوّن عليك هذا الامر المنكر فان هذه الاموال كلها بحكمك وبين يديك وامرها عائد اليك ثم انهُ نظر الى الديار والابيات فرآها قفارًا فقال لهُ الملك قيس اعلم ايها الاسد الرئبال ان بني زياد في الاسر والاعتقال وكذلك حصن بن حذيفة وبنو فزارة قد حلّ بهم الهم والنكال فقال عنترة يا ملك ان هذا الدهر لا يبقى على حال وسلامتك هي ربحنا ورأس المال واذا انت سلمت لنا لا يصيبنا بؤس ولا عنا والمال في اسنة رماحنا ونصول صفاحنا وقد اتيتك يا مولاي باموال بني حمير وها هي بين يديك اموال البدو والحضر واما ما اخذه الاسد الرهيص فهو وديعة عنده وسوف ارغم انفهُ ومنهُ استرده فلا تضيق صدرك ولا تشغل فكرك فسوف اريك ما يسرّ قلبك ويشرح صدرك وان تركت الاسد الرهيص يركب جواد لا اكون عنترة بن شداد

قال الراوي ثم انهُ اخذ في تفريق الاموال على من حضر من الرجال صغيرهم وكبيرهم وشجاعهم واميرهم فطاب قلب الملك قيس وفرح غاية الفرح وسلا بعض ما كان بهِ من الهم والترح وبعد ذلك جلسوا للمشورة واخذوا يتحادثون بالكلام وكلٌ منهم يبدي ما عنده من الاحكام فقال الحارث بن زهير من الراي ان نكاتب ملجم بن حنظلة واخاه يزيد شارب الدماء ونعلمهما بما فعل الاسد الرهيص بحقنا من الفعال ونسالهُ المعاونة على رد الحريم والعيال فقال الملك قيس ليس من الصواب ان نتخذ لنا الملك ملجمًا من الاعوان فما الذي فعلهُ بحقنا من الجميل والاحسان حتى نكاتبهُ في مثل هذا الامر والشان وهذه غاية الحطة لنا في القدرين العربان . ولم يبقَ احدٌ ممن كان حاضرًا في ذلك المكان الا وتكلم بما يكون وما كان هذا كلهُ يجري وعنترة ساكت لا يفوه بجواب ولا يبدي خطاب بل كان مطاطئ الراس بادي الانفاس فقال لهُ الملك قيس يا حامية عبس لِمَ اراك ساكتًا لا تتكلم وانت فينا الحكم وعلينا المقدّم فقال عنترة يا مولاي انا ليس عندي كلام سوى اننا نخلص اموالنا باسنة رماحنا وضرب الحسام ولا نتكل على احد من الانام فهذا ما هو عندي والسلام . ثم انهُ نهض من وقتهِ وقام وبعد ذلك تفرقت الناس الى الخيام وقد استصوبوا رايهُ وقولهُ ثم ان عنترة خلا بعروة بن الورد وقال لهُ يا ابا الابيض انت تعلم اني طرقت ديار بني نبهان وحدي

ولم اخذ معي احدًا سوى عبلة واخي شيبوب ودخلت الحي وذبحت كبش الاسد الرهيص واكلت لحمهُ واستخدمت ريحانة بزوجته واوقفتها على راس عبلة مشدودة الوسط احتفاءً به وخرقًا لحرمته ولما تبعني لياخذ مني ثاره اسرتهُ ثم رحمتهُ وعتقتهُ وانا لا احتاج الى بني عبس ان يجدوني و يسير وامعي و يساعدوني بل اسيرانا وانت واخي واولادي ومن يعزُّ عليَّ ويحبني ونغير على القوم ونخلص من ايديهم اموالنا وحريمنا وعيالنا وننزل بهم الفناء والوبال ولو كانوا بعدد الرمال وننهب ارواحهم بالسيوف الصقال فقال لهُ عروة افعل يا ابا الفوارس ما بدا لك فروحي فداك وما فينا احد يخالف مقالك ثم ان عنترة امر اعمامهُ ورجالهُ باخذ الاهبة للمسير ونقدم الى الملك قيس بن زهير وقال لهُ اعلم ايها الملك انني سائر لخلاص حريمنا واخذ الثار وكشف العار من ذلك الظالم الغدار فقال لهُ الملك قيس وانا واخوتي نسير بصحبتك ولا نتقاعد عن معونتك فقال عنترة ياملك انا لا احوجك الى ذلك بل اتحمل عنك طرق المهالك وانا و رجالي وفرساني وابطالي كفوءٌ لكل من يطلب قتالي فقال لهُ قيس لا ادعك ترمي نفسك في المخاطر ولا آمن عليك من كثرة الجيوش والعساكر فقال لاتخشَ ايها الملك الهمام ولا تخف عليَّ من شرب كاس الحمام لان العبد اذا كان اجلهُ مديد لاتقطع بهِ صوارم الحديد ولو دارت بهِ الرجال الصناديد وان كان الاجل قد دنا لاترده السيوف ولا القنا . ثم انهُ ودعهُ وركب بخمسمائة فارس من كل اسد مداعس وسار بمواكبهِ وكتائبهِ ومعهُ اولاده واخوته واجناده و بين يديهِ رجال يجولون كانهم العقبان فساروا كلهم يطلبون خلاص النسوان اما عنترة فقد هزَّهُ الشوق الى محبوبتهِ فاجاد بدمعتهِ ولما تمادى بهِ السير و زاد بهِ الوجد والزفير جاش الشعر في خاطره فابدى ما كنت ضمائره فانشد

ايا عبلَ قد احنى فراقك اضلعي ... ولا صبر ان جادت جفوني بادمعي

ارى البين ياكلُ المنى جدَّ جدهُ ... وخلفني فردًا بلا مؤنس معي

فلما نأى عني خيالك منيتي ... نهضت الى روحي نهوض مودعِ

وقلتُ وجاء الموت يطلب مهجتي ... لياخذها رفقًا فما مهجتي معي

اسائل عنكِ والدموع ذوارفٌ ... واطلالنا من بعدنا مثل بلقعِ

فان سارت الارياح ياعبلَ نحوكم ... ففيها اشتياقي في الورى وتوجعي

ولما طرقت الدارَ لم ارَ مخبرًا ... سوى اهلها يرجون للحي مرجعي

فان حالت الايام دون لقائنا ... فانّا بعين الفكر في كل موضعِ

فان تسألي عني فاني مسارعٌ ... اليكِ ولو القى هنالك مصرعي

قال الراوي وسار عنترة واصحابهُ مجدين الى ان بقي بينهم وبين بني نبهان مسافة يوم واحد فقال عنترة لاخيهِ شيبوب انت اخبر منا بهذه الارض والدروب واريد ان لا تسير بنا الا في طريق تعلو على طريقهم وفي مكان يكون لنا فيهِ حمى حتى انهم لا يهجمون علينا بالجبلين اجا وسلمى و يعلمون الملك ملجم بن حنظلة واخاهُ بزيد و يستنجدون علينا من قريب ومن بعيد و يطول امرنا بعد التقريب ونحن نريد انجاز الامر حالاً فقال شيبوب السمع والطاعة ها انا سائر هذه الساعة وكان الاسد الرهيص من عظم فرحهِ بما ملك من الاموال والنوق والجمال وسبيه الحريم والعيال قد ايقن باخذ ثاره وكشف عاره فما كان لهُ هم الا نحر النحور وسكب الخمور ودوام الفرح والسرور واخذت الكؤوس عليهم تدور الا انهُ كان لا يزال حاسبًا لبني عبس وفرسانهم اكبر حساب ويقول في نفسهِ اليوم او غدًا ياتينا عنترة بابطالهِ واقرانهِ فلما وصل عنترة الى قرب الديار قال لهُ اخوهُ شيبوب يا اخي انزل بنا في هذه البراري والقفار حتى انني امضي واتيك بالاخبار فنزل عنترة هناك وتستر بوادٍ يقال لهُ وادي الاراك ثم عمد شيبوب الى ثياب رثة فلبسها وعصب عينيهِ وساقيهِ بعصائب خلقة وربطها وسار برجفة وارتعاش كانهُ ابن اربعمائة عام يتوكأ على عصاه كانهُ شديد الالام وقد اشرف على الحلل وهي تموج كالبحر الزاخر مما فيها من الطوائف المختلفة ونظر الى المضارب والقباب فرآها تحير الالباب وسمع صهيل الخيل وقعقعة اللجم واصطفاق القنا ورغاء الابل وصياح الغنم وهم في خيرات كافية ونعم وافية ورأى الاسد الرهيص جالسًا والى جانبيهِ المنهال وحولهُ جماعة من الرجال وقد صنع وليمة عظيمة لها قدر وقيمة وهم في اكل وشرب وهناء وطرب والجوار بالدفوف تلعب وفي نشيد اشعار وضرب اوتار وسكب خمور وفرح وسرور والخيل مسرجة ملجمة وهم في نعم لا تحصى وملك ورجال بعدد الرمال فلما نظر شيبوب الى ذلك الحال عاد كانهُ بعير انحل من عقال وطلب اخاه عنتر واعلمهُ بما نظر وقال لهُ اي وقت تشاء ان تدهم القوم أصباحًا ام الان فقال غصوب وتربة اخي الغضبان لا دهمناهم الا في الصباح ونحمل عليهم بمن معنا من الفرسان ونخلص حريمنا من الذل والهوان فقال عنترة لقد اصبت في ما ارتأيت فاننا سندهم القوم في الصباح ونثير بيننا وبينهم الحرب والكفاح و باتوا وهم على هذه الحال وكلٌّ منهم جوادهُ معهُ الى ان اذن الله لليل بالارتحال وللنهار بالاقبال فعند ذلك سرحت الاموال وتبعها الرعاة والرجال ونظر عنترة الى رعاته وقد تفرقت في ذلك البر وكذلك اموال بني فزارة وهم مما جرى عليهم في هم وخسارة ومعهم اموال الربيع بن زياد وكان اكثر اصحاب المال معهم في الاسر والاعتقال ومن جملتهم حصن بن حذيفة

والربيع بن زياد وثمانون اسيرا من بني عبس الاجواد ومائة من بني فزارة الاوغاد وكلهم مثخنون بالجراح وقد ايقنوا بذهاب الارواح وكانت عبلة كما ذكرنا عند المنهال وقد علق بزفافها اليه الامال واراد ان يصانع بني عبس على زواجها و يترضاها و يسكن انزعاجها فلما وصل عنتر ودبر ما اوردنا من الخبر اضاف الى عروة مائة فارس اسود عوابس وقال له احمل وسق الاموال ودعني انا ارد عنك من يتبعك من الرجال والابطال فلم يشعر القوم الا وعروة قد ساق النياق والجمال بعد ان صاح في العبيد وضرب في اقفيتها ضربا يحل الاوصال وهم ينادون بالعبس بالعدنان فلما سمع رعاة بني عبس و بني فزارة النداء عرفوا انه عنترة فعطفوا على عبيد بني نبهان بالعصي والحجارة فعاد هولاء العبيد الى اهلهم وهم ينادون بالويل والثبور وعظائم الامور هذا وعنتر قد هدر وزمجر فعند ذلك ثار الاسد الرهيص وقد انذعر وزعق في رجاله وقال لهم ويلكم ما الخبر فقالوا له قد طرقنا عنتر وان لم تلحقنا سريعا ينزل بنا العبر فلما سمع الاسد الرهيص ذلك المقال ركب جواده في ساعة الحال ونادى الخيل يا ارباب الخيل الثار الثار فقد اخذت سائر الاموال وقتلت الرجال والابطال فعند ذلك ثارت الفرسان وركبت فرسان بني معن وبني نبهان و في اوائلهم الاسد الرهيص كانه الشيطان وقد اطلق عنان فرسه وعلم ان عنترة اتى اليه قصد اخماد نفسه ومعه الفرسان الشداد من بني عبس الاجواد وسار الاسد الرهيص في جماعته ومد نظره فلم يشعر الا وعروة قد ساق السرح والجمال وصرخ بالعبس فسمعت الرجال والرعاة ووثبت على رعاة بني نبهان ومعن وضربتهم بالاحجار فقتلوا من العبيد جماعة وساقوا الاموال كلها ورجع منهم قوم ينادون بالنبهان يا لمعن الخيل الخيل البدار البدار فقد اخذت الاموال وقتلت العبيد والرجال فثارت الابطال وتبادرت عشرة الاف مدرع من كل فارس سميذع يقدمهم الاسد الرهيص وهو يقول يا ويلكم ما الذي طرقكم فقالوا الاسد الاسود والصارم المهند عنترة بن شداد فارس بني عبس وقراد فلما سمع الاسد الرهيص ذلك المقال سار وتبعته الابطال وقد رتب عساكره اربعة صفوف وكذلك اصحاب عنترة كولده ميسرة وغصوب ومازن وعروة فزعق الاسد الرهيص لما عاينهم ويلكم يا مخذولين خلوا الاموال فلقد ساقكم بلاكم الى حتفكم وفناكم ثم انه صال وجال ولعب برمحه العسال واخذ يحرض الابطال على الحرب والقتال وينادي على المنهال ويحثه على خوض سوق المجال وينشد ويقول

انا الاسد الندب يوم الهياج ... وسيفي يروج سوق الخطوب
ساخذ ثاري من وغد عبس ... واسقي العداة كوءوس الكروب

قال الراوي وصاح الاسد الرهيص الحملة يابني نبهان ابشروا بالعز وعلو الشان ثم حمل وحملت معهٔ الجيوش واظهرت شدتها وقاتلت وعلى ملاقاة الاهوال صبرت وعنتر يقاتل بقلب اقوى من الحجر وغصوب وميسرة يرديان الابطال ويقهران الرجال وتكفل كل منهم بجانب فانزلوا بهم المصائب وكانوا كلما حملوا على موكب بددوه او على عسكر اهلكوه وقد فلقوا القمم واظهروا الهمم وتلفت الارواح وعظم الصياح وحام غراب البين على القوم وصاح وبنو عبس ايقنت بالافراح وعنترة سقى اعداه من الموت راح وميسرة ينادي انا البطل الجسور وغصوب يزعق اين تفرون من الاسد المصور ومازن كانهٔ كبش النطاح وقد اثخنوا بني نبهان وبني معن بالجراح ولم يزل القتال يعمل والدم يبذل والرجال تقتل الى ان اقبل الظلام وافترقوا عن بعضهم البعض ولما اصبح الصباح ثارت الرجال الى الجرد القداح ونظر بعضهم البعض وعجبوا من صبر بني عبس على قلتها هذا والارض قد ارتوت من دماء القتلى وبنو عبس منتظرون امر عنترة وقد هموا على استئناف الحملة واذ قد برز من بني نبهان فارس تحتهٔ حصان ادهم كانهٔ الليل اذا اظلم مقلد بسيف يمان معتقل برمح مران فلما صار في الميدان ومقام الحرب والطعان اشار الى بني عبس انا المقدام بن حسان فلا يبرز الا فارس همام واسد ضرغام فخرج اليهِ فارس اسمر معتدل القوام كانهٔ قطعة من غمام فجال وصال ولعب برمحهِ العسال ونادى يالنبهان ياآل معن من عرفني فقد اكتفى ومن لم يعرفني انا اعرفهٔ بذاتي أنا الامير غصوب ابن الامير عنترة فقال لهٔ المقدام ويلك اتفتخر بابن رباك وهو اقل العبيد وتعد نفسك من الابطال الاماجيد وانت جبان بليد ثم حمل عليهِ وصوب السنان اليهِ فتطاعنا بالرماح الدقاق وتضاربا بالسيوف الرقاق الى ان احمرت منهما الاماق ورمقهما القوم بالاحداق فعند ذلك صاح الاسد الرهيص بالمقدام يافارس الزمان بادر الى خصمك بالخذلان وعممهٔ بالصارم اليمان فقال عنترة لولده غصوب ياولدي بادر خصمك بالانكاس واقطع منهٔ الراس واخمد منهٔ الانفاس فعند ذلك تضاربا ضربًا منكرًا وتطاعنا طعنًا مستمرًا وحمل غصوب على المقدام وصوب اليهِ السنان وطعنهٔ في صدره اطلع السنان يلمع من غفارة ظهره فمال عن الجواد وفرحت بنو عبس الاجواد وخمدت بنو نبهان واندهلت منهم الاعيان واخذ غصوب جواده ولامتهٔ وقال لابيهِ عنترة والله ياابتاه لا اعود من وراهم حتى اخضب سيفي بدماهم ثم انهٔ عاد الى مكانهِ وحربهِ وطعانهِ وقال هل من مبارز هل من مناجز فبرز اليهِ فارس عظيم وهو من ابطال بني معن على جواد اصفر عال مضمر وكان ذلك الفارس يقال لهٔ كامل بن سابر فحمل عليهِ من غير خطاب ولا جواب فلم تكن الا ساعة حتى

اطبق عليهِ غصوب وبادره بضربة على عاتقهِ طلع السيف يلمع من علائقهِ فجندلهُ صريعًا يخور بدمه وعاد بجوادهِ في البرية وقد رمقتهُ اعين الفرسان جميعًا وعلت الضجات والزعقات من بني عبس وجال غصوب وصال وانشد وقال

اليوم يوم الضربِ والطعان   في حومة الهيجاء والرهان
اني انا المعروف في الفرسان   اضرب بالسيف بلا توان
انا شجاع الحرب في الميدان   احمل في الاعدا بلا اعوان

ثم انهُ صال وجال وطلب البراز والنزال فبرز اليهِ فارس بلامة حصينة راكب على حجرة محجلة سابلة الغرة شقرا تميل الى صفرة واطبق على غصوب في الميدان واخذا في ابواب حسان وتضاربا فسبقهُ غصوب بطعنة في فيهِ اخرج الرمح من قفاه ولم يزل كذلك حتى قتل من القوم سبعة رجال فعند ذلك قالت بنو طي للاسد الرهيص لقد كان تعرضك لبني عبس تعرضًا مشؤوم بحيث جلبت لنا ولقومك الافات والهموم فقال لهم اذا كنتم قد عجزتم عن حربهم فانا ابرز اليهم واتيكم بفارسهم عنترة واولاده فقالوا لهُ ليس هذا بصواب فمن الراي ان نحمل عليهم جميعنا ونحصدهم حصيد ونلقيهم على الصعيد فعندها حملت مواكب بني طي عن بكرة ابيهم فلما نظرت بنو عبس الى ذلك التقوهم بقلب اقوى من الصخر واجرى من البحر وكبر الخطب وعظمت الاهوال وكثر الاختلاس وضاقت الانفاس وحمل عنترة وميسرة وغصوب وفتكوا في القبايل وصبروا على النوازل ولم يزل الحرب يعمل والدم يبذل والرجال تقتل والنار تشعل وانعقد على روس الغبار وايقنوا بالبوار فيا لهُ من يوم ما كان اصعبهُ ومقام ما كان ارهبه تقطعت فيهِ الدرق وصار النهار كالغسق وعنترة يحمل على الجموع والفرق فكم من راس فلق وكم من بطل محق واما غصوب فقد شفى القلوب واما ميسرة فانهُ جال فيهم بمقدره واما مجيد بن مالك واسد بن ماجد ومالك بن قادم فانهم فعلوا فعلاً يعجز عن وصفهِ اللسان ولم يزالوا على ذلك الشان الى ان اذن الله للنهار بالارتحال فعند ذلك تفرق الجمعان وقتل في ذلك اليوم من بني طي وبني نبهان سماية رجل من الفرسان وقتل من بني عبس اربعون انسان واحس عنترة من بني نبهان بالهزيمة وعلم انهُ لولا خوفهم من الاسد الرهيص لهربوا جميعًا فامر ولده ميسرة بان يمسك عليهم الطريق ويملك عليهم فم الوادي ويعدمهم التوفيق وقال لهُ من خرج من عندك اقتلهُ فاقام ميسرة وعروة بن الورد في فم الوادي في خمسين فارسًا الى ان اصبح الصباح فخرج عنترة وهو غائص في عدتهِ راكب جواده الابجر الذي ما حوى مثلهُ كسرى ولا قيصر واجماه بصوتهِ

فخرج كالريح المهبوب او الماء اذا اندفق من ضيق الانبوب وصاح بصوتهِ العالي اين الاسد الرهيص وزربن جابر اللئيم الغادر فليخرج الى قطع الاعناق فما بقي له خلاص من ضيق الخناق فزعق بهِ وزربن جابر ويلك ياوغد بني عبس ولئيمها وعبدها وزنيمها اما علمت ان الحرب دول والايام يومان يوم لك ويوم عليك فلا تظن ان الدهر كلهُ لك فلا بد لهُ من التغير فقال لهُ عنترة ويلك يا ملعون اما كفاك ذلك وانت اسير في يدي وقد اطلقتك تكرمًا مني وعفوت عنك بحلمي وفي هذه النوبة لوكنت حاضرًا لخضبتك بدمك وابكيت عليك امك ولكنك اغتنمت غيبتي عن الديار وهجمت على قومي هجوم الكلب المدار فمن اطلق مثلك خاب واخطا وما اصاب فلا تزكو معك الصنيعة ولا تعرف كرم الطبيعة بل انت لئيم غير كريم فقال لهُ الاسد الرهيص سوف اعدمك السرور والافراح اذا برزت اليك عند الصباح

قال الراوي ثم اضرمت بنوعبس النيران وتحارس الفريقان الى ان اصبح الصباح واضاء بنوره ولاح فكان اول من برز الى الميدان عنترة ونادى في الفرسان فركبت ثم نادى ابن وزربن جابر فليبرز الى الحرب ومقام الطعن والضرب فلو امرت بعض اولادي لبرز اليهِ في مقام الصدام واذاقهُ كاس الحمام فلما سمع الاسد الرهيص ذلك الكلام لبس درعهُ وركب جواده واعتقل برمحهِ وانفذ الى المنهال يوصيه وقال لهُ ها انا خارج الى عنترة احاولهُ واطاولهُ واريد منك ان ترسل عبدين من عبيدك مع عبدي نجم الى الملك حنظلة واخيهِ يزيد شارب الدماء وتعلمها بما جرى علينا وتقول لها ان عنترة قد دهمنا في خمساية فارس من بني عبس وقد احطنا بهم وما بقي من اخذهم الا ساعة واحدة وما ارسلت اليك الا عند ما برز الاسد الرهيص فتكون انت نجدة لبني عمك تاخذ لهم بالثار من عنترة الكرار وقد ارسلت اعلمك بصورة الحال ثم تقدم الى عنترة بعد ان ارسل العبيد فالتقاه عنترة واطبق عليهِ وجالا طويلا واعتركا مليًا وصبرا على الشدائد وغاصا في الاوابد

الكتاب الخامس والعشرون بعد المئة

من سيرة عنترة بن شداد العبسي

وداما في قتال وصدام وتجريع الموت الزؤام فما كان يرى منهما الا لمع سنان وبرق حسام الى ان اخمدا الحس والحركة وحكمت بنو نبهان على الاسد الرهيص بالهلكة وكانت

القبايل شاخصة نحوهما الى ان صارت الشمس في قبة الفلك فبينما هما كذلك واذا بغبرة طلعت وعجاجة اشرقت فتاملها الناس واذا بها انكشفت عن عساكر بني طي وفي مقدمتهم المجم بن حنظلة واخوه شارب الدماء ومعهما الفرسان وقد اقبلوا بصياحهم الوديان واطبقت العساكر على بعضها البعض فزعق عنترة يابني عبس دونكم هولآء اللئام ابضعوهم بالحسام فلما سمعت بنو عبس نداء عنترة وقد حرضهم على القتال اظهرت البدائع وصمت من زعقاتها المسامع وجردوا السيوف القواطع وعنترة ينادي انا السم الناقع والموت الفاجع قال فدهمت بنو عبس الجيوش والكتائب ومزقت المواكب ولولا مجيء العساكر لكانوا خلصوا عيالهم وحريمهم واموالهم على انه كثر عليهم العدد وزاد المدد ودارت بهم الرجال من اليمين والشمال وعنترة يعطي السيف حقه والضرب صدقة فاخذت تتنافر منه الابطال يمينًا وشمال والرؤوس تتطاير بين يديه وادمية الفرسان قد صبغت ما عليه وهو يضرب فيهم بساعديه فبينما هم كذلك واذا بغبار تسردق وارتفع وبان من تحته بريق الحديد ولمعان الزرد النضيد وهمهمة الابطال وزعقات الرجال فارتجت من وقع حوافر خيلهم القيعان وهم ينادون ياللعبس ياللعدنان فتقدموا وفي اوائلهم الملك قيس واخوته وسنان ومن خلفهم بنو عبس وبنو فزارة وقد اتوا في طلب خلاص الحريم ورد الغارة وهم ينادون بلسان واحد يابني الاعمام دونكم هولاء اللئام ثم اطلقوا اعنة خيلهم على بني نبهان فاوقعوا بهم المصائب والطعن الصائب وظهرت بينهم الاهوال والعجايب وعملت في الجماجم القواضب والرماح في الابدان والمناكب وتزلزلت الارض من المشارق والمغارب والتصقت المواكب بالمواكب وضاقت ببني طي السباسب وتلاطمت الفوارس والتقت الاشاوس وكثرة الاهوال وعمل السيف الفصال وقطعت حبال الامال فلله در بني عبس فانهم شفوا القلوب وفرجوا الكروب واجروا الدم مثل السيل المسكوب وسر عنترة بوصول الملك قيس ومن معه من الرجال وقويت قلوب بني عبس على تلك الاهوال فتعجب بنو طي من ثباتهم عند القتال ولطمت المواكب بعضها البعض وجالت طولاً وعرض وفعل عروة بن الورد فعالاً تعجز عنها الابطال الصناديد وثبت الملك قيس واخوته ثبات السادة الاماجيد ووقع الحديد على الحديد وبان الضعيف من الشديد وضرب عنترة بسيفه الرقاب فبراها وانزل الدما في النحور واجراها واما الاسد الرهيص فانه زاد به الغيظ والحرد وحل به الهم والنكد من فعال عنترة الاسود فاقبل على الملكين وقد نظرا الى قومهما فوجدا انه قتل منهم جمع كثير وحل بهم الفناء والتدمير فقال لهما الاسد الرهيص لاتهولنكما فعال هولآء اللئام فانا عند الصباح

اخذ لكم عبد بني عبس اسيرًا واتركه قتيلاً عفيرًا فتبقى بنو عبس مثل الغنم اذا فقدت راعيها وليس لها من يلمها ويأويها فلما سمعا من وزر ذلك المقال قالوا لهُ ها نحن صابرون على هذا الحال قال ولم يزل السيف يعمل والدم يبذل والرجال تقتل الى ان ولى النهار بالارتحال واقبل الليل بالانسدال فافترقت الطوائف عن بعضها البعض وامتلأت بالقتلى تلك الارض

قال الراوي وكان السبب في مجيء الملك قيس بن زهير هو انهُ لما سار الامير عنترة طالبًا الاسد الرهيص وتلك الديار افتكر الملك قيس في نفسهِ وقال ورب الارباب ما كان قعودنا عن عنترة صواب ثم قال لاخوتهِ وسادات عشيرتهِ يا بني عمي كان من الواجب ان نسير مع عنترة بن شداد ونكون لهُ مساعدين على خلاص الحريم والاولاد فانهُ قد رمى روحهُ من اجلنا في المهالك فالراي عندي ان نسير اليهِ ونقاتل الاعداء بين يديهِ فان وجدناه في خير هنأناه وان وجدناه في شره نجدناه ثم نادى بالرحيل وسرعة التحويل وسار من ساعتهِ بين اهلهِ واخوته وكذلك سنان فانهُ جمع حلفاه وسار مع قيس وما زالوا حتى وصلوا الى عنتر كما تقدم الخبر فوجدوا العساكر قد احاطت بهِ كما وصفنا فكشفوا عنهُ الغمة كما قدمنا واجتمع عنترة بالملك قيس وشكره على حسن صنعه وباتت بنو عبس بالنصر بعد التعس ولما اصبح الصباح واضاء بنوره ولاح ركبوا ظهور الجرد القداح وتقلدوا بالصفاح واعتقلوا بالرماح وتبادرت الرجال الى الحرب والقتال وكان اول من فتح باب الحرب الاسد الرهيص وكان على قتل عنترة في ذلك اليوم حريص فصال وجال وانشد وقال

ابرز لقرم ضيغم مستأسدٍ   لا ينثني عن موكب وكفاحِ
ليث يصول على العداة بمرهف   ويجندل الابطال بالارماحِ
يحمي حماه ببارق ذي رونق   ويصول عند تلاطم بصفاحِ

قال الراوي ثم انهُ نادى يا العبس ابن اسودكم الغدار دعوه ينزل الى مقام الاخطار حتى آخذ منهُ بالثار فلما سمع عنترة معنى كلامه برز اليهِ واجابهُ يقول على نظامه

ليس يبنى العلى بدفٍّ وزمرٍ   وبصوت العيدان عند العروسِ
فاترك الان ذا وذاك وخلي   ثم بـــادر الى اختلاس النفوسِ
واسأل القوم عن فعالي بخصمي   يوم طعن القنا وبذل النفيسِ

قال الراوي ثم ان عنترة زعق فيهِ قائلاً تبًا لك يا لئيم يا وغد يا زنيم وصرخ فيه فتخبل واندهش واندهل فانقض عليهِ عنترة انقضاض النسر القشعم والاسد الضيغم وقبضهُ من جلابيب درعه وزعق يا العبس الفرسان انا حبيب عبلة ما بقيت الازمان ثم جذبهُ فاخذه اسيرًا وقاده

ذليلاً حقيرًا فادركه شيبوب مثل الغداف وشده كتاف واوثق اناملة والاطراف فعند ذلك علت الزعقات وكثرت الصيحات وحملت بنو عبس وعدنان وكثر الضرب والطعان وعمل السيف والسنان واشتد الحرب وعظم الكرب وتثلم الصارم العضب وتفرقت الرايات والاعلام وجال الفارس الهمام فلله در عنترة الاسد الهجام فانهُ فصل الجثث من الهام و براها بري الاقلام وعمل سيفهُ في العظام وكثر الصدام والتقت الرجال بالرجال وعظمت الاهوال وجرى الدم وسال والتقى عروة بالمنهال وكان قد قتل خمسة رجال فزعق بعروة اذهله وحمل عليهِ فخبلهُ ومد السنان اليه فيئس عروة من نفسهِ وراى الطعنة واصلة اليهِ لتخمد حسه واذا بصيحة عن يمينه وفارس انقض على المنهال وطعنهُ بعقب الرمح فانقلب في الحال فهجم عروة عليهِ مثل الغداف فشده كتاف وخرج بهِ من المعمعة وفرح وقد هدأت حواسهُ وروعه وتامل ذلك الفارس الذي فعل تلك الفعال فاذا بهِ غصوب بن عنترة الفارس الريبال ومن ورائهِ اخوه ميسرة وهما مثل النار المسعرة فلم تكن الا ساعة حتى ولت بنو طي الانهزام طالبين البيوت والخيام فخرج من البيوت ماية فارس فتيان ينادون يالفزارة يالعبس الشجعان وفي اوائلهم الربيع بن زياد وحصن بن حذيفة الاوغاد

وكان السبب في خلاصهم شيبوب المحتال لانهُ دخل عند اشتغال الناس بالقتال وحل الاسارى في عاجل الحال وخلصهم من الاسر والاعتقال وتعاونوا على فك قيودهم والاغلال واتاهم بالخيل والعدد والحديد والزرد وخرجوا من البيوت معتدين فالتقوا بالمنهزمين و بنو عبس و بنو فزارة قد كوى قلوبهم سبي الحريم كيًا عنيفًا فداسوا بني نبهان و بني طي و بني معن دوس الليل للنهار وكسروهم وشردوهم في البراري والقفار ووجدوا برائحة عنترة قوة واقتدار وابعدوهم عن الاطلال والديار وراى بنو طي البلاء قد اتاهم من كل جانب فتفرقوا في السباسب وطلبوا الجبلين سلمى واجا وما بقي لهم ملجا فولوا الادبار وهم لا يصدقون بالنجاة و بنو عبس يطعنون في ظهورهم فاوسعوا في الهرب وحاروا في امورهم وما زال بنو عبس تابعين اثارهم الى وقت العصر وقد هرب ملجم بن حنظلة واخوه شارب الدما واوسعا في القفار وعاد بنو عبس الى المضارب فملكوها والنسوان فسبوها وخلصوا جميع نسائهم والاطفال والمال والحريم والعيال والتقى كل محب بحبيبهِ واما عنترة فانهُ مضى الى عبلة وجعلها نصيبهُ فراها مكرمة دون النسوان وليست بصفة ماسورة ولا على قلبها هموم ولا احزان فضمها الى صدره وقبلها واستخبرها عما هي فيهِ وسالها وقال لها ويلك يا بنة العم مالي لا اراك بصفة ماسورة بل فرحانة مسرورة فاعلمتهُ بما جرى لها من المنهال وانهُ

كان طالبًا ان يجعلها لهُ اهلاً وعلل نفسهُ بالمحال ثم انها بعدذلك شكرتهُ على فعلهِ هذا وقد اجتمع كل واحد باهلهِ والتأم بعد التفريق شملهُ اما بنو طي فقد هربت الى ديارها وحل بها هلاكها ودمارها واسر وزر بن جابر والمنهال وعلاهما الذل والخبال ولما نظر عنترة الى ذلك الحال وراى اعداه في الاسر والاعتقال انشد وقال

وما انا بالمسح منكبيهِ يروم سفاهة عند الصراعِ
ستذكرني اذاما الخيل شدت اعنتها لتبرز للقراعِ
ساطعن في العدى طعنًا ذريعًا واضرب عند مختلف الدواعي
ابي شداد ليث الغاب حقًا تذل لهولهِ اسد البقاعِ
فهذا السيف من تلك المواضي وهذا النور من ذاك الشعاعِ

قال الراوي فلما سمعت بنو عبس بديع مقالتهِ تعجبوا من فصاحته ثم انهُ اقبل على المنهال وقال لهُ ويلك يانسل الانذال انت الذي اردت ان تتزوج بعبلة وتجعلها لك عيال فابشر الان بالبوار وخراب الديار وقلع الاثار فلما سمع المنهال من عنترة ذلك الخطاب لم يرد عليهِ جواب فتقدم الملك قيس الى عنترة وقال لهُ ياابا الفوارس ما الذي تنتظر من الاسد الرهيص ولم لا تقتلهُ وتنزل بهِ التنغيص فقال لهُ عنترة سوف ابلغك ما تختار اذا وصلنا الى الديار فاني سافعل بهِ كما فعلت بذي الخمار واهتك منهُ الاستار عند الغياب والحضار فعند ذلك تقدمت عبلة اليهِ وسالتهُ اطلاق ام المنهال وزوجتهِ وقالت لهُ بحياتي عليك يا ابن العم اطلقها اكرامًا لي فانها قد اكرمتاني والكريم اذا قدر عفا وتجاوز عن الخطا والجفا فقال لها عنترة ويلك يا ابنة مالك قد وهبت الجميع كرامة لك وكذلك المنهال ومن صحبتهُ من الفرسان والرجال وزوجة وزر بن جابر وجميع سبي بني نبهان وسائر اموالهم وحريمهم وعيالهم الا وزر بن جابر فانهُ خائن غادر ثم ان بني عبس اخذوا اموال بني طي وعادوا طالبين ديارهم واما بنو نبهان وبنو معن فانهم اخذوا اموالهم وهم فرحون ولا يادي عنترة شاكرون هذا وعنترة سائر في رجالهِ واصحابه وابطاله واولاده عن يمينهِ وشماله وكل واحد الى جانب حريمه وعياله اما حصن بن حذيفة فقد انفطرت مرارته وزادت حسرته وحلت بهِ الهموم والفكر اذ كان خلاصهُ على يد عنتر وجرى على الربيع بن زياد واخيه عمارة القواد ما لم يجر على بشر ولم يزالوا سائرين يقطعون القفار حتى وصلوا الى الديار ونزلوا في منازلهم ونصبوا خيامهم ومضاربهم ونزل حصن بن حذيفة في دياره ومضاربه وقد قر قراره واما عنترة فانهُ لما استقر في منازلهِ وقد بلغ كلما يريد امر بان يضرب لوزر اربع سكك من الحديد

وان يعذب العذاب الشديد فعند ذلك فعل لهُ شيبوب كلما يريد ووكل بوزر جماعة من جبابرة العبيد هذا ما كان من بني عبس وعدنان واما ما كان من بني نبهان فانهم لما رد عنترة عليهم اموالهم واطلقهم من الاسر والاعتقال ورجعوا واستقروا في اوطانهم والاطلال مضى امراؤهم الى زيد الخيل واعلموه بما جرى وحل على وزر بن جابر من الذل والويل وكيف جاد عليهم عنترة باموالهم واطلقهم من اسرهم واعتقالهم فلما سمع منهم زيد ذلك المقال شكر عنترة على تلك الفعال وفرح بما تم على وزر من الاسر والاذلال لان زيد الخيل كان قد اشار عليهِ بان لا يتعرض لعنتر فما سمع من نصيحتهِ بل اعرض عنهُ وادبر وما زال يتعرض لعنترة ويحمي انفاسه حتى ملأت الحمية راسهُ هذا ما كان من بني نبهان وماتم لهم من الخبر والشان واما ما كان من امر عنترة الفرسان فانهُ لما استقر بهِ القرار صار يعذب الاسد الرهيص ليلاً ونهار فعند ذلك اقبل عليهِ الملك قيس بن زهير وقال لهُ يا ابا الفوارس لاخير في حيوة هذه الكلب فالراي انك تصلبهُ وتوفر عليك هذا العذاب الذي بهِ تعذبهُ فلما سمع عنترة كلام الملك قيس وعرف اربهُ امر شيبوبًا في الحال بان ينصب لوزر خشبة وعليها يصلبهُ ثم امر بان ينادى في الحي بان لا يبقى كبير ولا صغير الا ويحضر صلب الاسد الرهيص وينظر ما يحل بهِ من الذل والتنكيس فاجتمعت النساء والرجال فبينما هم كذلك واذا بخيل اقبلت والى نحو الحلة اسرعت فتوقفوا عن صلب وزر حتى يروا الخيل ويستطلعوا الخبر فلم تكن الا ساعة حتى وصلت والى الابيات دخلت فتبينوهم فاذا هم من فرسان بني زبيد وفي اوائلهم عمرو بن معدي كرب ومعهُ ماية فارس من سادات العرب واخوه عبدالله واختهُ ريحانة وقد اتوا لخلاص وزر من تلك الاهانة

قال المولف وكان السبب في ذلك ريحانة فانها بعد ما اطلقها عنترة ركبت ناقتها ومضت الى اخيها فلما وصلت اليهِ اخبرتهُ باسر بعلها وبما جرى عليهِ ففرح بذلك الحال وقال لها وما بيدي من الفعال فانا ما بقيت اقدر ان اواجه عنترة بحال من الاحوال وقد فعل بعلك في حقهِ هذه الفعال فلما سمعت ريحانة من اخيها هذا المقال بكت وتذللت بين يديهِ حتى حزن عليها ووعدها بانهُ يسير معها الى عنترة ويطلب منهُ خلاص وزر بعلها ثم انهُ ركب في من معهُ وسار الى ارض الشربة وتلك الديار فلما نظرهُ عنترة علم انهُ ما اتى الا بسبب خلاص الاسد الرهيص لانهُ علم ما نزل على اخته من اجل بعلها من التنغيص وانها قد مضت الى اخيها واعلمتهُ بما تم على بعلها وعليها قال فخرج عنترة ولاقى عمرو وتركوا جميع ما كانوا فيهِ من الامر وسلموا على بعضهم البعض وترجلوا جميعهم على وجه الارض ثم ان

عنترة اقبل على عمرو وقال له اظنك ما اتيتني زائرًا بل شافعًا في بعل اختك اذ من اجله قد زاد فكرك فقال والله يا ابا الفوارس انت ادرى بالامور واسبابها وما اتيت الا حتى اشتفي بعذابه ولكن يا ابا الفوارس مثلك من قدر وعفا وتجاوز عمن جفا فلا ذلت تاتينا ونسالك وليس فينا الا من هو عتيق سيفك وامين خوفك لانك انت الغيث اذا هطل والليث اذا حمل وقضاء الله اذا نزل فان انت قتلته فحقك وان عفوت عنه فمن حلمك وطيبة اصلك ثم ان عمرًا اشار الى عنترة بعد ذلك يمدحه بهذا الابيات ويقول

ارى كبدي من زفرة الحب تحرقُ … وجفنيَ من ماء الصبابة يغرقُ
وما بال جفني مطفئًا نار لوعتي … وبينهما قلب يهيم ويعشق
لحى الله من بلوي محبًا عن الهوى … واجفانه من لوعة البين تدفق
الى من ابث الشوق او اشتكي الجوى … وفي كبدي نارٌ تلظى وتحرقُ
فما شمت من يطفي لهيب حشاشتي … سوى فارس قد قيل عنه المصدقُ
فسرت اجد السيرَ نحو دياره … مجدًّا مكدًّا في الصحاصح افرقُ
الى عنتر العبسيّ سيد قومه … سقته الغوادي وبلها يتدفقُ
فاكرم به خلقًا وخلقًا وسوددًا … فليس له مثلٌ من الخلق يخلقُ
ليهنيك يا حامي العشيرة مدحتي … فانيَ في وصفي عليكَ موفقُ
لساني رطيبٌ بالثنا وازيدهُ … ومدحك في قلبي بذكرك ينطقُ
اتيتكَ ارجو منك ما قد علمته … فلي في الورى حقٌ عليك محققُ
وكم هطلت من جود كفك مزنة … يقصر عنها العارض المتدفقُ
الا ارحم اسيرًا حائرًا يا اخا الندى … فكم من اسير منك بالجود يطلقُ
فلا اوحشت منك المكارم والعلى … مدى الدهر ما ناح الحمام المطوقُ
اذا اعتذر الجاني اليك قبلتهُ … وتصفح عن ذنب المسيء وتعتق

قال الراوي. فلما سمع عنترة كلام عمرو فرح به وتمايل من الطرب وقال له. والله يا عمرو لقد احسنت فيما نطقت وكلما خرج من فيك فهو فيك فقم خذ صهرك فقد اطلقته لاجلك وكرامة لك ثم ان عنترة امر شيبوبًا بان ياتي بالاسد الرهيص الى بين يديه فامتثل امره واتى به فقال له عنترة ويلك يا وزر اعرف هذه المنة والصنيعة للامير عمرو والزم من اليوم قدرك فوحق الركن والصفا ان عدت الى غدرك لا اتركك تشم نسيم الهوا ثم انه اطلقه من الاسر واحسن اليه فلما نظر الملك قيس فعاله قال له لله درك يا ابا الفوارس فانك اوحد هذا

الزمان وليس لك نظير بين الفرسان . قال واقام عمرو عند عنترة في غاية الاكرام وكذلك ريحانة عند عبلة مدة ثلثة ايام و بعد ذلك ودعوا بعضهم وطلبوا الرواح وساروا يقطعون الربى والبطاح فلما جدّ بهم السير في البر الاقفر اقبل عمرو على وزر وقال له ياوزر ما الذي اضمرته بعد هذه النوبة لعنتر فقال له اضمرت له السيف الماحق والرمح الخارق والاجل المتلاحق فوالله لا غفلت عن اخذ ثاري ولا نمت حتى اكشف عاري ولا بد لي من قتل عنترة واولاده ولا ابقي على احد من عشيرته واجناده فلما سمع عمرو ذلك الخطاب هاجت فيه سورة الغضب وغاب عن الصواب وقال له وحق الرب القديم ما انت ياوزر الا لئيم غير كريم و يلك يفعل عنترة في حقك هذه الفعال و ينزلك عن الخشبة بعد ان ربطت في الحبال ويحسن اليك وتضمر له هذا المضمير بعد هذا الاكرام فوحق البيت الحرام لئن وقعت في يده لا يبقي عليك ولا سرت اليه بسببك لانك لئيم غير كريم ثم انه بعد ذلك فارقه واشتد غيظه وحنقه وحلف انه لا يرافقه وسار طالبا دياره يقطع البراري والقيعان وسار وزر طالبا ديار بني نبهان . قال وكان بنو عم وزر قد التجأوا الى زيد الخيل واخبروه بحاله وما جرى عليه من الاسر والويل فلما وصل اليه وزر قام زيد الخيل وسلم عليه وقال له كيف رأيت حالك يا ابن جابر وكيف كان امرك مع عنترة الاسد الكاسر اظننت يا ويلك انك تكون بيظافر فها قد عدت بعد الربح خاسر وقد جمعت عليه عشرين الفا من الابطال فكسرهم وانزل بك وبهم الخبال واسرك انت والمهال ولولا عمرو بن معدي كرب الزبيدي يدركك ومن اسرك يخلصك لكان عنترة قتلك فوجب عليك طول عمرك الشكر لنسيبك عمرو . فلما سمع وزر كلام زيد الخيل زاد به الغيظ والويل وقال له يامالك لست باول من خانه زمانه فلا بد ان ترى من شاني وشانه ما يعجز عنه الواصف و يتحدث به المتحدثون و يتعجب منه المتعجبون فقال له زيد الخيل صدقت ياغدار وسوف تحدث الناس في سائر الامصار بما يفعل بك لانه في هذه النوبة يتبعك بجدك و يعفر خدك فدبر نفسك اذ في هذه المرة يصرم عمرك ولا بد ان يعود عليك و بال بغيك وجورك . ثم ان زيد الخيل تركه ومضى الى ابياته وهو متعجب من غدره وقلة مراعاته واما الاسد الرهيص فانه اقام مدة من الزمان وهو مما جرى عليه في هموم واحزان وما عاد ذكر عنترة بسبب الاسباب وقد سدّت في وجهه كل الابواب ولما كان في بعض الايام انه ركب في مائة فارس من بني عمه الشجعان وسار يقطع البراري والقيعان ولم يزل على ذلك الشان الى ان خرج من اميا قحطان ووصل الى اميا عدنان فاصبح في ذلك اليوم على خلة من بعض الحلل قد كثر خيرها

وخالها اعتدل وهم في فرح زائد وقد امنوا من نوائب الدهر والشدائد فلما نظر الاسد الرهيص الى تلك الحلة ورأى ما فيها من المال والنوق والجمال قال احملوا يا بني عمي حتى نسوق الجمال ثم انه اكبّ راسه في قربوس سرجه وصاح فحملت من خلفه جميع الفرسان وقطعوا الاموال وساقوا النوق والجمال وكانت ستة الاف ناقة . ثم سلم المال لبعض الرجال وقصد البيوت والاطلال فتبادرت اليه الابطال وقد ركبوا الخيول الغوال وفي اوائلهم غلام مليح القوام كانه البدر التمام وهو ينادي قدام الفرسان يالعبس يالعدنان انا حصيصة بن عنترة الفارس النبيل فلصديقي الهناء ولعدوي الشر والويل

قال الراوي . وكان هذا الفارس قد رباه عنترة وعلمه الفروسية والحرب ومكنه في ابواب الطعن والضرب فلما سمع الاسد الرهيص ذلك الكلام فرح واخذه الابتسام واقبل على بعض اصحابه وقال لهم هل فيكم احد يعرف هذا الغلام فقال واحد منهم انا اعرفه واعرف اباه ومن علمه الفروسية ورباه . قال ويلك اكشف لي هذا الخبر حتى يبان باطنه من ظاهره لان هذا الغلام تكني بذلك العبد الزنيم عنترة وبني عبس سادات العرب فاذا كان كما يقول وهو اليهم ينتسب فقد بلغت النصر والارب . فقال له الفارس النبهاني ايها الفارس الغضنفر هذا الغلام هو روح عنتر لانه هو الذي رباه وكفله بعد موت ابيه فان اردت التوصل لقتال عنتر فدونك هذا الغلام الذي بدر واحرص على اخذه اسير حتى يسمع بك عنترة واليك يسير فاذا اتى تبرز اليه وتاخذ منه ثارك فلما سمع وزر ذلك الكلام فرح وابدى الابتسام واستقبل الخيل بالرمح والحسام وصاح انا وزر بن جابر صاحب العلى والمفاخر ثم انه رد الخيل على اعقابها وما ثبت امامه سوى ذلك الغلام حصيصة فزعق وقال ويلك يا وزر انت الجاني علينا ارجعت الى خبثك وغدرك فكانك اشتقت الى القيود والاغلال عند ابي عنترة والى انحطاط قدرك فابشر الان بالدمار وخراب الديار وقلع الآثار فعندها جاوله الغلام وانشد

ليس هذا الفعل فعلَ الرجالِ يا زنيماً يعدُّ في الارذالِ
سوف القيك ثاوياً بحسامٍ تكدم الارض من علو المعالي
ويبان الغبار من رهج النقـ ـع بكرّ الحصان عند المجال
سوف اسقيك كاس حتفك حقًا بحسامٍ مهندٍ مصقالِ

قال فلما سمع الاسد الرهيص كلام الغلام وما ابداه من الشعر والنظام اجابه يقول

انا الاسد الرهيص اخو المعالي اجيد الطعن بالسمر العوالِ

فان سمح الزمان ونلت قصدي وجاءتني السعادة بالكمال
ساسقي عنتر العبسي كاسًا ببيض الهند والسمر الطوال
ولا القى سواه حين تحدو جياد الخيل في رهج المجال
عسى الايام تعطيني مرادي فاشفي النفس من راعي الجمال

قال فعند ذلك انطبق الاسد الرهيص على حميصة وجاولهُ حتى اتعبهُ واخذه اسيرًا وسلمهُ لاصحابهِ فاوثقوا كتافهُ وحمل على بقية الخيل وانزل بها الويل فولوا من امامهِ منهزمين فجمع الاموال وعاد طالبًا دياره والاطلال واما المنهزمون فانهم ساروا طالبين الحي والاوطان فلما وصلت الفرسان رمت عددها واخبروا ام حميصة باسر ولدها فصعب عليها ذلك وفي الحال ركبت ناقتها وسارت طالبة عنترة من وقتها وساعتها ولم تزل سائرة تندب فراق ولدها حتى وصلت الى العلم السعدي وارض الشربة فوجدت عند عنترة اولاده وعشيرتهُ والملك قيس واخوته في وليمة عظيمة وهم في اكل طعام وشرب مدام فنزلت عن المطية وشقت اذانها وتلطخت بدمها ونادت يا آل عبس الكرام والملوك العظام الضاربين بالحسام الفالقين الهام أَما من مجير اما من نصير واولداه ثم شقت ثيابها وزادت في بكاها وانتحابها فتبادرت اليها الرجال والنسوان من كل جانب ومكان وسالوها عن حالها فاخبرتهم بجميع ما جرى لها وسمع عنترة صياحها فدهش وتحير وسال بعض اخوتهِ عن ذلك الخبر فقال لهُ شيبوب يا اخي هذه ام حميصة قد اقبلت وعلا صياحها فلما سمع عنترة ذلك الكلام قام على الاقدام وسعى الى ام حميصة وهي تشكو وتبكي فقال لها ويلك اقلي البكاء واخبريني ما الذي دهاكِ ومن بشرّه رماك فقالت يا حامية عبس أُسر ولدي ونهب مالي وقتلت رجالي وابطالي فقال لها عنترة ومن فعل بكم هذه الفعال وانزل بكم الاهوال فقالت يا ابا الفوارس وزر بن جابر الخبيث الماكر فلما سمع عنترة بذكر الاسد الرهيص تبدل صفو عيشهِ بتنغيص ولطم على راسهِ حتى نزل الدم من انفهِ وارتعشت جميع حواسهِ وصاح واحرباه آه يا غدار يا نسل الفجار والله لاكان في هذه النوبة جوابك الا قتلك ولاقلعن اثارك واقطع فرعك ثم قال لام حميصة اقيمي عندي وطيبي قلبًا وقري عينًا فسوف اسير اليهِ واعجل دماره واقلع اثاره واخرب دياره ثم انهُ مضى الى الملك قيس وقص عليهِ ما جرى واخبره بان الاسد الرهيص تعرض له مرة اخرى وارتد الى خبثهِ وقبيح فعلهِ ومد يده اليهِ واسر ولده حميصة واخذ مالهُ وقتل رجالهُ وقد اتت امهُ شاكية وما جرى على ولدها باكية فلما سمع قيس هذا الكلام زاد بهِ الهيام ولم يبقَ في ذلك المقام احد الا سبَّ وزر ولعنهُ

وشتم اصلهُ وفرعه ونسلهُ ثم قال لهُ قيس يا ابا الفوارس ما الذي عولت عليهِ من النعال فقال لهُ قد عولت على ان اسير اليهِ واخلص حمصيصة من يديهِ واخطف روحهُ من بين جنبيهِ فقال لهُ قيس لا تفعل يا ابا الفوارس بل ارسل اليهِ الان رسول واسمع مني ما اقول ومره بان يطلق حمصيصة من عقالهِ وان يرد عليهِ جميع اموالهِ فان فعل ذلك واجاب فقد بطل اللوم والعتاب فربما لم يكن قد عرفهُ ولا علم انهُ ينتمي اليك فاذا علم بذلك يحسن اليهِ و يطلقهُ وان لم يفعل ذلك فسر اليهِ واصنع بهِ ما اردت فلما سمع عنترة كلام قيس رآه غاية الصواب واقبل على عروة بن الورد وامره بان يكتب لهُ كتاب و يعرفهُ بتلك الاسباب فكتب لهُ يقول اما بعد فما كان ظني فيك ان تكافئني بهذه المكافاة بعد ما مننت عليك بالحياة فقد بلغني انك مددت يدك الى ولدي حمصيصة واسرتهُ واخذت اموالهُ وقتلت رجالهُ فان كنت فعلت ذلك على غير علم منك فانت معذور وما عليك ملام فساعة وصول كتابي اليك اطلق ولدي وسائر رجالهِ ورد عليهِ ما اخذتهُ من اموالهِ حتى يثبت لديَّ صفاء مودتك وطيب مولدك وصيانة مهجتك والا فسوف تندم حيث لا ينفعك الندم وها انا اليك سائر والى نحوك مبادر والسلام على من يحفظ الصنيعة والذمام

قال الراوي ثم ان عروة طوى الكتاب وعنونهُ باسم وزر وناولهُ الى عنتر فدعا عنترة اخاهُ شيبوبًا وقال لهُ سر بهذا الكتاب الى الاسد الرهيص واجهد ان تكون على خلاص حمصيصة حريص فاخذ شيبوب الكتاب واخذ في صحبتهِ ولده الخذروف وسار يقطع الهضاب والبراري والقيعان طالبًا ديار بني نبهان هذا ما جرى لهولاء من الاهوال واما ما كان من وزر بن جابر ومن معهُ من الرجال فانهُ لما ملك تلك الاموال واخذ حمصيصة في الاسر والاعتقال لم يزل سائرًا حتى وصل الى الاطلال فاعطى كل واحد قسمهُ من الاموال وامر العبيد ان يضربوا لحمصيصة اربع سكك من الحديد وصار في كل وقت يجلده بالضرب الشديد فبلغ الامر زيد الخيل الفارس الصنديد فاسرع الى وزر ونهاه عن هذه الاعمال فقال لهُ وزر اريد بهذه النعال اخذ ثاري من العبد الزنيم لانهُ تربيتهُ ولا بد ان ياتي لخلاصهِ فاني اريد شفاءتهُ فلما سمع زيد كلامهُ انزعجت جميع حواسهِ وقامت عيناه في ام راسهِ وقال لهُ ويلك يا وزر ما اخبث فعالك فلا تزال تتعرض لعنترة حتى ياسرك ويذلك بين العرب ويرغم انفك عند السادات ذوي الرتب فانت ما قدرت ان تاخذ ثارك منهُ بل عطفت على اهلهِ واخذت اموالهم وقتلت رجالهم وطرقت قومًا لا معرفة بينك وبينهم واسرت هذا الغلام وجئت تفتخر بفعالك ورداءة اعمالك فالان باخذك هذا الاسير

ظننت انك ازلت العار ونفيت عنك الشنار فوحق ذمة العرب لقد ازددت نارًا على نار فان علم عنترة لابد ان يأتي اليك ويقلع عينيك فقال وزر اما انا فما اتيت بهِ الا لازيل عني عاري واخذ من عنترة بثاري وما فعلت هذه الفعال الا لما علمت انهُ تربية عنترة بن الانذال فاذا اتى الي يطلبهُ قاتلتهُ واسرتهُ فقال لهُ زيد اخاف عليك ان اسرك عنترة في هذه النوبة لا يطلقك وربما قتلك لانك باغ يا ابن جابر وعلى الباغي تدور الدوائر فقال وزر هيهات ما الدهر كلهُ لعنتر وما افعلهُ بهِ سوف يظهر فان اتى الى هنا فلا اريد نصرتك فقال لهُ زيد الراي عندي ان تطلق هذا الاسير وترد عليهِ جميع مالهِ وتعيده الى اطلالهِ والا تهزمت ولا ينفعك الندم فقال هيهات ان يبرح من ضيق الوثاق ما لم يأت عنترة الى هذه الافاق فعندها قام زيد من عنده وهو يدمدم ويلعنهُ فلم يسمع وزر كلامهُ بل اشتغل باكلهِ وشربهِ ومضت على ذلك ايام حتى وصل شيبوب الى تلك الاكام وكان الاسد الرهيص جالسًا وعبيده امامهُ وكان عنده فضلة خمر يشربها وقد عمل في راسهِ الشراب فلما رات العبيد شيبوبًا تبادروا اليهِ وسالوه عن حالهِ فقال لهم يا بني الخالة اريد وزر بن جابر فقالوا لهُ ماذا تريد منهُ فقال لهُ معي كتاب من اخي عنترة الاسد المهاب فعند ذلك تبادرت العبيد قدامهُ فلما نظر الاسد الرهيص ركضهم انزعج من سرعتهم وحار في امره وظنّ ان خيلاً او سرية طلعت عليهم من بعض عرب البرية ولما حضر شيبوب بين يديهِ قال لهُ وزر ويلك يا وغد قومه بما اتيت من الخطاب فقال ان اخي ارسلني اليك بكتاب ثم تقدم وسلمهُ اليهِ من غير ارتياب فاخذه وزر وفضهُ وقراه وعلم معناه فعندها مزق الكتاب وغاب عن الصواب وقال لشيبوب ويلك يا لئيم يا وغد يا زنيم واية علاقة بيني وبين عنترة حتى يرسل يكاتبني ذلك الاسود الجلد والملعون الاب والجد ثم امر العبيد في ساعة الحال بان يمسكوا شيبوبًا من غير مطال وان يضربوه ويجلدوه ويعذبوه فقبض عليهِ العبيد وضربوه الضرب الشديد والاسد الرهيص يقول ويلك المثلي يقال هذا المقال ويرسل اخوك يهددني ويفشر عليَّ وبالصلب يتوعدني فانا في هذه الساعة اصلبك قبل ان يظفر بي اخوك ويصلبني ثم امر العبيد بان ينصبوا لهُ خشبة ويصلبوه عليها في ساعة الحال فلما نظر الخذروف اباهُ في تلك الكربة وقد عولوا ان يصلبوه على الخشبة اغتنم الغفلة وخرج من الحلة واطلق ساقيهِ للريح وطلب البر الفسيح واما شيبوب فلما راى تلك الخشبة قال ما هذه الانكبة ثم ان العبيد اركبوه على جمل والبسوه فروة مقلوبة وساروا بهِ باهتمام وطافوا بهِ بين المضارب والخيام وصاحوا يا بني نبهان هذا شيبوب اخو عنترة الشيطان فمن اراد ان يتفرج على

صلبه فلياتنافاننا نريد ان نصلبهُ عيان وقد امرنا بذلك الاسد الرهيص فارس الزمان اما شيبوب فقد تمنى المات وشرب كاس الآفات دون ان يشهروه بين الابيات ثم ضجت النسوان وكثرت زعقات الفرسان وسمع ذلك زيد الخيل فسال عن الخبر فقيل لهُ ايها السيد ان وزر بن جابر اتاه شيبوب بكتاب من اخيهِ عنتر فمسكه وامر بصلبه وان لم تدركه بعطبهُ . قال فلما سمع زيد هذا المقال بادر في الحال واعتلى ظهر جواده فتبعتهُ جماعة من اجناده ولما وصل اليهِ وجد العبيد حولهُ ولهم لجلجة وصياح وضجة وقد عولوا ان يصلبوه ونجم الملعون عبد الاسد الرهيص قد تولى نوبته وكتفهُ ووضع الحبل في رقبتهِ وصاح فيهِ صيحة اذهلتهُ وابهتهُ فعند ذلك تقدم زيد الى نجم وضربهُ بكفهِ على رقبتهِ كاد ان يقلعها وقال لهُ ويلك يا اخس العبيد هل بلغ من قدرك ان تصلب السادة الاماجيد فشلت اناملك وقطعت مفاصلك وقطع الله يدك ولا كان من رباك خل الرجل من كفيك والا رميت راسك من بين كتفيك ثم ضربهُ بالسوط ضربًا اليماً وخلص شيبوب منهُ فمضى العبد طالبًا سيده ثم قطع زيد الخيل الحبل من رقبة شيبوب بيده وسلمهُ الى عبده وتقدم اليهِ وسلم عليهِ فشكره شيبوب واثنى عليهِ فهنأه زيد بخلاصه من يد قناصه وسلمهُ الى عبيده وقال لهم امضوا بهِ الى مضربي فخلاصهُ غاية مطلبي ثم دخل على وزر بن جابر ونهره وشتمهُ وقال لهُ يا ابن جابر ما هذه الفعال والى متى تطلب لنفسك الوبال فوالله لو صلب شيبوب في بني نبهان لما ابقى عنترة منهم انسان فارحل عنا من هذا المكان واكفنا شرك واطفيء عنا هذه النار التي تريد ان ترفع علينا ضرامها فقد اضرمت علينا نارًا يصعد الى الله دخانها فنحن لا نقاتل عنترة الذي احسن الينا ولا نحن مثلك ارديا الاصل لانك لئيم غير كريم فان كنت ترضى بهلاك نفسك فاهلك وحدك ولا تهلكنا معك فوالله لا يساعدك على هذا الحال احد فان وافقتنا على ما نريد كان خيرًا والا فارحنا منك وابعد عنا لانك كثير اللجاجة وما لنا فيك حاجة فلما سمع وزر هذا الكلام كان عليهِ اشد من ضرب الحسام وقال لهُ يا ملك الى متى هذا الكلام وانت تكثر عليَّ الملام فها انا راحل عنك الان بسلام لاسكن البراري والقفار ولا ادعكم تنظرون لي غبار وافتصل انا وغريمي كما احب واختار فلهُ وقت الاقيه فيهِ ولي معهُ دين اريد ان استوفيه فقال ايها الملك ماشئت فها انا ممتثل قولك بالسمع والطاعة وانا راحل عنكم من هذه الساعة ثم انهُ دخل مضربه وقد تزايد غيظهُ وغضبهُ وامر العبيد بهدم خيامهِ فلم يقدر احد منهم ان يخالف كلامه وفعلت ذلك ابطال عشيرتهِ ولم يتخلف احد منهم بعد رحلتهِ ثم رحل في خمسمائة فارس من فرسان العشيرة ولم يزل سائرًا حتى نزل على

بني جديلة ففرحوا بهِ واكرموهُ هو ومن معهُ من قومهِ ثم سالوهُ عن سبب ذلك الرحيل فحدثهم بما جرى لهُ مع زيد الخيل فقالوا لهُ والله ما فعل زيد الخيل هذا الفعل المنكر الا خوفاً من ذلك العبد الزنيم عنتر فلا باس عليك فها نحن كلنا بين يديك هذا ما جرى لهولاء واما ما جرى للامير شيبوب فانهُ لما اطلقهُ زيد الخيل بعد ما ايقن بالصلب والويل خلع عليهِ وكتب معهُ كتاباً الى اخيهِ عنترة وذكر فيهِ جميع ما تم عليهِ من وزر فاخذه شيبوب وسار كانهُ الطير اذا طار وما زال يقطع البراري والقفار الى ان بقي لهُ مسافة يومين عن الديار واذا هو بغبار فوقف ينظر اليهِ واذا بهِ انكشف وظهر من تحتهِ ماية فارس كانهم الليوث العوابس وبين ايديهم راجل يسرع في قطع القفار كانهُ الطير اذا طار فلما نظره شيبوب حنَّ اليهِ كبده وتبينهُ فاذا هو الخذروف ولده ومن ورائهِ عنترة واولاده وفرسانه واجناده وسبب ذلك ان عنترة لما اتاه الخذروف واعلمهُ ان اخاه قد انصلب وحل بهِ الويل والحرب ركب في ساعة الحال وتلاحقت بهِ الرجال وسار ودمعهُ مسكوب الى ان التقى باخيهِ شيبوب ففرح عند لقاه وزال عنهُ ما كان اعتراه ثم سالهُ عن حالهِ فحدثهُ بجميع ما جرى لهُ وناولهُ الكتاب فاعطاه الى عروة فقراهُ عليهِ وعرفهُ ما فيهِ من الاسباب فلما سمع ذلك الخطاب همهم وزمجر فقال شيبوب وما لم تسمعهُ اعظم مما سمعتهُ واكبر ثم ان عنترة سار يقطع البراري والقفار هذا ما كان من هولاء واما ما كان من الملك قيس بن زهير فانهُ لم يعلم بسفر عنترة الى ثاني الايام فخاف من العتب والملام واقبل على اخوتهِ وبني عمهِ وفرسان عشيرتهِ وقال لهم انتم تعلمون ان ابن عمنا عنترة الفارس الكرار قد سار الى بحر زخار يلتقي فارساً ما عليهِ عيار فقوموا بنا حتى نساعده ونتبعه ونعينه مثل من مضى معهُ فانهُ بالامس خلص اموالنا وحريمنا وعيالنا وحريم بني فزارة والربيع بن زياد وقد مضوا عنا وما فيهم من لنا شكر ولا عرفوا قدر ما لحقنا في نوبة خلاصهم من الخطر فانا والله خائف ان يجري علينا امر منكر وينفذ القدر في عنتر فقالوا افعل ما تريد فنحن عن رايك لا نحيد فامرهم عند ذلك بالركوب في خمسمائة فارس اسود عوابس فنهضت جميع اخوتهِ والابطال والسادات والاقيال واجتمعوا في خمسمائة فارس ابطال اشاوس فعند ذلك اوصاهم الملك قيس بحسن العمل وسيرهم مع اخويهِ ورقة ونوفل وقال لهم الحقوا بعنتر واتبعوه على الاثر وجوبوا وراءه البر الاقفر وانا الحقكم بخمسمائة فارس اخر فان رايناه بخير هناَّناه وان رايناه محتاجاً الى نجدة نجدناه فعند ذلك سارت الفرسان والملك قيس في اوائلهم ينشد ويقول

انا ابن زهير الخير سيد قومهِ ساحميهم بالسيف عند النوائبِ

ولِمْ لا اكد العبس في نصر عنترٍ | وذاك شجاع الحرب مردي الكتائب
هزبرٌ جميع الاسد تفزع باسهُ | اذا اختلفت سمر القنا والقواضب
ترى انفس الابطال ترهب نفسهُ | اذا التقت الابطال عند المصائب
يجود بما تحوي يداه سماحةً | وفي الحرب مردي كل ليث محاربِ

قال الراوي هذا ما كان من هولاء وما تم لهم من الاحوال واما ما كان من الاسد الرهيص فانهُ لما جرى له ما جرى علم ان عنترة لا بد له من المسير اليهِ فلم يجد له بدًّا من جمع العساكر فكتب الى المنهال بن ناقد الجلاح يستنجد بهِ فارسل يقول لهُ انا ما لي بقتال من احسن الينا من حاجة لانه كفاني ما جرى لي معهُ في النوبة الاولى لما اخذني بسيفهِ واطلقني بشفاعة عبلة واطلق لاجلي جميع بني نبهان واموالهم والنسوان فلا ارى من الراي ضياع الجميل فاستنجد على عنترة بغيري. فلما وصله جواب المنهال انفذ الى الملك ملجم بن حنظلة واخيهِ يزيد شارب الدما وطلب منهما النجدة فارسلا له شرذمة من عسكرهما وهما لم يحضرا فعلم ان الفزع قد داخلها فارسل الى قبيلة حاتم الطاءي فاتته بحريها واموالها ونزلوا على الماء الذي هو نازل عليهِ وانفذ الى القبائل التي يعرفها فاجابهُ من اجابه منهم حتى اجتمع عنده عشرون الف فارس وانوه وهو نازل على بني جديلة وكان بينه و بين الجبلين اجا وسلمى مسافة خمسة اميال وقد اصبح بتلك الجيوش فرحان وسير الطلائع من كل قبيلة عشرين فارسًا فصارت الفرسان تسير الفرسخ والفرسخين والثلاثة في كل يوم وتعود وكان يفعل ذلك خيفة من عنترة ان يدهمهم على حين غفلة منهم . هذا ما كان من هولاء واما ما كان من عنترة فانهُ ما زال يقطع الارض في طولها والعرض وهو سائر في المقدمة وعروة بن الورد واولاده خلفهُ والاعلام على راسهِ والعبيد سائرون بين يديه بالاعمدة وهو يفتكر باعمال الاسد الرهيص وما زال سائرًا حتى اشرف على الجبلين اجا وسلمى وخيولهم قد ملأَت الارض في طولها والعرض . فبينما هو سائر واذا بطلائع الاسد الرهيص قد ابصرتهُ وكانوا ثلاثمائة فارس فظنوا انهم نجدة لوزر فعطفوا عليهم لينظروا امرهم ومن هم فلما نظرهم عنترة قال لعروة بن الورد اعلم ان هذه الخيل طليعة وما عندهم خبر منا ولا لهم علم بسيرنا اليهم ولا يعرفوننا ان كنا من بني عبس او من غيرهم وهم سائرون الينا فامهلوهم حتى يصير وا معنا واحملوا عليهم كرة واحدة وليتعلق كل واحد منكم بواحد منهم فتملكون منهم مائة اسير وانا واولادي واخي مازن وسبيع اليمن للمائتين الاخرين ونطلق السيف فيهم واخي شيبوب وولده الخذروف يمسكان عليهم الطريق فكل من هرب رمياه بالنبال ومن تقبضون عليهم انهم يكونون تحت قبضتنا فقال

عروة لله درك من فارس طويل الباع في الحرب وقادر على الطعن والضرب هكذا تكون
اراء الرجال الاشاوس الذين يبلغون الامال بقهر الفوارس . ولما قربت الخيل منهم وتبادرت
نحوهم قالوا لهم من اي الناس انتم فان كنتم لنا من الاصدقاء فنخدمكم وان كنتم لنا من الاعداء
نبعد عنكم فنزل اليهم مازن اخو عنترة وقال لهم اعلموا لقد اتينا نجدة لذلك السيد وزر بن
جابر صاحب العلى والمآثر فقالوا اهلاً بكم من قادمين ومرحباً بكم من وافدين ثم انهم اختلطوا
بهم وعادوا معهم راجعين ولم تزل بنو عبس معهم حتى علموا انهم امنوا منهم واطمأنوا وصاروا
يتحادثون معهم فعند ذلك زعق غصوب في مقدم القوم وكان الى جانبه وطعنه في صدره
اطلع السنان من غفارة ظهره ثم تراعقت بنو عبس وصاحوا يالعبس يالعدنان وحملوا على القوم
من كل مكان وانزلوا بهم التدمير واخذوا منهم مائة اسير وصاح عنترة واولاده ومازن وسبيع
اليمن فيهم ونادى عنترة اوغاد غير امجاد انا عنترة بن شداد وحمل على بقية الفرسان ففرقها
وقتل اكثرها ومزقها وانهزم ابصرها وشيبوب وولده يرميانهم بالنبال في اقفيتهم . فما نجا الا
من كان جواده سابقاً وفي اجله تاخير . ثم ان بني عبس شدّوا الاسارى على خيولهم ولما وصل
المنهزمون الى الحي ثارت الرجال وتبادرت الابطال وركبت الشجعان . وركب الاسد
الرهيص في اوائل الفرسان وسار حتى وصل الى الطلائع فالتقى بهم وهم منهزمون فقال لهم ما
الذي دهاكم فقالوا دهانا الداهية الدها والبلية العظمى آفة العرب والمصيبة التي اورثتنا
العطب عنترة بن شداد الذي قتل منا السادة الامجاد لاننا سرنا معه وما حسبنا انه ياتينا في
مائة فارس ونحن في هذا العالم الكثير وما ظنناهم الا نجدة لنا وسالناهم من انتم من العرب
فقالوا نجدة اتينا لوزر بن جابر فصدقناهم واختلطنا بهم فانفرد الينا منهم ستة فوارس والمائة
الباقون كل واحد تعلق بواحد منا فاخذه اسيراً واما الستة الفوارس فحملوا علينا فكان
الاول ينادي انا عنترة بن شداد والثاني ولده غصوب والثالث ولده ميسرة والرابع اخوه
مازن والخامس سبيع اليمن بن مقري الوحش والسادس عروة بن الورد فقتلوا منا من دنا
اجله وما اتى اليك الا من كان جواده سابق والباقون حلت بهم البوائق . فلما سمع الاسد
الرهيص منهم ذلك الكلام فرح فرحاً شديد وقال لرفقائه لقد ظفرنا بما نريد لان عنترة
ظن اني غافل عن جمع العساكر فسار اليّ في هذه الشرذمة القليلة وفي هذه الكرة اقتل
اولاده وافرح عليهم فؤاده ثم انهم اطلقوا للخيل الاعنة وقوموا الاسنة وعلت بينهم الضجة والرنة
قال الراوي . فبينما هم على ذلك الحال واذا بالمائة الفارس طلعت ورماحها نحو
العساكر شرعت وعنترة امامهم راكب واولاده قدامه مثل السلاهب واخوه مازن وعروة بن

الورد وسبيع اليمن بن مقري الوحش وحملوا كانهم الاسود الضواري حملة واحدة . ولما وقعت العين على العين صاح كلا الفريقين فارتجت الارض لعظم الصياح ولمعت اسنة الرماح وانطبق بعضهم على بعض وانزعجت اقطار تلك الارض وصاحت بنو عبس في تلك الامم وضربوا بالسيوف الاجسام والرمم فلله درها من قبيلة ما اقل عددها وما اقوى جلدها تغلبت على تلك الالوف وقطعت المناكب والكفوف وحكمت فيهم السيوف وفعل عنترة فعلة الموصوف وجعل يرد الفرسان عن قومه ويلقى بصدره اسنة الرماح وقد اقلب البر بالصياح وولده حواليه ينادي ان انزلوا بتلك الامم الاهوال وابلوهم بالذل والنكال . وعنترة ينادي برجاله ومازن حير العقول بفعاله . وغصوب قد اجاد الطعان وهو كانه النمر الحردان فضمرتهم العساكر بكثرتها وصدمتهم عند حملتها فبليت بنو عبس بقتالها مع قلتها فلله درها ما كان افتكها واظهر شدتها وما زالوا في حرب وكفاح حتى انفرشت الارض بتلك الاشباح وجرى الدم وساح وكلت من القوم الزنود و بذلوا بالقتال المجهود ودام السيف يعمل والدم يبذل ونار الحرب تشعل حتى ولى النهار ومالت الشمس الى الاصفرار وصارت القتلى على وجه الارض مثل التلال . اما بنو عبس فكلوا وملوا من شدة الضرب وكثرت عليهم الكتائب والمواكب وزادت بهم من كل جانب وضيقوا عليهم الطرقات والمذاهب وعنترة ما عنده بذلك من خبر بل كان يهدر كانه الاسد القسور لا يعرف تعبًا ولا يدري نصبًا فاشتعلت النيران من كل جانب وخيم الظلام على المشارق والمغارب وصار بنو عبس في ضيق المتاعب وقد دارت بهم تلك الخلائق وايقنوا بحلول البوائق ويئسوا من الحيوة وغصوب وميسرة سلما الامور لصاحب المقدرة وتولى عنترة الحرس بنفسه الى ان اصبح الصباح واضاء بنوره ولاح فصاح الاسد الرهيص في العساكر فركبت واعتدت وقاتلت وتالفت ونظر عنترة الى بني عمه ونشاطهم فراى انهُ لم يبقَ فيهم قوة الى القتال فزعق بصوته ما لكم قد فترت عزائمكم عن القتال كانكم خفتم من كثرة الرجال احملوا فما هذا يوم الكسل والاذلال وقد دارت بكم هذه الالوف من الابطال اين النفوس الابية والهمم العبسية احموا الان ظهري حتى ارد عنكم هذه العساكر بصدري

قال الراوي فلما سمعت بنو عبس ذلك الكلام ثاروا الى القتال والصدام وساروا بنيات قوية وداخلتهم من كلام عنترة الحمية واكبوا رؤوسهم وحملوا حملات منكرة وعنترة في اوائلهم كانهُ النار المسعرة وقد اقلبوا البر بصياحهم وهم ينادون عن فرد لسان يالعبس يالعدنان فانطبقت عليهم العساكر مثل البحار الزواخر واحدقت بهم من كل جانب

وبذلوا فيهم السيوف القواضب اما عنترة فكان تارةً يحمل على الميمنة وطورًا على الميسرة والفرسان تهابهُ ولا تجسر ان تقاربه فبينما هو كذلك واذا بالاسد الرهيص قد مال في سرية من العساكر ونادى يابني عمي ان نصرنا في هذا اليوم على هذا الوغد اللئيم فهو المراد وبهِ ناخذ الطبقة العليا على سائر العباد فاريد منكم ان تحموا ظهري وتكفوني امر اولاده وانا اكفيكم امره واصرم عمره فاجابوه الى ما طلب وحمل على عنترة ومال اليهِ في تلك السرية فعندها صاح غصوب بالفرسان ففرقها وحمل عليها فمزقها وجعل يبري بسيفهِ الرماح ويمدد الفرسان على البطاح فاخذت الرجال تندفق قدامهُ وفعل ميسرة مثل فعالهِ فتعجبت الابطال من عظم قتالهِ وانطبق الاسد الرهيص على عنترة في السرية المقدم ذكرها وسالوا عليهِ مثل السيل ومالوا اليهِ كل الميل وهو لا يمل من الحرب ولا يضجر من الطعن والضرب اما بنو عبس فكان اكثرهم قد اثخن بالجراح ويئسوا من خلاصهم وسمحوا بالارواح فبينما هم في اشد قتال واعظم نزال واذا بغبار ثار حتى سد منافس الاقطار ثم انكشف وبان عن خمسمائة فارس كالاغصان وتحتهم خيول كالعقبان وقدامهم ورقة بن الملك زهير واخوه نوفل والكل ينادون يالعبس بالعدنان وحملت الطائفتان واطلقوا السيف والسنان وجالت الاقران وحملت رجال بني عبس وانزلوا باعدائهم الذل والتعس وما زالوا كذلك الى ان هجم الليل فافترق الفريقان وكفوا عن الضرب والطعان واشفى عنترة قلبهُ من الاعداء وشكر لبني عبس واولاد الملك زهير واثنى عليهم لانهم اتوه في وقت الحاجة اليهم هذا وبنو طي قد تخبلت وتبلبلت وبات عنتر وجميع من حضر يمدحون قومهم على حسن صنيعهم وصبرهم على القتال والحرب والنزال اما بنو طي فاتت مشايخهم عند ملكهم واجتمعوا بالاسد الرهيص وقالوا لهُ اعلم ايها السيد اننا قد وقعنا بسوء الارتباك واشرفنا على الهلاك وما جلب لنا هذه الرزايا سواك فنحن لا طاقة لنا على حرب بني عبس وعدنان ولا قتال عنترة الفرسان وانت تعلم انهُ كسر المواكب وبدد الكتائب ونحن في عشرين الفًا وهو في مائة فارس ابطال اشاوس فكيف الان وقد اتتهُ هذه النجدة فنحن قد حرنا في امرنا فكيف التدبير والخلاص من هذه الشدة فقال الاسد الرهيص انا في غداة غدٍ ابرز اليه واخذ روحه من بين جنبيهِ واذا رايتموني قد اخذتهُ في الميدان انطبقوا باسركم على بني عبس وعدنان ولا تبقوا منهم بقية وانزلوا بهم البلية فطابت قلوبهم بذلك وباتوا يتحارسون الى الصباح ولما بان الفجر ولاح برز الاسد الرهيص الى الميدان وقال يابني عبس وعدنان من عرفني فقد اكتفى ومن لم يعرفني فما بي خفا انا الاسد الرهيص وزر بن جابر اعلموا اننا

قد ضجرنا من سفك الدما وقتل القتلى فلنحقن دماء العباد ولا ندعها تذهب هدرًا فانسا الذي عندي ثاركم و بيدي عاركم و بيني و بين عنترة ما عرفتموه وها انا مطالبة بثاري لاكشف ذلي وعاري فليبرز اليَّ وانا ابرز اليهِ فمن قتل منا الاخر فقد فاز بالذكر الجميل واخذ الثار وكشف العار ثم انهُ صال وجال وانشد وقال

انا الاسد المعروف في كل وقعةٍ ... ابيد العدى بالسيف عند التلاحمِ
ايا عبد عبسٍ يا اقلَّ عبيدها ... ويا وغدها هل ذقت في الحرب صارمي
سابلغ ثاري منك ياوغد عاجلاً ... بحد حسامٍ عند وقع التلاحم
فوا اسفي ان لم انل منك ضربةً ... واسقيك كاس الموت عند التزاحم
الى كم وكم ياوغد عبس تذلني ... وترزق نصرًا في الوغى والتهاجر
لئن علقت كفي بكفك عنوةً ... ستعلم من فينا شديد العزائم
سالقيك شلوًا في الفلاة مجندلاً ... تخرُّ صريعًا نادمًا شرَّ نادم

قال الراوي فما كاد الاسد الرهيص يتم شعره ونظامهُ حتى قفز اليهِ عنترة وصار قدامهُ وصاح فيهِ ويلك يا ابن اللئام ما هذا

الكتاب السادس والعشرون بعد المائة

من سيرة عنترة بن شداد العبسي

الكلام لقد اكثرت الهذيان وما انت قادر على ذلك الشان فوحق الرب القديم لاعذبنك العذاب الاليم ثم ان الامير عنترة اجابهُ على شعره يقول

سوادي لا يزري عليَّ لانني ... هزبر عفيف عند سبي المحارم
نفر لي الابطال بالنخوة التي ... سبقت اليها عند طعن اللهاذم
فان كان لوني اسودًا ففعائلي ... تبيض ذكري عند وقع التصادم
فكم مرة قد جئت نحوي طامعًا ... وفزت بعفوي وهو احدى مكارمي
وترجع تبغي قتل مثلي ظالمًا ... وتطلب ايضًا ذلتي في التلاحم
فحوشيت من فحش الفعال وذكره ... فاني كريم حازم وابن حازم
انا عنتر العبسي فارس قومهِ ... ابيد الاعادي بالقنا والصوارم

قال الراوي ثم حملا على بعضهما البعض وتجاولا طولاً وعرض واوسعا في الجولان وفتح

في الحرب ابوا أبا حسان فما قاتل وزر عنترة ساعة من النهار الا واخبره غاية الاختبار ورآه برج عليه الدرهم قنطار وعلم انه ان اخذه في هذه المرة يقتله فصار قتاله مدافعة عن نفسه وهو ينتظر فرجة من خلال العسكر حتى يهرب منه فعرفت بنو عمه مراده ففي الوقت افرجوا له فمال اليهم وكان عنترة عرف مراده فدار معه في ميدانه من جهة العسكر وسده عليه فناداه وزر يالك من عبد جبار واسد مغوار ليس لك في الحرب عيار قال فتعلق عنترة بالاسد الرهيص وجذبه اقتلعه من سرجه واخذه اسيراً وقاده ذليلاً حقيراً وسلمه الى شيبوب فشد كتافه وقوى سواعده واطرافه وارتفعت الضجات من بني عبس ولما نظر عبده نجم ذلك الحال عاد الى ريحانة وقال لها ارحلي بنا فالساعة تؤخذ بنو نبهان ونقلع الحلة ثم اناخ لها بعيراً واركبها وترك الناس في القتال وسار طالباً بها بني زبيد في الحال وبعد ان اسر الاسد الرهيص هرب سائر القوم في الحال وتركوا لبني عبس المال والرجال فقلعوا البيوت بما فيها واخذوا الاسلاب وخلصوا حميصة فاخذته امه وعادت طالبة ديارها اما عنترة بن شداد فصار يترنم بالاشعار ويقول

ايا غبلَ اني فيك لا آلف الكرى ... وقلبي على جمر الصبابة يحرق
ذريني اذاما الخيل جاءت ترومني ... على جمعها في حومة الحرب اطلق
واضرب ضربات تخال لوقعها ... صواعق رعد في دجى الليل تصعق
واصواتها ما بين مشتجر القنا ... مطارق شؤم للسنابك تطرق
وكم ملك وسط الكريهة قدته ... بسيفي ذليلاً وهو بالذل موثق
فلو ابصرت عيناك ياغبل موقفي ... وابصرت سيفي وهو في النقع يبرق
ورمحي طويل ثم طال بهمتي ... وعزمي يمضي منه ماش واسبق
وكم فارس جرعته كاس حتفه ... فخرّ صريعاً كادم الارض يطرق
وكم معشر من عظم بأسي تبددوا ... وجحفل حرب سادة قد تفرقوا

قال الراوي فلما فرغ عنترة من هذه الابيات طربت لها السادات ولم يزالوا سائرين الى ان وصلوا الى الديار فسار البشير الى الملك قيس يبشره بقدومهم سالمين غانمين فركب قيس واستقبل عنتر وسلم عليه وهناه بالنصر والظفر ودخلوا الديار وقر بهم القرار وباتوا تلك الليلة وفي الغد امر الملك قيس العبيد بان يعملوا وليمة حسنة ففعلوا ما امرهم به ودعا الملك قيس عنترة واولاده واصحابه اليها فلما حضروا اكلوا وشربوا وداموا على ذلك يومين وفي اليوم الثالث امر عنترة شيبوباً ان يحضر الاسد الرهيص فاحضره فاراد عنترة ان

يضرب رقبتهُ واذا بالعبيد قد دخلوا عليهِ واخبروه بقدوم عمرو بن معدي كرب في خمسين فارساً من بني زبيد. فقام اليهِ عنترة واستقبلهُ من اطراف البيوت وقال لهُ بعد ان سلموا على بعضهم البعض ياابا الفوارس اني اتيتك شامقاً ومرادي ان احضر ضرب رقبة هذا اللئيم الغادر وزر بن جابر اما ريحانة فتعلقت باذيال عبلة واستجارت بها فقالت لها عبلة والله ياريحانة مالي الى خلاصهِ من سبيل لانهُ لئيم غير كريم اما عنترة فلما سمع كلام عمرو استحي منهُ وقال ياامير عمرو ان كلامك عندي مقبول ولاجلك لا اقتلهُ ولكني لا ادعهُ سالم فلا بد ان اصنع فيهِ علائم لاينساها ما قعد قاعد وقام قائم فقدومك عليّ لا امهلهُ بل احفظ دمهُ عن القتل اكراماً لك فاعلم ان مرادي الكلهُ واطلقهُ فقال عمرو والله ما كان مرادي الا قتلهُ وهو احب اليّ اذ فيهِ راحة لك ولقلبك فعند ذلك امر عنترة بان تضرم النار بين يديه وامر اخاه شيبوباً بان يشد الاسد الرهيص شداً وثيقاً ففعل شيبوب ذلك وكبلهُ وشد يديهِ الى رجليه وحمي عنترة سنان رمحهِ وكحل بهِ عيني الاسد الرهيص فعميت وسلمهُ بعد ذلك الى عمرو بن معدي كرب ورد عليهِ جميع اموالهِ واطلقهُ من عقالهِ واطلق معهُ الاسارى وقال لهُ ياوزر لو اني قتلتك لكنت ارحتك ولكني تركتك قطعة لحم لا تنام ولا تهنا بطعام ولكن ما ساق لك هذه الالام الا قبيح فعلك فقال الاسد الرهيص والله ياابا الفوارس لو انك قتلتني لكان اربح لي من هذه المعيشة لاني اعيش فقيراً بعد ما كنت غنياً واتسول بعد ما كنت اسال فقال لهُ ياوزر انا اقوم لك بالمعونة واربح الاجر اكراماً لك ولعمرو ولك عليّ في كل سنة مائتا ناقة ومائتا راس غنم فاما ان تاتي انت تاخذها واما انفذها اليك في كل عام فلما سمعت الرجال من عنترة ذلك الكلام شكروه على هذه الانعام هذا وقد سار الاسد الرهيص وفي قلبهِ حسرات كل يوم تتجدد فقال لهُ عمرو كيف رايت ياوزر سوء افعالك فقال لهُ ياعمرو وماذا جرى عليّ حتى امتنع من اخذ ثاري وكشف عاري فما دام حيلي وقوتي معي لا اغفل عنه حتى يقتلني او اقتله فلما سمع عمرو كلامهُ علم ان لا موضع فيهِ للصنيعة وقال في نفسهِ هذا لم يفلح وعيناه صحيحتان فكيف يفلح وعيناه على هذا الحال ثم ان عمراً ودعه وسار يطلب ديار بني زبيد وسار وزر بن جابر يطلب ديار بني نبهان وما زال سائراً حتى وصل الى الحلة فنزل بعيداً عن الحي مخافة ان يشمت بهِ زيد الخيل وابوه المهلهل ويعيراه بما نالهُ فنزل بعيداً عنها واقام يداوي عينيهِ هذا ما كان منهُ واما ما كان من عنترة بن شداد فانهُ بعد ان كحل عيني الاسد الرهيص زادت هيبتهُ عند العرب ونزل الرعب في قلوبهم منهُ شرقاً وغرباً وافتخر على جميع سادات العرب ثم

صنع بعد ذلك وليمة عظيمة جمع اليها سادات بني عبس وكان ولداه ميسرة وغصوب واحد عن يمينهِ والثاني عن شمالهِ واعمامهُ حواليهِ واخوه مازن وعروة بن الورد والجميع ملتئمون بين يديه وهم على اكل طعام وشرب مدام فبينما هم كذلك يغتنمون اوقات المسرات وينتهبون اللذات واذا بشيبوب داخل ومعهُ ثلاثة انفار يبكون وينادون بالويل والثبور وعظائم الامور فتاملهم عنترة فاذا هم من صعاليك العرب فلما وقفوا بين يديه قال لهم ويلكم ما الذي دهاكم ونالكم فقالوا يا ابا الفوارس نحن قوم من صعاليك العرب وصنعتنا سل الخيل والعسعسة لشانها في النهار والليل وقد وصفت لنا محجرة في بني مراد لرجل يقال لهُ وغل المرادي فسرنا اليهِ واحتوينا عليها ورجعنا ومرادنا ان نهديها اليك وكان كل من رآها يطلبها منا فنقول لهُ هذه لعنترة بن شداد العبسي فيدفعون اكتافنا ويتركوننا ولا يطمع فيها احد ولم نزل آتين وهي معنا حتى قربنا من دياركم فالتقانا خمسون فارسًا من بني فزارة يقدمهم حصن بن حذيفة فلما راى الفرس معنا طلبها منا فقلنا لهُ هذه مرسولة معنا الى عنترة بن شداد فحمل علينا وشتمنا وشتمك واخذها منا غصبًا فاتينا اليك فان شئت ان تطلبها منهُ او تتركها لهُ فالامر اليك قال فلما سمع عنترة ذلك اسودت الدنيا في عينيه ولم يعد ينظر ما بين يديه وكانت قد لعبت الخمرة براسهِ وذهبت بعقلهِ وحواسهِ فاستدعى ولدهُ غصوبًا اليهِ وقال لهُ يا ولدي اركب الساعة جوادك وامضِ الى حصن بن حذيفة وقل لهُ يقول لك ابي عنترة هل بلغ الامر بيننا الى هذا الحد وهو ان يوتى لنا بمحجرة من ديار بني قحطان وكل من يراها في الطريق يطمع بها ويريد اخذها فاذا علم انها لنا وباسمنا يلوي عنها فلما قرب القوم من ديارنا وقالوا لك انها باسمي اخذتها منهم غصبًا فان كان بدا منك ذلك استخفافًا بي فبئس ما حدثتك بهِ نفسك وقد علمت اني لا اضام ولا يوكل لي مال ما دمت قادرًا على طعن الرمح وضرب النصال وانت تعلم اني اقدر ان اخذها منك واستردها رغمًا عنك فالراي عندي انك ترد الفرس ولا تجلب عليك حربًا عوانًا وتعود للمنهاج الاول والشان وكان الواجب عليك ان تترك القوم حتى يصلوا عندي وبعد ذلك ان كان لك بها غرض اطلبها مني فاحملها اليك ولا ابخل بها عليك ولكن انت اردت اظهار عزك بذلي ثم قال لغصوب فاذا رايتهُ تعاصى عليك بالفرس اقتلهُ واقم الحرب وانفذ خلفي حتى اركب وابيد بني فزارة في هذه الكرة الى الابد فقال غصوب السمع والطاعة ثم ركب من وقتهِ والساعة وكان ذلك وقت العصر وبقي عنترة يفتكر بما جرى من هذا الامر وسار غصوب وكانت المسافة بين الحلتين اربعة فراسخ فوصل اليها عند غياب الشمس

ودخل الحي وكان حصن بن حذيفة عمل وليمة لها قدر وقيمة وسكب الخمور واخذ بالفرح والسرور فدخلت العبيد عليه واعلموه بقدوم غصوب فنزلوا اليه واستقبلوه احسن استقبال واكرموه غاية الاكرام فنزل غصوب عن جواده وفي راسه نشوة الخمر فاجلسه حصن بجانبه واتاه بالطعام ودار بينهم المدام وقدم له المزاهر وغنت المولدات وكان غصوب مع شجاعته وبراعته عاقلاً بصيراً بعواقب الامور قد ذاق حلو الدهر ومره وعرف نفعه وضره فكره ان يعيد عليهم الرسالة والخمرة قد لعبت بروؤسهم وهم يتحدثون في وقائع الحرب وما زالوا من كلام الى كلام الى ان جرى بينهم حديث جفر الهباة وذكر قتالهم وكان حصن بن حذيفة قد تمكنت من راسه نشوة الخمرة فرفع راسه الى مولدة كانت قائمة وقال لها ويلك غني لي ابيات الملك قيس التي قالها في يوم جفر الهباة لما قتل ابي حذيفة فاشارت تقول الى ان انتهت

شفيت القلب من حمل بن بدر ... وسيفي من حذيفة قد شفاني

فان اكُ قد طفات بهم غليلي ... فاني قد قطعت بهم بنـــاني

قال فلما قالت المولدة ذلك لعلعت بصوتها وما زالت حتى انت على اخر الشعر فعلا من بني فزارة البكاء والنحيب والصراخ والنواح وتبدلت الافراح بالاتراح ومزق حصن اثوابه وعلا بكاؤه وانتحابه فلما راى غصوب ذلك حار واندهش لانه ما شاهد نوبة جفر الهباة ولا عرف ما وقع بينهم وبين ابيه من الوقائع فقال لهم يابني عمي هذا امر قد مضى فدعوا عنكم هذا البكاء وخذوا بما نحن فيه الان واتركوا ما فات من زمان فلما سمع بنو فزارة ذلك جعلوا يمسحون اطراف حصن بن حذيفة فسكت عما هو فيه لكن بقلبه النار التي لا تطفا واللهيب الذي لا يخفى وداموا على ذلك الحال الى نصف الليل وانصرف اكثر الناس فوثب حصن بن حذيفة قائمًا على قدميه وخرج الى خارج البيت فتبعته العبيد للخدمة فقال لا يتبعني احد منكم ثم اخذ منهم عبداً يقال له سالم ورد الجميع ولما بعد عن المضرب قال له ياسالم ائتني برمحي القصير فمضى العبد واتاه به فاخذه حصن بيده واتى البيت الذي كانت فيه الوليمة وما عند العبد خبر بما يريد ان يفعل مولاه وما زال حصن الى ان قرب من المضرب ودار من خلف غصوب وقال ويلك ياغصوب قد دنا وقت اخذ الثار ثم انه قال ياسالم ارفع سجاف هذه الخيمة فرفعه العبد وكان قلب غصوب طافحًا بالسرور لاجل منزلة ابيه عند العرب فعندها تمطى حصن في كعوب الرمح واستجاد غصوبًا بطعنة بين بزيه اطلع السنان من بين كتفيه فانقلب غصوب ومال على جنبه فتركه حصن ملقىً وسار الى ابياته فعندها

علت الضجة وانقلبت الافراح الى احزان واتراح فسمع سنان بن ابي حارثة تلك الضجة فسال عن الخبر فقالوا له حصن بن حذيفة قتل غصوبًا بن عنتر

قال الراوي فلما سمع سنان ذلك لطم على راسهِ حتى بدا الدم من انفهِ وانزعجت جميع حواسهِ وقال يالها من مصيبة عظيمة قد حلت ونار محرقة قد اشتعلت آه لقد آن اوان هتك استارنا وما بقينا نرى غير بوارنا ثم انهُ سار من مكانهِ واتى المضرب الذي كانت فيهِ الوليمة فنظر غصوبًا ملقىً والرمح مصلب فيهِ والعرب قد جفلت من حواليه فعندها زعق سنان يا لفزارة ارحلوا واطلبوا لانفسكم النجاة والا اصابكم الموت الاحمر واعلموا انهُ ما بقي بينكم وبين الدمار الا بينما تصل الاخبار الى عنتر فعند ذلك قلعت بنو فزارة الخيام لما سمعوا من سنان ذلك الكلام ونكسوا الاعلام وقدموا الجمال وثقلوا على ظهورها الاحمال ودخل سنان على حصن فوجده ملقىً على فراشهِ سكران فلكمهُ فما افاق ولا احس ولا عندهُ خبر بما جرى فشد لهُ على بعير واركبهُ عليه ورحل الناس في الليل وساروا وهم لا يلحق الاول منهم الاخر فقدموا الظعون والاولاد والخيام وتاخرت الفرسان تحميهم وساروا يقطعون البر الاقفر ويطلبون لهم ملجا يلتجون اليهِ او سندًا يعتمدون عليه هذا ما كان من هولاء واما ما كان من عنترة بن شداد فانهُ لما انفذ ولده الى بني فزارة كان نشوان من خمر الدنان وهذا ما حملهُ على ذلك فبينماهو جالس على باب مضربهِ واذا بعروة بن الورد اقبل عليه وقال لهُ يا ابا الفوارس ما كان من امر غصوب هل عاد بالفرس ام لا فقال عنترة واي فرس فقال عروة اما انفذتهُ يا ابن العم بالامس الى حصن بن حذيفة لاجل رد الفرس الذي اخذه من السلالين الذين ارادوا ان يهدوه اليك ثم حدثهُ بالحديث من اولهِ الى اخره فقال والله يا ابا الابيض ما عندي من ذلك خبر ولقد شغلت قلبي بهذا الحديث واخشى ان يكون جرى على ولدي ضير والا فكان عاد الينا فاخاف ان يكون حصن قتلهُ ثم انهُ نادى ويلك ياشيبوب قدم الابجر وغاص في شكيمتهِ وغرق في لامتهِ وركب عروة لركوبهِ وتبعتهُ بقية الخيل وساروا وشيبوب والخذروف بين ايديهم اما عنترة فقد احس قلبهُ بالبلاء وما زال سائرًا حتى وصل الى بني فزارة فراى الديار قاعًا صفصفًا لا انيس فيها وهي خالية الجنبات فرجف قلبهُ واحس بالافات فتقدم الى وسط البيوت ومد نظره واذا بولده غصوب مجندل والرمح فيهِ معدل فرمى بنفسهِ الى الارض وغشي عليه ساعة ثم افاق وعيناه تذرفان الدموع وقد انقلبت مقلتاه واحمرت حدقتاه ودارت في ام راسهِ عيناه ثم انشد وقال

سارني غصوبًا كيف ارثي الذي مضى وجارت عليهِ الحادثات الطوارقُ

ففي مصرع الغضبان شابت عوارضي ... ويوم غصوب قد تشيب المفارق
بكت لغصوب كل بكر خريدة ... وكل بني عبس عليهِ شواهق
بكيت الفتى في يوم مشتجر القنا ... وناحت عليهِ السمر وهي خوارق
سقى الله ارضاً خر فيها مجندلاً ... من القطر فياض من الغيث دافق
لقد خر فيها سيد متكرم ... مليح السجايا بالمكارم سابق
فمن ذا الذي اغراك ياحصن عامداً ... بقتل غصوب قد اتتك البوائق
ظننت بأن تنجو وسيفي محكم ... وما عاد الا وهو بالدم غارق
وتربته لا نمت عن اخذ ثاره ... ولا عاقني عن مطلب العز عائق
وكيف انام الليل عنهُ ولم تزل ... بقلبي من الحزن الهموم الطوارق

قال الراوي هذا ما كان من عنترة واما بنو فزارة فانهم ساروا طول ليلتهم وحصن بن حذيفة سكران على الجمل وما عنده خبر ما جرى ولما اصبح الصباح افاق من سكرتهِ فراسة نفسة في هودج سائر سيراً حثيثاً فكشف سجاف الهودج واخرج راسهُ فراى الظعن والاموال والنسا والعيال في جد المسير وسرعة الكد والتشمير غائصين في الحلق لا يبان منهم غير تداوير الحدق فعندها زعق بملء جلده ويلكم ما الذي جرى من الامر الخطير وما هذا المسير فتقدم اليهِ سنان بن ابي حارثة وقال لهُ هذا ما جلبتهُ يداك بالغدار وهي نار تحرق الكبار والصغار فقال حصن وما الذي جلبتهُ لكم فقال قد عدلت الى رجل كريم الاصل لا معاملة بينك وبينهُ وكل العالم يحبونهُ لاجل شجاعتهِ وفروسيتهِ فتعمدتهُ وقتلته غدراً وظلماً وعدواناً فلا كنت ولا استكنت ولا انحس منك الا انت فقال حصن ومن هو ذلك الرجل فقال سنان هو غصوب بن عنتر الفارس القسور فلما سمع حصن هذا المقال نالهُ منال عظيم وهم جسيم وعلم ان منيتهُ قد حانت وحلت بهِ العبر وقال والله ما عندي ما تقول خبر فقال لهُ سنان ياحصن اعلم ان عنترة لا يقبل لك هذا الاعتذار واحترز على نفسك ما دمت قادراً على الاحتراز وانظر لنا مكاناً نلتجيء اليه ومعولاً نعول عليه وفارساً نستنجد بهِ لعله يطفي عنا هذه النار المحرقة فقال حصن اذا كان الامر على هذا الشان فالاوفق ان نقصد الملك قيساً سيد بني شيبان وننزل عليه ونسالهُ ان يتوسط نوبتنا مع عنترة ويدبر حالنا معهُ بمعرفتهِ فقال سنان هذا هو الصواب والامر الذي لا يعاب فاذا وصلتم اليه فلا تعلموه بغرضكم ولا لاي شيء رحلتم من ارضكم حتى تاكلوا طعامه ويشملنا ذمامه وبعد ذلك اكشفوا لهُ حقيقة حالكم فعند ذلك ساروا مجدين ورتبوا امرهم على هذا الشان وما زالوا الى ان

قربوا من ديار بني شيبان فتقدم حصن بن حذيفة وسنان ابن ابي حارثة وقصدا مضرب الملك قيس بن مسعود ومعهما مالك عم حصن وخمسون من سادات بني فزارة فدخلوا مضرب قيس فراوه جالساً وحوله سادات بني شيبان فتبادرت اليه العبيد واخبروه بقدومهم فوثب وثبة العرب من مجالسها وقام كل من كان في مجلسه واستقبلوا القوم ونزل حصن بن حذيفة وسلم على الملك قيس فاستقبلهم الملك قيس ورحب بهم وحياهم واتاهم بعقبان اللبن وسقاهم فلما شربوا واكتفوا اقبل عليهم الملك قيس وقال لهم ايها السادات ما حالكم وما الذي تم عليكم ونالكم حتى اوجب رحيلكم من ارضكم ودياركم فعندها حدثه حصن بخبره وانه قتل غصوباً بن عنترة وهو سكران واتى اليه مستجيراً به فلما سمع الملك قيس ذلك قال والله يا حصن لقد تعديت وعلى عنترة جنيت فكيف فعلت هذا الامر المنكر واتيت تطلب مني نجدة على عنتر فقم يا ويلك من عندي لا حييت ولا بقيت ولا من الردى وقيت ولا من الغيث سقيت فوحق اللات والعزى والهبل الاعلى لولا هذا اللبن الذي شربتوه في هذا المضرب لكنت قبضت عليكم كلكم وسلمتكم الى ابي الفوارس عنتر لينزل بكم الويل والضرر فقوموا واذهبوا عني واقصروا ما عندكم من الكلام واعلموا ان ما لكم عندي ذمام فوالله لو كان ولدي بسطام حاضراً القبض عليكم ولو اكلتم معهُ كل خبز الدنيا فقم ويلك يا حصن ثكلتك امك وعدمك قومك فويلك وويل الذي يروم ان يحميك من عنتر اذا وقعت عينهُ عليك وهو راكب على ظهر جواده الابجر

قال الراوي فلما سمع سنان وحصن من الملك قيس هذا الكلام وقعت بهما الحيرة والاوهام وخرج القوم من عنده وهم مزلزلو الاقدام وركبوا وطلبوا قومهم وقد علاهم الصياح واكثروا البكاء والنواح واستدت في وجوههم سائر البطاح ثم انهم قر رايهم بعد ذلك الحال انهم يسيرون الى ارض العراق ويدخلون على الملك الاسود ويعلمونهُ بما جرى وتجدد ويستجيرون به من كل احد فتاهبوا المسير وسرعة الكد والتشمير هذا ما كان منهم واما ما كان من عنترة بن شداد فانهُ سار بمن معهُ من بني عبس الاجواد وطفقوا يقطعون المنازل والبلاد وعنترة مواظب على البكاء والتعداد وما زال على هذا الشان الى ان وصل الى ديار بني شيبان فلما سمع الملك قيس بقدومهِ خرج لملتقاه ومعهُ سادات قومه فسلم عليهِ وحياه وسيفي ولده غصوب عزاه واعلمهُ بما جرى بينهُ وبين بني فزارة من العتب واللوم وان ما بينهُ وبينهم من المسافة الا ليلة او يوم فلما سمع عنترة ذلك نادى بقومهِ وقال جدوا بنا خلفهم في الطلب حتى نتبعهم ونبلغ منهم الارب ثم قال وحق من زين السماء بالنجوم وعلم ما فوق الفوق وتحت

النجوم لئن اجارهم الملك الاسود لانزلن به الهموم واجعلن انفهٔ مرغوم ثم انهٔ شكر الملك قيساً
على فعاله وودعه وسائر رجاله واطلق عنان جواده وسار وقد زاد حنقه على بني فزارة
الاشرار فساقت خلفهٔ الابطال وجعلوا يقطعون الربى والتلال ولم يزالوا على ذلك الرواح
الى ان اصبح الله بالصباح فاشرفت بنو عبس على بني فزارة ولما راوهم نهوا كانهم السباع
الهدارة قال فلما سمع بنو فزارة زعقات الرجال وهمهمة الابطال ايقنوا بحلول الذل والخبال
والموت والوبال فقال سنان لحصن ابشر الان بالحمام واعلم انهُ قد اتاك الموت الزوام ثم
التفت الى بني فزارة وقال لهم اعلموا ان بني عبس قد لحقوكم فحاموا الان عن الحريم والعيال
والا فتفنوا على مدى الاجيال فعندها جردوا القواضب واستعدوا الى النوائب وعظمت
عليهم المصائب واقبلت بنو عبس عليهم مثل السلاهب وداروا بهم من كل جانب فلما شاهد
عنترة حصن بن حذيفة زعق زعقة قوية مخيفة واغمي عليهِ فلما نظر الملك قيس ما حل بهِ من
الخبال خاف عليهِ من الوبال فامر العبيد بان يقيدوه فوضعوا القيد في رجليهِ وهو لا يعقل
على نفسهِ ولا يعرف ما جرى عليهِ فاخذت العرب تنظر الى ذلك وتعجب ولا تعلم السبب
واوقف قيس عنده العبيد وقال لهم اذا صحا وسالكم عمن فعل بهِ ذلك قولوا لهُ الملك قيس
وتعالوا واعلموني حتى اجيء اليهِ وافكهٔ ثم انهُ بعد ذلك المقال اقبل على من حوله من الرجال
وقال لهم دونكم القتال وارموا اعداءكم بالنكال وخذوا بثار ابن عمكم غصوب فعند ذلك
حملت الرجال وعمل الحرب والقتال واختلف الضرب بالنصال وجرى بينهم من الاهوال
ما يشيب الاطفال وجرى الدم وسال وتناثرت الرؤُوس نثر الورق وتقطعت الدرق ولمع
صارم المنايا وبرق قال ولم يزالوا كذلك الى ان ولى النهار بالارتحال واقبل الليل بالانسدال
فعند ذلك افترقت الطائفتان وعاد الفريقان وحل ببني عبس الفزع والخوف والجزع
وطمعت بهم بنو فزارة طمعاً واي طمع وما ذلك الا لغيبة حاميهم عنتر الاسد الغضنفر قال
ولم يزل عنترة في غشوته لا يعي على شيءٍ وولده ميسرة عند راسه يبكي عليهِ وخاف بنو عبس
من العدى ان يصلوا اليهِ ولما اصبح الله بالصباح واضاء بنوره ولاح تواثبت الابطال الى
الحرب والكفاح وركبوا الجرد القداح وتقلدوا بالبيض الصفاح واعتقلوا بعوامل الرماح
واصطدم رجال القبيلتين وحل الفناء بالطائفتين اما بنو فزارة الطائفة الغدارة فقل نشاطهم
وعلا صياحهم وعياطهم ولكنهم ايقنوا بالنصر والظفر لما فقدوا ابا الفوارس عنتر وحملوا بقلوب
حنقة ودقوا بني عبس دقة واي دقة فعند ذلك حمل ميسرة ودمعه مسكوب على اخيهِ
غصوب وانقض على بني فزارة انقضاض الاجل وطعن في اوائل الخيل وانزل بركابها

الذل والويل وكال الفرسان كيلاً واي كيل وفي ذلك الوقت افاق عنترة فراى روحه مسلسلاً مقيد ولا يعلم ماذا تجدد فقال للعبيد ويلكم يا بني الانذال ومن فعل بي هذه الفعال فقالوا يا ابا الفوارس الملك قيس الاسد الريبال وسار بعض العبيد الى الملك وهو مع بني فزارة في ذلك الحرب والزعاق واعلمهٔ بان عنترة افاق فاتى الملك قيس الى عنتر وقد فرح بهِ واستبشر وحله من الاعتقال وحدثه بجميع الاحوال قال فتعجب عنترة من فطنتهِ وشكره على شفقته ثم انهُ في عاجل الحال لبس درعه والة جلاده واعتلى ظهر جواده وساق نحو الصفوف والناس في مقام الحتوف ونادى بصوت يصدع الحجر اوغاد غير امجاد انا عنترة بن شداد فلما سمعت الرجال الزعقة والدمدمة وقفوا عن القتال والمهاجمة وتقدم عنترة واشار بيده الى بني فزارة الطائفة الغدارة وقال لهم ويلكم يا لئام غير كرام واولاد الحرام لقد تعديتم علي وقتلتم ولدي واحتقرتم شاني فها انا قد برزت لكم اليوم فدونكم الحرب ودعوا عنكم اللوم والعتب فان اردتم ان تربحوا دماءكم فاخرجوا قاتل ولدي حتى اخذ منهُ ثاري بيدي والا هجمت عليكم ولا ازال اضرب فيكم بالحسام حتى افنيكم جميعاً والسلام ولا ارجع عنكم ما دامت الليالي والايام ثم انهُ صال واستطال وانشد وقال

يا آل بدر الطغاة نسل الكلاب ... ابشروا بالفنا وطول العذاب
يا آل بدر لقد بغيتم علينا ... وقصدتم حربنا بظفر وناب
فوحق البيت والركن والحجر العتيق ومن طاف بالدعا والاياب
لاشدنّ محزم الطعن دوماً ... عند حرب العدى وهتك الحجاب
يا آل بدرها قد انيت اليكم ... برجال مثل الاسود الغضاب
فابشروا بالوبال من حد سيفي ... واعلموا انني كليث الهضاب
بعد فقدي غصوباً وكان ذخري ... في الرزايا وفي الامور الصعاب
يا غصوب لقد ذهبت بامر ... سد حقاً في ناظري كل باب
سوف افني فزارة اليوم حقاً ... برجال كهولها كالشباب
سوف نبقي الديار منكم خرابا ... مسكن البوم بعدكم والغراب

قال الراوي فلما فرغ عنترة من ابياته زادت نيران زفراتهِ فصاح في بني عبس فحملت اما بنو فزارة فلما رات صورة عنترة انخذلت فجالت عليهم بنو عبس واستظهرت وصار عنترة يشلك القلوب وينادي يالثارات ولدي غصوب فاقشعرت منهُ الابدان وزعق فاذهل من هول زعقتهِ الشجعان ودمدم فارجف من هول دمدمته قلوب الفرسان ونكس

الاقران وجندل الرجال وصبغ بادميهم الرمال وعمل الصارم اليمان ونفذت الاسنة في الصدور والابدان وطلع الغبار الى العنان وتعثرت الخيول بروؤس الفرسان وعنترة يجول في بني فزارة اي جولان وطير الرووس عن الابدان ولم يزالوا في خصام وصدام وتجريع الموت الزوام الى ان اظلم الظلام فعند ذلك افترقوا عن بعضهم البعض وقد امتلأت بالقتلى جنبات تلك الارض ونزلت كل طائفة في خيامها ونظرت مقامها قال واجهد بنو عبس وعنتر انفسهم في ذلك اليوم المنكر في اخذ الاساري ليقتلوهم على قبر ابن عمهم غصوب واما بنو فزارة فايقنت بحمامها وعلمت انها ان اطالت مع بني عبس صدامها اهلكت شبانها وشيوخها وفتيانها فاجتمعوا للمشورة في هذه الامور المنكرة فبينما هم كذلك واذ قد لاح لهم شبح من ناحية عساكر بني عبس فانكروه فصاح عليهم لا تخافوا يا بني العم ثم تقدم ذلك الشخص من سنان وهو معمم ملثم وناوله كتاباً ففضه وقراه فاذا فيه من الربيع بن زياد الى سنان بن ابي حارثة وحصن بن حذيفة ومشايخ بني فزارة اما بعد فلا تسالوا عما جرى لنا من هذه المصيبة التي اصابتكم ولكن هذا تقدير من له الحكم على الخلق كلهم والان فقد بلغ الامر المنتهى فحال وقوفكم على هذا الكتاب لا يكون جوابكم الا رحيلكم ونزولكم على الملك الاسود فهو يحميكم من عنترة ومن غيره من اهل الدنيا واعلموا ان عنترة كان عول الليلة على ضرب اعناق الاسارى ولكنه صبر الى الغد حتى ياخذ حصن وسنان فخذوا لانفسكم الحذر واهربوا ما دمتم قادرين على الهرب قبل ان يحل بكم الويل والعطب وكان الرسول الى سنان من عند الربيع اخاه انس الحافظ فمضى في جنح الليل والغلس واخبر بني فزارة وامرهم بالهرب فشكروه على حفظ مودته واخاه واعادوه الى اخيه وقد حفظوا كلامه ونجواه ثم ان سناناً اطلع حصناً على الرسالة وامره بان يترك الخيام مكانها والنيران تضرم موضعها وركبوا واركبوا الحريم واخذوا معهم من الاموال ما ينساق ومضوا طالبين ارض العراق

قال الراوي فلما اصبح الصباح واضاء بنوره ولاح بادر بنو عبس الى الحملة على بني فزارة وارادوا ان ينزلوا بهم الخسارة فلم يجدوا لهم خبراً ولا نظروا لهم اثراً فعلموا انهم انهزموا فصعب عليهم كيف نجوا وسلموا فلما نظر عنترة فعالهم تحير وعلم انه ان لحقهم لا يبلغ منهم وطر لانهم اوسعوا في البر الاقفر وابعدوا عن بني عبس الغرر وكانت بنو عبس قد انزلت بهم في ذلك اليوم الذي مضى الوساوس واسروا منهم الف وستماية فارس ما عدا من بضعتهم السيوف وشربوا كاسات الحتوف ولما راى عنترة ان بني فزارة طلبت الهزيمة والفرار ثار في قلبه لهيب النار وامر اخاه شيبوب ان يحفر قبراً لولده غصوب فحفره القوم ولما وضعوا غصوباً فيه وردوا

التراب عليهِ والدمع من اجفانهم مسكوب تقدم ابو الفوارس اليهِ وطلب ان يحضروا الاسرى
الى بين يديهِ وشمر عن ساعديهِ واخذ يذبح واحداً بعد واحد ثم تقدم ميسرة ودموعهُ على
اخيهِ منحدرة وذبح على قبره من بني فزارة ستمائة ثم تقدم عنترة واراد ان يتم ذبح الباقين
من الاسرى وكبده من لظى الحزن حرّى فتقدم اليهِ الملك قيس وضمهُ الى صدره وقبلهُ في عارضيهِ
وشعره وقال لهُ بحياتي يا ابن العم هبني من بقي منهم واعف بحلمك عنهم فهم على كل حال بنو عمنا
ومصابهم يزيد غمنا وقد بغوا علينا بجهلهم فعاد عليهم ظلمهم فعند ذلك نادى عنترة يا للعرب
الكرام وحق البيت الحرام لا احسب اني اخذت بثار ولدي ولا تطفأُ نار كبدي ما لم اقتل
حصن بن حذيفة بيدي ثم اقبل على الملك قيس وقال لهُ دونك باقي الاسارى ايها
الملك فاني قد وهبتك دماءهم قال فتقدم الملك قيس نحوهم وحل وثاقهم واعطاهم سلاحاً
وخيلا وقال لهم اركبوا هذه الخيل وامضوا فركبوا الجنائب وساروا طالبين الاهل والاقارب
هذا ما كان من هولاء وما جرى لهم من العبر واما ما كان من ابي الفوارس عنتر فانهُ اقام
بعد ذلك على قبر ولده ثلاثة ايام حتى خفف ما بهِ من الوجد والغرام فلما كان في اليوم الرابع
رجع الى ارض الشربة والعلم السعدي اما بنو فزارة الطائفة الغدارة فانهم لم يزالوا في هزيمتهم وهم
في ذل وحيرة وقد عميت منهم البصيرة حتى وصلوا الى الكوفة وارض الحيرة فاعلنوا بصياحهم
واكثروا من نواحهم فسمع بذلك الملك الاسود فتلقاهم وهم بحالة الذل والنكد ونظر الى حريمهم
واولادهم ونسائهم فسالهم عن احوالهم وعما دهاهم ونالهم فقالوا ايها الملك المفضال افنت بنو عبس
منا الرجال واخذوا ما عندنا من الاموال وساقوا النوق والجمال فلما سمع الملك الاسود
مقالهم وسمع بكاءهم ورأى احوالهم قال يا ويلكم ما الذي غير ما بينكم من الوداد وبدلهُ بالبغضة
والعناد وانتم وبنو عبس الكرام اولاد اعمام وانسابكم متصلة واحسابكم غير منفصلة فقالوا
ايها الملك الجواد ان عنترة بن شداد هو الذي قتل الرجال ويتم الاطفال وانزل بنا الذل
والخبال فقال لهم وما سبب هذا العناد الذي بهِ تركَكم مشتتين في البلاد فعند ذلك اقبل
عليهِ حصن بن حذيفة ودمعهُ مسكوب وقال اعلم ايها الملك اني قتلت ولده غصوب الا اني
لما قتلتهُ كنت سكران لا اعي على انسان فعند ذلك رحلنا من خوفنا نقطع البراري
والقيعان الى ان وصلنا الى ديار بني شيبان وطلبنا الذمام من قيس بن مسعود وسالناه ان
يصلح مع عنترة نوبتنا ونحمل لهُ عشر ديات وتكون رجالنا ونساؤُنا اموات فلما علم بحالنا واننا
لابن عنترة قتلنا .طردنا عن دياره وابعدنا عن امصاره فسرنا اليك لانك كهفنا عند كل
شدة وضيق فلحقنا بنو عبس وعنترة في الطريق وانزلوا بنا الذل والوساوس واسروا منا

الف وستمائة فارس واخذوا اموالنا وافنوا رجالنا وها قد اتينا اليك وهذا الحال حالنا

قال الراوي فلما سمع الملك الاسود مقاله رق له ثم انه قال لهم انزلوا عندي وانا احميكم بساعدي وزندي وسوف اخذ لكم الثار من اعداكم واخلص منهم اسراكم ثم انزلهم في ابياته واجزل عليهم خيراته فلما كان بعد يومين من نزولهم قدمت عليهم الاساري الذين سعى قيس بخلاصهم وهم ينادون بالويل والثبور وعظائم الامور واخبروا حصنًا بما جرى عليهم واعلموه انه لو لم يشفع الملك قيس فيهم لكان عنترة اهلك باقيهم فعند ذلك قام حصن ودخل على الملك الاسود وهو يبكي وقد حل به النكد وقلبة قد تقرح وتقطع من الكمد فاخبره بما جرى على رجاله وكيف ان عنترة لم يعف عنهم حتى ذبح على قبر ولده الف واربعمائة منهم فلما سمع الملك الاسود بما جرى وتجدد قام وقعد وارغى وازبد وقال يا ويلكم أقتل عنترة منكم هذا العدد في يوم واحد فقالوا اي وحياتك ايها الملك الماجد ولو لم يشفع الملك قيس فينا لكان افنى باقينا وما ترك منا لا ابيض ولا اسود فقال والله ما هذه الا نوبة ذميمة ومحنة عظيمة ولقد بغي هذا العبد الاسود وطغى عليكم وتمرد وما رضي باخذ ثاره واحدًا ولا اثنين ولا مائة ولا مائتين الا الف واربعمائة فوالله هذا شيء لا ادعه يتم في هذه الاقاليم فكيف وقع من هذا العبد الزنيم هذا الموقع العظيم فوحق النار والنور ان وقع في يدي لاذبحنه واشفي بقتله غليل كبدي فلتطب قلوبكم ولتقر اعينكم فسوف اخذ لكم ثاركم فلقد جنيتم على انفسكم جناية الحرمان بتعرضكم لهذا الشيطان ثم انه بعد ذلك الخطاب التفت الى وزيره عمرو بن نفيلة العدوي المهاب وقال له أكتب الى الملك قيس كتاب وبلغه سلامي باحسن الاداب وترجم له باحسن خطاب ومره بان يحضر الي في هذه المرة و ياتيني بعنترة وولده ميسرة فان اجاب دعوتي وسمع كلمتي امن نقمتي والا اذهب اليه بعساكر العرب والعجم وانزل به النقم واخرب دياره واقلع اثاره وقد اعذر من انذر وانصف من حذر فكتب الوزير الكتاب وطواه وسلمه الى نجاب وقال له اريد ان توصله الى الملك قيس ملك بني عبس الانجاب وتاتي بالجواب فسار النجاب ولم يزل حتى وصل ارض الشربة والعلم السعدي وسال عن ابيات الملك قيس ودخل عليه وناوله كتاب الملك الاسود ففضه وقراه وفهم معناه فقامت عليه القيامة ورجع على نفسه بالملامة وخاف من الملك الاسود واخبر اخوته بما جرى وتجدد وقال احذروا من ان يشيع هذا الخبر حتى ندبر على مسك عنتر وولده ميسرة ونستريح من هذه الامور المدبرة لانه لاطاقة لنا على الملك الاسود برضى عنترة او بحرد فالان رايت ان ادعوه الى مناولة الطعام واسقيه المدام واذا سكر قبضت

عليه وعلى ابنه وارسلتهما الى الملك الاسود واسالة ان لا ينزل بهما الحين بل يسجنهما مدة عام او عامين حتى يذل عنترة ويعقل ولا يعود فيرجع الى الجهل واذا مرت عليه الليالي والايام اسال الملك الاسود ان يطلقه من الاسر والارغام فلما سمع اخوته هذا الكلام شكروه على حسن تدبيره وهذا الاهتمام وقالوا له دبرايها الملك السعيد ما تشتهي وتريد فما نحن بين يديك مثل العبيد قال وكان الذي قد زين للملك قيس ان يفعل في حق عنترة هذه الفعال ويوقع فيه هذا الاذلال ويقابله بهذا الفعل الشنيع عمارة والربيع لانهما لما سمعا كلام رسول الملك الاسود وفهما ثمال الكتاب قالا لقيس اعلم ياملك ان عمة حصن متزوجة بالملك الاسود فمن الراي ان تصرف الرسول وتدبر على مسك عنترة وولده وتذهب بهما الى الملك الاسود فقال الملك قيس انا لا قدرة لي على مسك عنترة فقال له الربيع احتل عليه بحيلة تملك بها رقبته وهو انك تدعوه لمناولة الطعام وتسقيه المدام حتى يغيب هو وولده وبعد ذلك كتفه وقيده وارسله الى الملك الاسود ليفعل فيه ما يحب ويختار وتساله ان لا يقتله بل يرميه في بعض المطامير حتى يعلم انه فعل فعال اهل العدوان ويرجع عن التكبر والافتراء على الفرسان وعلى ذلك قال الملك قيس لاخوته ما قال وانه عول على مسك عنترة بالاحتيال هذا كله يجري وعنترة ليس له علم بذلك الخبر وهو غافل عن اسباب القضاء والقدر فلما كانت الليلة التي عولوا على ان يغدروا فيها بعنترة بن شداد ويقبضوه بالحيلة والعناد تذكر عنترة قتلة ولده غصوب وما نزل به من البلاء والكروب فبقي قلقا سهران واثهل دمعه كالغدران فلما كان نصف الليل دخل عليه ورقا بن الملك زهير واخبره بكتاب الملك الاسود وما اتفق عليه اخوه الملك قيس والربيع بن زياد وقال له ياابن العم دبر نفسك ولا تغفل فتسكن رمسك وامره بكتمان سره فشكره عنترة وقال له يامولاي لئن تعرض لي الملك الاسود لا نزلن به البلاء والنكد فسوف يرى اخوك قيس فعال عنتر ويعلم من يربح منا ومن يخسر ثم انه اقام على ذلك الحال الى ان اذن الليل بالارتحال واشرق الصباح واضاء بنوره ولاح هذا ما كان من عنترة واما ما كان من الملك قيس فانه نهض الى ما دبر وركب ذلك اليوم للصيد والقنص ليكون على ما دبره احرص ثم انه ارسل بعض اخوته الى عنترة حتى يركب معهم الى الصيد فمضى اليه اخو الملك قيس نهشل واخبره بالخبر فقال سمعا وطاعة فسوف اركب في هذه الساعة ثم ركب هو وولده ميسرة واخذ معه من اصحابه عشرة وساروا طالبين الصيد والقنص وانتهاز اللهو والفرص ولم يزالوا يصطادون في تلك القفار حتى ولى النهار فعند ذلك عادوا الى الديار ولم يزالوا سائرين وهم في افراح

ومسرات الى ان وصلوا الى الابيات فعند ذلك اقبل قيس على عنترة وقال له يا ابا الفوارس انت غداً في ضيافتنا ولا تغتذي باكر النهار الا عندنا حتى نجعل منادمتك حظنا فلما سمع عنترة كلام الملك قيس قبل يده وشكره على فعاله وقال له يا مولاي لست انا الا عبدك وفي باكر النهار اكون عندك ثم مضى كل واحد منهم الى ابياته وقد كثرت على قيس عظيم افراحه ومسراته واما الامير عنترة الهمام فانه لما نزل في الخيام ارسل يطلب عروة بن الورد وولده ميسرة فلما اتيا عنده وكان الظلام قد اظلم اطلعهما على ما دبر الملك قيس وسائر اخوته وانه دعاهم ليكونوا باكر النهار في ضيافته وامرهم اذا حضروا ان يحذروا على انفسهم وقال لهم اياكم والاسراف في شرب الخمر حتى ننظر اخر هذا الامر فلما سمع عروة بن الورد ذلك المقال قال لعنترة ولماذا تفعل تلك الفعال ولاي شيء لا ترحل بنا من هذه الاطلال ونتجرد للكل وننزل بهم النكال فقال له والى مثل هذا سوف ينتهي الحال ولكن حتى نبصر ما يبدو منهم من الشر وماذا يفعلون من الامر وفي ذلك الوقت نفعل جهد ما نقدر ثم انهم بعد ذلك الكلام انصرفوا الى الخيام وطلبوا الراحة والمنام ولما كان عند الصباح اقبل عروة وميسرة لينظرا هـــذه الامور المدبرة الا انهما لما وصلا الى عنترة وجلسا امامه قدم رسول قيس اليه وقال له اعلم ان الملك قيساً يدعوك الى ان تحضر وليمته حتى تزداد بك افراحه ومسرته فقال له السمع والطاعة ثم انه قام ولكنه كان من هذا الامر في ارتياب ولبس درعه تحت الثياب وفعل مثله عروة وميسرة وساروا عند الملك قيس حتى يبصروا هذه النوبة العسرة هذا ما كان من هولاء واما ما كان من الملك قيس بن زهير فانه من اول الليل نصب السرادق الكبير وفرش فيه البسط والحرير ووضع فيه آلة الشراب وصفت القناني والاقداح لقدوم الاصحاب وكان الكمين قد صنع على جانب السرادق لاتمام ما اضمروه من البوائق واكمن فيه اربعين عبداً وقال لهم اذا شاهدتم عنترة وقد عمل فيه السكر والخدر وزاد عليه الامر اخرجوا اليه وميلوا بجمعكم عليه واقبضوه وولده ميسرة لان كلاًّ منهما يكون قد عدم قواه وجلاده الا انهم ما فرغوا من ذلك الترتيب الذي رتبوه حتى اقبل عروة بن الورد وعنترة وولده ميسرة فترحب بهم الملك قيس واستقبلهم وفي صدر السرادق اجلسهم فلما جلس عنترة وولده واصحابه من حواليه اخذ سيفه ووضعه على ركبته وجرده من غمده ومسكه في يده فانكر الملك قيس هذا الامر عليه وقال يا ابا الفوارس لماذا وضعت السيف على ركبتك وجردته يعالي همتك فقال يا ملك ان اعداء الانسان كثيرة ولا يجب على كل احد ان يامن من المغالس خصوصاً في مثل هذه المجالس وكان

الربيع قد اعلم عمارة بهذا التدبير فحضرا مجلس الملك قيس بن زهير حتى ينظرا ما يحل
بعنترة من الضير فلما رأياهُ قد فعل هذه الفعال خاف عمارة من الوبال فقال الربيع
لا تخشَ من هذه الامور فعن قريب تراه مقيداً ماسور ثم جلسوا في السرادق وصاروا
يخفون ذاتهم خوفًا من البوائق وظنوا انهم ياخذون عنترة النحرير ذليلاً اسير واما الملك
قيس فانهُ مازح عنترة بالكلام وقال لماذا فعلت هذه الفعال فقال خوفًا من الوبال فلما سمع
قيس منهُ هذا الكلام ابدى الضحك والابتسام وامر العبيد فاحضروا الطعام وبعد الطعام
احضروا المدام فشربوا من ذلك الخمر العتيق ودارت عليهم السقاة بالكاسات والاباريق
فسكر عنترة الهمام من الخمر والمدام وانعجم لسانهُ عن رد الكلام فلما نظر الملك قيس
الى عنترة الفرسان وحقق ان قد لعبت براسهِ خمرة الدنان قام على قدميه وكان قيامهُ في
تلك الساعة بينهُ وبين العبيد اشارة فلما قام الملك قيس من ذلك المحضر خرج العبيد
من كمينهم وقصدوا عنتر وتواثبوا عليه فلما نظر عنترة الى العبيد وقد خرجوا اليـه تناول
سيفهُ من على ركبته وضرب اول واحد اطاح راسهُ من بين كتفيه والثاني شطره دلوين
والثالث قطع منهُ اليدين وكان الملك قيس لما خرجت العبيد وطلبوا مسك عنتر قد وقف
ينظر ما يجري من الخبر فلما رآه قد نكل بهم خاف على نفسهِ من عنترة الاسد الواثب فولى
هارب واقتفى آثاره الربيع وعماره وكان عنترة لما فعل بالعبيد ما فعل وقتل من قتل
وثار عروة بن الورد وميسرة وضربا في العبيد ضرب من لهُ مقدرة هرب الباقون من
قدامهم وايقنوا بموتهم وحمامهم فمضى عند ذلك عنترة واصحابهُ الى ابياتـه وقد كـثر
حنقه وابدى زفراتهِ ثم انهُ زعق في بني عمهِ ورعاتهِ وامرهم في الحال بسوق اموالهِ وهد ابياتهِ
وكذلك فعلت بنو قراد وعروة ورجالهُ الاجواد ولم تكن الا ساعة حتى فرغوا من اشغالهم
واركبوا عيالهم وساقوا اموالهم وقد صاروا في اربعمائة فارس معتدة تلقى كل نائبة وشدة هذا
وبنو عبس وبنو زبيد واقفون وهم من فعال عنترة متعجبون فلما سارت الاظعان التفت
عنترة الى بني عبس وصاح فيهم ويلكم ايها الغادرون الخائنون ها انا قد رحلت
عنكم ومن اثقالي ارحتكم وتركت رجالكم فاحفظوا ارواحكم واموالكم وكان الملك
قيس لما هرب دخل الى ابياتهِ وجلس بين اولاده واخوانهِ ورجع على نفسهِ بالملامة واكل
يديه ندامة فبينما هو في هموم وفكر اذ وصلهُ الخبر برحيل عنتر فعند ذلك ركب على ظهر
الجواد وساق خلف الامير عنترة بن شداد فلما قرب منهُ قال لهُ يا ابن العم ما السبب
الموجب لرحيلك عنا وابعادك منا فقال له عنترة سببه فعلكم الانكد والكتاب الذي اتاكم

من الملك الاسود ولو كنت انا ابن عمك ولا تريد ان ارحل عنك لكنت اطلعتني على الكتاب واعلمتني بما فيهِ من الاسباب حتى اريك كيف يكون الجواب وان كنت خفت من الملك الاسود فلماذا لم تتركني احاربهُ حتى ترى بعينك من يربح منا ومن يخسر ولكن ها انا قد رحلت عن ديارك وتركت لك ارضك وامصارك ثم لوى راس جواده وسار من ارض الملك قيس وبلاده فلما تمادى بهِ السير اقبل على اخيهِ شيبوب واخيهِ جرير يحادثهما وقال لشيبوب يا ابا الرياح اختر لنا منزلاً في بعض الاماكن والبطاح فقال لهُ شيبوب والله يا ابن الام لا ارى لك مكانًا تنزل بهِ وننال بهِ العز والنيل الاّ عند اخيك عامر بن الطفيل

الكتاب السابع والعشرون بعد المئة

من سيرة عنترة بن شداد العبسي

لان ديارهم واسعة واراضيهم مخصبة ومياهها نابعة فلما سمع عنترة من شيبوب ذلك الخطاب علم ان قوله صواب فقال له سر يا ابن الام الى اي موضع شئت واقصد بنا اينما هويت فعند ذلك ساروا يقطعون البرّ بن الغامر والعامر طالبين ديار بني عامر هذا ما كان منهم وما جرى من راي شيبوب واما ما كان من الملك قيس وما تم من افعالهِ فانه لما سار عنترة عاد الى ابياتهِ وقد حل بهِ الخبل وندم على ما فعل فاحضر الربيع بن زياد وجميع اخوتهِ وخواص الاجناد وقال لهم اشيروا عليّ بالصواب فقد استدت في وجهي جميع الابواب فقال لهُ الربيع ايها الملك المهاب والليث الوثاب الراي عندي انك تكتب الى الملك الاسود كتاب وتعلمهُ فيهِ بجميع الاسباب وبعد ذلك تبصر مايرد من الجواب فقال الملك قيس هذا هو الصواب ثم انهُ في ساعة الحال كتب الى الملك الاسود كتاب وذكر فيهِ جميع ما جرى من الاسباب وقال لهُ اعلم ايها الملك ان عنترة قد رحل من ارض الشربة وطلب البعد عنا والغربة وقد اردنا ان نمسكهُ بالاحتيال ونرسلهُ اليك بالقيود والاغلال فاطلع على هذه الامور والاسباب وقتل بعض العبيد والحجاب ورحل هو واخوته ولا ندري اين رحل ولا في اي مكان نزل وقد ارسلنا نعلمك بهذا الحال ونحن مقيمون على طاعتك سامعون كلمتك والسلام ثم طوى الكتاب وارسلهُ مع نجاب فاخذ هذا يقطع البر والفدفد حتى وصل الى الحيرة ودخل على الملك الاسود وقبل بين يديه التراب وناولهُ ذلك الكتاب

ففضهُ وقراه وفهم معناه فرد الجواب الى الملك قيس يقول فيهِ قد علمنا ما جرى لك وعذرناك ولكن نريد ان نستقصي لنا الخبر وتبصر في اي مكان نزل عنتر فسار النجاب الى قيس بذلك الجواب وانبأَه بذلك الخطاب هذا ما كان من كتاب الملك قيس وجوابهِ واما ما كان من عنترة واصحابه فان شيبوباً لم يزل سائراً حتى اشرف بهم على ديار بني عامر فعندها سبقهم واخبر عامراً بقدوم اخيهِ عنترة فركب عامر ولاقاه بجماعة من رفقائهِ وفرح بهِ عند ملتقاه وترحب بهِ وبمن معهُ وانزلهُ في ارض كثيرة العشب والمياه وكانت تلك الارض تبعد عن ابيات بني عامر مسافة فرسخين وقد طلب عنترة بذلك العزلة والموارا‌ة عن كل عين فمدوا اطنابهم على الماء واستراحوا من الناس واقاموا في سرور وهناء

قال الراوي اما نجاب الملك قيس فاخذ من الملك الاسود الجواب وسار يقطع الهضاب حتى اشرف على ارض الشربة والعلم السعدي وتلك الشعاب ودخل على الملك قيس واعطاه ذلك الكتاب ففضهُ وقراه وفهم معناه واعلم بذلك الربيع بن زياد وقال لهُ نشتهي ان نعلم اين نزل عنترة بن شداد فقال الربيع بن زياد ما في الامر الا ان نرسل فارسين يطوفان سائر الحلل ويبصران في اي الاماكن نزل واظنهُ لا ينزل الا في احد المكانين اما في بني هوازن عند الشيخ دريد او في بني عامر عند عامر بن الطفيل فان وجداه في احدها يعودا الينا على الاثر ويعلمانا بصحة الخبر فعند ذلك دعا الملك قيس فارسين من فرسان بني عبس وقال لهما اريد ان تقصدا ديار بني عامر من دون البلاد وتبصرا لنا هل نزل هناك عنترة بن شداد وان لم تجداه في تلك الاماكن فاقصدا ديار بني هوازن ولا تعودا الا بالخبر على جليتهِ وابصرا اين نزل بجماعتهِ فسار الفارسان واخذا يقطعان القيعان ويطويان السهول والاوعار حتى قربا من ديار بني عامر وتلك الامصار قال وكانت بنو عبس قد امتلأَت قلوبهم على الملك قيس احقاد وعلى عمارة والربيع ابني زياد لما فعلا من المساوىء بعنترة بن شداد لان بني عبس ما كانوا يامنون على مال ولا اولاد من كثرة ما لهم من الاعادي والحساد الا اذا كان فيهم عنترة بن شداد فاقبل احد الفارسين على الاخر وقال لهُ اما ترى يا ابن العم ما فعل قيس وما دبر وكيف عمل هو والربيع بن زياد هذا العمل الذي كلهُ وبال وفساد وابعد عنا حامينا عنترة بن شداد وفرسانهُ الجياد وهو حامية بني عبس من الاضطهاد ومنقذهم من النوائب الشداد وصائن حريمهم والاولاد قد اذل لهم كل العباد فارتفع قدرهم وسادوا فوالله لئن لقيناه ووصلنا اليه لنعلمنهُ بما اقدمنا عليهِ

قال فلما سمع الرجل كلام رفيقهِ قال لهُ والله لقد صدقت في مقالك فافعل ما بدا لك

فاني مطاوعك على ما خطر ببالك لان من كان عنده مثل عنتر وفرّط فيه لا يعدمن البشر ولا يليق بنا ان نعين المفسدين على حامينا ثم انهما سارا حتى دخلا ديار بني عامر الاشاوس فعارضهما فارس فسالاه عن عنترة ابن هو نازل فقال لهما وماذا تريدان من عنتر وما معكما من الخبر فقالا له نحن من بني عمه ولنا اليه حاجة داعية فقال لهما دونكما اياه فانه خلف تلك الرابية قال فسار الفارسان في تلك الروابي والتلال فوجدا عنترة الاسد الرئبال نازلاً في تلك القيعان وقد نصب ابياته على المناهل والغدران وكان في ذلك الوقت جالسًا على باب المضرب وحوله اصحابه من العرب فلما رآهما عرفهما وتلقاهما وترحب بهما وحياهما واحسن اليهما وقال لهما مالي اراكما في هذه الاراضي سايرين وفي فيافيها طائفين فعند ذلك اخبراه بكل ما جرى وتدبر واطلعاه على جلية الخبر فلما سمع منهما ذلك الكلام ابدى الضحك والابتسام وقال لهما اما انتما فجوزيتما خيرًا ولا لقيتما شرًا ولا ضيرًا واما قيس فلست افكر فيما يفعل وسوف يندم حيث لا ينفعه الندم فاعلماه بما رايتماه ولا تخفيا من امرنا شيئًا ولا تكتماه فعند ذلك سار الفارسان وهما بما لقيا من عنترة قريرا العين فرحان ولما وصلا الى حيهما دخلا على الملك قيس واخبراه بما رايا وان عنترة الاسد الكاسر نازل في ارض بني عامر غير خائف من النوائب ولا خاشٍ جميع الاعارب فلما سمع الملك قيس ذلك كتب في الحال الملك الاسود يعلمه ان عنترة مقيم عند بئر معاوية وماء النظيم وهو في عزّ ونيل عند عامر بن الطفيل فلما وصل الكتاب الى الملك الاسود علم من امر عنترة ما تجدد وكان حصن بن حذيفة وسنان بن ابي حارثة عند الملك الاسود حاضرين وبين يديه جالسين فلما سمعا ما في الكتاب فرحا بتلك الاسباب وابتهجا لما ان بني عبس اضحوا على عنترة غضاب ثم ان الملك الاسود اقبل على وزيره عمرو بن نفيلة وقال له ما تقول ايها الوزير في هذه النوبة الطويلة فقال الوزير ايها الملك المهاب قد رايت لك رايًا فيه الصواب وهو ان ترسل تدعو الملك قيسًا اليك ومن معه من الامارة وتصلح بينه وبين بني فزارة ولنا المهلة في امر عنتر وتاخيره الى يوم اخر واي وقت اردته فاننا نسير اليه ونأتيك به واصحابه وذويه فاستصوب الاسود كلام الوزير وامره بان يكتب الى الملك قيس يعلمه بما اتفقوا عليه ويستقدمه اليه فكتب الوزير اليه يقول اما بعد فقد صحت عندنا مودتك وصفاء نيتك فنرغب اليك ان تاتي بجماعة من ارباب دولتك واعيان جماعتك وان تسرع الينا في القدوم حتى ندبر على هلاك عنترة الغشوم فساعة وقوفك على هذا الكتاب لا يكن جوابك الا وضع رجلك في الركاب ثم طوى الكتاب وسلمه الى نجاب وقال له اسرع في المسير

وإياك التواني والتقصير فسار النجاب يقطع الروابي والهضاب الى ان وصل الى بني عبس الانجاب ودخل على الملك قيس واعطاه الكتاب فارسل قيس خلف الربيع يدعوه اليه وكان اخوته حاضرين بين يديه فقرأ عليهم الكتاب واسمعهم ما فيه من الخطاب وقال لهم اشيروا عليّ بما فيه الصواب فقالوا كلهم ايها الملك الخطير ما بقي الا الاجابة والمسير فعند ذلك اقام الملك قيس موضعهُ على حرس الحلل اخاه جندل وخلف عنده ثلاثمائة فارس وسار في باقي العشيرة طالبًا ارض الحيرة قال فبينما هم سائرون في البر الاقفر والمهمة الاغبر اقبل الملك قيس على اخوته واصحابه وقال لهم اعلموا ان الاسود ما دعانا الان اليه الا ليصلح بيننا و بين بني فزارة بين يديه قبل فتال عنتر وقد خطر لي الان راي اخر واقول انهُ لا بد في هذه النوبة من ان يذكر فاريدكم ان تساعدوني بهِ فقالت اخوتهُ اطلعنا عليه فقال لهم ان طلب الملك الاسود مني اختي المتجردة زوجة اخيهِ فما يكون جوابي اليه فقال الربيع بن زياد اننا والله نشتهي ان يكون الامر كما خطر ببالك حتى نرجع الى ما كنا عليهِ من العز وتبلغ من عنترة امالك ونحسب ان الملك النعمان ما مات ولا حلت بهِ الافات ثم انهم لم يزالوا سائرين على هذه الوتيرة حتى وصلوا الى ارض الحيرة فعند ذلك ارسلوا فارسًا من قومهم يخبرون الملك الاسود بقدومهم فلما وصل اليه البشير واخبره بما اتاه من الخبر خرج اليهم بمن عنده من العسكر وتلقاهم وفرح بهم عند ملتقاهم واكرمهم واحسن مثواهم ودخلوا الحيرة في ذلك الجمع العميم وكان لدخولهم يوم عظيم وانزلهم الملك الاسود وقرب قيس دون الفرسان واصلح بينهُ و بين حصن بن حذيفة وابن ابي حارثة سنان وقال لهم ما احسنكم وحالكم مستقيم وليس بينكم ذلك الاسود الزنيم ولكن ضمانهُ عليّ وانا لهُ وسوف اريكم ما يجري عليه وعلى رفاقهِ فقالوا لهُ ايها الملك ادام الله علاك واطال بقاك ونصرك على اعداك فانت حمانا وغوثنا وملجانا فلا زلت محروس الجناب بعناية الملك الوهاب فشكرهم على مقالهم واثنى عليهم واستجاد فعالهم ثم امر الخدام باحضار الطعام فحضر واكل منهُ الخاص والعام ولما اكتفوا قدموا انية الراح ودارت بينهم الاقداح واخذوا باللهو والسرور والافراح وداموا على ذلك الحال الى ان عول الليل بالارتحال فعند ذلك تركوا المدام وتفرقوا الى المنام ودخل الملك قيس واخوتهُ جميعهم الى دار بجانب القصر قد افردت لهم ولم يبق عند الملك الاسود احد في تلك الليلة غير وزيره عمرو بن نفيلة فاقبل عليه واحب ان يفشي سره اليه وقال ايها الوزير والسيد الخطير انت نعم الصاحب والمشير اعلم انني قد عولت على ان اخطب من الملك قيس اختهُ المتجردة زوجة اخي الملك النعمان فاريد منك المساعدة على

هذا الشان فقال له الوزير والله ياملك الزمان لقد عولت على خبر سبب تملك به رقاب بني عبس اولي النسب لانهم جمرة العرب فان كنت عزمت على هذا الامر فلا تعرف ذلك الا مني وها انا في هذه الساعة اجعلهم يذعنون لك بالطاعة ثم لستدعى الربيع بن زياد فحضر حالاً وصار بين الملك الاسود فاعلمه الوزير بما جرى وتجدد وطلب منه ان يساعده على الملك قيس بن زهير حتى يزوج الملك الاسود باخته المتجردة فقال الربيع السمع والطاعة وها انا امضي اليه في هذه الساعة ثم انه قام من عند الملك الاسود وسار الى الملك قيس ولما دخل عليه وصار بين يديه القى اليه ما حمل من الكلام من وزير الملك الاسود الهام وان الملك الاسود طالب الاتصال به والزواج باخته ففرح الملك قيس بهذا الامر واضحى منشرح الصدر

قال الراوي ولما اصبح الصباح واضاء بنوره ولاح ركبوا جميعاً واشاروا الى الملك الاسود ولما دخلوا القصر وجدوا الملك الاسود جالساً في صدر المجلس وارباب دولته حواليه فقام لهم على الاقدام وتلقاهم وترحب بهم وحياهم واجلسهم عن يمينه وبجل الملك قيساً واعلى مقداره واجلس حصن بن حذيفة وسنان بن ابي حارثة عن يساره وجلست امراء العرب بحسب طبقاتها وارباب المقامات في مقاماتها فعند ذلك التفت الوزير الى الملك قيس بن زهير وقال له ايها الملك اتيتك مخبراً بامر لك فيه الصلاح والخير والنجاح واطلب حاجة وارجوك ان تنفذ طلبنا ولا تهمل سؤلنا فقال الملك قيس سل ما تريد ايها الوزير فاني ابادر الى قضاء حاجتك على الراس والعين فقال له الوزير اعلم ان الملك الاسود والسيد المؤيد يريد ان يخطب منك اختك السيدة المصونة والدرة المكنونة المتجردة فقد رغب في مصاهرتك والزواج باختك فلا تبخل بها عليه لانها زوجة اخيه وهو كما علمت ملك عالي الشان واحق بها من كل انسان فان زوجته بها وصار صهرك يعلُ قدرك ويرتفع بين العرب عزك وفخرك وتكون مويداً بين ملوك هذا الزمان كما كنت على زمن الملك النعمان ويكون لك الامر والنهي على جميع العربان قال فلما سمع الملك قيس ذلك الكلام نهض قائماً على الاقدام وقال السمع والطاعة واختي له جارية من هذه الساعة وانا المسعود بهذه الشان ولست اهلاً لهذه الاحسان فقال الوزير ايها السيد المفضال لاتقل هذا المقال فانت تكون للملك الاسود من اعز الانسباء واختك تكون صاحبة القصر والحاكمة الامرة على من فيه من النساء والاماء ثم ان الوزير اخذ بيد الملك قيس ووضعها بيد الملك الاسود فتصافح الملكان وعاقد الملك قيس الاسود على الزواج فلما نظر حصن بن حذيفة ذلك

الشان صعب عليه وحل به الخذلان والتفت الى ابن ابي حارثة سنان وقال له اما تري يا عماه ما جرى من الاسباب وكيف صار الملك قيس والملك الاسود اصهارًا وانساب واصحابًا واحباب كما كانا من قديم الزمان في ايام الملك النعمان ورجعنا معهم الى الذل والهوان قال فلما سمع سنان بن ابي حارثة جميع مقاله ونظر الى تغير حاله قال له لا يصعب عليك هذا لانهم على كل حال بنو عمنا فان كان قيس قد زوجه باخته فانت عمتك زوجته وانتم ايضًا اصهاره وكلكم اعوانه وانصاره فسكت حصن لما سمع كلام سنان اما الملك الاسود فانه لما سمع كلام قيس وانه صار زوج المتجردة اخته نهض على قدميه ونادى يا للعرب احمد الرب القديم الذي لمكم وجمع شملكم فاريد منكم ان تنزعوا من قلوبكم البغضة والمعاندة وتكونوا على اعدائكم يدًا واحدة ثم انه اخذ بيد قيس وبيد حصن بن حذيفة واصلح بينهما وازال الشر من قلوبهما وقال لبني عبس وبني فزارة اريد منكم قبل كل شيء هلاك عنترة وان تاخذوا لحصن بثاره ممن قتل رجاله وسائر انصاره وتجازوا ذلك العبد الاسود على فعاله فقالوا ايها الملك نحن لك وبين يديك وسوف ترى منا ما نقهر به اعاديك ونقر به مقل عينيك قال فلما سمع الملك الاسود مقالهم شكرهم على فعالهم واقاموا على هذا الحال في لعب وانشراح واكل طعام وشرب راح والملك يفيض عليهم بالاكرام الى ان اظلم الظلام فتفرقوا للمنام

قال الراوي ولما كان في الغد حضر الكبير والصغير فحمل الملك الاسود الى الملك قيس بن زهير مهر اخته المتجردة الف ناقة من النوق العصافير وخمسين جوادًا من الخيول الجياد ومائة ثوب من الديباج المعلم وخمسين عبدًا وخمسين جارية وكان هذا المهر تقريبًا نصف الذي انفذه اخوه النعمان وارسل معهم الف راس من الغنم ومائتي بعير وذلك برسم الولايم لاكابر العرب والسادات من ذوي الرتب وخلع على الملك قيس واخوته الخلع الحسان وعلى الربيع بن زياد وانعم على سائر بني عبس وسائر الاجناد وبعد ذلك اقبل على الملك قيس وقال له عد الى اهلك مجلاً موقر حتى نتجرد الى هلاك عنتر فاذا فرغنا منه انفذت اليك وطلبت زوجتي المتجردة فقال الملك قيس لا والله ايها الملك هذا شي لا نفعله بل نحمل اليك زوجتك قبل كل شيء نعمله وبعد ذلك نتفرغ لهلاك عنتر ولم نزل حتى نقلع منه الاثر فلما سمع الاسود مقاله ورأى ان الامر اتاه كما يشاء شكر فعاله وقال له افعل ما تريد فانا عن رايك لا احيد وها انا اكتب الى بني عامر كتابًا وامرهم ان يبعدوا عنهم عنترة الفرسان فان فعلوا ذلك نزل به الذل والهوان وان ابوا فسيروا اليهم في بني عبس وبني فزارة وانزلوا بهم الويل والخسارة وانا انجدكم ببني شيبان وبمن قدرت عليهم

من العربان فان لم تقدروا عليهم سيرت لكم ابطال لخم وجذام وكل فارس همام فلما سمع الملك قيس ذلك الكلام فرح وايقن ببلوغ المرام قال وكان الملك ورقا ابن الملك زهير من جملة محبي عنتر فلما سمع ذلك الحديث ورأى انهم اتفقوا جميعاً عليه كاد قلبهُ من الغيظ يتفطر وقال في نفسهِ هذا والله بغي وعدوان فلاعلمنهُ بهذا الشان لياخذ لنفسهِ الحذر لاني اعلم اذا استيقظ نفسهُ لايبالي بالجمع وان كثر ثم انهُ خلا بنفسهِ وكتب جميع ما جرى في كتاب وسلمهُ لعبد من عبيده الانجاب وقال لهُ اريد منك ان توصل الى عنترة هذا الكتاب وتقرئهُ عني السلام بافصح خطاب وتعود اليَّ بالجواب وتبصّر كيف تتدبر بهذا الامر واحرص على كتمان السر فاخذ العبد الكتاب وسار في الليل البهيم طالبًا بئر معاوية وماء النظيم اما قيس وبنو زياد فانهم رحلوا من تلك الارض والبلاد وساروا طالبين ارض الشربة وديار الاحبة ولم يزالوا يقطعون القفار حتى وصلوا الى الديار ولما استقر بهم القرار عمل الملك قيس الولايم للكبار والصغار وبعد ذلك جهز اخته المتجردة وسيرها الى الملك الاسود بثلثماية فارس ابطال اشاوس فساروا طالبين الحيرة وقلوبهم مسرورة ولما وصلوا كان لدخولهم يوم مشهود نشرت فيهِ الرايات والبنود فتلقاهم الملك الاسود بعساكره وابطاله والجنود وانفق في ذلك اليوم المال المعدود وتبهرجت اهل الحلة واظهروا سرورهم وفرحهم وحبورهم ودخلت المتجردة القصر وقد فرحت بالعز والنصر واقرّ الملك الاسود بزينة البلد وايقاد الشموع والقناديل وخلع على اكابر دولته وسادات جماعتهِ وقدمت موائد الطعام واخذوا في شرب المدام وما زالوا على مثل هذا الحال الى ان اقبل الليل بالانسدال فدخل الاسود على زوجتهِ وخلا بها وفرح بوصلها وفرحت هي ايضاً بذلك الشان وتسلت بالاسود عن اخيهِ الملك النعمان هذا ولم يزل الملك الاسود عندها الى الصباح وقد بلغ مراده وسر بوصلها فواده وبعد ذلك خلع على نهشل اخي الملك قيس وعلى كل من معهُ من الابطال العبسية والاقيال العدنانية واجزل لهم من العطايا واكثر من الاموال والهدايا وارسل معهُ الخلع ايضاً الى الملك قيس واخوتهِ وعاد يطلب ديار احبتهِ مع ابطال عشيرته هذا ما كان من نهشل اخي قيس وقصتهِ والاسود وزوجتهِ واما ما كان من ابي الفوارس عنترة فانهُ كان مقيماً في ابياتهِ وقد أمن من الدهر وآفاتهِ فبينما هو جالس في بعض الايام ومن حولهِ الاصحاب وبنو الاعمام واذ قد وصل اليهِ العبد الذي انفذه ورقا بالكتاب فسلم عليهِ وناولهُ اياه فاخذه عنترة من يده وسلمهُ الى عروة بن الورد ففضهُ وقراه وفهم مضمونهُ ومعناه فاغتاظ لما فيهِ من المقال وفي عاجل الحال التفت

الى عروة الفارس الريبال وقال له أرأيت كيف تباعدت عنا الاصحاب والاصدقاء ولم يبقَ لنا يا ابا الابيض احد أما تنظر الى هذا الامر الذي نلقى وكيف ما بقي غير ابن الملك زهير ورقا فاكتب له الان واشكره وبالجميل والاحسان اذكره وقل له اما اجتماع العرب واتفاقها عليَّ فهذا امر صغير لديَّ ولو انهم في عدد الرمال فسوف افرقهم في جنبات الارض واقطع منهم الاوصال واما اتصال المجردة بالملك الاسود فهذا فيه سرور لكم قد تجدد واما عداوة اخيك قيس لي فستفضي به الى الندم اذ يحل به القضاء المبرم فدعه يجهد جهده ويفعل اشدّ ما عنده واما حصن وبنو فزارة فهم اخبر بي من كل احد ويعلمون كيف ضيقت عليهم البر والفدفد وكسرتهم اشأم كسرة حتى استجاروا مني بالملك الاسود وفي هذه الكرة لا بد لي من قلع اثارهم وخراب ديارهم وقطع اعمارهم وسوق اموالهم وسبي حريمهم وعيالهم واما انت يا مولاي فلا عدمناك واطال الله عمرك وبقاك فلا تضيقُ من اجلنا صدرك ولا يضطرب فكرك فنسال الله ان يبقيك لنا ويديم علينا نهيك وامرك ثم انه بعد ذلك الخطاب طوى الكتاب وختمه والى عبد ورقا سلمه واعطاه جواد من الخيول الجياد وسيره الى ارض الشربة والعلم السعدي وتلك البلاد ثم ان عنترة اقبل على عروة وقال له والله يا ابا الابيض انه يجب علينا ان نحذر من اعادينا ما دام الملك قيس تجرد لنا وعول على قتالنا بعد ان فعلت في حقه ما فعلت واذللت له رقاب بني فزارة وكذلك سائر العرب وعاديتهم من اجله بلا سبب وكل ذلك حتى مهدت له الملك وعليت له الرتب وحكمته على سائر ملوك العرب وبعد ذلك يقابلني بهذه المقابلة ويزعم ان يده اليَّ طائلة ولكن دعه يفعل ما يقدر عليه وسوف اعرفه هذا الجنون الذي هو فيه وسوف يندم اذا زلت به القدم ووقع في بحار الخوف والعدم هذا ما كان من عنترة وقصته واما ما كان من الملك قيس واخوته والربيع بن زياد وعصبته فانهم داوموا الولائم وهم في فرح وسرور وكلما اجتمعوا في محفل عظيم يقولون ما اصفى عيشنا بلا ذاك العبد الزنيم والوغد اللئيم هذا والربيع يقول يا ويلكم اما تستحون على انفسكم بهذا المقال الذي تقولونه وماذا بلغ قدر ذلك العبد الخسيس حتى تذكروه كل ساعة وتجعلوا له قدراً وشان وبينهم لاجل الملك قيس سيد بني عبس وعدنان فوحق ذمة العرب والسادات ذوي الرتب لا بد للملك الاسود ملك العربان ان يطلب هذا العبد الخسيس وينزل به التنكيل والتعكيس هذا والملك قيس كلما سمع كلام الربيع بن زياد يقول له يا ربيع اما هلاك عنترة بن شداد فما بقي فيه تاخير ولا ابعاد وقد قرب هلاكه ومماته وانقضت ايامه وحياته وسوف يسر منك الفؤاد

ل عنترة بن شداد وانا لا اترك شيئًا من المجهود الا اعملهُ وسوف اني بما يستحق اقابلهُ
ثم بعد ذلك الخطاب كتب الملك قيس كتاب الى ملاعب الاسنة وعامر بن الطفيل
فارس المهاب يقول فيهِ اما بعد فالذي نعلم بهِ سادات بني عامر والملوك الاكابر اني كنت
في حضرة الملك الاسود وجرى بيننا ذكر عنترة الاسود الزنيم والوغد اللئيم فبلغهُ انهُ نازل
في دياركم وقد أمن على نفسهِ في حيكم وجواركم والتجأ اليكم والقى معولهُ عليكم فحرد عليكم
الملك الاسود لهذا السبب وغضب غاية الغضب وقال هل بلغ من قدر بني عامر هذه الفعال
بان فعلوا معي هذه القبائح وانزلوا عدوي عندهم في ديارهم وامنوهُ في جوارهم وانهُ
اراد ان يدهمكم بالعساكر ويبيد اقصاكم وادناكم ولا يبقي احدًا منكم ولا من قومكم ورفاقكم
ويسبي حريمكم ونساكم فلما رايت الملك قد اشتعلت نار غضبهِ خفت عليكم من شره ونويهِ فنبت
عنكم وتحدثت معهُ في غيبتكم وقلت لهُ ايها الملك الفاضل واللبيب العاقل حاشاك ان تاخذ
البريءَ بالسقيم وتفعل شيئًا غير مستقيمٍ وتهلك بني عامر بغير ذنب وهم لك محبون ولكلامك
سامعون ولدولتك مطيعون فقال لي انهم لو كانوا يسمعون كلامي ويطيعون اوامر احكامي
لما كانوا انزلوا عدوي عنترة في ديارهم ولا امنوهُ في امصارهم فلا بد لي من قلع اثارهم وان
اعرّفهم قدر فعلهم واجازيهم على صنيعهم فقلت لهُ ايها الملك ان هذا الكلام والتلويح
ما هو عن بني عامر صحيح وان كانوا قد اجاروا عنترة عند نزولهِ عليهم فانهم لم يعرفوا
انهُ عدوك ولا وصل هذا الخبر اليهم بانك عليهم غضبان ولو انهم علموا بذلك
الشان لكانوا طردوا عنترة الى ابعد مكان ولو انهم يقدرون عليهِ لقتلوهُ وباسيافهم جندلوهُ
وامسكوهُ وقيدوهُ والى خدمتك ارسلوهُ وانا اريد منكم في ساعة وصول كتابي اليكم ان
قدرتم على عنترة اقتلوهُ او اعملوا عليهِ حيلة وامسكوهُ والى الملك الاسود ارسلوهُ وان لم تفعلوا
ذلك اطردوهُ من اوطانكم واخرجوهُ من ذمامكم قبل ان تبتلوا بشيءٍ لا تطيقونهُ وتبتلون
بما لا تحتملونهُ وقولوا لهُ ان الارض متسعة فارحل عنا وابعد من ارضنا فما لنا حيلة لدى
الملك الاسود ولا نطيق معاداتهُ لاجلك فيكون ذلك لكم اشفي ولعيشكم اصفى والا اضرمت
عليكم نار لا تطفى ولهيب لا يخفى وتعادون مثل الملك الاسود الذي ناره لا تخمد وكذلك
تعادون الملك حصن بن حذيفة الذي لم يزل عدوهُ منهُ في فزع وخيفة وتحوجون الملك
الاسود ان ياتي اليكم بابطال وفرسان فلا يبقي منكم على انسان وربما يقصدكم ببني شيبان
وبني لخم وبني جزام وبعد ذلك فانتم تعلمون اننا احق بهِ من كل من سكن البر الاقفر لانهُ
منا والينا ونحن الذين الحقناه بالحسب وصيرناه في عداد العرب وبعد ذلك ما راعانا

ولا حفظ ذمامنا وانا ما ارسلت لكم هذا الكتاب الا من نوع المحبة والاشفاق فلا تتركوا انفسكم مشتتين في الربى والاكام ويفسد ما بيننا وبينكم من الذمام فارحموا انفسكم فقد نصحناكم والسلام . ثم طوى الكتاب وختمهُ والى بعض فرسانهِ سلمهُ وكان اسم الرسول مناهب فلما ناولهُ الكتاب اقبل عليهِ بالخطاب وقال لهُ ايها الفارس والقرم المداعس اريد ان تسير في هذا الكتاب وتقصد ديار بني عامر وتسلمهُ ليد ملاعب الاسنة وتاتي منهُ بالجواب فلما سمع مناهب كلامهُ قال السمع والطاعة واخذ الكتاب من يد الملك قيس في تلك الساعة ثم ودع قومهُ وجماعتهُ وامتطى ناقتهُ وسار يقطع البراري من غير عاقة وهو يحدو على ظهر تلك الناقة

قال الراوي . هذا ما كان من امر مناهب وما جرى لهُ من الامور الغرائب واما ما كان من عنترة ومن معهُ من رجالهِ الاطايب فانهُ كان من حذره على نفسهِ من الملك قيس ودواهيهِ اخذ يركب كل يوم هو وعروة وولده ميسرة واخوه شيبوب ويبعدون مقدار فرسخ او فرسخين في البراري المقفرة لعلهم يطلعون على حيلة مدبرة وكان عنترة يخلف اعمامهُ في الحي ويسير ويكشف الطرقات من حذره على نفسهِ

قال الراوي . فبينما هو يطوف في البر والسباسب اذ قد لاح لهُ نجيب سائر كانهُ السيل الساكب ومن فوق ذلك النجيب انسان راكب وقد اشرف من صدر ذلك البر عليهِ فلما رآه عنترة قال لعروة يا ابا الابيض أرايت هذا الراكب الذي اتي من صدر البرية فقال نعم وهو راكب مطية فقال عنترة وحق رب البرية ومن شرف الكعبة المضية ما هذه الركبة الا عبسية ولا بد لنا ان نتعرض لهُ حتى نسمع ما يبديه من مقالهِ ونطلع على مقاصده واحوالهِ ونشاهد هذا الفارس ونبصر حتى نامن على انفسنا مما نخاف ونحذر فلما سمع عروة بن الورد ذلك المقال استصوب رايهُ وقال لهُ يا ابا الفوارس افعل ما بدا لك فها انا مطاوعك على افعالك فعند ذلك اطلقا عنانيهما وقوما سنانيهما وساقا جواديهما ولم يزالا سائقين حتى ادركا ذلك الراكب فلما ادركاه صاحا بهِ فاوقفاه فتقدم عنترة اليهِ وقال لهُ من انت ايها السائر في هذه القفار والسباسب ثم حققهُ عنترة فعرفهُ انهُ مناهب فسلم عليهِ وحياه وقال لهُ من اين اقبلت والى اين تريد فاني اراك في هذه البيد وحيداً فريد فقال يا ابا الفوارس وزين المجالس اما قدومي فمن ارض بني عبس التي طابت اصولها نبتًا وغرس واما مقصدي فاني طالب بعض احياء العرب لاجل حاجة لي وسبب فقال لهُ عنترة والى اي الحلل وما هو السبب الذي الجاك الى هذا العمل فقال لهُ اني قاصد حلة بني زبيد من دون العرب ومعي كتاب الى الامير عمر بن معدي كرب وهو من الملك قيس بن زهير ليعلمهُ بما حازه من الخير وعلو

المنزلة فقال له عنترة وكيف حال الملك قيس اليوم فقال له والله يا عنترة ليس في هذه الايام كما تعهده لان الملك الاسود صهره فما بقي يقاومه من ملوك العرب احد وبنو فزارة مقيمون على وداده وصحبته والملوك كلها تحت حكمه وطاعته وهو اليوم ملك الحجاز كلها وبيده عقدها وحلها ولا يضاهيه من العرب احد الا الملك الاسود فلما سمع عنترة وصفه لقيس ومدحه له اغتاظ منه وقال له انزل عندنا يا ابن العم حتى نضيفك وتاكل من طعامنا ونكرمك فقال لا اقدر على هذا العمل لاني من امري على عجل فقال له عنترة يا ابن العم ان كنت لا تنزل عندنا حتى نكرمك فارني هذا الكتاب الذي معك فقال له والله يا عنترة هذا شيء لا يمكنك ان تراه بالعيون وحديثك هذا نوع من انواع الجنون وكيف يجوز لك ان تطلع على اسرار ملوك العرب فلا يمكن هذا السبب فقال له عنترة وقد اطال باله عليه لا وحق ذمة العرب ما بقي لي بد من هذا السبب لان لي فيه مرادًا وارب فقال له مناهب هذا لا تناله ولا ادعك تعلم ما له وكيف ادعك تطلع على سر الملك واحواله وما انت من اقرانه ولا من اشكاله

قال الراوي فلما سمع عنترة مقالة اغتاظ وامتلأ قلبه حنقًا وفاض ورفع يده ولطم مناهب على قمته فغشي عليه من لطمته وقلب عن كور ناقته وقال له دع عنك الفشار يا اخس العرب انظنني اهاب الملك قيسًا او عمرو بن معدي ثم ضرب يده الى مزوده واخذ الكتاب منه واعطاه الى عروة ففك ختمه وقراه واطلع عنترة على معناه فلما فهم ما فيه وتبين الفاظه ومعانيه اخذ الكتاب من يد عروة ورماه الى مناهب وقال يا مناهب خذ كتابك واذهب الى صاحبك فقد خابت مطالبه ومطالبك فعند ذلك سار وهو لا يصدق بالنجاة من المعاطب فعند ذلك اقبل عنترة على عروة وقال له يا ابا الابيض لقد صدق ورقا فيما قال وانه نصحنا بالمقال والفعال وبعد ذلك فلا بد لي على كل حال وحق من ارسى شوامخ الجبال ان اشن الغارة على بني عبس واخذ ما لها من الاموال واهدم بناء منزلتها كما شيدتها وعليتها واحرمهم الراحة والمنام والهناء لانهم بالغوا في العداوة والبغضاء فلما سمع عروة ما ابداه من كلامه تعجب من قوة عزمه واهتمامه وقال له يا ابا الفوارس أتنهب اموال بني عمك لاجل هذا السبب فقال اي وحق ذمة العرب لا بد لي من المسير الى اطلالهم ونهب نوقهم وجمالهم وابصر ان كان الملك الاسود ينفعهم اذا انزلت بهم البائقة واجعلها معهم عداوة صادقة فقال عروة الامر اليك وانا ومالي وروحي بين يديك ولا ابخل انا ورجالي بشيء عليك فقال له عنترة عد بنا الى الحي حتى ندبر امرنا قبل كل شيء ونلبس آلة الحرب ونعتد للطعن والضرب فعند ذلك عادا الى البيوت وعنترة من الغبن والغيظ كاد ان يموت ثم انه احضر سائر اعمامه

ومن يعلم انهُ من اعيان فرسانهِ واقوامهِ ارباب الراي والمشورة واصحاب الشجاعة والمقدرة وكانت الاعيان منهم اعمامه ومن يعلم عنترة انهُ يقوم مقامهُ فلما اكتملوا في حضرتهِ وصاروا بين يديه وفي خدمتهِ اقبل عليهم بالمقال واخبرهم بجميع ماجرى من الحال وبما عزم ان يفعلهُ مع بني عبس من الفعال ثم انهُ اوصى فرسانه والاجناد وجميع آل قراد باليقظة وترك الرقاد واقبل على عمهِ مالك واخيهِ زخمة الجواد واوصاهما وقال لهما اذا استدعاكما ملاعب الاسنة او عامر بن الطفيل وكلمكما بكلام احفظاه على التمام ودافعا عنكما بالتي هي احسن من المقال وقولا لمن يخاطبكما اذا جاء عنتر اعلمناه بالخبر والحال ثم ان عنترة لبس آلة الحرب والقتال وكذلك عروة بن الورد ومن معهُ من الرجال وخرجوا من الابيات كانهم السباع الضاريات وساروا في الطريق وعنترة في قلبهِ من الملك قيس نار الحريق فعند ذلك اقبل عليه عروة وقال لهُ يا ابا الفوارس اراك توصي اعمامك بشيء ما علمت معناه وما الذي تحذره من ملاعب الاسنة وعامر بن الطفيل وتخشاه فقال لهُ اعلم يا ابن العم ان الكتاب الذي وصل اليهم مفكوك الختام فلا بد لهم من سوال الرسول عن ذلك الحال فاذا سالوه يخبرهم بخبري ويقص عليهم امري ويشكوني اليهم لاني نازل عليهم وانا اعلم انهُ يصعب عليهم اذا سمعوا ذلك عني ويكرهون ذلك مني واذا سمعوا بغيبتي وسفرتي حكوا ما في انفسهم لاعمامي واظهروا ذلك عند غيبتي . فلما سمع عروة ذلك المقال علم ان كل ما قالهُ عنترة صواب وان هذا الراي والتدبير لا يعاب فقال لهُ لله درك من اسد كسور وليث جسور ما ادراك بعواقب الامور وبعد ذلك سار بمن معهُ من الابطال والفرسان يقطع البراري والقيعان طالبين ديار بني عبس وعدنان وعنترة بين ايديهم كانهُ الاسد الغضبان او النمر الحردان وهو ينشد ويقول

يا عبل كم لاقيتُ فيكِ اهانة ... واهنتُ نفسي عند كل همامِ
واليوم قد شابت مفارق لمتي ... بعد السواد وكان مثل ظلام
كم فارسٍ عممتهُ بمهندي ... وتركتهُ جذرًا بحد حسامي
تتناشهُ العقبانُ من جو الفلا ... والطير تخطفهُ مع الارخامِ
يا آل عبسٍ بئسما جازيتموا ... افعال ليثٍ فارسٍ مقدامِ
انسيتمُ طيًا وقد دارت بكم ... من كل قرم باسلٍ ضرغامِ
عهدي بكم ما بين ماضٍ في الفلا ... وهزيمكم يبكي على الاقدامِ
فرددت ضدكمُ بضرب قاطع ... بمهندٍ ماضي الحديدة ضامِ
يا قيس ان البغي يهلك اهلهُ ... لا تلبسنهُ وعد الى الاكرام

فستندمن اذا تشاجرت القنا والخيل من فيض النجيع دوام
انسيت فعلي والرماح تنوشكم وعويل نسوتكم بذل مقام
كسروا العشيرة والرماح شواجر والخيل من كرب الحروب ظوام
فكشفت كربتكم وصنت حريمكم ورددتهن بفيصل صمصام
اني لعنترة الفوارس في الوغى ولدى الندى والبذل بحر طام

قال الراوي فلما فرغ من شعره عنتر طرب منهٔ عروة بن الورد وسائر من حضر وقالوا لهٔ لافض فوك ولا كان من يشنوك واطال الله بقاك ومتعنا بطول عمرك وحياك ورتعت احبتك في حماك لانك فارس الفرسان وفريد العصر والاوان ثم انهم لم يزالوا سائرين في جد ومكابدة حتى بقي بينهم وبين بني عبس ليلة واحدة وظلوا مجدين تلك الليلة تحت ظلام الاعتكار حتى صبحوا ديار بني عبس عند طلوع النهار فعند ذلك كمنوا في موضع يسترهم عن العين وصبروا حتى سرحت اموال بني عبس وابعدت مقدار فرسخين فعند ذلك خرج عنترة الفارس الريبال ومن معهٔ من الرجال واغاروا عليهم وساقوا ذلك المال وطردوا النوق والجمال وابلوا العبيد بالذل والخبال فلما رات العبيد تلك الحال وانهم ساقوا النوق والجمال والغنائم والاموال ركنوا الى الفرار وطلبوا الديار وهم على وجوههم ضاربون واعلموا بني عبس الكبير منهم والصغير والعبد والامير بان الاموال انتهبت والنوق والجمال انساقت وابعدت الا ان الخبر ما وصل الى الحلة ووقع الصارخ الا وعنترة واصحابهٔ صاروا عنهم في بعد ستة فراسخ ولما وقع الصياح في الحلة ركبت الفرسان من غير مهلة وسارت الابطال على عجلة فقال الملك قيس ويلكم ما الخبر وماهذا الصياح المنكر وما للخيل ركبت تطلب البر الاقفر فقالت الابطال من بني عبس الاماجيد ايها الملك الصنديد ان العبيد والرعيان اخبرونا ان بني مراد وبني خثعم ابتلتنا باسوإ حال فانها ساقت ما لدينا من الخيول والجمال واخذوا جميع الاموال وقتلوا جماعة من الرعيان والعبيد وساقوا الباقين قدامهم السوق الشديد وكان عنترة وبنو عبس لما اغاروا على الاموال وساقوا تلك النوق والجمال غيروا زيهم وانتموا الى غير قبيلتهم وصاحوا يالخثعم يالمراد واوهموا العبيد انهم من عربان تلك البلاد الا ان قيساً لما سمع من العبيد ذلك المقال قال لهم ياويلكم وهذه الخيول التي اغارت عليكم وساقت الاموال كم يكونون من الابطال فقالوا ليس هم اكثر من مائة فارس لمن يعاين ويقايس الا انهم اسود عوابس كانهم الجن والابالس

قال الراوي فلما سمع الملك قيس من العبيد ذلك الكلام قال لهم يا ويلكم ما هذه المائة الفارس التي ابلت هذه الاقوام بالذل والوساوس ثم انه نادى الخيل يا اربابها ففي الحال صاروا على ظهور الخيول الصواهل واعتدوا بالقنا والذوابل وكان الملك قيس قد افرغ عليه الحديد والزرد النضيد وفعلت كذلك ساير اخوته وركب الربيع في ابطال عشيرته وركب عماره وقد اكثر هذيانه وفشاره

ثم انهم ساروا في خمسمائة فارس وصارت العبيد بين ايديهم وعمارة مشغلٌ بفتل سباله وهو يهز رمحه بشماله ويقول لبني عبس متى ارى هولاء الانذال الذين ساقوا النوق والجمال وفعلوا هذه الفعال حتى اريكم كيف افعل بهم في المجال لانني حامية بني عبس وبني زياد وفارس الحرب والجلاد فصاروا يضحكون من مقاله ويتعجبون من فعاله ولم يزالوا سائرين بالهمم المسرعة حتى وصلوا الى موضع المعمعة ومن هناك اخذوا موضع اثر السرح والمال واقتفوا اثار الخيل والجمال ولم يزالوا سائرين في ذلك البر الاقفر والمهمه الاغبر حتى ولى النهار وادبر فعند ذلك غاب عنهم الاثر وساروا على غير الطريق الذي سار فيه عنتر وقد اظلم الليل عليهم واعتكر

قال الراوي ولم يزالوا سائرين على غرر الى ان طلع الصباح وانجر فرأوا انفسهم عن الطريق تائهين فصاروا في امرهم حائرين لانهم اصبحوا في بر اقفر ومهمه اغبر يضل فيه الدليل فعند ذلك وقفوا وبهتوا في تلك الروابي والاكام وهم في شديد الارتباك والاوهام ورجعوا على انفسهم بالملام لانهم ساروا في جنح الظلام فقالوا والله ليست هذه الطريق التي سار العدو فيها واظنهم لم يطأوا سهولها ولا روابيها الان ليس لهم اثر في ناحية من نواحيها فمن الراي ان نعود الى الديار والا حل بنا الهلاك والدمار ثم انهم رجعوا الى ديارهم وقد اخذت اموالهم وسيقت نوقهم وجمالهم وقاسوا تلك الشدة الزائدة ورجعوا بلا فائدة فلما نظر ورقا ابن الملك زهير ذلك الحال زاد به الغيظ وحل به الخبال وقال والله ان كل ما جرى علينا ما كان الا لغيبة عنترة عنا فانا خائف من العرب ان تنهبنا وتاكلنا لانها علمت بفساد حالنا مع عنترة وانه قد حنق منا وما بقي لنا عيش لذيذ ما دام بعيداً عنا هذا ما جرى لهولاء من الامور الكبائر واما ما كان من امر الرسول الذي ارسلة الملك قيس الى بني عامر فانه سار وهو كظيم حتى وصل الى بئر معاوية وماء النظيم فلما وصل الابيات نزل عن ناقته وقصد ملاعب الاسنة وهو جالس بين سادات عشيرته فحياهم باحسن خطاب وتقدم واعطى ملاعب الاسنة ذلك الكتاب

قال الراوي . فلما صار الكتاب في يده اراد ان يعرف ما فيهِ من الكلام فرآه مفكوك الختام والرسول وارم الوجه والرقبة من شدة تلك اللطمة والضربة . فسألوه عن حالهِ فحدثهم بما جرى لهُ وقال لهم يا وجوه العرب التقاني عنترة الريبال وانا قاصد هذه الديار والاطلال فقرأ هذا الكتاب وفعل بي هذه الفعال فلما سمعت بنو عامر المقال صعب عليهم الحال . ثم فتحوا الكتاب وقراوه وفهموا ما فيهِ وتمعنوه فعند ذلك قال عامر بن الطفيل يابني عمي الراي اننا ننظر في هذا الامر وتدبيره ولا نكتم خبر هذا الكتاب عن عنترة بعدما علم بهِ و باسبابه وانتم تعلمون خطأ هذا الامر من صوابهِ وتعرفون ان عنترة لا يبالي بالملك الاسود ولا بمن معهُ من العربان ولا بقيس ولا بكسرى انوشروان والان فهو نزيلكم وقد لجأ اليكم وليس من الواجب ان تخلوا عنهُ وتفسدوا ما بينكم و بينهُ فيجري عليكم مثل ماجرى على غيركم فالرأي عندي ان تكتبوا الى قيس من هذه الساعة هكذا اننا قد اجبناك ايها الملك الى ما تريد من غير مشاقة ولا تفنيد ومن اجلك نبعده ومن ارضنا نطرده ولا نعود اليهِ ولا نقربهُ فان كان مرادك ان تطلبهُ فاطلبهُ وبعد ارسال هذا الجواب والخبر نتفق كلنا ونكون مع عنتر فنرحل لرحيلهِ ونتزل لنزولهِ لانهُ والله ماخاب من كان عنترة صديقهُ وخليلهُ ومثلهُ من يوءخذ صديقًا وصاحبًا ورفيقًا لانهُ ينفع عند الشدائـد ولا يقف امامهُ عدو ولا معاند فلما سمعت فرسان بني عامر كلامهُ استصوبوا ما لهُ واستجادوا رايهُ ومقالهُ وقالوا والله ان عنترة صديقنا وهو عدتنا عند ضيقنا وانهُ اعز عندنا من غيره وكلنا نرحل لرحيلهِ وننزل لنزولهِ ونسير لسيره لانهُ يرعى حق الصديق و ينفع الصاحب والرفيق و يرتجى في كل شدة وضيق ثم انهم بعد تلك الاسباب كتبوا الى الملك قيس الجواب يقولون فيهِ ايها الملك قد وصلنا كتابك وفهمنا خطابك واجبناك الى ما تريد من غير تخويف ولا تهديد واما قولكم اطردوا عنترة عنكم وابعدوه من بينكم والا صنعت بكم وفعلت بكم وان قدرتم ان تمسكوه بالحيلة فقيدوه وارسلوه فهذا ليس من شيمنا لان الغدر لا يفعلهُ الا كل جبان ونذل مهان واما قولك لنا اطردوه ومن ارضكم ابعدوه فان الرجل ما هو نازل عندنا ولا مقيم في ديارنا بل نازل بعيدًا منا وقد جعل لنفسهِ حلة وفريق وهو بعيد مقدار فرسخين عن الطريق فلو قلنا لهُ ارحل لاحتج علينا بالكلام واخذنا بالملام وقال ما هذا الكلام الذي تقولونهُ وكيف ترحلوني من مكانٍ لا تملكونهُ و بعد ذلك فهو نازل على بئر معاوية وماء النظيم فان كنت ايها الملك طالبًا حربهُ ولقاه فدونك اياه فنحن لا يمكننا ان ندخل بينهُ و بينك لانهُ ابن عمك وانت اخبر بهِ من غيرك ونحن لا يمكننا ان ندخل بينكما

الا بالخير ولا يصلكما منا اذى ولا ضير ولا نكون معك ولا معهُ ولا نتبعك ولا نتبعهُ فافعلا ما شئتما واعملا كيفما هويتما . ثم انهم جهزوا الرسول الذي اتاهم بالكتاب واعطوه ذلك الجواب فسار ليلاً ونهار حتى وصل الى الديار فوجد بني عبس في اشأم حال لما نالهم من فقد الاموال والذل والخبال ثم انهُ دخل على الملك قيس وقبل يديه ورفع الكتاب اليهِ فلم تكن الا ساعة حتى اجتمع الجماعة فامر بقرآءة الكتاب عليهم حتى يسمعوا ما فيهِ ويطلعوا على معانيهِ فقرئ عليهم ذلك الكتاب وعلموا ما فيهِ من الجواب فقال الربيع وحق اللات والعزى ان دلائل النفاق على جواب ملاعب الاسنة شاهدة وكلهُ من الخداع الذي هو فيهِ والمعاندة فمن يكون عنترة حتى لم يمكنهُ القبض عليهِ ألا يعلم ان الناس ما كانت تهابهُ الا لما كان عندنا لاننا نحن رفعنا قدره وعظمناه وشهرنا صيتهُ ورفعناه فلو اراد ملاعب الاسنة لقبض عليهِ وان تكلم اوصل الاذية اليهِ فلما سمع الملك قيس كلام الربيع علم ان ملاعب الاسنة لايقدر على ذلك الصنيع ثم اقبل على الرسول وقال لهُ ما عندك من اخبار عنتر واين هو نازل من البر الاقفر فحدثهُ الرسول بجميع الاسباب وكيف لاقاه عنترة واخذ منهُ الكتاب وكيف لطمهُ على رقبتهِ حتى كاد يسقيهِ كاس منيتهِ ثم حدثهُ بالحديث الذي جرى من اولهِ الى اخره واطلعهُ على باطن الامر وظاهره

قال الراوي فلما سمع الملك قيس من مناهب هذا المقال صعبت عليهِ تلك الفعال وقال والله ان هذا العبد كثر شرهُ وقلَّ خيره وفعل فعالاً لم يفعلها احدٌ غيره فقال الربيع اعلم ياملك ان الايام بالانسان غوادر فيجب علينا ان نكون على حذر من بني عامر لانهم ربما يساعدون عنترة علينا ويوصلون اذاهم الينا لانهم يحبونهُ وعلينا يفضلونهُ واذا اتفق واياهم علينا يوصلون المضرة الينا فلما سمع الملك قيس كلام الربيع قال لهُ لقد اصبت في هذا التحذير الشديد وابديت امراً ليس عن الوقوع ببعيد فاني اقسم بذمة العرب وشهر رجب لئن اتحد بنو عامر مع عنتر يقلعون منا الاثر وتمسي عبرة لمن اعتبر فدعنا الان نتدبر امورنا أما علمت ما أُخذ لنا من الاموال وما فعل بنا الاعداء من الفعال فانهم اساءوا حالنا وساقوا نوقنا وجمالنا وقد نفد مني شيءٌ كثير وأُخذت النوق العصافير التي انفذها الملك الاسود مهراً لاختي المتجردة . فقلت حيلتي وعيل صبري واضطربت افكاري وحرت في امري فلما سمعت بنو عبس مقالهُ قالوا لهُ انت ملك الزمان ويهمك هذا الشان وتغتم لفقد نوق العصافير والفضة والدنانير وانت مالك رقابنا وعلينا امير فاذا نقول نحن الفقراء الصعاليك والعبيد المماليك وقد بدا لك حالنا وعلمت ما نالنا فقد أُخذت جميع اموالنا ونهبت نوقنا وجمالنا

فلما سمع الملك قيس مقالهم رق قلبه لشكواهم وما نالهم وقال لهم يا بني الاعمام وماذا اقول لكم واية حيلة في يدي فاني لا اعلم الغيب حتى اعرف من اخذ اموالكم فالامر للرب القديم الذي هو بجميع الاحوال عليم

قال الراوي فلما سمع الربيع كلام الملك قيس وما اليه اشار زادت به الوساوس واشتعل في قلبه لهيب النار وقال وحق الكعبة الغرا وابي قبيس وحرى ايها الملك الرئبال ما تهجم علينا وفعل بنا هذا الفعل المنكر الا ذلك الاسود عنتر الذي لا يحمد على فعله ولا يشكر وقد فعل معي فيما سبق مثل هذه الفعال حينما كنت عائداً من عند الملك النعمان وجعل نفسه من بني شيبان . فلما سمع الملك قيس كلام الربيع قال ويحكم يا بني زياد انتم اصل هذه الفتنة والفساد وسبب هذه المحنة والعناد وتقولون هذه المقالات وتتهمون عنترة بالمآثم والزلات كلما رايتموه غاب عن الابيات يا ويلكم بالامس خلص اموالنا من الاسد الرهيص وكان على خلاصها حريص فيرجع اليوم ياخذها ويبدل صفو عيشنا بتنغيص فلما سمع الربيع كلام قيس ضحك وتبسم وقال نعم ايها الملك يوصل اذاه الينا و ياخذ اموالنا من ايدينا لانه اليوم مغتاظ علينا غير آمن من جانبنا لاننا قد طردناه وعن دياره ابعدناه واردنا ان نمسكه ونسلمه الى اعداه . فلما سمع الملك قيس ما اليه اشار داخله الشك بما سمع من الاخبار واطال هدسه والافتكار وقال للربيع ربما يكون ما ذكرته صحيح ولكن سوف يبان لنا ذلك التلويح فان كان الامر كما ابديت من المقال فنحن نرسل من بني عبس الابطال خمسة رجال ونامرهم بان يقصدوا تلك الاطلال و يشرفوا على مراعي عنترة وما له من الاموال و يكشفوا لنا اخبار نوقنا والجمال و يجتهدوا بان يخفوا انفسهم حتى لا يراهم احد ويعرفهم ثم ان الملك قيساً استدعى بخمسة فوارس من بني عبس الاشاوس وقال لهم اريد منكم ان تسيروا في كتمان حال وتستقصوا الاخبار وتشرفوا على بئر معاوية وماء النظيم وتنظروا مراعي عنتر وتكشفوا لنا صحة الخبر وتنظروا لنا الاحوال وتشاهدوا الخيول والمال ولا ترجعوا الا بالخبر اليقين حتى نعلم الامر والحال المستبين فقالوا السمع والطاعة يا ملك الزمان فها نحن سائرون الى تلك القيعان وسناتيك بالاخبار الاكيدة التي هي لقلبك مريحة ولك مفيدة . ثم ودعوا الملك قيساً وركبوا خيولهم وساروا طالبين ارض بني عامر فرحين لما انهم الى عنترة الفرسان راحلين فقال بعضهم لبعض اذا لم نجد عند عنترة شيئاً من هذه الاخبار دخلنا اليه وسلمنا عليه واعلمناه باحوالنا وانبأناه بما نالنا من اخذ اموالنا فلعله اذا نظر الى حالنا وشاهد ما تم علينا وجرى لنا ينعم علينا بشيء من ماله و يعطينا بعض نوقه

وجمالولانهُ يحب بني عبس ما اظلم الظلام وطلعت الشمس فقالوا نعم هذا هو الصواب والامر الذي لا يعاب ثم انهم تبطنوا البر وساروا السير المتواتر في النهار والظلام العاكر حتى وصلوا الى ارض بني عامر

قال الراوي . هذا ما كان من هولاء وتدبروا ما كان من ابي الفوارس عنتر فانهُ لما ساق الاموال واخذ من بني عبس النوق والجمال وتركهم بانحس حال عاد يطوي البراري والتلال والهامه والجبال وهو مجدٌّ في مسيره على حالة الاعجال والعبيد تسوق النوق والجمال والخيول العوال يقطعون البر والحواجز طالبين ديار بني عامر ولم يزالوا مجدين في السفر وشيبوب يخالف بهم الاثر حتى لا يعلم بنو عبس على اي طريق ساروا فيلحقوهم ولم يزل بالقوم سائر حتى وصل الى ديار بني عامر فلما وصل القادمون التقاهم المقيمون وتبادلت بينهم الافراح واصبحوا في سرور وانشراح

الكتاب الثامن والعشرون بعد المائة

من سيرة عنترة بن شداد العبسي

ورأى بنو عامر مع عنترة اموالاً تسد البيدا وتملأ المستوى فحاروا من تلك الاموال واندهشوا من كثرة النوق والجمال ثم ان عنترة نزل في ابياتهِ واعطى تلك النياق لرعاته فكثرت اموالهُ وخيراته وفرحت عبلة بقدومه واقام بين اهلهِ وقومه وعمل الولائم وبذل ما استطاع من المكارم ومدحتهُ الشعراء وقصدتهُ الكبراء واقام اربعة ايام في انعم بال واحسن حال فلما كان اليوم الخامس اقبل على عروة بن الورد وقال لهُ يا ابا الابيض يجب علينا ان نحذر من المناصب والمكائد لان العرب قد رمتنا من قوس واحد وما منهم الا من هو لنا ضد ومعاند وان لم ناخذ حذرنا والا حلت بنا الخسارة ووصلت الينا الاذية من اعز الناس علينا في البرية لانهُ يجب على الانسان ان يعرف العدو من الصديق وسوف يبان لنا هذا الحال على التحقيق لان الملك قيس بن زهير قد جاهرنا بالعداوة وصالح بني فزارة وان قدر علينا لا يعف عنا وهذا قصده اما بنو عامر الذين نزلنا عندهم وركنا اليهم فاني اراهم بعين البصيرة كارهين جوارنا واظن انهم يتخلون عنا ويتركوننا وشاننا والدليل على ذلك انهم قرأوا الكتاب وما فيهِ من الخطاب ولم يعلمونا بامره ولا اطلعونا على خبره مع علمهم اننا قرأناهُ وفهمنا معناه فكتموا علينا هذه الاسباب والعرب عادونا من كل

جانب وما بقي لنا من الراي الصواب والامر الذي لا يعاب الا ان نرحل من هذه الاطلال ونتخذ لنا بعض الجبال ونحصن الاموال والعيال ونتجرد بعد هذا الحال لكل من عادانا من الملوك والاقيال وسائر الابطال وكل من تطلع عليهِ الشمس والهلال ونقابل كل احد بما يستحقهُ وسيظهر لنا من كل شيء خافيه ويتبين لنا كل حال ومعانيه فلما سمع عروة من عنتر ذلك الخبر وما اشار اليهِ صعب عليهِ وكبر لديهِ وقال والله يا ابا الفوارس لقد غيرك الكبر وما عليك من السنين قد عبر ويجب عليك ان تدبر امرك وامرنا معك لاننا كلنا لا نخالف لك مقال ونساعدك على ما تريد من الفعال لان الاسود قد طلبك وقصده ان يوجه اليك شره والعرب باجمعها جمعت عليك وما بقي احد منهم الا ويريد ايصال الاذية اليك ويطلب قتالك وحربك ونزالك وانت معول على ان ترمينا في بحر زاخر لا يعرف لهُ اول من اخر ونخاف ان تهلك وتهلكنا معك لاننا في كل الامور والاحوال نتبعك فلما سمع عنترة من عروة هذا المقال قال يا ابا الابيض انا اعلم بهذا الحال واخبر بما قلت من كل انسان فان كنت يا ابن العم ممن عاداني من العرب فزعان وبعد ان كنت شجاعًا صرت جبان فامض الى بني عبس وعدنان من قبل هذا الشان فهم اولاد عمك يقبلونك ويعزونك ويكرمونك ويحترمونك وانا اعذرك وفي هذا الامر اسامحك ولا احملك ما لا تقدر عليهِ وما لا تطيق فلا ترى نفسك في بحر عميق وانت نعم الصاحب والخل والرفيق وبعد هذا فانا اعلم انك ضجرت من مصاحبتي ومللت من مرافقتي فامض الى قومك ودعني انا في جماعتي فلما سمع عروة من عنترة ما اليهِ اشار علم انهُ اغتاظ من مقالهِ وصعبت عليهِ تقلبات احوالهِ فاقبل عليهِ من وقتهِ وساعتهِ وقبل يديهِ وقال لهُ وحق البيت الحرام وزمزم والمقام اني ما قلت هذا الكلام عجزًا من الحرب ولا مخافة من الطعن والضرب انما قلت ذلك من شفقتي عليك لاني اصبحت منك واليك وحياتي مقرونة بحياتك واوقاتي دائمة ما دامت اوقاتك وصحتي بعافيتك مقرونة وسعادتي بسعادتك مصونة اتظن يا ابا الفوارس اني اقدر ان اعيش بعدك يومًا واحدًا او اطمئن اذا لم تكن ناظرًا اليَّ وشاهدًا فان كنت الحية فانا راسها وان كنت الدعامة فانا اساسها وان كنت البحر فانا الحوت ومتى فارقتك اموت فلما سمع عنترة منهُ هذا الكلام ابدى الابتسام وقال لهُ يا ابا الابيض لا تخف من احد فوحق الرب الذي يعبد لا ابالي بالملك الاسود ولا بمن جمع وحشد ولا اخاف من وعيده ووعده ولا احسب حساب ابطاله وجنده ولا اختشي من العرب والعجم ولا من سائر الامم ولست اخاف من بني عبس ولا من كل من طلعت عليه الشمس فاذا كان

الرجل سعيد نال كلما يشتهي و يريد وإذا كان العمر والاجل قد دنا فلا برده السيف ولا القنا ومن القى روحه في المصائب وتلقى بصدرهِ النوائب ان سلم بلغ اعلى المراتب وان قتل تحدثت بفعالهِ الاعارب واما انا فلا بد لي ان اجعل بلاد الملك الاسود قفاراً خراب ينعق فيها البوم والغراب واتركهم يستغيثون مني بكسرى انوشروان كما استغاث من قبلهم الملك النعمان وان تعرض لي كسرى انوشروان خربت على راسهِ الايوان ونهبت جميع رساتيقهِ والبلدان واترك السرايا من رجالي والفرسان تقصد اقصى خراسان واترك العجم والديلم لا يقرون في مكان فان بأسي شديد وطالعي سعيد ولم يزل اعداي في ذل وهوان من خوف سيفي والسنان ولا تظن ياابا الابيض اني عجزت لكبري عن الحرب والطعان او ملتقى الشجعان فوحق الرب القديم اني القاهم وحدي واكسرهم بقوة ساعدي وزندي ولا اطلب مساعداً ومعيناً الا ربي الاكبر وسيفي الضامي الابتر وجوادي الابجر

قال الراوي فلما سمع عروة منه ذلك المقال حل بهِ الانذهال فبينما هما على ذلك الحال واذ اقبلت عليهما جماعـة من الرجال وهم اهل الفضل والماثر والملوك الاكابر سادات بني عامر مثل ملاعب الاسنة فارس الخيل وعلقمة بن علاقة وعامر بن الطفيل ومعهم الملك الغضنفر والاسد القسور الاحوص بن جعفر فعند ذلك وثب اليهم عروة بن الورد وعنتر وبنو عبس الغرر وتلقوهم بالاكرام وانزلوهم في المضارب والخيام ولما استقربهم المقام اتوهم بالطعام ووقفوا حواليهم وفرحوا بقدومهم اليهم ولما فرغوا من اكل الطعام وشرب المدام جلسوا للمشورة والكلام فاقبل الاحوص بن جعفر على عنتر وقال لهُ ياابا الفوارس لا يخامر قلبك شيءٌ من الوساوس لما انا لم نعلمك بما حرره الملك لنا في كتابهِ ولا بما جاء في خطابه ولا تظن اننا جزعنا من هذيانهِ وشقشقة لسانهِ وتوعده بان الملك الاسود يسير الينا بجنده واعوانهِ او اننا نرفض جوارك لهذا السبب لا وذمة العرب وشهر رجب والرب الذي اذا طلب غلب لا تخلينا عنك ولو ذهبت ارواحنا واموالنا وقلعت اصولنا وفروعنا وامحت اثارنا فان انت اقمت اقمنا وان رحلت رحلنا وان حاربت حاربنا وان صالحت صالحنا ولنا مالك وعلينا ما عليك ونحن مذ الان امرنا اليك فشكرهم عنترة واثنى عليهم وقال لهم ياسادات العرب لابد لنا ان ندبر امرنا ونرحل من هذا البر والسبسب قبل ان ياتينا الطلب ويدركنا الاسود ومن معهُ من العرب فربما يؤذي بعض الرجال وينزل بهم العطب وتسبى العيال وينهب المال فمن الراي ان نرحل من هذا المكان ونقترب من الحيرة وندع اموالنا والعيال في مكان نامن عليهم من النوائب ونجعلهم في جبال خشاخش والتناصب

ونقيم عندهم منا ومنكم من يحفظهم وتطمئن قلوبنا وقلوبكم وبعد ذلك نتجرد لقتال كل من يعادينا من العربان ومن ملوك الزمان وكل من قصدنا صرمنا عمره بالسيف والسنان وسقيناه كاس الهوان فقالت سادات بني عامر نعم ما اشرت فنحن لك وبين يديك والامر كله اليك ففرح بمقالهم وشكرهم على فعالهم وقال لهم ان كنتم تسيرون على ما عزمنا عليه فانفذوا عبيدكم يحملون المال ويسيرون بالعيال فقالوا نحن لكلامك سامعون ولامرك مطيعون ثم امروا العبيد بان يسيروا الى حلل بني عامر وغنى وكلاب ويخبروهم بهذه الاسباب فسارت العبيد واخبرت الرجال ونادوا بالقوم للارتحال واما عنترة فانه امر عبيده من ساعته بهدم خيامه ومضاربه وفعلت كذلك اعمامه وسائر بني عبس وجميع اقاربه وحملوا الاظعان على ظهور الجمال وساقت الرعاة الاموال وجدوا في الارتحال وجعل عنترة يحثهم على المسير والجد والتشمير وسار في ركابه ما يزيد عن خمسماية فارس ليوث عوابس ومعهم اموال يكل عن وصفها اللسان وقد سدت بكثرتها البراري والقيعان وملأت تلك الارض في الطول والعرض وساروا طالبين ارض العراق وبدر الدولتين عنترة بن شداد قدام الفرسان كانه طود من الاطواد وحوله سادات بني عامر الاجواد مثل عامر بن الطفيل وملاعب الاسنة وعلقمة بن علاقة والاخوص بن جعفر ومروان بن سراقة واما فرسان عبس فانهم كانوا سائرين مع الساقة لحفظ العيال مثل مالك بن قراد واخيه زخمة الجواد وعمرو اخي عبلة وعروة ورجاله وميسرة وسبيع اليمن بن مقري الوحش ومازن بن شداد وسابق ولاحق ابناء عبلة والكل سائرون خلف ابي الاشبال فارس الطراد الامير عنترة ابن شداد طالبين ناحية العراق وتلك الوهاد

هذا ما كان منهم واما ما كان من الخمسة الفوارس الذين ارسلهم قيس ليكشفوا له خبر عنترة ويبصروا ان كانت اموالهم مع امواله او كان هو الذي كبسهم او غيره فانهم لم يزالوا سائرين السير المتواتر حتى وصلوا الى ارض بني عامر فوجدوها خالية الجنبات موحشة العرصات ليس فيها انيس ولا سمير بل رأوا فيها بعض عجائز وشيوخ قد تخلفوا في الديار اذ لا همة لهم للمسير فتقدموا اليهم وسألوهم عن اهاليهم فقالوا لهم انهم ساروا مذ يومين الى ناحية ارض العراق فاستشار الفوارس بعضهم البعض وعولوا ان يتبعوهم الى تلك الارض وقالوا لابد ان نلحقهم على كل حال لانهم يسيرون على مهل لاجل المال والعيال ثم ساروا وشرعوا يقطعون البر الاقفر حتى لحقوا ببني عامر وعنتر واشرفوا على المال والنوق والجمال فراوها قد ملأت الارض في الطول والعرض ونظروا اموالهم واموال بني عمهم ونوق الملك

قيس العصافير بة سائرة امامهم فقالوا لبعضهم ان الذي جئنا بسببهِ عرفناه فعودوا بنا راجعين ثم انهم هموا بالرجوع واذا بعنترة قد غشاهم فلم يجدوا مهرباً من يديهِ فاتوا اليه وسلموا عليهِ بعد ما ترجلوا عن الدواب وقبلوا اقدامهُ في الركاب فقال لهم اهلاً وسهلاً ببني الاعمام ومن لا اشتهي ان ارى بهم هماً وارغام فمن اين انتم واردون والى اين تقصدون فقالوا يا ابا الفوارس اننا اتينا من الحلة ندور عليك ونحن قاصدون اليك لاننا لما انساقت اموالنا واموال الملك قيس وركب قيس ورآهم وعاد بالحرمان قال له الربيع بن زياد ما اخذ الاموال الا عنترة بن شداد فارسلنا وراءك نكشف له الخبر ونعود على الاثر وها نحن اتينا اليك ووجدنا الاموال بين يديك

قال الراوي فلما سمع عنترة مقالهم قال لهم انا الذي اخذت الاموال وفعلت تلك الفعال ولا ابالي باحد ولا اخاف من قيس ولا من الملك الاسود فقولوا لقيس ان يجهد جهده ويطبخ احمض ما عنده فلما سمعوا تلك المقالة عولوا ان يسالوه رد اموالهم فقالوا له يا ابا الفوارس والله انك اوحشتنا لانك كنت تحمينا وترد عنا من يناوينا وما اخذت اموال الملك قيس وبني زياد الا لما اكثر واعليك البغي والعناد وانت والله بريء من الفساد وقد اخذت اموالنا بجريرتهم فاحترقنا بنارهم وبقينا فقراء صعاليك لا نملك شيئاً من المال وانت تعلم اننا اضعف الناس حالاً واقلهم مالاً قال فلما سمع عنترة مقالهم رق قلبهُ ورثي لهم وقال لهم دونكم اموالكم فخذوها بارك الله لكم فيها وليأخذ كل واحد منكم من مالي مائة بعير ففرحوا بذلك الشان وشكروه على هذا الاحسان ودعوا له واثنوا عليهِ وقبلوا يديهِ واستردوا اموالهم واخذ كل واحد مائة ناقة فوقها ورجعوا طالبين الاطلال وعنترة يقول لهم اخبروا الملك قيساً اني اخذت الاموال وها انا سائر الى صهره الذي انتصر لهُ وسوف تصلهُ اخبار خراب دياره واطلاله وامصارهِ ثم انهم ساروا يقطعون القفار وقد فرحوا برد اموالهم الى ان وصلوا الى الديار فلما نظرت بنو عبس تلك الاموال اخذهم الانذهال وقالوا لهم يا بني عمنا هل وقعتم على مكسب او نهبتم بعض حلل العرب فقالوا هذه والله اموالنا استرددناها ممن اخذها برضاه وردها لنا فوق الرضا وقال هذه تكرمت بها عليكم لما انكم تعبكم بمجيئكم من ارض بني عبس عندي واعطانا فوق ما لنا لكل واحد مائة ناقة من ما لهِ ثم انهم خلعوا عددهم ودخلوا على الملك قيس فرأوا سائر اخوتهِ والربيع بن زياد جالسين في حضرتهِ فسلموا عليهم وحدثوا الملك قيساً بالخبر على جليته وقالوا والله لقد صدق الربيع فاننا وجدناهُ في الارض الفلانية والاموال سائرة بين يديهِ وقد وقع بينهُ وبين بني عامر

عنترة وقال ايها الملك لست انا الا عبدكم ورضيع احسانكم ومن عادة الملوك ان تغضب على مملوكها وترضى فانطلقت الالسن بشكر عنتر وكل منهم دعا له واليه اعتذر واصطلحوا جميعهم وذهبت البغضة والعناد من بينهم ورحلت بنو عبس بحريمها واموالها الى الجبلين وقد فرحت قلوبهم وقرت منهم العين

قال الراوي فعند ذلك اقبل قيس على عنترة وقال له يا ابا الفوارس بما انك صفحت عن ذنوبنا فتولَّ امورنا فنحن لديك مامورونَ ولما تشير بهِ سامعون ومطيعون فازداد عنترة عند العرب قدرًا واكرام وارتفاعًا وعلو مقام ثم انهُ رد اموال بني عبس عليها وارجع العبيد بالنوق والجمال الى مواليها فالتأم شملهم وقر قرارهم وامصرت بعد ان اقفرت ديارهم ثم ان عنترة بعد هذا الاتفاق عول على المسير الى ارض العراق فاقبل عليهِ شيبوب وقال لهُ يا ابن الام اسمع مني ما اقول واحمد الرب القديم الذي جمع بينك وبين بني عمك وجعل الكلمة واحدة واعلم اننا نازلون في جوار ملك عظيم ورجل كريم وهو الملك الاسود ابن المنذر وهو تحت يد الملك كسرى انوشروان ومعهُ جميع بني شيبان وقد اصبحت العرب كلها اعداءكم والملك الاسود لا بد ان يطلبكم ويقصد لقاءكم وقد عولت ان تسير في اضيق المسالك فربما تقصدك العربان من جميع الدكادك وتحيط بك من كل مكان وكانك بالملك الاسود قد سمع فيك فيجمع عساكره وياتيك لا سيما ان علم ان بني عبس وبني عامر صاروا من اصدقاك فياخذه القلق ولا يتقاعد عن لقاك ولو اراد ان يسكت عما ابديتهُ لك من الاشارة لما مكنتهُ بنو فزارة . فلما سمع عنترة من شيبوب هذا الخطاب علم انهُ قد تكلم بالصواب فقال لهُ هات ما عندك من الراي في هذه الاحوال ان كنت خبيرًا بتصاريف الايام والليال فقال الراي اننا نحفظ المال والحريم في هذه الجبال وانتم اصبحتم اليوم في ثمانية الاف فارس من كل مدرع ولابس فاترك الفين من بني عبس والفين من بني عامر تحفظ الجبال من كل غائر فمن باداك بشيء تكره فالتقه ورد بغية عليهِ فيذل لك الاسود بذلك السبب وكذلك بنو فزارة وسادات العرب فقال عنترة نعم ما اشرت بهِ يا ابا رياح ادام الله ايامك كلها بافراح

قال الراوي ثم انهم في ساعة الحال حصنوا مالهم والحريم والعيال في داخل الجبل وقسم عنترة العسكر قسمين وترك عند المال والعيال من كل قبيلة الفين واوصاهم باليقظة والحذر خوفًا من ان يدهمهم عدو على غرر وبعد ذلك سار بمن معهُ من الابطال والرفاق طالبين ارض العراق والربيع بن زياد يظهر لعنترة بن شداد المحبة والوداد ويضمر لهُ

البغضة والعناد وكان يود لو انه اكل من لحمه قطعة او شرب من دمه جرعة ومن كثرة ما لحق به من الغيظ والحرد وحسده لعنترة لما وصل اليه من السعد الذي لا ينفد خاصة لعلمه انه طالب الغارة على الملك الاسود كتب في ساعة الحال بجميع ما هم معولون عليه من الاسباب وارسله الى الملك الاسود مع نجاب يعلمه بمسير الامير عنترة اليه وانه عول على نهب امواله وخراب دياره واطلاله واعلمه ان الملك قيسًا وسائر بني عبس اتفقوا مع عنترة عليه فسار النجاب يقطع الوهاد والهضاب حتى وصل الى الحيرة فاستاذن بالدخول لدى الملك الاسود فاذن له فدخل وقبل الارض بين يديه ورفع له الكتاب فاخذه الملك من يده وارسله الى وزيره عمرو بن نفيلة العدوي ففضه وقرأه عليه فلما سمع ماذكر الربيع فيه اسودت الدنيا في عينيه وغضب لما علم ان الملك قيسًا صالح عنتر وان لم يبق بينهم وبين بني عامر للعداوة من اثر فقال كاني انا ما صالحت بني عبس وصاهرتهم وقربتهم الا ليصالحوا عدوي وينصروه عليّ فوالله لابيدنّ شافتهم واقلعنّ غابرتهم ثم انه وثب منحدرًا من كرسي المملكة ودخل على المتجردة وقد حل به الغضب فقالت له ايها الملك ما الذي اغضبك فلا كان من بشرٍ يقربك فقال ويلك يا متجردة انا ما اتصلت بك وطلبت قربك ورفعتك على كل احد الا ليكون اخوك الملك قيس عونًا لي على اعداي ويرد عني من يطلب اذاي فها هو قد صالح عنترة بن شداد وبادأني بالعدوان وصارت له بنو عبس وبنو عامر اجنادًا وعساكر وقصدوني بالجيوش والفرسان وهذا ما ثم من الشان فقالت وكيف ذلك فقرأ عليها الكتاب واطلعها على ما فيه من الخطاب

قال الراوي فلما سمعت المتجردة ذلك صعب عليها ولم تقدر على رد الجواب فاطرقت براسها الى الارض ساعة وفكرت في ماذا تقول ثم انها قالت ايها الملك ما في الامر الا انك تراسلهم وتتلطف بهم ودعهم يكونون معك في مقام الادب فتخشاك لاجلهم جبابرة العرب لانهم نارٌ محرقة وصاعقة مبرقة لا سيا قد انضمت اليهم هذه القبائل والعشائر اي بنو غني وبنو كلاب وبنو عامر فلما سمع الملك الاسود كلام المتجردة غضب من كلامها ومدحها لقومها ورفسها برجله القاها على ظهرها ثم صاح بالعبيد وامرهم بخنقها فلم يقدروا على مخالفته فاتوا اليها وامسكوها وضغطوا على عنقها وخنقوها فعند ذلك امرهم بان يدفنوها دون غسل ولا كفن ففعلوا ذلك وامرهم بكتم سره ثم خرج الى قصره وجلس على سرير ملكه وهو حنق غضبان واعلم الوزير بانه قتل المتجردة وانزل بها الهوان وقال له اريد بهذه الفعلة ان اجعل عداوة اصلية مع بني عبس ولا اترك منهم نفس واعلم حصن بن حذيفة بما فعل

ففرح حصن بما جرى على المجردة وعلم ان بني عبس تغضب لوقوع هذا السبب وان الملك الاسود لا بد ان يجمع لاجل غزوهم قبائل العرب . ثم ان الملك الاسود اقبل على الوزير وقال له ما عندك من التدبير ايها الصاحب والمشير فاني بعد هذه الفعال لا بد لي من الحرب والقتال لان الربيع بن زياد ذكر لنا في كتابه ان بني عبس لنا طالبون وعلينا وافدون يبغون نهب اموالنا وخربنا وقتالنا وانهم حصنوا حريمهم في جبلي خشاخش والتناصب وهم طالبون قتالنا بالقنا والقواضب فقال الوزير انا عندي من الراي الاصوب والحال الاوجب ان تكتب الكتب وترسلها الى ملوك العرب وتخبرهم بحالك وان بني عبس طالبون حربك وقتالك ومغهم بنو عامر وتامرهم ان ياتوا اليك بجميع الجيوش والعساكر فعند ذلك خط الاسود الكتب الى الاعراب وارسل مع كل نجاب كتاب فما وقف احد من ملوك تلك القبائل على كتابه الا سمع واجاب ثم انهم طلبوا الملك الاسود من سائر الحلل ومن السهل والجبل ولم يزالوا سائرين حتى بلغوا الحيرة وكان اول من قدم في هذه النوبة الحادثة عاطل بن المثنى ومعهُ ابن عمهِ عامر بن حارثة يصحبهما سبعة الاف فارس بالحديد غواطس وعليهم الدروع الداودية وهم من افرس عرب الجاهلية واقبل بعدهم علقمة بن علاقة الهمذاني في فرسان بني همذان وكلهم بالحديد والزرد النضيد واقبل الملك وهب بن موهوب بصحبة فرسان بني حمير في عشرة الاف فارس ومعهُ ابن اخيهِ طارق الذي كان قد اسره عنترة حين نزل على ارضهم واطلالهم ونهب نوقهم وجمالهم واقبلت بنو شيبان في عشرة الاف عنان ثم تتابعت بعدهم قبائل العربان من كل ناحية ومكان حتى ملأوا تلك القيعان واجتمعوا حول الحيرة وهم في عساكر كثيرة . وبينما القوم على ما ذكرنا من الاخبار اذا غبار قد ثار حتى سد منافس الاقطار وبعد ذلك انكشف للنظار وبان من تحتهِ الفارس الكرار سبيع بن الحارث الملقب بذي الخمار ففرح الملك الاسود حين رآه وقد امل انهُ يبلغ بهِ من عنترة مناه ثم انزلهُ ومن معهُ من رفقتهِ السادات ونقل لهم الطعام والعلوفات وباتت الاقوام تلك الليلة في افراح ومسرات . قال ولما كان في ثاني الايام جلس الملك الاسود في قصر مملكتهِ وكانت ملوك العرب في حضرتهِ فقرأ عليهم الكتاب الذي ارسلهُ الربيع بن زياد واعلمهم بما هم فيهِ من اخبار بني عبس وعنترة بن شداد ومن معهُ من الاجناد وقال لهم يا معاشر العرب واصحاب المناصب والرتب اعلموا ان هذا الامر عار عظيم علينا في كل قطر وسبب اذا علموا اننا قد عجزنا عن فارس من فرسان العرب ومن اجتمع معهُ من اسافل القبائل القليلي الادب وها انا اليوم احضرتكم حتى تدبروني برايكم فلما سمعت ملوك العرب ما بهِ الملك الاسود تكلم قالوا لهُ ايها الملك والله لقد

عظمت غير معظم وقدمت غير مقدم ومن يكون هذا العبد الزنيم والوغد اللئيم حتى جمعت من اجله هذا الجمع العظيم وعولت ان تسير اليه بهذا العسكر حال كونه احسن مما توهمت واحقر فوحق ذمة العرب اهل المعاقل والرسوم ما ظننا الا انك جمعتنا من اجل قيصر ملك الروم اما عنتر فهو اذل واحقر بان تسير اليه في كل هذا العسكر فهل بلغك كم معهُ من الابطال وكم يوجد عنده من الرجال فقال الاسود ان معهُ قومه والاحلاف وعددهم اربعة الاف وقد ضم اليهم بنو عامر ايضًا وهم اربعة آلاف ولكن انتم صرتم بالنسبة الى عددهم اضعاف فاذا تلاقيتم في الطريق اقصدوهم بالطعن والضرب ولا يولِّ احد منكم ولا يتاخر واتخذوا لانفسكم الحذر قال فلما سمعت ذلك القول ملوك الاعراب قالوا هذا هو الصواب ايها الملك ولكن من الراي عندنا ان ترسل له واحدًا منا بعشرة الاف منتخبين وفي الحروب مجربين فياخذون معهم بالكفاح ويأتوك ببني عبس وعامر مكتفين او بروؤسهم على اسنة الرماح

قال الراوي فبينما هم في الكلام واذا بالزعقة وقعت والجيوش ماجت والقبائل اختلطت والرجال اختبطت والبراغم والشجاع همهم فقال الاسود ما الخبر وما هذا الصياح المنكر فقالوا وقد اقبلوا نحوه ووجوههم قد علاها الاصفرار ايها الملك ابصر لك مكانًا تختبيء فيه وعلى نفسك احذر فقد جاءك ابو الفوارس عنتر ولم يبقَ احد حول الحيرة من العسكر بل كل من سمع صوتهُ طلب الجبال والبر الاقفر فلما سمع الملك الاسود هذا الكلام المنكر اصفر وجهه وانذعر وقال لهم ويلكم هل اتى وحده ام معهُ عسكر فقالوا ايها الملك تمهل علينا ريثما نبصر ونأتيك بالخبر ثم خرجوا من عنده فوجدوا الاحياء مرتبكة والخلائق من العجاج كانهم في معركة وجماعة منهم مقبلين وعليهم اثار القتال والمعمعة فاخذوهم وقدموهم الى بين يدي الملك الاسود وهم لا يعون من الخوف على احد فسالهم عن حالهم وما جرى لهم ونالهم فقالوا لهُ ايها الملك اعلم اننا كنا في بر الحيرة في ارض النجف بالجبال ومعنا سائر المال والجمال فما شعرنا الا والفا فارس قد اقبلت علينا ودارت بالاموال التي بين يدينا وساقوها عن بكرة ابيها

فلما سمع الاسود ذلك المقال كاد ان يغشى عليه من شدة ما لحقهُ من الغبن والبلبال واقبل على من حواليه وقال لهم هذا خلاف ما كنا فيه ثم صاح في ملوك العرب دونكم هؤلاء الانذال ونهض وهدر وركب جواده وخرج ليبصر حقيقة الخبر

قال الراوي وكان السبب بهذه النوبة الكبيرة ان عنترة سار الى الحيرة ومعهُ اربعة

الاف فارس من الفرسان الاشاوس ولم يزالوا يقطعون البراري والقيعان حتى قربوا من الحيرة وتلك البلدان فراوا رجلين من بعيد يعدوان وفي البر يتسابقان فانكروا عليهما امرهما ووقفوا ينظرون اليهما ولما وصلا تبيناهما فاذا الواحد عبد من عبيد المتجردة والثاني الخذروف بن شيبوب وكان عنترة قد ارسلهُ بصفة جاسوس فرأى ما حل بالمتجردة من النحوس فخرج يريد الرجوع فرأى العبد يبكي ويرسل على خديه الدموع فعرفهُ وسار واياه ليعلم بما جرى مولاه بعد ما تجسس احوال الحيرة وعرف عدد الجيش الذي حولها ولم يزالا يقطعان البراري والهضاب وهما كثيرا البكاء والانتحاب حتى رايا على راس الملك قيس راية العقاب فحثيا على راسيهما التراب ونادیا بالويل والثبور وعظائم الامور فلما نظرهما الملك قيس على تلك الحال اعتراه الانذهال فعندها زعق عنترة على الخذروف وقال لهُ اخبرنا بحقيقة الحال فاخبره بقتل المتجردة فلما سمع الملك قيس هذا الخبر طار من عينيهِ الشرر وقال للعبد ويلك وكيف كان ذلك قال لقد بلغ الملك الاسود انكم تصالحتم مع عنترة وتعصبتم الى قتاله وقصدتم الغارة على اطلالهِ وسرتم الى نهب اموالهِ فغضب عليكم وزمجر وقال كاني ما صاهرت بني عبس الا حتى ينتصروا لعنتر ويصلوا اليَّ الاذية والضرر ثم دخل على المتجردة وقد زاد بهِ الغيظ والحرد وفؤاده بالنار يتوقد واطلعها على اخباركم فسمعت اطرافهُ وقالت لهُ يا ملك هم على كل حال اصهارك فدعهم يكونون انصارك فلما سمع كلامها رفسها في صدرها القاها على ظهرها وامر العبيد بان يخنقوها ففعلوا وماتت لوقتها وقال انا مرادي ان اجعلها مع بني عبس عداوة اصلية حقًا وابددهم غربًا وشرقًا ثم اعلم الوزير بذلك التدبير وكاتب العرب من كل قطر وسبسب فاتي منهم بنو حمير وذو الخمار وبنو سليم وبنو شيبان والامير علاقة مع بني همذان فلما سمع قيس ذلك الخبر كادت مرارتهُ تنفطر وبكى ولطم على وجههِ ونتف لحيتهُ وفعلت كذلك اعمامه واخوتهُ واما عنتر فانهُ بهت وتحير وجعل يفكر في ذلك الامر المنكر وقال قطع الله سباله ومن المصائب لا اقالهُ لما عجز عن قتال الرجال جعل يبطش بالنساء ربات الحجال فوحق من ارسى شوامخ الجبال وعلم عدد الرحال لا بد ان اخذ منهُ بثارها واحرقه بنارها والتفت الى قيس واخذ يسليهِ ويعده باخذ ثاره من الملك الاسود وانهُ سينزل بهِ الذل والنكد ثم ساروا يقطعون القفار حتى وصلوا الى الحيرة وتلك الامصار قال فلما نظر عنترة اولئك الجيوش والعربان ضحك وزاد بهِ الابتسام وطلب بعض الوديان وكمن حتى سرحت النوق والانعام فخرج اليها وساقها عن بكرة ابيها وكانت شيئًا كثيرًا من النوق العصافيرية والنجب الخراسانية والخيل العربية وخرج من كان معها

من الابطال وسلمها الى خمسمائة فارس من الرجال وامرهم بان يسيروا بها الى ناحية الجبال وتخلف هو بمن معهُ من الاصحاب والاحلاف الذين لا يبالون بالموت والاتلاف فوقع الصياح كما ذكرنا وجرح الملك الاسود كما قدمنا وجرى من القصة ما جرى فهذا كان السبب في قتل المجردة اخت الملك قيس بالامرا

قال الناقل ولما صار الملك الاسود في ظاهر الحيرة سأل عن الخيل المغيرة فقالوا والله يا ملك الزمان ما عرفناهم لانناهربنا لما رايناهم فقال الاسود وحق النار والمعبد لا يقدر ان يفعل هذه الفعال ويعاند هذا العناد الا عنترة بن شداد وهو الذي انزل بي وبمن معي في وادي الرخم البؤس والضرر لما اسرت الملك زهيرًا وكنت في عشرين الف واكثر . قال فلما سمعت العرب من الاسود هذا المقال ورأته قد زاد بهِ الوجد والبلبال قالوا لهُ ايها الملك ما هذا الكلام الذي لا يفوه بهِ انسان فكيف تهاب ذلك العبد وانت ملك العربان وصاحب العساكر والاعوان وكيف ترفع لهُ قدرًا وشان وهو اذل واحقر من ان ينال هذه المنزلة الكبيرة الا تراه قد احتمى بين جبلي خشاخش والتناصب بتلك الشرذمة الحقيرة ومن ذلهِ وامتهانهِ قد اغار على اموال الحيرة فعند ذلك التفت الملك الاسود الى الذين انهزموا من قدام عنترة فرآهم شديدي الالم وقد اشرفوا على العدم فقال لهم ويلكم وكم يكون عدد الذين اغاروا عليكم وفعلوا بكم هذه الفعال فقالوا لهُ وحق النار ليسوا اكثر من الفين من الرجال فلما سمع الاسود هذا المقال جهز في ساعة الحال عشرة الاف من الابطال وقال لهم الحقوا هولاء الانذال ولو وصلوا الى الجبال ولا ترجعوا الا بالمال وتوني بعنترة ومن معهُ من الرجال بالسلاسل والاغلال حتى اعذبهم اشد العذاب . واجعل قبورهم بطون الكلاب فاجابوه بالسمع والطاعة وساروا من تلك الساعة . هذا ما كان من الملك الاسود وما فعل من الاسباب واما ما كان من ابي الفوارس عنترة ومن معهُ من الاصحاب فانهُ لما ابعد عن الحيرة وتبع المال راى قومهُ وقوفًا حول النوق والجمال فقال لهم سيروا انتم واطلبوا الجبال حتى ننظر ماذا يفعل الاسود من الفعال ثم انهُ وقف هو ورجالهُ ينتظر من ياتي طالبًا حربهُ وقتالهُ ولم تكن غير ساعة حتى ادركتهم الخيل واطلقت الفوارس الاعنة وقوّمت نحوهم الاسنة وهم ينادونهم ويلكم يا انذال الى اين تمضون بالاموال واي ارض تقبلكم بعد هذه الفعال فلم يردّ احد عليهم جواب ولا فاداحدهم بخطاب اما عنترة فلما راى ذلك العسكر قال لاصحابهِ لا يتكلم احد منكم حتى اريكم اليوم العجب وابلغكم الارب . ثم ساق جوادهُ نحوهم حتى داناهم وقاربهم فلما نظروا اليهِ

ورأوا كبر جثته وهول منظره اندهلوا منه لان اكثرهم كان يجهله غير انهم كانوا يسمعون باخبار غزواته وفروسيته وغاراته وكانوا اعرابًا مجتمعة من كل هضبة وواد وقطر وفدفد وقد اتوا خدمة للملك الاسود فنظروا الى عنترة من دون اصحابه وقد برز لهم ولكنهم كما تقدم الخبر لا يعرفونه بالنظر فقووا قلوبهم وصاحوا ويلكم يامخذولين من انتم وكيف على اموال الملك الاسود اغرتم فلما سمع عنترة ما قالوه وعلم انهم ما عرفوه اراد ان يستهزئ بهم ليضحك عليهم ويفشل قلوبهم فنادى عليهم بلسان غير مستقيم ياقوم ما نحن ممن يقدر على هذا الامر الغظيم لاننا من بني تميم ونحن قاصدون اليكم لاجل مساعدتكم على هذا الامر العظيم وقد التقينا بالقوم الذين اغاروا عليكم وهم سائرون والغنائم بين ايديهم متهيأة لما ياتي اليهم فاردنا ان نشن الغارة عليهم ونخلص ما معهم من المال فوجدناهم من اشد الرجال فقال بعضنا لبعض دعونا نجد في هذه الارض فاذا وجدنا الخيل سائرة اليهم ندلهم عليهم وها نحن قد وجدناكم فدونكم اعداكم فصاحوا به وسبوه وقالوا تكذب يانذل العرب اصدقنا بالمقال الصحيح والا تركناك على وجه الارض طريح

فلما سمع عنترة مقالهم قال وهو يسخر بهم لا تبغوا علينا يا وجوه العرب لان البغي له مصرع وعلى صاحبه من الذباب اوقع فما نحن ممن يقدر على تلك الفعال في حق الملك الاسود وهو ملك العربان ونائب كسرى انوشروان واخوه الملك النعمان له علينا فضل وامتنان فاذهبوا عنا بالسلامة والدعة والا حل بالباغي مصرعه فلما سمعوا مقاله زعقوا عليه وطلبوا قتاله وقالوا له ويلك ياشر الانذال ما هذا المقال الملفق واللفظ المزوق ثم انهم انطبقوا عليه وداروا حواليه واطلقوا نحوه الاعنة وقوموا الاسنة وعلت لهم ضجة ورنة فلما راى عنترة حملتهم استقبلهم بصدر جواده الابجر وطعن فيهم برمحه الاسمر وزعق صوتًا ادوى منه البر الاقفر فتبعته بنو عبس بالخيول الضوامر وحينئذٍ عملت السيوف البواتر وزاد طعن الخطار وكثر من الخيل الغبار وخاف الشجاع من العار وجرت الدماء كالامطار واظهر حامية بني عبس عظم هيبته وابهر الفرسان بشجاعته وكان صوته كالرعد اذا قعقع وحسامه كالبرق اذا لمع وجماجم الفرسان من امامه تتناثر والدم من سيفه يتقاطر فلم تكن الا ساعة من النهار حتى اردوا من القوم ابطالهم وقتلوا شجعانهم واسروا منهم خمسمائة من المقدمين وربطوهم على خيولهم مذلولين وانهزم الباقون في السهل والجبل وهم مثل النعام اذا اجفل واحتوى عنترة ومن معه على الغنائم وساقوا الاسارى مكتفين وعطفوا راجعين فرحين وقدامهم ابو الفوارس عنتر وقد بلغوا من اعدائهم الوطر هذا ما كان منهم

وما تجدد واما الملك الاسود فانهُ كان منتظراً اصحابهُ ان يأتوه بما طلب ويبلغ من العدا ثم الارب فبينما هو على هذه الحال اذ قد وصل اليهِ المنهزمون وهم بالجراح مثخنون وصياحهم قد علا وعويلهم ملأ الفلا فلما سمع الملك الاسود ذلك الصياح اخذه القلق وسأل عن الخبر فقالوا ايها الملك هذه الفرسان التي انفذتها خلف العيارين قد عادوا منهزمين وبجراحهم مثخنين فامر الملك الاسود باحضارهم فحضروا بين يديه وهم يكثرون من الصياح فقال لهم يا ويلكم اخبروني كيف كان السبب في هذه القصة التي انزلت في قلبي الف غصة وكيف كان حال هذه الاعداء معكم وكم كان عدد هذه الخيل التي اغارت عليكم فتقدم رجل من القوم ودماؤه تجري يقال لهُ جهير بن جهلمة الحميري وقال يا ملك لما طلبنا القوم بقوة وعزيمة وقفوا لما رأونا عن الهزيمة وهم نحو الف فارس كالاسود العوابس فلما رأيناهم استقللناهم وطمعنا فيهم وزعقنا عليهم فانفرد منهم فارس اسود كانهُ طود من الاطواد او من الفراعنة الشداد فقال لنا قولاً مغمغم وكلمنا بكلام لا نفهم فلما الحجنا عليه بالسوال حمل علينا ومال واستقبلنا بسنان رمحهِ وعلينا استطال فزادت بنا من شجاعتهِ الوساوس وقتل منا في حملتهِ مائة فارس وتبعهُ بعد ذلك جميع اصحابهِ ووافقوه في طعانهِ وضرابهِ فلم تكن الا ساعة ووقت يسير حتى قتلوا منا خلقاً كثير واسروا خمسمائة اسير . وانزلوا بنا الذل والتدمير فلما رأينا ذلك الحال المهين ولينا منهزمين ولولا ذلك لما كنا وصلنا الى هنا سالمين فلما سمع الملك الاسود ذلك الكلام ضاقت اخلاقهُ وقال وحق من مهد المهاد ورزق العباد لا يفعل هذه الفعال الشداد ويعاند هذا العناد الا عنترة بن شداد لانهُ كلما طال عمره زادت قواه وعزمهُ فلما سمعت امراء العرب هذا الخبر تعجبوا من ذلك الفعل المنكر واستعظموا امر عنتر واقبلوا على الملك الاسود وقالوا ايها الملك ما بقي في الامر الا انك تنفذ الى عنتر من يكشف لنا حقيقة الخبر فان كان هو الذي فعل تلك الفعال فقد جلب لنفسهِ الذل والخبال فلما سمع الاسود منهم ذلك الخطاب قال هذا هو الصواب ثم انهُ استدعى في ساعة الحال برجل يقال لهُ المرقال بن فائز من بني سليم وهو من الابطال وقال لهُ اريد ان تركب في هذه الساعة بعشرة فرسان من الابطال الشجعان وتتبع الساقة على الاثر وتكشف لي حقيقة الخبر وتبصر الذي اخذ المال فان كان عنتر فعد اليَّ حتى ادبر ما اريد واسير خلفهُ بكل فارس شديد وبطل صنديد فلما سمع المرقال من الملك الاسود ذلك المقال تجهز في مائة فارس من الابطال القناعس وساروا على اثر عنتر ليكشفوا حقيقـــة الخبر هذا ما كان من هولاء واما ما كان من عنترة فانهُ بعد ما فعل تلك الفعال سار هو ومن معهُ من الرجال والاسارى معهم وهو

قدامهم الى ان وصل الى اصحابهِ فلما نظروا ذلك الحال فرحوا بكسب المال واما الملك قيس فلما رأى تلك الخيول والعدد والاسرى الذين معهُ في الحال الانكد قال الساعة ينفر خلفنا الملك الاسود في جيش ما لهُ عدد اذ يحل بهِ من هذه الحال الحنق والحرد فقال عنترة دعهُ يجهد جهده ويطبخ احمض ما عنده قال ولم يسيروا الا القليل وبين ايديهم ذلك المال الكثير حتى اشرف عليهم المرقال بمن معهُ من الرجال فلما نظروا الى الخيل والاموال اقبل المرقال على اصحابهِ وقال لهم تقدموا الى القوم واسالوهم عن انسابهم ولا تخافوا من كثرتهم ولا تهابوهم ولو كان الملك الاسود امرني بقتالهم لكنت قاتلتهم وخلصت الغنيمة منهم فعند ذلك انفرد منهم فارس واطلق عنان جواده وقد ظن انهُ باللسان يبلغ مراده ولم يزل يركض تقريبًا وخبب حتى وصل الى الموضع الذي طلب وزعق في اعقاب بني عبس ويلكم يا كلاب العرب وحمالي الحطب من انتم من سكان البراري والسيسب وكيف اغرتم على اموال الملك الاكرم وتجرأتم على قتل السادات فابشروا بشرب كؤوس الافات

فلما سمع عنترة كلامهُ اقبل على اخيهِ مازن وقال لهُ دونك هذا العبد الواهن فعند ذلك قفز مازن الى نحو ذلك الفارس بالجواد وهو كانهُ اسد من الاساد وقال لهُ اسكت يا نسل الاوغاد فالى كم تكثر علينا الملام ونحن فرسان بني عبس الكرام والموت الزؤام فلما سمع السلمي كلام مازن اغتاظ منهُ وحمل عليهِ وطعنهُ في صدره فاخطأهُ فوثب اليهِ مازن وطعنهُ في صدره اطلع السنان يلمع من ظهره فمال عن جواده يخور في دمهِ ويضطرب في عندمهِ

قال الراوي فلما نظر المرقال ابن عمهِ قتيلاً وعلى وجهِ الارض جديلاً التفت الى اخيهِ وقال لهُ دونك قاتل اخيك ولا تدع العار يغطيك فعند ذلك برز الى مازن على جواد كانهُ شعلة نار وهو متقلد بسيف بتار ومعتقل برمح خطار ودمعهُ على خده مثل الامطار الى ان وصل الى مصرع اخيه فقال لمازن ويلك يا لئيم يا وغد يا زنيم لقد قتلت اخي وبغيت عليه وافجعتني فيه فسوف آخذ منك بالثار وانزل بك الدمار

ثم انهُ بعد هذا الكلام وثب اليه كانهُ الاسد الضرغام فتلقاه مازن واخذا في الجولان والضرب والطعان فجعل مازن يطاولهُ حتى اضجره واتعبهُ وطعنهُ في صدره طلع السنان يلمع من ظهره فلما نظر المرقال ما فعل مازن بصاحبيهِ اسودت الدنيا في عينيه وهمز في الحصان كانهُ من عفاريت الجان ولما صار في الميدان ومحل الضرب والطعان صال وجال ولعب برمحهِ العسال وانقلب يمينًا وشمال ووثب الى مازن وحمل عليه ومال بكليتهِ اليهِ

قال فلما نظره عنترة علم انهُ قرم شديد وبطل صنديد وفارس حرب وليث طعن وضرب فخاف على اخيهِ مازن منهُ وقفز نحوهما بالحصان حتى صار معهما في الميدان وزعق على مازن ان ارجع عن الجولان فقد كفاك ما لقيت من الاقران ودع هذا الفارس من نصيبي حتى ابرد بقتلهِ لهيبي فلما نظر المرقال عنترة الفرسان قد ردَّ مازنًا من ساحة الميدان وطلب منهُ الحرب والطعان قال لهُ ويلك من انت ايها الفارس الذي حلت بيني وبين غريمي اتريد ان تكون خصيمي حتى انزل بك شؤمي وافرج بقتلك همومي فلما سمع عنترة كلامهُ قال لهُ ويلك انا فارس بني عبس وحاميها وموقد نار الحرب ومصطليهـا

قال الراوي فعند ذلك علم المرقال انهُ عنتر الذي تجشم من اجلهِ مشاق السفر فقال لهُ ويلك ما الذي اقدمك على العدم وجرّأك على اخذ اموال الملك المعظم ملك العرب والعجم اما علمت انها الجدثة الفرس والديلم والتأمت حولهُ العساكر لاجل قتالك وحربك ونزالك فقال لهُ عنترة حملني على هذه الفعال ما صدر من الاسود بحقي من سوء الاعمال فانهُ اجار حصن بن حذيفة قاتل ولدي ومهجة كبدي ولم يقف عند هذا بل اراد ان يقتلني بعد خدمتي اياه والنعمان اخاه ونسي الذمام وتخلق باخلاق اللئام والذي يدل على جهله وقلة عقلهِ وخسيس فعلهِ هو انهُ لما عاد بنو عمي اليَّ وجعلوا معولهم عليَّ واتفقت كلمتنـا على رغم اعدائنا عمد الى امرأة من بنات ملوكنا وقتلها من غير ذنب فوحق ذمة العرب وشهر رجب لا بد لي ان اخرب دياره واقلع اثاره ولو انتصر لهُ كسرى انو شروان صاحب التاج والايوان او يسلمني قاتل ولدي لاطفي بقتلهِ نار كبدي ويرسل لي جميع اموال بني فزارة ويخرج الى الملك قيس ويترضاه عن قتلهِ المتجردة فان فعل ذلك ارحل من دياره وحيه وامصاره والا فليبشر هو ومن معهُ بالحرب والقتال والذل والوبال وهتك الستائر وسبي النساء الحرائر

قال فلما سمع المرقال كلامهُ اندهل وحار امره وخاف ان بارزه يقتلهُ او ياسره فما كان لهُ الا انهُ اقبل عليهِ بحسن الكلام حتى يامن شرب كاس الحمام فقال لهُ اعلم ياحامية عبس وعدنان انك لما غرت على اموال الملك الاسود انكرك وارسلني لاكشف لهُ الخبر ان كنت انت الذي غرت على اموالهِ او غيرك فحيث قد صح الخبر فها انا عائد اليه على الاثر وارجو ان يقع بينكما الوفاق والوداد

الكتاب التاسع والعشرون بعد المئة

من سيرة عنترة بن شداد العبسي

وتزول من قلوبكم الاحقاد فلما سمع عنتر مقالة قال له وحق الملك الجاهل ما لي الى عودتك من سبيل ولا بد لي ان اخذك اسيرًا وذليلاً حقيرًا وان تحامقت اجعلك في الحال قتيلاً وعلى التراب جديلاً فان اردت ان ترسل احدًا من اصحابك وتخبر الملك الاسود بما نالك فافعل ما بدا لك وان سلمت نفسك حقنت دمك وان كانت لك طاقة على القتال فدونك المجال فالتقيك على هذه الرمال . قال فلما سمع المرقال كلام عنتر انذهل وتحير وقال في نفسه هذا بطل فتاك ان قاتلته انزل بي الهلاك فمن الصواب ان اسلمه روحي من غير قتال وحرب ونزال ثم اقبل على عنترة وقال له يا ابا الفوارس اعطني الذمام حتى انزع عدتي بين يديك واسلم نفسي اليك فقال له عنترة لك الذمام فالتفت المرقال الى من معه من الرجال وقال لهم امضوا الى الملك الاسود واعلموه بما جرى علي وتجدد فعند ذلك ساروا ولو ان لهم اجنحة لطاروا ثم ان المرقال بعد ذلك الكلام سلم روحه الى عنترة لاجل الذمام فساقه عنترة اسيرًا وقاده حقيرًا فلما نظر بنو عامر اليه تحيروا من فعاله واثنوا عليه وشكره عامر بن الطفيل وقال له لا كان يوم لا اراك فيه يا ابا الفوارس وزين المجالس فلقد شيدت لهذه القبيلة مجدًا واقمت لها ذكرًا مخلدًا فهذه هي والله الشجاعة والفروسية والبراعة فشكرهم عنترة على خلوصهم وصدق الوفاء ووعدهم بالنصر على الاعداء وقال لهم يا سادات العرب وهل انا الا عبدكم وبسيوفكم اضرب وبهيبتكم اغلب فشكرته الرجال وجعلوا يجدون السير والترحال طالبين الجبال

هذا ما كان من هولاء واما اصحاب المرقال فانهم ساروا راجعين الى الاوطان وقد حاروا من شجاعة عنترة الفرسان واخذوا يبكون على اصحابهم بدموع غزيرة الى ان وصلوا الى ارض الحيرة ونادوا بالويل والثبور وعظائم الامور ففضح الناس واخذهم الهم والوسواس وسمع الاسود ذلك الصياح فانزعج وانذعر واشار الى بعض العبيد بان يكشف له الخبر فركب بعض الفرسان وغاب ساعة وعاد الى الاسود واخبره بما تجدد وقال له قد وصل الينا بعض اصحاب المرقال وهم في حال الذل والخبال فامر الملك ان يحضروا لديه فاحضروهم واوقفوهم بين يديه فقالوا له ايها الملك الموقر قد حلت بنا العبر وما فعل بنا هذه الفعال الا عنترة الاسد الرئبال وهو الذي اخذ الاموال وقتل الرجال وكان معه قيس بن زهير صاحب الراي والتدبير في بني عبس المغاوير يصحبهم ايضًا بنو عامر وكلهم ابطال قناعس كالاسود

العوابس

فلما اشرفنا عليهم عطف علينا عنترة واخوه مازن فقتل منا ثلاثين واسر مقدمنا في اقل من طرفة عين فهربنا نحن وطلبنا الفلاة غير مصدقين بالنجاة ولو اراد ان يقبض علينا لما نجونا منه ولكنه تخلى عنا واليك في صفة الرسول ارسلنا وقال لنا عودوا الى الملك الاسود واعلموه بما جرى وتجدد واعلموه ايضاً باني انا الذي اخذت امواله وقتلت رجاله وخربت اطلاله فوحق ذمة العرب لا بد لي من قتله وقتل ابطاله وتخريب دياره واخذ امواله لانه حتى قاتل ولدي واحرق بفعاله كبدي وما قنع بما فعل من الفعال المنكرة المفسدة حتى قتل مولاتي المجردة والما والله لا اخذ عوضاً عنها الا راسة واجمع فيه اهله وناسه

قال الراوي فلما سمع بذلك الاسود اخذه الغيظ الحرد وقام وقعد وارغى وازبد واشتدت به الالام حتى صار الضياء في عينيه ظلام وقال ما بقي لي بعد هذا الكلام صبر ولا جلد عن هذا العبد الانكد ثم انه دعا في الحال ملوك العرب وجميع الابطال فلم تكن الا ساعة حتى حضروا لديه ودخلوا عليه وكان منهم وهب بن موهوب وذو الخمار الفارس المهيوب وعاطل بن المثني وحصن بن حذيفة وزيد بن عدي وسنان بن عبد العزى وجابر بن خداش فلما اجتمع اولئك الابطال عند الملك الاسود اقبل عليهم واشار بيده اليهم وقال اعلموا يا سادات العرب وارباب المناصب والرتب ان هذا العبد الاسود قد تعدى طوره وكثرت شروره وقل خيره واتفق مع بني عبس وبني عامر واصبح على مثلي جائر فاريد منكم الان الجد في قطع عمره وقلع اثره قبل ان يستعجزنا الملك كسرى عنه فينخفض قدرنا عنده فدبروا برايكم هذه الامور والاحوال واشيروا بما يحسن المآل

قال الراوي فلما سمعت ملوك العرب هذا المقال تعجبوا من عنترة كيف فعل تلك الفعال واطرقوا في الارض وتفكروا في هذا الحال فعند ذلك نهض عمرو بن نفيلة العدوي صاحب الاراء النبيلة وقال من الراي ايها الملك ان تنفذ الى عنترة رسولاً فصيح اللسان يدري ما يقول ولما يرجع تدبر ما تراه لك انفع فلما سمع الاسود كلام الوزير قال له اذا كان الامر على هذا التدبير فتكون انت الرسول والسفير فقال السمع والطاعة وها انا اكتب الكتاب بحضرتك من هذه الساعة ثم انه دعا كاتبه فاتى واخذ يكتب وعمرو يملي عليه وهذا نص كتابه باسم النار والنور والظل والحرور والفلك الذي يدور اما بعد ايها الطاغي الذي طغى وعصى وبغى اعلم انك قد اكثرت شقاقك ونفاقك وسوف اعجل محاقك . اما تعلم اني ملك شديد فكيف تعاديني وانت لي من اقل العبيد وحليفي كسرى انو شروان صاحب

التاج والايوان فاذا وصل اليه هذا الحديث والخبر يقلع منك الاثر فالراي عندي ان تترك هذه الفعال وترد ما اخذت لنا من الاموال وتطلق من عندك من الرجال في الاسر والاعتقال وتطأ بساطي من غير عناد ليتحقق لديّ انك لم تعد لي من الاضداد وان لم تقبل مني هذا الراي السديد فتيقن ان هلاكك ليس ببعيد والسلام من النار والنور على من اطاع وسلك بالوفاق ولعنتها على من عصى وشاقّ . ثم طوى الكتاب وتجهز للسفر بالاعلام والرايات والكوسات والازدهارات وسار من يومه في جماعة من قومه وكان مسيره الى عنترة عن طيبة خاطر ورضا اذ لم يكن في قلبه شيء له من البغضا بل كان مسيره اليه ليشير عليه بماذا يفعل وكان عنترة قد وصل الى الجبال وفرحت به بنو عبس وبنو عامر بما معه من الاموال فلما قرّ به القرار واجتمعت اليه الاحباب اقام الجواسيس على رؤوس الشعاب وجعل ياكل ويشرب مع الملوك والاصحاب ولم يزل على هذه الوسيلة حتى قدم عليه عمرو بن نفيلة فلما قرب من تلك الديار ونظرته الجواسيس اتوا الى عنترة واعلموه بالحال فركب وركبت معه السادات والاقيال وتلقوا الوزير واكثروا له من التبجيل والتوقير وترجل عنترة وقبل في الركاب قدميه وتقدمت العرب وسلمت عليه فلما استقر به القرار اخرج الكتاب وقرأه فلما علم عنترة مؤداه وسمع ما فيه من التهديد والوعد والوعيد ضحك حتى استلقى على قفاه وقال له اعلم ايها الوزير اني لا ابالي بهذا الهذيان لاني كنت وحدي فيما تقدم من الزمان وفعلت ما فعلت بالنعمان واضحى اخوه الاسود عندي في الاسر والاعتقال واطلقته بعد ان قاسى الذل والوبال وكسرت العرب والعجم ومن معهم من الرجال وما باليت باحد من الابطال والان وحق من انار الهلال وارسى الجبال ان لم يسلمني الملك الاسود حصن بن حذيفة الذي قتل ولدي واحرق عليه كبدي لاعفرنّ خده في التراب واتركنّ دياره قفرًا خراب واما اجتماع العرب والعجم فهو عندي كاجتماع الغنم ان اردت ذبحها وان اردت تفريقها فرقتها فلما سمع الوزير ما ابداه عنترة من كلامه ضحك من وسيع صدره وايقن ببلوغ مرامه ثم اقبل عليه وقال له والله يا ابا الفوارس لقد علمت ان هذه النوبة لا تنفصل وانت على هذه الحالة وانا ما كنت لاودّ ان اتي اليك بهذه الرسالة ولكن الملك الاسود الزمني وفي هذه المهمـــة ارسلني وبما ان الحال على هذا المنوال لا يمكنني الا الاسراع بالارتحال ثم طلب الرحيل وسرعة التحويل وقال لعنترة اريد ان تمشي معي حتى احذرك من شيء ستقع فيه واسمع مني ما ابديه

قال الراوي وبعد ان اتم الوزير هذا الايراد ركب صهوة الجواد وطلب المسير

هو واصحابهُ فركب عنترة وسار معهُ حتى يصغي الى ما يقول ويسمعهُ اما الربيع بن زياد وسادات العرب الاجواد فظنوا ان الوزير خاف منهُ ان ينزل بهِ النكال فاراد ان يدفع عن نفسهِ شر الاغتيال فلما خرجوا من الجبال اقبل الوزير على عنتر وقال لهُ والله ياحامية عبس انا لا اريد لك ضرر وحق من انار الشمس واضاء القمر . اعلم ان اكبر اعدائك هو الربيع بن زياد وحصن بن حذيفة وسنان بن ابي حارثة فهم الذين حملوا الملك الاسود على هذه الامور الحادثة واشاروا عليه بان يجمع عليكم قبائل العرب وانا ما اتيت اليك الا لاخبرك بهذا السبب وذلك حذرًا عليكم من شرب كاس العطب واعلم ياابا الفوارس ان كل امر يجري لكم من مليح وقبيح يكتبهُ الربيع ويعلم بهِ الملك الاسود وانا قد قرات الكتاب الذي ارسلهُ اليهِ موءخرًا فمن الان وصاعدًا اياك ان تطلعهُ على شيء من اسرارك وكن منهُ على حذر . واما العساكر التي يريد الملك الاسود ان يرسلها اليكم فلا تحفل بها فانا اكون من ورائك بالمعاونة والمساعدة عليها ولا ادعها تاتي اليكم كرة واحدة بل اسعى في تفريقهم وتشتيتهم وتمزيقهم لاني الك من الخلان والصداقة التي بيننا من ايام الملك المنذر لا يبطلها كرور الازمان

قال فلما سمع عنترة كلامهُ شكره على حسن مودتهِ واثنى عليهِ ودعا لهُ وقبل يديه ثم ودعهُ ومن معهُ واوصاه بان يكتم سره وسار هو ورفقاؤه وعاد عنترة وقد امتلأ قلبه من الربيع غيظًا وحنقًا الا انه لم يظهره على احد من الرفاق وذلك خوفًا على شمل العشيرة من الافتراق ولم يسر معه في هذه النوبة لوداع الوزير الا سبيع اليمن وولده ميسرة وعروة بن الورد فاوصاهم بان لا يعلموا احدًا بما جرى بينه وبين الوزير من الحديث والايراد وقال لهم لا بد لي من قتل الربيع وعمارة ابني زياد واجعلها احدوثة بين العباد ثم عادوا الى الجبال لينظروا ما يتجدد من الاحوال

قال الراوي هذا ما كان من هولاء واما ما كان من الوزير فانهُ لم يزل سائرًا يقطع فيافي الارض ويطوي ما بين يديه من رفع وخفض ويجد سيره الى ان وصل مدينة الحيرة فكان لوصولهِ بها يوم مشهود اذ خرجت اليهِ العساكر وتلقتهُ الجنود وجلس الملك الاسود في قصر مملكتهِ ومن حوله ارباب دولتهِ واتت ايضًا ملوك العرب ليسمعوا ما اتى بهِ الوزير من السبب فدخل الوزير القصر فلما نظر الملك الاسود تقدم اليهِ وقبل الارض بين يديه وكان قد اتى المجلس خلق كثير ليسمعوا ما اتي بهِ الوزير فلما جلس وقرَّ بهِ القرار قال لهُ الملك الاسود ابدِ لنا ايها الوزير ما جئت بهِ من الاخبار فقال ايها الملك انني لم اذهب

بهذه الرسالة الا بعد ان اقسمت لك انني لا اكتم عنك شيئاً من المقال فقال الملك نعم ويجب ان تتكلم بواقعة الحال فقال حصن بن حذيفة ايها الوزير ان الملك ما انفذك في رسالة الا لتكون مخصوصاً في دولته فقال الوزير عن اذنك اتكلم ايها الملك فقال حصن تكلم فقال ثبت حواسك فان عنترة قال ان الحرارة لا تقع الا في راسك ثم من بعدك في سنان لانه اقسم وقال وحق نذار بن معد بن عدنان لاخلدنها ولو كانا في حجر كسرى انو شروان فلما سمع حصن ذلك الخبر قال ايهددنا عنتر فوحق خالق البشر انما هو اقل واحقر من ان يمد يده الى كلب من كلاب البر الاقفر وسيعلم اذا زلت به القدم كيف يصير بعد الوجود الى العدم فقال الوزير دع عنك هذا المقال فان عنترة ليس له نظير بين الرجال ولا يوجد في الفرسان اقوى منه جناناً ولا ابرع منه ضرباً وطعاناً وقد اقسم انه لا يحمل على الملك الاسود وعساكره سوى حملة واحدة وانه يتركها في البراري شاردة ويضيق عليه الاقطار بقوته وجلده حتى يسلمه قاتل ولده ولو قتل كل بني فزارة لا يكتفي بهم ولا يريد الا حصن الذي قتل ولده حتى يطفي بقتله نار كبده وقال ايضاً ان لم يترض الملك الاسود قهساً تركته في البر مطروحاً ولا ابقي كبيراً ولا صغيراً فلما سمع الاسود هذا الكلام صارت الدنيا في عينيه ظلام وكذا اجرى على كل من كان حاضراً في ذلك المقام فاقبل على الملك الاسود وقالوا ايها الملك سر بنا كلنا اليه حتى ننهب جسده بشفار السيوف فقال الوزير اليس من العار ان تقصدوا بجميعكم عبداً غدار وانتم ملوك الاقطار. فالراي ان تسيروا في ستة عشر الف فارس لان عنترة الان في ثمانية الاف فيكون لكل فارس اثنان فينزلون بهم الذل والهوان فقال حصن وحق اللات والعزى والرب الذي يعبد لقد كبر امر هذا العبد الاسود ثم قال عاطل بن المثنى وكان على عنترة بحرقة الثكلى والله ياملك ان ذكر عنترة عار بين الملا فاتركني انا القاه حتى اتيك به وبمن معه من رفقاه او اتركه مطروحاً في الفلاة واشتت جميع اصحابه ومن والاه

فلما سمع الملك الاسود مقالة قال له سر اليه وانزل به الوساوس وخذ معك من هنا ثلاثين الف فارس من كل بطل مداعس وارنا شجاعتك وبين لنا فروسيتك وبراعتك فقال عاطل اي وابيك فعند ذلك جهز معه الملك الاسود ثلاثين الف فارس بالاعلام والبنود والفرسان والجنود وسارت العساكر كانها الجراد الناقر وعاطل قدامهم ناشر راياته وهو غائص في الحديد ومسربل بالزرد النضيد وينشد ويقول

الا بلغ مقالي عبدَ عبسٍ وفعلي في المهمات الثقالِ

بأني فارس الهيجاء قدماً | ابيد القرن في وسط المجال
وجربت الخطوب وجربتني | كأني كنت في الامم الخوالي
انا المعروف في العربان جمعاً | ابيد الضد بالسمر العوالي
ونحن بني سليم اذا برزنا | نبيد الضد بالبيض الصقال
لنا شرف المعالي من سليم | وقدر زايد فوق المعالي
لئن عطف الزمان بسعد جدي | اخذت بحق عبس في الحبال
واشفي منه قلبي يوم حربي | اذا علقت بيمناه شمالي

قال الراوي وما زالوا سائرين يقطعون الاوعار والهامه والقفار على الخيل والجنايب طالبين جبال غشاخش والتناصب هذا ما كان من هولاء واما ما كان من امر الوزير فانه لما نظر الى تلك العساكر قال في نفسه وحق المعبود الاكبر لا بد لي ان اعلم عنترة ليكون من امره على حذر ثم كتب اليه كتاباً يعلمه فيه بجميع الاسباب وان الملك الاسود ارسل اليك عاطل بن المثني وقد امل ان ينال به ما يتمنى لانه فارس جبار ومعه ثلاثون الف فارس كرار من كل بطل مغوار فكن من امرك على حذر وفي هذه الاحوال تدبر ثم ان الوزير ارسل الكتاب مع عبده سالم فسار هذا يقطع البراري والسباسب حتى وصل الى جبلي غشاخش والتناصب وكان عنترة يوم وصوله الى الجبال قد فرق الاموال على الرجال واقاموا في فرح وسرور ونحر الجزور وشرب الخمور فلما قرب عبد الوزير من الجبال رآه العبيد الذين يرصدون ذلك البر وتلك البيد فقالوا له من اين أتيت والى اين قاصد قال لهم يا بني الاجواد اريد عنترة بن شداد فقالوا له وصلت يا ابن العم وقدمت خير مقدم

قال الراوي ثم انهم اخذوه معهم وعطفوا راجعين والى نحو عنترة مسرعين فلما وصلوا اليه اعلموه بقدوم العبد عليه وكان عنترة في دعوة الملك قيس وهم في شرب راح ولذة عيش وانشراح فلما سمع ذلك المقال وثب من بين الرجال ووضع يده على عروة وقاما وتركا الناس في الدعوة وسارا وهما متقلدان السلاح لانهما كانا لا يدخلان على الملك قيس الا وهما على حذر فلما نظر العبد عنتر سلم عليه وقبل يديه واعطاه الكتاب وتاخر الى الوراء فاخذه عنترة وناوله لعروة وامره ان يقراه فقراه عروة حتى اتى على اخره وعلم عنترة ما في باطنه وظاهره فاقبل على اخيه شيبوب وامره باكرام عبد الوزير واخفائه عن الكبير والصغير ثم دخل خيامه وجلس ووقفت عبيده ورجاله قدامه فانفذ يدعو الملك قيس والربيع بن زياد وملاعب الاسنة فاتي الجميع وكذلك الاحوص بن جعفر فقال له الملك قيس ماذا

تريد ياابا الفوارس فقال ايها الملك انهُ قد اتصل بي من ثقة ان الاسود انفذ ثلاثين الف فارس من كل بطل ممارس مع عاطل بن المثنى السلي وقد دعوتك الان لتشير عليَّ بما تراه في هذا الشان

قال مجد بن هشام فلما سمع قيس هذا الكلام قال لهُ ياابا الفوارس اي راي عندنا غير المسير اليهم ولقائهم وتكون انت بين ايدينا فاما ان نشتتهم او ينتصروا علينا فقال عنترة يامولاي هذا هو الصواب والامر الذي لا يعاب فوالله لاتركتك تقاتل حتى اهلك ولا اتركك تتزعج الا لملك مثلك فاذا حضر غيرك من هو دونك فانا انوب عنك واسير اليهم في خمسة الاف من الفرسان ويكون معي اخي وولدي وجميع الاقارب والخلان ومن بني عامر امير من الامراء الاكابر اما علقمة بن علاقة او مروان بن سراقة ليكون المقدم اميرًا على عسكرنا الكثير وتكون انت وباقي الابطال حافظين الحريم والعيال فشكره سادات العرب على كلامهِ وحسن اهتمامهِ ثم انهُ تجرد في ساعة الحال في خمسة الاف من الابطال وركب ظهر ابجره واعتقل باسمره واخذ عبد الوزير معهُ وخلع عليه وكتب لهُ جواب الرسالة التي اتاه بها وشكر الوزير على اهتمامهِ ولما صاروا في الجبال جد العبد في قطع البراري الخوال وسار عنترة الفارس الريبال بمن معهُ من الفرسان والابطال

قال الراوي هذا ما جرى لهولاء واما ما كان من عاطل بن المثنى ومن معهُ من الجيوش والمواكب فانهم ساروا يطلبون جبلي خشاخش والتناصب فقال عاطل لرجالهِ ومن حولهُ من ابطالهِ لقد علمتم كم عند الملك الاسود من ملوك العرب وفرسانها وساداتها وشجعانها ولم يختر في هذه النوبة غيركم لشجاعتكم وشدة باسكم وفروسيتكم فلا تنكسوا اعلامكم وتحطوا مقامكم وان ظفرتم بعنتر فزتم بالعز الاكبر وارتفع لكم الذكر الاشهر بين عرب البر الاقفر وسدتم بهذه الفعال الى ابد الابد ماقام قائم وقعد

قال الراوي ولم يزل عنترة سائر حتى رمق غبار العساكر فوقف عن المسير ونادى بابن عمهِ عمرو اخي عبلة وكان عنترة قد مرنهُ في الحروب حتى صار من الابطال المذكورة والفرسان المشهورة وقدمهُ على مائة فارس وقال لهُ امض ياابن العم واكشف لنا الاخبار وما الذي تحت هذا الغبار فاطلق عمرو عنان جواده بعد ان تبعهُ المائة فارس ووافقوهُ على مراده وكان عاطل بن المثنى قد قدم امامهُ الف فارس نبيل مع ابن عمهِ جميل فلما رأى جميل عمرًا ومن معهُ ناداهم ويلكم يا كلاب العرب واخس من ضرب في البيداء طنب اظهروا احسابكم وانسابكم واعلمونا باخباركم قبل ان نعجل بوارکم ونعدمكم احبابكم لاننا نحن

الاسود الجرية والليوث الحمية والابطال السايمية فما اتم كلامة حتى قفز اليه عمرو اخو عبلة وصار قدامهُ وقال لهُ اسكت ويلك ثكلتك امك وعدمك قومك نحن من بني عبس المشاهير وفرسانها المغاوير ثم اقبل عليهِ وطعنهُ بصدره فوقع على الارض صريعاً يخبّ علقاً ونجيعاً فلما نظرت فرسان بني سليم ذلك زعقوا على عمرو واطبقوا عليه وداروا من حواليه فلما رأى ابو مالك تلك الحال خاف على ولده من سوء المآل فامر المائة الفارس فحملت ولاعنة خيلها ارسلت فلم تكن الاساعة حتى قتل من بني سليم مائتان وخمسون فارساً وانهزم الباقون فعند ذلك اخذت بنو عبس الخيل والاسلاب وعادوا طالبين من لهم من الاصحاب هذا ما جرى لهولاء من الاسباب واما ما كان من عاطل بن المثنى فانهُ لم يشعر الا والمنهزمون قد وصلوا اليهِ وصاروا بين يديه وهم في ذل وتنكيل وصياح وعويل ونعوا اليهِ ابن عمهِ جميل فلما سمع مقالهم سالهم عن حالهم وما جرى لهم ونالهم فقالوا اتتنا السيوف القاطعة والرماح اللاسعة تعتقلها رجال للارواح تنزع وقلوبها من الموت لا تفزع وهم ليسوا اكثر من مائة فارس لكنهم اسود عوابس يقدمهم فارس كانهُ طود بقلب قدّ من جلمود فلما اقتربنا منهم سالناهم عن احسابهم فهم علينا مقدمهم وطعن جميلاً تركهُ على وجه الارض قتيلاً ثم حملت اصحابهُ فابلونا بالعذاب المهين وقتلوا منا مائتين وخمسين فلما راينا ما حل بنا من الوبال اتينا لنعلمك بواقع الحال فلما سمع عاطل بن المثنى بقتل ابن عمهِ كثر همهُ وزاد غمه ولطم على وجههِ ونادى واولداه وا ابن عماه ثم هلب خيلهُ واعلن بالبكاء والعويل ونادى يالثارات جميل واطلق عنانهُ وقوم سنانه وسارت من خلفهِ الثلاثون الالف الفارس كانهم الاسود العوابس طالبين بني عبس لينزلوا بهم التعس

قال الراوي هذا ما كان من هولاء واما ما كان من عمرو اخي عبلة فانهُ بعد ان جرى ما ذكرنا من الامور والاسباب اخذ الخيل والاسلاب ورحل الى ان التقى بعنتر وانباهُ بما جرى لهُ من الخبر فلما سمع عنترة ذلك شكره وضمهُ الى صدره وقبلهُ بين عينيه وفرح بذلك واستبشر ثم ساروا الى موضع المعمعة فوجدوا القتلى مطروحة والرقاب مقطوعة ففرح عنتر واثنى على عمرو ولهُ شكر فلما سمع عمرو من عنترة تكرار شكره فرح بعلو قدره وشهر ذكره

قال فبينما هما على هذه الحال اذا بالفرسان قد اقبلت ولاعنة خيلها ارسلت ولمع على اجسادهم الحديد وبرق من فوقها الزرد النضيد وهمهمت الرجال الاماجيد وتبادرت الصناديد وعاطل في اوائل عسكره يجرّ رمحهُ من وراء ظهره وقد اخرج يده من جلباب درعهِ وزعق بملء جلده ويلكم يامذلولين لقد جلبتم لانفسكم البلاء الوبيل والفناء والتنكيل

بقتلكم ابن عمي جميل

قال الراوي فلما نظر عنترة الخيل تبادرت والفرسان اشتهرت التفت الى سبيع اليمن واخيه مازن وعروة وميسرة وقال لهم احموا ظهري وتفرجوا على كري وفري ولا تتعبوا انفسكم في قتال فانا اشبعهم ضربًا بالنصال وطعنًا بالعوال ثم اطلق لجواده العنان وقوم بيده السنان وصاح على العساكر فاربعها ونادى اوغاد غير امجاد انا عنترة بن شداد ثم انه اطبق على بني سليم واذاقهم البلاء العظيم فحملت الفرسان من كل جانب ولمعت الاسنة كالكواكب وثار الغبار واعتكر النهار كالليل وسالت الدماء مثل الامطار وطلبت الفرسان الفرار وقل منهم الاصطبار واظهر عنترة شجاعته وفروسيته وبراعته فلله دره من فارس بطل لانه نثر الروؤس نثر الحرمل ولم يزل القتال يعمل والدم يبذل ونار الحرب تشعل وبنوعبس تسقي بني سليم كاسات الموت المعجل حتى تنصف النهار وحمي الحر وعقد الغبار فانفصلوا عن بعضهم في ذلك البر من شدة ما قاسوا من الحر وقد انبهر عاطل وتحير ما رأى من حملات عنتر وعلم انه مقدم العسكر ولما زال الحر خرج الى مقام الكر والفر على جواد اشقر من جياد الخيل مضمر وانحدر الى حومة الميدان ونادى باعلى صوته انا عاطل بن المثنى قد انفذني الملك الاسود الى قتالكم لاني الفارس المذكور والبطل المشهور ولو اني اردت اخذكم بالمكاثرة لفعلت ولكني قاصد ان اخذ عنترة اسيرًا ولا اريد ان افرط فيه لاني احب الفرسان فمن الراي ان يسلمني نفسه من غير قتال ولا صدام قبل ان يحل به الانتقام ويشرب كؤوس الحمام فآخذ له من الملك الاسود الذمام ولا يحسب ان الرجال كلها سواء فيموت بعلة ما لها دواء ثم بعد ذلك المقال صال وجال ولعب برمحه العسال وانشد وقال

رويدًا بني عبس ببعض وعيدكم	فسوف تلاقوني لدى الجولان
تلاقون قرمًا لا يحيد عن اللقا	اذا فرّ يوم الروع كل جبان
انا البطل الكرار في حومة الوغى	وفارسها المعروف يوم رهان
فنحن اسود من سليم ضراغم	ليوث طعان عند كل طعان
سناخذ هذا اليوم راس هجينكم	بحد حسام باتر ويمان
ابيد الاعادي يوم مشتجر القنا	واطعن فيهم دايمًا بسناني

قال الراوي فما اكمل عاطل بن المثنى كلامه حتى برز اليه عنترة وصار قدامه وقال له اسكت اسكت اخمد الله حسك واسكنك رمسك وقطع الله منك اللسان يا نذل العربان اتظن اني من

يلون بالهذيان وشقشقة اللسان فان كانت قد اعجبتك عساكرك المجتمعة فما هي عندي الا كالبهائم الرائعة فان اردت تفريقها فرقتها وان اردت قبض ارواحها قبضتها واشار يجاوبه على شعره ويقول

ستعلم اني سوف اردي سراتكم　　واشبعكم طعنًا بسمر اللهاذمِ
واهلك منكم كل ليث غشمشم　　واتركهم اكل النسور القشاعمِ
وافني جموعًا جئت فيها تزورني　　وتعلم اني من اناس اكارمِ
فنحن بني عبس الكرام ومن لنا　　حديث سرى في عربها والاعاجمِ

فلما سمع عاطل شعر عنترة ونظامه اغتاظ من كلامه وحمل عليه حملة صادقة وكان بيد كل منهما سيف كانه صاعقة فصارت الاعين اليهما رامقة وهما في كر وفر واخذ ورد وهزل وجد الى ان حير عنترة عاطلاً بجولانه واضجره بكثرة ضرابه وطعانه فدانا وقاربه وصرخ في وجهه ارعبه ومد يده اليه اقتلعه من ظهر الجواد ونادى يا لعبس الاجواد انا عنترة بن شداد ثم رفعه بيده وجلد به الارض كادان يخلط طوله في العرض فادركه شيبوب حيث شده كتاف وقوى منه السواعد والاطراف فلما نظرت بنو سليم مقدمها اسيرًا اثخنت لنفوسها واكبت رؤوسها في قرابيس سروجها وقد عولت ان تشرب كاس حتوفها واعتمدت على رماحها وسيوفها واطلقت الاعنة وقومت الاسنة وعلت لهم ضجة ورنة فالتقاهم عنترة بصدر الحصان وتصادمت الاقران وتلاحمت الشجعان وتحكم الصارم اليمان في الجماجم والابدان وجرت الدماء كالسيل وعاد النهار مثل الليل ومالت العساكر على بعضها البعض حتى كلت الخيل وعنترة يقصد ارباب الاعلام ويردي الابطال بالحسام ويفرق الجثث عن الهام ويبريها بري الاقلام وسبيع اليمن وميسرة وراءه وعروة يزعق في رجاله ورفقاه هذا وبنو سليم تتساقط عن ظهور الخيل وعنترة يكتالهم كيلاً واي كيل ودماؤهم تجري مثل السيل ولم يزالوا كذلك حتى ولى النهار واقبل الليل وحل ببني سليم الذل والويل وقتل منهم في ذلك اليوم خمسمائة وستة فوارس فلما رأى السالمون ماحل باصحابهم من الويل هربوا تحت الليل فتبعهم عنترة ومن معه مسافة فرسخين او ثلثة فراسخ ثم عادوا من خلفهم وهم في اتم السرور والانعام وملكوا المضارب والخيام وحازوا الخيل والانعام واحضر عنترة عاطل بن المثنى الى بين يديه وقال له ويلك اليس في حضرة الملك الاسود افرس منك ولا اثبت عند الصدام حتى اخترت لنفسك هذا المقام افد الان نفسك والاقطعت راسك بالحسام قال الراوي فلما سمع عاطل كلام عنتر اندهل وتحير وقال له بماذا تريد يا وجه العرب

ان افدي نفسي فقال له عنترة اريد اكثر من الفي ناقة و بعير فقال عاطل وحق من قضى عليَّ باسري ليس في مملكتي هذا العدد الكثير فقال له عنترة انت الان لم تذق طعم العذاب ولا جلدت بالسياط فلما افعل بك ذلك تفدي نفسك من الشد والرباط ثم امر بشده على جواده وكذلك من اسر من خواصهِ واجناده واقبل على عروة بن الورد وقال له والله يا ابن العم ان هذه الارض احسن من ارضنا وسوف نقيم فيها ونجعلها لنا اذ ليس بارضنا الا شجر ام غيلان وهذه الارض كثيرة الكلا والاشجار والغدران ثم انهم ساروا بالاحمال والمكاسب طالبين جبلي خشاخش والتناصب وهم في فرح شامل وسرور كامل حتى قربوا من الجبلين فاتصل الخبر بقيس والفرسان الذين معهُ ففرحوا وساروا الى لقائهِ ولما وصلوا اليهِ ونظروا تلك الاموال بين يديه والاسارى في القيود والاغلال وهم في حالة الويل والاذلال تلقى قيس عنترة وضمهُ الى صدره وقبلهُ في عارضهِ ونحره وفعل كذلك باقي الاصحاب من بني عبس وعامر وكلاب وقال له قيس والله يااباالفوارس لقد افقرت من اخذت منهم هذه الاموال وانزلت بهم الاهوال فقال عنترة هذا رزقنا قد ساقهُ الله الينـا واسترحنا من التعب والعنا فلما سمع قيس كلامه زاد فرحهُ وابتسامه وقال له لا زلت يا ابن العم مؤيداً منصوراً وعدوك مذلولاً مقهوراً

قال الراوي اما الربيع واخوه فتفطرت منهما المرائر وقالا في انفسهما ما هذه والله الا سعادة زائدة حازها هذا العبد الماكر لان له وجهاً لا تتخطاه الآفات ولا تلمُّ بهِ النائبات على انهُ لابد للزمان ان يعثر فيهِ وبآفاتهِ يرميهِ ثم انهم بعد ذلك عادوا الى الجبال فوقعت البشائر وارتفعت الاصوات بين العشائر وقصد كل واحد مضاربه وتلقاه اهله وحبايبه وتلقت عبلـة عنترة ووقعت على صدره واخذت تقبلهُ في عارضهِ ونحره وتقول له لا كان يوم لا اراك فيهِ يا حامي الحريم وكاشف الهول العظيم ففرح عنترة بكلامها وما ابدت من مرامها . قال ونزلت الفرسان بالخيام واخذوا بالسرور ونحر النحور وجزر الجزور وشرب الخمور وعلم عنترة ان الملوك قد عجزت عنهُ وان الابطال قد خافت منهُ اما بنو عامر ففرحت بمصاحبة عنتر وايقنوا بالنصر والظفر واقاموا في العز الدائم وقد امتلأت ايديهم من الغنائم

قال الراوي هذا ما جرى لهولاء واما ما كان من عساكر الحيرة فانهم لما انهزموا من عنتر وحلت بهم العبر سار كل واحد منهم في طريق وقد اكثروا البكاء والنهيق وتفرقوا ما بين عشرة وعشرين لا يدرون اين يسيرون ولا كيف يتوجهون فضلاً عن انهم عراة مجرحون ولم يزالوا سائرين على تلك الوتيرة حتى قربوا من ارض الحيرة وقد حل بهم الويل

والحرب واضحوا مخبلين من كثرة التعب وقد هانت عليهم ارواحهم لما عدموا خيولهم وسلاحهم قال وكان يجتمع عند الملك الاسود في كل يوم ملوك العرب و يتحدثون في عاطل وعنتر وما سوف يجري بينهما من الامر المنكر فكان الاسود يقول لا يعود عاطل الا وعنترة معهُ في القيود والاغلال وكذلك بنو عبس وبنو عامر في حالة الذل والوبال وكان كلما سمع ملوك العرب منهُ هذا المقال تاخذهم الغيرة و يندمون على انهم لم يسيروا هم الى قتال عنتر و يقولون في هذه النوبة تنقرض بنو عبس الغرر اما بنو فزارة فكان لم ينلهم في ذلك حظ لانهم اعلم الخلق بعنتر و يعرفون انهُ لا يبالي بكل من على وجه الارض من البشر وحصن بن حذيفة يقول والله ان عنترة لا يبالي بعاطل ولا يسال عنهُ والموت يخاف من عنترة ان يدنو منهُ . قال ولما كان في بعض الايام وهم يتحادثون في مثل ذلك الكلام و يتخيلون تلك الاوهام واذا بالمنهزمين قد ملأوا البطاح واقبلوا البر بالصياح فخرج الناس من المدينة يموجون كما تموج في البحر السفينة فراوا المنهزمين مقبلين حفاة عراة غير مصدقين بالنجاة ينادون بالويل والثبور وعظائم الامور وهم عبرة لمن يراهم مما نزل بهم واعتراهم فعند ذلك سالهم الناس عن حالهم فاخبروهم بجميع قصتهم وماتم عليهم في سفرتهم ولما علم بذلك الملك الاسود قام وقعد وارغى وازبد وانقلبت الحيرة بالبكاء والاعوال على من قتل لهم من الرجال واقبل المنهزمون وهم في حالة الخذلان والذل والهوان واخبروا الملك الاسود بما جرى لهم من البلاء والنكد وان عنترة شتتهم في كل بر وفدفد واسر عاطلاً وقتل ابن عمهِ جميل وانزل بهِ التنكيل وشرحوا لهُ جميع ما جرى وما نزل بهم من الوساوس واخبروه ان عنترة ما التقاهم الا بخمسة الاف فارس وان الملك قيساً ما حضر قتال ولا ارسل بقية الرجال بل قال لهُ عنترة انت نظير الملك الاسود فاذاسار اليك بنفسهِ سر اليهِ ولقتالهِ تجرد وقد لاقينا ايها الملك من قتالهم اهوالاً عظيمة لم تنجنا منها الا الهزيمة ورأينا ان سلامة النفس اوفى غنيمة وهذا ايها المولى المقال والحال يغني عن السوال

قال الراوي فلما سمع الاسود ذلك المقال حل بهِ الانذهال وقامت عليهِ القيامة وعض على يديه اسفًا وندامة واطرق وتفكر فقال لهُ حصن من شدة حمقهِ على عنتر والله لقد بغى هذا العبد الاسود وتجبر وانسلخ من صفات البشر وتخلق باخلاق العفاريت التي تذكر فعند ذلك قال وهب بن موهوب لما راى الملك الاسود كثير التاسف والكروب وهو مطأطيء الرأس خامد الانفاس زائد الوسواس كثير الافتكار لا ياخذه هدو ولا قرار لا تضيق ايها الملك صدرك ولا تتعب فكرك فانا ومن معي نسير اليهِ ونقلع اثره وناخذ

روحه من بين جنبيه فقال الاسود من شدة قهره لا كان ولا استكان ذلك العبد اللئيم والوغد الزنيم ولا عمرت به الاوطان ولا اسعده الزمان ولا كان يوم نسير فيه بنفسك الى عبد فقير صعلوك وانت ملك من كبار الملوك فانت نذخرك لكبار الملمات وكشف النائبات فعندها قالت بنو شيبان نحن يا ملك نسير اليه وناخذ معنا بني فزارة ونحل به الخسارة ونعفر خده ونلعن اباه وجده فقال الملك الاسود لا احب ان تلقاه بنو فزارة لانهم بنو عمه فاذا اسروه او قتلوه يقولون هذا واحد منا وما قدر الملك الاسود عليه الا بنا فيرتفع بذلك قدرهم ويداخلهم الطمع بنا فلا القاه الا برجالي ولا اسير اليه الا بابطالي حتى اني بقالي وتبقى هيبتي عند العرب اذا سمعت بفعالي ثم انهُ لما فرغ من ذلك الكلام والتدبير والمرام دعا بفارس دولته وشجاع عشيرته خداش بن علاقة فارس بني شيبان وكان ذلك الفارس نتيجة الدهر والزمان وكان طوله سبعة اذرع بالماشي وكان عظيم المنظر قد خاض الاهوال ولاقى الابطال وكان يطعن عدل الرمل فيقلبه ويقبض على قوائم الفرس الجاري فيوقفه ويهز الرمح الاصم فيقصفهُ فما لاقى جيشاً الا كسره ولا بطلاً الا دمره وهو سيف الملك الاسود في الشدائد وعمدتهُ في الاوابد

فلما صار بين يديه قال لهُ سر يا خداش الى قتال عنتر ونكل به واجعله عبرة بين البشر فاني انتدبتك لهذا الامر الخطير لعلمي انك عليه قدير وانت حاجبي وعمدتي وسيف نقمتي وعليك معولي في شدتي وانت تعلم ان الملك يحتاج الى سياسة وناموس وحرمة وعلو شان فان فقد ذلك انحط قدره بين ملوك الزمان وذهبت هيبتهُ وخرجت من طاعته رعيتهُ فتجهز للمسير ومداركة هذا الامر الخطير لاني اخاف ان يبلغ كسرى انوشروان ما جرى لنا مع هذا الرجل من الشان فننفضح وربما غضب علينا وانزل بنا الهوان واعلم اني احب اخذ هذا الفارس بغير بني فزارة لانهم علموا ما انزل بهم من الخسارة فان انفذتهم اليه ونصروا عليه يقولوا ما نفعتنا حيرة الملك الاسود بشيء وما قدر على عدوه الا بنا وما كانت نصرتهُ عليه الا على يدنا فسر اليه في ثلاثين الف فارس من كل بطل مداعس واجتهد ان يكون الذكر لك والنصر على يديك حتى نقر بذلك مقل عينيك وتاخذ الطبقة العليا على سائر العرب وتصير لك الهيبة على كل من ضرب في البيداء طنب

قال الراوي فلما سمع الملك خداش كلام الملك الاسود نفخ الشيطان في معاطسه فطغى وعربد وقال لهُ الم تدعني ايها الملك مع ما تعرف من شدة باسي وعلو مقامي الا الى مقاومة عبد اسود لا حسب لهُ ولا نسب وذكره عار بين سادات العرب على ان طاعتك

فرض عليَّ وهذا من اقرب الاشياء اليَّ فان امرتني اتيتك بعنترة وجميع بني عبس الرفيع منهم والوضيع مربوطين بالحبال وكذا نساهم والرجال وشبانهم والاطفال ففرح الاسود بذلك الكلام وجرد معه في الحال ثلاثين الف فارس وسيره سير الملوك العظام بخلاف ما سير عاطل بن المثنى وجملهُ بالسرادقات والبوقات وعقد على راسه الرايات وسناجق الذهب الخراسانية وقاد بين يديهِ الجنائب العربية وفي اعناقها السلاسل الفارسية وجرد العساكر بين يديه بالدروع والجواشن والخيول الملاح الصوافن وحمل لهم الزاد والاسلحة والعدد على ظهور الجمال والبغال وفرق عليهم المال فخرجوا من المدينة في موكب عظيم وسار الملك معهم مسافة فرسخين ثم اقبل على خداش وشرع يوصيهِ و يقول لهُ اعلم انك انت سيف نقمتي وانكسارك فيهِ انحطاط مرتبتي فاحذر من ان يفتك بك عنتر و ينزل بك العبر فاملي وطيد انك قريبًا تاتي بهِ اليَّ مكبلاً بالحديد فوعده خداش بالنصر والظفر فاثنى عليهِ الملك وشكر وودعهُ وعاد طالبًا الحيرة وسار خداش بتلك العساكر الكثيرة وهو في اوائلهم كانهُ البرج المشيد مسربل بالحديد والزرد النضيد وراكب على جواد عال من الخيل يتدفق مثل السيل فجعل ينشد ويقول

الخيل تعلم اني من فوارسها ... ما كنت عند اختلاف الطعن منحرفا

وسوف يعلم نذل القوم ايَّ فتى ... يلقاه في الحرب لا نكسًا ولا كلفا

انا الهمام الذي ان سل صارمهُ ... سل النفوس من الاجساد واختطفا

اجود بالمال لا ابغي بهِ عوضًا ... ولست في غير هذا ابتغي شرفا

وابذل السيف في الهيجاء ان كرهت ... قصد الكريهة من هيجائها اسفا

خبر بني عبس اني سائر لهم ... حتى يرى عنتر من سيفيَّ التلفا

اني لخداش لي في كل معركة ... فعل عظيم يولي من بهِ عرفا

قال الراوي هذا ما كان من هولاء وما جرى لهم عند المسير واما ما كان من امر الوزير فانهُ لما راى تلك العساكر قد سارت تقطع البر الاقفر قلق لجهة عنتر فكتب اليهِ كتابًا يحذره من خداش ويقول اعلم يا ابا الفوارس ان الملك الاسود قد جهز خداش بن علاقة فارس بني شيبان بثلاثين الف فارس اسود قناعس وسيره اليك وها هو قادم بالعساكر عليك فاحذر في هذه النوبة منهُ ولا تهمل امره ولا تتوانَ واحرص ان تاسره وتضيفهُ الى عاطل بن المثنى وتشتت عسكره في الاكام وتفعل بهِ فعلاً تذكر بهِ على ممر الايام ثم طوى الكتاب وانفذه اليهِ مع عبده سالم

الكتاب الثلاثون بعد المائة

من سيرة عنترة بن شداد العبسي

فسار العبد يقطع الرسوم والمعالم والقفار والسباسب حتى وصل الى جبلي خشاخش والتناصب فقصد ابيات عنتر خوفًا من ان ينظره بشر فلما اشرف عليهِ قبل يديهِ وسلمهُ الكتاب فرحب بهِ عنترة وحباه واخذ منهُ الكتاب وناولهُ الى عروة بن الورد فقراه عليهِ فلما فهم معانيهِ اخذه وسار الى الملك قيس وسادات العرب حتى يعلمهم بهذا السبب فلما دخل عليهم اشار بيده اليهم وقال لهم يا سادات العرب قد اتانا كتاب يخبرنا باتيان عساكر اليكم كانها البحر العباب وقد اتيتكم مخبرًا بهذه الاسباب فما عندكم من الجواب فعند ذلك تكلم كل واحد منهم بما عنده من الخطاب فقال قيس ما في الامر الا اننا نسير ونلقى من يريد لنا الذل والضير

فلما سمع عنترة ذلك المقال اشار بيده الى الرجال وقال وحق من انبع الماء الزلال وارسى الجبال انا وحدي لهذه العساكر القادمة ولو اتانا مثلها اضعاف ولا اسير اليها الا في خمسة الاف ولا اصحب معي منكم احدًا ولو سقيت كاس الردى ثم انهُ انتخب رجال قومهِ وتاهب للمسير من يومهِ وودع الملك قيسًا وسادات العرب وسار يقطع الطريق ويتذكر ما يحول دون اخذ ثاره من التعويق ويتفكر بما جرى لهُ من المصائب وما لقي من النوائب فجاش الشعر في خاطره فباح بمكنونات ضمائره وانشد

كبرتُ وربتني الحروب واظهرت ... مشيبًا بدا فوق المفارق عاكفا

وما العار في شيبي اذا خضت قسطلاً ... وتلتحف الابطال حولي ملاحفا

قسمتُ حياتي بين كأسي وصارمي ... فامسيتُ سكرانًا واصبحتُ زاحفا

وتنظرني عند العطا متكرمًا ... وتبصرني عند اللقاء مناصفا

فان كان امي بالسواد تعيبني ... فانَّ ليَ في المكرمات مواقفا

خليليَّ ما الانسانُ الا ابن يومهِ ... وبالفعل يعلو كل من كان عارفا

واني لاعطي السمر في الحرب حقها ... ولم اكُ من صرف اللياليَ خائفا

واقحم مهري في عجاج غبارها ... فتبصره فاق الرياح العواصفا

اذا سار نقريبًا كما البرق دونه ... ويسبق في الجري البروق الخواطفا

قال مجد بن هشام . فلما فرغ عنترة من هذا الشعر والنظام قال لهُ عروة لافضَّ فوك ولا

كان من يشنوك فشكره عنترة ولم يزل سائرًا الى ان اقبل المساء فنزلوا على ماء يقال لهُ العرمض وتناولوا الغذاء فلما فرغوا من المأكل والمشرب اقبل عنترة على اخيهِ شيبوب وقال لهُ يا ابن الام سر الى عسكر الاعداء واستقص اخبارهم متى يشرفون علينا وعد دون مهل الينا فقال شيبوب السمع والطاعة وها انا سائر في هذه الساعة ثم سار في الظلام يقطع الربى والآكام وبات عنترة ومن معهُ في ذلك المكان الى ان لاح الصوء وبان فعند ذلك ركبوا وساروا يقطعون القفار الى اخر النهار هذا وعنترة قد زادت بهِ الكروب لغيبة اخيهِ شيبوب واذا بهِ قد اقبل مثل ريح الهبوب ورجلاه تلطم اذنيهِ فوصل الى اخيهِ ووقف بين يديهِ ففرح عنترة بمجيئهِ وسلم عليهِ وسالهُ عن حالهِ فقال يا ابن الام ان العساكر بعيدة عنا مسيرة يوم فخذ حذرك انت وعسكرك فلما سمع منهُ تلك الاخبار اقبل على عروة وقال لهُ اعلم يا ابا الابيض ان سيقدم علينا عسكر جرار ونحن نريد ان ندبر الاحوال في عاجل الحال لئلا يطول بنا المطال ومن الراي انك تاخذ الف فارس و يسير بك شيبوب في عرض البيداء فما يصبح الصباح الا وتبلغون الاعداء واجعل ولدي وابن اخي مقري الوحش عن يمين القوم وعلقمة بن علاقة واخي مازنًا في الف فارس يكمنون عن اليسار والتقيهم انا وابن عمي عمرو في الفي فارس ولا اظهر نفسي بادىء بدء للاعداء حتى اذا اشرفوا علينا ورأونا في قلة يطمعون فينا و يظنون انا طليعة قومنا فيحملون علينا بهمة سريعة فنستجرهم حتى نبعدهم عنكم فتخرج انت من خلفهم وتملك كل شيء لهم و يكونون تواسطوا الكمناء فتصرخ الرجال عليهم صرخة واحدة من اليمين والشمال وفي ذلك الوقت احمل انا عليهم واترك اولهم لا يلحق اخرهم فلما سمع عروة كلامهُ ابدى ضحكهُ وابتسامهُ وفعل ما امره عنترة واخذ شيبوبًا فسار هذا في البيدا والخيل من خلفهِ لا تقر ولا تهدا

قال الراوي . هذا ما كان من عروة وما جرى لهُ واما ما كان من عنترة فانهُ اقام مع من صحبهُ من الابطال الى ان اذن الليل بالزوال فعند ذلك دعا بولده ميسرة وسبيع اليمن وسيرهما في الف فارس وحذرهما من الغفلة ثم انهُ طلب علقمة بن علاقة واخاه مازن وسيرهما في الف فارس الى المكامن واوصاهما بان يحفظا انفسهما و يكونا على حذر من عدوهما و بعدها سار في الفي فارس ثم اقبلت عليهم غبائر عساكر خداش فوقف عنترة ومن معهُ ينظرونهم ليعرفوا ما يكون منهم اما خداش فلما نظرهم اندهل وتحير وبهم احتقر . ثم التفت الى من حولهُ من الاصحاب وقال والله ايها العرب واهل العقول والادب ان مجيئنا بهذه العساكر الكثيرة لهذه الشرذمة اليسيرة والعصابة الحقيرة مصيبة عظيمة وفعلة ذميمة

فاني لم ارَ لعنتر بينهم خبر واظن ان هذه طليعة العسكر ثم دعا بفارس من الابطال الاشاوس وقال له امضِ يا ابن العم الى هذه الطائفة برسالتي وحذرهم من سطوتي وابصر ان كان عنترة بينهم واعلمه بخبري وقل له انك قد رميت نفسك في بحر عميق فاستدركها قبل ان يدركك البوار ويحل بك الدمار وادخل على مقدمنا خداش من غير توانٍ ليعطيك الامان قبل ان تجرع كاساً امرّ من العلقم وتندم حيث لا ينفعك الندم فعند ذلك اطلق هذا الفارس عنانه وقوم سنانه وساق حصانه حتى قرب من العسكر وصاح بصوت جهوري يالعبس ايّ منكم عنترة العبد الراعي حتى يسمع ما اقول ويكون له واعي فلم يتم كلامه حتى صار عنترة قدامه ولم يفه بجواب بل انه انتضى الضامي الابتر وضربه على هامه شقه الى بين اقدامه

قال الراوي . فلما نظر خداش ابن عمه قتيلاً وقد مال عن جواده وانقلب نادى يا للعرب ايتوني بهذه العصابة اليسيرة والشرذمة الحقيرة حتى ابرد بهلاكها كبدي واضرب رقابهم بيدي فلم يتم كلامه حتى تقدم من عسكره سبعة الاف فارس وحملوا على بني عبس حملة واحدة واوقدوا نار الحرب بعد ما كانت خامدة وقالوا لبني عبس ويلكم لقد جلبتم على انفسكم المنية واحاطت بكم الرزية فسلموا ارواحكم الينا قبل حلول الاجل والموت المعجل فلما سمع عنترة كلامهم وتامل في حملتهم واقدامهم امر فرسانه بالحملة عليهم فجردوا السيوف وبادروا اليهم وحملوا عليهم وكان عنترة في جانب العسكر ساكتاً لا يتكلم بل ينثر الجماجم والقمم ويبلي الابطال بالعدم ويطير الرؤوس ويفرق الجثث ويسلب النفوس فلمـــا نظر خداش رجالة قد انكسرت ورجال عنترة عليها استظهرت وعنترة لا يسمع له خبر كادت مرارته من غيظهِ تنفطر فصاح في بقية العسكر وحمل بمن حوله من رفقائهِ وطلب بني عبس اما عنترة فثبت واصحابه ثبات الكرام واستقبلوا وجوه الاعداء بالحسام وجرى بينهم قتال واهوال تشيب لها رؤوس الاطفال فطمع بنو شيبان ببني عبس لقلتهم وداروا بهم من كل جانب وبذلوا فيهم القواضب فاتجه عنترة ببني عبس لجهة الكمين لينزل ببني شيبان الذل والهوان

قال الراوي . فبينما هم على تلك الحال يقاتلون اشد قتال اذا بغبرة من خلفهم ثارت وارتفعت وخيل عروة طلعت وهم ينادون يالعبس يالعدنان واستولوا على اثقال بني شيبان فسلمها عروة الى مائة من الفرسان وصاح في بقية الشجعان وحمل على الاعداء ودار بهم من كل جانب ومكان فلما نظر خداش ذلك انذهل وتحير واخذته الفكر واذا بمازن قد

طلع بين يديهِ من الميسرة وانكشفت عن رجالها الغبرة وتقدم عنترة الاسد الرئبال واختلطت الرجال بالرجال وقامت الاهوال وجرى الدم وسال وادرك عنترة خداشًا في حومة الميدان لما علم انهُ المقدم على الفرسان وطعنهُ بعقب الرمح القاه على الصحصحان فادركهُ شيبوب وشد وثاقهُ حتى كاد يدرك محاقه ونادى ويلكم يابني شيبان ها صاحبكم قد اسر وحل بهِ الهوان وهذه جيوش بني عامر قد اتت نجدة لبني عبس فسوف تنزل بكم التعس والنكس فالسعيد منكم من يطلب الهرب قبل ان يجرع كاس العطب فلما نظرت بنو شيبان مقدمها في الاسر والاذلال وصاحب العلم مجندلاً على الرمال اخذ كلٌّ منهم يمانع عن نفسهِ طالبًا النجاة وقد ايقنوا بذهاب الحياة وحل بهم الضيق وشرد كل فريق منهم في طريق ولم يزل عنترة ومن معهُ من الابطال الكرام يضربون في اقفيتهم بالحسام حتى غدت قتلاهم آكام والباقون طلبوا الانهزام فسار عنترة قدام الفرسان وهو بما نالهُ فرحان . ثم تذكر ما لقى من النائبات وانشد هذه الابيات

سقيتِ الحيا يادارَ عبلةَ باللوى   وحييتَ ياعصرَ الشبيبةِ فانعمِ
فكم من رحى حربٍ كشفت ظلامها   بماضي الظباماصا في الحديدةِ مخذمِ
ولي عزمةٌ لا تنثني عن ملمةٍ   اذا ما انثني عزمُ الكميّ المصممِ
رجعتُ وللخطيِّ تحت وربدهِ   عيون تباكي لوعةَ البين بالدمِ
وكم كنت في حربٍ يشيب وليدها   كاني منها موضع الريق في الفمِ
وان كان شيبي فلَّ جيش صبابتي   فاشبت عن تفريق جيشٍ عرمرمِ
وما الفخر الا ما يجود بهِ الفتى   بمالٍ واطراف الوشيج المقوَّمِ

قال الراوي فلما فرغ عنترة من هذه الابيات طربت لها السادات ولم يزالوا سائرين يجمعون الخيل الشاردة والعدد المبددة حتى وصلوا الى اصحابهم وكان قد بدا الصباح فتلقوهم بالهناء والافراح وجمعوا الغنائم والاموال وعادوا طالبين الجبال ولما بلغوها هرع قيس ومن معهُ من الرجال الى لقاء عنترة ومن صحبهُ من الابطال وبين ايديهم الولائد بالدفوف والمزاهر وهم فرحون بنصرة عنترة على تلك العساكر واستقبلوه وهنأوهُ بسلامتهِ ومعهم الربيع بن زياد وسائر اخوتهِ ولكن هولاء كانوا يفضلون شرب كاس الممات على رجوع عنترة الى الابيات غير انهم اظهروا بلقياه السرور رغماً عما استكنَّ في قلوبهم من الشرور . ثم استقبل عامر بن الطفيل عنترة الرئبال وهنأهُ بما نال ولما دخلوا الجبال امر عنترة بتفريق ما كسبهُ من المال على من حولهُ من الفرسان والابطال فتعجبت العرب من فعالهِ وكرمهِ وحسن خصالهِ وشيمهِ ثم انهُ سار الى الابيات فتلقتهُ عبلة بالافراح والمسرات وقالت لهُ لاعدمنا عزمتك ولاحرمنا

هلك ففرح عنترة بهذا الكلام وزاد به الابتسام ثم خرج من عندها واحضر خداشاً وعاطل بن المثنى وقال لهما اريد منكما ان ترسلا الى اصحابكما وتفديا روحيكما ان كان لكما رغبة في الحياة والا ضربت رقبتيكما وفجعت بكما احبابكما فقالا له اطلب منا على قدر استطاعتنا فناتيك بما تريد دون تردد ولا تفنيد فقال لهما انا لا اطلب منكما فضة ولا ذهب ولا اريد الا ما جرت عليه سنة العرب وهو الخيل والجمال والعبيد والاموات فقالا له مرْ بما شئت فقال اريد من كلٍّ منكما الفي ناقة ومائتي راس من الخيل المسومة ومائة عبد ومائة أمة . وما طلبت منكما الا على قدر استطاعتكما فلما سمع خداش كلام عنترة وما طلب قال له جزاك الله خيراً يا وجه العرب فوحق من جعلك من الاغنياء وجعل غيرك من اهل الفاقة ان الملك الاسود لا يوجد في مراعيه الفا ناقة وهو الحاكم على جميع العربان سكان المناهل والغدران فكيف نقدر على اداء هذا الطلب ونحن من صعاليك العرب فقال عنترة انا لو لم اعلم انكما من صعاليك العرب لما اكتفيت بهذا الطلب ثم امر شيبوباً ان يردهما الى الشد والاعتقال حتى ياتياه بالفدية والمال واقام بعد ذلك مع الاصحاب والخلان وقد فرح بما ناله من علو المنزلة والشان

قال الراوي هذا ما جرى لهولاء من السبب واما ما كان من الملك الاسود وملوك العرب فان قلوبهم كانت معلقة بخداش وبمن كان معه من الشجعان الذين ساروا الى لقاء عنترة الفرسان وكانوا كل يوم يجتمعون ويتذاكرون في ذلك الامر ويقولون لقد انفذ الملك في هذه النوبة سيفه القاطع ودرعه المانع وكانكم بالعساكر قد اقبلت وهي تسير وخداش قد اتى ومعه عنترة اسيراً او ياتي براسه محمولاً على السنان وبنو عبس معه في حالة الذل والهوان هذا وحصن كلما سمع بذلك يتفكر في امره ويقول كذلك سيكون ونستريح من هذا العبد المغبون وكان الو زبير كلما سمع مقالهم يتعجب من خبثهم ومحالهم ويقول في نفسه لا بدّ لعنترة ان يخرب دياركم والاوطان ويذيقكم كاس الذل والهوان

فلما كان في بعض الايام وملوك العرب على ما ذكرنا من الكلام واذا بالضجة قد ارتفعت والناس اختبطت واقبل المنهزمون حفاة عراة مشتتين في اقطار البر والفلاة مجرحين مكسورين وقد علا منهم البكاء والانين فلما نظرتهم العربان وتبينوا احوالهم سالوهم عما جرى لهم فقالوا ان عنترة افنى رجالنا واباد ابطالنا وهذه الحال حالنا فقالوا لهم وخداش ماذا فعل قالوا اخذه عنترة اسير وانزل به الذل والتحقير فلما سمعت العربان بتلك الاشيا ضجوا حتى اقلبوا الدنيا وقالوا اذا كانت هذه الفعال فعال عنترة بخداش وعاطل والمرقال فلا بد له

ان يدهمنا بالخيل والرجال ثم ساروا الى الملك الاسود واعلموه بما جرى وتجدد وكان عنده سائر ملوك العرب والسادات ممن سكن البر والسبسب مثل الملك وهب بن موهوب وسبيع بن الحارث الاسد الوثوب وسنان بن ابي حارثة وحصن بن حذيفة فحلت بالجميع الخيفة ثم انهم نهضوا واستقبلوا المنهزمين وهم في البر منقطعون من عشرة ومن عشرين حيارى خائفين وما فيهم من يلتفت الى اخيه والولد لا يعي على ابيه فلما نظر القوم حالهم وراوا ما هم عليه من الاذلال وقع بهم الانذهال فتقدم سبيع بن الحارث الى المنهزمين وقال لهم ويلكم ما وراكم وما الذي دهاكم فلما سمعوا منه ذلك السوال اعادوا عليه ما جرى لهم من الاحوال واعلموه بما فعل عنترة في ساحة المجال واخبروه بمن قتل ومن اسر من الرجال

قال نجد بن هشام فلما سمع ذو الخمار هذا الكلام وفهم ذلك الخطاب غاب عن الصواب واخذهم ودخل بهم على الملك الاسود وهم مشققو الثياب وقد علاهم الذل والاكتئاب فلما دخلوا عليه وهم في هذه الحالة اضطرب واسودت الدنيا في عينيه فسالهم عن حالهم فاعلموه بما جرى لهم مع عنترة وانه قتل منهم ما يزيد على عشرة الاف والباقون رجعوا بهذه الاوصاف ثم قالوا له ايها الملك قد قتلت رجالنا وساءت حالنا ونهبت اموالنا فلما سمع الملك الاسود بما جرى على عسكره وما تم عليه ذرفت الدموع من عينيه واطرق في الارض وقال ما بلي احد بمثل ما بليت به انا من هذا العبد الاسود فوحق من انبت لعباده النبات ما بقي عنترة يبالي بعد هذه النوبة باية ميتة يموت ثم سكت واطال فكره ودموعه جارية على خده فعند ذلك قال له حصن ايها الملك المنتخب ما بقي بعد هذا السبب الا مسيرك في عساكر العرب نلجأ عنترة في الجبال وننزل به الذل والنكال وناخذ من معه من الرجال فلما سمع الوزير هذا الكلام اقبل على حصن بالملام وقال له ويلك اما تستحي بذكر هذا الكلام كيف يسير الملك بنفسه في هذا العسكر العظيم لذلك العبد الزنيم الذي ربما تحصن في الجبال اذا رأى هذا الشان او اذا رأى الغلبة قتل من عنده من الفرسان فالراي عندي ان يسعى الملك في خلاص الاسارى الذين عنده ويخلصهم من يده وبعد ذلك يرسل الى قتاله عسكراً من بعض جنده ويكون فيهم فارس قد بان سعده فيعفر خده

قال الراوي فلما سمع الاسود كلام الوزير استصوب رايه وقال له ايها الوزير ابصر لنا من يمضي الى عنترة برسالتنا وينظر ما يطلبه منا حتى ارسل اليه في الحال فدية لمن عنده من الرجال فقال الوزير السمع والطاعة وانا اسير في هذه الخدمة من هذه الساعة فقالت العرب وكذلك يكون ثم تفرقوا على هذه الحال وفي قلب كل واحد منهم نيران الاشتعال

وعاد الوزير الى داره وقد زاد من اجل عنترة هياج افكاره واراد ان يكتب له كتاباً واذا بعبيده قد دخلوا عليه واعلموه بان رسول عنترة قد وصل اليه وهو يطلب الحضور بين يديه فلما سمع الوزير ذلك المقال قال ايتوني به في الحال فعند ذلك احضرت العبيد رسول عنتر حتى يسمع ما اتى به من الخبر. وكان السبب في انفاذ هذا الرسول وما حمل من المقال هو ان عنترة لما عاد سالمًا الى الجبال وفرق الغنائم والاموال على الرجال وجرى له مع خداش ماجرى طلب منه الفدا وشده عند الاسرى واقام في اكله وشربه وهو في فرح وسرور مع اهله وصحبه فلما كان بعد ثلاثة ايام وهو جالس يشرب المدام ومن حوله سادات بني عبس وبني عامر الكرام اقبل على عروة بن الورد وقال له يا ابا الابيض حتىمَ هذا التقاعد عن بلوغ المراد فقال له عروة وما الذي تريد ياابا الفوارس من الحوائج حتى اقضيها فقال نسير الى الحيرة ونضرب رقاب كل من فيها ونخربها ونملك نواحيها ونسبي حريم الملك الاسود ونتركهم حيارى ولكن لا نفعل شيئًا من هذا حتى نضرب رقاب هولاء الاساري فلما سمع عروة منه ذلك المقال علم ان السكر قد غير منه الاحوال فقال له ياابن العم تمهل في امرك وتأنَّ ولا تعجل لان الحوادث غير مامونة والايام والليالي مازالت خؤونة فلما سمع عنترة كلامه اشتد به الغضب وقال له ياابا الابيض كم ذا تخوفني وتحذرني وعما اريد ان افعل تفندني اما يفيد قعودي عن هولاء الطغام الذين عندنا في الاسر والعذاب ثم انه ارسل في ساعة الحال واحضر خداشًا وعاطلاً والمرقال وامر ثلاثة عبيد ان يجردوا سيوفهم وان يقفوا على رؤوسهم ففعلوا ما امرهم به فايقن الاسارى بموتهم ثم انه اقبل على عاطل وهو في حالة الذل والعناء وقال له ويلك ياابن الامة الخنا قد طاب لك الاسر فوحق من له النهي والامر اذا نهى وامر وهو العالم عدد القطر والمطر اذا لم تعجل بالفدا انت واصحابك سقيتك كاس العبر وامر العبيد ان يضربوا رقابكم فلما سمعت الاسارى من عنترة ذلك المقال وراوا عينيه تتوقدان مثل الجمر قالوا له ياابا الفوارس ها نحن بين يديك ياسيد العرب في ذلة الاسر وغلبة القهر فاقطع علينا من المال ما تريد واتركنا عندك في الاعتقال وانفذ من عندك رسولاً ياتيك بالاموال فلما سمع عنترة مقالهم وتذللهم وخضوعهم قال لهم اريد من كل واحد منكم الف ناقة ومائة راس من الخيول المسومة وخمسين عبدًا وخمسين امة وخمسة الاف راس من الغنم والفي ثوب من الديباج المعلم ثم جعل يقطع عليهم اموال لم تقدر عليها الملوك الثقال فلما رأت الاسارى منه الجد كتبوا الى الملك الاسود كتاب يعلمونه بجميع الاسباب وما هم فيه من الاهانة والعذاب وانفذوه مع عبد من عبيد

عنتر فسار بهِ مجداً يقطع البر حتى وصل الى ارض الحيرة وقصد دار الوزير كما ذكرنا الا ان العبيد لما خرجوا اليه ادخلوه عند الوزير واوقفوه بين يديه فقبل الارض وسلم الكتاب اليهِ فلما نظر الوزير كتاب عنتر تهلل طرباً وفرح بهِ واستبشر وسار بهِ في الحال عند الملك الاسود واعلمهُ بجميع ما جرى وتجدد وقال لهُ هذا الكتاب قد وصل من عند عنتر ثم اطلعهُ على ما فيهِ من الخبر فقال لهُ ايها الوزير اعلم العرب بما فيه حتى يفهموا معانيهِ فعند ذلك فتحهُ الوزير وقراه واسمع العرب معناه

قال الراوي. فلما سمعت العرب بذلك الحال اخذهم البكاء والاندهال على ما جرى لخداش وعاطل والمرقال وبكى الملك الاسود وحلت بهِ العبر وامر بحضور العبد الذي اتى من عند عنتر فلم تكن الا ساعة حتى حضر فقال لهُ ويلك ما الذي يعمل عنترة الان فقال يامولاي هو عامل على الاكل والشرب والطرب غير مبال بك ولا بسائر العرب فقال لهُ والمال الذي اخذه منا اما كفاه حتى ارسل يطلب سواه فقال لهُ العبد اعلم انهُ مواظب على جزر الجزور ونحر النحور وشرب الخمور وقد فرق المال على من معهُ من العرب . فلما سمع الاسود ذلك المقال قال يحق لهُ ان يفعل هذه الفعال . اما فرسان العرب فشهدوا كلهم لعنترة بالجود والكرم فعند ذلك اقبل الملك الاسود عليهم بعد ما مدحوا عنترة وشكروه وقال لهم ما يكون الراي الذي ترونهُ فقالت بنو شيبان نحن نفدي صاحبنا خداشاً من الاسر والهوان وندفع المال وقالت بنو سليم ونحن نفدي عاطلاً والمرقال ونرسل الى عنترة ما يريد من المال . فلما سمع الاسود مقالهم قال لهم هذا شيء لا يكون ابداً الا انني انا الذي ارسلتهم الي هولاء العدى ومن اجلي حل بهم الاسر والردى وانا اعلم اني احق منكم بوزن المال والفدا . ثم انهُ في ساعة الحال امر الرجال ان ياتوه بالنوق والجمال وامر باحضار الاغنام والعبيد والخدام فمضت اصحابهُ واحضروا جميع ما ذكره عنترة في كتابهِ فلما نظر الملك الاسود الى ذلك المال وقد صار بين يديهِ قال وهذا ايضاً مما يزيد عنترة فينا طمع ويقول ما انفذ الملك الاسود هذا المال الا وقد حل بهِ الفزع . ثم اقبل على الوزير وقال لهُ ايها الاب الكبير دبر برايك واحسن التدبير وابصر لنا من يحمل هذا المال وبهِ يسير فقال الوزير اذا كان الامر على هذا الحال فما لهذه الخدمة مثل المنهال لانهُ صاحب راي وافضال وحسن تدبير في جميع الاحوال

قال الراوي . وكان المنهال من اعظم الناس في الاصلاح وما توجه في امر الا ورزق بهِ النجاح لان عقلهُ رجيح ولسانهُ فصيح وكان من اصدقاء عنتر فاشتهى الوزير ان يرسلهُ

بهذه الاموال والبدر حتى يجدد عهده بعنتر ويخبره بما جرى من الخبر . فلما سمع الاسود كلام الوزير استحسنهُ واستصوب رايهُ وما ابداه من التدبير فسلم ذلك المال الى الملك المنهال وامرهُ بالمسير الى عنترة بن معهُ من الرجال فامتثل امره وانشرح لذلك صدره ثم انهُ تجهز في ساعة الحال الى المسير فاقبل عليهِ حصن بن حذيفة كالمشير وقال لهُ يامنهال خوّف عنترة من الملك الاسود اذا وصلت اليهِ واعلمهُ بكثرة العرب التي حواليهِ واخبره انهُ انفـذ الى كسرى ليأتيهُ بالعجم ويستنجد عليهِ بالاكراد والديلم . فلما سمع المنهال من حصن ذلك المقال اغتاظ منهُ وتغيرت احوالهُ الا انهُ ما التفت اليه ولا سمع مقالهُ بل سار يقطع القفار وقد امر عبد عنترة ان يسير بين يديهِ حتى يعلم مولاه بقدوم المنهال عليه فعند ذلك سار العبد يقطع التلال حتى وصل الى الجبال واعلمهُ بقدوم المنهال وبصحبتهِ المال فلما سمع عنترة من العبد ذلك المقال فرح وطابت منهُ الاحوال وركب في ساعة الحال بمن معهُ من الرجال وهم سبيع اليمن الفارس الرئبال وولده ميسرة وعروة وعامر بن الطفيل وملاعب الاسنة وقيس والربيع بن زياد وعمرو اخو عبلة وبنو عبس وعامر وغني وكلاب . وما فعل عنترة تلك الفعال الا خدمة للمنهال لانهُ علم انهُ ما صار في هذه النوبة الا خدمةً لهُ وصحبةً فيهِ

قال الراوي . فلما وصل المنهال وقرب من الجبال ضربت لهُ الخيام واكرمهُ عنترة غاية الاكرام واكثر لهُ من الطعام والمدام مدة ثلاثة ايام وبعد ذلك قبض منهُ المال وفرقهُ على الرجال واغنى من معهُ من الابطال وبعد ذلك سأل عنترة المنهال عما تجدد وعن العرب المجتمعة عند الملك الاسود فقال المنهال والله يااباالفوارس انهم لا ينامون الليل من خوفهم منك وهم في غمّ وويل فلما سمع عنترة ذلك الكلام زاد بهِ الفرح والابتسام وقال لهُ ايها الملك النصير والله ما على قلبي همّ من صغير ولا كبير ولا قليل ولا كثير ولكن اريدك ان تحمل هذه الرسالة مني وتقول للملك الاسود يقول لك عنترة بن شداد اقلع عن هذا التعدي الذي تفعلهُ وانفذ لهُ حصن بن حذيفة وسنان بن ابي حارثة لانهما خصماه وهما اللذان شردا عن عينيهِ النوم وقتلا ولده واحرقا عليهِ كبده فان هما قتلاني او اعاداني الى الاسر فقد انقضى الامر وان انا اخذتهما وفي مقام الحرب قهرتهما اخذت منهما بثاري وكشفت عني ذلي وعاري وان اردت ان افرغ من محاربتك ولا اعود اتعرض الى اذيتك انفذهما اليّ اسيرين مقيدين هما ومن يلوذ بهما اجمعين وان لم تفعل وصعب ذلك عليك انهما من ارضك واتركها وشانهما فلما سمع المنهال من عنترة ذلك الكلام قال لهُ يااباالفوارس الزم انت هذا المقام وقد كفيت شر العتب والملام ثم اقام بعد ذلك الكلام ثلاثة ايام وعاد الى الحيرة بعد ما اطلق الاسارى

فودعه عنترة ورجع الى الجبال بمن معهٔ من الرجال فعند ذلك تقدم اليهِ الربيع بن زياد بوجه بشوش ضاحك وقال لهٔ ومن مثلك يا ابن العم وقد اخذت جزية الملوك فلا زلت ابد الدهر مسرورًا وعدوك نادمًا مقهورًا فلما سمع عنترة مقالة تبسم وعلم انهٔ لو قدر على شرب دمه لفعل فقال لهٔ وانا يا ربيع عملت على قدر طبعي وعلو مجدي وسوف يبقى حديثي يذكر من بعدي على انني بسيوفكم اضرب و بهيبتكم اغلب فلما سمع قيس من عنترة ذلك المقال تحير واخذه الاندهال وتعجب من عنترة. هذا ما كان من هولاء وما جرى لهم من الاحوال واما ما كان من المنهال فانهٔ سار ومن معهٔ من الرجال الذين كانوا عند عنترة في الاسر والاعتقال وقد رد عنترة اليهم خيلهم وسلاحهم وفرحوا بخلاصهم وسلامة ارواحهم ولم يزالوا سائرين حتى وصلوا الى الحيرة واخبروا الملك الاسود بوصولهم وما تجدد ففرح بهم و بعد ذلك دخل المنهال عليهِ وقبل الارض بين يديهِ وادخل الاسارى معهٔ ففرح بهِ وقال لهٔ ما الذي قال لك عنترة من الاقوال بعد هذه الفعال فاعاد عليهِ من ساعتهِ ما حملهٔ عنتره من جوابهِ فلما سمع ذو الخمار كلامهٔ انطلقت في قلبهِ النار ونهض من بين رجالهِ وقال للملك الاسود والله لاسار اليهِ في هذه النوبة سواي ولا ادع احدًا يروح غيري وسوف يبان لك شري من خيري

قال الراوي فلما سمع الملك وهب بن موهوب ذلك المقال التفت الى الملك الاسود وقال لهٔ يا ملك واذا اراد ابن عمي المسير الى عنترة سرت انا معهٔ فيمن معي من العسكر واتبع اثر عنترة وانت ارسل معنا من اردت من العسكر حتى نسقي عدوك كؤوس الفناء والضرر وناخذ روحهٔ من بين جنبيهِ ونجتهد ان يكون النصر لنا عليهِ فلما سمع عاطل من ذي الخمار ذلك المقال قال لهٔ عندي ان لا تتعرض لعنترة بحال من الاحوال لانك والله ما انت من رجالهِ ولا تعد من اشكالهِ

قال الراوي وقد اجمعت رواة الاخبار من العرب الاخيار من سكان البراري والقفار ان ذا الخمار كان يعد بسبعة الاف فارس كرار فلما كان ذلك اليوم وسمع كلام عاطل وما اليهِ اشار اسودت الدنيا في عينيهِ وقال لهٔ اعلم يا عاطل انك تكلمت بكلام باطل وقد وقع بك الذل والخبال مما انزل بك عنترة من التنكيل والاذلال فما من طامة الا وورآها طامة وسوف ترى ما انزل بعنترة من النقمة وكان يحق لهذا الفارس الرئبال ان يقول مثل هذا المقال و يفتخر على الابطال لانهٔ كان فارسًا واي فارس تخضع لهٔ الرجال القناعس ولو لم يكن فارسًا كرارًا لما عدوه بسبعة الاف فارس في مقام الاخطار

قال الراوي ولفظة ذي الخمار لقب لهٔ لا اسم وهو لقب فرسهِ واسمهٔ مالك بن نويرة اليربوعي

التميمي فارس ذي الخمار وكان مالك يلقب بالجفول لكثرة شعره وكان من فرسان العرب وشجعانها وذوي الردافة في الجاهلية وكانت بنو اليربوع في ايام المنذر . ومعنى الردف هو ان يجلس الملك او الامير ويجلس الردف عن يمينهِ فان شرب الملك شرب الردف بعده وان غزا اجلس الردف مكانهُ وللردف ان توخذ ثاراتهُ مع ثارات الملك ان كان لهُ ثار ويلجأ اليهِ كالملك وفيهِ يقول الشاعر

ومن ينافر آل يربوع يخب الجلسُ الايمنُ والردفُ النجبْ

وادرك سبيع الاسلام واسلم وبعثهُ الرسول على صدقات قومهِ من بني يربوع فلما توفي الرسول أخر الصدقة وقيل انهُ ارتد وبعث ابو بكر خالدًا بن الوليد الى قتال اهل المردمة ثم اوصاه ان صبح قومًا تسمع الاذان فان سمعوا كف عنهم وان لم يسمعوه قاتلهم . فلما مر بالبطاح التي فيها ذو الخمار واصحابه تُسمعوا الاذان فلم يسمعوا فقاتلهم واخذ ذا الخمار اسيرًا فامر خالد ضرار بن الازور بقتلهِ فقتلهُ واحتج قومٌ لخالد بن الوليد بقتلهِ وطعن عليهِ اخرون فاما من احتج فيزعم ان مالكًا مات مرتدًا وانهُ لما وقف بين يدي خالد كان يقول في مخاطبتهِ قال صاحبك وتوفي صاحبك يعني النبي صلى الله عليهِ وسلم فقال لهُ خالد او ليس هو بصاحبك ايضًا يا عدو الله ثم قتلهُ ويحتجون ايضًا بقول اخيهِ متمم وذلك ان عمر بن الخطاب رضي الله عنهُ لما سمعهُ ينشد رثاء اخيهِ فقال وددت ان لو رثيت اخي زيدًا بمثل ما رثيت بهِ اخاك فقال والله لو عرفت ان اخي صار الى ما صار اليهِ اخوك لم ارثهِ ولم احزن عليهِ يعني الجنة واما الطاعنون فذكروا ان مالكًا لما احتج عليهِ خالد بارتداده انكر ذلك وقال والله انا على الاسلام لاغيرت ولا بدلت وشهد قتادة وعبد الله ابن عمر وان خالدًا امر بقتلهِ لحقود كانت بينهما في ايام الجاهلية فلما امر خالد بقتلهِ جاءت امرانهُ ليلى بنت سنان كاشفة وجهها وكانت من الحسان فالقت نفسها عليهِ فقال لها انت قتلتني يعني انها اعجبت خالدًا وانهُ يرغب في قتلهِ ليتزوجها وقام ضرار بن الازور فقتلهُ وجعل راسهُ اثفية للقدور ووجههُ ما يلي النار فنظرت اليهِ امراة من قومهِ وهو على هذه الحالة فقالت اصرفوا وجه مالك عن النار فانهُ والله لقد كان غضيض الطرف عن الجارات حديد النظر في الغارات لا يشبع ليلة يضاف ولا ينام ليلة يخاف . ثم بلغ عمر بن الخطاب رضي الله عنهُ ما صنع خالد فحرض عليهِ ابا بكر رضي الله عنهُ ليقتلهُ بمالك وقال انهُ قتل رجلاً مسلمًا ظلمًا وعدوانًا فنقتلهُ بهِ وكان ممن وافقهم على الرضا بقتل خالد بن الوليد الامام علي رضي الله عنهُ فقال ابو بكر انهُ تاول واخطا وما كنت براضٍ ان اشيم سيفًا سلهُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يعني اغمده وما زال عمر

بن الخطاب رضي الله عنهُ حاقدًا على خالد بهذه الواقعة حتى عزلهُ عن جيش الاسلام وقال والله لا ولي عملاً في ايامي وكان متمم بن نويرة اخو مالك الملقب بذي الخمار متقطعًا الى اخيهِ مالك مكفى المؤنة فلما قتل حزن عليهِ حزنًا عظيماً ورثاهُ بقصائد مشهورة وحضر حين بلغهُ ذلك الى مسجد رسول الله صلى الله عليهِ وسلم فصلى الصبح خلف ابي بكر فلما فرغ من صلاتهِ وانفتل قام متمم فاتكأ على قوسهِ ثم انشد

نعم القتيل اذا الرياح تناوحت　　خلف البيوت قتلت يا ابن الازور

ثم اوما الى ابي بكر وقال

ادعوتهُ بالله ثم غدرتهُ　　هو لو دعاك بذمة لم يغدر

فقال ابو بكر والله ما دعوتهُ ولا غدرتهُ فانشد بقية قصيدتهِ ثم بكى وانحط على قوسهِ وكان اعور فما زال يبكي حتى دمعت عينهُ العوراء فقام اليهِ عمر بن الخطاب رضي الله عنهُ فقال وددتُ لو رثيت اخي زيدًا فاجابهُ بما تقدم ذكره من الكلام ثم رثى زيدًا فلم يجد فسئل عن ذلك فقال والله انهُ ليحركني لاخي ما لم يحركني لزيد وسألهُ عمر عن حزنهِ فقال والله اني لا انام الليل وما رأيت نارًا رُفعت بليل الا ظننتُ ان نفسي ستخرج اذكر بها نار اخي انهُ كان يامر بالنار فتوقد حتى يصبح مخافة ان يبيت ضيفهُ قريبًا منهُ فمتى رأى النار ياوي الى الرحل وهو دائمًا ياتي بالضيف مجتهدًا اسر من القوم يقدم عليهم القادم من السفر البعيد فقال عمر اكرم بهِ وقال لهُ عمر يومًا اخبرنا عن اخيك فقال اسرت يومًا في حي عظيم من احياء العرب فاقبل اخي فما هو الا ان طلع على الحاضر فما كان احد قاعدًا الا قام وما بقيت امرأة حتى تطلعت من خلال البيوت فما نزل عن جملهِ حتى تلقوه بي وانا في رمتي فقال عمر ان هذا لهُ الشرف ثم قال لهُ يومًا انك يا متمم لجزل فكيف كان منك اخوك فقال والله كان اخي في الليلة ذات الازيز والصر يعني بشدة الشتاء والبرد يركب الجمل الثقيل ويجنب الفرس الجرور وفي يده الرمح الثقيل وعليهِ الشملة الفلوت وهو بين المزادتين حتى يصبح وهو يتبسم يعني يحمل الطعام بيده ويدور على ابيات الارامل والايتام يلقمهم بيده ويوقد لهم النار ويحمل لهم الحطب على ظهره ماشيًا ويقربهم ببشاشة وجه وسعة خلق ومن جيد مراثي اخيهِ متمم لهُ قولهُ من ابيات قالها فمن بعضها

وقالوا اتبكي كلَّ قبرٍ رأيتهُ　　لقبرٍ ثوى بين اللوى فالدكادك

فقلت لهم ان الاسا يبعث الاسا　　دعوني فهذا كلهُ قبر مالك

ومن شعر مالك الملقب بذي الخمار

ولقد علمت ولا محالة انني　　للحادثات فهل تراني اجزعُ
افنيت عاداً ثم آلَ حريقةٍ　　فتركتهم بدداً وما قد جمعوا
وعددت ابائي الى عرق الثرى　　ودعوتهم فعلمتهم لم يسمعوا
ذهبوا فلم ادركهم دهمتهم　　غول الليالي والطريق المهيع

وله اشعار كثيرة ومناقب اثيرة والى هنا وجدنا من ذكر حديثه وربه اعلم به ولنرجع الى سياق كلامنا الاول من مسيره الى قتال عنترة وقول عاطل بن المثنى له ذلك الكلام وجوابه له بين الانام فقال له عاطل انا ما قلت لك الا ما علمت واخبرتك بما شاهدت وبعد ذلك فانت اخبر بنفسك من كل انسان وسوف ترى ذلك عيان واما عنترة فانت تعلم انه لا تزعزعه الجبال المائلة ولا هذه العساكر المتواصلة لانه قال انا ليس بيني وبين الاسود معاملة وليس ثاري من دون الفرسان الا عند حصن بن حذيفة وسنان فان اراد الملك الاسود ان يبطل عنه القتال يرسلها اليَّ في الاسر والاعتقال

قال نجد بن هشام فلما سمع الملك الاسود ذلك الكلام تغيرت منه الاحوال وقال ما اراد عنترة الا ان يحط موضعي ولا معاملته بعد اليوم الا معي لانه يريد ان ياخذ هولاء القوم من يدي وهم قد استجاروا بي وطرحوا انفسهم عليَّ ويريدني ان اتخلى عنهم حتى تتحكم الاعداء فيهم واي قبيح اعظم من هذا وان كان عنترة ما فعل بهم تلك الفعال الا لاجل قتلهم ولده فقد قتل منهم الفا واربعمائة قتيل بيده واكثر من هذا الفعل اسراف وما هو طالب بعد هذا الا الجور وقلة الانصاف والا لو كان عنترة عاقلاً وله مطالبة لكان وطأ بساطي وترك المحاربة وشكا حاله الي وما طرقه وانا كنت اخذ له من عدوه حقه وكان ياتيه الامر كما اراد وكفانا اظهار هذه العداوة وهذا العناد ثم انه بعد ذلك الشان اقبل على حصن بن حذيفة وسنان بن ابي حارثة وقال لهما انتما تعلمان انكما من اهل عنترة وخصماه فليتجرد كل واحد منكما في قومه ويسير مع من يسير في يومه واهجموا على عنترة واكسروه فعسى ان تقتلوه او تاسروه فلما سمع حصن من الاسود ذلك الكلام وما اليه دعاه اصفر وجهه وارتجفت اعضاه فقال له الملك الاسود لا تفزع يا حصن من هذا فهولاء بنو شيبان معكم وجماعة من العربان في ثلاثين الف عنان وانتم في خمسة الاف فارس من كل بطل مداعس ومعكم ذو الخمار والملك وهب بن موهوب في ثلاثين الف فارس تتبعكم سوى من يتبعهم من طامعي العرب ولا اظن اذا كان هذا الجمع معكم تعجزون عن هذا الكلب الاجرب واذا رايتموه قد ثبت امامكم احملوا عليه كلكم واقتلوه هو ومن معه من اناسه واسبوا عياله واتوني براسه وان هرب

كان هلاكهٔ اقوى سبب لانهٔ لا يقدر ان يصعد الى السما ولا لهٔ الى العرب ملجأ ولا لكثرة ما عليهِ من الدما واذا علمت العربان اني مطالبهٔ وعليهِ غضبان طلبوهُ من جانب ومكان

قال الراوي فلما سمع حصن ذلك المقال خفت عنهُ بعض الاثقال وقويت نفسهُ على لقاء الاهوال لكون سبيع بن الحارث معهُ ومن صحبهُ من الرجال هذا وذو الخمار اقبل على الملك الاسود وقال لهُ ايها الملك اعلم انني اذا وصلت الى عنترة لا بد لي من برازه دون كل العسكر فاما ان اخذهُ في مقام القراع او ياخذني ونستريح من هذا الصداع فلما سمع الاسود ذلك المقال قال لهُ اذا كان الامر على مثل ذلك فخذوا اهبتكم للترحال فعند ذلك قام حصن هو ومن معهُ من الابطال وامر بني فزارة باخذ الاهبة للقتال واما الملك الاسود فانهُ دعا بمفرج بن هلال الشيباني ومن معهُ من الرجال ونادى بالفرسان وجميع من معهُ من ملوك العربان فلما حضروا بين يديهِ قبلوا الارض وسلموا عليهِ فقال لهم اريد ان تسيروا كلكم وتتفقوا على عنترة وتاخذوا منهُ بثاركم فقالوا سمعًا وطاعة فها نحن متجهزون من هذه الساعة لان هذا غاية مرادنا واكبر اغراضنا ثم انهم خرجوا من حضرة الملك الاسود واخبروا عساكرهم بما جرى وتجدد فعند ذلك ترتبت العساكر في ظاهر الحيرة واطلالها وتفرغت الناس من اشغالها وتجردوا في سبعين الف فارس من كل بطل مداعس وفيهم مثل ذي الخمار ووهب بن موهوب الفارس الوثوب وعاطل والمرقال وحصن بن حذيفة وثابت بن ماجد وعمرو بن واقد ومسعود بن خالد وعكرمة بن جندلة والمغوار بن حنظلة ومفرج بن هلال وسنان بن عبد العزى وهلال بن ماجد ومسروق بن حامد وطارق بن بارق وسعيد بن اكال المرائر هذا والجيش قد سار كانهُ البحر الزخار والفرسان غائصون في الحديد يبرق على اجسادهم الزرد النضيد ثم ودعوا الملك الاسود وساروا يقطعون البرّ والفدفد وكل كتيبةٍ خلف مقدمها وبنو حمير في اوائل العسكر يقدمها ذو الخمار وهو ينشد ويقول

ايا صاحبي عرّج على عرصة الحمى ... ففيها قبابٌ شرّعت وخيامُ
وفيها ترى رايات شمسك في الدجى ... فيجلى بها من ذي الخيام ظلامُ
اذا حضرت لمياء في عرصاتها ... ومادَ لها ردفٌ وهزّ قوامُ
فيرجف قلبي خيفةً من فراقها ... ولا نقص الا حين كان تمامُ
فياقلب ان تصبرْ والا فمت جوًى ... ومن مات عشقًا فهو ليس يلامُ

سقى الله ايام التصابي التي مضت ... اذا الغصنُ غضٌّ والزمانُ غلامُ
انا القائل المعني لكل نسيبةٍ ... يقصر عنها ذابلٌ وحسامُ
فسل حميرًا عني وهمذان اذ انت ... وفرسانها والعسكران قيامُ
ومن اطفأ النار التي اوقد العدى ... وكان لها في الخافقين ضرامُ
محاها فتى من آل حمير خير من ... يخوض عجاج الحرب وهو قتامُ
وكم كربةٍ فرّجتها بمهندٍ ... وللموت ما بين النفوس حمامُ
اسير الى ابناء عبسٍ وعامرٍ ... فلي عندهم يوم الحروب مقامُ
فبلغ زعيم القوم عني وقل لهُ ... جوابًا لهُ السيفُ الصقيلُ كلامُ
ساسقيهِ كاس الموت في جومة الوغى ... بسيفٍ لهُ الموتُ القريب زؤامُ

قال الراوي ثم انهم ساروا مجدين والى نحو عنترة قاصدين وطالبين هذا ما كان من هولاء واما ما كان من الوزير فانهُ لما رأى تلك الخلائق والعسكر الذي هو سائر الى لقاء عنتر اندهل وتحير وخاف ان يدهموهُ على غرر فعند ذلك كتب كتاب الى عنترة يعلمهُ بما جرى وتجدد من الاسباب ومن سار اليهِ من الفرسان الانجاب وسمى له جميع اسمائهم واعلمهُ ان ذا الخمار معهم وانهم قد ساروا عن الحيرة وان النوبة كبيرة ثم انفذ الكتاب مع عبده وامره ان يحترز على روحهِ وعلى من عنده فعند ذلك ركب العبد وسار على نجيب يسبق الاطيار واخذ في عرض البر حتى ترك العسكر خلفهُ وسار يجد في قطع الفلاه بعد ان ترك العسكر وراه ولم يزل سائرًا الى ان وصل فوجد عنترة جالسًا على الباب وكان العبد منكرًا فسلم على عنترة وناولهُ الكتاب ففرح بهِ عنترة لما رآه وسلم عليه وسالهُ عن مولاه فقال يامولاي انهُ بخير ثم ان عنترة اعطى الكتاب الى عروة بن الورد وامره ان يقرأه فقرأه عليه واسمعهُ جميع ما فيهِ واطلعهُ على معانيهِ فلما سمع عنترة ما في الكتاب امر عروة ان يكتب لهُ الجواب وقال لهُ اكتب لهُ على لساني يامولاي وحق ذمة العرب وشهر رجب والرب الذي اذا طلب غلب لو سار اليّ كسرى ومرازبتهُ وقيصر و بطارقتهُ والاسود وسائر عشائرهُ ومن يقوم بناصره لكنت لقتالهم كفوءًا وفيًا لاني اعلم ان الاجل اذا حضر لا يتقدم ولا يتاخر وسوف اريك ما يسرك طول زمانك ودهرك مدى الايام والليالي فوالله لافرقنهم تفريق الغنم اذا الذئب عليها هجم ولا تركنهم من بعدي حديثًا للامم فعند ذلك كتب عروة جميع ما قالهُ عنترة ونظمهُ في الكتاب ونثره في الخطاب وبعد ذلك طوى الكتاب وسلمهُ الى العبد النجاب فاخذه وسار طالبًا الحيرة وتلك الديار من غير توان ولا قرار وهو يقطع البراري والقفار

قال الراوي و بعد مسير العبد بذلك الكتاب نهض عنترة وسار الى الملك قيس يعلمهُ بهذه الاسباب فلما وصل اليهِ وجد عنده جماعة من الاصحاب وهم سادات بني عبس وعامر وغنى وكلاب فلما وصل عنترة اليهم بادر وسلم عليهم واعلمهم بمن سار اليهِ وقص القصة عليهم وقال لهم ما ترون من الراي في هذه النوبة فقد سار اليكم سبعون الف فارس ومعهم ذو الخمار وهو كما علمتم معدود بسبعة الاف فارس كرارما حمل على جيش الا وكسره ولا على فارس الا ودمره فلما سمع قيس ذلك الكلام قال اننا نسير اليهِ كلنا في هذه النوبة ونلتقي هولاء الاشرار ونكون على حذر من هذا الفارس الجبار فلما سمع عنترة ذلك المقال قال ليس هذا بصواب لانهم في خلق كثير المدد ليس لهُ عدد ونحن في قلة وان نحن ابعدنا عن هذه الجبال نالنا الذل والخبال لاننا نخاف ان تسير طائفة من القوم الينا و بالحرب والقتال تلهونا وتمضي فرقة اخرى من الرجال و يملكون علينا الجبال و ياخذون الاموال و يسبون الحريم والعيال وانا عولت على غير هذا الحال وهو اني اخذ اخي مازنًا وسبيع اليمن وولدي ميسرة ومائة فارس من العربان المفتخرة واسير اليهم قبل قدومهم والتقيهم ولا اعود حتى اخذ اسيرًا مقدم الطائفة وقد قصفت ظهورهم بهذه الصفة فلما سمع الملك قيس ذلك المقال قال لهُ افعل ما شئت ياسيد الرجال فعند ذلك تجهز عنتر واخذ من الفرسان من ذكر وسار طالبًا الطليعة بهمة سريعة فلما مضى عنترة ومن معهُ من الرجال امر الملك قيس في ساعة الحال ان ينادي في القبائل باخذ الاهبة للقتال فعند ذلك تفرقت العبيد واعلموا القريب والبعيد فجعلت الفرسان تتفقد العدد و يجهزون الدروع والخوذ واقاموا على ذلك الحال ينتظرون ما تجدد لهم من الاحوال وقد رتبوا الديادبة على رؤوس الجبال . هذا ما كان من هولاء واما ما كان من عساكر الملك الاسود فانها ركبت وجدت في الترحال وسارت وهي تقطع الروابي والتلال وقد تقدم في طليعة القوم خداش وعاطل والمرقال وهم كانهم اسود الاجام وما عندهم شيء اهون من شرب كاس الحمام

ولم يزالوا سائرين حتى قربوا من الجبال واذ قد بانت لهم نواصي الخيل وعلى ظهورها الرجال فلما نظر عاطل بن المثني هذه الحال ارسل فارسًا الى الملك وهب بن موهوب يعلمهُ بتلك الاحوال و يوضح لهُ جلية الخبر و يعلمهُ بانهم اشرفوا على طليعة عنتر فعند ذلك مضى الرسول الى الملك واخبره بان قد اشرف عليهم عنتر الاسد الغضنفر فلما وصل الرسول اليهِ واخبر الخبر ركب في الحال وركبت بمعهُ الرجال وصفهم يمينًا وشمالا واوقف عاطلاً ومن معهُ وقال لهم تجهزوا للحرب واعتدوا للطعن والضرب فبينما هم على ذلك الحال

واذا بالغبار قد ظهر من فم الوادي و بانت الرجال وهم كسدٌ من حديد يبرق على اجسادهم الزرد النضيد وعنترة في اوائلهم بذلك الهيكل والطول وهو ينشد ويقول

اجدُّ الى الاعداء بالبيض والقنا   واشبعهم ضرباً ببيض قواضبِ
فمن مبلغ عني سبيعاً رسالتي   ووهب بن موهوب كبير الكواذبِ
باني ارد الخيل تدمى صدورها   خلاة الهوادي داميات الجوانبِ
سبيع لقد منتكَ نفسك باطلاً   واوردتهامن مهلكات المصائبِ
انا عنتر العبسي احمي عشيرتي   على ضامر كالقدح صلب الجوانبِ
اذا لم ادع سيفي يجول بجده   على راس اعدائي وكل محاربِ
فلا حملت كفي لرمحي وصارمي   ولا فزت بالدنيا بنيل مطالبِ

قال الراوي ولما وقعت عيني عاطل على عنتر استقل فرسانهُ وبهم احتقر ثم زعق بمن معهُ من الرجال وقال دونكم وهذا الاسود الذي طغى وتمرد فلما سمع عنترة كلام عاطل وما بهِ نطق ازداد غيظاً وحنق وصاح على رجالهِ وزعق وحمل فيمن معهُ واطبق والسيف في يمينهِ قد لمع وابرق وكان عاطل قد حمل في اوائل القوم ونادى في بني سليم اليوم اخذ بثاري واكشف عني عاري فحمل عنترة عليه ومال اليهِ وقال لهُ ويلك يا انذل العرب واخس من ضرب في البيداء طنب بالامس افلتك من مخاليب الحمام واليوم نسيت الصنيعة واتيت تريد مني الحرب والصدام وتركب معي متون الخطر وانا الاسد القسور فابشر بحلول القضاء والقدر والموت الاحمر . ثم انهُ بعد ذلك الخطاب حمل عليهِ حملة اسود الغاب وقاربهُ حتى حك الركاب بالركاب فرفع عاطل يده وهمَّ ان يضرب عنتر واذا بنبلة وقعت في صدر جواده فتاخر ووقع على الارض معفر فانذهل عنتر من ذلك وتحير وعول ان يترجل اليهِ و يشد يديه واذا بشيبوب قد وصل اليه وترامى على صدره وفي الحال اوثقهُ وقال لاخيهِ انا الذي اشد اسيري واوثق شداده فانا الذي ضربت جواده

قال الراوي فلما سمع عنترة كلامهُ ابدى ضحكةً وابتسامهُ وتركهُ يشد عاطل . وحمل على الخيل كانهُ القضاء النازل فعند ذلك انذهل الشجاع وتاه الجبان وضاع فبينما الناس على تلك الحال واذا بالصياح من وسط المعمعة وفارس ينادي يالعبس الرجال انا قامع الابطال فالتفت عنترة الى ذلك الصائح وقد اخذه الانذهال واذا بهِ سبيع اليمن وقد ملك المرقال وجعلهُ في الاسر والاعتقال فلما نظر عنتر الى ما جرى وتدبر فرح واستبشر واذا بصائح اخر عن يمين العسكر وهو ينادي انا الاسد القسور انا ميسرة بن عنتر فالتفت اليهِ

فرآه قد اسر خداشًا وهو مفود بين يديهِ فصاح من فرحهِ لا شلت يمينك ولا شقيت ومن الردى والهم وقيت فلما حل بالاعداء النكد واسر الذين عليهم المعتمد سطا عنترة بسيفهِ على الاقران وجندل الابطال والشجعان وجال على الفرسان اي جولان وهو لا يعف عن قتل الشيوخ ولا الشبان بل ينثر الجماجم من على الابدان وزعق اخوه مازن فارعب القلوب حتى كادت لفعالهِ تذوب وقصد بالطعن الصدور واوقع سنانهُ في المقاتل والنحور فصارت الادمية من الجراح تفور ورحى الحرب بينهم تدور وبان في ذلك الوقت صبر الصبور وقطعت الصوارم النحور

الكتاب الثاني والثلاثون بعد المئة

من سيرة عنترة بن شداد العبسي

وقد امتلأت تلك الارض بالقتلى حتى صار سهلها جبلا فعند ذلك ولت بنو شيبان الادبار وركنوا الى الهرب والفرار وتبعهم بنو سليم وقد راوا من سيف عنترة البلاء العظيم . قال وما زال عنترة يضرب فيهم حتى ابعدهم مسافة فرسخين وانزل بهم الحين ثم رجع هو واصحابهُ وحازوا الغنائم والاسلاب وملكوا الخيل والرقاب وعادوا ومعهم مائة اسير من كل فارس نحرير ولم يزالوا سائرين الى الجبلين فالتقاهم الملك قيس وسائر اخوتهِ والاخوص بن جعفر ووجوه عشيرتهِ وهنأوهم بالنصر والظفر وانطلقت الالسن في شكر عنتر ثم انهم نزلوا في الخيام وقد استقر بهم المقام فاحضر عنترة عاطلاً وخداشًا والمرقال وضربهم حتى ساح دمهم وسال وقال لهم ويلكم يا لئام يا انذال ارجعتم الى رداءة فعلكم وفظاظة طبعكم مع انكم بالامس تملصتم من مخاليب الاسد وخلصتم من الشد والنكد ولقد اخطأ من اطلق مثلكم ايها اللئام فاعلموا ان ليس لكم عندي الا قطع رؤسكم بهذا الحسام ثم امر شيبوبًا فشدهم بالحبال وتركهم يقاسون الذل والنكال واقام عنترة ومن معهُ في حظ وانشراح الى الصباح وعند ذلك اقبل عنترة على الملك قيس وقال لهُ ايها الملك من الراي الذي نبلغ بهِ المراد والامال ان تنادي في الرجال والابطال بان ياخذوا الاهبة للحرب والقتال وان يخرجوا الى ظاهر الجبال ولا يبقى هاهنا الا الحريم والعيال فلما سمع الملك قيس مقالهُ علم انهُ صواب وامر جميع القوم باخذ الاهبة للقتال وان يكونوا على حذر قبل ان تاتيهم العساكر من سائر الهضاب وتملك عليهم الروابي والشعاب فيصبحوا محصورين في الجبال وتضيق الفرسان عليهم عند

الحرب والطعان ثم انه زعق بالرجال والابطال فخرجوا الى ظهر الجبال وقد تاهبوا الى القتال وساروا نحو فرسخين فعند ذلك قال لهم عنترة انزلوا ها هنا حتى ياتي الغريم ولا تبعدوا عن المال والحريم لاننا لا ندري كيف يكون الحال اذا اتتنا العساكر ودهمتنا الابطال فعند ذلك نزلوا في تلك القيعان واقاموا ينتظرون العربان وقد ذكرنا قبل الان ان عاطلاً انفذ الى الملك وهب بن موهوب وذي الخمار يخبرهما بالخبر فركب كل منهما بعساكره وساروا وفي اوائلهم ذو الخمار وقد هدر وزمجر وقال يا ترى هل تظفرني اللات والعزى بعنتر حتى افتخر باسره على سائر البشر واشفي ما بقلبي من الغصص والكدر ثم تبعته الخيل تتقاطر والابطال تتبادر وكلهم حنق على عنتر وقلعوا الخيام ونشرت الرايات والاعلام ووهب يقول لعساكره اعلموا ان الفخر يكون لكم دون الانام وما ساروا غير ساعة حتى التقوا بالمنهزمين مشاة مجرحين وقد رموا العدد واعلنوا الويل والنكد فلما نظرتهم الفرسان تقدم ذو الخمار ووهب وسائر الشجعان وحصن وسنان وسالوهم عن حالهم وعما تم عليهم ونالهم فقالوا ان عنترة دهمنا في مائة فارس وابلانا بالذل والنكال واسر خداشاً وعاطلاً والمرقال واخذ منا مائة اسير وانزل بنا التدمير فتشتتنا في جنبات الصحرا وانهزمنا كما ترى فلما سمع ذو الخمار ذلك المقال تغيرت منه الاحوال وزادت نيرانه اشتعال وقال هذه والله مصيبة عظمى وبلية كبرى ثم انهم ساروا يقطعون الهضاب حتى اشرفوا على بني عبس وعامر وكلاب فلما نظرت بنو عبس تلك الكتائب ركبوا وتبادروا من كل جانب وصاحت الشجعان وثارت الاقران وركب عنتر وهدر وزمجر وما انكشفت الغبرة حتى رتب اصحابه ميمنة وميسرة وقلباً وجناحين وجعل في الميمنة عامر بن الطفيل وملاعب الاسنة فارس الخيل وفي الميسرة علقمة بن علاقة والاخوص بن جعفر واوقف الملك قيساً بين القبيلتين وجعل بني عبس جناحين وتقدم هو في مائتي فارس من الشجعان الى وسط الميدان ووقف ينظر الفرسان فلما وقعت العين على العين التفت ذو الخمار فرای عنترة واقفاً بين العسكرين في مائتي فارس كانهم الجن والابالس وقد اتكأ على رمحه وثنى رجله على قربوس سرجه ووقف ينتظر من يبرز اليه فانتخب ذو الخمار الف فارس من بني حمير وتقدم نحو عنتر وجال بفرسانه فاراد عنترة ان يظهر فروسيته لاقرانه فرد رجله الى الركاب واقتلع رمحه من التراب وزعق في بني عمه فحملوا وبذلوا السيوف في رقاب العدى فلما رای ذو الخمار ذلك الحال زعق زعقة ارتجت لها الجبال وادوت اقطار الارض وتزلزلت طولاً وعرض وانطبقت الفرسان بعضها على بعض والتحم بين الطائفتين القتال والتقى ذو الخمار وعنترة في المجال واصطدما اصطدام الجبال

وتضاربا بالسيوف الصقال وتطاعنا بالرماح الطوال وجرت بينهما عجائب واهوال حيرت عقول الرجال اما ميسرة وسبيع اليمن ومازن وعروة بن الورد فقد فعلوا فعالاً تعجز عنها مردة الجان واستطالوا على الاعداء واذاقوهم الهوان وكان لهم يوم مشهود زادت به نار الحرب وقود ولم تكن الا ساعة من النهار حتى وقع ببني حمير الانبهار وهلك منهم خلق كثير وطلب الباقون الفرار واختاروا الانهزام خوفًا من شرب كاس الحمام

قال نجد بن هشام اما عنترة وذو الخمار فما زالا في قتال وصدام وتجريع الموت الزؤام وقد اوسعا في الميدان واخذا في الجولان و بعدما انكسرت بنو حمير جعلوا ينظرون ما يجري بينهما الى ان اظلم الظلام وخيم فافترقا عن الصدام وعادا الى الخيام فلقي الملك قيس عنتر وهنأه بالسلامة وله شكر وقال له يا ابا الفوارس كيف رايت خصمك فقال يا ملك وحق من اوسع البقاع وتفرد بالبقاء والارتفاع ما هو الا فارس شجاع وقرم مناع ولكني ايها الملك لا اهابه ولا اكترث به وعمري ما قاتلت امثاله ولا رايت من يفعل فعاله على ان جميع ما عنده من القوة من غير معرفة ولا صناعة لانه اهوج في الحرب هجام على الفرسان في الطعن والضرب وله جسارة وقوة قلب وفي اخر النهار بان لي منه التقصير وعرفت ذلك منه معرفة خبير ولولا اقبال الظلام لما انفصلنا الا ببلوغ المرام وقد رايت ان ليس من الراي ان ابايته في الميدان لاني اخاف عليكم في ظلام الليل اذا رآني قومه قد استظهرت عليه وحل به الويل ان يؤذونا فيعدمونا القوى والحيل ثم انه اخذ معه ولده ميسرة وتجرد لحرس قومه وكذلك عروة ورجاله تجردوا معه وتحملوا اثقاله هذا ما كان من هولاء واما ما كان من ذي الخمار فانه لما عاد من مقام الاخطار افتقد اصحابه فوجد قد قتل منهم جماعة فقال لهم لعن الله الحاكم ماذا جرى عليكم حتى اطمعتم بني عبس فيكم وانتم في الف فارس فوالله لولا اشتغالي في هذا اليوم بعنتر لكنت كسرت هذا العسكر لان عنترة وحده بمقابلة هذا العسكر واكثر ففي الغد لا بد من برازه وابدل بالذل اعزازه فعند ذلك اقبل عليه الملك وهب بن موهوب وهناه بالسلامة من غائلة الحروب وقال له كيف رايت خصمك فاني اراه فارس العرب المغوار فقال له يا ملك لعن الله الكذاب ما بقي يخلف مثله الزمان ولا ياتي بمثله في الميدان ولا اخبر في الحرب والطعان ولا اعرف بمداراة الابطال والفرسان لانه فارس ايّ فارس

ثم انه تولى حرس قومه في جماعة من الشجعان واشعلوا النيران وتحارس الفريقان وعلا بينهم الصراخ والصياح الى ان اصبح الله بالصباح فعند ذلك ركبوا الجرد القداح

ولقلدوا بالصفاح واعتقلوا بالرماح وانحدروا الى مقام الحرب والكفاح وترتبت الصفوف واعتدلت المئات والالوف فعند ذلك دعا الملك وهب بن موهوب وذو الخمار رجلاً من بني حمير يقال لهُ سعد بن كثير وكان من الشجعان فصيح اللسان وقالا لهُ ياابن العم امضِ بهذه الرسالة الى عنتر فاذا حضرت قدامهُ في ذلك المحضر قل لهُ ان سبيع بن الحارث يسلم عليك وما ارسلني في هذه الرسالة الا شفقة عليك وهو يقول لك ان الابطال تغار على الابطال ومن لم يحسب حساب الرجال فالقتل اولى بهِ على كل حال وانا لا اريد ان اخرق ناموسك ولا بيني و بينك دم ولا مطالبة حتى انزل بك نحوسك وانما الملك الاسود دعاني الى قتالك وحربك ونزالك وقد ذقت بالامس من حربي ما هالك فان كنت اعتبرت بما جرى لك وتريد ان تحقن دمك وتصلح حالك فسلم اليَّ نفسك حتى اعطيك الامان وادخل بك على الملك الاسود واطفىء عنك هذه النيران التي تتوقد فان ابيت تكون على نفسك قد تعديت ولا اعود عنك حتى اقودك اسير وانزل بك الذل والتدمير وانت بعد ذلك اخبر و بتدبير نفسك اعرف وابصر فمضى ذلك الفارس الى عنتر ولما اقبل عليهِ نادى ياحامية عبس انا رسول ومعي كلام واريد منك الذمام لان الرسول اذا بلغ ما حمل لا يلام فلما سمع عنترة كلامهُ اعطاه ذمامهُ ولما نظر الرجل الحميري الى عنتر وكبر جثتهِ انذهل من عظيم خلقتهِ وقال في نفسهِ ما اقلَّ عقل سبيع بن الحارث بين الانام كيف ارسل هذا الكلام الى هذا الفارس الهمام فوالله لا يقدر ذو الخمار ان يقف بين يديه يومًا من الايام ولكن لا بد من انفاذ ما اتيت بهِ من الرسالة وانظر جوابهُ والمقالة ثم ان ذلك الفارس الهمام اعاد على عنترة ما حملهُ ذو الخمار من الكلام . قال فلما سمع عنترة ما ابداه ضحك حتى استلقى على قفاه وقال ايريد ذو الخمار ان اسلمهُ روحي بلا حرب ولا طعان وقد ذاق مرارًا من حربي ما كفاه والبستهُ لباس العار أَمثلي من يسلم نفسهُ بلا قتال ولا حرب ولا نزال وقد ارتعدت من هول اسمي الجبال فلا بد ان اتلاطم واياه في حومة الميدان حتى يعرف الشجاع من الجبان لانهُ قد ضمن للملك الاسود قتلي او اسري وانا ايضًا قد ضمنت للملك قيس ان اقرنهُ الى من عندي من الاسرى وادعهُ لا يسمع ولا يرى ولا بد لكل واحد منا ان يبذل روحهُ حتى يفي بما وعد و يبان من هو اقوى منا واشد جلد واما عساكره الكثيره فهي عندي مثل الغنم السائبة وفي حملة واحدة اردها خائبة فعند ذلك عاد الرسول الى ذي الخمار واخبره بجميع الاخبار

قال الراوي فلما سمع ذو الخمار ذلك المقال زاد بهِ الغيظ والخبال و بقي لا يعرف اليمين

من الشمال وهمّ ان يقفز الى الميدان ويدعو عنترة الى الطعان واذا بعنترة حمل من غير خيفة وقصد حصن بن حذيفة ومال نحوه الى الميسرة وزعق زعقة منكرة ومالت معهُ الفرسان مثل عامر بن الطفيل وملاعب الاسنة وحملت بنو عامر واطلقت الاعنة وحملت بنو عبس وثبتت فاندق اكثر من عشرين الف بين ايديهم واما حصن بن حذيفة فلما راى عنترة قد حمل حل بهِ الوجل وعلم انهُ طالبهُ وان وقع فيهِ يعطبه فلم يكن لهُ غير الهزيمة والفرار وتبعهُ بنو فزارة على الاثار ونظرهم بنو شيبان فتبعوهم من كل مكان فبذل بنو عامر و بنو عبس و باقي القوم فيهم السيوف وسقوهم كاس الحتوف هذا وعنترة وعامر بن الطفيل قد انزلا ببني فزارة و باقي الاعداء الذل والويل وتركا الاجساد على المهاد وقطعا الرقاب بالسيوف الحداد ونهبا الارواح بالرماح المداد فلله در عنترة بن شداد وما فعل في ذلك اليوم العظيم الطراد فانهُ جال فيهم جولان الجياد ونهب بحسامهِ الارواح من الاجساد وفعل بهم كجبابرة قوم ثمود وعاد ثم رجع من الميدان وهو مثل شقيقة الارجوان مما سال عليهِ من ادمية الفرسان وغير جوادهِ الابجر وعاد يطلب القلب وكان هنالك الملك وهب واما ذو الخمار فلما نظر عنترة قد حمل على الميسرة وكسر عسكره حمل هو على ميمنة بني عبس بسطوتهِ وضرب فيهم بحسامهِ فاندقوا قدامهُ فعاد يطلب القلب بجملتهِ وكان فيهِ الملك قيس وجميع اخوتهِ والربيع بن زياد وسائر عشيرتهِ فلما مال ذو الخمار نحوهم واراد ان يكسر اعلامهم فاجاه عنتر واصحابهُ من خلفه كانهم النار ذات الشرر لانهم لما حملوا على القلب وطلبوا المقدمة نكسوا في حملتهم الرايات والاعلام وادرك عنترة صاحب العلم فطعنهُ في صدره اطلع الرمح يلمع من ظهره فمال العلم فعند ذلك اندقت العساكر وقد حل بهم التعس فعاد عنترة واصحابهُ طالبين بني عبس

قال الراوي فلما سمع ذو الخمار صرختهُ ونظره قد اشرف عليهِ ترك قيسًا وعاد اليهِ فتلقاه عنتر بقلب اقوى من الحجر وعملت بينهما الحرب ودارت رحى الطعن والضرب واشتد البلاء والكرب وعمل الصارم العضب وثبت الفارس الندب وانتثرت الجماجم والرقاب وعظم المصاب وحمل قيس بمن معهُ من العسكر وطلب معاونة عنتر وفعلت كذلك بنو حمير وطلبت معاونة ذي الخمار البطل الكرار فزادت نيران الحرب شرر وطلع الغبار واعتكر وعمل عنترة في ذلك اليوم عملاً منكر وطير الرؤس مثل الاكر فبينما هو في الحرب يجول ويجندل الابطال عرضًا وطول واذا بعامر بن الطفيل قد لاقاه وهو مخضب بدماه وكان عنترة لما حملت العساكر على بعضها انفصل من قتال ذي الخمار الا انهُ لما نظر عامر

بن الطفيل وهو في حالة الويل ودماؤهُ تسيل قال لهُ ماوراءك فقال ياحامية عبس جرحني ذو الخمار ولولا ملاعب الاسنة يلتقيه عني لكان اهلكني والان ملاعب الاسنة مشرف معهُ على الهلاك وسوء الارتباك فعند ذلك ادركهُ عنتر وزعق فيهِ بصوتهِ الجهر وهاجمهُ مهاجمة البطل العنيد ووقع الحديد على الحديد واجادا الضرب والطعان حتى حيرا الشجعان وجعل كل واحد منهما يزعق على صاحبهِ ويطاعنهُ ويضاربهُ وارتفع عليهما الغبار حتى غابا عن الابصار وتهتكت منهما الاستار وباحا بالاسرار وجرت الادمية منهما شبيه الامطار واشتد الحرب وزاد البلاء والكرب فبينما هما كذلك واذا بالملك وهب قد رجع بعسكره لما انقطع عنهم الطلب وحملوا وطلبوا القتال فكثرت علي بني عبس الاهوال واخذت القبائل التي كانت قد انهزمت تقاتل قدام ذي الخمار وقد حملت على بني عبس بقلوب حانقة وطعنت بالرماح الخارقة وضربت بالسيوف البارقة فقطعت كل خوذة وطارقة اما عنترة وذو الخمار فقد انفصلا عن بعضهما عند العصر واختلطت العساكر ببعضها واشتد الحرب وحل بهم الكرب وكان لهم يوم مشهود تشيب من هولهِ الاطفال في المهود كشف فيهِ الموت قناعهُ وبلوا بما لا يستطيعون دفاعهُ ولم يزالوا كذلك حتى اقبل الليل بالاعتكار واظلمت الاقطار فانفصلت الطوائف وامن قلب كل خائف وعادت عساكر الملك الاسود بالذل والتحقير وقد هلك منهم خلق كثير وعاد بنو عبس رابحين وبالنصر فرحين واخذوا يثنون على عنتر ويصفون ما راوا من فعالهِ في ذلك اليوم المنكر اما هو فزاد بهِ الغيظ والكدر لانهُ ما نال من ذي الخمار في ذلك اليوم الوطر بسبب كثرة العساكر وازدحام الجموع ثم انهم باتوا يتحادثون الى الصباح فثارت الرجال تطلب الحرب والكفاح وركبت بنو عبس وبنو عامر وركبت عساكر الملك الاسود كانهم البحار الزواخر غير ان قلوبهم كانت خافقة ونياتهم غير متفقة وكل منهم يذكر عنترة وفعالهُ ويستعظم قتالهُ فلما راى ذو الخمار تغير احوالهم وسمع ما اتوا بهِ من مقالهم علم ان قد استولى عليهم من عنترة الفزع والخوف والهلع فلم يجد بدًا من الخروج اليه والجال بين يديه فقفز الى الميدان ومحل الضرب والطعان وصال وجال وساق جوادهُ في حومة المجال وحمل نحو عنتر كانهُ الاسد الغضنفر فالتقاه عنترة كانهُ القضاء والقدر واطبق كل واحد على صاحبهِ وقد احترز من مطاعنهِ ومضاربهِ وزعقا زعقتين مهولتين صرت لهما الخيل الاذان وارتعدت منهما الابدان والتصقا وافترقا وجرا عوامل الرماح وتكافحا اشد كفاح وكانت لهما ساعة تقشعر منها الجلود ويلين من هولها الصخر الجلمود ما سمعت بمثلها الاذان ولا تحدثت بمثلها الركبان ولم يزالا في مهاجمة وقتال ومصادمة حتى

وقفت الشمس في قبة الفلك وكاد كل واحد منهما ان يهلك وعلا عليهما الغبار وغابا عن الابصار وعمل بينهما الحرب وازداد الطعن والضرب وتطاعنا بالاسمر الخطار وتضاربا بالسيف البتار الى ان ولى النهار فافترقا عن الحرب واللقا وكل منهما يعض انامله غيظاً وحنقاً اما ذو الخمار فاقبل على عنترة وقال له يا فارس عدنان يكفاك ما شاهدت مني في الميدان قدام هولاء الفرسان وقد عرفتني في معترك الجولان ومقام الضرب والطعان فهل لك بالمسالمة لنستريح من المهاجمة والمصادمة قال فلما سمع عنترة كلامه وعلم مرامه قال له ويلك يا سبيع دع عنك هذا الكلام فانه عار عليك وملام فلا بد لاحدنا من قهر صاحبه في هذا المقام فاقصر عن هذا الكلام وعد بنا الى القتال فما بيننا انفصال الا ببلوغ الامال فلما سمع ذو الخمار مقالة قال له دونك والجلاد يا ابن شداد ثم انهما عادا الى ما كانا عليه من شرب كاس الحتوف وتماشقا شفار السيوف وكثر بينهما الصدام وبرقت الصوارم في الظلام اما حصن بن حذيفة فانه ركب حجرته واستعد للهرب وفعل مثله سنان وركب جواده وقال لبني فزارة اذا رايتم ذا الخمار قد اسره عنتر فلا يقف احد منكم ولا يغتر بكثرة هذا العسكر فان عنترة يفنيهم بحسامه الذكر ومحو الاسمر واخاف ان وقع منا احد بيده اهلكه حالاً لاجل فقد ولده . اما عنترة فاستظهر على ذي الخمار وجدّ وراءهُ في الطلب قال ودام القتال بينهما من اول الليل الى وقت السحر فعند ذلك وقع بذي الخمار الملل والضجر وعلم ان اصحابهُ بعده يطلبون الهرب والمفر وعلم عنترة ايضاً انه تعب وانقهر فاطبق عليه اطباق القضاء والقدر وفي عاجل الحال فاجاه وقلب الرمح الى وراه وطعنه بعقبه ارداه فانقض عليه شيبوب وشده كتاف قوى منه السواعد والاطراف فعند ذلك علت الضجة في ظلام الليل وجالت الخيل وصدمت بصدورها الرجال وعظم بينهم الكرب والويل واختلطت المواكب بالمواكب والكتائب بالكتائب وعلا الصراخ وصمت منه الاذان فلم تسمع خطاباً وقطعت السيوف جماجم ورقاباً وافاضت على الارض دماً وشراباً وقال الجبان ليتني كنت تراباً

قال الراوي . ولما طلع الصباح وبان نوره ولاح قصد عنترة بني فزارة وصرخ في جنباتها فولت حيارى وصارت تطلب لانفسها الهرب وحصن وسنان في اوائلهم وقد ايقنوا جميعاً بالعطب فاخذ كل واحد منهم يكدّ فرسهُ وقد انقطع من شدة الفزع نفسهُ وطلبوا خلاص ذي الخمار فراولوا بينهم وبينهُ ضرباً يطير منهُ الشرار وطعناً يقصر الاعمار ويحير الابصار . اما عنترة فجعل يخترق معمعة الحروب في طلب وهب بن مرهوب وعلم انهُ ان قتلهُ او اسره انهزم الجيش وكسرهُ فلم يزل يبيد الابطال ويبري جماجم الرجال ويرميها على الرمال حتى

وقع بالملك وهب وكان قد تضاحى النهار فانطبق عليهِ انطباق النسر الطائر لكنهُ حجبهُ عنهُ الغبار فولى بين يديهِ هارب ورمى بنفسهِ بين تلك المواكب والكتائب وغاصوا خلفهُ في المعمعة من كل جانب ورمت بنو عبس و بنو عامر البيض عن رؤوسهم وثبتوا على الحرب نفوسهم وتبددت العساكر ووقعت الافراح والبشائر في بني عبس وعامر

قال الراوي . وكان عنترة يهدر كالاسد الزائر ولم يزالوا في قتال يجرعون الاعداء كؤوس الوبال حتى تفرقت المواكب في الطرقات وتبددت في الفلوات ورجعت بنو عبس المشاهير و بنو عامر و بنو كلاب المغاوير و بين ايديهم عنترة الفارس النحرير ومعهم من بني حمير خمسمائة اسير فحملوا الغنائم والاسلاب وفي اوائلهم عنترة كانهُ اسد الغاب فتفكر في قتلة ولده وما جرى لهُ مع ذي الخمار الاسد الرئبال فانشد وقال

الا بلغوا العربان عني رسالتي ... باني اذا ملّ الرجالُ فعولُ
فما طائشٌ رعش اليدين مُلجلجٌ ... ولا واهن عند اللقاء ذليل
فهل ابصرت عيناك مثل فعائلي ... اذا الخيل في رهج القتام تجول
وقرن دعاني للقا فاجبتــه ... همام هزبر للنفوس اكول
واذعرتهُ رمحــًا يلوح سنــانهُ ... من القرن مثل الشمس حين تزول
وملتُ عليهِ بالحسام وانني ... كذاك اذا حق اللقاء اميل

قال الراوي. فلما فرغ عنترة من شعره ترنحت السادات من نظمهِ ونثره وتعجبت العرب من ملاحتهِ وشكروهُ على حسن فصاحتهِ ثم انهم لم يزالوا سائرين ومعهم الاسارى والغنائم وهم بالنصر والظفر مسرورون حتى وصلوا الى الجبلين فوجدوا الديار خراب لا انيس فيها ولا احباب فبهتوا اليها ناظرين ومن احوالها متحيرين وشخص عنترة اليها وتغيرت عليهِ الاثار ولم يرَ لعبلة خبرًا ولا قرار ولا وقف على ما جرى من الاخبار فاندهش وحار واخذه الانبهار وفاض دمعهُ والحدر و بقي لا يدري كيف حلت هذه العبر ولا علم من سبى العشيرة من البشر وعلا من بني عبس النحيب والبكاء فبينما هم على ذلك الحال واذا بعبد من عبيدهم اقبل عليهم من شعاب الجبال وكان قد هرب لما جرى على العشيرة ما جرى فلما راوه ساروا اليهِ وسالوه عن الخبر وقال لهُ عنترة ويلك من اغار عليكم فقال ياحامية بني عبس ما درينا الا وخيل طرقتنا وقت السحر وهجمت علينا هجوم القضاء والقدر وهم ينادون يالشيبان وقد قلعوا الاحياء بما فيها من الاموال والولدان واسروا سائر من هنا من الفرسان وقصدوا البر الاقفر وهذا ما جرى لنا من الحديث والخبر فلما سمع عنترة ذلك صعب عليهِ وكبر لديهِ

وقال ان الدهر لا يصفو لاحد على حال وطبعة الانتقال

قال الراوي وكان السبب في ذلك الخبر انهُ لما كان ذو الخمار في براز عنترة في الليل والناس صارفون اليهما النظر قال سنان بن عبد العزى فارس بني شيبان للملك وهب بن موهوب المقدم على العربان اعلم يا ملك اني رايت من الراي السديد والفكر الرشيد ان اسير في خمسة الاف فارس من هذا العسكر ما دام الليل معتكر والناس مشتغلين بذي الخمار وعنتر من خلف ديار بني عبس بالرجال واطلب الجبلين في عاجل الحال ما داما خاليين من الرجال واسبي من فيهما من العيال وانهب الاموال وآخذ النياق والجمال واطلب الحيرة عند الصباح فاذا وصل الخبر الى بني عبس يتركون القتال وينعطفون راجعين الى الجبال فتعودون اليهم في الحال وتنزلون بهم الوبال . قال فلما سمع الملك وهب ذلك الخطاب رآه صواب وقال لهُ افعل ما بدا لك وفق الله اعمالك فانتخب سنان من قومهِ خمسة الاف فارس كالاسود العوابس وشرع يقطع بهم البر والمهاد والناس مشتغلون بالحرب والجلاد وقد سترهم الليل حتى وصلوا الى احياء بني عبس الاجواد وكذلك بني عامر الانجاب وغني وكلاب واطبقوا عليهم في هذه الليل ولم تكن غير ساعة حتى داروا بهم وقلعوا الاحياء بما فيها وانزلوا بها البلاء والويل وسبوا النساء والاطفال ونهبوا الاموال ولم يتركوا فيها عقال وخلصوا خداشًا وعاطلاً والمرقال وضربوا في اقفية العبيد ضربًا مثل فتوق الاعدال فساعدوهم على سوق النوق والجمال هذا كلهُ يجري وبنو عبس مشتغلون بالقتال ثم ان القوم رجعوا وقصدوا الحيرة وتلك البطاح وقد صار بينهم وبين المعمعة خمسة فراسخ ثم وقفوا ينظرون ما يكون من امر العسكر ولمن يكون النصر والظفر فبينما هم كذلك بالانتظار واذا بالمنهزمين اشرفوا عليهم ضحى النهار وفي اوائلهم حصن بن حذيفة وسنان بن ابي حارثة الغدار وانبأوهم بجميع الاخبار وان عنترة اسر ذا الخمار والعساكر قد انهزمت والجموع تفرقت والكتائب تمزقت وبعد ساعة وصل الملك وهب بن موهوب فراى الاسارى من بني عبس وخداشًا وعاطلاً والمرقال قد خلصوا من الاسر والاعتقال فقال لقد امنت الان على ابن عمي ذي الخمار من الاخطار وعلى من قد اسر معهُ من الفرسان من بني حمير وبني شيبان ما دامت معنا هذه السبايا ثم ساروا وقد قويت قلوبهم وامنوا على انفسهم وما ظنوا ان عنترة يلحقهم في طريقهم اما حصن بن حذيفة وسنان بن ابي حارثة فكانت ترتعد فرائصهما لعلمهما ان عنترة وبني عبس وبني عامر وغني وكلاب لا يتخلون عن حريمهم وعيالهم واولادهم واموالهم فبينما هم في الكد والمسير وسرعة التشمير واذا بالغبار من خلفهم قد

ثار وسد منافس الاقطار وادوت البراري من الصياح وظهر لمعان الصفاح وبرقت اسنة الرماح ثم انكشف الغبار وبانت الخيل للنظار وفي مقدمها عنترة الفارس الكرار والى جانبه ذو الخمار ومن خلفه بنو عبس واحلافهم وقد صار ذو الخمار لعنتر من اعز الاصدقاء بين البشر وسار معهُ ليساعده على خلاص حريمه والعيال وكان السبب في ذلك الحال ان عنترة بن شداد البطل الجواد لما اخبره العبد ان الذين سبوا العيال والنسوان كانوا من بني شيبان نادى في بني عبس الانجاب وبني عامر وغني وكلاب ومن معهم من العرب وقال لهم جدوا في هذه الساعة وراء الاعداء في الطلب فوالله لا تبعتهم ولو ساروا الى ارض العراق ولاقيمن الحرب على قدم وساق ولاشتتن شمل بني شيبان في جميع الافاق وانا اعلم انكم لاتلحقون حريمكم الاقرب الحيرة وارض العراق ولابد ان ياتيكم الملك الاسود بعساكر كالبحور الزواخر. فان فزعتم من زيادة العدد وكثرة المدد فاحموا انتم ظهري وانظروا ما تحدث به الناس من بعدي الى اخر الابد فعند ذلك نادت الفرسان والابطال كلهم عن فردلسان وقالوا والله ياسيد الفرسان ان هذا الامر لايمكن القعود عنهُ ولابد لنا منهُ واي عيش يطيب لنا بعد سبي اولادنا وعيالنا واخذ نوقنا واموالنا

قال مجد بن هشام فبينما هم على ذلك الكلام والاتفاق واذا بذي الخمار زعق من ضيق الخناق وشدة الوثاق وقال يا حامية عبس وعدنان هل لك ان تريحني من هذا العذاب والهوان حتى اكون مذ اليوم غلامك ومن بعض خدامك وترى مني ما تقر بهِ مقل عينيك واجعل معولي عليك لان مثلي لا تخيب معهُ الصنيعة ولا ينكر ما لهُ من كرم الطبيعة وقد آليت ان لا افارقك الى الممات واصحبك في سائر الملمات وانا وحق الواحد الخلاق وباسط الارزاق لا اضمر لك بعد هذا اليوم شرًّا ولا عناد واصافيك ماعشت بالوداد ولا اخونك بعد هذا المقال ما دامت الايام والليال

قال مجد بن هشام فلما سمع عنترة كلام سبيع فرح فرحًا شديد ما عليهِ من مزيد وفي عاجل الحال اطلقهُ من الاعتقال وجميع ما فعل بحقهِ فيما سلف من قبيح الاعمال لم يخطر لهُ على بال واعطاه عدتهُ وجواده وآلة حربهِ وجلاده وعانقهُ وقبلهُ واحترمهُ وبجلهُ فعند ذلك نادى ذو الخمار وقال يافرسان العرب اعلموا ان عنترة حامية بني عبس قد امنّي بعد الخوف والحذر وعفا عني بعد ان قدر عليّ ولو شاء اعتقالي لكان اوصل الي الاذى والضرر بعدما قاسيت منهُ الامر المنكر وانا الان من اخوانهِ ومعينهُ في اموره ونائبات زمانهِ ثم تقدم الى الاسرى الذين معهُ من بني حمير وكانوا نحو خمسمائة فارس وحلهم من وثاقهم فصاروا لعنترة

من جملة الاصحاب واعز الاحباب ورد عنترة عليهم خيلهم وسلاحهم ثم انهم عطفوا راجعين من ذلك اليوم طالبين ديار القوم ولما التقت الطائفتان زعق عنترة الرئبال زعقة ادوت لها الجبال ونادى يا انذال واخس العرب ابن تهربون وانا لكم في الطلب ابن الذين تعدوا علينا وسبوا عيالنا فليبرزوا الى الحرب والطعان . قال فبرز اليهِ ابن عبد العزى سنان وصال في الميدان وصاح عليهِ واكثر من الفشار والهذيان وقال لهُ اسكت يا لئيم يا وغد يا زنيم فاليوم ارغم انفك واعجل حتفك وقد حان لنا ان ناخذ بالثار ونكشف عن انفسنا الذل والعار وها انا سنان بن عبد العزى غريمك وانا الذي تعديت عليك وسبيت حريمك فلما سمع عنترة كلامهُ اسودت الدنيا في عينيهِ وغدا لا يعرف ما بين يديهِ فانقض عليهِ وصوّب سنان رمحهِ اليهِ وطعنهُ بين ثدييهِ اخرجهُ من بين كتفيهِ فمال عن الجواد يكدم الارض ويخبط بدمهِ طولاً وعرض

قال الراوي فسمعت عبلة صوت عنتر فانتعشت روحها وايقنت بالنصر والظفر وصاحت اهلاً وسهلاً بك يا صاحب القلب القوي والرمح السمهري والسيف الجلي فلا شلت يداك ولا عاشت اعداك وجعلت روحي فداك جرعهم كاس الحمام وخلصني من هذا المقام فلما سمع عنترة من عبلة ذلك الخطاب سكر من لذيذ كلامها وغاب عن الصواب فحمل وحملت معهُ بنو عبس الانجاب وبنو غني وعامر وكلاب وحمل معهُ ايضاً ذو الخمار ومن صحبهُ من بني حمير الاخيار وجعل ينادي يا لحمير حتى سمع صوتهُ كل من في تلك القفار فلما سمع الملك وهب بن موهوب صوتهُ وصرختهُ وراه بعينهِ يقاتل مع عنتر وقد صفا لهُ بنيتهِ وهو يزعق ويفتخر بعشيرتهِ ويستنجد بفرسان قبيلتهِ نادوه لبيك ياذا الخمار ها قد سمعنا نداك فاحمل وابذل سيفك في اعداك وفي عاجل الحال ساروا جميعهم ودخلوا في عسكر عنتر ونادوا يا لعبس يا لحمير ثم وضعوا في الاعداء شفار السيوف وسقوهم كاس الحتوف فكان اول من انهزم حصن بن حذيفة وتقطع فواده من الفزع والخوف والهلع وطفق يضرب بالسوط كفل حجرتهِ الغبراء وتبطن الفلاة وهو لا يصدق بالنجاة واما بنو فزارة فقد احاط بهم الذل والخسارة ووقع الفناء في بني شيبان فتفرقوا من كل جانب ومكان وحملت بنو عبس نحو حريها وعطف عنترة على عبلة واعادها الى هودجها واقبل الملك وهب بن موهوب على الامير عنترة وسلم عليهِ وقبل صدره ويديهِ وشكره واثنى عليهِ وشكر بني حمير وصفت القلوب بعد الكدر وفرحوا بمصافاة ذي الخمار والامير عنتر وانتشرت العساكر في تلك الارض وجمعوا الغنائم والاسلاب وعادوا راجعين وامسوا بخلاص حريمهم فرحين وكان عنترة

افرح الخلق والبشر بصفاء نية بني حمير وبما نالوه من النصر والظفر ثم انهُ سار في مقدمة العساكر وكلٌّ منهم لهُ شاكرٌ فعند ذلك تذكر ما جرى عليهِ ورأى انقياد العساكر كلها بين يديهِ فانشد وقال

لعبلة نشر المسك والشهد ريقها ... كما قد حكاها الدرُّ في اللون والشكلِ
وما آبتسمت الا جلا الليلَ ثغرُها ... كمثل وميض البرق ينثر بالوبلِ
بكيت وابكاني المشيب على الصبا ... وقول العدى اني تقاعدت عن فعلِ
فان شاب راسي فالحروب تقرُّ لي ... اذا اختلفت بيض الظبي والقنا الذبلِ
وان جالت الابطال في حومة الوغى ... تراني بعد الشيب في الحرب كالفحلِ
اخوض عجاج الحرب غير مقصرٍ ... بعضبٍ صقيلٍ في التجاول والفعلِ
اجول على الاعداء بالسيف والقنا ... وما سرت يوم الروع بالقوس والنبل
ولكن بضرب السيف في حومة الوغى ... رقيت الى اعلى المراتب والفضلِ
انا عنتر العبسي فارس قومهِ ... علوت بعزمي فوق من كان من قبلي

قال الراوي فلما فرغ من شعره ترنحت الفرسان عجبًا ومالت الابطال طربًا وتعجبوا مما اعطي من الفصاحة والشجاعة وقوة الباس والبراعة وقال لهُ الملك وهب لا فض فوك ولا كان من يشنوك ثم انهم لم يزالوا مجدين السير حتى وصلوا الى الجبلين ونزلوا فيهما واطمانوا وقرت منهم العين فنصب لهم الامير عنترة الخيام والقباب وقاد لهم الانجاب واعطى بني حمير من الغنيمة اوفى نصيب واخذوا في الاكل والشرب والمسرات وقويت شوكتهم على سائر القادات وصاروا في ثمانية عشر الف من القادات وكلهم فوارس وابطال فقال الملك وهب لقد بلغنا الله بسعادتك يااباالفوارس المراد ونصرنا على الاعداء والحساد فقال عنترة والله ياملك الزمان وفارس العصر والاوان ان زيادة العدد والمفاخر ما كانت الا بسعادتك وسعادة هولاء الامراء والاكابر ملوك القبائل والعشائر واشار بيده الى بني حمير وبني عامر فاثني عليهِ من حضر ومدحهُ وشكر ثم اقبلت عليهِ الاصدقاء يهنئونهُ ببلوغ الوطر والنصر والظفر وبمصافاة اولئك الفرسان اصحاب الاقاليم والبلدان وشمل الفرح الجميع الا عمارة والربيع اذ قال عمارة لاخيهِ الربيع انظر ياأخي الى هذا العبد الاسود والصل الانكد كلما زاد عمره زاد سعده وتجدد فمن كان يصدق ان ذا الخمار يلين لعنترة ويصير لهُ من جملة الاصحاب والاحباب فواحسرتاه وقلة ناصراه ماذا تقول يااخي في هذا الامر المنكر أيموت اخوك عمارة ويقبر قبل ان يرى ميتة عنتر وتبقى هذه الحسرة في قلبهِ لاتتغير

فقال له الربيع والله يا عمارة كلنا نموت ونلحد ويبقى هذا العبد الاسود ولا حيلة في قضاء رب السماء الذي لا مرد لما قدر وليس من حكمه مفر

قال الراوي هذا ما كان من عمارة والربيع واما ما كان من الملك الاسود فانه كان كل يوم يجلس في مرتبته على جاري عادته ويتحدث هو وعشيرته وارباب دولته في حديث الامير عنترة وسطوته وما لاقت الابطال من شجاعته وقوته ويقول من شدة حنقه عليه والله لا تكون ميتته الا على يد ذي الخمار البطل الكرار فبينما هم في ذلك الحديث واذا بالمنهزمين من قدام ذي الخمار وعنترة والملك وهب بن موهوب مشتتين منقطعين من عشرة وعشرين وهم يدعون بالويل والثبور وعظائم الامور ومن جملتهم خداش وعاطل والمرقال وكلهم حفاة عراة وفي اوائلهم حصن بن حذيفة وسنان بن ابي حارثة وهم في اسوإ حال فسالهم الاسود عن حالهم وما تم عليهم وجرى لهم فقالوا له تغنيك رؤية حالنا عن الخبر وما نحن فيه من البؤس والضرر وذلك انه دهانا عنترة على غفلة منا واخذ ذا الخمار من بيننا اسيرًا وساقه ذليلاً حقيرًا ثم انهم شرحوا له القصة من اولها الى اخرها واطلعوه على باطنها وظاهرها حتى صار كانه حاضرها واعلموه كيف كانوا قد سبوا الحريم والنسوان وكيف لحقهم عنترة وقتل بن عبد العزي سنان وشتتهم في القيعان فغضب الملك الاسود وانزعجت جميع حواسه ورمى التاج عن راسه واغتاظ على اهله وقبيلته وفرسان عشيرته قال وكانت قد دخلت اكابر المنهزمين اليه واعادوا قصتهم عليه فقامت قيامته وبقي لا يدري ما بين يديه ومن شدة قهره غشي عليه فلما افاق من غشيته التفت الى وزيره عمرو بن نفيلة العدوي وقال له اما تنظر ما دهينا به ايها الوزير الخطير من عنتر وما قاسينا منه من الامر المنكر فما بقي الا ان اسير اليه بنفسي وارسل الى الملك كسرى انو شروان واعلمه هذه القصة واستنجده عليه ولا ادع في قلبي من هذا الامر غصة ولكن اخاف ان يراني كسرى بعين العجز والنقصان ويقول لي انت ما بقي لك عند العرب قدر ولا شان فماذا اعمل يا شاه تايزان اذا كنت قد عجزت انت ومن معك من ملوك العربان عن عبد حقير صعلوك وكيف يكون حالك اذا شاققت بعض الملوك فقال له الوزير لا تقل ايها الملك عجزنا عن عبد من العبيد فاننا وحق النار ما عجزنا الا عن الابطال الصناديد وعنترة وحق النار جبار عنيد وهو فارس الزمان ونتيجة العصر والاوان ومعه اشهر ابطال العربان مثل ملاعب الاسنة فارس الخيل وابن خالته فارس القبيلة عامر بن الطفيل وعلقمة بن علاقة ومروان بن سراقة صاحب القوة والرشاقة والاحوص بن جعفر الاسد القسور وخالد بن ربيعة صاحب الهمة السريعة ومسروق بن طارق وقد انضم

اليهم ذو الخمار والملك وهب بن موهوب فمن يقاومهم من ارباب الحروب فان سرت اليهم بنفسك خرقت ناموسك مع عنترة لانهُ من غير ابناء جنسك وقلت هيبتك وسقطت حرمتك فقال الملك الاسود والله لا بد لي من المسير اليهِ والقدوم عليهِ حتى اقتل رجالهُ واسبي نساءه وعيالهُ واخرب دياره واقلع اثاره

قال الراوي فما اتم الملك الاسود كلامهُ حتى وثب شيخ من مشايخ العربان ووقف قدامهُ في الديوان وقال لهُ ايها الملك اقول لك القول الصادق واشير عليك بالراي الموافق فان اردت ان تاخذ عنترة اسيرًا وتتركهُ قتيلاً عفيرًا فاستنجد عليهِ بفارس العصر واوحد الدهر غفير الاراضي وهمامها واميرها ومقدامها الليث الحامل والغيث الهاطل وملك الغدران والمناهل ومغني الجبابرة ومذل ملوك الاكاسرة والقياصرة من ليس لهُ في زمانهِ ثان هامان بن علقمة الهمذاني فارس بني همذان وفريد العصر والاوان فمتى وصل اليك هذا الفارس الاغلب كفاك شر اعدائك وشر من معهم من العرب ولا يقدر على عنترة غيره من حماة الفرسان وياتيك براسهِ على اعلى السنان وان لم ياتك بهِ هذا الفارس ولم يقدر عليه فارحل من هذه البلاد لان هذا الفارس لا يقدر عليهِ احد من العباد

قال الراوي وكان هذا الفارس الملقب بالهامان فارس الزمان وشجاعًا لا يطاق وعلقماً مر المذاق ودابهُ ركوب الخيل العتاق وشن الغارات في سائر الافاق وقد ترك الاودية ملأى بالقتلى ورمى رؤوس الابطال مدحرجة في الفلاة وشرد العرب عن المناهل من كثرة ما قتل منهم من الرجال واباد من الاقيال حتى انهم جعلوا لهم عليهِ الجزية في كل عام وسموهُ بفارس الانام وكان لهُ على عنترة الفرسان دم وثار من قديم الزمان وكان لا يصدق ان يراه لان عنترة كان قد قتل اخاه وقتل ابن عمهِ المجاج وكان فارسًا فتاك وقتل جماعة من بني عمهِ وابلاهم بالهلاك وكانت ام المجاج تبكي ولدها الليل والنهار وتذرف عليهِ الدمع المدرار وكان الهامان اذا جلس على المدام لا تتركهُ يتهنا من كثرة البكاء والملام فيقول لها ياخالة كفي عن البكاء والعويل فلا بد ان اترك غريمك اذا سرت اليه اما اسيرًا او قتيل فتقول لهُ والله ياهامان لا يقر لي قرار حتى اخذ اولدي بالثار واطفي ما بقلبي من لهيب النار فيقول لها ممن تريدين ان تاخذي ثار ولدك لتطفأ نار كبدك فتقول لهُ من قيس بن زهير او اخوتهِ او من العبد الذي قتل ولدي وفتت عليهِ كبدي واريد منك ان تحضره لي لاكل من كبده قطعة واشرب من دمهِ جرعة فيذهب ما بقلبي من الفجعة فيعدها باخذ الثار واذا خلا باله يكشف عنها العار وكان مع ذلك يشتهي ان يلقى عنتر لما كان يبلغهُ عنهُ

من انهُ فارس مشتهر

قال الراوي ولما نطق ذلك الشيخ قدام الملك الاسود بذكر الهامان شهد لهُ الحاضرون بالفروسية والبراعة وشدة الباس والشجاعة فقال الملك الاسود لا بد ان استنجد بهِ فقالت الفرسان هذا هو الصواب فعند ذلك كتب الملك الاسود اليهِ كتاب يستنجده ان يعينهُ على عنترة الرئبال و يعلمهُ بما جرى بينهما من الاحوال وضمن لهُ المال الكثير والعطاء الوفير وقال . اعلم ايها الفارس الهمام والبطل الضرغام ان ذلك الشيطان عنتر قد عصي عليَّ وبغي واستكبر وكسر جيوشي وعساكري وكل من انفذتهُ اليهِ من دساكري واخرق ناموسي في مملكتي وازدري بين اكابر دولتي وقد سدت في وجهي جميع الابواب ولما ذكروك بين يدي كتبت اليك هذا الكتاب واريد منك انهاض الهمة والمجيء اليَّ لتكشف عني هذه الغمة وتجلو عن العرب هذه الظلمة وتسير الى عنترة وتقوده ذليلاً بين يديك وتقر باخذ الثار منهُ مقل عينيك ثم طوى الكتاب وسلمهُ الى فارس من الفرسان الانجاب فركب هذا وسار يطلب جبل بني مساور وارض همذان وجدَّ في سيرهِ حتى وصل الى ذلك المكان فراى الحلة منقلبة بالافراح وفرسانها قد ملات البطاح وهم اغنى العرب مالاً واحسنهم حالاً واكثرهم رجالاً وذلك لكثرة غاراتهم على العربان وغزواتهم في كل مكان فاشرف ذلك الفارس على الرعيان فتواثبت اليهِ العبيد من كل مكان وداروا بهِ وسالوه عن حالهِ وان يفصح لهم عن مقالهِ فقال لهم انا اتيٍ من عند الملك الاسود الى الاسد الهمام الامجد الامير الهامان بن علقمة الهمذاني الذي ليس لهُ في زمانهِ ثان فقالت لهُ العبيد مرحباً بك من وارد واهلاً بك من وافد ثم انطلقوا بين يديه حتى وصلوا الى مولاهم وكان قد اعد في ذلك اليوم وليمة عظيمة لها قدر وقيمة دعا اليها الامراء والسادات وكبراء الحي والقادات وكانت المولدات يضربنَ بالدفوف والعبيد يلعبون بالخناجر والسيوف فقالوا لهُ ايها الملك الامجد لقد قدم عليك رسول من عند الملك الاسود ففرح الهامان بن علقمة بمكاتبة الملك الاسود ثم قال لغلمانهِ احملوه الى بيت الضيافة واصلحوا لهُ الطعام والمدام و بالغوا لهُ في الاكرام ثم جلس الهامان على مرتبتهِ ودعا وجوه عشيرتهِ ومن يعتمد عليهم في رايهِ ومشورتهِ وامر باحضار الرسول فاحضروه واليه قربوهُ فسالهُ عما جاء بهِ من الاسباب فاخبره بهِ وسلمهُ الكتاب فاعطاه لمن يقراه حتى يقف على مؤداه

الكتاب الثاني والثلاثون بعد المائة

من سيرة عنترة بن شداد العبسي

فلما قرئ عليهِ وفهم معانيه التفت الى الرسول وقال لهُ وهل بلغ من قدر عنترة العبد الاسود ان يقاوم الملوك مثل الملك الاسود ويكسر جيوشهُ ويفعل بهِ ذلك الفعل الانكد فقال لهُ الرسول نعم ايها السيد الامجد والبطل الاوحد انهُ فعل اكثر مما سمعتهُ في الكتاب وما خشي احدًا ولا ارتاب واسر مثل سبيع بن الحارث الحميري وعاطل بن المثنى السلمي واذل قدر العرب وانزل بهم الويل والحرب . فقال الهامان وفي كم يكون هذا الرجل من الفرسان واين هو نازل الان وفي اي مكان فقال الرسول هو الان في ثمانية الاف فارس ولكنهم اسود قناعس ومن جملة من اجتمع عنده من الشجعان سبيع بن الحارث الحميري الملقب بذي الخمار الذي يعد بسبعة الاف فارس كرار اذا ثار الغبار وغشم بن مالك الملقب بملاعب الاسنة الهدار وعامر بن الطفيل البطل المغوار وعلقمة بن علاقة صاحب الهمة والرشاقة ومروان بن سراقة ومن يضاهيهم من الرجال اصحاب العياقة وقد قويت شوكتهُ وعظمت قوتهُ ومنذ علق القصيد على البيت الحرام زاد تجبرًا واعظام وصار يعد نفسهُ من الملوك الكبار وقد حدثتهُ نفسهُ بان ياخذ الاسود ويملك منهُ الديار ويفعل فيهِ ما يريد ويختار ويقلع منهُ الاثار وقد عجزت عنهُ الابطال وذلت لهُ الاقيال فلما سمع الهامان بن علقمة ذلك الكلام اندهش بصره وحار امره وقال في نفسهِ هذا رجل قد صار اوحد الدهر ونتيجة هذ العصر ولكن من المعلوم ان الناس رجلان رجل يوصف نفسهُ بما يكون منهُ ورجل تصفهُ الناس وتحكي عنهُ ولقد صدق الشاعر حيث قال

الارض حبلى ومن يخبر يرى عجبًا ومن يقل ليس مثلي كان مدحورا

فانا اذا سرت الى هذا الرجل ونصرت عليهِ وبلغت الارب احتويت على طرفي الدنيا وذلت لي رقاب العرب واخذت الطبقة على كل من بعد منها واقترب واكون قد اخذت بثار ابن عمي المجاج واخي رامح وكشفت عني العار والفضائح ثم انهُ امر من حولهُ من الرجال الكرام ان يتاهبوا للحرب والصدام وتجهز هو من يومهِ وامر بان تتجهز جميع فرسانهِ وقومهِ وامر باخراج السلاح والات الحرب والكفاح وولى على القبيلة ابن عمهِ الخاطف بن قدامة وقد اراد بذلك تفريج همهِ وغمهِ واعتد هو لقتال عنترة في الفين وسبعمائة فارس من الابطال القناعس وهم خيار فرسان بني همذان كانهم زهر البستان قد غاصوا في الدروع والزرد

وتدرعوا بالات الحرب والعدد وركبوا على الخيول العربية وتنكبوا بالقسي الاعوجيـة والسيوف الهندية والرماح الخطية والحراب الحبشية وركب الهامان على كميت من الخيول الضوامر وتقلد بسيف ابتر صقيل المتن مجوهر ولبس درعًا حصينة واعتقل برمح اسمر من عمل سمهر وخرج بفرسانهِ من الحي يطوي القفار طالبًا ارض الحيرة وهو مما سمع من احوال عنترة وعظم افعالهِ في حيرة فاشتاقت نفسه الى نشيد الاشعار فانشد وجعل يقول

جفاني الكرى اذ جفاني الحبيبُ　　فدمعي يفيضُ وقلبي يذوبُ
وطرفي براعي نجومَ السماء　　كاني عليهـا لحبي رقيبُ
لانَّ حبيبيَ ظبيٌ نفور　　وبدرٌ منيرٌ وغصنٌ رطيبُ
اصاب فواديَ لمـا رماهُ　　وما هو في هجرهِ لي مصيبُ
وقلبي رهينٌ بما شاقني　　ومن فعل عنتر عانٍ كئيبُ
فما لي شفاءٌ سوى قتلـهِ　　ومـا لسقامي سواه طبيبُ
ارى الارض ترجف من خيفتي　　ولكنَّ قلبيَ منهُ وجيبُ

قال الراوي فلما فرغ من شعره والنظام سار بقومهِ يقطع الربى والاكام حتى وصل الى مدينة الحيرة فبلغ خبر قدومهِ الملك الاسود فخرج لاستقبالهِ بالعساكر الى ظاهر البلد وزينت المدينة بانواع الزينة وصفوا الات الحرب والعدد المنتخبة وضربت البوقات ودقت الكوسات وخرجت الملوك والسادات واستقبلهُ الاسود واحسن ملتقاه فدخل المدينة بموكب حافل وكان لدخولهِ يوم مشهود انتشرت فيهِ العساكر والجنود وعقدت الرايات والبنود وافرد لهُ الملك الاسود قصرًا بالقرب منهُ ونقل اليهِ كلما يحتاج هو وعساكره من الخيام والعلوفات والسرادقات وقدور الطعام واواني الفضة للمدام وفرش الديباج الموشاة بالذهب الوهاج فبات الهامان تلك الليلة بانعم مبيت واستراح وفي الغد دخل على الملك الاسود وكان الاسود قد جلس على سرير مملكتهِ وجلست من حولهِ سادات العرب واكابر دولتهِ ذوو الرتب فلما دخل عليهم الهامان نهض لهُ الجميع على الاقدام وتزعزع لهُ الملك عن على سرير مملكتهِ واعطاه يده فقبلها وامره بالجلوس في حضرتهِ فصعد على السرير وجلس عن يمينهِ بين اكابر دولتهِ فجعل الملك الاسود يحدثهُ ويشكو اليهِ من عنتر وما لاقى منهُ من العبر وقال لهُ قد رجونك ان تكشف ما بقلبي وتفرج كربي وتبلغني اربي فسمع لهُ الهامان بين ذلك الجمع الكثير وقال لهُ والله يا ملك لقد عظمت شيئًا يسير ورفعت قدر حقير ومن يكون ذاك العبد الاسود حتى تستعظم امره وترفع قدره فانا ببقاك وسعدك ونظرك وعلو مجدك اخذه لك

اسيرًا واتي به الى بين يديك ذليلاً حقيرًا او اتركه على وجه الارض مجندلاً عفيرًا فشكره
الملك الاسود على مقاله وقال له يا فارس مثلك من يذل الرجال ويأسر الابطال واذا
قال صدق في المقال ثم انه خلع عليه كلما كان على جسده من الملابس بين اكابر دولته
واركبه على فرسه بمركب ذهب احمر مرصع بالدر والجوهر وخلع ايضًا على رفقائه واكابر
عشيرته فدعا له الهامان وشكر وانصرف من عنده ووعده بالنصر والظفر وبلوغ الوطر وضمن
له قتل عنتر قال ثم ان الملك الاسود خلا بنفسه وقال في قلبه ان سار هذا الرجل في بني عمه
وبني همذان ونصر على عنترة وبني عبس وعدنان فذلك نقص في حقي وحق عساكري
وتحط منزلتي عند الملك كسرى انوشروان وعند سائر العربان فما لي الا ان اجرد معه
وزيري في اربعين الف فارس من كل بطل مداعس وارسله في زي الملوك الاشاوس حتى
اذا انتصر الهامان على عنتر كان الاسم لي دونه ومن معه من العسكر ويقول الناس لولا وزير
الملك وعسكره لما كان قدر هذا الفارس على عنترة ودمره. وبعد التفكر في ما يجري من التدبر
جرد مع الهامان العساكر وجهز الجيوش والدساكر واخرج لهم العدد والسلاح وفتح الخزائن
وانفق الاموال واعتد الناس للمسير وبرز الوزير عمرو بن نفيلة الى ظاهر البلد وخرجت
نوبته مع العساكر كما امر الملك الاسود وقد فرح الوزير بمسيره الى عنترة بن شداد حتى اذا
راه غلب بنصره ويحسن معه الوداد واخرجت للهامان الخيام وجملة الملك الاسود بالسرادقات
والبيارق والاعلام ونشرت على راسه الرايات ودقت بين يديه الطبول والبوقات وانقادت
قدامه الخيول العربية وعقدت على راس الوزير البازات الذهبية وجملة غاية التجميل وافرد
بين يديه الخيل المسومة المذكورة واصحبه بما يقدر عليه وسار في هيبة ما سمع بمثلها السامعون
ولا نظر كشكلها الناظرون اما حصن بن حذيفة فقد لحقه من الحسد شيء عظيم لما راى
ذلك الشان وقال لابن ابي حارثة سنان ما تقول في هذه النوبة يا سنان فيلوح لي وحق
اللات والعزى اننا نقدر ان نفتح بهذه العساكر السد الاقصى ولا سيا ومعهم هذا الفارس
الجبار الهامان فارس الاقطار واظنه ما خلق الا لقتل عنترة بن شداد فقال له سنان وحق
من رفع السماوات وبسط الارض والمهاد وجعل الجبال اوتادا ان هذه الاموال ليست
بسائرة الى عنترة بن شداد الا على سبيل الهدية حتى تقوي بها شوكته على سائر العرب ولابد
لك ان ترى راس الهامان ورؤوس عساكره على الارض مرماة تلعب بها الخيول العربية
في اقطار البرية ويأتي المنهزمون الى الحيرة بالذل والحيرة

قال الراوي فسارت العساكر في تلك القفار وارتفع على رؤوسهم الغبار وسار الوزير

الى جانب الهامان وهو يعلم انهم مخاطرون بانفسهم في ذلك الشان ولم يزالوا سائرين الى ان اقبل الليل فنزلوا لياخذوا الراحة ولما نظر الوزير تلك العساكر قد ملات الارض والمهاد اراد ان يعلم بها عنترة بن شداد ويخبره بمسيرها اليه مع الهامان فكتب الى عنترة كتابًا يعلمهُ بما كان ويقول اما بعد فاعلم ايها الفارس المهاب والليث الوثاب ان الملك الاسود قد استنجد عليك بالهامان بن علقمة الهمذاني وسيرني معهُ في خمسين الف فارس ابطال اشاوس وانا من شفقتي عليك ارسلت اعلمك وارجو من الله الكريم المتعال ان تاخذنا كلنا في الحبال واكون انا في اول الاسارى وتنهب ما معنا من المال وتنكص بقية العساكر من قدامكم هاربة الى الحيرة في ذلة وحيرة وانا ما انفذت اليك هذا الكتاب الا وقد سرنا وابعدنا عن الحيرة اكثر من يوم وانا والهامان في مقدمة القوم فخذ حذرك ودبر امرك واحمل علينا واجتهد ان تقتل الهامان او تاسره فاذا رايت منك ذلك اكون انا اول من انهزم فاتبعنا واقتل وأسر واجرح ولا تفزع وانا اعلم انك انت المنصور وعدوك هو النادم المقهور وقد اعلمتك الخبر واسال الله ان يهبك النصر والظفر ثم انهُ دعا عبده سالمًا النجاب وكان يحبهُ كثيرًا وسلمهُ ذلك الكتاب وامره ان يسير بهِ ويوصلهُ الى عنترة الفارس المهاب وان يكتم سره ويخفي امره فخرج العبد من وقتهِ وساعتهِ وقد استوى في عاجل الحال على كور ناقته وارخى لها زمامها وجعل في يده فاضل خطامها واخذ في عرض البر من جانب العسكر ليخفي من امره ما تدبر وجعل يقطع السباسب حتى وصل الى جبلي خشاخش والتناصب فنظر تلك العساكر التي اجتمعت حول عنترة بن شداد فعند ذلك قصد ابياته وكانت معروفة برفع العماد فسالوهُ عن حالهِ والخبر فقال لهم انا رسول منفذٌ الى عنتر فجعلت العبيد تجارى بين يديه حتى اوقفوهُ قدام عنترة الاسد الغضنفر فلما راه عرفهُ وفرح بهِ واستبشر فقبل العبد يديه وسلم عليهِ ودعا لهُ فادخلهُ عنترة البيت وامر العبيد بالانصراف وسالهُ عن حالهِ فاخرج لهُ كتاب سيده الوزير وسلمهُ اليهِ فاستدعى بعروة بن الورد فحضر وقرأ الكتاب عليهِ فلما علم عنترة ما فيهِ شكر الوزير على صفاء قلبهِ ثم كتب اليهِ الجواب يقول ايها السيد طب نفسًا وقر عينًا بكل الاسباب واعلم انهُ لو سار اليَّ الملك الاسود بنفسهِ هو ومن يتبعهُ من الفرسان او الملك كسرى انوشروان او قيصر ملك عبدة الصلبان لما قابلتهم الا بالعدوان ولا ارفع لهم قدرًا ولا شان واما انت يا مولاي فلا اراك الله بؤسًا ولا شقا ومتعك بالعز ودوام البقا ثم انهُ سير ذلك العبد الى مولاه على الاثر دون ان يعلم بهِ احد من البشر اما هو فبعد هذا المقال اخذ عروة وسار واياه في الحال وهما لم يخشيا شرًا ولا ضيرًا حتى وصلا عند الملك قيس بن زهير فوجدا

هناك الملك وهب بن موهوب وعامر بن الطفيل والاخوص بن جعفر وملاعب الاسنة وسبيع بن الحارث الاسد الوثوب وعلقمة بن علاقة وجميع سادات العربان ولما دخل عنترة الى ذلك المقام لم يبقَ احد من الحضور الا وقام على الاقدام وقد تلقاه الملوك والفرسان بالرحب والاكرام ثم انهُ تقدم الى صدر المجلس بين الملك وهب بن موهوب والملك قيس فاخذ الملك يسالهُ عما جد من الاخبار فشرح لهم ما كان وما صار وقال يا سادات العرب اعلموا انهُ قد جاءنا خبر لا كالاخبار فان الملك الاسود قد ارسل عسكرًا جرارًا من كل بطل مغوار وليث كرار واستنجد علينا بالهامان بن علقمة الهمذاني الذي تزعم سائر العرب ان ليس لهُ في زمانهِ ثان وفي صحبتهِ وزيره عمر بن نفيلة في خمسين الف فارس بالحديد غواطس فانظروا يا ملوك العربان فيما تدبرون من هذا الامر والشان وكونوا من الشجعان واعتدوا للقاء هذه المواكب والاقران فقال عروة بن الورد يا ابا الفوارس ان العساكر ما اتت الا اليك فدبر نفسك وها نحن بين يديك

قال نجد بن هشام فلما سمع عنترة من عروة ذلك الكلام شكره واثنى عليهِ وقال انا لا اضرب الا باسيافكم ولا اغلب الا بهيبتكم ولا لي جاه الا بسطوتكم فوالله ما على قلبي هم لا من الاسود ولا من الهامان ولا من كسرى صاحب الايوان ولا من قيصر ملك عبدة الصلبان ولو قصدوني بجميع من عندهم من الفرسان ولكن لدى الجولان في ساحة الميدان يبان الرابح من الخسران وسوف يبلغكم ما يجري لي مع هولاء الفرسان وتتحدث بهِ الشجعان ما دام الجديدان فلما سمعت العرب كلام عنتر ما منهم الا من انذهل وتحير وقالوا لهُ والله يا ابا الفوارس لا نبخل بارواحنا عليك ولو طارت رؤسنا بين يديك فشكرهم عنترة على افعالهم واثني عليهم ودعا لهم وقال يا بني عمي نحن نطلب من الله ان يجيرهم في امورهم ويجعل كيدهم في نحورهم ويقابلهم على فعالهم على انهم ليسوا كفوءًا لنا ولا يقدرون ان يثبتوا قدامنا وسوف نردهم خائبين نادمين ثم انهم بعد ذلك المقال تشاوروا في امر القتال وما يكون لهم من الفعال فقال عنترة الراي ان نخرج الى ظاهر الجبال ونقاتل دون الحريم والعيال فعند ذلك ركبت الرجال وخرجوا على الخيول الضوامر وساروا مقدار ثلاثة فراسخ واقاموا ينتظرون العساكر وقد اراد ابو الفوارس عنتر ان يكون طليعة لهذا العسكر واستشار في هذا الامر والشان رفاقهُ الشجعان فقالوا لهُ يا ابا الفوارس لا تبرح من عندنا فربما دهينا من جهة عدونا فقال لهم عنترة لا تخافوا يا سادات العرب فانا لا بدلي من هذا السبب ولكنني لا ابعد عنكم ولا اكون الا قريبًا منكم

ثم انهُ سار في جماعة من الفرسان حتى ينظر من يسير اليهِ من العربان هذا ما جرى لهولاء من الامور المحكمة واما ما كان من الهامان بن علقمة فانهُ لم يزل سائرًا بتلك العساكر يقطع البر الاقفر حتي اشرفت طليعتهُ على طليعة ابي الفوارس عنتر فنظروا تلك العساكر قد ملات القيعان وبان للاسنة والدروع لمعان والسيوف تلوح مثل الكواكب والكوسات تدق من كل جانب والصياح قد زعزع المشارق والمغارب فعند ذلك عادت طليعة عنترة اليهِ وهم يلوحون السيوف وقد ايقنوا بشرب كاس الحتوف واعلموا عنتر بقدوم ذلك العسكر فرجع في الحال الى عساكره واعلمهم بقدوم الهامان فعند ذلك تبادرت الفرسان من كل مكان ولبسوا الحديد وتدرعوا بالزرد النضيد وثاروا كانهم الابالس وامتطوا ظهور الخيل مثل الاسود العوابس فعند ذلك رتبهم عنترة بمعرفتهِ وادارهم بمزيد خبرتهِ وصفهم ميمنة وميسرة وقلبًا وجناحين اما سبيع بن الحارث ومازن وعروة بن الورد وعامر بن الطفيل وملاعب الاسنة والاخوص فارس الخيل وميسرة فوقفوا في قلب العسكر وبين يديهم ابو الفوارس عنتر ومن ورائهم ملوك العرب من كل جواد منتخب وهم الملك قيس والاخوص والملك وهب وكل منهم غائص في عدتهِ غارق في لامتهِ محترز على روحهِ ومهجتهِ الا انهم ما فرغوا من ذلك الترتيب حتى اقبلت العساكر ووقعت العين على العين وبانت لبعضها البعض ابطال الطائفتين ودقت الكوسات ونعرت البوقات ولم تزل الطلائع ترد وتقف في ذلك البر الاقفر حتى تكامل العسكر وبرز الوزير والهامان بالرايات المختلفة والخيول المجففة والرماح المثقفة والسيوف المرهفة وساروا حتى بلغوا قلب العسكر ونظروا الى عساكر عنتر

قال الراوي فلما نظر الهامان الى جيش عنتر استقلهُ واياه استحقر ثم اقبل على الوزير وقال لهُ اليس من العيب والعار ان نسير الى هذه الشرذمة اليسيرة بهذا الجيش الجرار فقال الوزير ايها الملك المنافس لا تحتقر امر هذه الفوارس لانها هي التي اذلت الرقاب وهونت الصعاب وفرقت العساكر في الروابي والشعاب فالراي ان نكون منهم على حذر والا حل بنا القضاء والقدر فلما سمع الهامان ما بهِ الوزير اشار حل بهِ الغيظ وبامره حار وقال ايها الوزير هل انا ممن يخاف عند الكفاح او يفزع من هذه العساكر ولو انها ملء البطاح وسوف اريك كيف احمل عليهم بلا سلاح واقبض منهم الارواح واسقيهم كاس الحمام وافرق شملهم بعد الالتئام ثم انهُ دعا في ساعة الحال ابن عمهِ دارم بن حنظلة وكان من جبابرة الزمان وفارس بني همذان وليس لهُ في زمانهِ مقاوم في الميدان الا ابن عمهِ الهامان فلما صار بين يديه

قال له اخرج يا ابن العم الى هذا الوغد اللئيم والعبد الزنيم وحذره من باسي وقوة مراسي وقل له لا تحسب ان الزمان كله لك فعن قليل تهلك وتسكن رمسك واعلم ان الهامان ليس هو كغيره ولا انت في الحرب نظيره لانه قد اخذ جزية الملوك واباد كل فارس فتوك ومن الراي ان تسلم اليه نفسك من غير قتال حتى يضمن لك نوبتك عند الملك الاسود فان اجابك لما تدعوه اليه كان والا فاحمل عليه واقتل رجالة الذين حواليه ولا تعد الا وهو معك اسير بعد ان تنزل بكل من معه التدمير فقال السمع والطاعة وسوف ترى ما يحل بهم في هذه الساعة ثم انه اطلق العنان لجواده وسار وهو غارق في عدة جلاده ولم يزل سائرًا بين ذلك العسكر حتى وصل الى عنتر ونادى ايها الشرذمة اليسيرة والعصابة الحقيرة الا من عرفني فقد اكتفي ومن لم يعرفني فما بي خفا انا دارم بن حنظلة ابن عم الهامان الذي ما له مثيل في هذا الزمان وهو قد انفذني اليكم من شفقته عليكم لكي احذر اسودكم من قبل ان اتيه براسه او اسوقه اسيرًا من بين قومه واناسه وانصحه ان يسلمني نفسه من غير طعان ولا ضراب وان ابى اتاه الويل والعذاب فلما سمع عنترة كلامه وما اشار اليه اسودت الدنيا في عينيه وهمّ ان ينحدر اليه واذا بذي الخمار انقض عليه وقال لعنترة يا ابا الفوارس لا تتعب نفسك فما هذا الفارس من امثالك فانا انوب عنك وبروحي افديك ثم حمل على ذلك الفارس وقال له ويلك يا ابن الاوغاد أانت ممن يفوه بهذا الكلام في مثل عنترة بن شداد فابشر الان بالبوار وشرب كاس الدمار من يد الفارس الكرار والليث المغوار الملقب بذي الخمار فلما سمع ذلك الفارس كلامه حمل عليه وظن انه يقضي عليه اما ذو الخمار فلعب في وجهه بالاسمر الخطار كما يلعب الكاتب بقلمه وطعنه في صدره اطلع الرمح يلمع من غفارة ظهره وتركه يختبط في دمه ويضطرب في عندمه ثم انه صال وجال وترنح على سرجه ومال وطلب براز الابطال

قال فلما نظر الهامان ابن عمه قتيلاً وعلى وجه الارض جديلاً اسودت الدنيا في عينيه وكاد ان يغشي عليه واهتز على ظهر جواده واكثر من تعداده ثم صاح في قومه وزعق فارتجت الارض من صوته ونادى يا للعرب انا الهامان بن علقمة الحاوي كل مكرمة الكاشف لكل مظلمة وانتم يا بني الاشرار لقد جلبتم على انفسكم الويل والدمار بقتل ابن عمي الفارس الكرار فابشروا بقطع الاعمار وخراب الديار ووثب الى ذي الخمار كانه الليث الهدار فتلقاه ذو الخمار وصرخ فيه صرخة ادوت لها الاقطار وقال له ويلك اقصر عن هذا الكلام وكثرة الفشار ولا تصف نفسك في مقام الافتخار لان ههنا سيفًا برديك ويرميك في مهاويك

فان كنت لا تعرفني فانا اعرفك بنفسي وابين لك نسبي وقومي وعربي ويلك انا سبيع بن الحارث الملقب بذي الخمار موقد الحرب بالنار والمثير منها الشرار

قال فلما سمع الهامان كلامهُ قال لهُ ويلك من الذي حملك على قتل ابن عمي يا غدار وان تفعل هذه الفعال فابشر بالنكال وخراب الديار وقلع الاثار ثم انهما بعد ذلك الكلام انطبقا على بعضهما البعض وجالا طولاً وعرض وصبرا على الشدائد واذهلا النظار وغابا عن الابصار وامتدت اليهما الاعناق وشخصت نحوهما الاحداق وقام الحرب بينهما على قدم وساق فعند ذلك قام ذو الخمار في بداره وزعق على جواده ووكزه بعقبهِ فشب بهِ الجواد وانتفض فغاصت يداه الى خد ابطهِ في اسراب الارض فوقع سبيع على ام راسهِ وقد خبلهُ درعهُ وسائر لباسهِ فاطبق الهامان عليهِ بهمتهِ وجعل حمائل سيفه في رقبتهِ واخذه اسيراً وقاده ذليلاً حقيراً وسلمهُ الى بعض بني عمهِ وقد ايقن بزوال همهِ وغمهِ ثم عاد الى الميدان وهو يهدر مثل الاسد الغضبان وصال وجال وطلب الامير عنترة لساحة المجال فما اتم كلامهُ حتى صار عنترة قدامهُ وقال لهُ اسكت يا ابن اللئام ودونك القتال فانا هو غريمك وسوف اسقيك كاس الوبال

قال فلما سمع الهامان كلام عنترة ونظر هيكلهُ علم انهُ فارس في الحرب ليس لهُ مثيل فدخل معهُ في باب الخديعة وقال لهُ اعلم يا عنترة اني احب الشجاعة واهلها لان الابطال تعشق مثلها وقد علمت انك قد رضيت مني بالحمام النازل والموت العاجل وحل بك البلاء والموت والفنا اذا لم تتلاف قصتك وترجع عما انت عليه من معاندتك وتسمع مني ما اقول فلما سمع عنترة كلامهُ ضحك وقال لهُ ما هو قولك فقال لهُ الراي ان تترك هذا اللجاج الذي لست اليهِ بمحتاج ولا تسلطني عليك حتى اخذ روحك من بين جنبيك وتسلم لي روحك من دون قتال ولا حرب ولا نزال فقد كفي ما هرق من الدما وما حل بالعساكر من الويل والعنا واعلم ان الملك الاسود لما راى فعالك وعلم ان ليس لك مقاوم في مجالك وان العرب قد عجزت عن قتالك دعاني الى برازك وحربك ونزالك لعلمهِ اني كفوءٌ لك ولا مثالك فان سلمتني نفسك فهو اعلى لمجدك واسعد لجدك وان ابيت فتكون على نفسك تعديت لانني لست ممن يقول ولا يفعل وقد ضمنت للملك الاسود اسرك وان اكفيهُ شرك فاحترز على نفسك قبل ان تسكن رمسك فلما سمع عنترة كلامهُ ابدى ضحكةً وابتسامةً وقال لهُ اعلم ان مثلي لا يخفى على مثلك وان كنت انت قد ضمنت للملك الاسود قتلي او اسري فانا ايضاً قد فعلت كفعالك وضمنت للملك الذي معي قتلك ام اسرك ولا بد لكل واحد منا ان

يبذل للسيوف روحة حتى يفي ضمانة فدع عنك الخداع وخذ في الحرب والقراع حتى يبان الشجاع المناع من الجبان اللكاع ونظهر منازلنا اذا نصر واحد منا واوقع بالاخر الفنا ويفرج علينا هولاء الفرسان ويشهدوا لنا بالزيادة والنقصان فدع عنك كثرة الهذيان فكم من فارس ابلج وملك متوج طلب من قتالي الفرج فما وجد الى ذالك منهج بل تركتة بسيفي ملقى في القفار لا يعرف الليل من النهار فاترك المحال ودونك القتال والطعن والنزال ثم انهما بعد ذالك انطبقا على بعضهما البعض وزعقا زعقتين ادوت لهما اقطار تلك الارض واخذا في الانطباق والافتراق والمجاولة والسباق وثار عليهما الغبار وتطاعنا طعناً كشعل النار وشخصت اليهما الابصار ولم يزالا كذلك حتى مضى النهار فاقبل الهامان على عنترة وقال له اعلم ان الظلام قد اقبل والليل قد انسدل فعول بنا الان على الراحة من الطعن والضرب واذا اقبل الصباح عدنا الى ما كنا عليهِ من الحرب والكفاح فقال عنترة لا وحق منسم الرياح وخالق الارواح ما بقي بيننا انفصال الا ببلوغ الامال وان كان لابد لك من الراحة فانها لك مباحة فانزل بنا في هذه الساحة لان ما بقي لنا من هنا براح الا باتلاف الارواح او يقعد كل منا قدام جوادهِ الى الصباح وبعد ذلك نعود الى ما كنا عليهِ من الحرب والكفاح ولا نزال على هذا الحال حتى يبلغ احدنا الامال فلما سمع الهامان كلام عنتر اندهش وتحير واضطر ان يجيبه الى ما طلب والا عيرتة ملوك العرب ثم انهما اركزا الرمحين ونزلا عن الجوادين وبركا على الركبتين وهما يتهامران وبالشر يتواعدان فاتى لكل واحد منهما جماعة من قومهِ بالطعام والشراب واخذوا جواده وعادوا الى من لهم من الاصحاب واضرم العسكران النيران واقام الحرس الفريقان ولما اصبح الصباح واضاء بنوره ولاح ترتبت العساكر وتعدلت ميامن ومياسر وركب عنترة والهامان وانحدرا للميدان وحملا على بعضهما في الصحصحان حتى تحيرت منهما الاعيان وتعب الجوادان فعند ذلك وقفا للراحة والهامان ينظر الى عنترة شزرًا ويتمنى هلاكة وصرعتة ويود لو انة انزل بهِ منيته

قال الراوي ثم عادا الى الحرب والقتال بعد ما استراحت الخيل في المجال واطبق كل واحد منهما على صاحبهِ واحترز من طعنهِ ومضاربه وجالا طويلاً واعتركا مليًا وغاصا في الاوابد وصبرا على الشدائد وما زالا كذلك حتى وقفت الشمس في كبد السما وزاد بهما العطش والظما وقد طال الانتظار وملت النظار واشتد بعنترة الغيظ والحنق لطول مقامهِ في القتال فهجم على خصمهِ واطبق وحك الركاب بالركاب والتهب عنترة غاية الالتهاب فقام في ركابيهِ وتمطى في بداديهِ وفتح يده بالضربة فصار حيلة عند فتح يده على ركابه الايسر فانقطع

سير الركاب باذن مسبب الاسباب فوقع عنترة من فوق الجواد كانهُ طود من الاطواد فاطبق الهامان عليهِ فاخذه اسيرًا وقاده ذليلاً حقيرًا وسلمه الى بني عمهِ وامر ان يشدوا كتافهُ و يوثقوا سواعده واطرافهُ ثم بعد ذلك ساقه الى قدام عمرو بن نفيلة فلما نظره عمر و في ذلك الحال الذميم نال قلبهُ منال عظيم غير انهُ لم يمكنهُ ان يتكلم بل صبر وتالم وقال لعنترة كيف رايت يا اسود حالك فقد حل بك فناؤك وو بالك وكل هذا بمعاندتك للملوك وتجبرك على كل غني وصعلوك فابشر الان بقرب الاجل والموت المعجل ثم انهُ امر بعد ذلك بالتوكيل عليهِ وان يوثقوا رباطهُ و يقيدوا رجليهِ الى ان يفرغوا من تلك العساكر والجمع المتكاثر فعند ذلك قيدوا عنتر وقد بلي بالاسر والضرر اما بنو عبس فقد وقع بهم الصراخ والبكا وايقنوا بالاسر والفنا هذا والهامان قد رجع الى مقامهِ واظهر عظم صولتهِ واهتمامهِ ونادى يا بني عبس دعوا عنكم الصبر والجلد واتركوا المشاقة للملك الاسود وعودوا الى ما يكون لكم احسن واجود واصلح وارشد وسلموني انفسكم فهو اصلح لكم وانا اعطيكم الذمام واحلف لكم باني لا ادع الملك الاسود يكلمكم لان غرضنا كان بعنتر وها انا قد انزلت بهِ الاسر والضرر فلا تجلبوا لانفسكم البلية واكتفوا شر الرزية

قال الراوي فما اتم الهامان كلامهُ حتى قفز اليهِ عروة وصار قدامهُ وقد علم انهُ ليس من رجالهِ ولا يعد من اشكالهِ بل اراد ان يواسي عنترة بنفسهِ فخرج خروج المسلوب ودمعهُ على خده مسكوب وهو يقول لا حياة لي تطيب بعد فراق الخل والحبيب فلما نظرت بنو عبس الى ذلك الشان زاد بهم الهم والهيمان وكثر بينهم الصياح عند براز عروة للهامان وعلموا انهُ ما فعل ذلك الا من كثرة ما حل بهِ من الكدر لاجل اسر عنتر لانهُ صادق في المحبة مقيم على المودة والصحبة و بقي سبيع اليمن ومازن وميسرة دموعهم منحدرة وعولوا ان يرموا بانفسهم الى الهلاك ولا يروا اعداءهم انهاعتراهم الارتباك وعلموا ان ركنهم بعد عنترة قد انهدم وعزمهم قد انصرم قال ولما صار عروة مع الهامان في مقام الجولان زعق فيهِ قائلاً ويلك يا نذل العربان والله لولا تصاريف الزمان وقدرة مكون الاكوان لطال عليك ان ترى عنترة ابا الفوارس في ذلة الاسر والهوان على ان العبد لا يقدر ان يمحو طوارق الحدثان فها انا قد خرجت الى الميدان فاما ان ارزق عليك النصر والظفر واما ان تضيفني الى صديقي عنتر لاني بليت باسره وفقده ولا صبر لي على بعده ثم انهُ صال وجال ولعب برمحهِ العسال وحمل على الهامان حملة الاسد الرئبال فالتقاه الهامان وزعق فيهِ وقال لهُ ويلك لقد جلبت على نفسك البلية واحاطت بك الرزية واليوم اقرنك اليهِ في الشداد واشهركم بين العباد واسبي

حريكم والاولاد وهذا ما قد جلبتموه على انفسكم يا اوغاد ثم انه بعد ذلك الشان اطبق على عروة في ساحة الميدان وحاربه حتى اتعبه وحك الركاب بالركاب وانطبق عليه انطباق العقاب وجعل علاقة سيفه في زنده وقبض على خناقه بيده وصاح يا لهمذان انا قاهر الفرسان فاقتلع عروة عن ظهر الجواد واعدمه عقله والرشاد واخذه اسيرًا وقاده ذليلاً حقيرًا وسلمه الى بعض رجاله وعاد في الحال الى مجاله فعند ذلك هم ميسرة بالخروج اليه فمنعه قيس وحلف عليه وقال له يا ولدي بحرمة النسب وذمة العرب لا تخرج الى هذا الجبار وتبلينا بفراقك وفراق ابيك فنحن بانفسنا نفديك وبارواحنا نقيك هذا والهامان يجول في الميدان ويطلب براز الاقران فخافته الرجال وهابته الابطال وتاخرت عنه في المجال فعند ذلك حمل على بني عبس وحده واقتحم القتال وهو يهدر كانه الاسد الرئبال فحملت عليه بنو عبس من الميامن والمياسر وحملت جميع العساكر كانها البحار الزواخر وثار الغبار واظلم الجو واسودت الاقطار وعظمت الاهوال وجرى الدم وسال وعميت الابصار وتهتكت الاستار واشتدت الاخطار ودارت رحى الافات وعملت المرهفات قال فلما نظر الوزير الى ذلك الحال وما حل ببني عبس من الوبال خاف عليهم من الهلاك والتدمير لان الجمع عليهم كثير ودار حولهم من العسكر اكثر من عشرة الاف فارس ابطال قناعس اما بنو عبس فصبروا وما قصروا وسلموا لحكم القضا وعمل الصارم المنتضى وصبروا بالرغم لا بالرضا وحملت الرجال على بعضها البعض وارتجت اقطار تلك الارض وحامت عليهم عقبان المنايا وفاضت البلايا وحمل سبيع اليمن وميسرة وتركا الجماجم على الارض منتشرة وحمل نازح بن اسيد ومازن فارس البيد وحمل ملاعب الاسنة فارس الخيل واجرى الدماء مثل السيل ولم يزالوا في حرب وويل الى ان اقبل ظلام الليل فعند ذلك انفصلوا عن بعضهم البعض ونزل كل فريق في ناحية من تلك الارض واضرموا النيران وتحارس الفريقان وبات الوزير عمر وقد حل به الهم الاكبر من خوفه على عنتر وكلما سمع بكاء الصبيان وعويل النسوان من بني عبس ومن معهم من العربان يزيد همه وبلاؤه وغمه واخذ يجهد نفسه ويعمل فكره بان يدبر على خلاص عنتر حتى يفكه من الاسر والاعتقال ويفرج عن بني عبس ما حل بهم من النكال فبينما هو يفكر واذا بالهامان قد دخل عليه وجلس عنده بعد ما سلم عليه وقال له ايها الوزير والسيد الكبير ان امر هولاء القوم قد طال علينا وقد تحصنوا في الجبال وانا قد اليت ان لا اكف عنهم القتال حتى انزل بهم الذل والخبال واخذهم عن اخرهم في القيود والاغلال واسبي نساءهم والعيال وانهب جميع ما عندهم من المال الا ان قلبي مشغول ايها

الوزير وخائف على عنترة ومن معهُ من الماسورين بان يتسبب لهم سبب يخلصون بهِ من العطب فيفوتنا المقصود والارب فاريد ان اخفف عن قلبي هذه الاثقال وانفذهم الى الملك الاسود في القيود والاغلال وارسل معهم مائتي فارس من الصناديد يوصلونهم الى الملك الاسود ليفعل بهم ما يريد وبعد ذلك انفرغ انا للقتال واترجل فيمن معي من الابطال وادخل خلف بني عبس الى داخل الجبال واقتل الرجال واسبي العيال وانهب جميع المال ولا اترك منهم من يخبر بخبر واشردهم في البر الاقفر

قال الراوي فلما سمع الوزير ذلك المقال صعب عليهِ هذا الحال غير انهُ اجاب الهامان الى ما يريد وقال لهُ ان هذا الراي سديد فافعل ما شئت واصنع ما هويت فعند ذلك دعا الهامان مائتي فارس من بني همذان وقدم عليهم بطلاً من الابطال يقال لهُ فياض بن هلال وكان هذا فارساً شديداً وبطلاً صنديداً ثم سلمهُ عنترة وعروة وذا الخمار وقال لهُ اريد يا ابن العم ان تسير بهولاء الاسارى وتقطع بهم البر والفدفد وتوصلهم الى الملك الاسود حتى تحظى منهُ بالجائزة السنية ويعطيك اوفى عطية ولك ايضاً من الغنائم القسم الوافر فامض بما امرتك بهِ اليهِ وبادر فقال السمع والطاعة . ثم انهُ ودعهُ وسار من تلك الساعة بعد ما تسلم ذا الخمار وعروة وعنترة وكل منهم مشدود على فرسهِ وقد يئسوا من انفسهم وايقنوا بقتلهم لانهم يعلمون ان الملك الاسود لا يبقي عليهم فقدموا الموت والهلاك بين ايديهم هذا ما جرى لهولاء وما حل بهم من التحقير واما ما كان من امر الوزير فانهُ نال قلبهُ منا ل عظيم وحل بهِ امر جسيم وحار في امره وقد قل من اجل عنترة جلده وصبره وجعل يتفكر في خلاصه واطلاقه من يد قناصهِ فكتب في ساعة الحال كتاباً وانفذه الى الملك قيس بن زهير يقول فيهِ لقد حل بي من الغيظ والكدر من اسر عنتر ما لا يقدر فاعلم ايها الملك ان الهامان قد انفذ عنترة ومن معهُ الى الحيرة مع ابن عمهِ فياض واصحبهُ بمائتي فارس كالليوث العوابس وسيرهم الى الملك الاسود حتى ينزل بهم الهم والنكد . وقد عول ان يتجرد لقتالكم ويقتل رجالكم وينهب اموالكم وانا ما كتبت لك هذا الكتاب الا وقد سار القوم وتمت الاسباب فاني والله لاسف عليكم وعلى عنترة فان اردت كسر هذه العساكر وتخليصهُ مع من معهُ من الاسارى فساعة وقوفك على هذا الكتاب لا تتوان في هذه الاسباب بل انفذ الف فارس وقدم عليهم اميراً كبير صاحب راي وتدبير وسيرهم في هذه الليلة فياخذون في عرض الفلاة ويعبرون من وراء عساكري الى طريق الحيرة ويقتفون خلفهم الاثر في البر الاقفر حتى اذا لحقوهم اطلقوا السيف فيهم ولا يتركون منهم احد لا ابيض ولا اسود ويخلصون

الاسارى و يعودون من ورائنا ونحن بكم مشتغلون فيضعون السيف في عساكرنا فاول من يهزم انا واطرح الهزيمة في العسكر حتى يشتتوا في البر الاقفر فتخرجون من بين الجبال وتنزلون بهم الذل والخبال وتاخذون منهم الغنائم والاموال وتفوزون بالنصر والظفر وينكسر عدوكم ويتقهقر . ثم طوى الكتاب وسلمهُ لعبده سالم النجائب وقال لهُ ياسالم لي اليك حاجة اريد ان تركب فيها مركب الاخطار فان صحت على يديك اعطيك خلعة والف دينار لانها عندي من اهم الاشغال واريد قضاءها في ساعة الحال فلما سمع العبد كلام مولاه اجابهُ الى ما يهواه وقال مرني بما تريد فاني عن امرك لا احيد فقال اريد ان تاخذ هذا الكتاب وتمضي بهِ الى الملك قيس ملك بني عبس وتعود اليَّ بجوابهِ قبل طلوع الشمس ولا تسلمهُ الا اليهِ يدًا بيدٍ بشرط ان يكون وحده ولا يكون احد عنده وتقبل عني يديه وتعده بالنصر والظفر وبلوغ الوطر فاذا صحت هذه الحاجة انقضت الاشغال . ولك عليَّ ماضمنتهُ لك من المال واياك ان تغفل في مسيرك او تعطي الكتاب لغير الملك قيس فينفسد الامر و ينعكس فسرْ في هذهِ الساعة فقال العبد السمع والطاعة واخذ الكتاب وخلع ثياب الحضر ولبس ثياب السفر لانهُ كان عبدًا مذكورًا ولمثل هذه الامور مذخورًا لا تلحقهُ اللواحق ولا تدركهُ الخيول السوابق ثم سار حتى ابعد عن العسكر وترك الجيش وراءه وشرع يقطع البر الاقفر وما زال سائرًا حتى وصل الى الجبل الذي فيهِ بنو عبس مقيمون فوجدهم قد شددوا الحرس وهم على ارواحهم محترزون وكان تلك الليلة على الحرس مالك بن قراد ومعهُ مائة فارس من بني عبس الاجواد منهم عمرو اخو عبلة وسبيع اليمن ومازن وميسرة في الجملة وقد تفرقوا خوفًا من العدو اقوامًا ومواكب وسربًا وكتائب فلما نظروه يعدو في سواد الليل و يتدفق مثل السيل تبادرت اليهِ الخيل وتقدم اليهِ مالك وزعق فيهِ قائلاً يانسل الاوغاد تكلم قبل ان تحل بك الرزية وتدركك المنية فعند ذلك وقف العبد حتى وصلوا اليهِ ودارت الفرسان حواليه فقالوا لهُ من انت ومن اين اتيت في هذا الليل الحالك وما الذي اقدمك الى هذه الدكادك

الكتاب الثالث والثلاثون بعد المئة

من سيرة عنترة بن شداد العبسيّ

فقال لهم ياوجوه العرب واولي النسب اعلموني من انتم من بني عبس لان معي كتابًا لا اقدر ان اسلمهُ الا الى من جئت بهِ اليهِ فقال لهُ مالك بن قراد من تكون انت من العرب الاجواد فقال لهُ انا سالم عبد الوزير قد اتيت اليكم بامر خطير لكم فيهِ الخير الكثير

قال الراوي فلما سمع مالك مقالة ضمة الى صدره وقبلة بين عينيهِ وبكى عند نظره اليهِ وتذكر ذلك الوقت عنترة لما علم انهُ عبد الوزير وعرفهُ لما كان ياتي عنترة بالكتب والتدابير فقال لهُ سالم لِمَ تبكي لا ابكت النار عينيك فاجاب لم يكن لكم الا الخير واريد منكم ان توصلوني الى الملك قيس بن زهير ولا تعلموا احداً من العباد واحذروا ان يدري بنا الربيع بن زياد او احد من اخوتهِ فاهلك انا ومولاي الوزير وعنترة وسائر رفقتهِ فقال ورقا كيف يكون التدبير حتى نوصلك الى اخي بحيث لا يعلم بك احد فقال لهُ العبد الراي ان يترجل واحد منكم عن جواده ويخلع لباسهُ وعدة جلاده فالبسها واسير انا وانت ومن نريد عند اخيك من غير تفنيد وترسل قدامنا اليهِ بعض الغلمان يقول لهُ ان يخلي لنا المكان ولا يدع عنده احد لا ابيض ولا اسود فندخل عليهِ ونسلم الوديعة اليهِ واخذ منهُ علامة بالوصول اليهِ فلما سمع ورقا مقالهُ تعجب من فطنتهِ وقال في نفسهِ لو لم يكن هذا العبد ذكي العقل واسع المعرفة لما كان انفذه الوزير في امره واعتمد عليهِ في سره ثم التفت الى عمرو اخي عبلة وقال لهُ ترجل . فترجل عمرو عن جواده وخلع لباسهُ وعدة جلاده فلبسها سالم وسار هو وورقا فانفذ ورقا فارساً الى اخيهِ قيس يعلمهُ بامر سالم وما اتى بهِ اليهِ واطلعهُ على ما هو فيهِ واعلمهُ بجميع معانيهِ فصرف قيس جميع من كان عنده وجلس ينتظر اخاه والعبد فلم تكن الا ساعة حتى دخلا عليهِ فتقدم العبد اليهِ وقبل يديهِ فترحب بهِ الملك قيس وقرّبهُ اليهِ وقال لهُ من انت ياوجه العرب . لانهُ لم يكن يعرفهُ ولا نظره لما كان ياتي عنترة وكذلك العبد لم يكن يعرف منهم غير عنترة وعروة بن الورد وكان الملك قيس ليس عنده خبر من قصة الوزير ولا بما دبره من التدبير . فقال لهُ العبد يامولاي انا عبد الوزير عمرو بن نفيلة وقد خاطرت بنفسي لاجلكم في هذه الليلة فقال لهُ الملك قيس وهل اتيت يافتى بخطاب او بكتاب قال اتيت بكتاب ثم دفعهُ اليهِ فلما قرأهُ جرت الدموع من عينيهِ وفرح بما توفق بهِ من التدبير على يد الوزير فعند ذلك قال العبد يامولاي اريد الرواح والرجوع الى مولاي قبل الصباح حتى لا يدري بنا احد فنهلك فعند ذلك كتب الملك قيس الجواب وسلمهُ اليهِ وشكره واثنى عليهِ وعرض عليهِ شيئاً من المال وسالهُ اخذهُ فلم يقبل السوال بل قال يامولاي لم يكن من قصدي الا سلامتكم من الاعداء وهذا يكون لي عندك وديعة الى وقت اخر لانهُ يكفيني ما ضمن لي مولاي وانا اعلم انني قد بلغت مرادي ومناي فلما سمع الملك قيس كلامهُ تعجب من جودة اهتمامه ثم ان العبد وورقا ركبا الجوادين وسارا الى ان خرجا من الجبلين فلما وصلا الى الحراس وقد تم الامر ترجل سالم وخلع عنهُ ثياب عمرو ولبس في

الحال ثيابهُ وزال عنهُ خوفهُ وارتيابهُ ثم اطلق ساقيهِ للريح وطلب البرّ الفسيح وعبر من خلف العسكر وقطع عرضَ الفلاه فلم يمض من الليل نصفهُ الا ودخل على مولاه فوجدهُ في قلق وسهر وهو من اجلـــهِ في هموم وفكر فلما دخل عليهِ وصار في حضرتهِ فرح بهِ وسالهُ عن قصتهِ فحدثهُ بما تم لهُ في غيبتهِ واعلمهُ بان الملك قيساً فرح برسالتهِ ثم اعطاهُ الكتاب ففرح الوزير بتلك الاسباب هذا ما كان من هولاء وما فعلوهُ من الخير واما ما كان من الملك قيس بن زهير فانهُ بعد ما خرج العبد من عنده احضر من يعزُّ عليهِ من الابطال والامراء وقرأ عليهم الكتاب واعلمهم ما فيهِ من الخطاب ففرحوا الفرح العظيم وعلموا ان حالهم مستقيم فاقبل عامر بن الطفيل على الملك قيس وقال لهُ يا ملك انا اسير في خلاص عنترة ورفقاه ولو تلفت روحي فداه فان انا خلصتهُ فزت بالامنية وان متُّ فقد كتبت عليَّ المنيَّة وقال مثلهُ الاخوص بن جعفر وكذلك ملاعب الاسنة وسبيع اليمن وميسرة بن عنتر فقال الملك قيس ما كان الا السلامة وسوف تحل باعدائكم الندامة لان الذين ساروا معهُ مائتا فارس فلو انفرد واحد لهم من اولادكم لانزل بهم الوساوس وليس عليكم باتباعهم صعوبة ولا ضرر فتعبرون من خلف هذا العسكر حتى اذا كان ذلك وصلتم الى الغرض الاكبر وفزتم بالنصر والظفر ثم انهُ دعا في ساعة الحال برجال عروة وهم مائة فارس من الابطال القناعس وتجرد عامر بن الطفيل وملاعب الاسنة في ستمائة فارس كانهم الاسود العوابس وكذلك الملك وهب بن موهوب في ثلاثمائة فارس وثوب فصار الجميع الف بطل تبطل عند لقائهم الحيل ولا يبالون بالموت اذا نزل وكلهم بالدروع الداودية والسيوف الهندية والرماح الخطية والخيول العربية فركبوا وساروا في اقل من طرفة عين وقطعوا البر في الظلام العاكر الى ان عبروا من خلف تلك العساكر فصارت العساكر خلف ظهورهم وايقنوا بتوفيق امورهم وعادوا يطلبون الجادة الكبيرة وساروا على طريق الحيرة يتبعون القوم على الاثر ويطلبون اللحوق بعنتر فقال لهم عامر بن الطفيل اي من لقيتموهُ في طريقكم اقتلوهُ حتى لا يعلم بكم بشر ولا يوجد من يوصل خبركم الى العسكر ثم داوموا سيرهم على هذا الترتيب وهم يؤملون بالفرج القريب

قال الراوي هذا كلهُ جرى والربيع لم يكن حاضراً لما قرأ قيس الكتاب على الابطال واسمعهم ما فيهِ من الاحوال فلو كان حاضراً لما كان صبر عن اذية عنتر والوزير عمرو الفارس الغضنفر على انهُ لما علم ان الملك قيساً انفذ الالف الفارس حلت بهِ الهموم والوساوس وبقي حائراً لا يدري سبب ذلك وتعجب من انفاذ تلك الخيل مع ما هم فيهِ من الضيق والويل

فنهض ودخل على الملك قيس وقال لهُ ايها الملك لقد حلت بي الوساوس من جرى ارسالك
الالف الفارس في مثل هذا الوقت الذي نحتاج فيهِ الى فرد فارس فاخبرني اين ارسلتهم
فان كان بدا لك امر سري فاطلعني عليهِ حتى ادبرك بما اصل اليهِ ولا تخفِ عني اسرارك
واطلعني على جلية اخبارك فقال لهُ قيس اعلم يا ربيع ان عساكر العدو قد وصلت الينا
وطال الحصار علينا فخشيت من الهلاك وسوء الارتباك وكل يوم يزداد علينا العدد و ياتيهم
نجدة بعد نجدة من الملك الاسود فلما رايت ذلك خفت على اهالينا من المهالك فانفذت
هذه الالف فارس وقدمت عليهم عامر بن الطفيل وامرتهم ان يقطعوا البر في هذا الليل
واذا اصبح الصباح يجدون في قطع الربى والبطاح فاذا كانت الليلة الثانية ياتون من عرض
البر الاقفر ونتفرق الالف الفارس في جنبات العسكر ثم ينادون بالعبس يالعدنان فترتج
لاصواتهم القيعان فاذا سمعنا الصياح نحمل على الاعداء ونزعق في وجوههم بجمعنا فلا
يثبت احد بين ايدينا بل يضرب بعضهم البعض ويتفرقون في جنبات الارض وقد فعلت
يا ابن العم هذا الامر لكي لا يقول الناس ما كان يحمي بني عبس الا عنتر ولما غاب عنها هلك
منها الاكثر وغالبها تدمر فلما سمع الربيع كلام الملك قيس وما اشار اليهِ ضمهُ الى صدره وقبلهُ
بين عينيهِ وقال لهُ لله درك من ملك وامير فكم لك من حسن الراي والتدبير فيحق لك ان
يسميك العرب قيس الراي لانك لم تزل برايك تدفع عنا الاعدا وتكشف البلا هذا ما
جرى بين قيس والربيع من المقال واما ما كان من عامر بن الطفيل ومن معهُ من الرجال
فانهم لما ساروا وسلكوا البر الاقفر سار معهم شيبوب لانهُ بتلك الامور اخبر فسار بهم الى
ان اضاء الصباح واشرقت الشمس على الروابي والبطاح فاخذهم في اقرب الطرقات وقد
امنوا على ارواحهم من العداة وجدوا في قطع القفار فادركوا القوم نصف النهار وهم سائرون
بعنتر وما عندهم من القوم خبر لان قلوبهم قوية لما وراهم من العساكر والجيوش والجحافل
فلم يشعروا الا والغبار قد ظهر خلفهم مثل هبوب الرياح ثم بان من تحته لمعان اسنة الرماح
وسمعوا قعقعة الحديد والسلاح فلما نظر فياض الخيل قد اقبلت والفرسان من فوقها
تزاعقت نادى يا بني عمي خذوا اهبتكم فهذه خيل قد قصدتكم وهي اليكم مسرعة واسنة رماحها
مشرعة واظنها خيل الاعداء قد لحقتكم في هذه البيداء فلما سمعت الفرسان من فياض ذلك
المقال اخذت اهبتها وشرعت الرماح الطوال فلم تكن الا ساعة حتى قربت الخيل وعليها
الفرسان ينادون بالعبس يالعدنان يالعامر وملاعب الاسنة يهدر كانهُ الاسد الكاسر ويقول
اوغاد غير امجاد ابشروا بالدمار وفناء الاعمار وخراب الديار وقلع الاثار قال فلما سمع كلامهُ

فياض امتلا فواده غيظاً وفاض فاخفى الكمد واظهر الصبر والجلد وزعق على ملاعب الاسنة وقال له اسكت يالئيم ياوغد يازنيم أَمثلي يقال هذا المقال فلقد تعرضتم لقطع اجالكم ومشيتم الى وبالكم واقدمتم على الموت الاحمر والثعبان الاغبر والاجل الذي ليس لكم منه مفر ثم انه مال نحو ملاعب الاسنة وانطبقا على بعضها وعلت بينهما الضجة والرنة وتجاولا طولاً وعرضاً واشتد بينهما المجال والركض فزاد بملاعب الاسنة الحمق فاطبق على فياض وطعنه بالرمح في صدره اطلعه من ظهره فلما رآه اصحابه قتيلاً وعلى وجه الارض جديلاً علموا ان بلاهم طويل ومالهم الى الخلاص من سبيل فحملوا حملة واحدة وقد ايقنوا بالشدائد فاستقبلتهم بنو عبس بصدور الخيل وانزلوا بهم الويل وعامر بن الطفيل يصول ويجول ويجندل الفرسان عرضاً وطول ويحمل كانه الاسد الاكول ومن ورائهِ كل فارس بهلول وهو ينشد ويقول

هذي فعالي دائماً لا انثني ... افني الرجال بذابل مرّانِ
كم فارس بطل تركت مجندلاً ... تبكيهِ اهلوه مع الجيرانِ
ماان جزعت ولاهلعت لدى الوغي ... من ملتقي الابطال والاقرانِ
بل اقهر الابطال يوم وقوعها ... وابيد ابطال الوغي ببيانِ
ادعى بعامر نسل ابطال ومن ... سادوا البرية في ذرى عدنانِ
من عادني خطف النفوس وانني ... افنيهم بمهندٍ وسنانِ

ثم حمل مثل الطير والى جانبهِ نوفل ابن الملك زهير ينشد ويقول

نحن بني عبس سراة سادة ... وهم ليوث الحرب عند نزالِ
وانا ابن سادات الاعارب كلهم ... بالجود والاحسان والافضالِ
لا انثني عن فارس متقسور ... قرمٍ هزبرٍ ضيغمٍ ريبالِ
كم فارس اردية بمهندي ... متقطع الاعضاء والاوصالِ

قال الراوي وزعق عامر بن الطفيل على الخيل فانزل بركابها الذل والويل واطبق كانهُ النار المسعرة وحمل سبيع اليمن ومازن وميسرة واقتحموا الغبرة وقاتلوا بشجاعة ومقدرة فسمع عنترة رنين السيوف البواتر وصياح الفرسان ياالعبس ياالعدنان ياالعامر فبقي كانهُ في منام وقال لعروة ياابا الابيض ما هذا الذي اسمعهُ من الكلام اهو صحيح او اضغاث احلام فقال عروة والله ياابا الفوارس ان بي مثل ما بك وما اظنهم الا اصحابك قال فما اتم عنترة هذا الكلام حتى فنيت المائتا الفارس على التمام وما نجا منهم لا شيخ ولا غلام وتبادرت بنو عبس نحو الاسارى مثل النار المسعرة وكان السابق الى عنترة ولده ميسرة فوجد شيبوباً

قد حلهُ من وثاقهِ وعجل في اطلاقهِ فانكب ميسرة على ابيهِ وضمهُ الى صدرهِ وقبلهُ في عارضهِ ونحرهِ وفي ساعة الحال دارت بهِ الرجال وفكوا جميع الاسرى من القيود والاغلال فعند ذلك نهض عنتر وركب جوادهُ الابجر بعد ان كان قد ايقن بالموت الاحمر وكذلك جرى لذي الخمار وعروة بن الورد وفرحوا كلهم بما تدبر هذا وبنو عبس وعامر يقبلون عنتر ويهنونهُ بالنصر والظفر والخلاص من الاسر والضرر وهو يشكرهم ويثني عليهم وبالنصر يعدهم وبما جرى بينهم ثم سالهم عن العسكر وما حل بهم من الضرر فقال ميسرة والله يا ابتاه ان العساكر علينا سليطة وبنا محيطة ثم انهُ اعلمهُ بان الوزير هو الذي دبر هذا التدبير وقد اشار علينا ان نخرج عليهم من وراهم ونضرب بالسيف في اقصاهم وادناهم ووعدنا مع رسولهِ حيث قال ان اول من ينهزم انا فتستريحون من التعب والعنا فلما سمع عنترة هذا الكلام اخذهُ الضحك والابتسام واقبل على عروة وقال لهُ اما تنظر يا ابا الابيض الى هذا التدبير فان كل ما نعيشهُ بامر الرب القدير سببهُ هذا الوزير اترى باي شيء اكافيهِ فوا خرباه ان متُّ قبل ان اجازيهِ ثم انهم بعد ذلك عادوا راجعين والى نحو قومهم طالبين وعبيدهم تسوق الخيل التي عادوا بها غانمين وعولوا في ذلك اليوم على كبس القوم وفرح عنترة برجوعهِ الى الاهل والاوطان واجتماعهِ بالاصحاب والخلان فانشد

ايا طائرًا مالي اراك مغرّدًا ... أأحسستَ بي ام عاقك اليوم عائقُ

فبي مثل ما تشكو فتم نصطحب معًا ... فدونك اني للجميع موافقُ

عدمت عتاق الخيل ان لم اخض بها ... غبارَ المنايا والرماحُ خوارقُ

فان كنت ذا عشقٍ فاني متيمٌ ... لفقد حبيبٍ ذكرهُ لي شائقُ

انا عنتر العبسيُّ احمي عشيرتي ... بسيفٍ بهِ حدُّ المنية بارقُ

واني في كل الامور مسددٌ ... وفي يوم غاراتي تشيب المفارقُ

ونجمي علا فوق السما كين رفعةً ... واني لمعطي المال والمال نافقُ

قال الراوي فلما فرغ عنترة من شعرهِ قال لهُ عروة لا فضَّ فوك ولا كان من يشنوك فانت والله سيد الفرسان وانسان عين هذا الزمان ثم انهم ساروا وودوا لو كان لهم اجنحة لطاروا هذا ما كان من هولاء وما تم لهم من الامر والشان واما ما كان من امر الهامان فانهُ قام في ذلك اليوم وهو فرحان ولما طلعت الشمس على الجبال زحف بالرجال يطلب الحرب والقتال فتقدمت الاقيال وتبادرت الابطال وصبرت بنو عبس على الاهوال وقد قويت قلوبها وايقنت بتفريج كروبها اما الهامان فطمع فيهم واحاط بهم بجميع الابطال وساقوهم الى

الجبال وعول على الدخول خلفهم بالاقبال فعلا من النساء الصياح واكثرن البكاء والنواح وزاد الكرب واشتد الحرب والحرب وعمل الصارم العضب وجال الفارس الندب ونهبت الارواح نهبًا وسلبت الاجساد سلبًا وزادت على بني عبس العساكر ومالت الشمس الى الغروب وعظم البلا والكروب فدخلت الفرسان الى الشعاب وقد عجزت عن الطعان والضراب واظلم عليهم الليل ونزلوا عن ظهور الخيل ونزل الماماني وقد ايقن بالظفر والنيل وكثرت عنده الافراح وامل انه ياخذهم عند الصباح فبينما هو كذلك واذا بالدقة وقعت في عساكره وجفلت الفرسان في جحافله فعند ذلك قام وطفق ينادي فلم يجبهُ انسان ووقعت الدقة في ذلك العسكر وقد زاد سواد الليل واعتكر وكان السبب في اختباط العسكر ابا الفوارس عنتر لانهُ كان قد جد في قطع الربى والاكام فاشرف على الخيام وكان قد اغسق الظلام وكان الوزير في تلك الليلة حلت بهِ الالام والهموم والافكار وبات وقد اضطرمت في قلبهِ شعل النار مما جرى على بني عبس من الحصار فوصل في تلك الساعة عنتر بامر مدبر القضاء والقدر ولما اشرف على الخيام اقبل على من معهُ من بني الاعمام وقال لهم اعلموا يابني عمي اننا قد اشرفنا على هذه العساكر في هذا الليل البهيم وانتم تعرفون كثرتها وبيننا وبينهم تفاوت عظيم فرايت لكم رأيًا ان قبلتموه فرقناهم وابدنا اقصاهم وادناهم فقالوا لهُ اصنع ما تريد ان تصنع فنحن كلنا اليك نتبع ولا نخالفك فيما نقول اذ نعلم اننا برايك نبلغ المامول فقال لهم اعلموا اننا الف فارس وما منا احد الا من هو للحرب ممارس فالراي ان نصبر على هولاء القوم حتى يعبر اكثر الليل ويستغرقوا في النوم فنتفرق عليهم اربع فرق وكل فرقة معها امير فيحمل كل امير في رفاقهِ ويزعق عند حملتهِ باسم عربهِ وقبيلتهِ ثم انهُ اقبل على شيبوب وقال لهُ وانت يااباريا رياح شك كل من خرج من المعمعة وطلب البطاح بالنبال وانزل بهِ الخبال فقال شيبوب والله ياابن الام انا معول على هذا لانهم والله لا يسمعون بهذا في هدو الليل الا ويحل بهم الذل والويل ويقتل بعضهم البعض ويتفرقون في جنبات الارض فحينئذ نتبع الملك قيسًا ونسير في صحبتهِ ونبادر الى نصرتهِ ونسرع الى نجدتهِ واما انتم فابذلوا السيف فيمن اراد ان يبذلهُ فيكم ودونكم اعاديكم فلما سمعت الابطال هذا المقال تبادرت الى القتال وخرجت من ضيق الجبال كانهم الاسود الكواسر وهم ينادون ياالعبس ياالعدنان ياالعامر ياالحمير ياالكلاب دونكم اعداءكم الكلاب وحكموا فيهم كل سيف قرضاب قال وانسل في ذلك الوقت عنترة واصحابه من المعمعة وتركوا الرؤس مقطعة واختلطت تلك القبائل وبقي السيف عامل والدم سائل وكل من هرب يسقيهِ بنو عبس كاس العطب

هذا والليل قد طال بدجاه وضرب الفارس اخاه واستوحش الابن اباه فيالها من ساعة ما كان اكربها وعلى الهامان ومن معهُ ما كان اصعبها ولم يزل السيف يعمل فيهم حتى اصبح الصباح واضاء بنوره ولاح فحينئذ وقعت العين على العين وحل وفاء الدين وتقابضوا باليدين وقد قتل من عساكر الملك الاسود في تلك الليلة اكثر من عشرين الف وصار الهامان في وسط المعمعة محير ولم يعلم ما حكم به القضاء والقدر ولم يدر كيف تخلص عنتر من الاسر والضرر وزادت بهِ الهموم والفكر وصار يرعد مثل السعفة اذا هبت عليها الرياح العاصفة واتتها متتابعة مترادفة . فبينما هو كذلك واذا بالوزير قد اقبل عليهِ يرعد من الفزع والخوف والجزع فراه واقفًا محير فقال لهُ ايها السيد ما هذا الحال الذي تدبر والله لقد اردت ان امنعك عن انفاذ عنترة ومن معهُ فكان لي مانع يمنعني وما ذلك الا خوفًا مما جرى الا ترى انهُ قد حلت بنا المهالك وتشتتت ابطالنا في هذا الليل الحالك فالسعيد في هذه الساعة من يطلب لنفسهِ النجاة ويوسع في هذه الفلاة والا اتاه الموت العاجل لانهُ لا يقاتل موضع الغلبة ويناضل الا قليل العقل الذاهل

قال الراوي فبينما هما في الكلام واذا بعنترة قد جاء بالحصان وهو مثل الاسد الغضبان وصاح في الهامان ويلك يا اخس العربان انظن انك اسرتني في موقف الحرب والطعان فاليوم افضحك بين هولاء الفرسان واجندلك في وسط الميدان واشبع من لحمك الوحوش والغربان فتندبك البنات والنسوان وتتحدث بقتلك الركبان والاهل والجيران ثم انهُ بادره بطعنة في صدره اطلع السنان يلمع من ظهره ومال الى الوزير واشار اليهِ بالسلام واثني عليهِ بالاكرام وقال لهُ ايها السيد تقدم وحدك بالانهزام حتى تتبعك هذه الاقوام فلا عدمت طلعتك ولا اخلاني الرب الكريم من رؤيتك فعند ذلك طلب الوزير الفلاة فتبعهُ بنو عبس بالعساكر وساروا وراءه ودام السيف يعمل في ظهورهم مسيرة خمسة فراسخ فعند ذلك عاد عنترة والسعد يخدمهُ وكل الامراء تقبلهُ وتكرمهُ وقد ملكوا من الخيل والعدد ما حير كل احد وجمعوا الاموال والسلب والخيل والنهب وعادوا يطلبون الجبلين وما منهم الا من هو جذل قرير العين

قال الراوي فسبق الخذروف الى عبلة واخبرها بخلاص عنترة ففرحت بذلك وزالت عن قلبها الدبلة وخلعت عليهِ جزاء هذه البشارة وفرحت جميع نساء الحلة وفي ساعة الحال نزلت النساء والرجال من الجبال وبين ايديهم الاماء والحرائر بالدفوف والمزاهر فاقبل الملك قيس والى جانبهِ عنتر وذو الخمار كانهُ الاسد القسور وعامر بن الطفيل وملاعب

الاسنة فارس الخيل وسبيع اليمن ومازن وعروة بن الورد وميسرة وجميع الابطال هذا وعبلة قد تلفت الفرسان بخلوق الزعفران وقد زال عنها الذل والهوان وخلفت صدر الابجر وقبلت في الركاب رجل عنتر ففرح بها واستبشر ثم انهم دخلوا الجبال واجتمعوا بالحريم والعيال وفرحت النساء والرجال ودخل عنترة مضربهُ فاستقبلتهُ عبلة احسن استقبال وشكت اليهِ واقعة الحال فلاطفها في المقال وهنأها بحسن المآل ولما استقرّ بهم القرار واستانست بهم تلك الديار نحروا النحور وسكبوا الخمور وداوموا الافراح والسرور وهم في غبطة وحبور وقد امنوا من نوائب الدهور هذا ما كان من هولاء واما الملك الاسود فانهُ كان يجلس كل يوم في مجلسهِ وهو في اسر عنترة يتحدث وكذلك الذين عنده وهم يقولون ان بني عبس قد خابت امالهم وانعكست احوالهم وانتهبت في هذه الكرة اموالهم وسبيت عيالهم

قال الراوي ولما كان بعض الايام والاسود جالس ومن حوله الاجناد واذا بالزعقة قد وقعت والصيحة قد ارتفعت واقبل المنهزمون وهم حفاة عراة وبالجراح مثخنون ينادون بالويل والثبور وعظائم الامور فلم تكن الا ساعة حتى اقبل الوزير وهو في الحال الانكد ولم يزل حتى دخل على الملك الاسود وجعل يبكي و ينتهد فانزعج الملك الاسود من حالة الوزير وعدل اليهِ ونزل من على سرير مملكتهِ وجلست من حولهِ اكابر دولتهِ وسالهُ عن حالتهِ وما تم لهُ في سفرتهِ واستخبره عن الهامان وجماعتهِ وقال لهُ وحق النار لقد علمت انكم لا تفلحون ولا تقضون غرضًا ولا تنفعون فلما سمع الوزير كلام الملك الاسود تولاه غيظ شديد ما عليهِ من مزيد وقال يا ملك وحق النار والنور لقد افلحنا وزال عنا التحقير وتيسر لنا العسير واخذنا عنترة اسير والقيناه في سوء المصير واخذنا معهُ ذا الخمار وعروة بن الورد وصاروا معنا في ذلة الاسر وغلبة القهر واما الهامان فمن تكبره على ابناء جنسهِ وتعجبهِ بنفسهِ اراد ان ياخذ كل ابطالهم اسارى و يترك بني عامر اذلاء حياري وقال كيف نقنع بعنترة وصاحبيهِ بعد اخذ الرجال وقتل الابطال وكانت بنو عبس قد انهزمت قدامنا الى الجبال فتبعها الهامان ومن معهُ من الرجال وفي تلك الساعة اوثق عنترة ومن معهُ في القيود والاغلال وانفذهم اليك مع مائتين من الرجال يقدمهم فياض بن هلال وسرنا نحن مع الهامان الى الصباح ورجعنا كلنا للقتال واذا للقوم معنا جاسوس فرجع اليهم واخبرهم بما دبرنا عليهم فانفذوا منهم الف فارس ولحقوا المائتين الذين معهم عنتر وصاحباه فقتلوهم وخلصوا عنترة منهم فلما تخلصوا عادوا الينا في الليل وانزلوا بنا الذل والويل وخرج بنو عبس و بنو عامر من الجبال لما سمعوا صوت اصحابهم وداروا بنا من كل جانب ومكان وعند الصباح التقى عنترة

بالهامان فقتلهُ وانزل بهِ الهوان فتفرقت العساكر وطلبوا النجاة خوفاً من السيوف البواتر وكثر القتل وذبحوا ذبح الغنم وما سلم الا من انهزم

قال الراوي فلما سمع الملك الاسود كلام الوزير اندهش وتحير وقال ما بقي لي احد انفذه الى قتال عنتر فوحق النار والنور لا يسير اليهِ الا انا ومن معي من العسكر وان لم افعل هذه الفعال فلا نبلغ الامال ومن الراي ان نستنجد بجميع العرب ونجد وراءهم في الطلب حتى نبلغ منهم الارب فقال لهُ الوزير ايها الملك افعل ما اشرت اليهِ والا فاحترز على نفسك قبل ان يدهمك عنترة وانت في ارضك وان ظفر فيك يقتلك ويسكنك رمسك فقال الملك الاسود وحق النار والنور لامضينَّ الى كسرى واقص عليهِ قصتي واشرح لهُ نوبتي واسالهُ ان ينجدني عليهِ واخطف روحه من بين جنبيهِ واسوق الى طائفة بني عبس وعنترة سائر العرب والعجم والترك والديلم واسوقهُ واحلافهُ سوق الغنم وابلغ منهم بغيتي ولو انحطت عند الملك كسرى مرتبتي لان السكوت عن هذا العبد الزنيم امر ذميم ثم انه تجهز من وقتهِ وساعتهِ وسار في ارباب دولتهِ ووجوه عشيرته وترك لحفظ المدينة من الحوادث والغارات ثلاثين الف فارس مع خداش بن جابر وبعد ذلك سار يقطع البراري والفدافد وهو يومل ان يكون الملك كسرى لهُ على عنترة مساعد على ما حل بهِ من الشدائد ولم يزل سائراً حتى وصل الى المدائن فخرج جيش كسرى لاستقبالهِ وخرج الى لقائهِ كل من في البلد وتقدم الموبذان اليهِ وسلم عليهِ وسار بين يديهِ الى ان وصلوا الى الايوان فلما وصل الاسود الى قدام كسرى وهو جالس ومن حوله الحجاب انحنى وقبل التراب ووثب قائماً على الاقدام ودعا لدولتهِ بالدوام فعندها نصب لهُ سرير من الذهب كما جرت العادة لانهُ ملك العرب هذا وكسرى قد انزعج لقدومهِ وسالهُ عن سبب مجيئهِ في يومهِ فقال لهُ الاسود اعلم ياملك الزمان ان عبدك قد قهر في هذا الاوان فقال لهُ ومن قهرك من العباد فقال عنترة بن شداد وقد تعصبت علي معهُ خمس قبائل من العربان وهم بنو عامر وبنو غني و بنو كلاب وعنترة في بني عبس وذو الخمار في بني حمير وقد كسروا عساكري اربع مرات واخر من ارسلت لهم في هذا الاوان الامير هامان فقتلهُ عنترة بن شداد واهلك من معهُ من الفرسان الاجواد وشتت شمل الباقين وتركهم في البر متفرقين وقد جرى لي معهُ مثل هذه النوبة في زمن ابيك ولم يخف ذلك عليك وكان قد كسرا يضاً اخي النعمان وعساكره القناعس وانزل بهِ الذل والوساوس وهو في جبال الردم في اربعة الاف فارس اما اليوم فهو في عشرين الف فارس احلاف لا تفزع من الموت ولا تخاف وفيهم مثل ذي الخمار الفارس الكرار وعامر بن الطفيل وملاعب

الاسنة والاخوص بن جعفر ثم اخذ الاسود يعدّ له الفرسان ويصفها وقال له في اخر الكلام واما عنتر فهو كفاية في كل امر وخبر واني ايها الملك لما عجزت عنهُ وعن قتاله ورايت جميع الابطال قد خافت من طعنه ونزالهِ لانهُ آفة لاترد ومحنة لاتصد ولم اجد سبيلاً الى نصرتي اتيت اليك ايها الملك في اكابر دولتي حتى استعين بك على دفع بليتي و تفريج كربتي وها انا قد شرحت لك قصتي فلما سمع الملك كسرى هذا الكلام اهتز من الطرب واقبل على الملك الاسود وقال لهُ ياشاه تازيان لقد رجعنا مع عنترة الى المنهاج الاول فوحق النار والنور وتربة جدي سابور لابد لي ان افني هذه القبائل وانزل بهم النوازل ولا ادع منهم فارسًا ولا راجل واذل لك عنترة العبد الاسود ولا ابقي من هذه القبائل احد

قال الراوي ثم انهُ في ساعة الحال دعا مرزبان من مرازبتهِ يقال له شهربان بن شهربان وكان من الجبابرة وهو بالشجاعة والبراعة قد سمي وكان طولهُ تسع اذرع بالهاشمي وكان يقاتل بسائر السلاح و يضرب بالسيوف ويطعن بالرماح قد اذل العرب بشجاعتهِ واباد الاقران بشدة باسهِ وسطوته وهو سيف الملك كسرى القاطع ودرعه المانع فلما دعاه ذلك اليوم اليهِ ودخل عليهِ قربهُ وادناه وبجلهُ وحياه واعطاه يده فقبلها واشار اليهِ بالدعا فتبسم في وجههِ واجلسهُ بين يديهِ وقال لهُ ايها الفارس المنتخب قد عصي على الدولة الفارسية جماعة من العربان وفيهم فارس اسود قد اذل فرسان البلاد يقال لهُ عنترة بن شداد وهو افرس من كل العربان وقد قهر جميع الشجعان وكسر جيوش الملك الاسود وافنى ابطالهُ وخرق ناموسهُ وكسر رجالهُ وها هو قد اتى الي يستنجدني عليهِ وعلى قتالهِ فلم اجد لهُ مقاومًا غيرك فاحب ان تاتيني بهِ اسيرًا او نتركهُ قتيلاً عفيرًا فخذ معك اربعين الفًا من الفرسان وانت تكون المقدم عليهم في هذا الشان ويكون في ركابك شاه تازيان العربان ولا اعرف كسر عنترة الا منك وما بقي لي محيد عنك واريد منك ان تاتيني ببني عبس اسارى وتقودهم بين يديك اذلاء حيارى مع من ساعدهم من القبائل وتنهب اموالهم وتسبي حريهم وعيالهم فلما سمع شهربان من كسرى ذلك الكلام زاد بهِ الفرح والابتسام ونهض وقال سمعًا وطاعة فانني ايها الملك سائر من هذه الساعة ولا اعود حتى اصرم لك عمره واكفيك شره ثم انهُ في ساعة الحال جرد معهُ اربعين الفًا من الابطال بالقسي والنبال والدروع والجواشن والخيول الصوافن والسيوف المشطبة والرماح المكعبة لايبان منهم غير حماليق الحدق او تداوير الامق والمرزبان بين ايديهم ممتطٍ فرسًا من هماجة الخيل كثير القوى والحيل شديد القوائم صلب الدعائم وسار يقطع الارض بجيوشهِ ومواكبهِ والملك الاسود الى جانبهِ ولم يزالوا سائرين

حتى وصلوا الى الحيرة فزينت البلد لدخول المرزبان والملك الاسود ومن معهُ من العربان وهرعت اهل الحيرة باسرها حتى خرجت البنت من خبائها واجتمع في ظاهر الحيرة جموع وفيرة فاقبل المرزبان فيمن حولهُ من الفرسان وهو من ثقل جثتهِ وهول منظره قد اوقر الجواد بركبته والعساكر من حولهِ مصطفة والرايات بهِ محتبكة وهو مقبل في زفة اية زفة فلما نظرت تلك الجموع الى هول صورتهِ وعظم هيبتهِ استهولتهُ وقالوا وحق رب العباد هذا الذي يهلك عنترة الفارس الكرار وينزل بهِ الهلاك والبوار ثم ضربت لهم الخيام في ذلك المقام فعند ذلك نحرت النحور وخفقت المزاهر واخرج الملك الاسود من الاطعمة والعلوفات ما يكفي تلك العساكر وما زالوا على هذه الحال مدة ثلثة ايام وليال فلما كان اليوم الرابع نادى الملك الاسود في الناس بالرحيل وعول على المسير وسرعة الجد والتحويل وسار وعلى راسهِ الرايات والاعلام وهو في ستين الف عنان من بني لخم وجزام وسار من بعده المرزبان في ستين الف عنان من فرسان العجم وابطال الديلم ودقت الكوسات ونعرت البوقات وسارت من بعدهم بنو شيبان في عشرين الف من الشجعان مع الامير غسان وتبعهم عاطل بن المثنى في عشرة الاف من بني سليم وهو يؤمل ان يكشف عنهُ الهم العظيم ويتاوه ويتحسر على اسر عنتر وقد امل انهُ ياخذ منهُ بالثار ويكشف عنهُ الذل والعار وهو غائص في شكيمتهِ غارق في لامتهِ متقلد بسيف مخذم معتقل باسمر لهذم وهو على جواد ادهم صبور على قطع البراري والاكم وقد اخرج يده من جلباب درعه وانشد

امن يالقومي للكثيب المسهد ... ارى الماء ممنوعاً عن الهائم الصدي
عسى ان انال الثار في كشف كربتي بطعن سنانٍ او بضرب مهندِ
الا بلغا ذاك الزنيم مقاصدي ... واني ارد القرن يعبث باليدِ
فما كنت رعديداً اذا اشتجر القنا ... وما كنت عن داعي الصياح بمقعد
واني اردُّ الخيل صفراً وجوهها ... وفرسانها ما بين مثنى ومفردِ

قال الراوي ثم انتشرت العساكر كالغمام وهي تنشد الاشعار مسلية بعضها البعض في الارتحال فلما نظر الوزير الى تلك العوالم التى ملات الرسوم والمعالم قال لابد ان اخبر عنترة بقدوم هذا العسكر لئلا يصل اليهِ على غفلة فيعملوا بهِ شر عملة فكتب اليهِ ما ياتي . اما بعد ايها الفارس المنصور والبطل الجسور فاعلم انهُ قد سار اليك في هذه النوبة الملك الاسود بالعرب والعجم وقد استنجد عليك بالملك كسرى فارسل لقتالك مرزبان في اربعين الف عنان والملك الاسود في ستين الف من بني لخم وجزام وبني سليم وبني شيبان في خمسة

وعشرين الف فارس والكل حنق عليك وقد قذفت الارض كل من فيها اليك فحال وقوفك على هذا الكتاب خذ حذرك من هذا الجبار واياك ان تغفل عن هذه الاحوال ومهما تجدد فانا اعلمك به حالاً فخذ حذرك ودبر بالصواب امرك ثم انه طوى الكتاب ودعا عبده سالم النجاب وقد صار عنده من اعز الاحباب فسلم اليه ذلك الكتاب واوصاه بالسرعة وقطع الهضاب فعند ذلك سار العبد ليلاً ونهار يقطع البراري والقفار حتى وصل عند عنترة الفارس الكرار فوجده في اكل وشرب وما على قلبه همّ من الملك الاسود ولا ممن صحبه من اهل البر والفدفد وهو مقيم على نحر الجمال والنوق والاصطباح والغبوق لانه ملك من الاموال ما لا يملكه مخلوق هذا والقوم من رغد العيش في احسن ما يكون وقد امنوا من نوائب الدهر وحوادث المنون فبينما عنترة على هذه الحال اذا عبد الوزير وصل عنده وسلم عليه وناوله الكتاب فاعطاه لعروة بن الورد وامره ان يقرأه فقرأه واوقفه على جميع الاسباب وقال له والله يا ابا الفوارس ما بقي بعد هذه الكرة كرة اخرى وسوف تحدث الناس بما يتم لنا ولهم ويجرى وهذا والله هو الهلاك الاكبر لان هذه العساكر ما شاهد احد مثلها لان الاسود قد اتى بنفسه اليك بهذه الامم وهذا المرزبان الذي هو من اولاد العمالقة اتاك في فرسان العجم والديلم فاحترز الان على نفسك غاية الاحتراز والا شمتت بنو قحطان وعرب الحجاز

قال الراوي فلما سمع عنترة من عروة ذلك الكلام زاد به الضحك والابتسام وقال له يا ابا الابيض لا تضيق صدرك لاجل هذه العساكر التي اجتمعت لقتالي ولا تخف علي ولا تبال فوحق ذمة العرب ما ان لقاءهم ولقاء كل من في البيداء اهون علي من شرب الماء ولكن اذا وقعت العين على العين بان لك من يستوفي الدين ثم انه في ساعة الحال وثب على قدميه وسار طالبًا الملك قيسًا حتى دخل عليه فوجد عنده سادات العرب حضور وهم في فرح وسرور وكاسات الخمور عليهم تدور فاخبرهم عنترة بالخبر وبالامر الذي تدبر فكثرت الاقاويل وجرى فيما بينهم القال والقيل واستعظموا امر هذا العسكر الذي اخبرهم به عنترة فعند ذلك قال الملك قيس ان الراي يا ابا الفوارس رايك وانا اول من يسلم اليك ويتبع اثارك

قال مجد بن هشام فلما سمع عنترة كلام الملك قيس ومن معه من الرجال امل ببلوغ المرام وحسن المآل وقال لهم اذا كنتم سلمتم هذا الامر اليّ فالراي عندي اننا نسير من ها هنا ونسلك القفر ويكون معنا جميع الظعن والمال والحريم ونستقبل القوم على بعد من الحيرة وقد تيسرت الامور العسيرة ونقاتل دون الحريم والعيال ولا ينهزم منا احد في المجال وتكون

الحريم على الهوادج من خلفنا صفوف والرجال من خولهن بالصوارم وقوف والاماء بالمزاهر والدفوف وندع طعن الرماح ونعتمد على ضرب السيوف . فلما سمعت امراء العرب مقالة استصوبوا رأية وفعالة وقاموا من وقتهم وتاهبوا للرحيل وسرعة التحويل وامر عنترة شيبوبا بان يشد لعبلة العمارية الفضة التي اخذها من الملك كسرى في اول منشاه ففعل شيبوب ما امره اخوه بعد ان عاونة ولده الخذروف واخوه جرير فشدوها على هجين ازرق عظيم الخلقة طويل الرقبة واركب شيبوب عبلة في العمارية واخذ بزمام الناقة وعنترة سائر قدامها غارق في لامتهِ داخل في شكيمتهِ وركبت العرب كلها ظهور الخيل وقد املوا بالنصر والنيل وقد وكل بالمال والحريم عمرو اخو عبلة ثم سارت الحريم والعيال في وسط الفرسان والابطال هذا والملك قيس الفارس القيل وعنترة فارس الخيل وملاعب الاسنة وعامر بن الطفيل والملك وهب بن موهوب والاخوص بن جعفر وسبيع بن الحارث الفارس الغضنفر سائرون في اول الخيل كانهم اسود الغاب وقد نشرت على رؤوسهم وراس الملك قيس بن زهير راية العقاب وسارت العساكر على هذا الترتيب وهم مثل النيران ذات اللهيب وتبعهم جميع العرب من بعيد وقريب فعند ذلك اقبل عنترة على الملك قيس وقال لهُ أيها الملك قد بقي من الامر شيءٌ واحد بهِ تزول عنا الهموم والشدائد فقال لهُ الملك قيس وما هو ياابا الفوارس فقال لهُ من الراي الصائب ان اسبقكم مستصحبًا معي عروة ورجالة المائة فارس وظلوا انتم سائرين وانا اتجسس لعل الاعداء قد وضعوا لنا كمينًا او اضمروا لنا فعلاً من الفعال القباح ليس لنا فيهِ صلاح فقال لهُ الملك قيس افعل ياابا الفوارس ما تريد فكلنا عن امرك لانحيد . فعند ذلك التفت عنترة الى عروة وامره بسرعة المسير واخذا معهما مائة فارس خبير من الابطال المغاوير وسار عنترة قدامهم كانهُ الاسد القسور وهو على جواده الابجر وقد اخرج يده من جلباب درعهِ واخذ يوصي اصحابه باليقظة وترك الغفلة ولما تمادى بهم المسير تفكر عنترة في ما لقي من الحادثات وما جرى عليهِ من النائبات فانشد هذه الابيات

سرى طيف من اهوى ومن لي بان يسري ... اباح اشتياقًا كان في غامض السرِ
وجدد اشواقًا تقادم عهدها ... وذكرني ما كان قد غاب عن فكري
فقد كان قلبي ياعبيلة صابرًا ... فلما سرى طيف الهوى خانني صبري
فاقسم اني لست اسلو هواكم ... فلا تهجريني واقبلي في الهوى عذري
وبالله ياذات الوشاح تعطفي ... ولا تتركي قلبي يقلب في الجمر

ولا تهجري حبًا اذا غبت ساعة — تيقن ان الموت احلى من الهجر
وها انا قد بالغت في طلب العلى — لاجلك حتى لا نقاسي عنا الاسر
وسوف ابيد الجمع في حومة الوغى — بطعن الرماح السمر والضرب بالبتر
وهذا ابن ماء المزن قد جدّ جدهُ — بكل همام ماجد ضيغم يسري
بروم هلاكي ظالمًا متعديًا — فما الراي منك يا ابنة العم في امري
سيغدون رزقًا للسباع تنوشهم — ضباع الفلا بين الفدافد والوعر
واتيك بالاسرى بويل وذلة — وساداتهم تنقاد في ذلة القهر
قفي وانظري يا عبل مني واعجبي — لعنتر يفني القوم بالبيض والسمر
انا البطل المعروف بالباس والندى — ازيد مع الايام فخرًا على فخر
انا عنتر العبسي فارس قومهِ — تقرّ لي الابطال في البر والبحر
ولي راحة اجرى من البحر سيلها — اذا هطلت فالبحر من فيضها يجري
حويت المعلى والفضل والجود والثنا — وكل ملوك الارض قد عرفوا قدري

قال الراوي هذا ما كان من عنترة الفرسان واما ما كان من الملك الاسود والمرزبان شهر بان بن مهربان فانهما سارا والعساكر بين ايديهما قد طبقت الارض في الطول والعرض فبعد ان ساروا عشرة ايام تقدم المرزبان الى قدام وقال في نفسهِ انهُ يسبق القوم الى لقاء عنترة ويسقيهِ كاس الحمام حتى يكون الذكر لهُ دون غيره من الانام وبعد ان تولت العساكر وارصد بعضها في الظلام ونزلوا للراحة واكل الطعام سرحت الخيل والجمال وكان ذلك الوادي واسعًا كثير الخيرات والمنافع وفيهِ العيون والمنابع

قال الراوي ولم يزل عنترة سائرًا حتى نظر الى تلك العساكر المنتشرة بعدد الرمل والحصى وهي لا تعدّ ولا تحصى فعند ذلك كمن برجالهِ حتى يرحل ذلك الجيش ويكون لهُ في مسيره تابع وقد حدث نفسهُ انهُ يسوق قطعة من الخيل والجمال واذا تبعهُ احد من العسكر انزل بهِ الذل والخبال فبينما هو على ذلك الحال اذا بهِ قد نظر الى سرية عددها نحو مائة وخمسين فارس ما منهم الا كل مدرع ولابس وهم ممتطون متون الجنائب وقد خرجوا من العسكر وقصدوا ناحية الجبلين خشاخش والتناصب . وهولاء كان قد انفذهم الملك الاسود ليكشفوا لهُ الاخبار وينظروا ما تجدد وكان المقدم عليهم قتادة بن سوار وهو فارس جبار وبطل مغوار ما عليهِ في الحرب عيار يعدّ من الابطال المذكورة والاقيال المشهورة وكان الملك الاسود قد قدمهُ على هذه المائة وخمسين فارسًا وامره ان يسير ويستكشف اخبار

عنترة وهل عنده علم بمسيره لهُ ام لا وامره ان يقرب من الارض التي هو نازل فيها و يشرف على اطرافها ونواحيها وقال لهُ ها نحن سائرون بالقرب منك ولسنا ببعيدين عنك فان شعرت بهِ انهُ خرج من الجبلين ارسل لنا من يخبرنا بذلك حتى نسير اليهِ في اسرع وقت ونقلع اثره وننزل بهِ المهالك

قال الراوي فسارت هذه السرية فراهم عنترة وكان قد كمن مع من يتبعهُ من اصحابهِ كما قدمنا فصبر حتى ساروا مقدار فرسخ في الطريق واراد ان يتبعهم حتى يعدمهم السعادة والتوفيق ثم قال لعروة ياابا الابيض اريد ان استفتح بهذه السرية ونجعلها عليهم سفرة ردية لاني اعلم انهم اذا نظروا الى قومنا يرجعون على اعقابهم فنطبق عليهم نحن من وراء ظهورهم ونجيد الطعن في اجنابهم وصدورهم ونبليهم بالذل والنكد ولا نترك احداً منهم يرجع الى الملك الاسود فلما سمع عروة منهُ ذلك المقال قال لهُ ياابا الفوارس الامر في هذا وغيره اليك وها نحن بين يديك ولا نبخل بارواحنا عليك فافعل ما بدا لك وفق الله اعمالك ثم خرجوا من الكمين وتبعوا تلك السرية اما الاعداء فظلوا سائرين لا يدرون بامر عنتر الذي في سنانهِ وسيفهِ الموت الاحمر وهو سائر من خلف ظهورهم ينتظر ما يكون من امورهم وهم مطمانو القلب بقومهم ويظنون انهم يعودون اليهم في يومهم ولم يزالوا سائرين خبباً وتقريب حتى اشرفوا على عساكر عنترة وكان ذلك وقت المغيب فراوا تلك العساكر والاموال والخيل والجمال قد طبقت الاقطار وتلك المفاوز والقفار وهم قاصدون اليهم ونظروا بريق الصفاح واسنة الرماح وقعقعة اللجم وخفق الاعلام وصهيل الخيل وركضها في البر والاكام وهمهمة الرجال الاماجيد وبرق الزرد النضيد فقال قتادة بن سوار لاصحابهِ ياويلكم هذه عساكر عنترة وهي جيوش غزيرة دونكم النجاة قبل وقوع اعينها عليكم فتموتون موت الفجاة لانهم ان نظرونا اهلكونا وللحياة اعدمونا فاطلقوا الاعنة يطلبون الهزيمة وقد خافوا ان ياتيهم الموت فعند ذلك اطبق على القوم عنترة في المائة فارس وناداهم استسلموا قبل حلول الرزية واقبال المنية انا عنترة بن شداد الفارس الجواد المعلم الابطال الضرب وقت الطراد

قال الراوي ثم حملوا عليهم فلم تكن الا ساعة حتى اخذوهم عن اخرهم بالقبض وشدوهم على خيولهم بالعرض واخذوا رماحهم ونصولهم وعرضوهم على ظهور خيولهم واشرف الملك قيس بن زهير والعساكر وقد تحيروا من فعل عنترة الاسد الكاسر وقوة باسهِ وشدة مراسهِ ثم احضروا الاسرى بين يدي الملك قيس بن زهير فقال لهم ويلكم في اي شيء انفذكم الملك الاسود الختال ولاي حال ارسلكم يابني الانذال فقال لهُ قتادة ياملك ارسلنا اليكم حتى نتجسس

له اخباركم وهل عندكم علم بمسير عساكره اليكم ام لا فقال عنترة تبًا لرايه الخفيف وعقله الضعيف فوحق ذمة العرب ما بينه وبين الهزيمة الا صدمة واحدة من صدماتي او حملة واحدة من حملاتي او صرخة واحدة من صرخاتي فتراهم بين هزيم مشرد واسير مقيد او ذليل حقير بالقيود مصفد ثم اطلق سبيلهم فساروا حتى وصلوا الى الملك الاسود وكان قبل اطلاقهم قال لاخيه شيبوب قدم لي اربعين فارسًا من خيارهم وفي اوائلهم قتادة فاتى بهم فقالوا لعنترة يا ابا الفوارس ماذا تريد ان تصنع بنا قال اضرب رقابكم واجعلها قلائد في اعناق باقي اصحابكم بعد ان اقطع انوفهم واذانهم واحلق لحاهم واجزّ نواصيهم وارسلهم الى الملك الاسود ولا ارضى بحال من الاحوال واكفيه شر الكروب والاهوال او يسلمني قاتل ولدي حتى ابرد بقتله كبدي ثم جذب سيفه الضامي الابتر وضرب رقاب الاربعين وامر شيبوبًا بتعذيب الباقين فامتثل لما به امر وفعل كما ذكر ثم علق روؤس القتلى في اعناق اصحابهم وقال لهم ارجعوا الى الملك الاسود واروه انفسكم واعلموه ان وقع بيدي لافعلن به هكذا لانه اجار قاتل ولدي واحرق بفعاله كبدي فساروا وهم على اشأم حال من التشويه والاذلال ينادون بالويل والثبور وعظائم الامور ولما بلغوا العسكر اضطرب وسال ما الخبر فقيل له قد اقبلت الفرسان الذين ارسلهم الملك الاسود مع قتادة بن سوار وهم في انحس الاحوال ولم يزالوا سائرين في هذا الحال الانكد حتى دخلوا على الملك الاسود فلما نظرهم اخذه الاضطراب وغاب عن الصواب وقال لهم ويلكم ما هذا المصاب ومن فعل بكم هذه الفعال وعذبكم هذا العذاب فقالوا له اصابتنا المصيبة العظمى وبلينا بالداهية الدهما دهانا عنترة بن شداد فقتل منا اربعين فارسًا اخيار من جملتهم قتادة بن سوار فاننا لما مضينا من عندكم حتى نتجسس لكم الاخبار سرنا غير عالمين بما تقدّر من المصائب والاخطار حتى اذا قربنا من القوم رايناهم بعساكر كثيرة وجيوش وفيرة وهم سائرون بالظعن والاموال فخشينا ان ينظرونا فيطلبونا ويهلكونا فرجعنا عائدين على اعقابنا لكننا لم نشعر الا وعنترة بن شداد قد طلع علينا في مائة فارس ابطال قناعس في الحديد غواطس للدروع لوابس واطبق علينا من ورائنا فاخذنا عن اخرنا ثم ضرب رقاب الاربعين ورفق بنا فقطع انوفنا واذاننا وجعلها قلائد في اعناقنا وقال لابد لي ان اخذ الاسود عوضًا عن ولدي غصوب لانه اجار قاتله وقدم على هذا الامر المرهوب

قال نجد بن هشام فلما سمع الملك الاسود هذا الكلام صار الضياء في عينيه ظلام وصاح بالعرب والعجم فدقت الكوسات ونعرت البوقات وخفقت الرايات وسار الملك

الكتاب الرابع والثلاثون بعد المائة

من سيرة عنترة بن شداد العبسي

الاسود بخمسين الف فارس ابطال قناعس كلهم بالعدد الكاملة والخوذ اللامعة معتقلين الرماح الخطية راكبين الخيول العربية ثم رحلت من بعدهم فرسان الفرس وهم في أكمل عدة واجمل هيبة وسارت من بعدهم بنو سليم كانهم السيل العظيم يقدمهم عاطل بن المثنى السلمي وكذلك بنو شيبان وقد تسربلوا بالحديد والزرد النضيد

قال الراوي هذا ما كان من هولاء واما ما كان من عنترة بن شداد فانه لما فعل برجال تلك السرية ما ذكرنا من الفعال وابتلاهم بسوء المآل علم ان الملك الاسود لا يتقاعد عن جر العساكر اليه في الحال فرتب جيوشه ميمنة وميسرة وقلبًا وجناحين فجعل في الميمنة بني عامر يقدمهم ملاعب الاسنة فارس الخيل وعامر بن الطفيل وفي الميسرة بني حمير يقدمهم ذو الخمار الفارس القسور اما بنو عبس ففي القلب مع الملك قيس والملك وهب بن موهوب والاخوص بن جعفر عند الرايات والاعلام واما عروة بن الورد وميسرة وسبيع اليمن ومجيد بن مالك واخوه مازن وسابق واخوه لاحق اولاد عبلة فكانوا بين يديه وما فرغ ابو الفوارس عنتر من اتمام ترتيب صفوف العسكر حتى خفقت الرايات وضربت الكوسات ونعرت البوقات ثم اشرف الملك الاسود بن المنذر وعساكره بنو لخم وجذام وظهر من بعده المرزبان وطائفة الفرس ورايات الاعجام وجعلت العساكر تتلو بعضها البعض ووقف الملك الاسود وعلى راسه الرايات والاعلام التي كانت لاخيه الملك النعمان ثم تقدمت شرذمة للمناوشة والقتال فنظروا في المقدمة عنتر راكبًا على ظهر كوكب ابن الابجر في مائة فارس من مقدمي العساكر وهو كالليث الكاسر فحملوا عليه واطلقوا الاعنة اليه وهم ينادون ابن تغدو يا اسود سلم الينا روحك فنومنك على دمك وندخل بك على الملك الاسود ونجعله يوليك الاحسان و يصلح حالك معه والشان ولا تعرض روحك للدمار فتنقلع منك الاثار ولا تغتر بما سبق لك من الانتصار فليست هذه المرة مثل تلك المرار لان معنا المرزبان شهر بان بن مهربان سيف الملك وقدامه اربعون الف فارس ولو لم يمنعهم الملك الاسود لكانوا حملوا عليكم حملة واحدة وطحنوكم طحن الحصيد وداسوكم دوس الجلاميد فلما سمع عنترة منهم ذلك المقال اطبق على مقدمهم في عاجل الحال وطعنه بالرمح في صدره اطلعه يلمع من ظهره وضرب الثاني ارداه ولم يزل عنترة ومن معه من الابطال يعملون فيهم السمر

العوال والبيض الصقال حتى اذاقوهم كؤوس الوبال وقتلوا منهم مائتي فارس وابلوهم بالذل والوساوس فعند ذلك شتم الملك الاسود من بقي من ذلك العسكر الذي تعرض لقتال عنتر وقال لهم اتظنون انكم تقدرون ان تلقوه الم تعلموا انهُ ذئب امعط وثعبان ارقط حتى شعلتم بناره وغرقتم في بحر تياره بتعرضكم لهُ فلو صبرتم حتى تنزل العساكر ويبان ذلك الناظر لكان اولى بنا ولا كنتم خرقتم حرمتنا فعند ذلك تباعدت عن عنترة الرجال وتراجعت عن القتال ثم اشرفت بنو فزارة وحصن بن حذيفة وانت بعدهم بنو سليم ثم بنو شيبان وملأت القبائل تلك الارض في طولها والعرض وترتبت العساكر ميمنة وميسرة وقلبًا وجناحين وطلعت الفرس بالنبال والسلاح وكل منهم بالزرد النضيد وهو كالبرج المشيد واسرعت طائفة منهم واطبقوا عليهم ورشقوهم رشقة واحدة بالنبال فلما نظر عنترة الى ذلك الحال قال لعروة بن الورد يا ابا الابيض احملوا على العجم واطبقوا عليهم مثل الاسد في الاجم فعندها اكب راسهُ في قربوس سرجه وحمل حملة منكرة وفعل كذلك مازن وسبيع اليمن واطبقت عساكرهم من خلف ظهورهم وقد بذلوا في اعدائهم سيوفهم وعجلوا حتوفهم وارغموا انوفهم فلم تكن الا ساعة حتى قتلوا منهم خمسة الاف فارس وكان قد خيم الظلام فعادوا وقد اشتدت على المرزبان فعالهم وقال لرجاله ويلكم لِمَ قصرتم اليوم في قتالهم اما خفتم من العار والذل والشنار فقالت لهُ رجالهُ والله ما نجا منا اليوم الا من باركت النار في عمره لاننا راينا منهم رجالاً اي رجال فقال لهم المرزبان لا تقاتلوهم بعد الان فانا اكفيكم امرهم وادفع عنكم شرهم واصرم لكم عمرهم ثم بعد ذلك اضرمت النيران وتحارس الفريقان ولما مضى من الليل نصفهُ استدعى الملك الاسود السادات والملوك وجلسوا للمشورة فاتفق رايهم على ان يكتب الاسود الى عنترة يتهدده ويتوعده فكتب اليهِ قائلاً اعلم ان هذا الحال الذي وقعت فيه هو امر لا تعرفهُ ولا تقدر ان تصفهُ واعلم ايضًا انهُ قد خرج الامر من يد العرب وصار في يد العجم والعرب والملك كسرى وهذا المرزبان الذي انفذه لقتالك ما توجه في امر من الامور الا ورجع موءيدًا ومنصورًا لانهُ سيفهُ القاطع ودرعه المانع فاشير عليك ان تبادر الى اصلاح حالك والشان وان تسلم روحك لهذا المرزبان فان انت تلافيت امرك فنحن نصطفيك ولا نضيع الصنيعة معك وان ابيت ذلك انزلت بك المهالك ولا يبقى لك صاحب من العرب ولا من العجم فاي سماء تظلك او اي ارض تقلك فلا تكثر من الاسراف فانهُ يودي الى الاتلاف والسلام من النار والنور على الذي عبد الشعاع واللهيب وراى الحق فعاد اليهِ من قريب واللعنة على من عصي وكان من اهل التعذيب . ولما فرغ من الكتاب استدعى حاجبًا من حجابه جليل القدر

والشان وسلمهُ الكتاب وقال اريد ان توصلهُ الى عنترة ذاك العبد الزنيم واللوغد اللئيم وتاتيني بالجواب حتى اسمع ما يبدي من الخطاب

قال الراوي فركب الحاجب وسار بالزينة الفاخرة والاهبة الظاهرة وسار معهُ الغلمان والفرسان والخدم الى ان قرب من العسكر واستاذن بالوصول الى عنتر فاذنوا لهُ بذلك فتقدم اليهِ واحضر الكتاب بين يديهِ فاخذه عنترة وسلمهُ لعروة بن الورد ففضهُ وقراه وافهمهُ معناه فلما سمع عنترة ذلك التهديد والوعد والوعيد صاح في الحاجب صيحة ارعبتهُ وقال لهُ ويلك ثكلتك امك وعدمك قومك والله لا تركنك في هذه الساعة عبرة ولامثلن بك اقبح مثلة ولاتركن هذه العساكر متفرقة كل فريق في طريق ولا اترك الرفيق منهم يعي على الرفيق ثم قال لعروة ويلك يا ابا الابيض اجذع انفهُ واحلق لحيتهُ واقطع اذنيهِ وعلقهما في رقبتهِ وقل لهُ ان يقول للمرزبان والاسود افعلا قصدكما واجهدا جهدكما فان عنترة صابر على بغيكما ولو كانت عساكركما كالمطر او بعدد ورق الشجر لايبالي بها ولا بد لهُ ان يقلع منكما الاثر ولا يفعل بكما الا كما فعل بي فيحلق لحيتيكما و يقطع انفيكما واذانكما و يعلقها بين اعينكما فسار الحاجب مشوهًا على تلك الحال يقاسي الذل والوبال

قال الراوي فلما وصل وراه اصحابهُ وقعت فيهم البهتة والحيرة وبكى المرزبان مما دخل على قلبهِ من الغيظ وكاد ان يقتل نفسهُ مما حل بهِ ثم انهُ امر العساكر فزحفت وبرقت السيوف وتدانت الحتوف وتقدمت العربان والابطال والفرسان ولبس المرزبان لامتهُ واعتد بعدتهِ وخرج الى الميدان يريد المبارزة والجولان مع الفرسان وتقدمت الناس لينظروا ما يجري لهُ في مبارزتهِ عنتر وما يقع بينهما من العبر فساق المرزبان الى ساحة الميدان ثم اوقف الحصان واخذ ينظر الى عنتر وهو على كوكب ابن الابجر هذا والعساكر قد وقفت للقتال ميمنة وميسرة وقلبًا وجناحين وكان المرزبان قد امر العساكر بالركوب فركبت العرب والعجم وركبت ايضًا عساكر عنتر وركبت بنو حمير وذو الخمار و بنو عامر وغشم بن مالك وعامر بن الطفيل الاسد المعارك وانتخب عنترة من عساكره مائتي فارس من كل مدرع ولابس مثل ابنه ميسرة وذي الخمار فارس بني حمير ومازن البطل الغضنفر وعامر الشجاع القسور وغشم بن مالك شجاع الزمان وسبيع اليمن ليث الميدان وعروة بن الورد سيد الفرسان والمطال و باقي الرجال الذين كل واحد منهم يلقى قبيلة في الميدان فلما راي المرزبان ذلك الحال قال ونعمة كسرى انوشروان لا اعانني اليوم احد من العربان على هذا العبد الانكد فصعب ذلك على الملك الاسود وقال لهُ افعل ما تريد ايها الفارس الشديد وانا

لا اترك احداً يختلط بكم ولا يجمل معكم لا من الاحرار ولا من العبيد لاننا افرزنا بعجزنا عند الملك كسرى فعند ذلك استدعي المرزبان فارساً وقال له تقدم الى هذا العبد الذي اعجبته نفسه لاجل وقوفي عنه وشفقتي عليه واعلمه انني سيف الملك كسرى الذي يرجى للشدائد ودفع الاوابد وما جئت الا من اجله فان سلمني نفسه قبلته وصفحت عنه وامنته على دمه واتوسط مع الملك كسرى امره واجعله برده افضل عودة وان هذه العساكر ما جاءت لحربه لانه اذل واحقر وانما جاءت لي خدمة لي فان فعل ما قد امرته وقبل ما به انذرته فنعم والا فيندم حيث لا ينفعه الندم لاني اقوده اسيراً واحمله الى كسرى يفعل به ما يشاء واشهره في قبائل العرب واردة الى الحيرة واصلبه على بابها واقلع شافته وابيد غابرته هذا وعنتر واقف في ساحة الميدان واذا بالرسول قد وصل اليه واستامن منه قبل ان يتكلم فلما امنه القى اليه رسالة المرزبان فقال له ياشيخ ارجع اليه وقل له لابد لي ان انكل به كل النكال وانزل به الاذلال واسقيه كاس الخبال واقتل الرجال والله انكم لاتستحقون ان تاكلوا خبز السلطان وانا احق بما في ايديكم واكفي الملك كسرى ما اهمه ولا احوجه اليكم ولا ابالي باية ميتة اموت فان ظفرت بكم فهو العز الاكبر والشرف الافخر وقد قتلت منكم الرجال وابدت الابطال وقد كسرت لكم اربعة جيوش حتى اني في هذه النوبة املك الحيرة واعمالها ويجب عليك ايها المرزبان ان تعتبر بمن اهلكت لكم من الابطال وانت عندي اذل واحقر من ان استامن منك ياعلج المجوس ولا تفتخر بهذه العساكر التي جمعتها فما لكم عندي قدر ولا مقدار ولو انكم بعدد قطرات الامطار وامواج البحار فعند ذلك عاد الرسول الى المرزبان بالجواب وادى الرسالة على رؤوس الاشهاد واخبره بما قال عنترة بن شداد فلما سمع المرزبان هذا الكلام قال وحق ديني ومعبودي والدين الذي وجدت عليه ابائي وجدودي لاقلعن شافته وابيد غابرته واصلبه على البيت الحرام حتى تعتبر به سائر الانام ثم لكز الجواد بالمهاميز وبربر على عنترة بالفارسية وقال قبحت من عبد ما اقوى جنانك واطول لسانك فان اخذتك اسيراً لاقطعن يديك ورجليك واقلعن عينيك على ما انفذت لي من الكلام الذي هو امر من ضرب الحسام ثم انه بعد ما تكلم اخذ من تحت فخذه خشبتين واطبق على عنترة انطباق الجفن على العين فنظر عنترة الى حملته فاستقبله بصدر الحصان وتجاولا طويلاً واعتركا ملياً فامتدت اليهما الاعناق وشخصت نحوهما الاحداق وهما في كر وفر وصد ورد ومباعدة وملاحمة ومهاجمة ومزاحمة فما زال عنترة يجاوله حتى اتعبه فسحب المرزبان احدى الحراب وزجها بعنترة فضيعها عنترة بمعرفته وابطلها بخبرته وعادا الى الانطباق والافتراق

والمهاجمة والالتصاق فتحير المرزبان من عنترة وفروسيته وصبره في الحرب وشجاعته فاخذه الحنق والغضب فزج اليه حربة ثانية وظنها تكون القاضية فخطفها عنترة من الهوا بشدة حيله والقوى وردها الى المرزبان فدخلت في صدره طلعت من غفارة ظهره فلما رات الفرس مقدمها قتيل ودمه على الارض يجري ويسيل قامت قيامتها وحملت على عنترة حملة واحدة فالتقاهم كانه النار المحرقة او الصاعقة المبرقة وطعن فيهم طعنات خارقة وحمل معه ذو الخمار وميسرة وسبيع اليمن ومازن وعروة بن الورد وعمرو بن مالك وعامر بن الطفيل والمطال وتمام المائتي الفارس وصاحوا فيهم بصوت منكر وطعنوا فيهم طعنًا يسبق لمح البصر وحمل الامير سابق والمخبر وحمل اخوه لاحق واشتهر ونثر روءوس الاعاجم نثر ورق الشجر وهمت طوائف فرسان العرب وارادت ان تحمل فمنعها الوزير عمر بن نفيلة تعصبًا لعنترة وقال للملك الاسود ياملك اما سمعت المرزبان قال انه لا يريد منا نجدة ولا مساعد وهذا اعظم ما يكون من العار ان نحمل على مائتي فارس بالعرب والعجم فقال الاسود ياوزير الم تعلم ان ذا الخمار وحده يعد بسبعة الاف اذا ثار الغبار واما عنترة فلا يقع على حربه عيار على انني لا اترك هذا الامر يتم على عساكري واجنادي لان هذا سببه من البغي والغدر وقلة العدل فقام الحرب على ساق وقدم ونفذت الرماح الدقاق في لبات العجم وانفرشت القتلى على الارض وتمددوا طولاً وعرض هذا وعنترة قد رد الخيل على اعقابها وانزل الويل بركابها قال ولم يزل الامر كذلك الى ان ولى النهار بالابتسام واقبلت جيوش الظلام فعادوا يطلبون الخيام

قال الراوي فتلقى عنترة الملك قيس واخوته وشكروه على فعاله ونزلوا في الخيام وتقدموا لاكل الطعام وترتب الحرس في الظلام وبات الملك الاسود والنار في قلبه تتوقد اذ خرقت هيبته قدام الفرسان وخشي من عتب الملك كسرى انوشروان لانه لم يساعد المرزبان ولم يزل الحرس يدور الى ان اصبح الصباح وطلع الضوء ولاح فركب عنترة فارس البطاح واصطفت الصفوف وترتبت المئات والالوف ولما نظر الملك الاسود عنترة يصول ويجول زعق واذلة العرب الى اخر الابد من جور هذا العبد الاسود هذا وعنترة يصول في وسط الميدان وبزعق اين الابطال اين الفرسان ثم صاح في الملك الاسود وقال له ويلك اتاكل اموال الملك كسرى انوشروان ويسموك شاه تازيان وانت ملك العربان وقد حشدت الحشود وجمعت الجنود وما قدرت ان ترد واحدًا من فرسان العرب فوحق البيت الحرام لاسلخن جلدك والحقك بابيك وجدك واشق بطنك واقطع كبدك ويلك اتجبر قاتل ولدي وحشاشة

كبدي ويلكم اما فيكم فارس نحرير ولا مقدم خطير يخشى على نفسهِ من معيرة العرب ويخرج اليَّ حتى اتركهُ يندب على ما فاتهُ من الارب ويلك يا اسود لا ينجيك مني الا ان تسلمني قاتل ولدي حصن بن حذيفة وتخرج من حق المجردة اخت الملك قيس وتدفع لهُ ديتها والا افنيكم عن اخركم ويلك ياجبان ياذليل يامهان لما لم تقدر على الفرسان جعلت مقدرتك على النسوان والله لاجعلنك احدوثة ما بقي الزمان واسلب ملكك واعزلك من مملكة العربان واقيم موضعك الملك قيساً ملك بني عبس وعدنان ثم التفت الى حصن بن حذيفة وقال لهُ ويلك ياوغد قومهِ ولئيم عشيرتهِ اتقتل ولدي وتحرق عليهِ كبدي وتلتجي الى الملك الاسود وتضرم عليهِ ناراً لاتخمد وقد احنيت عند لقاء الاقران فلمَ لاتبرز اليَّ انت وسائر عشيرتك فتباً لكم ولقبيلة انتم حماتها وقبائل انتم ساداتها ياأوغاد غير امجاد

قال الراوي فلما نظر اليهِ الملك الاسود وهو يجول بين الصفين والفرسان اليهِ ناظرة وهم وقوف وشاهرون السيوف زعق واذلة العرب الى اخر الابد من هذا العبد الاسود ويلكم احملوا عليهِ جميعكم وايتوني براسهِ واخمدوا انفاسه واهدموا اساسه فعند ذلك حمل حصن بن حذيفة وهو يقول لعن الله الاسود المجنون الصعلوك فالى كم يتجرا على الملوك ثم رمى بنفسهِ عليهِ وتبعتهُ بنو فزارة وحملت باجمعها على عنترة وحملت بنو سليم مع عاطل بن المثنى وحملت بنو شيبان مع مفرج بن هلال فعند ذلك التفت ذو الخمار الى عنترة وقال ياابا الفوارس بحق الصحبة والوداد اتركني انا ومائة فارس من قومي الاجواد نلتقي عنك هولاء الاوغاد فقال عنترة لاتقسم عليَّ يافارس حمير فانا اعلم انك على ما تقول اقدر وانك فارس المجال وقليل المثال ومن اهل المقال والفعال ولكنني بعد ما رايت حصن بن حذيفة خرج الى مقام الجلاد فلا بد لي من الخروج اليهِ واخذ بثار ولدي غصوب واشفي قلبي المكروب فقال لهُ ذو الخمار اذا كان الامر على ما ذكرت فالقاهم انا وانت في مائة فارس فان راينا الاسود قد حمل في باقي العسكر اشرنا على قومنا بالحملة ونتنزل بهم الهم والدبلة فقال عنترة افعل ما بدالك فلا اخالف اقوالك

قال الراوي ثم ان عنترة تقدم الى الملك قيس وقال لهُ انت ياملك لاتحرك ساكناً حتى ترى الملك الاسود قد حمل بعساكره فحينئذ احمل انت فمنع قيس الناس عن الحملة وعاد عنترة فراى ذا الخمار مع بني سليم والغبار قد انعقد كالغمام العظيم وكان ذو الخمار قد حمل في ستين فارس منهم ميسرة بن عنتر وابن اختهِ المطال وشبيع اليمن وعروة بن الورد ومجيد بن مالك ونازح بن اسيد الفارس المغارك فعند ذلك اختلط ذلك الجمع وفاض

من الاعين الدمع وجرت الدماء مثل النبع وقرعت السيوف للجماجم قرعًا واي قرع وطرح عنترة نفسهُ على بني فزارة في المجال فنكس منها الافيال وذو الخمار فتك ببني سليم وانزل بهم الذل العظيم وكذلك ميسرة وسبيع اليمن وعروة فتكوا ببني شيبان واهلكوا منهم الشجعان ونكسوا عمائم الاقران وصعد الغبار الى العنان وظهر قتام الحرب كالدخان وطار شرار السيوف كالنيران وزاد العجب واتضح البرهان لان عشرين الفًا التقتها دون المائة فارس فربحت عليها واوصلت الاذية اليها هذا وزعقات ذي الخمار قد زلزلت الاقطار الى ان صار نصف النهار واذا بحصن قد خرج من تحت الغبار يطلب الهرب والفرار وجدت خلفهُ بنو فزارة وعنترة في اعقابهم كانهُ الاسد الهدار وجرح حصن جرحًا اشرف منهُ على الدمار لان عنترة ما زال يطلبهُ حتى وقعت عينهُ عليهِ فمال بكليتهِ اليهِ وجعل ينثر الفرسان بين يديهِ حتى وصل اليهِ فلما راه حصن قد ادركه علم انهُ ان وقع بهِ اهلكهُ فالوى عنان الغبراء وطلب الهرب فزرقهُ عنترة وهو بعيد عنهُ بالرمح جرحه جرحًا بليغًا فانهزم حصن يطلب عساكر الملك الاسود وهو يصيح قتلني والله هذا العبد اللئيم والشيطان الرجيم وابعدت بنو فزارة وهي تهيم حتى دخلت بين الصفوف وعاد عنترة يطلب بني سليم واذا هي بين يديهِ مندفقة وذو الخمار في اعقابها مثل النار المحرقة او الصاعقة المبرقة فتشتتت فرسانها في القفار طالبين الهزيمة والفرار فتاثرهم ميسرة ومازن وعروة والهطال وسبيع اليمن وقد مكنوا منهم السيف والسنان فتلقاهم عنترة الفرسان وابلاهم بالذل والهوان وساروا في هذا الحال الانكد حتى بلغوا عساكر الملك الاسود بعد ان امتلات الارض من قتلاهم وارتوت من دماهم ثم عاد عنترة وذو الخمار وميسرة ومازن وعروة والهطال وسبيع اليمن الفارس الرئبال الى عساكرهم وقد منعهم الظلام عن ضرب الحسام اما الملك الاسود فصار منكس الراس وهو مما راى كثير الهم والوسواس فلما تامل في هذه الاسباب غاب عن الصواب وقال للوزير ارايت في الدنيا اسوأ من حالنا فقد اهلك عنترة فرساننا وابطالنا وازال ما لنا من الهيبة في قلوب العجم والعرب من بعد منها واقترب فاذا كان فعل معنا بمائة فارس هذه الفعال فكيف اذا جرد لقتالنا جميع من معهُ من الابطال

قال الراوي . فلما سمع منهُ وجوه دولتهِ هذا الكلام قالوا لهُ ايها الملك لقد اخطات بهذه الفعال لانك لم تحمل بجميع من معك من الفرسان والابطال الذين كانهم سد من حديد فلو فعلت ذلك لكنا طحناهم طحن الحصيد والقيناهم على الجلاميد فان دمتم على حالكم ينظر بعضكم الى بعض ويراكم هذا الوغد اللئيم قد خفتم منهُ فيقتلكم فارسًا بعد فارس ويبليكم

بالذل والوساوس

قال الراوي . هذا ما كان من هولاء واما ما كان من حصن بن حذيفة فانهُ بعد ان ايقن بعطبهِ وخاف ما جرى بسببهِ قال ياملك أما ترى ما حلَّ بنا من العذاب الاليم من هذا العبد الزنيم والوغد اللئيم فان غفلت عن الحملة عليهِ انخرق منا الناموس ولحقنا الذل والبؤس فكيف حالنا مع الملك كسرى انوشروان اذا سالك عن المزوبان فقال الاسود والله ياقوم اني اخجل ان اكون في تسعين الفاً عرباً واعجام من كل فارس منتخب وليث ضرغام واحمل بهم كلهم على عبد اسود راعي اغنام ومع ذلك فقد حملتم عليهِ في اكثر من عشرين الف فارس فالتقاكم في مائة فارس واباذكم فتباً لكم فما فيكم من يرجى لدفع شدة ولا انتم من رجال النجدة . فقال مفرج بن هلال صدقت ياملك غير ان الفرسان لا يتركون قتال عنترة رحمة منهم لهُ ولكن عجزاً ومذلة وانت تعلم ان الملك يحتاج للسياسة والرئاسة فمن الراي الصائب ان لا ترتكب لوم الهزيمة من عبد لا قدر لهُ ولا قيمة . فقال لهم ياقوم هذا امر قد مضى ايسرهُ وبقي اكثرهُ وفي غداة غدٍ ادعكم تحملون باجمعكم . ولكن لا بد لي قبل ذلك ان انذرهُ بكتاب لارى ما يبديه من الجواب . ثم عاد ونزل في الخيام ونزلت العساكر عند اقبال الظلام فعلم الوزير منهم انهم اذا حملوا بذلك الجمع على عنتر دون ان يكون عالماً بالخبر يلحق بهِ الضرر فكتب اليهِ يقول ان الملك الاسود كان قد كف عن الحملة عليكم بهذه الجموع والفرسان وانما حصن وسنان هما اللذان اشعلا قلبهُ بالنيران فعزم على الحملة عليكم بهذه الجموع فخذ حذرك ودبر امرك . ثم استدعى عبده سالماً النجاب وامرهُ ان يوصل الى عنترة ذلك الكتاب فقال السمع والطاعة واخذه وسار من تلك الساعة وكان عنترة قد رجع من المعمعة وهو يهدر ويلخ مثل الجمل لانهُ لم ينل من حصن الامل فالتقاهُ قيس وجعل يقبلهُ ويقول لا كان يوم لا اراك فيهِ يافارس العصر ونتيجة الدهر . اما الربيع واخوتهُ فكانوا كلما نظروا الى ذلك تنشق مرارتهم لكنهم يخفون الكمد ويظهرون الجلد وبينما القوم على هذا الحال اذا عبد الوزير اقبل على عنترة وسلمهُ الكتاب فاعطاه لعروة فقراه وعرف رموزه ومعناه وشكر الوزير على ما ابداه . ثم كتب لهُ كتاباً يقول فيهِ بعد ابداء التحية والاكرام لا عدمت فضلك واحسانك وبيض اياديك وامتنانك وسوف ترى من عبدك عنترة ما يسرّ قلبك من ضرب يقدُّ وطعن يهد . فاخذ العبد الكتاب وسار بهِ الى مولاه وسلمهُ اياه ففضهُ وقراهُ وفرح بذلك فرحاً شديداً ما عليهِ من مزيد . هذا ما كان من امر الوزير وما اتمَّ من التدبير واما الملك الاسود فانهُ كتب الى عنترة كتاباً فيهِ تهديد ووعد وعيد وقال للوزير اريد ان

تمضي انت بهذا الكتاب الى هذا الرجل وتخبره بمن قد اجتمع عندي من العساكر وتجتهد باقناعه بان يسلم نفسه اليَّ حتى امنه على روحه واصلح بينه وبين حصن بن حذيفة وادخل به على الملك كسرى واخذ له منه الامان والا فيندم حيث لا ينفعه الندم فقال الوزير السمع والطاعة . ثم ركب في موكب عظيم وقال للاسود ايها الملك اريد ان تجملني بكلما تقدر عليه من الزينة حتى نقع الهيبة في قلبه ويسلم نفسه اليك فقال الاسود نعم لقد اشرت بالصواب ثم جمله بالكوسات والبوقات والجنائب وقضبان الذهب والفضة واستصحب معه خمسين فارسًا من سادات العرب وسار الوزير في حال عظيم يسر النفس حتى قارب بني عبس ووصل الخبر بقدومه بالرسالة الى عنترة فركب وتلقاه واكرمه وحياه واحترم جانبه ورعاه وبات تلك الليلة في ضيافة عنترة ولما اختلى الوزير بنفسه احضر عنترة سرًّا اليه مع عبده سالم وقال له اعلم اني ما اتيت بهذه الرسالة الا خدمةً لك ففي غداة غدٍ استحضرني واسألني عما اتيت به فاقرأ الرسالة عليك وانت ترد الجواب بمعرفتك ولا تتركني انا وجميع من معي نمضي حتى تاخذ خيولنا وما علينا من الثياب والزينة ثم ردنا الى الملك الاسود حفاة عراة مشاة وعندي تدبير اخر سوف اطلعك عليه عند احتياجك اليه فاحرص على نفسك وكن متيقظًا واخفِ ما جرى لك معي عن سائر ابناء جنسك وانا من معاونيك في سائر الاحوال بلغك الله الامال

فلما سمع عنترة من الوزير ذلك الكلام شكرهُ واثنى عليه وانصرف الى ابياته فرحًا بحال الوزير ومحبته ومتفكرًا باي شيء يجازيه ويود حسن مكافاته وبات الوزير وهو فرحان لانه سار بالرسالة الى عنتر لنصيحته في هذه الاحوال وينتشله من الضرر فلما اصبح الصباح واضاء بنوره ولاح امر عنترة باحضار الوزير فحضر . ثم دعا شيبوبًا اخاه وامره بان ينادي بالفرسان ليأتوا ويسمعوا الرسالة التي اتى بها الوزير وينظروا في ما يبدونه من التدبير . فلما حضروا كلهم عند الامير عنتر سالوه عن الخبر فاخبرهم بامر الوزير وانه اتى رسولاً من عند الملك الاسود ثم قال له ايها الوزير اعلمنا بماذا جئت به هل هو كتاب ام خطاب تكلم ونحن نعطيك الجواب :

قال الراوي . فعند ذلك التفت الوزير الى عنترة وقال له اعلم يا ابا الفوارس ان سيف الملك طويل لا يفله جيش ان كثيرًا او قليل وانا ما جئتك الا محبةً فيك ونصيحةً مني اليك فاشير عليك بهذا الراي السديد وهو ان تطأ بساط هذا الملك السعيد وتصلح حالك معه واعلم انه قد ابقى عليك ولو اراد قتلك لقتلك وحمل على من معك بمن معه من الفرسان وابلوكم

بالذل والهوان فانظر ما ترى من الصواب واسرع بالجواب . واشار الى عنترة ان ياخذ زينتهم. فقال لهُ عنترة يجب عليك قبل كل شيء ان تخلع هذه الزينة التي عليك وعلى اصحابك فانا أحق بها منكم لان مرادي ان اجمع شيئًا كثيرًا من اموال العربان وافرغ جهدي في هذا الشان حتى املك البلاد وحدي دون كل انسان واما انت فقد بلغت الرسالة والكلام وما عليك ملام لان للملك النعمان علينا ايادي قديمة فلاجل مراعاتها لايجب علينا ان نوصل اليك اذًى ولا عدوان فعودوا الى صاحبكم وقولوا لهُ لايفرح بن جمع ولا بمن حشد فوحق من امر الماء فنبع وتعالى في ملكهِ وارتفع انني لااخشى منهُ ولا من عساكره ولا من كسرى ولا من كل من على وجه الثرى

ثم امر ولدهُ ميسرة واخاه مازنًا ان ياخذا جميع ما كان مع الوزير من المال والثياب الغوال وان يجرًا رجالهُ حفاة عراة باسواءِ حال . هذا والوزير يقول لعنترة والله يااسود الجلد لابد لك ان تذوق مر عقبي فعالك والمقال بعد ان فعلت بنا هذه الفعال ونحن ملوك عوال وسادات اقيال وانت عبد اسود راعي الجمال ثم دنا منهُ كانهُ يشاوره وقال لهُ يا ابا الفوارس ها انا عائد في هذه الرجال الذين معي لنجمع الامراء كلهم عند الملك الاسود فاكبسونا انتم في هذا الظلام وضعوا في العساكر الحسام واذا وقع الصوت فاول من ينهزم انا وتتبعني العساكر خوفًا من الفنا فتستريحون من التعب والعنا ثم رجع عنهُ وهو يقول ويلك اقبل نصيحتي واياك معصيتي فقد نصحتك اولًا وآخرًا وباطنًا وظاهرًا فقال لهُ عنترة لا تطل الكلام ايها الوزير الهمام فما انا تارك روحي في هذا المقام واخاف احدًا من الانام وليست عندي عساكر الملك الاسود الا مثل الغنم اذا هجم عليها الاسد ولا بد لي ان آخذ الاسود برقبتهِ من على كرسي مملكتهِ واهلكهُ جزاء اجارتهِ قاتل ولدي وما قنع بفعالهِ المتعسفة حتى قتل مولاتي المجردة وحيث لم يقدر على الفرسان بذل بأسهُ في النسوان فتبًا لهُ من بين الملوك ولا بد لي ان القاه بكل فارس فتوك واقتل الملك كسرى انوشروان ان انتصر لهُ وحماه من طوارق الحدثان . ثم اخرج رجالهُ حفاة عراة فساروا حتى وصلوا الى الملك الاسود وهم على تلك الحالة واذا بالمجلس حافل بامراء بني شيبان وبني فزارة ولخم وجذام وكلهم في انتظار الوزير ليسمعوا ما ياتي بهِ من المقال واذا بهِ قد وصل وهو على ذلك الحال يلطم راسهُ فدهش الملك الاسود من ذلك وزاد وسواسهُ وسأل عن الحال فجعل الوزير يحدثهم بما جرى وكان

قال الراوي فبينما هم كذلك اذا بالزعقات وقعت من كل جانب والدنيا انقلبت

بالمواكب والكتائب وظهرت الاهوال والعجائب وطوائف بني عبس قد جردت السيوف وحملت وزعقت الرجال وهمهمت ونار الحرب اضرمت وعنتر في اوائل العسكر يطلب الملك الاسود . لانهُ بعد مضي الوزير اخبر عنترة الملك قيساً بخبر الكبسة فاستصوب راية وامر العساكر فركبت وحملت على عساكر الملك الاسود وماجت بهم الارض وانقلبت وسالت الدماء وانسكبت وسمع بنو لخم صياحًا عظيماً في العسكر وذو الخمار يزعق يالحمير وعنترة يصرخ بصوتهِ الجهر فقال الملك الاسود كبسنا في الخيام هولاء الانذال وكان اول من ركب وطلب الهرب حصن بن حذيفة و بنو فزارة وتبعهم بنو سليم و بنو شيبان ولما علم الملك الاسود ذلك عرف انهُ وقع بالمهالك . وانهُ اذا لم يطلب النجاة حل بهِ العطب وجرّع كاسَ الممات فما صدق ان يركب جواده والصيحات تاخذهم من كل جانب والسيوف تعمل فيهم تحت ظلمات الغياهب وعنترة ينادي وذو الخمار يجاوبهُ بصوتهِ الجهوري وما بقي في العساكر الا من طار فواده وما صدق ان يركب جواده واصحاب عنترة قد ملكوا عليهم القيعان ولم يشرق الصباح حتى قتل منهم خلائق ملأت البطاح ومالت بنو عبس على الخيام والاموال ورفعوا الكل على ظهور الجمال وقال عنترة ما بقي من بعد هذه النوبة الخطيرة الا الحيرة فدعونا نمضي اليها وناخذها واجلس الملك قيساً مكان الملك الاسود وندبر حالنا مع كسرى انوشروان اما بحرب وكفاح او بصلح ونجاح فاستصوبوا رايهُ وعطفوا راجعين ومعهم الظعن والاموال حتى وصلوا الى الحيرة فملكوها واحتووا على كل ما فيها وطيب عنترة قلوب الخاص والعام وطاب لهم المقام وصاروا في امان واطمئنان . هذا ما كان من هولاء واما ما كان من الملك الاسود وحصن بن حذيفة وسنان والوزير ومن معهم من المنهزمين فانهم ساروا يقطعون البر ولما وصل الخبر الى الملك كسرى انزعج من على سرير ملكهِ واهتز الديوان بارباب الدولة ودخل الاسود على كسرى وقبل الارض ونادى ياملك قتلت الرجال وهلكت الابطال ونهبت الاموال وملكت الديار والاطلال فقال كسرى ويلكم ومن فعل بكم هذه الفعال الشداد فقالوا ياملك الزمان دهانا عنترة بن شداد وبنو عبس وكلاب وحمير وذو الخمار. والرجل اليوم في عشرين الف فارس وقد ملك الحيرة واجلس الملك قيساً على كرسي المملكة فقال كسرى ويلكم وماذا فعل شهربان الذي انفذتهُ معكم وصحبتهُ اربعون الف عنان فقالوا دمرهُ عنترة وانزل بهِ الهوان وكسر جميع من معهُ من الفرسان وكنا قد حملنا عليهِ في تسعين الف فارس واكثر فابادهم وانزل بهم الموت الاحمر . ثم شرح لهُ كل ما جرى لهم مع عنتر فلما سمع كسرى هذا

الكلام قام من غيظه وقعد وقال وحق النار والنور سوف يحدث من بعض الامور امور
وما هذه اول نوبة فعلها فقد وقع له مع النعمان بن المنذر ما وقع وحصلت يده على الدولة
الكسروية واصطلح حاله مع اخيك النعمان فلما قتل ابي اخاك النعمان وجرى له ما جرى
توليت انت موضع اخيك وانفصلت النوبة ومن مدة ايام سمعت انك صاهرتهم وتزوجت
بالمتجردة فاذا كنتم اصهاراً وانساب فما سبب هذه الحروب التي جرت بينكم وهذه
الاوصاب وما الذي فعلتموه في حق عنتر حتى وقع بينكم هذا الامر المنكر فعند ذلك
حدثه الاسود كيف ان حصن بن حذيفة قتل غصوب بن عنترة وكيف هو غضب من المتجردة
لما قالت له ان يصالح بني عبس ولا يشاقهم وكيف قتلها وما جرى لعنترة مع بني فزارة .
فقال كسرى وحق النار اني ارى الذنب لكم جميعاً وان عنترة ما عارضكم تعدياً منه وما عليه
في ذلك ملام لانك لو لم تقتل المتجردة وحصن يقتل غصوب لما تجددت بينكم هذه الحروب
فعند ذلك تقدم حصن وقبل الارض وتاخر الى الوراء وبكى وقال ياملك وحق ذمة
العرب ما كان لي في قتل غصوب ارب ولقد ندمت عليه غاية الندم لاني قتلته وانا سكران
وقد قتل عنترة منا عوضاً عنه الفا واربعمائة انسان وما اقتنع بذلك بل عاد الينا وقتل في
هذه النوبة ايضاً خمسمائة فارس اخرى وقد رضينا ان نتوافى بالدماء وقد جرى السهم بما فيه
وها نحن بين يديك ايها الملك . فان قتلت فانت احق بنا واولى وان اعتقت فنحن العبيد وانت
السيد والمولى . فلما سمع ذلك كسرى رق له قلبه ورحمه وقال له اذا كان قد قتل منكم كل
هذه الفرسان وما اقتنع فانا ارغم انفه واعجل حتفه واقام الملك كسرى يتفكر ساعة من الزمان
فيما يكون من ذلك التدبير . ثم رفع راسه الى البهلوان الوزير وقال له ماذا ترى في هذه النوبة
من الراي فقام وقبل الارض وقال يامولاي ان شغلنا في هذه النوبة بما جرى علينا من
الفرس والعجم اعظم مما تم علينا من العرب فقد ملكت البلاد من خوارزم الى اصبهان ووراء
خوارزم بمائتي فرسخ وما بقي لك بعد ذلك غير العراق

قال الراوي . فلما سمع كسرى ذلك تحير في امره وجرت الدمعة من عينيه وقال للوزير
ما هذا الكلام الذي تقوله قدام الجماعة وما سمعته الا في هذه الساعة فقال ياملك وحق النار
لقد جهدت نفسي بكل ما امكن حتى اطفي هذه النار من غير ان تعلم لكيلا ادخل على قلبك
هماً ولا غم فلم اطق الصبر عليها ولا قدرت على ذلك وقد انكسرلنا اربعة جيوش وانضافت
الينا هذه المحنة من العرب فما كان لي بدٌّ من اعلامك بذلك السبب فقال له كسرى من اين
خرجت علينا هذه الخوارج وخراسان وتلك البلاد محفوظة بالمرازبة وخوارزم واعمالها

مسلمة الى شروين بن جروين وعساكره فمن اين خرج علينا هذا الخارجي فقال الوزير اعلم ايها الملك ان شروين هو الذي عصى عليك وطمع في اخذ الملك من يديك وهو الذي ملك البلاد ودبر الحيلة في اخذ اصبهان وقتل اسفنديار . وقد اطاعته الفرس كلها وقوي واشتد وكلما جردت اليه عسكرًا قوي عليه وكسره وقد كسر لنا حتى الان اربعة جيوش فدبر الان امرك بما تريد واعمل بعقلك شيئًا ينفعك احسن من تدبيري واجعل هذا قريبًا غير بعيد . فلما سمع الملك كسرى ذلك أُغمي عليه ثم افاق ودموعهُ جارية على خديه وقال هذه محنة عظيمة فان العرب قد عصت والفرس قد عصت فلا شك انهُ يخشى علينا ان يذهب الملك من ايدينا وتشمت بنا اعداؤنا فكيف الحيلة في هذه النوبة فقال لهُ وزيره الموبذان قد سدّت عليّ الابواب وما بقيت اقدر على سبب من الاسباب فقدم على جيوشك من يدبر لك اياها فان والدك رحمة النار عليه كان اذا قلت لهُ شيئًا يسمعهُ ويطيعهُ ولا يعصاه ويفعلهُ لوقته ولا يبقيه لانهُ كان اذا عصت عليه العرب يدفعها بالعجم واذا عصت عليه العجم يدفعها بالعرب وانت لا تسمع وعن احوالك لا ترجع وهذه النوبة قد جرت وما امرها الا هين وانا ادلك على شيء ان فعلتهُ رجعت اليك بلادك وفزعت ملوك العرب والعجم من اجتهادك وجلادك وذلت لك الفرس والديلم ووقعت على اعدائك النقم

قال الراوي . فقال لهُ كسرى قل ايها الوزير حتى اسمع ما بهِ تشير فقال لهُ اما العرب وصلحهم واطفاء نارهم فهين ويهون واما الفرس فسوف تقرّ عيناك وترجع البلاد اليك على ان قتل شروين المجنون الملعون لا يقدر عليه الا رجل واحد وهو الذي يدفع هذه الشدائد فان اراد الملك هلاك شروين بن جروين ودماره فتاذن لي بالمسير الى هذا الرجل واحضاره فوحق النار والنور والظل والحرور لاجهدن في هلاكه ودماره واخرب ديارهُ واطفيء نارهُ فقال كسرى ومن يكون هذا الرجل الذي يهلكهُ ويردُّ علينا البلاد من يده بينهُ لنا لنعرفهُ فقال ايها الملك هو عنترة بن شداد البطل الجواد الذي قتل ايام ابيك سائر الخوارج وهو صاحب الافعال المرضية والشجاعة المذكورة والمواقف المشهورة فضحك كسرى من كلامه وتضاحكت جميع الفرسان وكل من حضر عنده في الايوان وقال وحق بيوت النيران لقد صدق من قال ان الرجل اذا كبر ذهب عقلهُ وزاد جهلهُ وما بقي من معقوله الا القليل فقال الموبذان وكيف ذلك ايها الملك الجليل فقال قد ذكرت هذا الرجل وما هو عندنا وقد عصى علينا وملك بلاد العرب كلها وقتل الرجال وافنى الابطال فكيف نرجو منهُ نصرة ودفع مضرة فقال الموبذان ايها الملك ان كان ضحكك هزوءًا بي فلا اواخذكم لانني في نعمتك

رُبيت وبك اعتز اذا ذليت وان كان من اجل عنترة فانهُ وحق النار يقدر على اكثر مما ذكرت وانت تعلم انهُ ليس ممن يهزأ بهِ وقد بان لك من فعلهِ فوق ما انت بهِ عارف وذليلهُ انهم حملوا عليهِ في تسعين الف عنان وفي جملتهم مرزبان باربعين الف من الفرنج فحمل هو في الفي فارس فقتل المرزبان وهزم الجيوش والفرسان وانزل بهم الخذلان وهذا اعظم دليل وبرهان وان كان من اجل عصيانهِ فعليَّ ان ادبر لك بلادك ولا ترجع الا بغاية مرادك فقال كسرى وقد تلألأ وجههُ فرحًا بكلام الموبذان دبر لنا هذا الامر برايك الحسن فعندها تجهز الوزير والبهلوان والموبذان في خمسة الاف فارس بالزينة الفاخرة والنعمة الباهرة والمراكب الذهبية والجنائب مع هدية سنية لم يسمع السامعون بمثلها ولم يصف الواصفون على شكلها وكذلك الخلع الفاخرة والتشاريف وكل ذلك لعنترة ولقيس ولسائر فرسان العرب الذين هم اعوان عنترة ثم قاد لعنترة مائة فارس من الخيل القرطاسية لاتقدر ان تشيل رؤوسها ما عليها من الحلي والحلل وعشر كوسات واربعة ابواق ذهب وسار القوم في زينة عظيمة وقد انقلبت البلد لذلك وانشقت مرارة حصن بن حذيفة وقال لسنان ياعمُّ كيف ترى هذا النجم القوي وهذه السعادة الزائدة والجد العالي وانا والله اخشى ان يسلمني اليهِ كسرى برقبتي فقال سنان حاشا وكلا ان يكون ذلك ابدًا وان كان قد قضى الله علينا بالشر والبلاء فلا يقدر ان يرده احد من الملا فطب نفسًا وقرَّ عينًا

قال الراوي هذا وقد سار الموبذان ومعهُ الوزراء ولم يزالوا يجدون المسير وسرعة الجد والرحيل الى ان عبروا الفرات فسبقت البشائر الى عنترة بقدوم المذكورين فتاهب للقاهم وركب في الوقت والساعة وركبت معهُ ملوك العرب وركب ايضًا الملك قيس بن زهير وعامر بن الطفيل والاخوص بن جعفر وركب ذو الخمار الحميري والملك وهب بن موهوب وركب غشم بن مالك وعروة وميسرة وسبيع اليمن والهطال ونازح وركب سابق ولاحق ولدا عبلة وساروا الى ان التقوهم في الميدان فترحبوا بهم وترجلوا كلهم ونزلوا في ذلك المكان واقبلت على عنترة الوزراء والامراء وضموه الى الاحضان وقبلوا وجههُ وبين عينيهِ واندفقوا على قدميهِ فقبل عنترة منهم اليدين وزالت عنهم الشدة والشين وقال الموبذان لعنترة اعلم ان كسرى يسلم عليك وقد ارسلني اليك ومعي هدية فاخرة وما هي على قدرك ولا يصلح لك الا اضعافها على انهُ عاتب عليك وقال ما كان ظنهُ فيك يافارس الزمان ان تقتل رجالهُ وتخرب دياره واطلالهُ فقال عنترة ايها الوزير لاتعتب عليَّ وانما العتب على الملك الاسود الذي اجار قاتل ولدي وانفذ اليَّ الجيوش والعساكر

وسائر العشائر فابدتهم وهزمتهم وما كفاه ما فعل معي من المكايدة حتى قتل مولاني المتجردة اخت الملك قيس بحماقته الزايدة فقال الموبذان دعونا من هذا الذي قد مضى وكان فنحن ما اتينا للمعاتبة ولا لاجل هذا الشان وانما الملك كسرى يريد ان يستنجد بك على عدوه الذي خرج على بلاده واهلك جل عساكره واجناده ولولم يعلم انك سيفه القاطع ودرعه المانع لما كان دعاك لنصرته ولا استعان بك على دفع بليته. ثم انه اخرج له الخلع وشرفه بالتشاريف وقاد بين يديه الجنائب بمراكب الذهب ورفع على راسه الاعلام والبازات ودقت الكوسات ونعرت البوقات وخلع كذلك على الملك قيس بن زهير وعلى اخوته وعلى عروة بن الورد وعلى ميسرة وعلى مازن والاخوص بن جعفر وذي الخمار والملك وهب بن موهوب وعلى سائر ملوك العرب من بعد منهم ومن اقترب وعلى بني عبس وكلاب وبني غني وبني حمير وحماة الفرسان وقد اصطلح الامر والشان ولما نظر الربيع بن زياد الى ذلك انشقت مرارته وجرت دمعته وزادت حسرته ونتف لحيته وجميع المصائب اصابته ثم انه قال لاخوته كلما قلنا ان هذا العبد السوء انقضت مدته وزالت دولته وضعفت شجاعته وقوته ازدادت سعادته وقويت نصرته لان سائر الملوك ذلت لهيبته وخافت من سطوته وهذا العبد الزنيم سعده راجح ما توجه في امر الا وعاد ناجح

قال الراوي واقاموا ثلثة ايام وبعد ذلك تجهز عنترة للمسير الى المدائن مع الموبذان وقد سارت معه ملوك العربان وقبايلهم بنو حمير وبنو عبس وبنو عامر وخلفوا الاموال في الحيرة وقد تخلف عندهم ورقا وعلقمة بن علاقة في الف فارس انجاب خمسمائة من بني عبس وخمسمائة من بني كلاب وسار الناس بالعدة الكاملة والعساكر المتواصلة الى ان وصلوا الى حصون بني نفيلة وسبقت البشائر الى المدائن. ولما قربوا منها جلس لهم الملك كسرى على سرير مملكته وعليه بدلة اللؤلؤ وعلى راسه التاج المعلق في قبة الايوان بسلسلة من ذهب طولها مائة ذراع وقامت ارباب الدولة عن يمينه وشماله على قوائم سيوفهم منتظرين امره ونهيه ولم يبق في البلد الا من خرج لاستقبال عنترة بن شداد ودخلوا على الملك كسرى وراحت له البشائر ودقت الكوسات ونعرت البوقات وخفقت الرايات ونشرت السناجق ودخل عنترة والعرب في زي ما شاهدت الناس مثله ووصل الى باب الايوان وترجل عن جواده وقبل الارض ثم تقدم وقبل طرف البساط وكسرى يتبسم من فعاله وحسن طاعته ومروته بعد تلك المشاقة فقال في نفسه وحق النار والنور لم يوجد في الدنيا اكبر مروة من هذا البدوي ولا اكرم نفس ولا اشجع ولا ادرى ولا ادرع ولا اثبت جنان

في حومة الميدان

قال الراوي ثم تقدمت العرب على قدر مقاماتهم وقبلوا الارض افواجاً افواجاً ثم تقدم عنترة عند الملك ومد يده الى يده فاخذها وقبلها . فامره بالجلوس الى جانبه وجلس الناس على قدر مقاماتهم وطبقاتهم فاقبل الملك كسرى على عنترة وقال له يا ابا الفوارس ان اعادة العتب ما يجدد الاحقاد في القلوب وانا اعلم ان الملك الاسود هو الجاني عليك وانت قد عرفت بالسخاء والسماحة والعطاء والعفو عن الاساَة فاريد منك ان تهب لي جريمتة وذنبة وتعفو عن زلتهِ وتصفح عن كبيرتهِ وعن حصن بن حذيفة قاتل ولدك وقد بلغني انك قتلت على قبره الفاً واربعائة فارس من ابطالهم وساداتهم فان كنت بعد هذا كلهِ لم تشفِ قلبك منهم فانا وحق النار والنور اسلمهم اليك واعطيك كل بني فزارة كبيرهم وصغيرهم بالقيود مصفدين وآمرك بضرب رقابهم اجمعين وان سمحت نفسك الكريمة بالعفو عنهم لانهم داسوا بساطي فهو الاليق بكرمك وحسن شيمك وهم على كل حال بنو عمك ودمهم مخلوط بدمك

قال الراوي فتبسم عنترة وقبل الارض قدامهُ وقال لهُ ياملك الزمان اما الاسود فلا مطالبة بيني وبينهُ ولكن مطالبتهُ مع ابن عمي ومولاي الملك قيس بن زهير من اجل قتل اخيهِ المتجردة واما حصن بن حذيفة وبنو فزارة فاولئك ما يتعلق بي امرهم واشهد عليَّ اني قد وهبت كل ما بيني وبينهم بين يديك ثم قام الى حصن واعتنقهُ فاكب حصن وقبل قدميهِ وشكره واثنى عليهِ فتعجبت العرب والعجم من حسن شيم عنترة وكبر مروَّته فعند ذلك وثب الملك قيس بن زهير وقال ياملك وانا ايضاً لاجلك قد وهبت للملك الاسود ما بيني وبينهُ من المطالبة ثم اقبل يسعى اليهِ فقام لهُ الملك الاسود وتعانقا وتصالحا وقدم بعد ذلك الطعام الفاخر من سائر الالوان فاكل الناس الى ان اكتفوا ثم رفع السماط فقال الموبذان ان هذه النوبة قد انفصل امرها وبقي علينا امر ذلك الخارجي الذي عصى على الملك كسرى وملك بلاد خراسان كلها وكسر لنا اربعة جيوش فضاق صدر الملك منهُ ولم يجد من يكفيهِ همهُ ويرد شره غيرك يا ابا الفوارس فما تقول . فقال عنترة انا اسير اليهِ والقاه واقوده لكم اسيراً هو واصحابهُ ورفقاه ولو ان معهُ عساكر بعدد قطرات المطر وورق الشجر او اتيكم براسهِ واخمد جميع انفاسهِ

قال الراوي فلما سمع كسرى ذلك الكلام طار عقلهُ من الفرح واتسع صدره وانشرح وجرد معهُ عشرين الف فارس من الفرس والعجم وجماعة من الديلم وسار ايضاً الملك

الاسود معهُ في عشر بن الف فارس من فرسان العرب وجعل كسرى جميع الملوك والسادات والقادات تحت امرتهِ واصبح امره نافذاً فيهم وجعلهُ صاحب سيفهِ والولاية للملك الاسود فعقدت على راس عنترة الازدهارات ونشرت البنود والرايات والاعلام السلطانية والالوية الفارسية والسناجق الكسروية وانقادت بين يديهِ المواكب والكتائب فاضحى في زي الملوك الكبار اصحاب الاقاليم والامصار وسار يطلب خراسان للقاء شروين بن جروين باولئك الفرسان

قال الراوي وكان سبب عصيان ذلك الخارجي هو انهُ كان للملك كسرى اربعة الاف غلام كل منهم على فرقة من العساكر وفي مقدمتهم غلامان يقال للواحد شروين بن جروين وكان من اولاد الجبابرة طولهُ تسع اذرع بالهاشمي وكان من الشجاعة بمكان عظيم قد اذل الرقاب وهون الامور الصعاب والاخر يقال لهُ اسفنديار وكان شجاعاً وقرماً مناعاً فولى شروين على خوارزم واعمالها وولى اسفنديار على الري واعمالها وكان كلاهما يحملان المال في كل سنة الى الملك كسرى فلما طال ذلك على شروين استكبر وعصى وكثرت جيوشهُ وعساكره واطاعتهُ بلاد خراسان حتى صار يركب في مائتي الف فارس وكان كلما حمل الى الملك كسرى المال ونظر كثرتهُ بين يديهِ استعظمهُ واستكثره فقال في نفسهِ ما الذي رفع كسرى عليَّ حتى احمل لهُ هذا المال في كل سنة ولاي شيء اذل لهُ نفسي فوحق النار والنور لاقلعن شافتهُ واجلس موضعهُ وقد حدثتهُ نفسهُ بهذا لكنهُ قال لا ينبغي ان احرك ساكناً حتى اقتل اسفنديار بن مهران صاحب الري واعمالها فاذا قتلتهُ ودمرتهُ لم يبق بين يدي من اخافهُ واضع بعد ذلك يدي على البلاد وافعل ما اريد بكسرى واخرج الملك من يدهِ ولم ازل حتى اهلكهُ واملك الايوان موضعهُ قال وكان لشروين بنت يقال لها شهرمان وكانت احسن اهل زمانها ووحيدة عصرها واوانها لا الطول يهينها ولا القصر يشينها اعلاها قضيب وادناها كثيب يحار فيها البعيد والقريب طيبة النشر من دون طيب كانها درة غواص وظبية قناص فشاع ذكرها وتوصف الوصاف بحسنها فخطبتها الخطاب وكثر عليها الطلاب وهو لا يجيب بزواجها فبلغ خبرها اسفنديار فتعلق بها وقام من مجلسهِ وهو قلق مستهام واشتغل فكره في حسنها فاستدعى وزيره وقال لهُ اعلم اني مستهام في حب شهرمان وقد عولت ان اخطبها فما الراي في هذا الشان فقال لهُ الوزير نعم ما عولت عليهِ فانفذ الى ابيها واخطبها منهُ فان اجاب فقد نلت الوطر واجتمع الشمل وبلغت الظفر فقال لهُ ايها الوزير حيث قد اشرت بذلك فكن انت السفير بيني وبينهُ وانت الخاطب لابنتهِ فقال السمع والطاعة ثم تجهز الوزير من وقتهِ والساعة وسار بالهدايا المرضية والتحف السنية وخرج بالزينة

الكاملة والهمة الشاملة بالعبيد والغلمان والحشم والبغال تحمل الاثقال والخيل بمراكب الذهب الاحمر المرصعة بالياقوت والجوهر وسار يدق الارض والصحرا حتى وصل الى خوارزم فانفذ الى شروين يخبره بقدومه عليه فاخرج شروين وزيره وارباب دولته لاستقباله فدخل في زينة حسنة وموكب حافل وفرح به المرزبان وقربهُ اليه وسالهُ عن قصده وسبب قدومه عليه فقال لهُ ايها السيد الابي والبطل الكمي انني جئت اليك خاطبًا ولابنتك طالبًا لاستاذي الملك اسفنديار لانهُ راغب في مصاهرتك لتصير المملكة واحدة فلا تخيب قصد قاصديك ولا رجاء راجيك ومن احسن الظن فيك فلما سمع المرزبان ذلك دخل عليه من الفرح ما ابهره وادهشهُ وحيره ووجد بذلك سبيلاً الى قتله بسبب اتصاله بابنته فانعم لهُ بالزواج وقال لهُ هو اجل من خطب واكبر من به اتشرف وارغب وابنتي لهُ امة وانا عبد من جملة الخدمة فاهلاً وسهلاً به من خاطب ومرحبًا به من راغب وهو اعز الاصدقاء والحبائب فلما سمع الوزير هذا الكلام فرح بقضاء الحاجة على يديه وقدم لهُ الهدايا الحسنة والخلع والجنائب وزينت البلد وضربت الطبول والكوسات ونعرت البوقات وشاع الخبر في البلد وفرح الوزير بما راى فقال لهُ شروين ايها الوزير عد الى الملك واخبره بما جرى ومره بالمسير الينا والقدوم علينا لاجل الزفاف وحسن الائتلاف حتى اذا دخل بزوجته وخلا كل واحد بصاحبه وتمت افراحنا به ياخذ زوجتهُ ويرجع الى مملكته ونكون قد تشرفنا برؤيته ففرح الوزير بذلك فرحًا شديدًا ما عليه من مزيد وركب من وقته فخلع عليه شروين خلعة بهية فاخرة سنية فسار وهو فرحان يطلب صاحبهُ ليعلمهُ بما جرى قال فلما سار الوزير استدعى شروين وزيره وقال لهُ ايها الوزير قد وجدت الان سبيلاً الى ما كنت ارجوه واوملهُ فان اسفنديار قد خطب مني ابنتي فانا معول على قتله حتى املك البلاد كلها ولا يبقى عليّ بعده الا الملك كسرى فاذا فرغت منهُ دبرت على هلاك كسرى فحينئذ تصفو لي الدولة واظفر بالمملكة فقال الوزير افعل ما بدا لك وفق الله اعمالك فاستدعى اكابر دولته ووجوه مملكته وقال لهم يا بني عمي لقد بلغكم ان اسفنديار قد خطب مني ابنتي وانا اعلم انهُ ما طلب صلتي الا وقصد خديعتي لانهُ عول على قتلي واخذ موضعي وبلغني ذلك ممن اثق به واركن اليه وسبب ذلك انهُ قد حدثتهُ نفسهُ ان يعصى على كسرى وعلم انهُ لا يتم لهُ امر وانا خلفهُ فدبر هذا التدبير بالزواج حيلة منهُ عليّ حتى يملك البلاد ولا يبقى لهُ مساوٍ ولا مضاد وبعد ذلك يعطف على كسرى ويكاشف سائر اضداده ويملك جميع بلاده ويحوي على عساكره واجناده وقد عولت ان اتغدى به قبل ان يتعشى بي وابيد شافتهُ

واقلع غابرتهُ فما تقولون بهذا الراي فقالوا ايها الملك مرنا بما تريد فاننا عن امرك لانحيد وبار واحنا نفديك وبانفسنا نقيك قال فاذا كان الامر كذلك فقد انفذت اليهِ لياتي عندنا للزفاف فاذا قدم علينا ووصل الينا فاطبقوا عليهِ وقطعوهُ قطعاً وابضعوهُ بضعاً فاذا قتلناه ملكنا مملكتهُ وقلعنا شافتهُ فكونوا من ذلك على حذر وابذلوا السيف بمن معهُ من العسكر الا من استامن منهم فاجيبوهُ واجهدوا جهدكم على اسفنديار ان تقتلوهُ وتهلكوهُ وانا املككم بلاده وابيح لكم حريمهُ واولاده فقالوا لهُ سمعاً وطاعة فقال لهم اعلموا بعضكم البعض بهذه الاشاعة

قال الراوي هذا ما كان من هولاء واما ما كان من وزير اسفنديار فانهُ لم يزل سائراً وهو كثير الفرح والاستبشار يقطع الهضاب والقفار فلما قرب من الديار ارسل يبشر اسفنديار بقدومهِ فطلع الى لقائهِ بالرجال واكرمهُ وحياه وسالهُ عن الحال فاعلمهُ بما جرى لهُ مع شروين وما لقي عنده من الاكرام وانهُ قد اجاب الى الزواج من غير مطال واعاد عليه جميع الاحوال وما سمعهُ من المقال

قال الراوي فاخذ اسفنديار الفرح واتسع صدره وانشرح وتجهز من يومهِ في خواصهِ وكبار قومهِ وسار من بلاد الري طالباً خوارزم واصفهان وطفق يجد في قطع البراري والقيعان الى ان قرب من بلاد شروين فارسل يعلمهُ بقدومهِ عليهِ ففرح واحضر اصحابهُ وارباب دولتهِ واكابر عشيرتهِ واهل مملكتهِ وركب الى لقائهِ وامرهم ان يبادروهُ اجمعهم ويهلكوهُ كما اوصاهم فاجابوهُ الى ما طلب ولما التقوا ووصل اسفنديار بقلب صافٍ ليس عنده علم بما سيجرى عليهِ واراد معانقة شروين والسلام عليهِ جعل ينظر بعينيهِ في العسكر ليراهُ في اية ناحية منهُ حتى يميل اليهِ ويسلم عليهِ فلم ينتبه الا وضربة وقعت على عاتقهِ اطاحت راسهُ عن علائقهِ فمال عن الجواد يخور في دمهِ ويضطرب في عندمهِ وانطبقوا على اصحابهِ فقتلوا منهم مقتلة عظيمة فمن استامن منهم نجا ومن قاتل قتل حتى هلك منهم نحو الفي رجل والباقون طلبوا الامان فامنهم المرزبان شروين ونادى من وقته وساعتهِ بالرحيل الى خراسان واصفهان وهو في مائتي الف عنان بالدروع الداودية والبيض العادية والحراب الدمشقية على الخيول العربية حتى نزل على اصفهان واحدق بها من كل مكان وحاصر اهلها فسمعوا بقتل اسفنديار فاستامنوا اليهِ وسلموهُ البلد بامان فاحتوى على اموالهِ وحريمهِ وخزائنهِ وكذلك فعل بالري وهمذان ولم يبق قدامهُ من يخالف امره ولا من يخشاه ويحذره فطغى وبغى وتجبر وحدثتهُ نفسهُ بان يعصى على كسرى ويأخذ الملك منهُ فقطع حمل الخراج في تلك السنة ووصل الخبر الى الوزير البهلوان بجميع ما فعلهُ فشق ذلك عليهِ ولم

يعلم الملك كسرى بـه لان الوزير كان يحمل اكثر الاثقال فجرد اليه عسكراً فكسره
وجرد اليه اخر فهزمه وثالثاً ورابعاً فكسرهم فقامت عليه القيامة وضاقت عليه الارض بما رحبت
وقد اراد ان يعلم كسرى بما جرى فوجد الاسود بن المنذر وقد اتى منهزماً من عنترة والعربية
كلها قد اختلفت ونظر الوزير الى هذه الاسباب المتواترة وعلم ان كسرى قد نال قلبه منال
عظيم وهمّ جسيم

قال الراوي فعند ذلك باح له بما عنده وقال له ايها الملك ان عندنا اعظم من
هذا ثم شرح له جميع ما جرى وذكرنا فتزعزع كسرى من على سرير مملكته وهمت الدمعة
من عينيه وقد كثر الكلام في مجلسه وتكلم الموبذان بما عنده من تدبيره ومحبته لعنترة واشار
عليه بما قدمنا وسار الى عنترة كما ذكرنا

الكتاب الخامس والثلاثون بعد المئة

من سيرة عنترة بن شداد العبسي

واتى معه كما وصفنا ودخل على كسرى فشكا كسرى له امر الخارجي بعدما اصلح بينه وبين
حصن بن حذيفة واصلح بين الملك قيس بن زهير وبين الملك الاسود وتكفل عنترة بقتل
ذلك الخارجي او اسره ثم سيره اليه بالعساكر كما تقدم وامره على اربعين الفاً من عرب وعجم
وقد سير الوزير البهلوان معه يسدد امره ويشير عليه برايه وحسن تدبيره وعنترة صاحب
السيف وبعد ذلك سار معه الملك الاسود والملك قيس والملك وهب بن موهوب والاخوص
بن جعفر وسائر الملوك والفرسان والعرب والعجم في ركابه وتحت طاعته هذا والربيع بن
زياد قد كبرت دبلته وزادت بليته وعظمت فلما زاد به الحسد واستولى عليه النكد والكمد
قال لاخيه عمارة ويلك يا قرنان والله لا اظن ان على وجه الارض اشد سعادة من هذا
العبد ويلك يا عمارة ماذا تقول في رجل قد سارت ملوك العرب والعجم تحت ركابه هذا وعنترة
سائر وهو افرح الخلق بهذا الشان العظيم وقد خاف منه كل جبار رجيم ثم انه قال للوزير
البهلوان ايها السيد من الراي ان تكون انت مع العساكر وكلها تسير لسيرك وتنزل لنزولك
وانا اسير في المقدمة في الف من العرب والف من العجم ويكون من جملتهم ابن عمي الملك
قيس بن زهير وولدي ميسرة وعروة بن الورد واخي مازن وابن اختي المطال وابن اخي
سبيع اليمن وانا اخشى ان ندهى بداهية من الدواهي ونحن لا نعلم ولا نكون على اهبة من
مسيرنا فقال له الوزير وقد قبله بين عينيه واستحسن مشورته وحسن يقظته وقال له افعل

ما تريد نجح الله اعمالك فافترق عنترة في اربعة الاف فارس من عرب وعجم غائصين في الحديد والحلق لا يبان منهم غير حماليق الحدق او تداوير الاحق وعنترة بين ايديهم غائص في لامته وقد اخرج يده من جلباب درعه وقيس بن زهير الى جانبه على جواده داحس هذا وقد جاشت في خاطر عنترة الاشعار فانشد

اتى الطيف بالبشرى فقلت له اسلم | لك الخير ما اوليتنا من تكرم
وقفنا كانا لم نذق وقفة النوى | بعثت حبابًا كالحباب المنظم
سقيت الحيا يا دار عبلة باللوى | وحييت يا عصر الشبيبة فانعم
ونقع دجى ليل صحبت ظلامه | بماضي الشفا صافي الحديدة مخذم
وقرن بحد السيف مرّ مذاقه | صبور اذا حق اللقا خير مقدم
له عزمة لا تنثني عن ملمة | اذا ما انثنى عزم الكمي المضمم
جعلت لها قلبي مجيبًا فاظهرت | اليّ اشتياقًا للجمال المعظم
وعدت مع الخطي تحت وريده | عيونٌ تباكي لوعة البين بالدم
الا بلغا شروين عني وقل له | اذا اشتعلت نار الوغى بالتضرم
وشاب لوقع السيف راس وليدها | فاني منها موضع الريق في الفم
لك الويل من يوم بمشتجر القنا | يجرد فيها كل ابيض مخذم
لنصر انوشروان امضي مصممًا | واضرم نار الحرب مع كل ضيغم
انا عنتر العبسي من سادة غدوا | سماةً باطراف الوشيج المقوم

قال هذا ما كان من هولاء واما ما كان من شروين بن جروبن فانه وصلت له الاخبار بوصول الجيش من العراق في اربعين الف فارس من العرب والعجم وفي مقدمتهم فارس الاقطار والاسد الهدار والليث المغوار عنترة بن شداد البطل الكرار فلما سمع المرزبان ذلك تحير في امره واضطرب اضطرابًا شديدًا وجمع ارباب دولته وجميع مرازبته وقال لهم ما تقولون في هذا الجيش العرمرم الذي اتى الينا في اربعين الف فارس يقدمهم عنترة بن شداد حامية العرب كلهم ومبيد الابطال ومذلهم فقال له وزيره انت شاققت الملك كسرى وغصيته وتغلبت على ملكه وتريد ان تملك الايوان موضعه وكسرت له اربعة جيوش وما داخلك منه فزع فكيف تفزع من شلح من شلوح العرب ويستولي عليك الهلع وفينا كل فارس ممارس وليث عابس فاذا كنت خفت من مجيء عنترة في اربعين الف فارس فكيف حالك لو سار اليك كسرى بالعرب والعجم والترك والديلم

قال الراوي فلما سمع شروين مقالهم قال لهم ويلكم وحق النار انا عارف كل ما ذكرتموه ولكن هولاء معهم عنترة بن شداد الذي علا ذكره في الخافقين وساد فهو يلقى اهل الارض في طولها والعرض ولولا علم الملك كسرى بانه فارس عظيم وبطل جسيم لما جعله مقدماً على عساكره ولكنني ادبر حيلة على اخذه وكل من معه في كرة واحدة واكسر هذه الجيوش الزائدة وادعهم يقتلون بعضهم البعض واشتتهم في جنبات الارض ثم نادى بعسكره باخذ اهبة القتال والاستعداد للطعن والنزال فتجمعت الكتائب بالبيض المشطبة والخيول المخضبة والدرق المكوكبة والسيوف المذهبة والقسي والكنائن والدروع والجواشن والدبابيس واللتوت والعمد والنبوت وشروين قدامهم على جواد قرطاسي من خيول الفرس صلب القوائم سليم الدعائم وعليه درع مدفونة ضيقة الزرد وعلى راسه بيضة عادية قديمة مجلية ثم انه استدعى بقائد جيشه وكان يقال له سوار بن كلبهار وهو شيخ من شيوخ الفرس القدماء قد حنكته التجارب وادبته النوائب ونقدم على الاقران وحكم على الفرسان فلما مثل قدامه قال له تكون على ما انت عليه وتسير في ساقة العسكر حتى اتقدم انا في مقدمة الفرسان وادبر الحيلة على مسك ذلك الشيطان الذي سار الينا وقدم علينا فقال سمعاً وطاعة فاوصاه بحفظ نفسه وامره باليقظة وترك الغفلة ثم استدعى مرزباناً اخر يقال له مهران وكان من جبابرة الفرسان لايبالي بالرجال ولا بكثرة الابطال فضم اليه سبعة الاف فارس من كل مدرع ولابس وقال له سر انت في المقدمة قدامي في هذه السبعة الالاف الفارس حتى تشرف بهم على مقدمة عسكر كسرى فقد قيل لي ان فيها عنترة بن شداد في الفي فارس من العرب والعجم فاذا اشرفتم عليهم ووقعت العين على العين نادوا كسرى يامنصور واستامنوا من القوم فاذا امنوكم وصرتم معهم واظلم عليكم الليل ورايتموهم قد ناموا وتقلبوا في نومهم فثوروا عليهم وحولوا بينهم وبين سلاحهم وخذوهم كلهم اسارى وشدوهم على خيولهم وايتوني بهم واحرصوا ان يفلت منكم عنتر وبعد ذلك نزحف على بقية العسكر اذ تكون قد انحلت عزائمهم وانكسرت شوكتهم باسر سادتهم فعند ذلك ندوسهم دوس الحصى وننزل بهم الذل والبلا فقال له المرزبان مهران لله درك هذه والله عزيمة الرجال وهمم الابطال ثم تجرد المرزبان في سبعة الاف فارس من وجوه العسكر غائصين في الحديد مسربلين بالزرد النضيد وساروا مجدين هذا وعنترة سائر في مقدمة فرسانه وابطاله ولم يعلم ما قدّر عليه في الغيب ولا ما دبر المرزبان عليه والى جانبه الملك قيس بن زهير والى جانبه الثاني ميسرة ومازن وسبيع اليمن وعروة بن الورد والابطال وبقية العساكر سائرة خلف ظهورهم ولم يزالوا سائرين حتى اشرفت

عليهم غبرة القوم ثم انقشعت و بان من تحتها بريق الصفاح ولمعان اسنة الرماح وحمحمة الجرد القداح وصلصلة الحديد و برق الزرد النضيد

قال الراوي فلما نظر ذلك عنتر فرح واستبشر واطلق عنانه فاطلقوا خلفه الاعنة وقوموا الاسنة وقاربوا القوم الى ان وقعت العين على العين فعند ذلك زعقت السبعة الالاف الفارس كسرى يامنصور واختلطوا باصحاب عنترة وتقدم المرزبان الى عنترة ورمى سلاحه بين يديه و بكى وقال يافارس الخيل لقد بغى هذا الوغد اللئيم وتعدى طوره وامتد الى الملك كسرى جوره وهو سيده الذي قدمه فوالله لو قدرت على قتله لقتلته ولكن ارجو ان تكون صرعته على يديك فتقر بذلك مقل عينيك

قال الراوي فلما سمع عنترة كلامهم فرح بهم وامرهم بالنزول والمقام فضربت لهم الخيام وهجم عليهم الليل فاخذوا راحتهم والخيل فسال عنترة المرزبان عن عدد عساكر شروين والفرسان فقال والله ياابا الفوارس انهم ثلثمائة الف عنان وعدد كثير من الامم عرب وعجم انقاد له اكثرهم كرهًا ومن جملتهم انا لانه جبار لئيم غدار قد قتل بالحيلة اسفنديار على انه لا يطيق من حملاتك سوى حملة واحدة فتصبح انفاس جنده خامدة لان اكثرهم ما اتى الى خدمته الا خوفًا من سطوته واذيته ونحن كنا له طائعين اذ لسنا على مقاومته قادرين فلما راينا هذه الفرصة اتينا اليكم هاربين ومعكم له مقاتلين ففرح الملك قيس وعنترة بهذا الكلام وتفرقت الناس الى المضارب والخيام واخذ الراحة للمنام واقام المرزبان عند عنترة بن شداد ومعه من شجعان قومه خمسون فارسًا انجاد كان اخبرهم المرزبان بما جرى وتقرر فلما جن الليل واعتكر واستغرق في النوم عنتر من شدة التعب والسهر لم يشعر الا والمرزبان واصحابه الخمسون كانهم النيران المستعرة قد داروا به والسيوف في ايديهم مشتهرة فانطبقوا عليه واخذوه اسيرًا وشدوا كتافه وقادوه ذليلاً حقيرًا ودارت العجم ببني عبس واحلوا بهم التعس فسمع قيس ضجة العسكر فانذعر وخرج يسال عن الخبر والسيف في يده مشتهر فبينما هو واقف واذا بعشرين من العجم قد داروا حوله وضربوه فرموه وشدوا كتافه وفعلوا كذلك بميسرة ومازن وسبيع اليمن وعروة والهطال وما كان احد يخرج من خيامه الا و يكون الفرس قد داروا به من وراه وقدامه قال وما زالوا كذلك حتى قبضوا على الف وخمسمائة فارس تحت الظلام الدامس واما البقية فمن حين سمعوا الضجة ركبوا خيولهم وطلبوا النجاة وعرفوا ان الفرس قد غدروا بهم اما الفرس فعطفوا راجعين يقطعون الارض طولاً وعرض وهم من الفرح في ابعد غاية واقصى نهاية ثم انهم جدوا في المسير حتى قربوا من شروين المرزبان وسبقت

البشائر اليهِ ففرح بذلك وقرت مقل عينيهِ واشرف اصحابهُ بالاسارى ومعهم عنترة مشدود
على جواده الابجر واخوه مازن وسبيع اليمن وعروة بن الورد والملك قيس بن زهير فعند
ذلك تقدم مقدم العسكر الى بين يدي شروين وقال لهُ يامولاي هذا عنترة بن شداد وهذه
فرسانهُ وملك قبيلتهِ واعوانه فلما نظر المرزبان الى عنترة وصورتهِ استعظم هول جثتهِ وقال لهُ
ويلك ياأسود البدن وياخسيس الاصل واللبن ما الذي حملك على المسير الى قتالي
والتعرض لحربي ونزالي اما علمت اني كسرت اربعة جيوش من عساكر كسرى والاجناد
ودانت لي رقاب العباد اليس عند كسرى افرس منك يا ابن الاوغاد فوحق النار وما
فيها من الشرار لاقتلك شر قتلة ولامثلنَّ بك اقبح مثلة حتى لايعود عبد مثلك صعلوك
يتجرأ على حرب الملوك . فلما سمع عنترة كلامهُ زاد غيظهُ ومرامهُ وصرخ بهِ اسكت قطع الله
لسانك واضعف عزمك وجنانك المثلي يا كلب المجوس تقول هذا المقال وانا منكس عمائم
الابطال ولاي شيء لم تصبر علي ياجبان حتى تلتقيني في حلق البطان وتاخذني في
طابق الجولان فلو فعلت ذلك لرايت ما يحل بك من الخذلان ولكنك اخذتني عند
غفلتي وملكتني عند رقدتي كفعل اللئام الاوغاد فتبا لك يا اخس العباد يا باغي على من
انعم عليك و يامسيء لمن احسن اليك فلما سمع المرزبان كلام عنتر زادت بهِ الفكر واسودت
الدنيا في عينيهِ وهم ان يضرب رقبتهُ فتقدم الوزير اليهِ وقال لهُ ايها السيد لاتعجل فمن كان
مثل هذا الفارس لا ينبغي ان يقتل لانك قريبًا تلتقي ببني عمهِ من العرب ولاتدري كيف
يكون السبب فالراي انك تستبقيه حتى نفرغ مما نحن فيهِ فان كانت النصرة لك فلا يمنعك
عن قتلهِ مانع وان كانت الكسرة عليك فتكون قد زرعت الجميل مع هذا الفارس النبيل
وقبيلتهِ فتاكل من ثمرتهِ وما زال يلين قلبهُ حتى لان ورجع الى رايهِ ومشورته ثم انهُ دعا قائد
جيوشهِ سوار بن كلبهار الذي ذكرنا انهُ ربي دولة الاكاسرة الكبار منهم والصغار وكان
ذا راي صائب وعقل ثاقب وكان قد ربي الملك كسرى انوشروان على كتفهِ وكان لايحب
ان يعصي شروين على كسرى ويجري منهُ ما جرى ولكنهُ لم يقدر ان يرده ولا ان يعصي لهُ
امرًا خيفة ان يفعل بهِ ما فعل باسفنديار لانهُ ظالم غدار فلما دعاه حضر بين يديهِ فقال لهُ
شروين ياشيخ الدولة وكبيرها ومربي الملوك والاكابر ومشيرها خذ هذا الرجل ومن معهُ
من الاسارى وتولَّ حفظهم بنفسك لاني لا اركن لغيرك من ابناء جنسك فاذا كسرنا هذا
العسكر نسيرهم الى خوارزم ونلقيهم في المطامير ونحط في ارجلهم قيود المسامير وانا القى هذه
العساكر وابذل فيهم الحسام الباتر فان نصرت عليهم قلعت اثارهم واطفات اخبارهم وخربت

صيارهم وان نصروا علينا كان امرهم الى غيرنا فعند ذلك تسلم الشيخ سوار عنترة وعروة والملك قيس وميسرة وسبيع اليمن ومازن وباقي الاسارى واخذوا عددهم واسلابهم واخذوهم في الحبال وساروا بهم يقطعون الفلاة وكلهم قد يئس من الحياة ورحل بعدهم المرزبان في العساكر وهي كالبحار الزواخر وكانت تزيد على ثلثمائة الف بطل مغاوير طالبًا بهم حرب الملك كسرى وتملك البلاد بحيلته برًّا وبحرا هذا ما جرى من هولاء واما المنهزمون الذين نجوا حين اسر عنتر فانهم جدوا يقطعون البر الاقفر حتى اشرفوا على عساكر كسرى ونادوا بالويل والثبور وعظائم الامور فوقعت بقدومهم الزعقة وركب الوزير والملك الاسود وذو الخمار وغشم بن مالك والملك وهب وعامر بن الطفيل وسالوهم عن الخبر فاخبروهم باسر عنتر والملك قيس والرجال وهم نيام واعلموهم بالحيلة التي احتالها العجم عليهم بمكرهم وما صنعوا بغدرهم . قال فلما سمع الوزير هذا الخبر ارتعد وتحير وعظمت به الفكر لانه كان قد امل بعنترة النصر والظفر فاخطا امله وخاب وانغلقت في وجهه جميع الابواب وماج العسكر كالسفينة في البحر اذا اضطرب وعظم على الوزير هذا السبب فاستدعى الملك الاسود ملوك العرب وقال لهم ما هذا الفزع والخوف والجزع فانتم هنا اربعون الف فارس مغوار عشرون الفًا من العرب ومثلها من العجم اما تخشون على انفسكم العار والمذلة في سائر الاقطار فاذا فقد منكم الف فارس انحل عزائمكم وهممكم فاين صبر الفرسان الكرام الذين لا يخشون العار والملام اما تعلمون ان الدهر ادوار تارة لكم وتارة عليكم فان كانت النوبة لكم فقد سد ثم الى الابد ما قام قائم وقعد وان كانت عليكم فالفرار قدامكم وبين ايديكم فلا تجلبوا عليكم اسم الهرب من غير قتال فتعيرون بذلك بين الابطال فعند ذلك نخت العرب لنفوسها وبذلت للموت ارواحها ورؤوسها ثم ان الوزير استدعى المنهزمين وسالهم عن اسر عنتر فشرحوا له القصة والخبر فقال لهم يا قوم ان هذا الامر قد دلنا باطنه على ظاهره فاعلموا ان هذا الخارجي قد خاف من عنترة لان اخباره قد ملات الارض في الطول والعرض ولما سمع هذا المرزبان انه معنا خاف منه فعمل عليه الحيلة واسره بها وظن انه بعد عنتر يتشتت هذا العسكر فاحملوا يا بني العم عليهم ولا تهابوهم واجتهدوا في اخذ الاسارى حتى نفدي بهم عنتر وان ظفرنا بهذا الخارجي فهو الظفر الاكبر ثم انه نخى العسكر فركبت الرجال على الخيول واعتدت بالنصول واصطفت الجحافل وترتبت العساكر ونشرت الرايات الكسروية ودقت الكوسات السلطانية وخفقت الاعلام الفارسية وما ساروا الا يومًا او دون اليوم الا واشرفت عليهم الكتائب وقد ملات المشارق والمغارب وظهرت الجيوش والعساكر

وظهر شروين بشدة باسهِ والرايات مشتبكة على راسهِ وهو بحرض خواص مملكته ووقف على نشزٍ عالٍ مع حاشيتهِ ومنع الناس من الطعان والضراب حتى ضربت المضاربَ والاطناب فنظر الوزير الى شروين وهو تحت الاعلام والرايات فزادت بهِ البلبال لانهُ نظر الى مملوك من المماليك الخاسرة قد طمع في ملك الاكاسرة فقال للملك الاسود قد رايت من الراي ان اكتب الى هذا الباغي كتاب وارى ما يكون الجواب واقول لهُ ينبغي ان تعرف ان الملك كسرى قد رباك واحسن اليك ولدفع شدتهِ ارتجاك فخاب ظنهُ فيك واماله لانك قتلت عساكره ورجاله والان مضى ما مضى ونفذ حكم القضا فلا يفرحك اسرك لعنتر الاسد الغضنفر فمن الراي ان تطا بساط الملك وتزيل من قلبهِ العنا وانا ضامن لك عند كسرى بلوغ المنى ثم ترجع الى بلادك مكرماً معظم قبل ان يحل بك الندم

قال الراوي . ثم انهُ كتب جميع ما ذكر بكتاب وارسلهُ اليهِ مع بعض الحجاب فسار الحاجب حتى وصل الى شروين واعطاه الكتاب فلما قرأه امر بصفع الرسول واخذ جميع ما معهُ وقال لهُ هل انا طمعت في ملك الاكاسرة من غير معرفة مني بهم حتى يرسل الوزير يهددني فوحق النار لاسلخن جلده والعن اباه وجده ولا بد لي ان اكسر من معهُ من العسكر واشتتهم في البر الاقفر فعاد الرسول وهو على تلك الحال واخبر الوزير بما سمع من المقال فقامت عليهِ القيامة وكاد الغيظ ان يخنقهُ وامر الناس بالزحف على شروين فدقت الكوسات ونعرت البوقات ونشرت الرايات وتقدم الوزير البهلوان بنفسهِ والملك الاسود عن يمينهِ ووهب بن موهوب عن شمالهِ واقام ذو الخمار في القلب بالزرد والحديد المكتب وهو بين يديهم كانهُ الاسد الاغلب وفي الميسرة عامر بن الطفيل في عشرة الاف فارس من كل بطل مداعس وكلهم بالسيوف الصقال والرماح الطوال ثم زحف الملك الاسود والوزير البهلوان في بقية العساكر والفرسان . فلما نظر شروين ذلك رتب عساكره ميمنة وميسرة وزحفت الرجال وصهلت الخيل وتزاعقت الابطال وهزت الاعاجم اعمدة الحديد فازعجت الاقطار وزلزلت القفار وتراموا بالنبال وتصادمت الخيل في المجال وثار من حوافرها الغبار واظلمت الاقطار واسود النهار وجرت الدماء كالانهار وبربرت الاعاجم بلغتها وتضعضعت عساكر شروين لكثرتها وهمهمت الفرس باصواتها فادوت البراري لزعقاتها وثبتت امامها العرب وقاتل في ذلك اليوم ذو الخمار قتالاً يدهش النظار لانهُ بطل مغوار ليس عليهِ بالفروسية عيار وقد تقدم ذكر فروسيتهِ وانهُ معدود بسبعة الاف فارس اذا ثار الغبار ولله در عامر بن الطفيل فانهُ اجرى الدماء كالسيل وغشم بن مالك فانهُ كردس الابطال

في المعارك وكثر الهلع وزاد الفزع واوقع عامر في عساكر شروين العبر حنقاً على اسرهم بالحيلة عنتر ودحرج الرؤوس كالاكر واما ذو الخمار فانه ركب مركب الخطر واجرى الدماء كالمطر وندم على الثبات قدامه من جضر ونفذ فيهم حكم القضاء والقدر فيالها من ساعة كثر فيها الضرب المنكر قال ولم يزل القتال يعمل والدم يبذل والرجال تقتل الى ان اقبل الليل وجرت الدماء مثل السيل ودارت الجيوش بعساكر كسرى ورات العرب ما حل بها من البلاء فعلمت انها واردة مورد الفنا وانفصلت الطوائف عن بعضها البعض وقد امتلات من القتلى جنبات الارض ونزلت عساكر شروين آمنة فرحانة لانها كانت منتصرة وباتت عساكر كسرى تحرس انفسها وقد ظهر منها التقصير وندم الملك الاسود على اقامته حتى اشرفت العساكر وعلم انه لامحالة هالك هو ورجاله وفرسانه وابطاله ولم يزالوا يحرسون ارواحهم الى الصباح فلما اضاء الفجر ولاح تقدمت الكتائب وجالت المواكب وظهرت عساكر شروين من كل جانب وسدوا عليهم الطرقات والمذاهب وطمع المرزبان شروين فيهم وبكى الوزير على نفسه وعليهم وحملوا على بعضهم البعض وكثرت بعساكر كسرى الجراح ومزقتهم الاعداء بعوامل الرماح وثبت ذو الخمار وبنو عبس وبنو حمير وبنو عامر وغشم بن مالك في بني كلاب وغني والاسود في بني شيبان ولخم وجذام ولم يروا على ارواحهم ان يهربوا بل قاتلوا قتالاً شديداً ما عليه من مزيد ولكن كثر عليهم العدد وزاد المدد فايقن العرب بالهلاك والعطب واكثرهم عول على الهرب فبينما هم في اسوإ حال واذا بصيحات وزعقات وضجات من وراء عساكر شروين فانفصلت الناس عن ضرب البتار ووقفوا ليعرفوا الاخبار واذا بعنترة الفرسان ينادي يالعبس يالعدنان ومعه اصحابه ورجاله وهم ينادون كسرى يامنصور وشروين يامقهور

قال الراوي فلما سمعت عساكر كسرى انوشروان ذلك النداء عاشت ارواحها وايقنت بصلاحها وكثرت افراحها واجابوهم على ندائهم وصرخوا في وجوه اعدائهم فرات عساكر شروين ان البلا قد اتاهم من بين ايديهم ومن وراء ظهورهم وحاروا في خلاصهم وكيف رجع عنتر ومن معه الى العسكر قال وكان السبب في ذلك هو الشيخ سوار بن كلبهار لانه لما اوصاه شروين على عنتر وساريه وباصحابه ومن حضر وهم في ذل الوثاق وضيق الخناق نظر الشيخ سوار اليه فراى دموعه جارية على خديه فقال له ياسود انت فارس العرب المذكور وبطلها المشهور وحامي الحريم الغيور وكل العرب تقر لك بالشجاعة والقوة والبراعة وانت تبكي في هذه الساعة فقال عنترة والله ايها السيد لاابكي خوفاً من الموت ولا

من حلول الفوت وانما بكاي ان الملك كسرى ندبني في هذه المرة وقدمني على سائر العساكر والملوك والامراء واعطاني الحكم عليها فما كشفت عنه غمة ولا جلوت ظلمة وخاب املي وأملة في هذا الطريق وعدمنا كلنا السعادة والتوفيق ووقعت في هذا الاسر والضيق فلما سمع سوار ذلك الكلام بكى وقال وحق الرب الاعلى ما انت باشفق مني على كسرى لانني انا ربيته على كتفي وحملته وعشت في نعمتهِ ولما ولى هذا الغدار على خوارزم جعلني صاحب جيشه وامرني بالمسير معهُ فلما تمكن في الدولة عصي واعجب بنفسهِ وغره الطمع في الملك واساء لمن احسن اليهِ وانا والله متفكر في سوء افعالهِ وما قد عزم عليه فهل لك ان تلقاه اذا اطلقتك من وثاقك ومن معك من رفاقك ورددت عليكم خيلكم وسلاحكم وسرت معكم في هذه الخمسمائة الفارس فيصير معك الفا فارس نطلب بها اعقاب العساكر ونتفرق عليهم وندهمهم بالليل العاكر ونزعق فيهم كلنا كسرى يامنصور وعدوك مقهور ثم نضع السيف فيهم ونحمل عساكركم من بين ايديهم فلعلك تكسرهم وتلتقيهم وتدمرهم وتقع بذلك الخارجي شروين فتلقيهِ قتيلاً او تاخذه اسيرًا فيهون هذا الامر العسير

قال الراوي فلما سمع عنترة هذا الكلام تخيل انهُ في منام فقال لهُ ايها السيد فرج عني ورد علي جوادي والة حربي وجلادي وانظر بعينيك ماذا اصنع بهم ولو كانوا بعدد المطر او ورق الشجر لقيتهم بحد هذا الضامي الابتر وصدر حصاني الابجر ثم اخذ ذلك اللئيم المرزبان وانزل بهِ الذل والهوان واشفي منهُ قلب الملك انوشروان فضحك سوار من كلام عنتر وسعة صدره وعلم انهُ يقدر على ما قال واكثر ففي الحال اطلقهُ من الكتاف هو وجميع من معهُ بلا خلاف ورد عليهم خيلهم وسلاحهم وعدد كفاحهم واضاف اليهم الخمسمائة الفارس الذين معهُ وعطفوا راجعين حتى اشرفوا على العساكر كما ذكرنا وراوهم في غاية الضيق والتعب واكثرهم عول على الهرب فصاحوا عليهم كسرى يامنصور وشروين يامقهور وعنترة في اوائلهم يقول آه ياانذال الاعاجم اتاكم فلاق الجماجم ليس الشجاعة ان تاسروني بالمكر والخداع بل انكم تلتقوني في مقام القراع ثم جعل يخترق الصفوف و ينكس الرجال ويصدم الابطال فيكردسها و يزعق في وجوه الخيل فيذهلها وخيلهُ من ورائهِ تحمي ظهره من اعدائه اما الوزير البهلوان والملك الاسود وذو الخمار فعاشت ارواحهم وايقنوا بصلاحهم ونادوا بالفرس والعجم والعرب قاتلوا وابشروا بالفرح والسرور فقد نصرتكم النار والنور فعندها انطبقت العساكر على بعضها البعض وارتجت من تحتهم الارض وانسع المجال على ذي الخمار فبذل فيهم صارمهُ البتار ونظر المرزبان شروين عنتر عائدًا من وراء العسكر وسوار الى جانبهِ فعلم انهُ هو الذي

انطلقة فخرج من تحت الاعلام وعطف على عنترة عطفة الاسد الضرغام وفي يده عمود حديد وزنة تسعون مثقالاً وقد ذكرنا طول شروين وخلقته وانه من الجبابرة ولما قارب عنترة هز ذلك العمود وضربه فمال عنه عنترة فوقع الى الارض فغاص الى نصفه من شدة الضربة فوثب عنترة الى المرزبان وضايقة ولاصقة وقلب سنان الرمح الى وراه وطعنة بعقبه ارداه فوقع على وجه الارض فهم عنترة ان ينزل اليه واذا بولده ميسرة قد ترجل اليه وشده كتاف واخذه اسيرًا وقاده ذليلاً حقيرًا ولم تكن الا ساعة حتى تنكست الاعلام وطلبت عساكر شروين الانهزام فعاد القوم الى نهب الاموال والوزير والاسود يشكران عنترة الريبال وجمعت الغنائم وقيدوا المرزبان بقيد ثقيل وعادوا يطلبون العراق فسار المبشرون الى كسرى فامر بتزيين البلد من الجانبين فزينت ودقت الكوسات وضربت الطبول والزمور والبوقات ونشرت الرايات وخفقت الاعلام ونظر المرزبان نفسة اسير فجرت دمعتة على خديه مثل المطر الكثير فقال لة عنترة لا نبك ياهذا فانا اعطيك يدي بالامان واطلب لك العفو من الملك كسرى انوشروان واجعلة يردك الى بلادك ويكرمك ولا ادع احدًا يوذيك او يكلمك

قال الراوي ولم يزالوا سائرين حتى وصلوا الى المدائن وكان لدخولهم يوم مشهود وجلس كسرى على سرير مملكته وحولة ارباب دولته ودخل عنترة والوزير وعنترة يقود برقبة شروين الى ان احضره قدام كسرى فنظر اليه بعين الغضب واخذه من فعل عنترة العجب وقال لة ياعنترة هذا اسيرك فكيف لا تريد ان اقتلة لان فعلة يوجب سفك دمه فقبل عنترة الارض وقال يامولاي اسالك العفو عنة والصفح عن ذنبه وان ترده الى بلاده وان بدا منة ذنب فانا لة فزاد بكسرى العجب من عنترة وحسن مروّته واطلق شروين لاجله ورد عليه كل ما كان اخذه منة وجميع ما نهبوه من خيامه وامواله وجدد لة التشاريف والخلع والولاية واعاده الى حاله وما كان عليه من مملكته وسلطنته بعد ان اخذ عليه العهود والايمان انة لا يميل الى الغدر والخيانة طول الزمان ولا يخالف هذه الاقسام وكان عنترة قد اعلم الملك كسرى بما فعل معة سوار وكيف اطلقة من عقاله ونجده برجاله لاجل محبته للملك فزاد كسرى في اكرامه وجعلة نائبة على العساكر وشروين هو المقدم وضمنة عنترة عند كسرى وقال ياسيدي عليّ ضمانة ان عاد اذنب او اجرم وشرط عليه كسرى انة لا يقطع امرًا دونة ففعل ذلك ثم عادوا الى بلادهم راجعين وهم لايادي ابي الفوارس عنترة شاكرين ولحسن مودته ناشرين

قال الراوي وارسل الملك الى اراضيهم ناظرًا يطلعهُ على اخبارهم وما يفعلونهُ في بلادهم هذا ما جرى لهولاء واما ما كان من عنترة فانهُ اقام عند كسرى اياماً قلائل ثم استأذنهُ بالمسير فاذن لهُ بعد ان دفع لهُ كل ما غنمهُ وسلم اليهِ خراج خراسان وهو مبلغ كثير المقدار فلم يحمل منهُ شيئاً بل فرقهُ على امراء العرب والسادات من اهل الرتب فانطلقت الالسن بمدحهِ وشكروهُ على كرمهِ ومودتهِ وصفاء نيتهِ . ثم خلع الملك كسرى على ملوك العرب مثل الملك وهب بن موهوب والملك قيس وذي الخمار والاخوص بن جعفر وعامر بن الطفيل وملاعب الاسنة والهطال وميسرة وسبيع اليمن وعروة بن الورد ومازن الخلعَ الغوالي والتحف السنية وساروا الى الحيرة واقاموا فيها اياماً وقرَّ قرارهم واجلسوا الملك الاسود على سرير ملكهِ وردوا اليهِ خزائنهُ وكل اموالهِ وبعد ذلك تفرقت العرب الى اوطانها وسار بنو فزارة و بنو عبس طالبين ديارهم وحصن خائفٌ من عنتر . وسبق شيبوب وولده الخذروف حتى يبشرا بقدوم عنترة والملك قيس ومن معها ووصلوا الى ديارهم فالتقتهم السادات والعبيد والاماء بالدفوف والمزاهر ووقعت البشائر في العشائر وطلبت بنو فزارة منازلها ونزلت بنو عبس في ارض الشربة والعلم السعدي وضربت لهم الخيام وطاب لهم المقام . قال الراوي واقام عنترة في اكل طعام وشرب مدام مدة من الزمان غفلت بها عنهُ نوائب الحدثان فبينما كان جالساً في بعض الايام و بنو عبس وآل قراد بين يديهِ وقدامه وولده ميسرة واخوه مازن وسبيع اليمن وعروة بن الورد والهطال حواليهِ يتحدثون بما جرى لهم من الوقائع الهائلة وما قاسوا من النوائب بحروبهم السالفة . واذا بعبد من عبيد الملك قيس بن مسعود سيد بني شيبان لابس ثياب السواد وهو كثير البكاء والتعداد ينادي من فواد حزين واسيداه واميراه واحسرتاه فلما دنا من عنترة سلم عليهِ وقبل قدميهِ و بكى بكاء شديد ما عليهِ مزيد واخبره بقتل بسطام وانهُ شرب كاس الحمام

قال الراوي فلما سمع عنترة كلام العبد وبكاءه ونظر سوء حالهِ بكى حتى غشي عليهِ وصار لا يعرف ما بين يديه وحزن الحاضرون على بسطام و بكوا عليهِ فقال عنترة للعبد ويلك كيف حدثت هذه المصائب فقال لهُ العبد ياحامية عبس انا من عبيد الملك قيس بن مسعود وقد انفذني اليك يعزيك في خليلك بسطام ولاقص عليك ما جرى . اعلم ان بسطاماً قتلهُ الهيلقان بن دميط القحطاني وهو من قبيلة يقال لها بنو رميش وذلك ان بسطاماً كان يهوى جارية من بنات العرب فخطبها من ابيها و بذل لهُ النوق والجمال واعطاه شيئاً كثيرًا من المال فازوجه بها ولم يخيب مقصده فساق اليهِ ما ابهره من المال ونحر النحور

واطعم الضعفاء والمساكين ولما كانت ليلة الزفاف فاجأنا الهيلقان بخمسة الاف فارس ووضع السيف في الكبار والصغار وسبي الاماء والاحرار وكان بسطام سكران لانهُ اسرف في شرب العقار ولما راى السيف يعمل والرجال تقتل علم أن الاعداء قد كبسنهم فركب ولبس لامة حربهِ وتلقى بوادر الفرسان وهو ينادي انا حامي الحريم بسيفي والسنان . الا ان السكر قد غلب عليهِ فبينما هو كذلك واذا بالهيلقان قد حمل عليهِ وطعنهُ في جانبهِ الايسر اطلع الرمح من جانبهِ الاخر فوقع قتيلاً وفي دمائهِ جديلاً واحتوى الهيلقان على المال والعروس وبدل الافراح بالاتراح وارتفع البكاء والنواح ثم عاد الى دياره وتركنا نقاسي الهوان وكان يامولاي سيدي قد جمع الفرسان وكل بني شيبان ويريد ان ياخذ بثار ولده من بني قحطان ويقتل الهيلقان فان نجدتنا ياحامية عبس على اخذ الثار وكشف العار فانت نعم الخليل والجار

قال نجد بن هشام فلما سمع عنترة ذلك الكلام اشتد غيظهُ وزادت محنتهُ ونادى يااللعرب وحق البيت الحرام وزمزم والمقام ومن انزل القطر من الغمام اني لآخذ بثار بسطام بحد الحسام ثم انهُ صاح في شيبوب ويلك ياابا رياح قدم لي كوكب بن الابجر فاحضره لهُ في الحال . ثم استدعى عروة بن الورد وامره ان يركب هو ورجالهُ وكذلك ميسرة وسبيع اليمن وسابق ولاحق ومجيد والمطال واجتمع اليهِ خمسمائة فارس ولبسوا الحديد وساروا بين يديه شيبوب وولده الخذروف وهو راكب امامهم كانهُ جلمد او برج مشيد

قال الراوي . وكان بينهم وبين القوم عشرة ايام فساروا حتى قربوا حلل بني رميش وهي قبيلة الهيلقان فقال شيبوب لعنترة يااخي الصواب انك تكمن هنا بمن معك من الفرسان حتى اسير انا الى منازل بني قحطان فاطلع على احوالهم وابصر عدد فرسانهم وابطالهم وشجعانهم واتيك منهم بالاخبار وبعد ذلك دبر ما تشاء وتختار فقال عروة ياابا الفوارس هذا هو الصواب والامر الذي لا يعاب فقال لهُ عنترة ياابا رياح اخاف ان تبطيء علينا فقال شيبوب لا يااخي لا اغيب عنكم الا بمقدار ما اشرف على القوم واتجسس الاخبار واتيك قبل ان يتعالى النهار وان لم اجئ فافعل ماتختار فعند ذلك عدلوا الى وادٍ بالقرب منهم فسيح الجنبات خصيب الربوات فكمنوا فيهِ وتستروا في نواحيهِ وذهب شيبوب من وقتهِ وساعتهِ وكان خبيراً بتلك الاراضي والديار فاطلق قدميهِ وسار ولبثوا لهُ في الانتظار فما غاب اكثر من بقية ذلك اليوم وعاد من ارض القوم فتباشروا برؤيتهِ وسلامتهِ وقال لهُ عنترة هات ياابا رياح وبشير الافراح وقص علينا قصتك واخبرنا بما دبرت من حيلتك فقال لهُ ياابن الام لما

سرت ووصلت الى الاحياء دخلت في جملة المساكين والضعفاء وصرت اخترق المضارب والبيوت في زي جائع يطلب القوت فنظرت القبيلة تموج بسكانها وترتج بفرسانها وعبيدها وغلمانها وما زلت انتقل في الحي من مكان الى مكان وانا اقول ابن من يشبع الجيعان ابن من يرحم الغريب العريان ابن من يجبر قلبي من الزاد ابن من يشفق على العليل ابي الاولاد وما زلت كذلك حتى نظرت الجميع وعرفت الرفيع منهم والوضيع وليس عددهم اذا هاج نفيرهم وجمعوا كبيرهم وصغيرهم اكثر من عشرة الاف فارس ولكنهم كالجن والا بالس يلاقون المنية بمرهفاتهم واسنة رماحهم ويطرحون الى الهوان ارواحهم ونظرت الهيلقان بن دميط جالسًا في وسط الحي كانه قلة من القلل او قطعت فصلت من جبل طويل في الرجال عريض الاكتاف والاوصال وطولة قاعدًا يعادل طول الرجل القائم وللشر على وجهه براهين وعلائم وحوله من الفرسان جماعة من اهل الفروسية والشجاعة وكلهم يتفقدون العدد والالات كانهم عازمون على بعض الغزوات ومنهم من صار ينظر اليَّ شذرًا ويرمقني حذرًا وقد ستر الرب الكريم عليَّ ممن يعرفني ولم يسالني احد منهم عن حالي فوالله يا اخي لقد راعني ما رايت من شجاعتهم وعددهم الحسان وانا اعلم انكم اذا التقيتم بهم وحملتم عليهم وثار بينكم وبينهم القتال يحتقرونكم لقلتكم فمن الراي ان تصبروا الى اول النهار حتى تتفرق مواشيهم في البراري والقفار فحينئذ ثوروا عليهم وانهبوا مراعيهم واموالهم وجدوا بها في الهرب فيتبعونكم فسوقوا قدامهم حتى يلحقوكم وياخذهم الطمع فيكم ويبعدوا عن ابياتهم فارجعوا اليهم وابذلوا سيوفكم فيهم فاذا اشتد بينكم الحرب والطعن والضرب

الكتاب السادس والثلاثون بعد المائة

من سيرة عنترة بن شداد العبسي

تلقون من الخيل بوادرها وتصلون اسنة الرماح الى صدورهم وتنفرون من ميامنهم ومياسرهم فتقتلون فرسانهم وتفنوهم عن بكرة ابيهم فينقلبون اشأم انقلاب وتحل بهم الاوصاب وتنهبون اموالهم ونوقهم وجمالهم وتعودون الى الابيات وتسبون النساء والبنات فتمسي ديارهم خرابًا . قال فاستحسن بنو عبس مقالة وقالوا له والله ياشيبوب لقد نطقت بالصواب واتيت بما لا يعاب وفقت ذوي العقول والالباب

قال الراوي فباتوا في ذلك الوادي الى السحر فقاموا وركبوا خيولهم واعتقلوا رماحهم وتنكبوا درقهم وسار بهم شيبوب فلاحوا على الجبال كالعمائم الصفر على رؤس الرجال

وساروا ينتظرون ظلوع النوق والجمال الى المراعي فسرحت الرعاة بالخيل والنوق والجمال وابعدوا عن الحي في طلب الكلإ والمرعى وتبددوا في اقطار الصحرا فهجمت عليها فرسان بني عبس ووخزوها باسنة الرماح الطوال بعد ما تركوا في اقفية العبيد ضربات مثل فتوق الاعدال فنجا بعض العبيد وطلبوا الاطلال وهم على اسوإ حال وذلك عند اشتغال بني عبس بنهب الاموال ونادوا في الحي بالثبور وعظائم الامور واخبروهم بما جرى من الاحوال فاسبقت الرجال وركبت الابطال وفي مقدمتهم الهيلقان كانهُ النمر الحردان يخط الارض برجليهِ ويحرثها بقدميهِ وهو ينادي خاب والله ظنكم فاليوم اجازيكم على فعلكم وانكل بكم هذا والخيل خلفهُ تتجارى وقد شهروا الصفاح وقوموا الرماح ونادوا يالرميش يا لقحطان الى اين تاخذون اموالنا وتعودون سالمين من اوطاننا هذا والله يومكم العظيم الذي نذيقكم فيهِ العذاب الاليم يا اوغاد العرب واخس من ركب على قتب

قال الراوي فلما سمع بنو عبس صياحهم ونداهم عادوا الى ملتقاهم ووكلوا بالساقة مائة من الفرسان وعطفوا الى القتال باربعمائة إنسان وكان هولاء عشرة الاف عنان كانهم الصقور على خيول اخف من الطيور وفي مقدمة آل عبس عنترة ومازن وميسرة وسبيع اليمن والهطال وعروة بن الورد ومجيد بن مالك فالتقت الرجال بالرجال والتحم الحرب في المجال وصاحت بنو عبس البدار وحل ببني رميش البوار وزعق عنترة ياالعبس ياالعدنان يالثارات بسطام وحمل ففرق الكتائب ومزق الجيوش والمواكب فلله درُّ ميسرة وما فعل ولله درمازن وكم قتل ولله درسبيع اليمن كم اهلك من بطل ولم يزل القتال بينهم الى الظلام فافترقوا عن القتال ورجع الهيلقان وفرسانهُ في اسوإ حال فقالوا لهُ والله ما فعلت معنا خيرًا باتباعك هولاء القوم وما جرى علينا مثل هذا اليوم من كثرة ما قاسينا من النوائب وما لقينا من المصائب لانهم ابادوا فرساننا وقتلوا شجعاننا فان ولينا الادبار لبسنا الذل والعار وتبعونا الى الخيام وبذلوا فينا الحسام ووقع النهب في ابياتنا وسبيت نساؤُنا وبناتنا وعلم الله ان قد ضاقت لذلك صدورنا وتقطعت ظهورنا فانظر ايها الملك في عاقبة امرك ودبرنا برايك لنعلم ماذا تشير علينا اما بحرب وكفاح واما بهزيمة وافتضاح اما هم ففي شرذمة يسيرة وعصابة حقيرة ولو كانوا مثلنا في العدد لما ابقوا منا احد فلما سمع الهيلقان ذلك قامت قيامتهُ وقال يابني عمي ان الحرب ساعات واوقات مقدرات والشجاع لايحدث كل وقت نفسهُ بالغلبة والنصر والذل والقهر ومالي اراكم على هذه الحالة اتريدون ان تطلبوا من عدوكم الاقالة فماهذه عزمات الرجال ولا همم الابطال اذ لايقتل الا من دنا اجلهُ ولقد صدق

الشاعر حيث قال

ومن لم يمت بالسيف مات بغيره   تنوعت الاسباب والموت واحدُ

فلما سمعوا كلامهُ قالوا لهُ ان ما تشير اليهِ فهمناه ولكن انت تعلم انك قتلت بسطام بن قيس سيد بني شيبان والذي مطالبنا بثاره هو عنترة الفرسان سيد بني عبس الذين تسميهم العرب فرسان المنايا والموت الزؤام وهم الذين افنوا قبائل العربان من كل جانب ومكان فما لنا والله بهم طاقة ولا لحربهم استطاقة فقال لهم يا بني عمي اثبتوا ولا تفشلوا فلكل ميتة كتاب معلوم واجل محتوم وموت الشجاع تحت القسطل والقتام عزيزًا جليلاً احسن من موت الجبان مهانًا ذليلاً ومن هم هولاء الاوباش حتى خافت قلوبكم منهم وانتم ليوث الشري واشجع كل من سرى وشجاعتكم تضرب بها الامثال والى حماكم تُشَدُّ الرحال وليست الشجاعة بطول الاجال ولكنها بطول الصبر في القتال ونحن اكثر من اعدائنا عددًا واوفى مددًا واذا ثار عجاجنا وهاج هياجنا كنا كامثالهم اضعافًا واما قولكم انهم شجعان فانتم صادقون في المقال ولا الومكم على هذا الحال لانكم قاتلتم وما قصرتم ولو دام القتال عليكم لانكسرتم لاني نظرت اليكم بعين الفراسة والاختبار فرايتكم على وشك الهزيمة والفرار ولكن يا وجوه العرب وذوي الرتب اين الهمم الرميشية والعزمات القحطانية والنخوات الابية فبحياتي عليكم لا تفشلوا واريدكم اليوم ان تنصحوا في القتال وتجيدوا الطعن والضرب بالنصال وتخذوا عليهم الطرقات وانا اعلم اننا نفنيهم ولو كانوا بعدد الرمال ولا نخلي منهم من يعود الى الاطلال وعند الصباح ابرز الى مقام الكفاح واقلع شافتهم وابيد غابرتهم واقتل عنترة والفرسان وانزل بهم الهوان لاني شاهدتهُ في القتال وعرفت من اين ينزل عليهِ النكال على انهُ والله فارس شجاع وولده ميسرة قرم مناع فلما فهم القوم معنى كلامهِ اجابوه الى مرامهِ وقالوا لهُ انت ملكنا وكلنا لك فداءُ فها نحن بين يديك لا نخالف امرك ولا نعصي عليك بل نقاتل اشد القتال حتى نشرب كؤوس الوبال فشكرهم الهيلقان على مقالهم واثنى على طاعتهم وفعالهم ولما بدا الصباح برز الهيلقان الى الكفاح واعتدلت الصفوف وترتبت الالوف فصال وجال وانشد وقال

انا الهيلقان غداة اللقا   اجيد الطعان براس الاسلْ

فيامن اتى يبتغي حربنا   لك الويل ما الحرب الا دولْ

ويانذل عبسٍ وياوغدها   انا اليوم اذهب منك العللْ

فدونك مني شجاع الحروب   فاسقيك بالسيف كاس الاجلْ

فان كنت تنكر هذه النعال فسوف تلاقي شجاعًا بطل

قال الراوي فلما سمع عنترة شعره ضحك عجبًا ووقف على صهوة الجواد وساواه في مقام الطراد وقال له ويلك يا احمق اسمع مقالي قبل ان تبتلي بقتالي واعلم اني ما اتيت اليك انا واولادي واصحابي واجنادي الا حتى اقطع راسك واخمد انفاسك واجازيك على قبيح فعالك وافجع فيك رجالك وما رايت بسالف زمانك وما تقضى من اعوامك اشأم من هذا اليوم لقتلك صديقي بسطام يا اخس الانام فسوف ادبر عليك وعلى قومك البوار وآخذ منك ومنهم بالثار واكشف العار عن بني شيبان ثم اجابه على شعره وقال

هيا لضرب السيف ياهيلقانْ ترى هام الحرب ماضي الجنانْ
ليث اذا ما مال في جحفلٍ بالصارم العضب وراس السنانْ
لا ينثني عن موقفٍ هائل حتى يروّي الهندواني اليمانْ
ياهيلقان اليوم تلقى الردى وتبصرُ الموت حقيقًا عيانْ
من كف حامي عبس عند اللقا يلقيك مرميًا على الصحصحانْ

قال الراوي ثم حملا على بعضهما البعض وجالا طولاً وعرض وطعن كل واحد منهما صاحبه وقاتله وحاربه ولم يزالا في حرب وكفاح من الصباح الى الرواح ثم افترقا على سلامة وطلب كل واحد خيامه فهنا بنو عبس عنترة بسلامته وفرحوا برويته وسالوه عن خصمه وفروسيته وما لاقى من شجاعته فقال عنترة والله يا بني عمي هو فريد عصره ووحيد دهره وقد الفيته فارسًا جبارًا لا يكل من القراع ولا يخشى البوار ولكن ان شاء الله في الغد اجعلها معه وقعة الانفصال ونبلغ منه الامال وننهب امواله ونسبي عياله هذا ما جرى لعنترة الفرسان واما الهيلقان فانه عاد الى قومه وقد هاله ما راى من عنترة في يومه فسالوه عما لاقى من عنتر وما عاين منه وابصر وقالوا له يا ملك ليس من عادتك ان تطيل الحرب وتكترث بلقاء الفرسان ولا يثبت بين يديك الا من كان كمردة الجان . وقد شاهدنا لك في هذه الوقعة اهوالاً ما سمعت بها الرواة فكيف ثبت عبد بني عبس بين يديك كل هذا الثبات وما في الفرسان المذكورة والابطال المشهورة الا من قتلته او اسرته وقهرته فقال لهم الهيلقان لما سمع هذا الكلام بالله يا بني الاعمام لا تقولوا عن هذا الفارس الجليل انه عبد ذليل فانه وان كان وصف نسبه قليل فقد رفعه سنان رمحه الطويل وسيفه الصقيل ولقد شاهدت منه بطلاً لا يقاس بالفرسان وشجاعًا قد قلع الشجاعة من قلوب الاقران وقد قاسيت منه الاهوال والامور الثقال وما لاقيت كل عمري فارسًا يفعل كفعله في المجال ولا اتعبني سواه في الحرب

والقتال لانه جبل لا يرتقى وجملانه لا تتقي وجبار لا يبالي بالشقا وانا ارجو اني لا اقتله بل اذله واقهره وبعده نضع السيف في بني عبس ولا نترك على وجه الارض منهم نسمة تسعى ولا من يملك لنفسه ضرًا ولا نفعًا ثم انهم باتوا على قدم الانتظار حتى اقبل النهار فلبست الفرسان السلاح وعادوا الى صهوات الجرد القداح وهزوا عوامل الرماح وتقلدوا بشفار الصفاح وطلبوا مقام الكفاح وتقدم الهيلقان الى بين الصفين واشتهر بين الفريقين وصال وجال وشهر سيفه الفصال وانشد وقال

اذا اشتجرت نار الغضا في التصادم   حميت رجالي بالقنا والصوارم
وحكمت في الاعداء رمحًا وصارمًا   وما خفت في يوم الوغى لوم لائم
واشبعت فرسان الورى عندما راوا   فعالي وحملي في العدى وتصادمي
اياعنتر المعروف في العرب كلها   ستعلم من يدنو غبار العظائم
ستنظر فعلي يا ابن شداد باديًا   اذا الحرب يومًا اقعدت كل قائم
واني لخواض المنايا ومقحم   اذا اشتبكت سمر الرماح اللهاذم
ستعلم يا وغد العشيرة انني   سالقيك رزقًا للنسور القشاعم
وافني بني عبس اللئام ولم ازل   اسوقهم في الحرب سوق البهائم
ولا ارعوي في همة عن ملمة   واني لكشاف الامور العظائم

قال الراوي فلما سمع عنترة شعر الهيلقان اسودت الدنيا في عينيه وطار الشرر من مقلتيه وناداه ويلك ياهامان والله لقد اعجبتك شقشقة اللسان فلعن الله اباك لانك ذليل جبان ولا شك ان هذا اليوم اخر عمرك يا قرنان حيث اقطع بهذا السيف اوصالك واقتل شجعانك وابطالك وانهب ذخائرك واموالك واسبي حريمك وعيالك واجازيك على قبيح فعالك وارميك في شر اعمالك واخذ منك بالثار وامحو منك الاثار ولو اجارتك كل عرب القفار فدع عنك يا ويلك هذا الهذيان والتطويل ولا تعلل نفسك بالاقاويل ولا تغرك هذه الجموع المولفة والعساكر المصففة وسوف ترى اذا التقت بيني وبينك حلق البطان وتقلبت الاقران واوقدت نيران الحرب واشتبك الطعن والضرب وكثرت الاهوال وتصرمت الاجال وحكم السيف والسنان من الذي يخسر ويبقى ندمان ثم اجابه على شعره وقال

انا البطل الكرار في حومة الوغى   اذا عثرت فرساننا بالجماجم
وبانت رجال من رجال وابرقت   بروق المنايا من خلال الصوارم
ولاحت علامات الشجاع بلا خفا   وولى الجبان النذل كسرة هازم

وانی اوفیها واشبعها قری بطعنة عسال وضربة صارم
ولا انثني يوم الوغى عن ملمة وانعم بهِ عند اللقا من مقاوم
وذا اليوم تلقى ضد ماانت امل وتبقى رهين المبرطعم القشاعم
وكل بني قحطان تنعاك حسرة وعين النسا تبكي بعظم الماتم
ونحن بني عبس الكرام وجدنا علا في العلى من فوق اعلى النعايم
ساخذ منك الثار ياوغد عنوة واردیك شلوًا عند وقع التلاحم

قال الراوي ولما فرغ عنترة من انشاده والنظام حمل على خصمهِ بقوة واهتمام وصرخا كانهما اسود الاجام فرفعت الخيل رؤوسها ولعبت باذنابها فظنت الفرسان ان السما قد فتحت ابوابها وهجما هجمات الاسود واظهرا ما كان في قلوبهما من الحقود وتقاربا بالجوادين وتطاعنا بالرمحين وتضاربا بالسيفين ونظرت اليهما الابصار وحارت بفعلهما النظار ولم يزالا كذلك حتى خدر الزندان وكلّ الساعدان وشبعا من المجال وملاّ من الحرب والقتال فافترقا عن الحرب والنزال وصار كل منهما ينظر الى صاحبهِ شذرًا وبرمقهُ حذرًا ثم عادا الى الصدام والحرب والخصام ونظر الهيلقان الى عنترة بعين خبرتهِ وزانهُ بميزان فراستهِ فراه جبارًا وفارسًا ثقيل العيار فاظهر الجلد واخفى الكمد وحمل عليهِ حملة من لايبالي بالعواقب ولا يخشى حلول النوائب فراى عنترة منهُ التقصير وعرفهُ معرفة خبير فاطبق عليهِ ومال بكليتهِ اليهِ وضربهُ بالسيف اطار راسهُ واخمد انفاسهُ فلما نظره فرسانهُ واصحابهُ قتيلاً صاحوا على عنترة وحملوا وهم ينادون واسيداه واملكاه شلت اناملك ياعبد السوء وفصلت مفاصلك لقد قتلت سيدًا كريمًا وبطلاً عظيمًا ومن الغبينة ان نقتلك بثار سيد كريم وانت عبد لئيم ثم انهم اطلقوا الاعنة وقوموا الاسنة وازعجوا بصياحهم الارض وجالوا طولاً وعرض وانطبقوا على عنترة من كل جانب ومدوا اليهِ اطراف القنا وشفار القواضب قال فلما نظر ميسرة ان قد دارت بابيهِ المواكب والجحافل والكتائب صرخ في بني عبس وحمل هو وعروة بن الورد ومازن والهطال ومجيد بن مالك وباقي الابطال وحملت بنو قراد ورجال عروة الامجاد واشتد بينهم الحرب وزادت نيرانها اتقاد وتقصفت الرماح الطوال وعملت البيض الصقال وجرى الدم وسال وكان لهم يوم شديد الاهوال فلله در بني عبس مع قلتهم ما اعظم نخوتهم فانهم حكموا ببني رميش السيوف واذاقوهم كاس الحتوف ولله در عنترة فانهُ فرق بحملاتهِ الصفوف وجدع منهم الانوف وقتل الفرسان واهلك الشجعان قال ولم يكن يوم اني اكثر حتى انكسر بنو قحطان ووقع بهم الدمار فولوا الادبار وتشتتوا في القفار فعاد بنو عبس

وجمعوا الاموال والخيول والاسلاب وقد تحصنت اعداوهم في الجبال والشعاب وكانوا قد اخذوا منهم سبعمائة اسير من سيد وامير ولما غنموا الاسلاب والاموال كتفوا الاسارى وطلبوا اعداهم الى رؤوس الجبال وقتلوا منهم كل فارس نفيس وبطل دعيس وظل عنترة واولاده وفرسانه واجناده يضربون في اقفيتهم بالسيف البتار ويطعنون في ظهورهم بالرمح الخطار حتى اشرفوا على الديار وسبوا الاما والاحرار وبادوا الكبار والصغار وهم ينادون الثار الثار الى ان ادركهم الظلام فنزلوا في الخيام واكلوا الطعام واخذوا الراحة والمنام وفي الصباح ثاروا كانهم اسود الغاب وملكوا المضارب والقباب وقتلوا الشيوخ والشباب وعفوا عن الكواعب والاتراب وساقوا الاما والمولدات وتركوا الحرائر والمخدرات وقلعوا الحلة بما فيها وعادوا وهم كثيرو الافراح بما حازوا من النصر والنجاح واثنوا على عنترة وجميع اصحابه وولده ميسرة وما زالوا سائرين بالاموال والاظعان ومن اسروهم من الابطال والاطفال والنسوان وعبد الملك قيس بن مسعود معهم يشاهد كل ما جرى بالعيان لان عنترة لم يمكنه من الذهاب الى مولاه وقال له اصبر حتى ناخذ بثار مولاك بسطام ثم ترجع بامان وربما نسير كلنا الى بني شيبان قال فبينما عنترة والعبد يتكلمان بما جرى للهيلقان وكيف انزل هو به وبقومه الهوان واذا بنواصي الخيل طلعت وغبرتها ارتفعت وبان من تحتها بريق الصفاح ولمعان اسنة الرماح فامر عنترة اخاه شيبوب ان يكشف الخبر فسار اسرع من لمح البصر ونقدم نحو العسكر فراى الملك قيس بن مسعود ابا بسطام في ابطال بني شيبان وكانوا تسعة الاف عنان كلهم ابطال وشجعان على خيول اخف من العقبان يلقون الرزايا باسنة الرماح ويغالبون المنايا بشفار الصفاح فرجع شيبوب واخبر اخاه عنتر بما شاهد وابصر ولما التقت الطائفتان ترجل عنترة للملك قيس وسلم عليه وعزاه بولده بسطام والدموع تجري من عينيه فترجل قيس لعنتر وفاض دمعه وانحدر وبكى وتحسر وفعلت رجالة كفعاله لملاقاة عنترة واستقباله ولما خفت الشكوى وبكوا واطفأوا نيران الجوى اخذ الملك قيس يحدث عنترة بما جرى وقال له دهينا يا ابا الفوارس بامر لم يكن بالاوهام الا وهو قتل خليلك بسطام ثم اخبره بالقصة من اولها الى اخرها واوقفه على باطنها وظاهرها وانه كاتب شجعان القبائل وجميع العربان من كل مكان ليسير لاخذ الثار من ذلك الغدار واستشاره بذلك الشان والامر الذي لم يكن في الحسبان

قال الراوي فاخبره عنترة بما فعل بقاتل ولده وحشاشة كبده وكيف سار ببني عبس اليه وانزل سخط الله عليه ودمره وخرب بلاده وقتل ابطاله وسبى حريمه وعياله ونهب امواله

وقال لهُ ما توانى عبدك يامولاي في اخذثار الخليل فاني انزلت بقاتلهِ التنكيل وشفيت منهُ الغليل وافنيت بني رميش وقتلت ساداتهم وسبيت نساهم و بناتهم وها نحن ذاهبون اليك لنخبرك بما رزقنا من النصر والظفر وما ساعدتنا بهِ يد القدر فانا ابدنا الاضداد وارغمنا انوف الحساد وهذه نساؤُهم سبايا بين يديك وعيالهم واطفالهم مقبلة عليك فشكرهُ قيس على فعالهِ وشكرتهُ سائر رجالهِ واخذوا يثنون عليهِ ويقولون لهُ حييت يا اوحد الزمان ومذل الشجعان لقد اخذت بثار صديقك ابي اليقظان وتتوجت بالفخار وازلت عن بني شيبان العار فانت كهف لكل راج وملجا للمحتاج فلا زلت مؤيد الجناب بعناية الملك الوهاب قال فلما انتهوا من الكلام ضربوا الخيام وركزوا الرايات والاعلام فامر الملك قيس بترويج الطعام واخذ قيس وعنترة يتحدثان الى ان حضر الطعام وقدمتهُ الخدام فاكلوا و باتوا تلك الليلة في ذلك المكان وفي الغد قلعوا الخيام وعادوا راجعين الى الاوطان فلما وصلوا الى قبر بسطام ترجل عنترة والملك قيس وهاني بن مسعود عن خيولهم واحتضنوا القبر و بكى عنترة بكاء مرًّا وقال وااسفاه عليك يا بسطام . استودعك الله من خليل فياليتني كنت لك الفداء من نوائب الزمان يا كهف بني شيبان فوالله لقد جددت عليَّ الاحزان ثم انهُ بكى وفعل هاني بن مسعود والملك قيس وجميع بني شيبان كذلك وزادت عليهم الاحزان هذا وعنترة لا يقر لهُ قرار لفراق بسطام ولا يطيب لهُ منام . واما ابو بسطام فقد زاد بهِ الوجد والغرام واجرى دموعهُ سجام وصار ينوح مثل الحمام وانشد يرثي ولده بسطام و يقول

وهى جلدي من بعد فقد الحبائبِ ... وهدَّ اصطباري يوم قتل المصاحب
واصبحت ابكي ربعهم ومصابهم ... واندبهم ما بين خلّ وصاحب
ايا ولدي بسطام يا غاية المنى ... ومن كان ذخري في وقوع النوائب
ايا ولدي بسطام قد ضمك الثرى ... وأُفردت عني لا اراك بجانبي
بعدت فاورثت الهموم لخاطري ... لفقدك قد ضاقت عليَّ مذاهبي
وخلفتني ادعو لمن لا يجيبني ... وشمسي لقد غابت وعزَّت مطالبي
ادير الى الخلان طرفي لعلني ... ارى وجهك الميمون بين الاقارب
اذا ثاكلات الحي ابدت تفجعًا ... تحل بقلبي النار نارُ المصائب
اقول وقد جدَّ الرحيل متى اللقا ... وعيناي قرحى بالدموع السواكب
وقد حان حيني من ارى لي مسعفًا ... وكهفيَّ قد امسى عفير الترائب
وكهف بني شيبان اصبح ثاويًا ... وقد بان عن خلانهِ والحبائب

فمن لبني شيبان ان اصبح العدى ... بساحتهم يبغون سبي الكواعب
واصبح نقع الجو في الجو قاتمًا ... ودارت به الفرسان من كل جانب
وان ندبت شجعانها او رجالها ... وقد اقبلت فرسانها بالمقانب
فمن ذا يرد الخيل يا فارس الوغى ... ويا من سما في شرقها والمغارب
سيندبك السيف اليمان اذا غدا ... بكف جبان في وقوع المصائب
ويبكيك قوم اسرعوا للملمة ... يريدون كشف الضيم يا نعم صاحب
وتندبك الضيفان اذ ما تبادروا ... وانت بلحد ملحد خير غائب
وتندبك الانام يا فارس الثرى ... اذا ما اتوا يبغون نيل المطالب
ايا فارسًا قد هدّ ركني بفقده ... وخلفني مضنىً عديم المصاحب
سلوه عسى ان يرحم الان شيبتي ... ويحنو على من ذاق اقوى المتاعب
اياعنتر العبسي بسطام قد غدا ... رهين الثرى من دون كل الحبائب
ايا كاشف الكربات انت ذخيرتي ... وكهفي اذا اشتدت عليّ نوائبي
ثوى الفارس المشهور في كل مشهد ... وخلفني ارثيه بيت النوادب
فلو كان من يشرى شريت بمهجتي ... ومالي وخلاني وكل اقاربي
فابكي على من ضمه اللحد ثاويًا ... وقد كان كهفًا للصديق المصاحب
سقاك الحيا يا ترب بسطام والندى ... يسح على مثواك يا ابن الاطائب
عليك سلامي ما حييت وان امت ... فاني على عهدي ولست بكاذب

قال الراوي فلما فرغ قيس بن مسعود من هذه الابيات بكى وبكت لبكائه السادات ثم تقدم هاني ورثاه ودنا من قبره وبكاه . واما الملك قيس بن مسعود فانه غاب عن الوجود وقال والله يا ابا الفوارس انك انعم الصاحب والصديق والقريب ونعم الاخ والمعين فلا عدمك اصدقاؤك ولا شمتت بك اعداؤك ثم ان عنترة بن شداد امر الملك قيسًا ان يطوف بالسبي حول القبر سبع مرات ويطلقهم عتقاء صدقة عن بسطام وطلب الاذن في العودة الى الاوطان فقال الملك قيس له اريد من اتمام احسانك وتفضلاتك ان تدخل معنا الى الابيات لعلها تزول عنا الحسرات ولا تحرمنا طلعتك ولا تقطع عنا زيارتك لانك انت المعتمد والسند دون كل احد

قال الراوي فلما سمع عنترة معنى كلامه اجابه الى مرامه وسار بين يديه بعد ما شكره واثنى عليه وقال له يا عماه اني عبدك وان شئت رعيت لك النوق والجمال فلما سمعت بنو

شيبان كلام عنترة شكروه واثنوا عليه وترجلوا كلهم وتقدموا اليه وقبَّلوا صدره وبين عينيه وبعد ذلك ركبوا خيولهم وساروا طالبين ديارهم حتى وصلوا اليها فعند ذلك قام من بينهم الامير عنتر وقال يا بني شيبان اعلموا انهُ وحق الملك الديان لولا خوفي على بني عبس وعدنان لما كنت افارق هذه الاوطان ثم انهُ طلب الاذن في السفر الى خيامهِ فاجابوه الى ما طلب فودعهم وسار حتى وصل الى الديار واستقرَّ بهِ القرار الى يوم كان جالسًا فيهِ والخيمة مشرعة الفروع وهو يشرب فضلة خمر كانت عنده وعبلة الى جانبهِ واذا بشيبوب قد اقبل فقال لهُ عنترة ويلك يا شيبوب اراك مقبلاً وانت متبسم فقال لهُ يا اخي اتيت ابشرك بان عروة بن الورد قد ولد لهُ غلام من ودعة بنت سهم النزال فلما سمع عنترة من شيبوب هذا المقال فرح وقال يا للعرب لقد اطربتني يا شيبوب ثم انه امر ان ينحر مائة ناقة وان يفرقها على اهل الفقر والفاقة ومائتا ناقة اخرى جعلها وليمة للملك قيس واخوتهِ والربيع بن زياد وعشيرتهِ واحضروا الطعام والمدام مدة ثلثة ايام ونشأ هذا الغلام وسمي زيدًا بن عروة وخرج فارسًا هامًا واسدًا هجامًا اشهى ما اليه الحرب والصدام وقد ظهرت فيه شيم بني عبس الكرام وصار ابوه عروة يخرج به كل يوم الى الميدان ويعلمهُ ابواب الحرب وخدائع الطعن والضرب ويقضي نهاره بالصيد والقنص الى ان كان يوم خرج زيد بن عروة وحده على حالة الانفراد وابعد في البر والوهاد فابصر نفسهُ قد ضل عن الطريق وليس هو في حلة يسلكها ولا على مدينة يعرفها فيطلبها ويدركها فاخذ يدير عينيهِ في جانب البر وهو خائف على نفسهِ من الدنو الى بعض الحلل لكثرة ما عليهم من المطالبات فسار الى ان هوجرت الشمس في البر فاشرف على حلة كانها البحر اذا زخر بالخيل والجنود والمال الممدود فزال عنهُ الهم والترح ووصل الى بعض العبيد من الرعيان وقال لهم من اي الناس انتم يا فتيان فقالوا لهُ من بني شيبان والمقدم علينا كوكب بن سيار بن مجالد الكريم البطل العظيم

قال الراوي فلما سمع زيد بن عروة ذلك فرح فرحًا عظيمًا لانهم من ابناء معد بن عدنان وعرف صاحب الحي والمقدم عليهِ وكان بينهُ وبين ابيهِ عروة صداقة ومودة لانهُ كان قد اصطنعهُ لما قتل عنترة اباه سيار فقصد زيد بيت الامير كوكب فتلقتهُ العبيد بالكرامة وانزلوه في بيت الضيافة وقد راق لهم ما راوه من حسنهِ وجمالهِ وهيبتهِ وفروسيته ونزل عن الجواد وسمع بهِ الامير كوكب فاتي اليهِ وسلم عليهِ وفرح بهِ ثم سالهُ من تكون انت فقال انا زيد بن عروة بن الورد العبسي فقال اهلاً وسهلاً قد طاب لك المزار يا خير قادم فشكره زيد هذا والامير كوكب قد امر الغلمان فاخرجوا لهُ ما راج من الطعام

وحضرت بنو شيبان ولما اكلوا الطعام بات عنده بليلة هنية ثم اقام اليوم الثاني الى وقت الزوال فخرج طالبًا بلاده واراد ان يركب جواده فافتقد الجامة فبينما هو يدير عينيهِ في الابيات اذ نظر جارية خماسية القد صافية الخد قاعدة النهد كانها قضيب بان او غزال عطشان وهي احسن اهل زمانها وفريدة عصرها واوانها لا الطول يعيبها ولا القصر يشينها مزدوجة الذوائب حالكة الضفائر وقد اعقبته تلك النظرة الف حسرة فاطال النظر اليها وقد رشقته بسهام جفنيهـــا فوقع في بحر الغرام ووقعت عينها عليهِ فوافق شكلها شكله واحتوت على خاطره ولبهِ فوقفت تلقاه ورمته بسهم ساحر فتان

قال الراوي فبينما هو واقف ينظرها وتنظره اذ مرَّ بهِ بعض العبيد فقال لهُ زيد من تكون هذه الجارية يامولود العرب فقال يامولاي هذه الجارية هي الرباب ابنة ماجد بن سيار اميرة قومها وسيدة عشيرتها فقال لهُ اهي ذات خدر ام ذات بعل فقال العبد يامولاي ما هي الا ذات خدر فلما عرف زيد الجارية لم ينطق بحرف واحد بل رجع بعد ما كان قـــد عزم على السفر وبات ثاني ليلة عند القوم على انهُ لم يتهنا طول ليلتهِ فيها بمنام ولا اكل شبعة من الطعام ولما كان الغد دخل عليهِ الامير كوكب بن سيار بن مجالد عم الجارية الرباب فلما استقرَّ بهِ الجلوس قال لهُ ياعماه اعلم انني جئتك قاصداً فقال ياابن الاخ اهلاً وسهلاً قل لي في اية حاجة اتيت حتى اقضيها فقال زيد قد اتيتك خاطبًا لابنة اخيك الرباب وقد ارسلني اليك ابي فان انت انعمت بالزواج صرنا كلنا اهلاً فلما سمع كوكب من زيد بن عروة ذلك الكلام فرح ثم انهُ في عاجل الحال احضر اباها وزوجها لزيد ولم يقطع عليهِ مهرها الا بحضور ابيهِ ففرح زيد وودع القوم وسار الى ابيهِ واخبره بذلك وكيف ان اباها لم يقطع عليهِ مهرًا الا بحضوره فلما سمع عروة من ولده زيد ذلك الكلام تجهز من يومهِ واخذ معهُ مائة فارس وسار مع ولده فلما تمادى بهم المسير تذكر زيد ما جرى لهُ فاعجبتهُ نفسهُ بين ابناء جنسهِ فانشد وقال

ولما تبدى للرحيل جمالها ... وجدَّ بنا سيرًا افاضت مدامعي
تبدت لنا مذعورة من خيامها ... بطرف جرى باللؤلؤ الرطب دامع
فقلت لها والله ما من مسافر ... نسير فيدري ما الغرام بصانع
رجعت وقلبي بالفراق معذب ... وقد غلبتني زفرتي ومدامعي
وها انا بالشاكي الى غير راحم ... واني اذا اشكو الى غير سامع
وما تنفع الدار القريبة اهلها ... اذا لم يكن وصل بها خير نافع

ثم ساروا ولما وصلوا استقبلهم كوكب احسن استقبال من ابعد مكان وسار بهم الى الخيام وقد زاد لهم في الاكرام وامر المولدات باصطناع الطعام ووضعوا ما راج منهُ في القصع والجفان وبعد ذلك جددوا الخطبة وقال لهم عروة يا وجوه العرب اقطعوا علينا المهر فقال ابو الجارية ابنتي لك امة من غير مهر محدود ولا صداق معدود فسر عروة بانعامهِ وقال لهُ بل نحمل لك مهر كريمتك الف ناقة وخمسين راس من الخيل وعشرين ثوب ديباج ومائة عبد ومائة امة فقنع ابو الجارية بذلك ثم ان ماجداً اعقد لابنتهِ هودجاً فوقهُ رصافية من الذهب مرصعة بالدر والجوهر واركبها على جمل كريم وسلمها الى بعض العبيد وركبت من بني شيبان معها جماعة وسادة وساروا بها الى بعلها كما جرت العادة تمام ذلك اليوم . ومن الغد ظهر عليهم نحو ستمائة فارس كانهم الابالس يقدمهم فارس كانهُ الاملود . وتحتهُ جواد سابق رقيق اللحم

قال الراوي وكان هذا الفارس يقال لهُ زيد بن سلمة بن عمرو بن جعفر وهو فارس جبار وبطل مغوار وكانت اكثر فرسان العرب تفزع من صولتهِ لكثرة غزواتهِ ولم يكن قصده هولاء القوم بهذه السفرة وانما كان لهُ في كل سنة بعض غزوات الى ارض الحجاز واليمن فخرج في هذه الخيل وهي تسعمائة فارس فاشرفت عليهِ تلك الجارية وهي تحمل الى بعلها زيد الخيل فلما نظر الهودج والعبيد والغلمان والاموال والرجال قال لبني عمهِ هذه غنيمة سائرة واموال حاضرة فدونكم الحملة فعند ذلك اكبوا روؤسهم في قرابيس سروجهم وحملوا وقد اقلبوا البر في صياحهم وقالوا ويلكم خلوا عن الظعينة والاموال فانا زيد بن سلمة ثم اطبق عليهم فعند ذلك حمل ابو الجارية حملة من وراء فرسان بني شيبان ووقع القتال وجرى الدم وسال وساءت بهم الاحوال واطبق ذلك الفارس المذكور على ابي الجارية وتعلق بدرعهِ وجذبهُ فاخذه اسيراً وحمل على بقية الخيل ففرقها بطعن مثل نيران الحريق ولم تكن الا ساعة حتى ولوا الادبار وركنوا الى الهرب والفرار وحاز زيد من سلة الهوادج والاموال وقد اعجب بنفسهِ بين ابناء جنسهِ فعاد وهو ينشد ويقول

دمن الديار لو شمة المتوشم | امسى ينوح على الغراب الاسحم
جازت بهِ ريح الصبا فتنكرت | الا بقية يومها المتقدم
واذا ببيضاء المعاطف طفلة | مهضومة الكشحين ريّ المعصم
سمعت لاقوال الوشاة فاصبحت | تسري خيالاً في الخليط المتهم
وضللت من فرط الصبابة والجوى | لدغت فوادي مثل لدغ الارقم

فسلي بني غسان عني في الوغى ... اهل الحروب خلاف من لم يعلم
قومي سراة الناس عند مجالهم ... يوم الهياج بكل ادهم ملجم
واهيج نيران الحروب بعزمة ... تشفي الصدا منهم براس مقوم
تعلو الفوارس في الحروب وتصطلي ... والخيل مثقلة الحوافر بالدم

قال الراوي ثم انهُ سار وهو فرحان بما قد وصل اليهِ هذا ما جرى لهولاء واما زيد بن عروة واهلهُ فكانوا فرحى بزفاف الجارية اليهِ واذ قد وصل الصائح اليهم باخذها فصعب عليهم وكبر لديهم فعندها ثار عروة ورجالهُ وابطالهُ ومعهُ ابنهُ زيد الخيل وهو مسلوب العقل والفواد وسار معهم ميسرة بن عنترة واخوه مازن وسبيع اليمن واسيد بن ماجد وسابق ولاحق وكان عنترة غايبًا في بني غطفان عند ابن اختهِ المطال هذا وميسرة بن عنترة غائص في شكيمتهِ غارق في لامتهِ . ينشد ويقول

لقد علمت رجال الحي اني ... افلق هامة البطل الشجاع
واحتقر اللئيم وازدريهِ ... اذا رجع المقيل عن القراع
واني في الحروب لهيب نار ... فتحرق للفوارس في الشعاع
فقولوا لابن جعفران حربي ... ليكثر في ديارهم النواحي
واني فارس الهيجاء حقًّا ... وابليهم بحربي في النزاع

قال الراوي فلما سمع عروة بن الورد شعر ميسرة فرح بهِ وساروا يقطعون الارض خببًا ونقريب هذا ما كان من هولاء واما زيد بن سلمة فانهُ سار وهو يزهو ويتكبر فبينما هو على تلك الحالة واذا بخيل بني عبس قد طلعت عليهم وهم ينادون يالعبس يالعدنان

الكتاب السابع والثلاثون بعد المائة

من سيرة عنترة بن شداد العبسي

نحن بني عبس الكرام المعروفين بفرسان المنايا والموت الزؤام فلما سمعت الجارية بذكر بني عبس فرحت ونادت يازيد انا عروستك وقد اخذت وها انا بين الاعداء فاريدك ان تريني طرفًا من شجاعتك وما انت عليهِ من قوتك وبراعتك فلما سمع زيد كلامها حمل في اوائل الخيل وهو ينشد ويقول

خلوا الظعينة يابني الانذال ... فانا لكم كالصارم الفصال
قومي بنو عبس الكرام اولو النهى ... شرف الفخار لهم على الابطال

لهم الشجاعة والبراعة والعلى في المجد والاحسان والاقبال

قال الراوي ثم انهُ اكب راسهُ في قربوس سرجهِ وغاص في اوساطهم ولم يزل يضرب في نحورهم ويطعن في صدورهم حتى ادهشهم وحيرهم في امورهم هذا وميسرة لا يحرك ساكناً بل انهُ اعن الجواد ووقف يتفرج على قتال زيد بن عروة وينظر الى طعناتهِ وضرباتهِ وصدماتهِ فاعجبتهُ فروسيتهُ اما بنو يربوع فلما رأوه حمل عليهم داروا بهِ من كل جانب فعند ذلك صرخ ميسرة في وجوههم صرخة ازعج لها البر وحمل يطلب الكر والفر وحمل بعدهُ عروة بن الورد وقد احترق فوأده على ولده وحمل بعده مازن وسبيع اليمن وسابق ولاحق وحملت المائة فارس ودار بينهم القتال وحملت الرجال على الرجال وامتزج الفريقان وكثر ضرب الصارم البتار والطعن بالسنان ولم يزالوا على مثل ذلك الشان حتى كشفوا عن زيد بن عروة ولم يزل القتال يعمل والدم يبذل والرجال تقتل ونار الحرب تشعل حتى ولى النهار بالابتسام وفصل بينهم الظلام فانفصل الجمعان وافترقت الطائفتان ونزلوا عن ظهور الخيل في تلك القيعان واضرموا النيران ولم يزالوا الى ان اصبح الله بالصباح واضاء بنوره ولاح فعند ذلك ركبت الفرسان الجرد القداح بعد ان غاصوا في السلاح وتقلدوا بالصفاح وارادوا الحملة وقتال الجملة ثم برز زيد بن عروة الى بين الصفين واشتهر بين الفريقين وقال يابني يربوع من عرفني فقد اكتفى ومن لم يعرفني فما بي خفا انا زيد بن عروة بن الورد وقومي بنو عبس الكرام الفوارس العظام المعروفون بين العرب بفرسان المنايا والموت الزؤام وها انا قد برزت للميدان لملاقاة الشجعان ومقاومة الاقران وكان قد بات ليلتهُ لا يلتذ بمنام ولا بطعام لانهُ لم يقدر على خلاص زوجتهِ وقد اسرابوها مع بني يربوع

قال الراوي فلما نادى زيد بهذا النداء برز اليهِ فارس طويل القامة عريض الهامة وحمل عليهِ من غير خطاب ولا جواب وطعنهُ طعنة صادقة فانحرف عنها زيد حتى اخطأتهُ ثم قاربهُ بالحصان وضربهُ بالسيف على اركانه رمى راسهُ بين يدي حصانهِ فزعقت بنو عبس زعقة الفرح وزال عن ابيهِ عروة الترح فاخذت تبرز اليهِ الفرسان وهو يرديها ويلقيها على الصحصحان ولما علم زيد بن سليمة اليربوعي ان هذا الغلام هو زوج الجارية صاحبة الهودج قال في نفسهِ ان لم اخرج اليهِ واخذ روحهُ من بين جنبيه خرجت من بين يدي هذه الجارية ثم برز الى الميدان وطلب الحرب والطعان

قال الراوي فلما نظره ميسرة علم انهُ فارس عظيم وبطل جسيم وانهُ لا يوجد في بني عبس من يلقاه غيره فخرج اليهِ وقال لزيد بن عروة ارجع الى وراك وانا القى عنك هذا

الفارس الفتاك وكذلك عروة كان قد خاف ان يحل به و بولده العطب لما خرج اليه هذا الفارس المنتخب ولكن لما خرج اليه ميسرة اطمأن قلبه وسكن روعه فوصل ميسرة الى زيد بن سلمى وزعق به صوتًا اوقفه عن الحملة وقال له ما الذي غرك واطمعك في اموال بني عبس وحريمهم حتى قصدتهم دون غيرهم فقال له اطمعني حد سناني وقوة جناني يا اسود يا زنيم ياوغد يالئيم . ابعدت عني خصمي ووقعت في قسني ثم حمل كل منهما على صاحبه وتطاعنا طعنًا شفيًا وتضاربا ضربًا وفيًا فبينما هما على هذه الحال اذا بغبرة قد طلعت وعجاجة ارتفعت وظهر من تحتها عشرة فوارس من كل ليث ممارس يقدمهم ليث الطراد وحية بطن الواد الامير عنترة بن شداد والكل ينادون يالعبس يالعدنان لعينيك يا زيد بن عروة ياسيد الفرسان اما السبب في قدومهم فهو انا كنا قد ذكرنا ان عنترة كان غائبًا عن الحي هو واخوته شيبوب وجرير والخذروف وعمه مالك وابنه عمرو ومجيد بن مالك وغياض بن نشاب و بهيج بن حازم وورقة بن زهير واخوه الحارث وان قد دعاهم المطال ابن اخت عنترة لاجل الوليمة فلما عادوا الى ارض بني عبس وكان المطال صحبة خاله سال عنترة عن ولده ميسرة واخيه مازن وصديقه عروة وباقي الرجال فاخبروه بما كان من الاحوال

قال الراوي فلما سمع عنترة ذلك الخبر صعب عليه واراد ان يسير وحده وفي ركابه اخوه شيبوب وولده الخذروف فاقسم عليه رجالة العشرة انهم لا يتركونه يسير وحده فساروا وشيبوب يقص بهم الاثر كانه ذكر النعام الى ان لحق بالقوم كما ذكرنا فلما رآهم بنو عبس فرحوا وحلقوا في الهواء عمائمهم من شدة السرور الذي حصل لهم اما عنترة فلما راى ولده ميسرة هو وزيد بن سلمى في الميدان احترق فواده بالنيران وقفز اليه ورد ولده ميسرة عنه وصاح فيه واطبق عليه الى ان حك الركاب بالركاب وضربه على راسه نزل السيف يهوي الى تكة لباسه ثم حمل هو وميسرة و بنو عبس على بقية الفرسان وابلوهم بالذل والهوان فلما رات بنو يربوع مقدمهم قتيلاً وعلى وجه الارض جديلاً ولوا الادبار وركنوا الى الفرار وهربوا يمينًا و يسارًا و بنو عبس وراءهم يقتلون و ياسرون منهم الى ان ابعد من بقي عن اعينهم فجمعوا خيولهم وسلاحهم واسلابهم ولما اجتمعوا هنأ بعضهم البعض بالسلامة وقبل عروة يد عنتر وحمده وله شكر وفرحت الجارية وابوها بخلاصها من ايدي الاعداء ثم ساروا طالبين الديار وهم في فرح واستبشار

قال الراوي ولما وصلوا واستقروا في الابيات عملوا الولائم والدعوات ثلثة ايام على التمام وفي اليوم الرابع زفت الجارية الى زيد بن عروة واقاموا في الذ عيش واهنإ سرور

مدة من الزمان الى ان كان بعض الايام بينما كان عنترة في حلته اذ قدم عليه الاسد الرهيص وزر بن جابر يطلب منهُ ما تاخر لديهِ من الرسم الذي عليهِ وقد ذكرنا ان عنترة لما كحلهُ جعل لهُ عليهِ رسماً يؤديه كل سنة وهو ثلثمائة راس غنم وعشرون من الخيول الحسنة وبعد ذلك جرى لعنترة مع الاسود وكسرى ما ذكرنا من الحروب فلم يؤدِ في اثنائها الرسم المعين للاسد الرهيص ولما عاد الى ارضهِ وقرب القرار اتى الاسد الرهيص يطلب ما تاخر لهُ في تلك المدة وهو يود لو انهُ اكل لحمهُ وشرب دمهُ فقربهُ عنترة وادناه واحسن ضيافتهُ واكرم مثواه واكرم ايضاً عبده نجماً وسال الاسد الرهيص عن حالهِ فقال لهُ يا حامية بني عبس كيف حال من لا يرى الليل في ظلامهِ ولا النهار في ضيائهِ وابتسامهِ فتالم له قلب عنترة وهون عليهِ ما يلقاه وندم على ما فعل في حقهِ واكرمهُ غاية الاكرام واهداه الفي ناقة على التمام والفي راس من الخيل واعتذر بعد ذلك اليه وسلم اليهِ عشرين من العبيد يسوقون معهُ الاموال فركب ناقتهُ وودع عنترة وسار يطلب اهلهُ والاطلال وكان في طول هذه المدة قد تعلم وهو اعمى رمي النبال حتى صار يرمي بها على الصوت وعنترة ليس عنده من ذلك خبر ولا يعلم ما خفي عليهِ من القضاء والقدر ولما كان عنترة جالساً في بعض الايام وعبلة الى جانبهِ والخيمة مشرعة الاطراف وهو يشرب فضلة خمر كانت عنده واذا بالصياح في الحلة قد وقع والبكا ارتفع فانزعج عنترة لذلك وارتعد وهم ان يركب ويكشف الخبر واذا باخيهِ شيبوب قد اقبل اليهِ ويداه مشتبكتان وهو يقول اه واعظم محنتاه قد انهدم ركن اخي عنترة بعدك وعظمت المصائب لفقدك فقال لهُ عنترة يا اخي ما الخبر فقال لهُ يا ابن العم قتل عروة بن الورد وهو العزيز عليك وقد اخذت الاعداء راسهُ وها جثتهُ قد جاءَت بها اصحابهُ اليك

قال الراوي فلما سمع عنترة ذلك الكلام قامت قيامتهُ ووقع مغشياً عليهِ ولم يعد يعرف ما بين يديهِ وانقلب الحي بالاعوال وضجت لعروة النساء والرجال وكان السبب في ذلك ان عروة كان مشغوفاً بحب ولده لانهُ كان بارعاً في الحسن والجمال وهو اشبه الخلق بابيهِ في كرمهِ وفصاحتهِ ولباقتهِ وفروسيتهِ وكان عروة من محبتهِ لهُ يركب معهُ كل يوم ويبعد بهِ عن الاوطان ويجاولهُ في الميدان ويمهره في ابواب الحرب والطعان الى ان خرجا ذات يوم على سبيل العادة وابعدا في البر والاكام وكان معهما عشرة فوارس فبينما هم كذلك واذا بخيل قد طلعت عليهم من صدور البر وهم خمسمائة فارس كالاسود العوابس وفي اوائلهم فارس طويل في تقاطيع الفيل غائص في الحديد والزرد النضيد وهو يزعق يا الضيان يا ارباب الطعان انا حسان بن ثابت صاحب الدين القديم والثار العظيم فلما راه عروة قال يا اولاد

العم هذه خيل قد طلعت علينا فكانكم بها قد وصلت الينا واريد ان يخرج واحد منكم اليهم ويعلم لنا من هم من العرب وما مرادهم منا والطلب فلم يتم كلامهُ حتى خرج من العشرة فارس واسرع بجواده حتى صار في وجوه القوم وزعق عليهم وقال من اي الناس انتم ومن اي العرب قبيلتكم اخبرونا قبل حلول المنية واحاطة الرزية ثم وقف يسمع الجواب واذا بمقدم القوم زعق بهِ وقال لهُ ويلك نحن بنو ضبيان وقد قتل عروة اخي عامر والبسني العار عند كل وارد وصادر . وانا اتيت لاقتلهُ واخذ منهُ ثاري واكشف عني ذلي وعاري .
وكان السبب في ذلك ان عروة في اول منشاءِه كان قد جاز في بعض مسيرهِ احياء بني ضبيان وساق اموالهم وقتل اخا هذا الغلام وكان هذا صغير السن فلما بلغ مبلغ الرجال نظرت عينهُ الى جارية من بنات عمهِ يقال لها ريحانة وكانت ذات حسن وجمال فوقعت محبتها في قلبهِ واخذت بمجامع لبهِ ولما زاد بهِ الشوق اليها خطبها من ابيها فقال لهُ يا ابن العم ما انت الا اكرم من خطب واجل من بهِ يرغب ولكن انت تعلم انهُ لا يخطب البنات الابكار ربات الخدور والاستار الا من ياخذ الثار وينفي عنهُ العار وانت ماسور وعليك ثار دم اخيك ابن امك وابيك الذي قتلهُ عروة بن الورد العبسي فاذا لم تاخذ لهُ بالثار فلا تتعرض للبنات الاخيار .

قال الراوي فلما سمع حسان ذلك الكلام هاجت بقلبهِ نيرانهُ وزادت عليهِ احزانهُ وقال لهُ يا عماه اشهد عليك العرب انني متى اخذت ثاري زوجتني ابنتك فاشهد ابو الجارية عليهِ وصافحهُ وقام حسان من حضرتهِ واجتمع ببني عمهِ وعشيرتهِ وشاورهم في امرهِ واطلعهم على سره فقالوا لهُ كلنا نبذل انفسنا بين يديك ولا نبخل بارواحنا عليك فطاب قلبهُ بذلك وارسل من يومهِ عيونًا وارصادًا تاخذ لهُ اخبار عروة فساروا وعادوا اليهِ واخبروه ان عروة لهُ مدة في ديار بني عبس ولكنهُ يخرج كل يوم بولده زيد ويبعدان ساعة عن الحي ويخلو عروة بهِ في البر ويعلمهُ الكر والفر فلما سمع حسان هذا الخبر فرح واستبشر وخرج في خمسمائة فارس من صناديد بني ضبيان وسار حتى قارب ديار بني عبس وكمن في تلك الارض من غياب الشمس حتى اصبح الصباح واضاء بنوره ولاح وخرج عروة كما ذكرنا ومعهُ ولده والعشرة الفوارس كما وصفنا فهنالك خرج حسان بن ثابت بمن معهُ وقصد عروة واصحابه وولده زيدًا اما الفارس الذي انفذه عروة ليبصر الخبر فمضى وعاد اليهِ على الاثر وقال لهُ ان القوم من بني ضبيان ومقدمهم حسان بن ثابت وهو مطالبك بدم اخيهِ عامر الذي قتلتهُ في الزمان الغابر فلما سمع عروة ذلك ضحك عجبًا ثم حمل في العشرة الذين كانوا معهُ واكب

راسه في قربوس سرجه ونادى ويلكم يا اوغاد أأنتم تتعرضون لبني عبس الكرام الضاربين بالحسام الفالقين الهام وتطالبونا بدم قتيل قتلناه من زمان طويل ونحن قبيلتنا ابداً سيوفها تطول واسيرنا لا يفادى الا باشطان النصول فلم يتم عروة كلامه حتى قفز اليه حسان وصار معه في الميدان وقال له ويلك يا ابن الورد اما علمت ان صاحب الثار لا ينام وان الثار لا ينسى وانا ما خرجت من قومي قاصداً اليك الا حتى اخذ روحك من بين جنبيك لانك قد افجعتني باخي ابن امي وابي

قال الراوي ثم اطبق كل منهما على صاحبه واخذا في القتال فاستظهر عروة على حسان فلما نظر رفاقه اليه وهو مع عروة تحت النقصان وقد استظهر عروة عليه في الجولان اطبق الخمسمائة فارس على عروة حملة واحدة وزعقوا الثار الثار فلما نظرت العشرة الفوارس الى فعالهم حملوا عليهم وردوهم عن عروة وجالوا معهم ساعة من النهار ثم انفرد مائة فارس واستقبل اصحاب عروة وحملت الاربعمائة على عروة واعانوا حساناً فلما راى عروة ذلك ايقن بالمهالك فاطبق عليه حسان واسجاده بطعنة في صدره فمال عن الجواد يخور في دمه وقتل من اصحاب عروة سبعة فوارس وترجل حسان وقطع راس عروة واخذه وعاد الى دياره فوقعت البشائر والافراح وحمل حسان راس عروة الى عمه وقال له يا عم اعلم ان هذا راس من عيرتني به ثم رماه بين يديه وطلب منه زوجته فانعم له بها واجابه الى ذلك واوصل النسب بالنسب وزفت الجارية الى حسان ولما كان بعد ثلاثة ايام اجتمع مشايخ العشيرة الى حسان وقالوا له يا حسان انت ذهبت الى ارض بني عبس وقتلت عروة بن الورد واضرمت علينا ناراً محرقة وصاعقة مبرقة فكانك ببني عبس وعنترة بن شداد قد قلعوا الابيات وما فيها من المضارب والاوتاد ولا يقبل عنترة منا عذلاً ولا يسمع عذراً وتكون انت السبب في هلاك القوم فقال حسان يا بني عمي انا ما قتلت عروة الا وانا عالم انني كفوء لبني عبس اهزمهم الى مطلع الشمس واقتل عنترة بن شداد فكونوا انتم من ذلك في امان واطمئنان واذا اتى عنترة بن شداد وبنو عبس الى هذا المكان اريكم ما افعل بهم واكفيكم شرهم

قال الراوي فلما سمع القوم كلامه سكتوا. هذا ما كان من هولاء اما ما كان من زيد بن عروة والثلاثة الذين سلموا من العشرة فانهم انهزموا ووقفوا بعيداً عن المعمعة الى ان اخذ الاعداء راس عروة وساروا الى ديارهم فعاد زيد والثلاثة الفوارس واخذوا جثة عروة وحملوها وعادوا وقد اقبلوا بالبكاء الدنيا ووقعت الزعقة كما ذكرنا واتى شيبوب عنترة بالخبر كما وصفنا فلما راى عنترة جثة عروة بلا راس اخذ يقبلها ويبكي ويقول لاخربن ديار

من فعل بك هذه الفعال هذا والنسوان باكيات صارخات وزيد بن عروة مشقوق الثياب ثم سال عنترة من كان مع عروة عمن قتله فقالوا له حسان بن ثابت الضبياني اخذه بثار اخيه عامر لان حسانًا كان قد خطب جارية من حيه وهي بنت عمه فعيره ابوها بعجزه عن الثار فقال له وعند من ثاري فقال ثار اخيك عامر عند عروة بن الورد العبسي فسار الينا في خمسمائة فارس وقتل عروة واخذ راسه فلما سمع عنترة هذا الحديث صعب عليه وكبر لديه اما زيد بن عروة فاخذ يرثي اباه بالاشعار ويقول

ولما بغى الباغي عليّ بقتلهِ ... تمكن مني الخوف وانقطع الظهرُ
واصبحت من حزني عليهِ كانني ... اخو سكرة في راسهِ دارت الخمرُ
دعاني وحيدًا ليس لي من مساعد ... فياليتني معهُ وقد ضمنا القبرُ

فلما سمع عنترة من زيد هذه الابيات شق اثوابهُ وصاح باعلى صوتهِ والاخاه واصديقاه فبكت بنو عبس لبكائهِ وقامت في الحي المآتم لندائهِ ثم حفر عنترة قبرًا لعروة ودفنهُ فيهِ ونحر عليهِ النوق والاغنام وفرق لحومها صدقة عن عروة للضعفاء والارامل والايتام وعانق القبر وبكى بدموع سجام وانشد وقال

سقاك الحيا يا قبر عروة والندى ... الى ان يرى من فوقك العشب مربعا
ففيك ثوى من كان سيفي على العدى ... وعندك قلبي لا يزال مروعا
ولما تفرقنا كاني وعروة ... لطول الليالي لم نبت ليلة معا
خليلي قد اضحى هنائي مفرقًا ... وربع اصطباري اليوم قد صار بلقعا
وسيفي مفلولاً ورمحي محطمًا ... وركني مهدومًا وقلبي مروعا
نعى عروة الناعي فزاد تقلقلي ... وايقنت اني ميت عند ما نعي
فياليتني من قبل مصرع عروة ... فقدت جميع المال والاهل اجمعا
ويا ليتني ما كنت قد عشت بعده ... فان فوادي لا يطيق التفجعا
بنيت بناء المجد بالسيف عنوة ... وعروة ركن من بنائي تضعضعا
ادافع كل الحادثات جلادة ... وسيف المنايا لم اجد منهُ مدفعا
ولولا يقيني انني لا اخونهُ ... لاندبهُ ما الصبح لاح واطلعا
ولكن مشيب الراس اعلم انهُ ... نذير لداعي الموت يومًا اذا دعا

قال الراوي فلما سمعت بنو عبس هذا النعي انحدرت دموعهم من الاجفان ثم ان عنترة عاد من القبر وقال لشيبوب قدم لي الابجر فقد آن اوان ركوبهِ فما كانت الا ساعة حتى رمى

شيبوب السرج على ظهر الابجر وشد حزامهُ واصلح عدتهُ فاستوى عنترة على صهوتهِ وانكبهُ مشتعل بلوعتهِ ونادى بالعبس الكرام الثار الثار انفوا عنكم العار فاجابت بنو عبس نداه ونفرت نفور القطا وما تخلف عن المسير الا الملك قيس واخوتهُ وسارت بنو عبس الاجواد وقدم عنترة زيداً على رجال ابيهِ فساروا وقد اخرجوا الايادي من الدروع واجروا على الخدود سواكب الدموع وطلبوا ارض بني ضبيان هذا ما كان من هولاء واما ما كان من بني ضبيان فانهم ظلوا تحت القلق حتى وصل اليهم الخبر ان عنترة ثائر اليهم فجمعوا حلفاءهم واصدقاءهم وصاروا يداً واحدة وحصنوا حريمهم واموالهم في الشعاب واقاموا لهم ديادبة على الطرقات ولبثوا منتظرين البلاء والويل هذا وحسان بن ثابت قد مات بجلده لما سمع بخبر مجيء عنترة ونظر بني عمهِ في خوف وحذر فقام الى زوجتهِ في ظلام الليل المعتكر واركبها على جواد سابق وركب هو ايضاً جواده وذهبا على وجوههما في الليل الغاسق ولم يدر بهما احد من الخلائق فلما اصبحت بنو ضبيان طلبوهما مع الفرسان فلم يروا لهما اثراً فاجتمعوا الى وشاح بن راجح وقالوا لهُ والله ما قصر معنا حسان بما فعل فانهُ قتل عروة بن الورد وسلط علينا عنترة بن شداد واخذ ابنتك وهرب في الوهاد وتركنا هدفاً للمصائب مع عنترة فقال لهم وشاح قد جرى سهم القضاء بما فيهِ فكونوا على اهبة الحرب فقالت بنو ضبيان والله يا امير لا نتخلى عنك ولا عن الحريم حتى تلعب الخيل برؤوسنا فبينما القوم في المشاجرة واذا بالديادبة والارصاد اقبلت تخبر ان خيل بني عبس قد ظهرت فاضطربت بنو ضبيان وعلا الصياح من الفرسان ووثبوا الى الخيل فركبوها وركبت معهم بنو الوحيد وباهلة وهلال وعاتكة واقبلوا طالبين بني عبس ولم يبعدوا عن الديار حتى ظهرت لهم فرسان عبس من تحت الغبار يقدمها فارسها الكرار عنترة بن شداد فالتقى القوم بالقوم وشرعوا في الطعان حتى فاضت الارض بالدما وامتلات بالقتلى وكان عنترة كلما قتل قتيلاً ينادي يا لثارات عروة بن الورد هذا والدماء تسيل من حسامهِ والابطال تهرب من امامهِ ولم يزل الامر كذلك حتى اقبل الليل بظلامهِ وقد قتل في ذلك النهار من بني ضبيان الف وخمسمائة انسان ولولا قدوم الليل لما كان بقي منهم شيخ ولا غلام ثم تحارس الجمعان واوقدوا النيران حتى اصبح الصباح فعندها ركبت بنو ضبيان وفي اوائلها وشاح واصطفت الصفوف فهنالك برز عنترة ونادى يا لضبيان ابشروا بخراب دياركم وقلع اصولكم لاجل تعرضكم لخليلي عروة ثم انشد وقال

يا عين ابكي عند كل صباح ابكي لفقد الفارس البطاح

قد كان ذخري في الحوادث كلها ولدى النزال يكون مثل جناحي
قد كان لي سيفًا يجول على العدى فرماه صرف الدهر بالاتراح

قال الراوي فما اتم عنترة كلامهُ حتى برز اليهِ وشاح وقال لهُ ويلك اما لبغيك على العرب ان يمضي ويذهب ثم انهُ اطبق عليهِ فتلقاه عنترة وطعنهُ بالرمح في صدره اطلعهُ يلمع من ظهره ونادى يالثارات عروة وطلب الحرب والقتال ونادى فما خرج اليهِ احد ثم حملت القبائل عليهِ فلما نظر عنترة القبائل وقد حملت واطبقت غاص فيهم وحمل ميسرة ومازن وسبيع اليمن والمطال خلفهُ وحملت بنو عبس وراءهم وزيد بن عروة قدامهم وخاضوا العجاج وتلاطمت القبائل بالامواج وفي دون ساعة صار الضياء ضبابًا واهلك عنترة الرجال افواجًا افواجًا وقلع الاحياء وهو يتحسر على حسان بن ثابت كيف خلص وهرب ثم عاد طالبًا ارض بني عبس وقد سال بعض الاسارى عن حسان فقالوا لهُ ياحامية عبس انهُ اخذ زوجتهُ وهرب ويلغنا انهُ استجار بدفافة بن هود بن شماس وانهُ اجاره من دون جميع الناس ووعده بالنصر والظفر فلما سمع عنترة ذلك الكلام صار ياكل كفيهِ وسار حتى وصل الى الديار وعدل على قبر عروة بن الورد وذبح جميع الاسارى عليهِ وانشد وقال

اعيناي لِمْ لا تبكيان لعروة اذا بت مسرورًا وحق بكاكما
فان انتما لم تبكيا كل ساعة حرامٌ عليَّ النوم وقت كراكما
وان كنتما لم تبكيا فقد عروة فعودا الى لهو وقلاَّ عزاكما
سابكي خليلي عروةً كل ليلة اذا ما حمام الايك هاج بكاكما
الا فانداباه كل وقت وساعة ولا سي ان داعي الطعان دعاكما

قال الراوي ثم انهُ بعد ذلك جد المسير في طلب حسان بن ثابت وصاح في رجالهِ وابطالهِ وهمَّ بالمسير واذا بالملك قيس ركب ووصل اليهِ وهناه بالسلامة والنصر والظفر وبكى في وجههِ على عروة ثم قال لهُ ياحامية عبس الى اين عزمت قال عزمت على طلب الثار من حسان بن ثابت فقد بلغني انهُ استجار بدفافة بن شماس وقد اجاره وانا الان سائر اليهِ لاقلع شافتهُ فلما سمع الملك قيس كلامهُ قال لهُ اغدُ محفوظًا وبعين الله ملحوظًا فسار عنترة في خمسمائة فارس هذا ما كان من هولاء واما ما كان من حسان بن ثابت فانهُ لما هرب تلك الليلة هو وزوجتهُ لم يزل يدور على قبائل العرب يستجير بهم فكل من عرف ان غريمهُ عنترة يصرفهُ عنهُ ويقول لهُ اذهب واستجر بغيرنا ودعنا امنين في ديارنا فنحن ما لنا طاقة بعنتر ولا بمن معهُ من العسكر فلو كان غريمك كسرى او قيصر او ملوك بني الاصفر لكنا اجرناك منهم

ومن كل من سكن البر الاقفر الا من عنترة و بني عبس الغرر فما الناطاقة بلقاء ذلك البطل الغصنفر وان نحن اجرناك ياتي الينا و يخرجنا من اطلالنا

قال الراوي ولم يزل على ذلك الحال الى ان وصل الى قبيلة بني قريع ونزل على سيدها دفافة بن هود بن شماس وكان ذلك الفارس اوحد اهل زمانه تحمل اليه العرب الغفارات وتذل له السادات فلما دخل عليه حسان تلقاه بالاحسان واضافه ثلثة ايام وبعد قضاء حق الضيافة سالهُ عن حاله فعرفه انه جاء مستجيرًا به من غائلة وقع فيها فقال له دفافة ها انا قد اجرتك فمن هو خصمك من فتيان العرب حتى ابيد لك شافتهُ واقلع غابرتهُ فقال له حسان ايها السيد اعلم انهُ ليس خصمي ملكًا عظيم الشان بل هو عبد اسود يقال له عنترة بن شداد وهو مطالبني بقتيل قتلتهُ يقال له عروة بن الورد وكان هذا قد اغار علينا في الزمان الغابر وقتل اخي عامر فلما كبرت خطبت بنت عمي فقال لي ابوها انت رجل ماسور فان اخذت ثارك زوجتك بابنتي فقلت لهُ ياعماه وثاري عند من من الفرسان فقال عند عروة بن الورد العبسي

قال الراوي فلما سمعت بذلك اخذت معي خمسمائة فارس من قومي وكمنت لعروة في ارض بني عبس حتى خرج من الحلة فقتلتهُ وتزوجت بنت عمي وبلغ الخبر عنترة فسار في بني عبس الى ارضنا وقتل من قومي مقتلة عظيمة واخذ منهم خمسمائة اسير وذبحهم في ارض بني عبس على قبر صاحبه عروة وقد استجرت فيك فلما سمع دفافة ذلك القول من حسان قال له طب نفسًا وقر عينًا فلك مني حصن حصين وجبل متين ارسل الى قومك ودعهم ياتون اليك حتى اذب عنكم كلكم ففرح حسان بقوله وارسل الى قومه وعشيرته والى بني الوحيد وباهلة وبني هلال فلم تكن الا ايام قلائل حتى قدمت الثلث القبائل وهم يبكون ويتعجبون ما جرى عليهم من عنترة بن شداد ومن قتل ومن اسر فاستقبلهم دفافة احسن استقبال وانالهم اشرف منال وضمن لهم النصر والظفر وبلوغ المنى من بني عبس وعنتر

قال الراوي هذا ما كان من هولاء وما جرى لهم من الايراد واما ما كان من عنترة بن شداد فانهُ سار يقطع الارض في طولها والعرض وهو في خمسمائة فارس صناديد ولم يزل سائرًا حتى وصل الى ديار القوم فلما قرب منها قال له شيبوب اعلم اننا قد قربنا من ديار القوم وما في الارض قبيلة الا ولها عليك دم وثار جديد وقديم فالراي عندي انك تكون انت ورجالك في بعض المواضع حتى اسير انا واخذ لك الاخبار وانظر ان كان دفافة اجار حسانًا او لا او عند القوم خبر بسيركم اليهم او لا

قال الراوي فاستصوب عنترة رايهٔ وعدل الى بعض الوديان ونزل فيه بخيلهِ ورجالهِ وفرسانهِ وابطالهِ واخرج شيبوب ثياب حيلته ولبسها وتعمم بعمامة اد ارها على راسهِ وعمل لها عذبة طويلة الى نصف ظهره وركب بعض النوق وعول على المسير فقال لهٔ عنترة ما هذا الزي فقال اريد ان ادخل على القوم في زي شاعر وامدح دفافة بن هود بن شماس واختلط بالقوم وانظر ماذا دبروا واعود اليك بالخبر فاستجاد عنترة كلامهٔ وتعجب من زيهِ فسار شيبوب عند ذلك حتى اشرف على الاحياء والمضارب فاذا هي تموج بقطانها وترتج بسكانها والمضارب قد طبقت الارض في طولها والعرض فحار شيبوب مما راى ودهش مما عاين ولم يزل يخترق المضارب والخيام حتى وصل الى ابيات دفافة بن هود فانكرتهٔ العبيد وتواثبوا اليهِ وقالوا ما حالك يا غلام ومن ابن انت فاننا مامورون ان لا نترك احداً يلم بحينا او يالفهٔ ولا نامن الا لمن نعرفهٔ

قال الراوي فلما سمع شيبوب مقالهم قال لهم لا باس عليكم انا رجل شاعر من حي بني سنبس وقد بلغني كرم سيدكم دفافة بن هود فاتيت اليهِ قاصد ليزيل عني الفقر الزائد لانني ذو عيال وعندي بنات واطفال ليس عندهم شيء من القوت وهم يطلبون الصدقات من البيوت فلما سمعت العبيد مقالهٔ سعوا قدامهٔ الى بيت سيدهم وكان جالساً ذلك الوقت وعنده حسان بن ثابت وسادات قومهِ والخمرة تدور بينهم والقينات تزعق وتدق بالدفوف والمزاهر فدخلت العبيد على دفافة وقالوا لهٔ ايهـــا الامير قد قصدك شاعر بني سنبس يطلب فضلك واحسانك فاتينا بهِ اليك واحضرناه بين يديك فقال لهم دفافة اخرجوا اليهِ وادخلوه علينا فخرجت العبيد الى شيبوب وقالوا لهٔ اعلم ان الملك دفافة بن هود يدعوك الى حضرتهِ فادخل عليهِ واجلس بين يديهِ واطلق لسانك بمدحهِ حتى تحظى بعطاياه وكرامتهِ فعند ذلك عقل شيبوب ناقته بفاضل زمامها وسار اليهِ فلما وصل دخل الى بين يديهِ واسرع في سلامهِ واطلق لسانهٔ وقال حياكم الله يا وجه العرب وعمتكم البركات ولا برحتم في الخيرات الكثيرة ودامت لكم السعادة الوفيرة ابن هو الملك دفافة منكم فقال لهٔ دفافة مرحباً بك واهلاً وسهلاً يا شاعر العرب اجلس وابشر بنيل الارب فجلس شيبوب واكل ما قسم لهٔ من الطعام وسقوه ثلاثة اقداح من المدام فمد يده ولعب على الرباب حتى ابهر عقول الرجال واشار يمدح الملك دفافة ويقول

يا من لهٔ كرم يفيض على الورى ... ما زال كفك بالنوال يجود
انت الذي عم الخلائق فضلهٔ ... ومكارم عنها تضيق البيدُ

يامن له ايدٍ على كل الورى ... بيض اذا ضنّ الزمان تجودُ
انت الذي نال الخلائق رفده ... بمكارم لم يحوها صنديدٌ
اسد تذل له الاسود وتتقي ... سطواته يوم الحروب البيدُ
نلت المناقب من ابيك وانما ... بالاصل طاب الاصل والمولودُ
جازت حدود المدح بعض صفاته ... قدرًا فليس لحدها محدود
ياايها الملك الذي من لم يلذ ... بجنابه يومًا فليس يسود
ان كنت لم تلبس جديد مدائح ... خلقن عان في يديك الجود
فجليت من مدحي عليك عرائسًا ... ما جد مثل جديدها داود
اني وجدت الخلق انت غياثها ... ابدًا واني للنوال اعودُ
فاسلم ودم في نعمة موفورة ... ابدًا عليك رواقها ممدودُ
فوحق جودك لاسواه فانهُ ... ما قبلهُ فيما سمعنا جودُ
الناس ان راموا محاسن عيدهم ... فلنا بوجهك كل يوم عيدُ
فامطر عليّ سحاب جودك انهُ ... غيث على كل الانام يجود
واذا حييت مسلمًا وبقيت لي ... ابد الزمان فانني مسعود

قال الراوي فلما فرغ شيبوب من شعره شكره دفافة وخلع عليهِ خمس جنائب وحجرة عربية وقال لهُ ايها الشاعر لقد اتيتني وانا مشغول القلب والخاطر فقال لهُ شيبوب وما الذي اشغلك ايها الملك فقال لهُ ياشاعر لقد نزلت علينا هذه القبائل واستجاروا بي فاجرتهم وها نحن على اهبة الحرب والقتال والطالب لنا ذلك الاسود عنترة بن شداد العبسي وقد بلغنا الخبر انهُ قادم علينا ووارد الينا اما ترى خيولنا مسرجة ملجمة فاننا قد اهبناها لوقت الحاجة اليها ثم جعل دفافة يحدث شيبوبًا بالحال وسبب نزول حسان عليهم في تلك الاطلال وكان شيبوب يدير عينيهِ في الحلل ويضبط عدد العساكر والجحافل ساعة من الزمان وعول بعد ذلك على المسير

قال الراوي . فبينما شيبوب سائق الجنائب التي اعطاهُ اياها دفافة بين يديهِ ومراده الخروج والمسير واذ دخل على دفافة عبد من عبيده يقال لهُ سارح فنظر الى شيبوب وهو يودع مولاه والنوق والخيل بين يديهِ وورآه فقال لهُ سارح يامولاي من يكون هذا العبد الغريب الذي قربتهُ منك هذا التقريب واعطيتهُ هذه الاموال والخيل والجمال فقال دفافة

ياسارح هذا شاعر بني سنبس وقد مدحني بابيات من شعره فاعطيتهُ هذه العطية فلما سمع العبد كلام مولاه تفرس في شيبوب فعرفهُ معرفة جيدة فصاح صيحة كالرعد القاصف وصفق بيديهِ وقال لدفافة هذا العبد يامولاي ما هو من بني سنبس ولا بني كهلان فقال دفافة وهل تعرفهُ انت ياسارح فقال هو سلال محتال خبيث مغتال اذا عدا يسبق الغزال هذا من بني عبس وعدنان هذا افة الزمان ومحنة العربان هذا الريح الهبوب والبلاء المصبوب هذا اخو عنترة شيبوب

قال الراوي فلما سمع دفافة هذا الخطاب تعجب غاية الاعجاب وصاح في العبيد دونكم وهذا الشيطان فداروا بهِ وقبضوا عليهِ فامرهم ان ينصبوا لهُ خشبة عالية ويصلبوه فبينما هم كذلك واذا بالزعقة قد وقعت والضجة ارتفعت والعبيد من المراعي اقبلت وصاحت وولولت فوقف العبيد عن صلب شيبوب فقال دفافة ياويلكم ما الخبر فقالوا يامولانا عنترة بن شداد قد طرق هذه البلاد واغار على الاموال وقتل جماعة من الرجال فلما سمع دفافة ذلك امرهم ان يشدوا شيبوباً الى بعض اعمدة البيوت وقال وحق ذمة العرب لاصلبنهُ حتى اخذ اخاه عنترة واصلب الاثنين على خشبتين ثم امر العبيد فقدموا لهُ جواداً فركب وقال الخيل ياارباب الخيل فتبادرت القبائل وامتطت الفرسان ظهور الصواهل

قال الراوي وكان السبب في مجيء عنترة واغارتهِ على الاموال انهُ كان في انتظار اخيهِ شيبوب فلما مضى النهار والليل وما راى لهُ خبر اخذه القلق والضجر وقال والله ما غاب الا لسبب من الاسباب ثم قال لابن اخيهِ المطال كيف يكون العمل فقد ضاقت بي لغيبة شيبوب الحيل واخاف ان يكون قد عرفهُ احد في هذه الارض فقال المطال اركب فان كان شيبوب مطلقاً عدل الينا في الحال وان كان قد وقع في شدة ادركناه قبل الهلاك والوبال وخلصناه من غير مطال فاستصوبوا رايهُ فركب عنترة في رجالهِ وقصدوا المراعي واخذوا الاموال وطرحوا في اقفية العبيد ضرباً مثل فتوق الاعدال فعادت العبيد على الاعقاب كما ذكرنا وركب دفافة وركبت معهُ قبيلتهُ وحسان بن ثابت وعشيرتهُ ولم يزالوا في المسير حتى اشرفوا على عنترة واصحابه فلما نظرهم دفافة حقر امرهم وداخلهُ فيهم الطمع وقال وحق اللات والعزى ما عنترة الا مجنون فقال لهُ حسان يامولاي لا تحتقر هذه الطائفة على قلتها فانها اذلت رقاب الجبابرة واخمدت اعنة الفراعنة والاكاسرة خصوصاً فارسها وحاميها فقال دفافة لحسان والله لو لم يكن امراً عجيباً لما تركت احداً يعاونني عليهِ ولا خرجت اليهِ الا خالياً من السلاح ولا بد ان اخذ عنترة من رقبتهِ واصلبهُ مع اخيهِ شيبوب واترك النساء

تشق عليهِ الجيوب ثم ان دفافة دعا خالهُ وكان اسمهُ خالد بن دقاع وقال لهُ اخرج الى هولاء القوم واخبرهم عن باسي وسطوتي وقل لعنترة ويلك لا تظن دفافة كمن لاقيت من الاقران واعلم ان حسانًا قد صار جارنا واكل من طعامنا فما نحن ممن يتخلى عن الجار ونحن نحميه ونرد عنهُ اعاديه فان اجابك الى ما تريد كان والا فاقتلهُ او ائتني بهِ اسيرًا فقال السمع والطاعة ولا تعرف هذا الا مني وان ابى اتيتك بهِ اسيرًا ثم خرج وسار حتى قارب عنترة وعشيرته وكان عنترة قد وقف عن المسير ينظر النفير وقد دارت بهِ خيل دفافة واحاطوا بهِ من كل مكان فبينما هو كذلك واذا بخالد خال دفافة قد اقبل ونادى باعلى صوتهِ ويلكم ايتها الشرذمة اليسيرة والعصابة الحقيرة انا خالد خال دفافة بن هود بن شماس وما ارسلني ابن اختي اليكم الا شفقة عليكم لانهُ راكم طائفة قليلة فما احب ان يبغي عليكم وانا اتيت اليكم حتى احذركم وانذركم واحذر اسودكم الزنيم وعبدكم اللئيم واعرفهُ ان ليس لهُ في ارضنا مطمع وان ابى ذلك ولم يرجع اخذتهُ اسيرًا فعند ذلك اراد عنترة ان يبرز اليهِ واذا بمازن قد حمل عليهِ واطلق عنان الجواد وساوى خالدًا في مقام الطراد وزعق بهِ وقال ثكلتك امك وعدمك قومك من تكون انت حتى تتكلم هذا الكلام في حق عنترة بن شداد فوحق ذمة العرب وشهر رجب لا بد لنا من هلاككم اجمعين ثم ان مازنًا طعن خالدًا خال دفافة بالرمح في صدره اطلعهُ من ظهره وصال بعد ذلك وجال وانشد وقال

نحن الذين تركنا ظبية مثلاً ... بالبيض طورًا وبالخطية السمر
الباذلين نفوسًا كلها همم ... انعم بهم من كرام سادة غرر
يا آل ظبيـــة هموا والتقوا بطلاً ... لو قابل البحر لم يجري على قدر
هل فيكم بطل يدنو الى بطل ... في كفهِ ذكر يعلو على ذكر

فلما راى دفافة خالهُ قتيلاً اسودت الدنيا في عينيهِ وقال الان قد طاب اللقاء ثم قفز الى الميدان ونادى يا بني عبس من عرفني فقد اكتفى ومن لم يعرفني فما بي خفا انا دفافة بن هود بن شماس ثم ترنح على جواده ومال وانشد وقال

يا لئيماً قد فاق كل اللئام ... سوف ارديكم بحد الحسام
ثم اسقيك كاس حتفك صرفًا ... تكدم الارض مثل اكل الطعام
بحسام يشفي الصداع من الراس ... ويطفي نار الوغى ذي الضرام
لي فخار في الحرب ما ليس يخفى ... ساعيًا في العلى كبدر التمام

فلما سمع مازن شعر دفافة ومقالهُ اجابهُ يقول

لنا شرف الفخار على البرايا ... وبالافعال ذللنا الصعابا
واني الفخر الاقران طورًا ... واكرمهم وازكاهم نصابا
انا خيل ترآت مقبلات ... على الاعداء نقترب اقترابا
واني مازن عبسيُّ اصلٍ ... وسادات يجيدون الضرابا
قتلتم عروة فعليه منا ... دموع العين تنسكب انسكابا
فسوف نبيدكم جمعًا بضرب ... يقد الهام منكم والرقابا

قال الراوي ثم انهما انطبقا وتطاعنا بالرمحين وتماشقا بالسيفين حتى احتجبا عن كل عين وشخصت لهما الاحداق وقامت بينهما الحرب على قدم وساق واطبق دفافة على مازن بصدر حنق وفؤاد محترق فضايقه ولاصقه وسد عليه طرقه وطرايقه وطعن مازنًا في صدره اطلع السنان يلمع من غفارة ظهره فوقع مازن يخور في دمه ويضطرب في عندمه فلما نظر عنترة الى اخيه مازن قتيلاً مزق اثوابه وزعق واخاه واركناه لقد رمتني صروف القدر في الشيخوخة والكبر وفي كل يوم اري في زماني عبر فياليتني قبل هذا اليوم سكنت الحفر ثم انه اشار يرثي اخاه مازنًا بهذه الابيات ويقول

كل يوم اسقى بكاس دهاق ... كاس ذل في الطعم مر المذاق
طال سقمي على شقيقي وخلي ... واخي صاحب الخيول العتاق
قسماً لا سلوت عنه ودمعي ... سائل بالدما من الاماق
كيف يبلى اخي ويذهب حزني ... وهو سيفي قد كان يوم التلاق
ففؤادي قد ذاب من الم الحز ... ن وقلبي من غمه باشتياق
يا هامًا مضى وخلف في القلـ ... ـب لمثواه شعلة الاحتراق
مازن فارس البرية جمعًا ... وهام في ذروة العزّ راق
فارس كلت الفوارس عنه ... في مجال الهياج والانطباق
يا بني عبس اندبوا فارس الحر ... ب فذاك المشهور في الافاق
كيف يحلو من بعد مازن عيشي ... بعد ما بان شخصه للمحاق
كيف صبري عنه وما كان الا ... عدتي عند شدتي واختناقي
كيف لا اصطلي مكابدة الحر ... ب وافني الفرسان عند التلاق
يا سراة الرجال يا آل عبس ... يا اسود الوغى خير الرفاق
اشهروها حربًا عوانًا وصولوا ... صولــة تهلك الرجال البواقي

كان كالبدر في السماء ولكن خانهُ في الطلوع سهم المحاق
يادموعي فيضي عليهِ وجودي بانهمال يا اعيني باندفاق
كل شيء يفنى وحزني باقٍ ما انار الهـــلال في الافاق

قال الراوي ولما اتم عنترة نظامهُ صرخ بدفافة وقال ويلك يالئيم قومهِ ووغد عشيرتهِ لقد جلبت لنفسك النار بقتلك هذا الفارس المغوار ولكن ابشر بالدمار ثم صدم كل منهما صاحبهُ واخذ يطاعنهُ ويضاربهُ وجالا طويلاً واعتركا مليًّا وغاصا في الاوايد وصبرا على الشدائد ولم يزالا على ذلك المرام حتى مضت جوهرة النهار فافترقا على سلامة وما فيهما الا من يعض اصابعهُ ندامةً كيف لم ينل من خصمهِ مرامه وكان دفافة قد شاهد من عنترة ما حيره واذهل بصره فاقبل عليهِ عند اقبال الليل وقال لهُ يافارس عبس ان الليل قد اقبل والظلام قد انسدل فاعدل بنا لناخذ لنا راحة الى الصباح ونعود الى الحرب والكفاح فقال لهُ عنترة لا وحق منسم الرياح ما بقي بيننا براح الا بالانفصال واتلاف الارواح فكيف اعود عنك بلا قتال واخي مازن صريع في المجال فان كان لابد لك من الراحة فترجل عن جوادك وانزل قبالي في هذه الساحة وعند الصباح نعود الى الحرب والكفاح فاجابهُ دفافة الى ذلك وقد وقع في قلبهِ منهُ امر متدارك ثم انهما نزلا عن الجوادين واركزا الرمحين واقاما الى الصباح وعند ذلك حمل عنترة على دفافة وهو يترنم بهذه الابيات

عبيلة قالت ويك ياعنتر العلى نعست وما عهدي بانك ناعس
انقعد عن ثار الخليل وقد ثوى صريع العوالي وهو قرم ممارس

الكتاب الثامن والثلاثون بعد المائة

من سيرة عنترة بن شداد العبسي

فقلت لها لا تعذلي بل تيقني فعالي اذا التفت عليَّ الفوارسُ
واني اردُّ القرن في حومة الوغى اذا ازدحمت عند اللقاء القناعسُ
واحتكم الامر الثقيل واصطلي لنيرانهِ والحاسدون عوابسُ
والقى الهموم الطارقات بعزمةٍ اذا كثرت في الطارقين الوساوسُ
اذا فرَّ اقوامٌ تهجمت قسطلاً يهاب حماهُ الفارس المتداعسُ
واني لاشري الحمد ابغي رباحهُ واترك قرني وهو حيران ناكس

وانَّ حديثي في المجالس نزهةٌ   بهِ في المعالي تستعزُّ المجالس

قال الراوي فلما سمع دفافة شعر عنترة اخذه الحنق واراد ان يرد عليهِ جوابهُ فما تركهُ عنترة بل اشغلهُ بنفسهِ في طعانهِ وضرابهِ فتطاعنا بالرماح حتى تكسرت وتضاربا بالسيوف حتى تثلمت وكلَّ دفافة وملَّ واندرس رسم شجاعتهِ واضمحل وارتخت مفاصلهُ وقوائمهُ وانحلت قوتهُ وعزائمه فصاح فيهِ عنترة ارعبهُ ثم ضربهُ بالسيف على راسهِ انزلهُ الى تكة لباسهِ فعند ذلك وقعة الزعقة في بني قريع بعد قتل دفافة والتفتوا الى حسان وقالوا والله لقد كانت طلعتك علينا من اشأم الطلعات فاننا لاجل اجارتك فنيت منا السادات وكنا قبل قدومك علينا قريرين في الديار وها قد قتل فارسنا دفافة فلمَ لا تبرز الى خصمك وتذيقهُ الدمار وتاخذ لفارسنا منهُ بالثار والا وحق ذمة العرب نمسكك ونسلمهُ اياك ان اخترت او لم تختر فلما سمع حسان من القوم هذا الكلام لم يعد لهُ صبر على هذا الملام واثر فيهِ هذا الكلام وعلم انهُ ما بقي لهُ بد من الخروج الى هذا الفارس الهام فاحب ان يكون كريمًا ويموت موت الكرام ولا يكون لئيماً ويغشاه العار بين الانام فعند ذلك قفز حسان بن ثابت بالجواد وما زال حتى قرب من عنترة بن شداد ونادى يا بني عبس وعدنان ها انا حسان بن ثابت الذي قتلت عروة بن الورد وعندي ثاركم وبيدي عاركم اين من يطلب الثار ويكشف الذل والعار فلم يتركهُ عنترة يتم الكلام حتى اخترط الحسام وضربهُ على نصف قامتهِ فكان في تلك الضربة فناء عمرهِ ولما رأت بنو ضبيان حسانًا قتيلاً انحنت لنفوسها واكبت في قرابيس سروجها رؤوسها وصاحت الثار الثار وانطبقت على بني عبس وعلى عنترة وهم مثل موجات البحار وانطبقت القبائل على بعضها وقد هتك عنترة الاستار وصبرت الفرسان على ما نالها وذهب صلاحها وصارت الارواح منتهبة والفرسان منقلبة فلله درُّ بني عبس من قبيلة ما اعظم قوتها واشد حميتها على قلتها وقد كان فارسها بين يديها فهو الذي كساهــا عزا وفخرًا ونهب ارواح الابطال ونثرهم نثرًا ولم يزالوا كذلك الى وقت الزوال فتقهقرت القبائل في القفار والهبهم الصارم البتار وكانت قبيلة بني ضبيان اول من طلب الهرب والفرار وتبعتها بنو هلال في فلوات القفار وكانت بنو قريع على الاثار وقد نظروا من سيف عنترة البلاء وطلبتهم بنو عبس وفرقتهم في الفلاة وملكوا بيوتهم والاموال وسبوا حريمهم والعيال وخلص عنترة اخاه شيبوبًا من الاعتقال وهو لا يصدق ان يراه سالمًا من تلك الاهوال وسالهُ شيبوب عما جرى من العظائم فاخبره بقتل مازن فبكى شيبوب بكاء شديدًا واتى عنترة وسط المعمعة ورفع مازنًا وكانت قد داستهُ الخيل ودرستهُ فدرجهُ في

نطع الاديم وحملة على بعض الجمال وعادوا سائرين بالغنائم والاموال والعبيد حتى وصلوا الى ارض الشربة والعلم السعدي فتجددت بهم الاحزان على عروة ومازن وندبت النوادب وقامت المآتم وعظمت المصائب ودفنوا مازنًا في العلم السعدي ونحر عنترة على قبره جميع الاساري الذين كانوا قد اخذوهم وكان الملك قيس قد التقى بعنترة وعزاه في الامير عروة واخيه مازن وبقي عنترة في بيت الاحزان ثلاثة اشهر كاملة ترك فيها الركوب والغزو وهجر المنازل قال وكان بنو زياد بما جرى على عنترة افرح العباد ويقولون اتبع الله المقيمين بالماضين ولا ابقى منهم بقية اجمعين فياليتهم لم يعودوا سالمين وكان يبلغ عنترة جميع ذلك ويكتمه ولم يزل مداومًا الاحزان وسمعت العرب بما جرى له فاتت اليه وعزته وكانت تلك السنة سنة غلاء وقحط فنفد ما عند اصحابه من المال فدخلوا عليه وعزوه وقالوا له يا ابا الفوارس ما هذه الاحزان التي لا تصلح الا للنسوان فلقد ضرنا قعودك وهلكنا وعلانا الدين وصرنا صفر اليدين فنظر اليهم عنترة وبكى وقال لهم اعلموا ان فقد عروة ومازن قد اقعدني ولكن هيا يا بني العم شدوا خيولكم وسيروا وحدكم فانا بعد عروة ومازن لا اركب جواد ولا احضر معامع ولا جلاد فان فقدهما قد قطع كبدي وسلب الفواد فلامه بنو عمه على هذا الكلام وقالوا له اقل من هذه الاحزان وقم بنا يا فارس الزمان فلا يمكنا ان نخرج من الاوطان الا وانت معنا بامان فانشد لهم وقال

لقد لامني عند القعود صحابتي ... وقالوا الا تغزو اذا البيض سلت
فقلت لهم ان كان عروة فيكم ... ومازن يحميكم اذا الخيل كرت
فاني زعيم لا اجول بمرهفي ... واضرب في الهيجا اذا الاسد كلت
اذا كان يوم الروع يحمي دياره ... ويروى بيوم الحرب زرق الاسنة
ستبكي السيوف المشرفية مازنًا ... وعروة من قد رد في كل رنة
فمقتل مازن ثم عروة هدني ... وقتل غصوب هد حيلي وقوتي
وفي مقتل الغضبان تكدير عيشتي ... ولم يتولى عيش همي للذتي
وسلي تنادي ويلك يا زيد احمني ... فعروة في يوم الكريهة عروتي
فقال لها يا عمتي جاءت العدى ... علينا فملنا والحياة تولت
بعروة عهدي والرماح تنوشه ... واثوابه من دمه قد تروت
اذا ذكرت يومًا غصوبًا ومازنًا ... وعروة والغضبان ناحت وحنت
سابكي عليهم ما حييت بدمعة ... واندب ايامًا نقضت وولت

وكيف حياتي بعد اسد تغيبوا ببطن الثرى ام كيف احمي عشيرتي

قال الراوي فتباكت السادات وزادت بهم الحسرات وتاسفوا على ما فات ولم يزل عنترة يندب الليل والنهار وهو مقيم في الديار فعند ذلك تقدم اليه ولده ميسرة وقال له يا ابتاه آذن لي ان اركب انا معهم الى البر الاقفر ونطلب من الله الرزق الميسر فاذن له بذلك فركب ميسرة في جماعة من الرجال يطلبون المعاش والمكسب كما تفعل فرسان العرب ولم يزالوا سائرين يقطعون الهضاب حتى وصلوا الى واد يقال له وادي الغراب وهو في ارض بني كنانة فاكمنوا فيه واخفوا حالهم في نواحيه فبينما هم كذلك اذ اقبل عليهم هودج برصافية من الذهب الاحمر مجلل بثوب من الديباج يلمع مثل الجوهر الوهاج وهو محمل على ناقة عالية السنام صلبة العظام وبين يدي الناقة اربعون عبداً ومعهم خمسون ناقة محملة من الثياب الغوال والقماش والاموال ومن خلفهم مائتا فارس للحديد لوابس بايديهم السيوف الصقال وعلى اكتافهم الرماح الطوال فلما نظر ميسرة وبنو عبس الى ذلك علموا ان في الهودج عروساً سائرة من ديار اهلها لتزف الى بعلها فعند ذلك حمل ميسرة عليهم وهو يقول لهم ويلكم يا انذال الرجال اتركوا ما في ايديكم من هذه الاموال واطلبوا لانفسكم الهزيمة والانفلال قبل ان يحل بكم الهلاك والوبال ثم انه اكب راسه في قربوس سرجه وزعق وعلى الهودج والعبيد انطبق وضرب العبد الذي كان ماسكاً بزمام الناقة بيده طير راسه عن جسده واخذ في زمام الهودج وسلمه الى بعض جنده فعند ذلك طلبته الرجال ودارت من حوله الابطال لما راوه قد فعل تلك الفعال فكر ميسرة عليهم واعمل حسامه فيهم ورماهم على وجه الصعيد وساعدته الابطال الصناديد وكان في جملة من قتل في المعمعة اخو العروس زياد بن اكال الاكباد اما زوج الجارية الذي كانوا سائرين بها اليه فهو الملك ملجم بن حنظلة الطائي اخو شارب الدماء

قال الراوي فلما نظرت الفرسان الذين معهم العروس الى تلك الفعال ولوا الادبار وركنوا الى الفرار فمنهم من سار بالخبر الى بعلها ومنهم من سار الى ابي الجارية يخبره بقتل ولده وسبي ابنته اما بنو عبس فحازت الغنائم والاموال والخيول الغوال والعروس وما معها من الرحال وعادوا طالبين ديارهم والاطلال وهم فرحون بذلك الشان الى ان وصلوا الى ديارهم وقر فيها قرارهم فبلغ الخبر الملك قيس بما فعلوا من الفعال وبما دخل الى الحي من الاثقال والرحال فعظم ذلك عليه وكبر لديه وخاف من بني طي وكندة ان تطلب قتالهم وتغزوهم في اطلالهم فركب في عاجل الحال جواده وسارت من حواليه عبيده واجناده

ولم يزل سائرًا حتى وصل الى عنترة في خيامهِ ودخل عليهِ فاستقبلهُ وسلم عليهِ فقال لهُ يا ابا الفوارس وزين المجالس اعلم ان ولدك ميسرة قد اضرم علينا نارًا لا تطفأ ولهيبًا لا يخفى وكانكم ببني كندة وبني طي قد جاؤا الينا مجيء السيل وانتشروا حوالينا انتشار الليل يطالبوننا بثارهم الذي استكن في نفوسهم وجعلوا حجتهم لذلك اخذ عروسهم فقال لهُ عنترة يا ملك طب نفسًا وقرّ عينًا فانهم اذا قدموا علينا خرجنا اليهم في الحال وسقيناهم كاس الوبال فقال لهُ قيس يا حامية عبس اسالك بمن اطلع الشمس وفضل اليوم على امس ان تنعم علينا بهذه العروس واموالها وما كان معها من رجالها حتى نردها الى اهلها ونعيدها الى اطلالها ونطفي ما اشعل علينا ولدك من النار ونبدي لهم الاعتذار

قال الراوي فتبسم عنترة من هذا المقال وقال لهُ ايها الملك الرئبال وتربة ولدي الغضبان واخيهِ غصوب قاهر الشجعان واخي مازن عروس الميدان وصديقي عروة زين الفرسان لا اردّ لهم مالاً ولا نوقًا ولا جمالاً الا بعد ضرب يقدّ وطعن يهدّ فلما سمع الملك قيس هذا الكلام قام على الاقدام وخرج من عند عنترة وهو حردان لما انهُ لم يجب سوالهُ امام الفرسان هذا ما جرى للملك قيس وعنترة واما المنهزمون فلم يزالوا سائرين الى ان وصلوا الى ابي الجارية آكال الاكباد ونعوا اليهِ ولده واخبروهُ بسبي ابنتهِ فعظمت عليهِ حسرتهُ وزادت مصيبتهُ وكتب في عاجل الحال الى الملك ملجم بن حنظلة الطائي زوج ابنتهِ يخبرهُ بان فرسان بني عبس سطوا عليهم في الطريق واخذوا عروستهُ فلما بلغهُ ذلك قامت قيامتهُ وشخر ونخر وطار من عينيهِ الشرر وفي عاجل الحال ارسل الى حلفائهِ ومن يعتمد عليهم في شدتهِ ورخائهِ فاتت اليهِ عدة قبائل من فارس وراجل منهم بنو اسيد وبنو القين وبنو كندة حتى صاروا في خمسين الف فارس من كل مدرع ولابس وما فيهم الا من لهُ على بني عبس ثار جديد وقديم ويود ان يحل بهم العذاب الاليم وساروا يريدون بني عبس بهذا الجيش العميم

قال الراوي فلما بلغ قيس بن زهير ان ملوك اليمن قد سارت اليهِ مع زياد بن آكال الاكباد والملك ملجم بن حنظلة لياخذوا منهم ثارهم ويخلصوا عروسهم وينفوا عنهم عارهم صعب عليهِ وكبر لديهِ وفي عاجل الحال جمع من بني عبس الاكابر وحدثهم بامر تلك العساكر فداخل قلوبهم الفزع واعتراهم الخوف والجزع وقالوا ايها الملك قل لنا ما السبب في قصدهم الينا وقدومهم علينا فقال لهم يا بني عمي ان السبب هو ميسرة بن عنترة وانا ما لي الا الرحيل من هذه الحلة ما دام لي على الرحيل قدرة واخليها لعنترة ولولدهِ ميسرة ولا

ارجع اجاورهُ ابدا ولو جُرّعتُ كاس الردى اذ انهُ لا ياتينا عدوٌّ الا بطلبهِ ولا نلقى الاذية الا بسببهِ . ومن اجلهِ تقصدنا العربان وتغزونا في وسط الاوطان .

قال الراوي . فعند ذلك قال الربيع بن زياد وكان كلامهُ عن خبث و بغضة وكياد والله لقد صدقت ايها الملك فاننا لم نلقَ العدوان من اول ايامنا الى الان الا من اجل عنترة واولاده وانا ايضًا اذا تحققت الخبر رحلت معك وسلكت البر الاقفر وبلغ هذا الحديث بمامهِ عنتر فتنغص عيشهُ وتكدر وقال لبنت عمهِ عبلة ألا ترين يا ابنة العم كيف ان قيسًا قد اغلظ في المقال وجحد ما بنيت لهُ من المنازل العوال فقالت لهُ عبلة ارحل بنا يا ابن العم من ديارهم واترك ارضهم وامصارهم فالحمد لله رزقك واسع وسيفك قاطع فقال لها عنترة اعلمي يا ابنة العم اني ان رحلت من هذه الساعة يقولوا ان عنترة بن شداد ما رحل الا خوفًا من هذه العساكر والاجناد ولكن اذا كسرت عنهم هذه العساكر ارحل بعد ذلك ثم انهُ جمع بني عمهِ واخبرهم بخبر الجيوش السائرة اليهم وانها عساكر كثيرة وقال لهم نريد ان ننفذ الى الاصدقاء والخلان ومن يعز علينا من الفرسان

قال الراوي . فبينما هو يدبر ذلك المرام واذا بالملك قيس قد دخل عليهِ و بادأهُ بالسلام وقال لهُ اعلم يا ابا الفوارس اننا كنا في غنىً عن هذه الفتنة والتعب فقد جلبتم لنا ولقومنا الكد والنصب فقال لهُ عنترة يا ملك ان كنتَ خفتَ من لقائهم فارحل انت ومن تشتهي ولا تراهم واذا جاؤُا دعني القاهم فقال لهُ قيس اين ارحل انا وعشيرتي واترك مربعي وقبيلتي ولكن الراي عندي اننا نتساعد عليهم ونلقاهم ومن بعد هذا اليوم لا نتعرضوا لاحد من العربان ولكن اذا اردنا قتال هولاء القوم فيكون ظعننا من خلف ظهورنا ونقاتل حتى تنجز امورنا فقد بلغني انهُ مقبل علينا عساكر مثل البحار الزواخر فاستصوبوا رايهُ وقالوا ان هذا هو الصواب والامر الذي لا يعاب

قال الراوي . فعند ذلك كتب في عاجل الحال كتابًا وارسلهُ مع نجاب الى من لهم من الحلفاء والاصحاب فاجتمع اليوم ستة الاف فارس من كل مدرع ولابس فامرهم بتجهيز العيال وان يصعدوا بهم الى رؤُوس الجبال وفي الحال رفعوا عيالهم واموالهم ونوقهم وجمالهم الى راس العلم السعدي وانفذ عنترة اخويهِ شيبوبًا وجريرًا ليكشفا الاخبار فسارا وغابا عشرة ايام وعادا اليهِ على الاثار واعلماه ان القوم ليس لهم عدد فهنالك اقبل عنترة على ولده ميسرة فوجده قد اشتمل بعدتهِ وهو مثل النار المسعرة فقال لهُ يا ولدي خذ معك مائة فارس من الابطال الشداد وكن طليعة لنا ومن لقيتموه فاضربوه بالسيوف الحداد ولا تردوا

سيوفكم عن نحور العدى واسقوهم كؤوس الردى ولم يكن من خاطري ارسالك الى الاعداء والاضداد لانك فضلة من ابقى لي الدهر من الاولاد ولكن جعلتكم في حفظ رب العباد الذي بسط الارض والمهاد فركب ميسرة الفارس الكرار وتبطن القفار ولم يزل كذلك الى ان التقى بطليعة ملجم بن حنظلة الطائي وكانوا اربعمائة فارس فزعق ميسرة فيهم وحمل على مقدم الطليعة وصدمهُ فابهره وضربهُ بالسيف على صدره اطلعهُ من خرزة ظهره ثم حمل على القوم برجالهِ حملة الاسد المغوار وضربوا في اقفيتهم ضربًا مثل شعل النار فلم يجدوا لهم هدوًّا ولا قرار بل انهم ولوا الادبار وركنوا الى الفرار فاخذ ميسرة ورجالهُ خيولهم واسلابهم وعادوا راجعين والى بني عبس طالبين

قال الراوي هذا ما كان من هولاء واما ما كان من المنهزمين فانهم هجوا في البر الاقفر الى ان التقوا بملجم بن حنظلة لانهُ كان يتبعهم على الاثر فاخبروه بما جرى عليهم من ميسرة بن عنتر فصرخ وزمجر وصاح في جيشهِ والعسكر وسار بعد ما عيشة تكدر الى ان بلغوا بني عبس وكان قدومهم عليهم عند طلوع الشمس ونزلوا حواليهم يمينًا وشمال حتى ملأوا تلك الروابي والتلال فلما رآهم الملك قيس داخلهُ الخوف والجزع فعلم عنترة بذلك فاتى اليهِ وسكن روعهُ وقال لهُ ما هذا الخوف ياملك الزمان دع عنك هذا الرعب واعلم ان هيبتنا قد سكنت في قلوب جميع العربان وانني لا ابالي بجميع من سكن البراري والقيعان ولا ترهبني ملاقاة الفرسان وان كنت خائفًا من هذه العساكر فدعني القاهم فان قتلوني دبروا انتم من بعدي ما تريدونهُ من الاعمال وان انا قتلتهم وهزمتهم واخذت منهم الاموال فاكون فزت ببلوغ الامال ونلت الفخر على ممر الايام والليال هذا ما جرى لهولاء واما ما كان من من ملجم بن حنظلة فانهُ دعا الغطريف بن مناهب وقدمهُ على عشرة الاف فارس وامره ان يكون في الميسرة ثم دعا ناهب بن اكال الاكباد وضم اليهِ خمسة عشر الف فارس من الابطال الاجواد وقدم عليهم فارسًا يقال لهُ الفرقوع بن نجاد وتركهُ في القلب مقابلة عنترة بن شداد وجعل باقي العسكر في الجناحين وامل ببلوغ الامل وان يستقضي ما لهُ على بني عبس من الدين ولما نظرت بنو عبس الى ما فعلت اعداؤها فعلت مثل فعالها وكان في مقدمتها عنترة بن شداد وولده ميسرة وسبيع اليمن وابن اختهِ الهطال وسابق ولاحق ووقف الملك قيس تحت راية العقاب وعنترة في القلب وعلى راسهِ الاكليل والازدهار الذي كان على راس كسرى انوشروان ولما اصطفت الصفوف لم يسع عنترة في ذلك اليوم الوقوف بل قفز بجوادهِ الابجر بين الفريقين حتى اذا صار في الميدان زعق زعقة حير بها الطائفتين

وقال هل من مبارز هل من مناجز الا من عرفني فقد اكتفى ومن لم يعرفني فما بي خفا انا عنترة بن شداد انا حامية بني عبس الاجواد ثم صال وجال ولعب بالسيف الصقيل وطعن في صدور الابطال بالرمح الطويل حتى ادهش النواظر وحير الخواطر ثم نادى ثانية هل من مناجز فلما سمع بنو طي كلامهُ لم يتجرا احد منهم على الوقوف امامهُ ولا ان يقصد حربهُ وخصامهُ فعند ذلك اضطروا ان يحملوا عليهِ حملة واحدة لانهم علموا انهُ اذا قتل احداً ابن ملوكهم كسرهم وبدد شملهم فلم يلبثوا ان اكبوا روُوسهم في قرابيس سروجهم وحملوا على بكرة ابيهم ولم يبق الا الملك ملجم وناهب اخو زياد ابن اكال الاكباد تحت الرايات والاعلام ومعهما نفر قليل من الفرسان المذخرين للحرب والخصام فتلقاهم عنترة بعزمتهِ وطعن فيهم بشجاعتهِ وصار تارة يطعن في الميمنة وطوراً في الميسرة وكذلك فعل ولده ميسرة وقد اعانتهُ بنو عبس وعدنان ومن انجدهم من الفرسان فكان لهم وقعة تقشعر منها الابدان وصارت القتلى اكداساً في وسط الميدان

قال الراوي فبينما هم في القتال والطعان وقد اختلطت الطائفتان واذا بغبار قد ثار حتى ملأ تلك الوديان والروابي والقيعان وبان من تحتهِ عساكر ملات التلال والكثبان فتسارعت اليها الفرسان لكشف الاحوال فاذا هم من بني الشريد وجشم يقدمهم عمرو بن صخر ومالك ومعاوية وحكم وفي اوائلهم النسر المعمر شيخ العرب صاحب العزيمة والهمة الشيخ دريد بن الصمة الذي بلغ العمر الطويل وهمته وعزمه كالصارم الصقيل فلما راى ساق الحرب قائم والطعن بين الطائفتين متلاحم نادى واحرباه عليك يا ابا الفوارس ثم حمل ومن معهُ وتلقوا العدى وبذل طعناتهِ في صدور الرجال وظهر من عنترة العجب ولم يلحقهُ ملل ولم يزل القتال يعمل والدم يبذل والرجال تقتل ونار الحرب تشعل حتى ولى النهار وارتحل واقبل الليل وانسدل وافترقت العساكر وقد امتلات الارض بالقتلى وعادت بنو عبس وبنو هوازن يتقدمها شيخ العرب دريد بن الصمة الكبير الهمة وقد استظهروا على اعدائهم وعلى ملوكهم وذلت اولئك الملوك لفقد شجعانهم وعاينوا من بني عبس وهوازن ما هالهم ثم عاد عنترة في مقدمة الفرسان كانهُ شقيقة ارجوان وهو ينشد ويقول

الا يا دار عبلة بالدوام	سقيت الغيث من قلل الغمام
نزلت من الحجاز بخير ارض	وطفت مع القباب الى الخيام
خيالك يا ابنة العبسي ياتي	الى المشتاق في طيف المنام
سلي سيفي ورمحي عن قتالي	وكيف لدى اللقا بهما احامي

واحمي للعشيرة طول دهري ... بابيض فاضل في كف ضام

قال الراوي ولما فرغ عنترة من شعره طربت الفرسان من نظمه ولم يزالوا حتى وصلوا الى الخيام واكلوا شيئاً من الطعام وتحارس الجمعان واخذوا الراحة للمنام الى ان اصبح الله بالصباح فركبوا الخيول وناهبوا للحرب والكفاح فبرز عنترة الى بين الصفين واشهر بين الفريقين ونادى ابن الليوث القشاعم ابن النسور الضراغم ابن كماة بني طي حتى اكوي قلوبهم بنيران الحرب كي فعند ذلك انتخت الفرسان وهمت بالبراز الاقران واذ قد بان لهم غبار من بين تلك التلال والقفار وهم ينادون يا العامر يا الكلاب في مثل هذا اليوم طاب الطعان والضراب وفي مقدمتهم عامر بن الطفيل وهو يقول لعينيك يا ابا الفوارس ثم تقدم الى عنترة وهو في وسط الميدان يطلب براز الفرسان ومجاولة الاقران وقد اصطفت الطائفتان وكان قد برز الى الميدان سيد بني كندة مروان واكثر من الفشار والهذيان وقال والله يا عبد السوء ما كان تاخري عن قتالك الا استخفافاً بك فقال له عنترة وقد تبسم ويلك دع عنك الفشار والهذيان فكم من فارس الحج وملك متوج تركته طعاماً للنسور والعقبان ثم حمل عليه فالتقاه مروان وفتحا في الحرب ابواباً حسان وارتفع عليهما الغبار وغابا عن الابصار وداما على تلك الحال ساعة والقلوب عليهما مرتاعة وبعد ذلك بان للقوم غبرة ثم انكشفت وخرج من تحتها عنترة الصنديد وخصمه ملقى مجندل على وجه الصعيد وكان من امرهما ان عنترة اكربه وضربه بالحسام شقه نصفين فوقع الى الارض قطعتين فلما رأت بنو كندة فعال عنترة مع سيدهم مروان نادوه شلت انا ملك فلقد قتلت ملكاً عظيماً وسيداً كريماً ثم برز اليه الغطريف بن مناهب الملقب بالمقارع وكان قد اسر بني عبس ذات مرة فقصد عنترة وهو مسربل بالحديد كانه البرج المشيد وحمل عليه واطلقا للجواد يهما العنانين وقوما السنانين وداما على هذه الحال ساعة من النهار وبعد ذلك رميا الرمحين واستلا السيفين وطال بينهما الكفاح واعلنا بالصياح وجدّا في القتال الى ان تثلمت السيوف الصوارم وتعجب منهما كل قاعد وقائم ولم يزالا كذلك الى ان بان لعنترة من الغطريف التقصير لانه كان باحوال الفرسان خبير فزعق فيه زعقة هائلة وضربه ضربة قاطعة شطره والجواد فوقعا يتخبطان على المهاد فتعجبت الفرسان من تلك الضربة واستعظموا تلك النكبة ثم عاد عنترة من المجال لياخذ راحة مما لاقى من الاهوال فالتقاه عامر بن الطفيل وهناه بما ناله من الظفر والنيل فقال له عنترة يا فارس الهيجاء والمجال اذا رايتموني قد حملت فاحملوا واحموا ظهري فاني اريد ان اقصد ملجم بن حنظلة وناهباً

اخا زياد بن اكال الاكباد واروي من دمائهما اسنة الرماح المداد فقالوا لهُ سمعاً وطاعة يافارس الطراد فعند ذلك رجع عنترة الى الميدان ورمى الرمح من يده وجرد الحسام من غمده ووكز الابجر وصاح عليهِ فخرج من تحتهِ كانهُ الريح الهبوب او الماء اذا اندفق من ضيق الانبوب وطلب مجمع الرايات فتزاعقت عليهِ الرجال من سائر الجنبات فلم يكترث بالصيحات بل لم يزل يخرق الصفوف والاقوام ويضرب الرايات بالحسام حتى برى منها تسعة اعلام وبعدها طلب ملجم بن حنظلة حتى اذا وصل اليهِ ضربهُ بالسيف على راسهِ فجاءت الضربة صفحاً فوقع على الارض تحت ارجل الخيل وقد ايقن بالبلاء والويل ثم ان عنترة عطف وانقض على ناهب اخي زياد بن اكال الاكباد وضربهُ بالسيف على عاتقهِ خرج يلمع من علايقهِ ثم تلاحقت بعنترة بنو عامر وبنو عبس وهوازن وهجموا على الصفوف وجرعوا الاعداء كاسات الحتوف فلما راى بنو طي ما الم بهم من الذل والانكسار ركنوا الى الهرب والفرار وقد حازت بنو عبس الخيل والاموال وابتلوا الاعداء بسوء المال وسارت كل هذه الفرسان وهي تثني على عنترة وهو يشكر فرسان القبائل التي اقدمت عليهِ وتسارعت بالمعونة اليهِ وبعد ذلك اعلم عنترة بني عبس بما عزم عليهِ من الرحيل عنهم وان سبب ذلك ما ذكرنا من قول قيس والربيع وعمارة ابني زياد في حقهِ من المذمة والعتاب ثم انشد وقال

خليلي الا عرج وزر دار عبلة ... وسل رسم حيٍ قد عفا عن احبةِ
وودع لربع باللوى من ذرى الغضا ... الى الربوة العلياء من دار منيةِ
سلام على ارض الشربة انني ... مفارقكم يا عذوتي وعشيرتي
فوالله لم اسكن بارض انا بها ... اضام واهلي ينكرون صنيعتي
سيذكرني قومي اذا جالت العدى ... عليهم صباحاً في الضحى والعشية
الا بلغوا طيّاً وقولوا لكندة ... ذروا الحرب ان الحرب دانت لسطوتي
ولا تلتقوا ابناء عبس فانهم ... اسود الشرى في الحرب غير اذلة
ولما رأيت الخيل تعثر بالقنا ... وقد نهلت منها السيوف فرنتِ
اقمنالهم صدق الطعان وكشرت ... لنا الحرب عن انيابها واستهدتِ
واني امرءٌ لا تقشعرّ ذوائبي ... اذا القوم من هول الحروب اقشعرّت
واني امرءٌ احمي جميع عشيرتي ... واخدمها بالمجد ان هي ذلتِ
سلوا كندة مع طيٍّ يوم حربنا ... وقد خفيت من عبس زرق الاسنةِ

وقفت لهم في موقف ان نقف به جبال حنين او قبيس لدكت
ومروان لما رام حربي تركته يمج نجيعاً عند ارض الشربة
وملجم في الهيجاء اضحى مجندلاً وغطريف طي خر من هول ضربتي
وجندلت ابطال المعارك في الوغى بعزمي وباسي في الحروب وشدتي
وقد علمت كل الخلائق انني علوت بمجدي للسهى وبهمتي

قال الراوي فلما سمعت الفرسان نظمهُ ونثره قالوا لهُ لا افض فوك ولا كان من يشنوك لقد احسنت يا ابا الفوارس وزين المجالس ولكن لا يجب ان تغضب على قومك لانك سيفهم القاطع ودرعهم المانع فوالله ان فارقتهم لترى منازلهم بلاقع ويطمع فيهم كل طامع فقال عنترة يا بني عبس اعلموا انني ما دمت في قيد الحياة فانتم في حرز حريز وعز عزيز واما اذا علمت قبائل العرب واشرارها انني قد دهمتني المنية واختطفتني الرزية فلا تبقي منكم بقية ثم امر بذبح الاغنام وترويج الطعام واقاموا في اكل وشرب ثلاثة ايام وفي اليوم الرابع تفرقت الفرسان الى منازلهم فنهض دريد بن الصمة والامير عامر بن الطفيل وطلب كل منهما الى عنترة ان يسير معهُ وينزل في دياره فلم يطاوع احداً منهم وكان امتناعه تخفيفاً عنهم فانصرفوا وبعد ذلك دعا عنترة عمهُ مالك بن قراد وولده عمرو وعمهُ زخمة الجواد وسلمهم اموال عبلة ومالهُ وطلب ولده ميسرة وقال لهُ يا ولدي اعلم ان كل ما لابنة عمي من المصاغ والفضة والذهب والنوق والجمال والاثاث والرحال قد سلمتهُ لاعمامي وهو عندهم وديعة فان احتجت شيئاً منهُ فخذه دون مانع فان امرك فيهِ كامري وحكمك عليهِ كحكمي ثم اوصى اعمامهُ وقال لهم مهما طلب ولدي من مالي فلا تمنعوهُ من شيء لانكم تعلمون انهُ بقية من ابقى لي الدهر من الاولاد فقالوا سمعاً وطاعة ثم وهب غلمانهُ كثيراً من الاموال وقال لهم لا تفارقوا ولدي ميسرة وكونوا معهُ حيث سار فقالوا سمعاً وطاعة واقام ميسرة عند بني عبس الاجواد والناس يبكون على فراق عنترة بن شداد ثم ودعهم واوصاهم بولده ميسرة وزيد بن عروة وبعد ذلك قال لولده يا ولدي ان اصابك ضيم من بعدي فارحل عن بني عبس والحقني انت وبنو عمك الى دمشق الشام لاني ماض الى هناك اجاور الحارث سيد بني غسان لاني كثير الشوق اليهِ والهيمان واحذر يا ولدي ان تذل لاحد نفسك وكل من اضامك عمم راسهُ بالحسام سواء كان من الاعداء او من بني الاعمام فقالت لهُ بنو قراد واصحابه الكرام لِمَ لا تاخذنا معك يا ابن العم فهذا خير من ان تذيقنا فراقك ونبقى كل ساعة نشتاقك فقال لهم والله يا بني الاعمام هذا كان قصدي وجل المرام ولكن رايت ان اخذكم معي ليس بصواب في

هذه الايام فان فعلت ذلك يقول الملك قيس ان عنترة افسد عليَّ العشيرة وفرسانها ولكن
ان اردتم فاصحبوا رجال عروة وولده زيد واذا رحل ولدي ميسرة عن بني عبس وسار
من هذه الاكام ورايتم من اضامكم بشيء فاتبعوا ولدي الى ارض الشام وخذوا معكم زيد
بن عروة ورجالة الكرام والله يكون خليفتي عليكم والسلام ثم انه ودعهم واخذ معه سبيع اليمن
وامة مسيكة خليلة عبلة واخوتها ومجير اباها وابنة عمو عبلة وكان هودج مسيكة محاذيًا هودج
عبلة ثم نادى بصوته الجهر عند مسيره سلموا على ملككم قيس وقولوا له اني خليت له الديار
ولمن عنده من الابطال والله يبلغكم بعدي غاية الامال فدعوه يسمع من راي الربيع واخوته
و يدبرون احوالهم وما انا الاعبد الملك زهير واولاده ولو بقي من نسله مخلوق خدمته واعدت
الخلائق الى طاعته وقاتلت عنه بحسامي حتى يدركني حمامي هذا وهو سائر والناس وراءه
والنساء والرجال والعبيد والاحرار يبكون على فراقه بالدموع الغزار ولما رجعوا من وداعه
دخلوا على الملك قيس واخبروه برحيله من الديار واعلموه بما تكلم عندما سار فلما سمع قيس تلك
الاخبار بكى بدموع غزار ولم يعد يعرف الليل من النهار وندم على ما قاله في حق عنترة
الفارس المغوار واراد ان يركب و يلحق به ويتلافاه ويصالحه و يترضاه فما مكنه بنو زياد من
ذلك بل قال له الربيع واخوه عمارة يا ملك يمضي في غير دعة الله وسوف تطلبه العرب من
كل قطر وسبسب و يرجع الينا اذل من كلب اكلب او ذيب اجرب فدعنا نستريح من
نصبه لانه لا يعادينا احد الا بسببه ودعه يذهب الى حيث لا يرجع ولا نرى وجهه الاشنع
وقام عمارة على قدميه وصاح في محضر قيس من ملء فواده واذلاه وامصيبتاه كيف يا ملك
تهين قدرك الى هذا الحد العظيم وتسير الى خدمة عبد زنيم فسكت قيس على مضض
وقد عمل في قلبه الغيظ اقوى من عمل المرض هذا ما جرى لهولاء من الكلام واما ما جرى
لعنترة الفارس الهمام فانه سار طالبًا الشام بعد ما رفع عبلة الى العمارية الفضة ومهد لها فرشًا
من الحرير الملون واخذ معه عشرة جمال وحملها جميع ما يلزم له من ماكول وغيره وسلم
زمام جمل عبلة الى اخيه شيبوب ورفع امه في هودج من العرعر وسلم الزمام الى ولد اخيه
الخذروف ورتب الى كل هودج عشرة عبيد خمسة من اليمين وخمسة من الشمال واخذ
الجارية خميسة امة عبلة واخذ معه خيله الجياد منها الابجر والاصفر والاشقر وفرس ناهب
بن اكال الاكباد والنعامة وكوكب ابن الابجر وسكاب وخمس قباب من الادم وسبع
قبب من الابريسم والسرادق والرايات والاعلام والازدهارات التي كان قد شرفه بها
كسرى انو شروان ورحل من ديار بني عبس وسار يقطع القفار وشيبوب وجرير في ركابه

الى ان وصلوا الى مكان يقال له الفيلمون وكان كثير العشب والكلا والماء والمرعى فاقام فيه مدة ايام على اكل طعام وشرب مدام حتى استراح وكان بينه وبين الشام يومان فاستدعى بشيبوب وقال له اريدك ان تسير انت وولدك الفارس الهمام الى الملك الغساني ملك الشام وتعلمه بقدومي عليه بعد ما تقبل يديه وتسلم عليه فاجابه شيبوب الى ما طلب واخذ ولده الخدروف وسارا يقطعان البر والقفار حتى اشرفا على الشام وعاينا ما فيها من الرياض وسمعا اصوات الاطيار وهي تصيح بالحانها على تلك الاشجار وتسبح خالق الليل ولم يزالا حتى وصلا الى الباب وهما في غاية الانشراح فسمعـــا صوت بكاء ونواح ورأيا اموراً تدل على الاتراح والصراخ من اربعة جوانب البلد قد علا حتى طبق اقطار الفلا فدخلا من باب توما حتى وصلا الى باب الجابية فلم يريا سوى باكٍ وباكية وناع وناعية والاسواق كلها مغلقة وقلوب اهل البلد محترقة فبينما هما مرتاعان من هذه الاسباب واذا بجملة جنائب مسحوبة مجزوزة الاذناب مقلبة السروج والخلق بينها تموج والجوار تحت قلعة دمشق صارخات ينادين بالويل والثبور وعظائم الامور فعند ذلك تقدم شيبوب وسال عن هذه القصة وما بال الناس في هذه الغصة واخذ ينادي يا رجال مالكم في هذا الامر المنكر فقالوا له يا فتى اعلم انه قتل الحارث سيد بني غسان وهذا سبب ما تراه من النوح والاحزان

قال الراوي فلما سمع شيبوب هذا الكلام صعب عليه وكبر لديه وقال لولده الخدروف ابقَ انت هنا وابحث لنا عن السبب الذي اوقع الحارث الغساني في العطب ولا ترجع حتى تقف على حقيقة هذا الامر وانا سائر لاخبر عمك بهذه الاخبار ثم ان شيبوبا ترك ولده الخدروف في الشام وعاد كانه ذكر النعام ولم يزل سائراً حتى وصل الى اخيه عنتر وبث له الخبر وقال له اني قد تركت ولدي هناك يحقق لنا جلية الخبر فبينما هما في ذلك الكلام واذا بالخدروف قد اقبل كانه طير الحمام فاخذ عنترة يستخبره عن سبب قتلة الحارث ملك الشام فقال ان السبب في ذلك هو ان الحارث الغساني لما بنى الرصافة سكنها مدة ورحل منها الى الشام وقد علت مرتبته وعظمت هيبته وخافته الملوك وصاروا يحملون له الخراج والعداد من سائر البلاد ففي بعض الايام انفذ ابن عم له الى بلد تنوخ يطلب الجزية كما جرت العادة فسار ابن عمه الى تنوخ فاكرموه غاية الاكرام واقام عندهم مدة ايام حتى جمعوا له الخراج المعهود عليهم في كل عام ثم جهزوه وحملوا له المال والثياب والطيب والذهب والفضة وعاد يطلب دمشق فتبعه قوم من بني تنوخ وطمعوا في وحدته والمال الذي معه فقتلوه واخذوا المال منه وعادوا فوصل الخبر الى الملك الحارث الوهاب بقتل

ابن عمهِ واخذ المال منهُ وكان في خدمتهِ من بني تنوخ اثنان اخوة من السادات يقال لاحدهما مالك وللاخر سماك فاحضرهما الى بين يديه وقال لهما اعلما انني قاتل احدكما بثار ابن عمي فقالوا لهُ يا ملك وما ذنبنا ونحن عبيدك حتى تقتلنا بذنوب غيرنا ونحن لا نغيب عن حضرتك وملازمون خدمتك والذي جرى على ابن عمك ليس هو بعلمنا فكيف تاخذنا بغير ذنب بدا منا فقال الحارث لا بد لي من ذلك فايكما يختار الحياة وايكما يفدي بروحهِ اخاه فانني اكتفي بقتل احدكما واسير بعد ذلك الى قومكما واقتلهم وابيدهم عن آخرهم فقال سماك ايها الملك ان كان لا بد لك من ذلك فهيا واقتلني انا ودع اخي مالكًا لانهُ احسن مني وليس لامهِ غيره فقال لهُ مالك لا يا ملك لا تسمع قول اخي فاقتلني انا ودع اخي سماكًا فقال لهما اذا كنتما على هذه الحالة فانا اقرع بينكما فاي من وقعت القرعة عليهِ قتلتهُ

الكتاب التاسع والثلاثون بعد المئة

من سيرة عنترة بن شداد العبسي

ثم اقرع بينهما فوقعت القرعة ثلاث مرات على سماك فعلم هذا انهُ مقتول فقال لاخيهِ مالك يا اخي اقرِ والدتي مني السلام وقل لها ان ولدك قد صادفهُ الحمام وانشدها عني هذه الابيات

ايا لك من ليلة باردة ... وما ليلة الدهر بالعائده
فابلغ تنوخًا وساداتها ... وبلغ سراة بني زائده
ايا ام صبرًا فلا تجزعي ... فللموت ما تلد الوالده
وكم لك في الناس من اسوة ... وحسبك من اسوة واحده
فلم يدفع الموت اشفاقها ... ولا هي مع ذاك بالخالده
فلو انهم قتلوا مالكًا ... لكنت لهم حية راصده

قال الراوي فلما سمع اخوه مقالهُ بكا بكاء شديدًا وقال ايها الملك اقتلني انا واطلق سماكًا اخي فلم يقبل الحارث بل امر السياف بضرب عنقهِ وصرف اخاه من خدمتهِ فاخذ مالك مالهُ ومال اخيهِ وامتطى ظهر جوادهِ ولحق باهلهِ بني تنوخ ودخل على والدتهِ ونعي اليها اخاه سماكًا وانشدها شعره فقالت لهُ ورب البيت الحرام لا اصحبتك بعد هذا اليوم ولا قربتك حتى تاخذ بثارك ممن قتل اخاك فقال لها يا اماه وكيف الوصول الى الملك الحارث فقالت لهُ ويلك اما سمعت قول اخيك في شعره حيث قال

فلو انهم قتلوا مالكًا ... لكنت لهم حية راصده

فقال لها مالك لله درك ما اعرفك بنوائب الدهر ثم انهُ ركب جواده من ساعتهِ واخذ معهُ
سيفهُ وكان قد ورثهُ من ابيهِ وسار حتى وصل الى الشام واتى عند رجل خمار ونزل في بيتهِ
وكان يبكي ليلاً ونهاراً وينشد الاشعار فرق لهُ الخمار وقال من انت من الاعراب وما الذي
جرى لك من المصاب فاني اراك تكثر الندب والانتحاب فقال لهُ يافتى انا رجل غريب
من بني تنوخ قد قتل الحارث اخي من غير ذنب ولا عدوان وتركني اكثر عليهِ البكاء
والاحزان فقال لهُ يافتى ان عندي رجلاً ايضاً حالتهُ مثل حالتك وقصتهُ مثل قصتك فهل
لك ان اجمع بينك وبينهُ فقال لهُ افعل ما تشاء فاخذ بيده ودخل بهِ على ذلك الفتى وهو
يبكي فجلس مالك الى جانبهِ فقال له ذاك الرجل يافتى انت من اي الناس فحكى لهُ قصتهُ
فقال لهُ ما اسمك قال مالك واخي سماك فقال الرجل وانا اسمي لبيد وقد قتل الحارث
لي ولداً واتيت لاخذ منهُ بالثار واكشف عني الذل والعار فدعنا الان نشرب ويطيب
عيشنا فنسلو مصيبتنا وتزول كربتنا وبعد ذلك ندبر حيلة في اخذ ثارنا وكشف عارنا
فلعلنا نقتل الحارث الوهاب وانا قد خطر لي راي اظنهُ عين الصواب وهو اننا نصبر الى
يوم عيد النصارى لانهُ من عادتهِ ان يسير فيهِ الى القدس وحده ويزور ويكشف خبر
المظلومين من الظالمين ولا يتبعهُ صاحب ولا وزير ولا خادم ولا امير فاذا رايناه يقوم اليهِ
احدنا كانهُ يشكو اليهِ ظلامةً ويقف قدامهُ ويشغلهُ بالكلام وياتي الاخر من ورائهِ ويضربهُ
بالسيف ويسقيه كاس الحمام ثم انهما اتفقا على هذا المرام وداما على اكل وشرب حتى جاء
وقت العيد وخرج الملك الحارث حسب العادة فعلما انهُ سائر الى القدس فتبعاه وقصدا
اجراء ما كانا عليهِ متفقين فقال التنوخي للهمذاني انت اشغلهُ بالكلام وانا اضربهُ
بالحسام فاتى الهمذاني الى الحارث واستغاث بهِ كانهُ يشكو لهُ ظلامةً فوقف الحارث حتى
يسمع كلامه فجاء مالك من خلفهِ وضربهُ بسهم من الفولاذ في ظهره اخرجهُ من صدره
فتواثبت الناس اليهما وامسكوهما واوثقوهما وارسلوهما الى نائب الحارث في الشام فسجنهما في
القلعة واقام الناس الماتم ثلاثة ايام ثم انزلوا اللذين قتلا الحارث من القلعة وقتلوهما وقطعوهما
وجددوا الاحزان على الحارث وقامت عليهِ الماتم والنواح ووقع في قلوب القوم الغم
والاتراح وفي اثناء ذلك قدم شيبوب اخو عنترة وولده الخذروف واستقصيا الخبر ورجعا
فاعلما عنترة كما قدمنا ولما سمع عنترة بالخبر عظم ذلك عليهِ وكبر لديه واقسم انهُ لا بد من
ان ياخذ بثاره ثم انهُ سار يقطع القفار حتى وصل الى ارض دمشق الشام فنزل في الميدان
الاخضر وكان شيبوب قد دخل البلد واعلم خواص الحارث بمجيء عنترة فدخل الحاجب

الى بنت الملك الحارث حليمة واخبرها بقدوم عنتر ونزوله في الميدان الاخضر فطلعت اليه كبار البلد وارباب الدولة وخرج البطرك الكبير وسلموا عليه واكرموه غاية الاكرام بعد ان اطلعوه على جميع ما جرى من الامور والاحكام ودخل عنترة وابنة عمه عبلة دمشق الشام فانزلتهما حليمة في دار عالية البناء وكان لدخولهما يوم مشهود وانفذت اليه الفرش والماكول والمشروب وقدمت له الخيل والجنائب والجوار والخدم والمماليك واقام عنترة في دمشق شهرًا كاملاً ياكل ويشرب ويلذ ويطرب فلما كان بعد الشهر دعته حليمة عندها

قال الراوي فلما حضر نصبت له كرسيًا من الذهب الاحمر مرصعًا بالدر والجوهر وعليه وسائد من الديباج فجلس عليه عنترة واحضرت له الاطعمة والحلويات والاثمار الوان من حامض وحلو ولفان فاكل الى ان اكتفى وبعد ذلك قالت له حليمة ياحامية عبس اعلم انك من العام الذي قتلت فيه المرزبان وابا الدوح ابن عمي وكسرت جيوش اياس بن قبيصة الطائي ما عدت ذكرتنا ولا زرتنا ولا انفذت لنا كتابًا نطمئن به ونحن مشتاقون الى طلعتك وندعوالك في السر والجهر ونتمنى روءيتك لانه ما ردعلينا البلد الا انت فلا اعدمنا الله طلعتك ولا افقدنا عزتك فقال لها عنترة والله ياملكة اشغلني عنكم ما جرى علينا من الاحكام وصروف الزمان وعدم الاخ والاولاد والاحوال التي اقلها يفتت الاكباد ولقد صعب عليَّ والله فقد ابيك فالله يطيل عمرك ولا يعدمنا شخصك ولا بدلي ان شاء الله ان اخذ بثاره واحرق آل تنوخ بناره فاعلميني من خلف بعده في دمشق على الرعية وسياسة اهلها فقالت ياحامية عبس قد خلف فتى عمره تسع سنين وانا خائفة عليه من صاحب الحيرة وعساكر العراق ان ياتوا وياخذوا دمشق منا ويقتلوا اخي فقال لها عنترة انهم يفعلون ذلك اذا لم اكن انا حاضرًا هنا ولكن ما دمت مقيمًا في الشام لا يجسرون ان يقربوها خوفًا من رمحي والحسام فقالت له حليمة اعلم ان الرب القديم قد من علينا بقدومك الينا ثم قال لها احضري لي اخاك عمرًا حتى انظر اليه فعندها احضرت الغلام بين يديه فاخذه واقعده في حجره وقبله وبعد ذلك دخل المجلس الذي كان يجلس فيه الحارث وانفذ خلف الحجاب والنقباء والوزراء والاصحاب وارباب الدولة فحضروا ووقفوا بين يديه فامر العبيد ان تنادي في جوانب دمشق بالحضور الى مجلس الحارث فهرع الناس الى القصر كانهم الجراد المنتشر حتى غص المجلس وجلسوا في مراتبهم ونصب عنترة سرير المملكة واجلس ابن الحارث عمرًا على السرير وقال يامعاشر العرب من بني غسان وبني قحطان وآل نجران اعلموا ان

هذا الصبي ابن ملككم الحارث وما فيكم الا من يعلم ما صنع ابوه معكم من صيانة الحريم وانصاف المظلومين من الظالمين وتعرفون ايضاً منزلتي كيف كانت عنده وما كان بيني وبينه من المودة والاحسان وهذا ولده وانا اجلسته مكان ابيه فمن عاداه عاداني ومن والاه والاني وانا ناصر من كان من انصاره واجناده فبايعوه الملك كما بايعتم اباه وانا محام عنه بسيفي الضامي الى ان يكبر وسوف ادخل به على صاحب الملك قيصر واخذ له التشاريف على ملك البلاد من دمشق وغيرها واهتم في المسير الى القوم الذين قتلوا اباه الحارث واخذ له بالثار واكشف عنه الذل والعار فقالت العرب المتنصرة واهل البلد وجميع الاجناد لله درك يا ابا الفوارس ويا سيد الشجعان اشهد علينا اننا بايعناه واقررنا له بانه ملكنا وصاحب عقدنا وحلنا كما كان ابوه وهكذا نكون معه وهو مالك رقابنا وما لنا حاكم غيره فقال لهم عنترة وكذلك انتم اشهدوا عليّ انني اكفيكم مونة اهل الشرق والغرب من عرب وعجم وترك وديلم وروم وافرنج فان عاداكم احد فها انا بين ايديكم دلوني عليه حتى اسقيه كاس النكد فعندها اراد القوم ان يذهبوا الى اماكنهم فقال لهم عنترة اعلموا ان مرادي ان اهتم في اخذ ثار ملككم من غداة غد فاريد من عساكركم الشجعان الفي فارس حتى اسير بهم الى تنوخ واهلك اهلها كلهم واخذ الثار واكشف العار فدعوهم يهيئون اشغالهم ويفتقدون عددهم وزحالهم الى ثلثة ايام فاني لا يقر لي قرار الا لاخذ لمولاي الحارث بالثار فقالوا له يا ابا الفوارس ان قبائل تنوخ كثيرة وليس من الصواب ان تسير اليهم بالفي فارس فقال لا يا سادات بني غسان اعلموا اني بالف فارس اقضي هذه الاشغال وانما طلبت الالفي فارس لاني غير خبير بهذه الديار ولا بد لي ان افني قبائلهم واهلك فارسهم وراجلهم ثم انه بات تلك الليلة الى الصباح وانتخب من الفرسان الاقيال الفي فارس وسار بهم قاصداً ارض تنوخ فعند ذلك تذكر فعل بني عمه معه وكلام الملك قيس فجاش الشعر في خاطره فانشد وقال

الا يا عبل لا تنسي مقامي ... بارض الغور والليث الحامي

وقد جاءت قبائل آل نجد ... وآل مشاجع وبني قطام

يقدمها فوارس من تميم ... بكل مهند بالكف ضام

وراموا مصرعي يوم التقينا ... ونار الحرب موهجة الضرام

تركت سراتهم في البر صرعى ... سكارى في العجاجة كالنيام

وها قد سرت اخذ ثار ليث ... مليك كفه بالخير طام

ساهلك كل اعداه وافني ... لآل تنوخ ابناء اللئام

واشفي من تنوخ جوى فوادي بضرب الرمح مع ضرب الحسام
واني سائر ابغي فناهم وحق منى وزمزم والمقام

قال الراوي فلما فرغ عنترة من شعره طربت الفرسان من نظمه ونثره ولم يزل سائرًا بالعشائر الى ان قارب ارض تنوخ فامر فرسانه ان يعتدوا للحرب و يتاهبوا للطعن والضرب ثم اغار على الاموال ونهبها وسلمها الى مائة فارس وحمل هو في بقية الخيل يطلب المضارب والخيام ونادي يالثارات الحارث الوهاب ملك الشام فعندها وقع الصياح في احياء تنوخ وركبت الخيل وجاءت مثل السيل وتواصلت الابطال ووقع القتال وحملت الفرسان وصرخت الشجعان ولم يزالوا في القتال الى ان اذنت الشمس بالزوال واقبل الليل بالانسدال فاشعلوا النيران وتحارس الفريقان الى ان اصبح الصباح فعادوا الى الحرب والكفاح ودام الضرب بالصفاح والطعن بالرماح فزاد ببني تنوخ الظما واضحوا اشباحًا بلا ارواح فلم يول النهار حتى ركنت بنو تنوخ الى الهرب والفرار بعد ان قتل منهم خلق كثير وحاز عنترة وفرسان غسان الاموال والانعام وعادوا طالبين مدينة الشام والاسارى تنساق قدامهم بالاغلال وكانوا سبعمائة اسير وقد سبقهم شيبوب يبشر عمرو بن الحارث واخته حليمة بهلاك فرسان بني تنوخ الانذال على يد عنترة الفارس الرئبال ولم يزل شيبوب سائرًا حتى وصل الى الشام واخبر عمرو بن الحارث الوهاب بما جرى من الاسباب

قال الراوي فلما سمع عمرو هذا الكلام فرح غاية الفرح وامر اهل البلد بالخروج فخرجت الى لقاء عنترة الاحباب وفرحت بقدوم الغياب ودخلوا الشام ضحوة النهار وصلبوا كل من معهم من الاسارى على الاسوار وطلعت حليمة ومن معها من الجوار يتفرجن وقد فرحن باخذ الثار وخلعت حليمة على شيبوب الخلع الملاح واخذها السرور والانشراح وانزلتهم في ارض طيبة ونقلت اليهم كل ما يحتاجون من ماكول ومشروب وجوار وخدم وفرش واستقاموا على ذلك الاكرام مدة ايام وعنترة يمهد لعمرو الملك والاحكام و يحبب به الخاص والعام حتى احبته الاكابر والاعيان هذا وقد فرحت اهل الشام بما عمل عنترة وقويت قلوبهم بسكناه عندهم واما عنترة فانه دخل عند حليمة وقال لها كيف رايت جلوس اخيك على كرسي المملكة وطاعة العالم له فقالت له حليمة لا اعدمنا الله طلعتك ياحامية عبس ثم انها انفذت خلف عبلة وزبيبة ومسيكة واحضرتهن واجلستهن على سريرها وقدمت لهن الوان الطعام المختلفة التي ما راين قط مثالها ولا اكلن من اشكالها فاكلن وكانت حليمة تلقمهن الى ان شبعن فاتت لهن بطست من الذهب وابريق من العسجد وقباب من المسك

والعنبر والماورد الجوري الاحمر وخلعت عليهن الخلع السنية والثياب البهية من خلع الملك قيصر ملك الروم وقدمت لكل واحدة منهن عشر جوار روميات كانهن الاقمار وثلاث نوافج مسك وخمس طبلات كافور وثلاثة عقود جوهر ثم جلسن يتحدثن وزبيبة تشكر حليمة وتثني عليها وارادت زبيبة ان تقبل يد حليمة فما مكنتها من ذلك بل قالت لها هذا لا ينبغي من مثلك فانت بنت ملك السودان وابوك ملك وابن ملك من قديم الزمان ثم هممن بالانصراف فودعتهن حليمة ومضت كل واحدة الى منزلها ودخلت عبلة على ابن عمها عنترة ومعها تلك الاموال فرأت ما اتاه من اكابر الشام وخواص جماعة الملك من الخلع والهدايا والتحف والخيل والبغال والنوق والجمال ففرحت بذلك وتحيرت مما عاينت وشاهدت وتعجب عنترة ايضًا مما رأى مع عبلة من التحف التي اعطتها اياها حليمة ونظر الى الجوار الروميات اللواتي كانهن الاقمار فقال لها عنترة والله يا ابنة العم ما في خزائن ابيك ولا ملككم مثل هذه الاموال ولا ما يساوي عقال فضحكت عبلة وقالت يا ابن العم ان كلاً من امك زبيبة وخليلتي مسيكة قد نالت مثلها فضحك عنترة وقال لامي ايضًا اعطت مثلها قالت نعم فمضى الى منزل امه فوجد اخاه شيبوبا والخدم وقوف عندها والجوار من حواليها وقد عظموها واستهابوا امرها فاقبل عليها وهناها بما اعطتها حليمة فعند ذلك نهضت اليه وتبسمت في وجهه وفرحت به وضمته الى صدرها وقبلته وقالت له يا ولدي اقر الله عيني فيك ولا شمتت بك اعاديك لان بوجودك ارتفع قدري وعظم شاني وامري ففرح عنترة بقولها وقبلها في عنقها ونحرها ومضى من عندها ودخل الى بنت عمه عبلة فقامت اليه وقبلت يديه

قال الراوي وقد صار امر عنترة نافذًا في دمشق واعمالها ولو اراد ان يملكها لملكها لانه ما بقي في دمشق احد من الاجناد الا وهو خائف منه ومن سيفه فبينما هو جالس في داره المعدودة له واذ دخل عليه اخوه شيبوب وقال له يا ابن الام ان خادمًا روميًا يطلب الدخول عليك فقال له دعه يدخل فعندها ترجل الخادم ودخل على عنترة والقى بين يديه رزمة فيها ثلاث حلل مقصبة بقضبان الذهب من ملابس الحارث لكل حلة لون ومثلها عمائم ومناطق ذهب محلات بقطع الياقوت وثلاث نوافج مسك اذفر وعشر طبلات عنبر وفرسين سابقين بمراكب الذهب ورمحين وعمودين من الذهب الاحمر والة حرب كاملة كلها من الذهب وزردتين مغموستين بالذهب وقال يا مولاي ان مولاتي حليمة تسلم عليك وتقبل يديك وتقول لك هذه عدة ابيها وهي هدية منها اليك ففرح بها عنترة

غاية الفرح وقبلها وسمى الفرس الواحد غراب والثاني عقاب وقال له الخادم يامولاي ان الملكة تريد من احسانك وفضلك وامتنانك ان تجلس كل يوم في دست المملكة ولا تدع احداً من العبيد ينقطع عن الخدمة بل انهم ياتون كل يوم الى المجلس فقال السمع والطاعة ثم ان حليمة عملت سماطاً كبيراً ودعت اليه عنترة فحضر واكل وشرب وانفذ البقية الى غلمانه ولما كان الغد لبس افخر اثوابه ودخل القصر وقد فرشوه بانواع الفرش وقامت الفرسان على راسه واشعلت الشموع في مداخن الذهب والفضة وصفت الكراسي الثمينة وجلس عنترة على كرسي المملكة واقبلت الحجاب والوزراء وارباب الدولة وسلموا عليه وجلس كل في مرتبته حتى غص المجلس بالناس ثم اقبل عمرو بن الحارث ومعه الخدام والغلمان وهو كانه قضيب ريحان وعلى راسه تاج الملك فجلس عنترة بين يديه واقبلت الامراء على قدر طبقاتهم وسلموا على الملك وهو يرد سلامهم ويامرهم بالجلوس حتى جلسوا وقربهم القرار فقام عنترة على قدميه وقال يامعاشر الامراء والاجناد والوزراء والسادات الاجواد اعلموا ان من كان له ديوان فلا يتغير عليه ومن كان له بلد او قرية فتبقى كما كانت ومن كان له مال فليستوفه فلا يظلم احد ومن تعدى على رفيقه اخذت راسه واخمدت انفاسه فقالوا كلهم سمعاً وطاعة ياابا الفوارس وما نروم من احسانك الا انك لا تغير علينا قاعدة ودبر انت ما اردت لانك المولى علينا والحاكم فينا الى ان يكبر هذا الصغير ومنك الامر ومنا الطاعة وقد رضينا كل الرضى فقال لهم اعلموا ان مرادي ان اخذ الملك عمرو وادخل به الى القسطنطينية عند الملك قيصر واخذ له التشريف والخلع واعقد على راسه الاعلام والسناجق واخذ له جزية العرب والعجم وادع البلاد كلها بحكمه وان ابى قيصر خربت اطلاله واهلكت رجاله وجعلته تحت امر هذا الصبي واجلسته على دست ملكه واوقفت الملك قيصر في خدمته وان لم يدخل تحت طاعته ضربت رقبته كما فعلت في قتال العجم واجعله من اذل الخدم

قال الراوي وكانت حليمة تنفذ كل وقت الى عنترة المال والجواهر مقابلة لما كان يفعله مع اخيها واقام عنترة في تدبير المملكة لعمرو بن الحارث ستة اشهر ولما انتشرت اخبار قتل الحارث الوهاب في بلاد الروم وبلغت الملك كسرى ملك العجم وصاحب الحيرة الملك الاسود اتفقا اي الاسود وكسرى على اخذ دمشق بعساكر العجم والديلم

قال الراوي فبينما القوم يتاهبون لذلك واذا بالجواسيس اقبلت واخبرتهم ان عنترة بن شداد هو الحاكم على تلك البلاد وكانوا قد جيشوا اربعمائة الف فارس وعولوا على

المسير ولكنهم لما سمعوا كلام الجواسيس انحلت عزائمهم وضعف اهتمامهم وقالوا ما لنا بعنترة طاقة ولا بحربه استطاقة هذا ما جرى لهولاء اما الملك قيصر فلما علم بقتل الحارث الوهاب وما فعل عنترة الفارس المهاب قال لقد جرت هذه الامور وما عندنا منها خبر ومن يكون هذا الفارس عنتر ومن اي البلاد قد ظهر فقالوا يا ملك كانك نسيتهُ أليس هو الفارس الذي اخذ منك الرهائن لما قصدتم كسرى وقتل الخيلجان يوم وقعت العجم وهو فارس ادهم ولهُ قلب اقوى من الحجر الاصم وقد خافت منهُ العرب والعجم وبينهُ وبين الحارث صداقة من قديم الزمان فقال قيصر قد بلغني ان عمرو بن الحارث ولد صغير فكيف يتولى الاحكام في دمشق الشام فقالوا لهُ يا ملك عندهُ مدبر ومشير وهو هذا الفارس الذي ذكرنا الك اياه فانهُ من يوم الذي مات ابوه تلافاه فقال لهم وكيف تكون هذه الملافاة من غير ان ياخذ لهُ منا تشريف على تولية الاحكام فكيف اطاعتهُ اهل الشام على ذلك المرام فقالوا لهُ ايها الملك انهم لم يطيعوه حتى وعدهم بانهُ يحضر بابن الحارث الى هذا المكان وياخذ لهُ منك العفو والامتنان فقال الملك قيصر لقد شوقتموني الى النظر الى هذا الفارس عنتر لاخبر ما وصفتم عنهُ من الاهتمام واجعلهُ عدة الى نوائب الايام ومتى طلب مني ولاية ابن الحارث على البلاد لا اردطلبهُ ولا اخلي عساكري تبلى بقتاله وان اتى عندي اعطيتهُ التحف والاموال والجنائب والخيول الغوال ولا اتركهُ يرجع من عندي الا راضي القلب ثم انهُ لبث منتظرًا صحة الخبر والاحكام وقدوم عنترة بابن الحارث من ارض الشام

قال الراوي وكانت جميع الملوك قد طمعت كما قدمنا في اخذ الشام وارادوا ان يملكوها بالحسام ولكنهم لما سمعوا ان عنترة مقيم فيها وهو الحاكم عليها وانهُ اجلس ابن الحارث مكان ابيهِ تحيروا ولم يجسروا على اتمام ما اضمروا من الفعال خوفًا من عنترة الفارس الرئبال قال وكان في اعمال القسطنطينية مدينة يقال لها قرقيسا فيها خارجي من ملوك الروم يسمى هايل وهو من اقارب الملك قيصر وكان يومل ان ياخذ ملك قيصر ويملك منهُ القسطنطينية وكان شيطانًا مريدًا وجبارًا عنيدًا وقد عزم على ان يجمع عساكر من العلوج الزنادقة ويغير على قيصر فيقتلهُ وياخذ الملك منهُ وكان من عادة ذلك الخارجي ان ياتي كل مدة الى زيارة الملك قيصر ليجدد العهد

قال الراوي وبلغ الملك قيصر ما اضمر لهُ الخارجي من الضرر فاخذ من ثم لنفسهِ الحذر وبينما هو جالس في بعض الايام اذ اتاه خبر قدوم هايل عليهِ فارسل لهُ من رجالهِ من يلاقيهِ كما جرت عادتهُ وبعد خروج الرجال لملاقاتهِ احضر مائة فارس من حجابهِ وارباب دولتهِ

وقال لهم كونوا انتم وقوفاً مكمنين في مقامي شاهرين السلاح فاذا رايتم هابيل دخل على السلام اقبضوا عليهِ وقيدوهُ وبين يدي ارموهُ فقالوا سمعاً وطاعة فلما اقبل البطريق هابيل قال لاصحابهِ وبطارقتهِ اذا دخلت على قيصر ووقفت بين يديهِ انقدم اليهِ كأني اسلم عليهِ فاهجموا انتم واقبضوه وان قدرتم احملوا عليهِ بسيوفكم وقطعوه وقد ملكنا البلاد واطاعتنا العساكر والاجناد فلما دخل كانت اصحاب الملك قيصر اسبق اليهِ بالقبض على جماعتهِ وعليهِ فلما قبضوه ارادوا ان يقتلوه فمنعهم قيصر من ذلك وقال لهم قيدوه وضعوا في عنقهِ الاغلال ففعلوا ذلك وسلموه الى بعض البطارقة ودخلت بطارقتهُ فوجدوا صاحبهم قد قبض عليهِ وغلل في الحديد فقبضت عليهم الرجال واضافوهم الى هابيل مقيدين في الاغلال فامر بوضعهم في السجن وفي ثاني الايام احضرهم قيصر وقررهم عن الخبر فاقروا لهُ بما كان منهم وما قد عزم عليهِ هابيل فاراد قيصر قتلهُ فسالهُ اصحابهُ بهِ وحلوه وعاهدوه ثم انفذه الملك قيصر الى قلعة بجانب الفرات يقال لها ريا وزلبينا وحبسهُ فيها اما جماعتهُ ففدوا انفسهم بالمال واطلق سبيلهم فساروا حتى وصلوا الى القلعة التي كان فيها البطريق واشاروا عليهِ ان يرشو الموكلين عليهِ بالاموال فرشاهم ولما اطلقوه نزل في مركب وسار الى انطاكية بمن معهُ من اصحابهِ واخذ يغير على القرى وينهبها الى ان وفرت اموالهُ وكثرت رجاله فالتقاه صاحب انطاكية الملك هرقل بن قيصر فقاتلهُ وكسر عسكره وحاصر البلد مدة ايام فلم يجد لهُ اليها سبيلاً فرحل عنها واغار على ملك حلب فخرج اليهِ في عسكره فكسرهم فاجتمعت اليهِ عساكر كثيرة من الخوارج الذين دابهم نهب الاموال حتى صار يركب في عشرين الف فارس فسار بهم ونزل على الفرات فحاصرها عدة ايام ثم ازمع على الرحيل عنها ولما علم اهلها بذلك حملوا اليهِ خيراً كثيراً فرحل عنهم وكان معهُ حاجب يقال لهُ قابوس وهو مقدم عنده فقال لهُ اعلم ياملك ان الحارث الوهاب ملك الشام قد قتل وبقيت دمشق بلا مقدم تخاف منهُ فاقصد بهذا العسكر اليها فان اخذتها ملكت الملك واخذت انطاكية والقسطنطينية وجميع بلاد الروم: لان في ذلك الزمان كان تخت ملك الروم في انطاكية ولكن قيصر كان احب القسطنطينية وسكنها وكان لهُ ولد اسمهُ هرقل تركهُ في انطاكية: فلما سمع هابيل كلام حاجبهِ قابوس رآه صواباً فرحل من ساعتهِ بالعساكر وانضم اليهِ جماعة من الجند الطماعة هذا ما جرى لهؤلاء اما عنترة بن شداد فانهُ بعد ان عول على اخذ عمرو بن الحارث ليدخل بهِ القسطنطينية على الملك قيصر صار يقطع القفار ليلاً ونهاراً وكان الخارجي لما قصد المسير لارض الشام قال لهُ حاجبهُ لا تسير الا بعسكر كثير ومن الراي ان تعود الى

قرقيسا ولتستنجد بالعسكر فاذا انجدتك جلناك خذهم وسر بهم من هناك فرجع الى قرقيسا واخذ يجمع العساكر فلما قرب عنترة من قرقيسا سمع باخبار هابيل وفعاله وانه يجمع عسكراً ومراده يغزوبهم بلاد الشام وياخذها قهراً بالحسام فحلف عنترة ان لايخطو من هناك قدماً من الاقدام ما لم يقتل ذاك البطريق الناكث الذمام وياخذ منه قرقيسا ويعطيها لعمرو بن الحارث وكان الملك قيصر قد سمع بهابيل وحروبه وانه قطع الطريق وجمع العساكر وصار في جيش مثل البحر الزاخر فانفذ مع وزيره لقتاله عساكر وكان وزير قيصر قد سبق عنترة ونزل على قرقيسا واما عنترة فانه جيش الجيوش من سكان البر والامصار واخذ معه عمرو بن الحارث وسار حتى وصل الى قرقيسا فوجد الوزير نازلاً فيها فلما سمع الوزير بقدوم عنترة وعمرو ركب هو وعسكره والتقاهم احسن ملتقى واخبر عنترة بما جرى من هابيل فوعده عنترة انه ياخذه له اسيراً او يجندله قتيلاً عفيراً ثم نزلوا في مضرب واحد فاتصلت خيامهم في دير قرقيسا الى رحيبة بن مالك فباتوا تلك الليلة ولما اصبح الصباح ركبت الرجال الخيل وانحدروا كانهم السيل وركب البطريق هابيل في عشرين الف فارس والتقى الفريقان وكان اول من فتح باب الحرب هابيل وطلب البراز فبرز اليه عنترة وحمل كل واحد منهما على صاحبه ولم يطل بينهما الكلام حتى صدمه عنترة واطبق عليه وطعنه بالرمح في صدره اطلعه يلمع من ظهره فوقع هابيل على الارض صريعاً يمج علقاً ونجيعاً فلما راى اصحابه طعنة عنترة لهابيل ولوا منهزمين فتبعهم اصحاب عنترة والوزير ونهبوا منهم شيئاً كثيراً

قال الراوي فلما اصبحوا انفذ عنترة خلف وزير قيصر والحجاب جميعاً واوقفهم في خدمة عمرو بن الحارث وقال لهم اعلموا اني اريد ان اخذ قرقيسا الى عمرو حتى تكون له دمشق والرحبة اما قرقيسا فقد حصنها اهلها وما قصدهم بذلك الا ان يعصوا علينا فاذاً نريد ان نهتم في عبورنا من الفرات الى جانب البلد والا فلا نقدر عليها فما عندكم من الراي فقالوا له يا ابا الفوارس اكتب اليهم كتاباً بالتحذير والتهديد فكتب كتاباً قال فيه اعلموا يا اهل قرقيسا ومن حضر منكم ومن غاب ان صاحبكم هابيل قتلناه وهزمنا جيشه وافنيناه وما فعلنا ذلك الا بامر الملك قيصر فان عاديتموه حملنا عليكم ولا نترك احداً منكم ونحن قد نزلنا عليكم ولا نرحل عنكم الا بفتح البلد والا نقتل منكم الشيخ والشاب والولد فكانكم بعساكر القسطنطينية قد وصلت الينا لقتالكم وجميع الطوائف تقدم علينا لنزالكم مع اني وحدي كفوء لكم ولا يعظم علينا العبور اليكم ولا تحسبوا ان حصاركم يمنعكم منا او يحميكم فسلمونا قرقيسا في الوقت العاجل وارحلوا منها بالفارس والراجل والا اتى اليكم اسود بني عبس

وبطه نان وشجاع الوقت والزمان وقد اقسم بمعبوده ان لم تسلموا اليه البلد انزل بكم الويل والنكد فلا بد ان ايتم ذلك من اخذ اموالكم وحريمكم ولا نبقي احداً منكم وقد عذر من انذر وانصف من حذر والسلام . ثم انفذ الكتاب مع بعض غلمان قيصر وعبر في قارب اليهم وكان المتولي عليهم قد اخرج الفي خشبة ووضعها حول الفرات لمنع الناس من العبور

قال الراوي ولما بلغ الرسول مكان قصده سلم الكتاب الى بعض الرجال وقال اقرأوه وردوا اليَّ الجواب فساروا به الى المتولي عليهم فاخذ الكتاب وقراه فلما علم ما فيه من التهديد والوعد والوعيد اسودت الدنيا في عينيه وكاد ان يغشى عليه وكان هذا بطريقاً من الجبابرة وقد وكلة هابيل على قرقيسا فالتفت الى الرسول وقال له وحق المسيح لو لم تكن رسولاً لرميتك من اعلى البرج الى نهر الفرات ثم انه مزق الكتاب ورماه وقال له ارجع الى صاحبك الذي ارسلك وقل له لو انكم اقمتم على هذه البلد الف عام لما تمكنتم من العبور اليها يوماً من الايام ثم رد الرسول بلا كتاب فلما وصل الى عنتر اعلمه بالخبر فغضب وركب جواده الابجر وخطف رمحه الاسمر فقالوا له الى اين يا فارس العرب فقال ارمي جوادي في الفرات واعبر الى الجانب الاخر واري اهل قرقيسا ما افعل بهم ومن هو الذي يخسر اذا شهرت حسامي الابتر فقال له الوزير اصبر يا ابا الفوارس حتى نعمل لنا زوارق وندخل اليهم كلنا فقال عنترة هيا معاشر الناس ايتونا بالخشب والنجارين حتى نعمل زوارق ونسير الى هولاء الملاعين

قال الراوي وكان الى جانب قرقيسا قصر عال يقال له قصر بني هزيم وارض عانه وفيه رجل من العرب وكان عارفاً بصنعة الزوارق فاحضروا الاخشاب والنجارين وامروهم ان يعملوا لهم عشرة زوارق فما مضى عليهم مدة يسيرة الى واتموها وانزلوها للفرات في الليل وعبر عنترة ومن معهُ وهم عشرة الاف فارس وانزلوا خيلهم وجميع ما يحتاجون اليه فلم يصبح الصباح الا وكلهم في الجانب الاخر قبالة باب البلد ولما قربوا من الاخشاب التي تمنع من العبور تكاثروا عليها ورموا منها ما قدروا عليه في الفرات وطلعوا الى البر وهم بلا جلبة ولا ضجة ونصبوا خيامهم واركزوا اعلامهم وغاصوا في الحديد وتدرعوا في الزرد النضيد فلما انبسط النهار زعق عنترة زعقة عظيمة وزعقت معهُ العشرة الالاف فارس ووصلوا الى السور وكان على الفرات رجال يحرسون المكان فجال العشرة الالاف بينهم وبين البلد وجالت عليهم فرقة عظيمة وضربوا بهم جسيمة فلم يكن لهم اصوب من الهزيمة وضرب عنترة في الرجال فكردسهم في ساحة المجال وعبر الجيش كلهُ ضحى النهار وزحفوا الى باب البلد فكسروه

ودخلوا و بذلوا في اهل المدينة الصارم الفصال وهربت الرجال وقصدوا حصن البلد فتحصنوا فيهِ ورفعوا الحجارة الى الابراج وعبرت الرجال والعساكر وترجلوا عن خيولهم واحاطوا بحصن قرقيسا ودام القتال وعظم النزال وعنترة في اوائل الناس والحجارة تنزل عليهم مثل الامطار وهم يتلقونها بالدرق الى نصف النهار ورمونها بالفرات وكان عنترة قد ضرب لعمرو بن الحارث قبة من الارجوان الى جانب دجلة واجتمعت الناس حولهُ وبين يديه ثم ان عنترة جرد عشرة الاف صنديد والبسهم الحديد والزرد النضيد وامرهم ان يدعوا النجارين يعملون لهم سلالم ويأتون بها الى جانب الصور فتصعد عليها الرجال والرماة تحميهم بالنبال ففعلوا وكان عنترة قدامهم كالاسد الرئبال وزعقت الرجال ورشقت النبالة بالنبال وزعقوا صوتًا واحدًا وكانوا عشرين الفًا فارتجت قرقيسا باهلها وكان في الحصن اربعون الف مقاتل ففي دون ساعة احتجبت الشمس من كثرة النبال وصارت الخلق كانها الجراد المنتشر على الرمال وكان اول من صعد ووضع رجلهُ على السور عنتر الاسد القسور وتبعهُ الرجال وسراة الابطال ووقع القتال واضحت ارض الحصن من القتلى كالجبال

قال الراوي فلم تكن غير ساعة حتى وقع باهل البلد الانفلال فامر عنترة بان لا يقاتلوا الا الاجناد وفي الحال سلم الحصن والبلد للامير عنترة بن شداد فاستولى على جميع ما فيهما من الاموال والنوال واقاموا هناك وفي اثناء ذلك اتاهم رسول من عند الملك قيصر وسال عن عنترة وعمرو بن الحارث الوهاب فاوصلوه اليهما واوقفوه بين ايديهما فسلم فردا عليهِ السلام فتقدم الى عمرو وقال لهُ ان الملك قيصر يسلم عليك ويقول لك يا فارس الزمان انت صاحب البلاد بعد ابيك فالمراد منك ان تجمع العساكر وتقاتل ابن عمهِ هابيل وان قدرت عليهِ فلا تبقِ عليهِ وان احتجت عساكر اعلمهُ حتى يرسل لك رجالاً لا يعرف لها اول من اخر فقال عمرو بن الحارث اعلم ان حاجة الملك قضيت بسعادتهِ وقد قتل هابيل ونحن لا نحتاج عساكر ولا اجناد لان معنا الفارس الادرع والبطل السميذع اسد الاساد عنترة بن شداد فقال الرسول ومن هو عنترة يا مولاي فاننا نسمع بهِ ولا نراه فاشار اليهِ فتفرس بهِ وتعجب من هول منظره ثم قال يا مولاي أهذا من الجن ام من الانس ثم ان الملك احضر راس هابيل وسلمهُ الى الرسول وقال لهُ اوصلهُ للملك فاخذه الرسول وعاد قاصدًا الملك ولما حضر عنده حدثهُ بما فعل عنترة بعد ان القى راس هابيل بين يديه ففرح قيصر بذلك و بعد ثلاثة ايام رد الرسول الى عنترة ومعهُ خلع واموال

كثيرة وامره ان ياتي بعنترة الى بين يديه هذا ما كان من الرسول واما ما كان من عمرو بن الحارث وعنترة ابي الفوارس فانهما اقاما في قرقيسا بعد مضي الرسول اياماً قلائل وجمعا عساكرهما ووضعا الخزائن وكان فيها مال كثير ثم اعطى وزير قيصر عنترة كثيراً من الاموال ورجع وعمرو طالبين دمشق الشام بعد ما امرا على قرقيسا رجلاً من قبلهما ولما وصل عمرو الى الشام جلس على سرير الملك وعنترة دخل على بنت عمه عبلة ففرحت بقدومه ورات ما معه من الاموال فحمدت الله تعالى على ما اولاهم من الانعام وقالت له يا ابن العم اني اريد ان انفذ اخاك شيبوباً خلف ابي واخي ووالدك ميسرة وقومنا ومن يتعلق ببني قراد حتى ياتوا الينا ونقيم في الشام بقية عمرنا فقال لها افعلي ما بدا لك وهم على ذاك واذا برسول الملك قيصر قد وصل ودخل على عمرو بن الحارث فاشتعل قلبه من قدومه وانفذ يطلب عنترة ابا الفوارس فلما حضر اجلسه الى جانبه وقال له يا حامية عبس ان الملك قيصر قد انفذ يطلبك وقد اشتهى ان يراك فقال عنترة السمع والطاعة ثم قال عمرو وانا اكون معك يا نسل الاجواد حتى اجدد منشور ولايات البلاد وتكون تحت حكمنا وامرنا فقال يا ولدي سر على بركة الله ثم نهض واعلم عبلة بذلك فقالت له يا ابن العم اخاف عليك من بلاد الروم ان يقضي عليك قضاء واخاف ايضاً على روحي فقال يا عبلة لا تخافي فوحق ذمة العرب وشهر رجب لو كنت نائمة لما قدر احد من الانس ولا من الجن ان يوقظك

قال الراوي ثم انه استخلف اخاه جريراً على امواله ومراعيه وكانت في موضع يقال له التيه ورحل هو وصاحب دمشق مع الرسول واخذ في ركابه اخاه شيبوباً وولده الخذروف واخذ عمرو الهدايا والتحف والخيل والف ناقة واربعمائة حصان عربية وطلع العسكر جميعه لوداعه وركب معه اربعة الاف فارس في الحديد والزرد النضيد وجدوا في المسير وعنترة في المقدمة راكب جواده الابجر وعلى عاتقه رمحه الاسمر متقلد بسيفه الضامي الابتر وشيبوب والخذروف قدامه الى ان اشرفوا على القسطنطينية فتعجب شيبوب من جبالها وقلاعها العلية فقال لاخيه يا ابن الام والله لو اننا نقيم في هذه البلاد سنة كاملة لما كنت احقق معرفة ارضها وجبالها واما الرسول فانه ما زال سائراً حتى وصل الى الملك قيصر ودخل عليه واعلمه بقدوم الامير عنترة بن شداد ومعه عمرو بن الحارث فقال قيصر وما الذي اتى بعمرو مع عنترة فقال انه يريد التشريف والولاية منك لتعرف العرب والعجم منزلته عندك

قال الراوي فلما سمع الملك بذلك امر بان تنصب كراسٍ من فضة وذهب في الايوان الاكبر ثم امر باحضار عنترة اليه فقال عمرو لعنترة يا ابا الفوارس خذ من اصحابك مائتي

رجل ودعهم يدخلون على الملك في احسن ملبوس فلبس عنترة الخلعة التي كان قد اعطاه اياها كسرى وتعمم بعمامة الملك المنذر ابي الملك النعمان مرصعة بالدر والجوهر وعلق فيها الخنجر وشد وسطه بمنديل ابريسم وركب عمرو في خواص دولته وبني عمه ودخلوا القسطنطينية فلم يبق احد الا وخرج الى ظاهر البلد وتلقاهم ونشرت الرايات ودقت الكوسات وكان يوماً مشهوداً وامر الملك قيصر البطارقة بلبس احسن الثياب وقد حارت اهل البلد مما راوا وذهلوا من عنترة وهول صورته وتسارعوا اليه وساروا بين يديه وعلى جرعقاتهم وتواترت صيحاتهم فقال لهم عنترة لماذا اراكم تطيلون النظر اليّ وتكثرون التفرس فيّ فقال له الوزير يا حامية عبس يفعلون ذلك من فرحهم بقدومك عليهم ومجيئك اليهم فتبسم عنترة ولم يزالوا سائرين في ذلك الموكب العظيم حتى وصلوا الى باب القصر ودخلوه فراوه مفروشاً بالبسط الرومية والوسائد البهية وقد عاينوا البطارقة والكهول بايديهم اعمدة الحديد واللتوت وعلى رؤوسهم الدرق وهم كانهم نيران محرقة او صواعق مبرقة فلما صاروا في الباب الثاني راوا الحجاب والبطارقة بانواع الملابس وبايديهم اعمدة الحديد وهم بالمناطق الذهبية ثم دخلوا الباب الثالث فعاينوا شباناً باقبية الديباج والاطلس الاحمر وبايديهم حراب الجوهر وهم عن يمين الباب وشماله فلما وصلوا الى الباب الرابع راوا عن يمينه وشماله غلماناً حساناً كانهم الاقمار او حور الجنان وفي ايديهم عصي الصولجان وهي من الذهب الاحمر مرصعة بالياقوت والجوهر ودخلوا الباب الخامس فراوا غلماناً بايديهم القواضب المذهبة والمناطق المحلاة بالجوهر ودخلوا الباب السادس واذا عن يمينه وشماله جمع بالسلاح والغلمان وبايديهم قضبان الذهب والملاهي وآلة الطرب ودخلوا الباب السابع فالتقتهم الفيالة على الكراسي بايديهم اعمدة الحديد والصوارم معلقة في خراطيم الافيال وقد تعلمت القتال بها في المجال فتعجب عنترة مما راى وابصر واندهل شيبوب وتحير.

قال الراوي وكان الملك قيصر قد امر ان ينصب سرير من الذهب الاحمر وكراسي من الفضة والذهب والعاج والابنوس وعليها الفخر ملبوس وامر ارباب دولته ان تتلقاهم وتحييهم وتكرم مثواهم ففعلوا وكان ذلك اليوم يوماً غريب رأوا فيه كل امر عجيب فلما رأى الملاقون عنترة بهتوا اليه وتنافروا من بين يديه ونفر فرسه الابجر فزعق عليهم عنترة ففرقهم ولعبت الافيال بخراطيمها ولمعت السيوف بافواهها . فلما اشرفوا على الملك قيصر زعقت البطارقة واولاد العمالقة الارض الارض فترجل الرسول وعنترة والملك عمرو ومشوا على البسط الرومية والانطاع المكية الى ان اشرفوا على الايوان الصغير مقابل الايوان الكبير

فوجدوه بناءً شاهقاً من عمل اكابر الروم والملك قيصر في صدره على سريرٍ عالٍ يرتقى اليه بسلم وعلى راسه تاج من الذهب والملوك عن يمينه وشماله والايوان يرهج بالذهب وفيه الصور المختلفة والحجاب بعواميد الذهب والفضة والغلمان بعكاكيز الابنوس وهم من حول السرير الذي فيه قيصر فاندهش عنترة من عظم ما رأى ونظر الملك قيصر عنترة وهول صورته وكبر هامته فبهت ومن حوله من البطارقة والعمالقة وعاين عنترة ملابسهم وحسن تيجانهم فاخذته فكرته واطرق الى الارض واوماً ساجداً بحشمة وأدب وخدم وترجم فاستحسن الملك قيصر فعله وأدبه واخذ الرسول بكف عنترة الى بين يدي قيصر وقدموا له كرسياً من الذهب الاحمر فجلس عليه وكان الكرسي عالياً لا يصعد عليه الا بمراقٍ فجلس عنترة عليه ورجلاه في الارض وهو مطرق هذا والملك قيصر والملوك ناظرون اليه واذا بالخدم قد اتوا بالمدام في اوانٍ من الذهب والفضة وقدموا المأكول اصنافاً وهي مغطاة بمناديل الابريسم فوضعوه على الارض وجعلوا بين يدي كل ملك صينية وبين يدي عنترة سبع صوانٍ والرسول والحجاب والوزراء والنواب واقفون بين يديه فامر قيصر الرسول ان يجلس مع عنترة ويأكل معه وكانوا قد احضروا من انواع المأكول والطعام اصنافاً شتى فجعل عنترة يأكل فبهت قيصر ينظر اليه وكلما اكل لوناً اتوه بغيره وكان يأكل دون ان يحرك فكيه لانه لم يكن في الاطعمة شيء من اللحوم يحتاج الى المضغ بل كلها حلويات وقد رأى اطعمة ما اكل مثلها الا عند كسرى لما سماه شيرسان يعني سبعاً اسود

قال الراوي فعند ذلك كلمه الملك قيصر بالعربية بغير ترجمان وقال له لقد انستنا يا ابا الفوارس بحضورك ولكن اخبرني ما الذي حملك على المجيء من بلادك الى ارض الشام وقتل ابن عمي هايل واخذك مدينة قرقيسا بالحسام. فقال عنترة والله ياملك الزمان انا ما قتلته الا لما بلغني انه معاندك وخارج من طاعتك وتغلب عليك وعلى بلادك وكان قصده قتلك وتملك بلادك فلا يهون عليّ ان ارى مملوكاً من المماليك الخاسرة يطمع في ملك القياصرة وكنت انا غضبان عن قومي بني عبس وعدنان واتيت اريد التسلي عند الملك الحارث الوهاب فوجدته قد قتل وثوى في التراب وقد خلف هذا الغلام الذي في حضرتك ورأيته قد اختلفت عليه العوام واكابر الدولة والخدام ففعلت معه ما فعلت حتى اجازي اباه على احسانه الذي اولاني في حال الحياه وها انا قد اتيت به الان اليك وقدمته بين يديك حتى يحظى بانعامك وهو يريد منك التشريف مكان ابيه اذ ليس خافيك ان قطع الاكرام عن اهله صعب

قال الراوي . فعندها تبسم قيصر من كلامهِ وتعجب من اهتمامهِ . ثم انهُ سالهُ عن حسبهِ ونسبهِ فقال لهُ انا من بني عبس الكرام الضاربين بالحسام وامي بنت ملك الحبشة والسودان وابي سيد من سادات عبس وعدنان وقد احببت من صغري بنت عمي عبلة وملكتها بالحسام المشطب وادخلت روحي في الحسب والنسب وتزوجت بنت عمي فقال الملك قيصر صدقت ولكن اريدك ان تريناطرفًا من شجاعتك وبراعتك فقال عنترة السمع والطاعة غدًا اريك من فعالي في الميدان ما تستجير منهُ الابطال والفرسان فقال الامر لك يافارس الزمان ثم قام من حضرة الملك قيصر وتسلمهُ قوم قد رتبهم الملك قيصر لخدمتهِ وادخلوه دارًا شاهقة مليحة البنيان فقال لهم اريد خيامي وقبابي فقالوا انزل هنا فان هذا الموضع قد اعده لك الملك وقد نقل اليهِ من انواع الفرش ما لا يوصف بلسان وان خيامك وقبابك محفوظة فبات عنترة تلك الليلة في ارغد عيش وهناء

قال الراوي . ولما كان الغد ادخلوه الحمام واحضروا لهُ خلعة سنية فلبسها وركب فاخذه قوم اخرون وساروا بهِ الى الميدان وكان طولهُ سبعة فراسخ وقد امتلأ بالعساكر وعليهم الزرد والجواشن والبيض والمغافر والصوافن فعند ذلك امر الملك قيصر بالبراز فبرز الى عنترة رجل من الروم وصال وجال واذا برسول من عند الملك قيصر قد وصل الى عنترة وقال لهُ اما تبرز لهذا البطريق فامتثل امره ورجع الى جانب الملك فجال البطريق ولعب بالرمح وحلقهُ في الهواء والتقاه وطلب البراز من فرسانهم فبرز اليهِ رجل فطعنهُ بعقب الرمح ارداه والثاني اهواه والثالث ما امهلهُ والرابع بنفسهِ اشغلهُ ولم يزل يبرز اليهِ فارس بعد فارس حتى طرح خمسين فارسًا من الابطال وعنترة ينظر اليهِ و يتفرج على ضربهم وطعانهم ويدير طرفهُ في فرسانهم فعاين من الروم جبابرة عتاة يقاتلون بسائر السلاح و يطعنون بالقنطاريات والرماح فعند ذلك قال لاخيهِ شيبوب امضِ الى الدار واحضر لي الدرقة وكانت مصفحة بصفائح النحاس الشديد وهات رمحي الحديد فمضى وعاد ومعهُ خمسة غلمان يحملون الثلثة الدروع وكان الرمح انابيب من حديد مركبة ذكرًا في انثى وحمل شيبوب الدرقة وخرج فعمد عنترة واخذ الانابيب وركبها في بعضها وقد تحير منهُ قيصر فلبس عنترة الثلث دروع وركب على راسهِ بيضة كانها كوكب الصباح وفي الحال صار في صهوتهِ اخف من الريح المسير واخذ الدرقة في شماله والرمح بيمينهِ وامر اخاه شيبوبًا وولده الخذروف وقال لهما انتما كونا واقفين في الميدان بلا مهل فاذا ناديت احدكما فلياتني بالعجل فوقفا كما امرهما عنترة ثم اطلق عنان الحصان وسيره حتى لين عريكتهُ بالجولان وعطف على البطريق المقدم ذكره وقال لهُ خذ

الكتاب الاربعون بعد المائة

من سيرة عنترة بن شداد العبسي

لنفسك الحذر فهد البطريق قنطاريته الى صدر عنترة وزعق على جواده فاختطف عنترة الرمح منه وكسره وضربه بقطعة منه في صدره كاد يخسفه ثم رماه على الصحصحان وتركه في ارضه وصال وجال وطلب البراز والنزال فبرز اليه بطريق اخر في يده صفيحة هندية وحمل على عنترة وصدمه فالتقاه عنترة وحاذاه ولاصقه وقبض على اطواقه وجذبه من جواده وحذفه من يده كالثوب من دون ان يجلد به الارض فخرج اليه بطريق اخر فصبر عليه عنترة حتى قاربه ومدّ يده اليه وقبض على اطواقه ورماه الى ورائه فبرز اليه بطريق اخر شديد الباس صعب المراس قوي الانفاس وحمل على عنترة فزجر عليه عنترة وكبسه فما ترك الجواد يتحرك من مكانه فناداه البطريق الصنيعة يافارس العرب فاطلقه عنترة بعد اعترافه له بالعجز ولم يزل على هذا الحال الى نصف النهار وقد اتعب اربعمائة فارس كرار فخلع عليه الملك قيصر الخلع الغوال ورجع به الى القصر ومعه اخوه شيبوب وولده الخذروف فتعجب الملك قيصر منهما ومن سرعة جريهما وقال له ياحامية عبس من هاهذان فتبسم عنترة من كلامه وقال الواحد اخي والثاني ولده وهما يجريان مع الخيل الضمر فيسبقانها ويصطادان الغزلان والنمورة على ارجلهما فقال قيصر لابد لي من تجربتهما في ذلك فقال الامر اليك هذا وقد امر الملك قيصر الغلمان والخدام فمدوا السماط من الطعام حتى اقبل الظلام وعنترة يحدث الملك قيصر بما جرى له مع شجعان العرب من القتال والاهوال وينشد من اشعاره ولم يزالا على هذه الحال حتى اخذ الملك النعاس فعند ذلك نهض وسار الى مكانه وكذلك عنترة فانه سار الى الدار التي جعلت له وكان في ذلك اليوم قد راى في مجلس قيصر جارية مليحة تخجل الشمس والقمر وتذهل اهل الفكر فلما راها عنترة اطال اليها النظر وتنهد وتفكر فلما راه الملك قيصر على هذه الحالة ما خفيت عليه احواله ولما انصرف عنترة من بين يديه امر قيصر الجارية ان تمضي اليه

قال الراوي فلما دخل عنترة وجد الجارية بانتظاره فلاقته وترحبت به وقد ارتعدت من صورته وعظم هيبته واما عنترة فانه لما راها فرح بها واستانس وقال لها ويلك من اي وقت اتيت هذا المكان وما الذي جرأك على هذا الشان فقالت ياسيدي انا سرية من سراري قيصر وقد انفذني اليك من عنده محبة فيك ثم انها حدثته بالقصة من

اولها الى اخرها فعلم عنترة مراد قيصر فزاد به الغيظ وكره ان يكون له في بلاد الروم ولد وعول على قتل الجارية اذا عزم على الرحيل ثم جاء اليه الخدام فاخذوه وادخلوه الحمام وافرغوا عليه ماء الورد وغسلوه ونشفوه بمناشف عنبريات وسقوه بعد الحمام زبدية كبيرة من شراب التفاح وافرغوا عليه من ملابس الملك قيصر وقدموا اليه فرساً ما راسه مثلة عند كسرى ولا ملوك بني الاصفر واخذوه وساروا به الى الميدان ليتفرج الملك على ما يصنع بالفرسان وكان الملك قد امر ان ينصب في الميدان حلق من الفضة والذهب لرمي السهام بها واخذ الرهان فنصبت فصارت الفرسان ترمي عليها من بعيد وقريب فمنهم من يخطي ومنهم من يصيب فلما راى ذلك عنتر تقدم الى الملك قيصر وقال ايها الملك كم عندك مثل هذه الحلق فقال عندي خمسمائة حلقة كل واحدة مائتا مثقال فقال عنترة ياملك الزمان مر غلمانك ان ينصبوا الجميع في هذا الميدان وانا ارمي عليها فان اخطأت واحدة اكسروا سيفي ورمحي فقال الملك وانت اية حلقة اصبتها خذها لك

قال الراوي فعند ذلك اسرع الخدام ونصبوا هذه الحلق حلقة حلقة فصار عنترة يرمي وكلما اصاب حلقة اخذها فما انقضى النهار حتى اخذ الجميع فتعجب من ذلك الملك قيصر وقال وحق المسيح لا اظن هذا الفارس من البشر وبعد ذلك عاد الملك ولما استقر به المقام قدموا لهم افخر الطعام فاكلوا حتى اكتفوا ثم اتوا بانية المدام وما زالوا على هذا الشان الى ان غابت عقولهم من غناء القينات والنظر الى الوجوه الحسان وبعد ذلك غلب عليهم النعاس وتفرق شمل الناس وقام عنترة يتمايل من الانشراح فردعينة على الجارية الرومية ولم يزل معها الى الصباح وبعد ان صحا قال في نفسه ان قيصر لم يرسل هذه الجارية الا لتحمل مني بولد يشبهني في الفروسية والشجاعة واضمر لها القتل عند رحيله

قال الراوي ثم ان الخدام اخذوا عنترة الى الحمام والبسوه خلعة سنية من خلع الملك قيصر واركبوه جواداً وحمل الغلمان سلاحه وطلعوا الى الميدان فامرهم الملك بالمصارعة فترجلت علوج الروم وتصارعوا فقال الملك قيصر لعنترة يا ابا الفوارس ارني صراعك في الميدان فقال عنترة اوصِ ما لديك من المصارعين بالانصاف وحسن الادب والا اوردتهم موارد العطب فقال قيصر اتقتلهم ياعنترة فقال من اعتدى جرعته كاس الردى . فاوصاهم قيصر بالادب مع عنتر ثم ترجل عنترة وولج الميدان فاخذت الروم تخرج اليه وهو يصرعهم ثم خرج اليه بطريق كانه حجر المنجنيق وقبض على زندي عنترة وهمز عليه فجذبه عنترة اليه فانزل الدم من منخريه فزعق البطريق ووقع مغشياً عليه ساعة ثم افاق ودخل تحت عنترة

اليوفيه عن الارض فعصره عنترة بقوة واخذ به فصاح من صميم فواده ووقع على الارض وبعد ساعة مات فزعقت الروم باصواتها من هول ما عاينت وتعجب قيصر مما رأى وقال لفرسانه من يخرج منكم لهذا الاسد الاسود فلم يجبه احد وداخل الخوف قلوبهم وارتعدت من فعال عنترة فرائصهم

قال الراوي فلما نظر قيصر الروم وقفت عن صراع عنتر علم انهم معه على خطر فعند ذلك قال الملك قيصر لعنترة يا فارس الحجاز اريدك ان تفرجني على السباق بين اخيك وولده فاحضرها عنترة فلما حضرا اخبرهما بما طلب منهما الملك قيصر فقالا على الراس والعين احضر لنا ايها الملك جوادين سابقين حتى نسابقهما قدامك وان شئت احضر لنا غزلانا حتى نفرجك عليها فعندها امر الملك قيصر باحضار جوادين من افخر خيول الغربان واوقفهما في راس الميدان واحضر ايضًا قطعة من الغزلان وقال اريد الخذروف يلحق الغزلان وشيبوب يلحق الفرسين فقالا حبًا وكرامة يا ملك الزمان

قال الراوي ثم بعد ذلك اطلقوا الخيول الغزلان وانطلق شيبوب والخذروف بينها كانهما ذيبان نافران ولم يزالا الى ان توسطا الميدان وشيبوب بين الفرسين والخذروف بين الغزلان ووقف لهما الملك في راس الميدان وفي يده من الدنانير كيسان وقال لهما اي من سبق اعطيته ما في يدي ولم يزالا الى ان بقي بينهما وبين الملك قيصر رمية نشاب فتخطى شيبوب الخيل وسار قدامها مثل السيل وزعق في ولده الخذروف فسار يقفز على الكثبان وصار قدام الغزلان فتقدما الى الملك وسلما عليه وقبلا الارض بين يديه فناولهما الكيسين وتعجب منهما وقال وحق ديني لو كانت العرب كلها هكذا لكانت ملكت الدنيا بما فيها فقال له الوزير ايها الملك هذان الاثنان اذا سمعت الابطال بذكرهما تخاف من شرهما واذا ذكرا بين الملوك تنكس روؤسها لذكرهما ثم حدث الوزير الملك قيصر بما جرى لعنتر وكيف اذل العرب والعجم وسجدت لشعره سائر الخلق والامم وخضع له كل سيد محتشم فقال الملك يا ابا الفوارس اجعل مقامك عندنا في القسطنطينية وانا اجعلك مقدم مملكتي والحاكم على اهل دواني فقبل عنترة الارض مرارًا وقال يا ملك وحياتك لا يقر لي قرار ولا ياخذني اصطبار على سكنى الجدران والاسوار ولا يطيب لي الا سكنى البراري والقفار والمهامه والاوعار لان لي اقارب وخلانًا ولكن اريد يا ملك من كرمك واحسانك ان تجعل نظرك على عمرو بن الحارث وانا لك من جملة الخدام لا اقطع زيارتك في كل عام

قال الراوي فلما هموا بالقيام انفذ قيصر ليأخذ الجارية مريم من مقصورة عنتر لانها

جنكية كما قدمنا وكان قيصر يحب غناءها فلما جاءت الغلمان من عند قيصر لياخذوها لم يجدوها فقالوا ربما يكون اخذها بعض الخدام ولا نعلم اين مضى بها فلما سمع عنترة بذلك الخبر احس ان قلبه انفطر وصاح باخيه شيبوب ويلك يا ابا رياح الحق هذه الجارية الملعونة واقتلها لانني اخاف ان تكون حملت مني فانطلق شيبوب مثل الريح الهبوب فلم يدرك الجارية فعاد الى عنترة واعلمه بهذا الامر

قال الراوي ووقع الصوت بفقد الجارية ووصل الخبر الى الملك قيصر فاغتم لذلك وركب عند الصباح وركب ايضاً عنترة لخدمته وهو في ضجر فقال له قيصر يا ابا الفوارس هل عندك خبر عن جاريتك فقال عنترة وما كان منها يا ملك الزمان والله ما عندي منها خبر ولا شان اماهي عندك في الابيات فقال لا وحق من حكم على عباده بالممات وقد انفذت خلفها وزيري يأتينا بها فرجع اليّ واخبرني انها كانت قادمة فقتلت في الطريق هي والغلمان الذين معها فصعب ذلك على عنترة واظهر الهم والغم وقال يا ملك اعلم اني لما خرجت من عندك ووصلت الى البيت وسالت عنها فقيل لي ان الملك اخذها فعلمت ان الجارية عندي وداعة فسكت فقال لا وحق المسيح ما اردت حضورها الا لاجل غنائها

قال الراوي وذكر في السيرة العراقية ان شيبوباً قتل هذه الجارية واما في الحجازية والمصرية فلم تقتل لانها ام الجوفران فلو قلنا انها قتلت فكيف يظهر منها الجوفران ولذلك راينا قولنا بحياتها اثبت من القول بقتلها فعند ذلك قال عنترة للملك قيصر ايها الملك النبيل اشتهي من احسانك ان تنعم على مملوكك بالرحيل فقال يا ابا الفوارس اصبر علينا قليل

قال الراوي وكانت هذه الجارية قد فقدت بعد ما جرى وكان لفقدها سبب عجيب وحديث غريب لا بد ان نذكره على الترتيب وذلك انا كنا قدمنا قبل هذا الكلام والشان حديث الملك الخيلجان ملك البحر ومقدم الافرنج لما سار الى قتال الملك كسرى مع الملك قيصر في يوم سار الحارث الغساني الى ديار بني عبس وعدنان لياخذ بثار ولده بدر النصرانية واسر اخوة الملك النعمان عمرو بن هند والاسود وكسر عساكر الملك النعمان بغدر بني فزارة وسنان وسبي بني عبس وعدنان كما وصفنا في هذه السيرة وسار عنترة ودريد ومفرج الوحش ابو سبيع اليمن وملكوا البلاد وخربوا الشام وساروا في طلب قيصر الى الفرات وكيف اجتمعوا في وسط الفلاة وكيف اصطلح مع الملك كسرى ورجع بالاسرى وهم بنو عامر ومن جملتهم عامر بن الطفيل وغشم بن مالك وقتل الخيلجان في ارض العارضيات واخوته سوبرت وتوبرت واصطلاح عنتر مع الملك قيصر ورجوعه بعد اخذ الرهائن كما تقدم الخبر . وكان

الملك الخيجان ابن صغير اسمهُ كوبرت فاخذهُ الملك قيصر بعد ان قتلت اخوتهُ وانعم عليهِ واجبهُ وقربهُ اليهِ ومن جملة محبتهِ لهُ جعلهُ من بعض حجابهِ وخواصهِ واحبابهِ فنشا كوبرت فارساً لا يثبت بين يديهِ شجاع في الميدان وعلت منزلتهُ عند الفرسان .

قال الراوي ولما اتى عنترة بن شداد وعمرو بن الحارث صاحب دمشق الشام وتلك البلاد كما تقدم الحديث وقع على الحاجب كوبرت امرٌ عظيم وناله خطب جسيم وتذكر قتلة اخوتهِ على يد عنترة فداخلهُ الحمية وحدثتهُ نفسهُ ان يجهد في قتلهِ ويأخذ منهُ بثار اخوتهِ وكان كلما نظر الملك قيصر يزيد اكرام عنترة ومودته تنفطر مرارته

قال الراوي وكان كوبرت قد هام بحب الجارية التي انفذها الملك قيصر لعنترة وكذلك هي فانها كانت مشغوفة بهِ على ان هيبة الملك كانت تمنعها من الوصال فصار كوبرت يرصدها ويشكو اليها ما بقلبهِ من نيران الحريق وهي تشكو ما تقاسي من الم التفريق ثم اخذا على بعضهما العهود والمواثيق واتفقا على ان ياخذها كوبرت ويوسعا في القفار ويدخل بها في جزائر البحار ويعيشان فيها باقي الاعمار ولما استوثق كلٌّ من صاحبهِ اخذ كوبرت في تدبير حيلةٍ لنوال مأربهِ ومن عظم ما اخذه من الوساوس والافتكار تغيرت احوالهُ وعلى وجههُ الاصفرار بعد ان كان كالجلنار فنظر اليهِ قيصر وهو على هذه الحال وقال لهُ يا كوبرت ما لي اراك قد تغير حالك وما الذي غيب رسوم جمالك فقال يا ملك الزمان وحق من اذل لك رقاب العباد وملكك سائر البلاد ما امرضني الا عنترة بن شداد . ثم قبل الارض بالتسليم والتبجيل وقال ايها الملك الكريم والسيد العظيم اني في صفة قتيل وحامل هماً ثقيل فرق لهُ قلب الملك قيصر لما رأى اصفرار وجههِ وانحدار دموعهِ وقال لهُ اخبرني ما السبب الذي اوقعك بهذا المرض فابلغك الغرض . فقال لهُ أما قلت لك يا ملك ان مرض قلبي والفؤاد من اقامة عنترة بن شداد في هذه البلاد لانهُ قتل اخوتي وتركني بحسرتي وانا اسأل المولى المتعال ان ينعم عليَّ بالمسير الى بعض الجزائر واكون فيها مقيماً مدة قيام عنترة عند الملك الكريم لانني خائف ان يبدو مني شيء في حقهِ فاغتالهُ واهلكهُ فيضيق صدرك لاجل ذلك وتكون سبب ميتتي فهذا سبب ما شملني من الاسقام . قال فلما وقف قيصر على كنهِ احوالهِ اجابهُ الى سوالهِ وامر لهُ بمركب كبير خاص بثلثة ظهور تنهدُّ من صدماتهِ الجبال والصخور كامل العدة بالرايات والرجال وامر بطاعتهِ الابطال فاجابوه بالسمع والطاعة وخرج من تلك الساعة وجمع كل ما يعز عليهِ الى المركب وكان مواعداً الجارية كما قدمنا بالهرب فلما انجزت اموره كلها ولم يبقَ لهُ عائق جاء لياخذ الجارية وكانت وافقة لهُ في

الانتظار فلما جاء اليها تعلقت بها بعض غلمان قيصر فانفرد اليهم كوبرت وقتلهم عن اخرهم واخذ الجارية وانزلها بالمركب واقلع في الحال وسار وكان عنترة قد امر شيبوبًا في تلك الساعة ان يقتل الجارية قبل رحيلهم فجاء شيبوب فلم يرها لانها كانت قد سارت مع كوبرت كما قدمنا ثم طلبوها فما وقفوا لها على اثر ونال كوبرت ما احب واختار

قال الراوي هذا كان سبب فقدها ولنرجع الى سياق كلامنا وكان كوبرت قد سافر وهو يظن انه ملك الدنيا بما فيها هذا ما كان منه واما ما كان من عنترة بن شداد فانه صار عند الملك قيصر في اعز مكان وصار يركب كل يوم معه الى الميدان ويعلم على الفرسان ويسود على الاقران والملك قيصر به فرحان مدة من الزمان وهم في اطيب عيش وارغد بال الى ان كان في بعض الايام والملك قيصر في الميدان وعنترة بن شداد في معاركة الفرسان وعنترة اقرب اليه من كل انسان واذ قد بان لهم في وسط البحر شراع كانه قلعة من قلاع ومركب سائر كانه الطير الطائر وهو نحو القسطنطينية قاصد فوقف الملك قيصر مع عساكره واجناده ناظرين الى نحو المركب فما لبثوا غير قليل حتى وصل المركب وارخيت المراسي ومدت الصقالات وطلع من المركب ماية راهب بالقلانس والدراعات والبرانس الملونات واطواقهم بالذهب معلمات وطلع بعدهم قس نحرير له قدر وتوقير وعلى راسه صليب من الذهب الاحمر مرصع بالجوهر وركب حمارًا اشهب كانه كوكب بمركب ذهب *ودارت حوله الرهبان والقسوس يقراون الانجيل وبعضهم يضرب بالناقوس لزيادة التبجيل وهم يميلون كالعروس بالاكاليل ولما ظهروا من المركب بهذا الشان والخبر ونظروا الى الصليب والجوهر والعلم الاصفر الذي على راس الملك قيصر قصدوا اليه وعنوا بالقدوم عليه وتقدم اليه الراهب واقبل الى ناحية الملك قيصر ورسم الصليب على وجهه وسكع باداء بالسلام والتحية والاكرام فقال له الترجمان بعد ما قبل الارض مرارًا ايها الملك الكبير هذا رسول من عند الملك الليلمان بن صرايز صاحب البحر والجزاير قد اتى اليك فقال الملك قيصر بكتاب ام بجواب فقال بكتاب وخطاب والرب اعلم بالصواب يدبر الامور الصعاب ويصلح الامور الفاسدة برد الجواب

قال الراوي فلما سمع الملك هذا الخطاب امر حجابه وخواصه بملتقى الرسول فساروا ممتطين الخيول والتقوه احسن ملتقى ودعوا للملك بطول العمر والبقا وعزموا على ان يدخلوا بالرسول الى القسطنطينية ويزيدون في اكرامه الى ان يعود الملك من الميدان فابى الرسول ذلك وقال لا ورب سائر الممالك انا لست ماذونًا ان ادخل بلدكم ولا اذوق شيئًا من زادكم الا

بعد ان تقراوا كتابي واسمع ما يعطيني الملك من رد جوابي واعود من هذا المكان من يومي انا وجميع اصحابي فانفذوا بعض الحجاب ومعه جماعة من الرهبان واعلموا الملك قيصر بما قال الرسول الذي قدم من عند الملك الليلمان فامر الملك باحضاره وان يضرب له سرادق وقد اشتغل سره بسبب هذا الرسول الطارق فنصب له السرادق الكبير وجميعة طيور ووحوش وتصاوير وسقفه من الديباج واطرافه من الحرير ونصب في وسطه سرير من الذهب الاحمر مرصع بالدر والجوهر يصعد اليه بست مراق وبسط فيه البسط الابريسم ونزل الملك قيصر ووضع كرسيًا عاليًا وجلس عليه والامير عنترة وجميع خواص مملكته وسائر الحجاب والبطارقة قيام في خدمته فعندها امر الملك باحضار الرسول واذن له بالدخول فاقبل الرسول اليه فقام له الملك قيصر واجلسه بجانبه واخذ يساله عن احواله ويستخبره عما اتى به من سواله ثم امر باحضار الطعام فاحضرته العبيد والخدام فقال له الملك اخبرنا ماذا حملت من الكلام فنهض القس قائمًا على الاقدام ورسم الصليب على وجهه ودعا للملك بالدوام وقال ياملك النصرانية وسيد اهل المعمودية اسالك بالمسيح والسيدة ام النور وبالانجيل وما في الاثنين والسبعين مزمور ان تعفيني من الزاد فاني عبد مامور وفي عنقي عهود وايمان من الملك الليلمان وعليّ شهود من اتى معي من القسوس والرهبان انني لا اذوق لك زادًا دون ان تقرأ الكتاب وترد عليّ الجواب

قال الراوي فلما سمع الملك قيصر هذا الخطاب ازداد غيظًا والتهاب ونادى هات الكتاب فناوله اياه وهو ملفوف في ثوب من الديباج معلم بالذهب الوهاج فقراه وفهم معناه ثم القاه من يده من شدة غيظه ووجده فاخذه الوزير بعد ان امره الملك ان يقراه على الكبير والصغير فامتثل كلامه ونهض قائمًا على الاقدام واخذ يقرأه وكان في اوله اسم الصليب وعيسى ومريم . من الملك الليلمان الى ملك النصرانية وسيد اهل ماء المعمودية نشر المسيح عليه اعلام نصره وامنه من حوادث دهره وجعل امره في الخلق مستمعًا مطاعًا اعلم ايها الملك انه قد وصل عندي ابن عمي ومزيل همي وغمي كوبرت وقد اخبرني ان قاتل اخوته عندك في امان وهو عنترة بن شداد نسل الاوغاد فحين وصول كتابي اليك اقبض عليه وارسله مع الرسول مسلسلاً مغلولاً حتى آخذ بثار اولاد عمي منه وثار اهل الملة الافرنجية وازيل عنها عارها وان ادعيت بدعوى باردة او رددت رسولي بلا فائدة فاني اقصدك بعساكر وكتائب ومواكب يكون اولها عندك في القسطنطينية واخرها ما طلع من بلاد الجزائر البحرية والسلام على من يعرف قدر المسيح واتبع الحق الصحيح وحاد

عن طريق القبيح . فلما فرغ الوزير من قراءة الكتاب وكان خطه بلسان الروم الذي هو عند العرب غير مفهوم امره الملك ان يعيد قراآته بلغة العرب ليسمع عنترة بن شداد ويفهم ما فيه من الايراد فجعل الوزير يقراهُ فصلاً بعد فصل وعنترة يسمع وقلبه من الغيظ يتقطع ولما اتى على اخر الكتاب وعلم عنترة انهُ في هذا المعنى غاية الطلاب عاد سواده الى بياض وجار باذا يجيبهم الملك من الخطاب ونظر الملك قيصر الى وجه عنترة فراى عينيه صارت تقدح مثل الشرر فعلم بحالهِ وما قد نالهُ فعند ذلك قال الملك قيصر للرسول اما الذي اخبر الملك عن عنترة بن شداد انهُ مقيم عندي فصدق واما قوله انهُ قتل الخليجان واخوتهُ فصدق ايضاً لانهم قتلوا في طاعة السيد المسيح ورتعوا في الروض الفسيح وهذا الرجل لما قتلهم كان من اعدائنا واليوم هو من اصدقائنا وحلفائنا وقد اكل طعامنا وتحرم بزادنا وقد حلفت لهُ بالانجيل انني لا اوذيه وقد عقدت بيني وبينهُ الايمان والعهود وبعد هذا المقال ان الرجل الذي تطلبونهُ ها هو بين يديكم واشار الملك قيصر الى عنترة وقال لهم في اثناء كلامهِ اعلموا ان هذا الرجل ماهو بحكمي حتى اقبض عليهِ واسلمكم اياه فان سمع الملك كلامي وعرف مرامي واجاد ذمامي وراعى احترامي فقد نظر بعين الصواب واعترف بالامر الذي لا يعاب والا ان طلب قتالي قاتلتهُ وان حاربني حاربتهُ فما هو اشد مني باساً ولا اقوى مراساً ويعطي الله النصر لمن يشاء ويختار ثم امر للرسول بخلعة سنية وعشرة الاف دينار فابى الرسول ان يقبلها وفعل كذلك جميع الرهبان مخافة من الليلبان بل قال ياملك اريد الجواب حتى اعود من حيث اتيت على الاعقاب فقال الملك لا يحتاج الى كتاب بل حدثهُ انت بما سمعت من الخطاب ورد الجواب

قال الراوي فعاد الرسول الى المركب الذي اتى فيهِ وقلع القلع من ساعتهِ وغاب في البحار عن النظار فعندها قال عنترة ياملك الزمان من يقال لهذا الملك الذي اتى من عنده هذا الرسول فقال لهُ ياابا الفوارس هذا قد اتى من عند ملك يقال لهُ الليلبان وهو ملك عظيم الشان شديد البطش والسلطان حاكم على جزائر كثيرة وبلدان ومسيرة بلاده والارض التى هو فيها اربعة اشهر طولاً وعرضاً وهو صاحب مراكب كثيرة تملا البر والبحر وهو في نفسهِ جبار عظيم وشيطان رجيم ما لهُ في هذا الزمان عديل ولا يقاومهُ شجاع ولا لهُ مثيل لانهُ ثعبان ارقط وبلاء مسلط فلما سمع عنترة كلام قيصر قال ياملك الزمان وكيف الوصول الى بلاد هذا القرنان من البحر الزخار وكم تكون المسافة الى بلاده فقال اربعون يوماً على التمام ليلاً ونهاراً اذا كان الهواء طيباً بلا اكدار فقال عنترة وبعد الاربعين يوماً

اشرف على ديار هولاء القوم فقال نعم يا ابا الفوارس تشرف على الجزائر والضياع والحصون والقلاع فقال عنترة يا ملك والارض التي لم مثل هذه الارض تصلح للجولان وقت الضرب والطعان فقال نعم يا ابا الفوارس فقال عنترة وهذا الملك كانه ما هو من اهل طاعتك ولا هو من اهل ولايتك فقال الملك قيصر لا وحق المسيح يا ابا الفوارس الكذب قبيح ما هو الا ملك وحده فقال عنترة يا ملك لِمَ لا تسيرني اليهِ حتى اذل قذاله وانهب امواله واسبي عياله فقال الملك قيصر وقد سر قلبهُ بكلام عنتر لا بد لنا من قتال هذا الملك الجبار الطاغي الغدار فكانكم بعساكره قد اقبلت ومواكبه قد تبادرت فقال عنترة اذا كان لا بد ان الامر ينتهي الى القتال والحرب والنزال فهيا سيرني اليهِ في بعض المراكب حتى اضمن لك اني لا اخلي من ابطالهم احداً فقال الملك قيصر يا ابا الفوارس لا يبقى احد منا الا و يسير معك واكون انا من جملة الجيوش والعساكر فقال عنترة لا وحق من لا يعرف لهُ اول من اخر لا سار الى ديار هذا الظالم الغدار الا انا ببعض العساكر واترك لي معهُ حديثاً ينقل عما يحل باهل الجزائر من حسامي الباتر وبعد هذا يا ايها الملك ما هذا امر يزعج لك خاطراً ففرح قيصر بمقالتهِ وامل ان ينال بهِ كل ما يريد فامر الملك من يومهِ الحاجب باصلاح العدد والقواضب واحضروا المقدمين الذين على المراكب فلما حضروا اليهِ دخلوا وسلموا عليهِ فامرهم ان يجهزوا خمسمائة مركب سوابق مكملة العدد مطروحة باللبود والطوارق وان يجهزوا واعدها فاجابوه بالسمع والطاعة وطلعوا يجهزونها من تلك الساعة وفتح قيصر خزائن السلاح وفرق الات الحرب والكفاح وجمع عساكره وعرضهم فكانوا اربعمائة الف فارس وبعد ثلثة ايام اقبلت تلك المراكب كانها العرائس المجلية بالطوارق والسواتر والبنود والزحافات والمناجيق السلطانية ثم امر الملك ان تدق الطبول والكوسات والزمور والبوقات ولمعت الطوارق وخفقت البيارق واقبل عنترة كانهُ البرج المشيد او قطعة جبل من حديد غايص بالزرد النضيد متقلد بحسامهِ الضامي الابتر معتقل برمحهِ الاسمر وشيبوب والخذروف في ركابهِ والفرسان بين يديهِ والحجاب والنواب من حواليهِ فاقبل عليهِ الملك قيصر وقال لهُ اعلم ان هذه العساكر والجيوش والمواكب كلهم يسيرون بين يديك في هذه المراكب وانت عليهم مقدم وحاكم وكل من خالفك اهلكهُ وما لك في قتلهِ مطالب فقال لهُ عنترة ايها الملك لا اسير بهذه العساكر وعيون عبلة لا سرت الا في عشرين الف فارس فقال لهُ قيصر لا وحق عيسى لا ادعك تخاطر بنفسك ولاسيما ان القوم من غير ابناء جنسك وهم خلق كثير قال عنترة انني اقسمت ان لا اسير الا في عشرين الف فارس اخيار وسوف

تصل اليك الاخبار وما يفعل عبدك عنترة في اعدائك الاشرار وكيف افنيهم بالحسام واسقيهم كاسات الحمام وانزل بهم الويل والنكد ولا اترك في الديار احدًا فلما سمع قيصر من عنترة ذلك المقال طاوعه على ما كان في مراده وما ابداه من خطابه فعند ذلك قال له شيبوب ويلك يا ابن السودا ان كنت قد اقسمت بهذه الاقسام فدعني انتخب لك الفرسان الذين لهم بين الرجال مقام واخرج لك منهم كل بطل مقدام تعتمد عليه عند الصدام والا فصحبتي اياك بعد هذا اليوم حرام فقال له افعل يا شيبوب ما تريد واحكم بذلك حكم الموالي في العبيد

قال الراوي فعندها تقدم شيبوب الى وسط العساكر وانتخب عشرين الف فارس كالليوث العوابس فقال له عنترة لم هذه الفعال ولاي سبب انتخبت هذه الرجال من بين هولاء الابطال فقال شيبوب اعلم يا ابن الام انك تريد ان تلتقي بهولاء اهل ملتهم ولا نامن ان يخامروا علينا اذا وقعت الحرب بيننا وان يصيروا يدًا واحدة فانتخبت منهم اصحاب العيال ومن له نسب من اولاد وشبان لان هولاء دائمًا يحنون الى الرجوع الى الاوطان لاجل نسائهم واولادهم فيقاتلون وينصحون ومن تحت امرنا وطاعتنا لا يبرحون فقال له عنتر والله يا شيبوب ما نظرت الا موضع النظر ورأى الملك قيصر ما فعل شيبوب وعنتر فتعجب من معرفتهما وذكائهما فعند ذلك امر الرجال الذين انتخبهم شيبوب بالمسير صحبة عنترة بن شداد واكثر لهم من الزاد وضاعف من العدد والخيول الجياد ونادى معاشر العساكر والاجناد اعلموا ان المقدم عليكم هو عنترة بن شداد وهو المتولي من قبلي وامره فيكم كامري فمن خالفه انتقمت من اولاده وهدمت دياره وسبيت اهله وعياله فلما سمعوا من الملك ذلك اعلنوا جميعهم لعنترة الطاعة ثم دعا الملك قيصر ولده هرقل وهو ولده الاكبر الذي قدمنا انه ولاه على انطاكية وكان قيصر قد احضره لما عزم عنترة على انتخاب العسكر وكان ولده هذا ولي عهده والحاكم على مملكته من بعده فلما حضر بين يديه قبله بين عينيه وقال لعنترة يا ابا الفوارس اعلم انني قد احضرت ولدي هرقل وامرته ان يسير في صحبتك وهو من تحت امرك وطاعتك ثم امر ولده بالطاعة لعنترة وان لا يخالفه مهما فعل ودبر فاجاب هرقل بالسمع والطاعة هذا وقد نزلت العساكر وترتبوا في المراكب وانزلوا معهم خزائن السلاح من سيوف ورماح وقنا وقواضب وقد افردوا مائة مركب لحمل الخيول الجياد ومائة سفينة برسم الماء والزاد ومائة لاجل الحاجة اليها في تلك البلاد فصارت المراكب ثلاثمائة وكلها مجهزة لعنترة وبسائر الحرير مزينة وفيها البنود والاعلام والرايات وقد امتلات

بقية المراكب بالرجال الابطال واستعدوا للحرب والقتال و بعد ذلك اقبل عنترة وهرقل بن الملك قيصر وخواص مملكتهِ وحجابه وارباب دولتهِ ونوابه ونزلوا في المراكب ونزل ايضًا الملك قيصر لوداع ولده واوصاهم ثانية بعنترة وامرهم ان يكونوا تحت طاعتهِ وان يحترزوا على ارواحهم غاية الاحتراز وان يستعملوا في امورهم الانجاز ثم دقت الكؤوسات ونعرت البوقات وخفقت الاعلام والرايات وشرعت القلوع وسارت المراكب بعناية الرحمن وهي ملای بالعساكر والفرسان يقصدون جزائر الملك الليلمان هذا ما كان من امر عنترة والملك قيصر واما ما كان من الملك الليلمان فانهُ لما ارسل الرسول بالكتاب اقام ينتظر ماذا يكون الجواب مدة من الزمان و بعد ايام اقبل ومعهُ جملة من الغربان ولما حضر لديهِ قبل الارض بين يديه واعاد الجواب عليهِ فلما سمع الليلمان كلام المعتمد قام وقعد وارغى وازبد ونادى في جيوشهِ وابطالهِ وعساكره واقيالهِ فاجتمعوا ففرق عليهم السلاح والزرد وكان عددهم مائتي الف فارس ما بين مدرع ولابس وفي الحال اصلح مراكب الحرب والقتال وهيأ نفسهُ لملاقاة الابطال ولما كمل شغلهم ذهبت العساكر في عاجل الحال ودخلوا المراكب فجلس بينهم كانهُ الاسد الرئبال وامر برفع القلوع وصاحت تلك الجموع وساروا طالبين القسطنطينية لقتال الملك قيصر وقد املوا ان يكسروه في هذا العسكر وما علموا بما كتب الله عليهم من البلاء المسطر وساروا يخوضون البحار وصاحب القدرة يدبر ملكهُ كيفما يشاء ويختار

قال الراوي وظلوا سائرين وفي السير مجدين مدة خمسة وعشرين يومًا وفي اليوم السادس والعشرين توقفت الريح ثم طلع ضباب وما زال ينمو و ينتشر حتى سد الاقطار وهدأ البحر فوقفت جميع المراكب بعد ان ارخوا المراسي وضمت القلوع واقاموا خمسة ايام في اكل طعام وشرب مدام ثم في اليوم الثاني والثلاثين من سيرهم عن الديار هبت الرياح من سائر الاقطار فارخت الرجال القلوع وسارت المراكب في البحر يومًا وليلة وفي الصباح اشرفت عليهم مراكب الملك قيصر وفيها عنترة بن شداد ولما اشرفت الطائفتان وبانت القلوع كانها اجنحـــة الطيور ارتفعت الزعقات وعظمت الصرخات وتراشقوا بالسهام وعظم المرام وفي دون ساعة تصادمت المراكب وجردت القواضب وسعت لبعضها الابطال وراجت اسواق انقضاء الآجال وكثر الخوف والفزع وتولى القوم الهول والجزع فلما نظر عنترة الى هذا الشان وثب كانهُ الاسد الغضبان او النمر الحردان وهمز بنفسهِ حتى صار في مركب العدو وزعق باصحابهِ وسل سيفهُ واوقع بهم فعلا صياحهم وكثر

نواحيهم فلما نظرت بقية اصحاب المراكب الى عنترة وما فعل تواثبت عليه من كل جانب وكان عنترة يضرب فيهم يميناً وشمالاً ويريهم عجائب واهوالاً وقد احل بهم المصائب واوقع في الافرنج البلاء والمعاطب هذا وهرقل بن قيصر يصيح في الفرسان ويحرضهم على القتال وهو بينهم يقاتل قتال الابطال الذين يحامون عن الحريم والعيال فلما نظرت الروم اليه وهو يفعل هذه الفعال انتخت الفرسان وقاتلت الشجعان والاقيال وعظم النزال وفرغت الاجال هذا وعنترة يضرب فيهم ضرباً كنار الحريق فصار هذا قتيلاً وهذا غريق وقد حمل كل منهم ما لا يطيق

قال الراوي فانخذلت الافرنج ونصرت عليها الروم بواسطة عنترة الفارس الهجوم ولما اذنت الشمس بالزوال واقبل الليل بالانسدال انفصلت الطوائف عن بعضها البعض ورجع عنترة وهو فرح مستبشر وقد التقى بهرقل ابن الملك قيصر واثنى عليه مع كل من حضر ثم ان عنترة انتخب من المراكب خمسمائة فارس شداد عند الصدام والجلاد وما زال يوصيهم بان يجيدوا الحرب والكفاح والضرب بالصفاح حتى طلعت غرة الصباح فزحف عنتر الليث القسور وشيبوب وولده الخذروف من حواليه فلما نظر الملك الليلمان الى عنترة وقد برز من مركبه يطلب القتال من دون رفقائه صرخ في قومه وامرهم ان يخرجوا الى لقائه وكانت كل قطعة الف فارس منتخبة فاحاطوا بمركب عنترة من اليمين والشمال وعظم بينهم الحرب والقتال والالتحام والصدام فصرخ فيهم عنترة الفارس الهمام وقاتل قتال من كره الحياة والمقام ونثر بسيفه الاكف نثراً وحلق الجماجم الى البحر خمساً خمساً وعشراً عشراً وقصدته المراكب من كل جانب وتقدم منها علج هائل المنظر وطلب قتال عنتر فلما قاربه وحمل عليه ضربه عنترة فقسمه قسمين فحمل اخو المقتول على عنترة فضربه عنترة شقه نصفين ورماه قطعتين فتكاثرت عليه البطارقة وحمل عليه العمالقة وكانوا مثل المطر فزعق فيهم عنتر وصرخ وزمجر ورمى منهم الجماجم مثل الاكر فرمت الافرنج ارواحها عليه ومالوا بكليتهم اليه فلما نظر عنترة كثرة الخلائق اخذه الجنون وقاتل قتال من ايقن بشرب كاس المنون وقد التصقت بمركبه العشرة المراكب المقدم ذكرها وداروا به كما يدور السواد ببياض الحدق وربطوا المراكب بمركبه بالكلاليب والحبال واشتد القتال وعظم النزال ولم يزل عنترة يقاتل الاعداء حتى ملك المراكب منهم قوةً وقهراً ورجع بها وقد اضافها الى مراكبه فالتقاه هرقل ابن الملك قيصر وفرح به وشكره واثنى عليه فقبل يده الامير عنترة وباتوا يحرسون انفسهم الى الصباح فتقدمت مراكب هرقل تطلب القتال والحرب والنزال

وهي معتدة بالعدد الكاملة والالات والسلاح فالتقتهم مراكب الافرنج وقد كثر بينهم الصياح وذهبت من الاجساد الارواح واما عنترة فانه امر رئيس المركب ان يتقدم بمركبه ويصدم به مركب الليلمان

قال الراوي وكان مركب الليلمان كبيرًا واسمه العراب فسار به الى ان صدمه فعند ذلك نهض عنترة وقفز من مركبه ونزل في مركب الليلمان وكان الليلمان من خوفه من ذلك لم يبت في ذلك المركب اما عنترة فوثب كاسد الغاب ونثر من الافرنج الرؤوس والرقاب والحق بالشيوخ الشبات فمن لم يقتل منهم بسيف عنترة رمى بنفسه الى البحر فغرق واندثر وبينما عنترة في شدة القتال واذا بهرقل قد ناداه ادركنا يا ابا الفوارس فقد ملكت الاعداء مراكبنا فالتفت عنترة فرأى معهم نحو الف فارس من رجال الافرنج كانهم الاطواد فاطبق عليهم ونادى يالعبس يالعدنان يالقراد الاجواد وبيده سيف قرضاب فطلبته الرجال وهجمت عليه الابطال وبينما هو يقاتل طلعت عليه الف اخرى فهنالك عمل الحسام وفلق الهام وسقاهم عنترة كؤوس الحمام وكثر العدد عليه ومدوا الاكف بالسيوف اليه اما الملك هرقل فقد خاف من المعاطب ومال من خوفه الى اخر المراكب هذا ولم يزل سيف عنترة لهم ماحق ورمحه فيهم خارق حتى ابتلاهم بالخبال وجرعهم كؤوس الوبال

قال الراوي وما صار اخر النهار واقبل الليل بالاعتكار حتى رايت الجمع قد تفرق واكثرهم اثر الغرق فلما نظرت باقي مراكب الليلمان الى ذلك الحال والى ما حل باصحابهم من الهلاك والوبال تقهقروا خلف المراكب خوفًا من الهلاك والمعاطب

قال الراوي ولقد سالت شيبوبًا بنفسي حين عاد الى الديار وقلت له كم كان عدد الذين دخلوا على عنترة في المركب فقال وذمة العرب خمسة الاف والذين قتلوا يضاهون عددهم بلا خلاف والذين رموا ارواحهم في البحر ثلاثة الاف وصارت الناس تنظر الى مركبنا شذرا وترمقنا حذرا وقد رايت من اخي الهول المنكر هذا وعنترة يجول على المركب وقد تذكر ما جرى عليه من قيس بن زهير فانشد وقال

ايا طايرًا اذهبْ لقيسٍ وقلْ لهُ ... باني ليث الحرب في البرّ والبحرِ
واخبره عن فعلي الشديد وقل له ... رفيقي حسامي والعلوج على ظهر
وتحتي امواج من الماء لم تزل ... وموج نجيع من على كبدي يجري
ومايــة الف بالبلاء رميتهم ... وخلفتهم في البر صرعى الى الحشر
ومن كان مثلي كيف يحمل هجره ... ويصبح في ارض يُضامُ بلا شكرِ

ولا ذنب لي الا حفاظ عهودهم ۔ وارعاهم جهدي ويسعون في ضري

قال الراوي فلما سمع الملك هرقل هذا الكلام قال لعنترة لا فض فوك ولا كان من يشنوك فلله درك من بطل خطير وفارس نحرير وانت للصاحب نعم النصير ولك المناقب المشهورة والمقامات المذكورة فتبسم عنترة من قول الملك هرقل بن قيصر الذي اثنى عليه وشكر اما الملك هرقل فانذهل مما فعل عنتر ومما عاين منه في ذلك الامر المنكر ثم ان شيبوبًا شكر اخاه عنترة وتقدم اليه وحياه بالسلام وهنأه بسلامته وقبل يديه والاقدام وبعد ذلك التفت عنترة الى الملك هرقل وقال له يا ابن الملوك الكرام وحق الرب القديم العلام لو كنت على وجه الارض فوق ظهر الجواد لكنت نظرت ما افعل بهؤلاء الاوغاد وكيف كنت احلق رؤوسهم بالحسام وانزل بهم الحمام فصدقه الملك هرقل في مقاله لما عاين من فعاله ولما ولى النهار واقبل الليل بالاعتكار اوقدوا النيران في المراكب وتحارسوا من كل جانب الى ان طلع الفجر وزالت الغياهب وكان قتال المراكب في هذه الثلاثة الايام من غير مشاهدة الملك الليمان غير انه سمع بما فعل عنتر فحنق عليه وتكدر وتغيرت احواله لانه راى ما هاله فصاح في رجاله وابطاله وامر اصحاب المراكب جميعها بالحملة فعندها انطبقت على مراكب الملك هرقل وضيقت عليهم من كل جانب هذا والبحر من تحتهم قد ارغى وازبد وزادت المصائب وضربت الريح الامواج من كل جانب اما عنترة فدحرج عن الرقاب الجماجم وقاتل قتال الابطال الاكارم هذا وشيبوب قد حار وانذهل والخذروف طاش عقله وتخبل ونادى بابيه شيبوب يا ابتاه مالي ارى راسي يدور مثل الورقة في الريح العاصف وقلبي خائف راجف وقد ضاقت بي الحيل هذا والافرنج قد ابدعت في الروم وقربت منهم الاجل وضربت بالسيوف وطعنت بالرماح الذبل وعنترة قد برى منهم الرؤوس وسل من الاجساد النفوس هذا كله يجري من عنترة الذي قاتل قتال البطل النحرير ولكن الخلق عليه كثير والجمع غفير وقد صارت الاعداء من حوله كانهم دورة الحلقة وتدفقوا عليه وضايقوه اشد مضايقة وهو يحمل ويحمي الرجال الذين معه في المركب ويتحسر مما عاين من قتال البحر هذا وقد ملكت الافرنج من مراكب الملك قيصر ثلاثة مراكب قوة وقهرًا وحرقوا مراكب اخرى واشرف مركبان على الاسر والضرر والملك الليمان يحرض الابطال على القتال ويحمي الرجال فترمي ارواحها بالهلاك والوبال وقد داخلهم الطمع في مراكب الملك قيصر ولاح لهم لائح النصر والظفر فقال الخذروف لابيه شيبوب والله يا ابتاه ان قلبي قد خفق وما رايت عمري مثل هذا اليوم لان نفسي قد صارت مثل

العلق فقال ابوه وانا والله ما بقي فيَّ من رمق ولقد خفت على نفسي الف مرة من الغرق فياليتنا كنا على البر ودع السماء على الارض تنطبق حتي كنا نسابق الريح والبرق اذا ابرق و يعلم ابنا الاسبق

قال الراوي فبينما هم على ما هم عليهِ من الحزن والقلق واذا بالبحر قد هاج عليهم اعظم هياج وقد تلاطم بالامواج واظلم حتي صار كالليل الداج فتباكت الروم والافرنج والاعلاج وتخلوا عن الحرب والقتال لما صارت الامواج عليهم مثل الجبال فعند ذلك تغيرت منهم الاحوال وبطل القتال وصار الظلام كانهُ السرادق المسبل وقد ضربت المراكب ضرباً معجلاً ففرقتها عن بعضها البعض وصارت تلعب في البحر طولاً وعرض وقد اشتغل كل واحد بنفسهِ عن ابناء جنسهِ ولم يزل الظلام عليهم مدة ثلثة ايام على التمام وشيبوب يقول لاخيهِ عنترة وحق رب الاواخر والاوائل يا ابن الام لا اظن اننا نسلم من هذا البلاء النازل ولا ننظر الديار والمنازل ولم يفعل احد بنفسهِ مثل ما فعلنا بانفسنا بمجيئنا الى هذه الديار ونزولنا في هذه البحار وحق خالق العباد ومروّي الاكباد لست بآسفٍ على روحي ولا على الاولاد ولكن اسفي كيف نموت غرقًا في هذه المياه ويشتفي منا اللئام الاوغاد الربيع بن زياد واخوه عمارة القواد فقال لهُ عنترة وقد تحسر وتنهد واظهر ما عنده من شدة الجلد لاتخف ياشيبوب وكن جلودًا ودع عنك كلام كل بليد فان كان لك اجل بعيد لا يعمل في جسمك الحديد

قال الراوي وفي اليوم الرابع انجلى ذلك الظلام وسكن هيجان البحر والغليان باذن الواحد المنان الذي لا يشغلهُ شان عن شان فلم يرَ من تلك المراكب ولا قارب بل ان الريح شتتها بما فيها وضربها الموج ففرقها وذهب اكثرها ولما قربوا من البر تفقدوا ما تلقوه من مراكبهم فراوا مراكب الزاد والخيول والسلاح سالمة وكذلك مركب الخيام والاثقال وافتقدوا ما ذهب فوجدوه خمسة عشر مركبًا كبارًا بما فيهم من الرجال لا يعرفون ماذا صنعت بهم حوادث الايام والليال فلما طلعوا الى البر كانهم طلعوا الى دنيا جديدة فضربوا الخيام والسرادقات ونشروا الاعلام والرايات

قال الراوي فاقاموا في جانب البحر وهم في امان واخذوا الراحة من انزعاج الارياح مدة خمسة ايام ولما كان اليوم السادس شاور الملك هرقل عنترة في الرحيل الى ديار الاعدا فانعم بذلك واجاب فركب هرقل ابن الملك قيصر ورفعت على راسهِ الاعلام وساروا بعد ما خلفوا لحفظ المراكب بعض الفوارس وسار عنترة في المقدمة وكان شيبوب وولده الخذروف حواليهِ وساروا في تلك البراري والقفار فتذكر عنترة ما فعل الملك قيس وابناه

زياد بعد ما رفع لهم العماد وهابتهم لاجلهِ الملوك والاجناد فزاد بلبالهُ واشتاق الى المنازل والاطلال فجاش الشعر في خاطره فانشد وقال .

الكتاب الحادي والاربعون بعد المائة

من سيرة عنترة بن شداد العبسي

حتى مَ القى عنابًا غير مستمعِ　وانفق العمر بين الياس والطمعِ
وكم اري لي من الايام مفتريًا　يقول ان البلا في الكون من بدعي
ولست افكر في جدٍ ومرتحل　وان تقولَ ليَ الايامُ خذ ودعِ
قصدي اجاهد نفسي كي ابلغها　مراتب العز لو في ناصر السبعِ
سيصحب الدهر مني ماجدًا بطلاً　لو داس عرنين انف المجد لم يرعِ
لا اقبل النقص والايام مقبلة　والبيت في المجد سامٍ خير مرتفعِ
لاركبن من الاهوال اعظمها　وكلما برفع الرحمن لم يضعِ
ولا اكون كمن يسعى بهمتهِ　ومنتهى سعيه للري والشبعِ
لاحاجة لي بعمرٍ قد اعيش بهِ　رغدًا وجاري بقربي غير منتفعِ
وبين احشايَ عزم يقتضي هممًا　لو ضمها صدر هذا البحر لم يسعِ
فلا رعى الله ارضًا لا اكون بها　غوثًا لذي امل غيثًا لمنتجعِ
كم عاين الدهر من صبري ومن جلدي　وليس يوجد صفو العيش في الجزعِ
وكم سقاني من كاسٍ على ظماء　امرٌ بالطعم من صبر ومن لسعِ
وما رماني بسهم من نوائبهِ　الا ملكت بصبري غاية الرفعِ
سل الاخلاء عني هل صحبتهم　يومًا من الدهر الا والوفاء معي
القى مسيئهم بالبشر مبتسمًا　حتى كأنْ لم يخن عرضي ولم يذعِ
وسلهم هل وفى لي من ثقاتهم　حرٌ ولم يشر في عرضي ولم يبعِ
فمذ تفكرت في شاني وشانهم　فبان لي ان ذنبي عندهم ورعي
اواه من زفرات كلما صعدت　في الصدر كادت تواري النار في ضلعي
يثيرها اسف قد بان عن ندم　يزيد في اسف المغبون عن جزعِ
اليس ذلك عمرًا ما نعمت بهِ　حينًا وافنيته في عشرة اللكعِ

ولست اذكر ايامًا بصحبتهم فيها سعت لي صروف الدهر بالبدع
ولا على شدة اخشى عواقبها وإننا ساثنان ذو باس وذو فزعِ
لكن على ذروة تزهو جواهرها في عقد كل نظام غير منقطعِ
تركتها معشرًا كي يبتغوا بدلاً عني فاني في عيشي لذو قنعِ
وكنت اولى بهم منهم وكم منن ضاعت وما فائت ماض بمرتجع
وغرني منهم لفظ خدعت به والناس ما بين خداع ومخدعِ
فلا يكون القلا لولا صداقتهم لكن لي كرمًا ينهي عن الطمعِ
يا باني المجد هل ارضى بغير رضا واي عزم بماض غير منصرعِ
ما اقبح الذل بالحر الكريم وما اسوا واقبح منهُ العز بالهلعِ
ما لي اخاف وقلبي قد من جبل ومركب العزم من ضربي ومن تبع
ولي من المجد اسناه واشرفهُ وهمة حزت فيها كل مرتفعِ
المجد اعتق والاداب بارعةٌ وذروة المجد مصيافي ومرتبعي
لي الفصاحة صيغت قد عرفت بها وكل معنى بديع فهو مخترعي
فيا سكم من رجوعي بعد منصرفي اولى بشاني ليغنيني عن الخدعِ
لا خير في منزل يشقى الكريم بهِ ويلحق السيد المنعوت بالشنعِ
وكم احذر قومي في مواردني عن انتزاحي واخلائي لمرتبعي
وان يراعوا ففي المعقول ذو فرج في الحجر خير من الغماء في الوسعِ

قال الراوي ولما فرغ عنترة من شعره اطرب الحاضرين بنظمهِ ونثره وشكره الملك هرقل وساروا طالبين ارض الملك الليلمان وكانت مراكب الليلمان قد غرق اكثرها في تلك الايام وما سلم الا ايسرها بعد ان قاسوا امرًا عظيماً وخطبًا جسيماً حتى وصلوا الى ساحل البحر فمن كان جواده حاضرًا ركبهُ وما زالوا سائرين حتى وصلوا الى جزيرة تعرف بجزيرة الكافور وقلعة البلور وكانت هذه تخت الملك الليلمان وكان لهُ ولد يسمى سرجوان فلما قربوا من المدينة عرف سرجوان رايات والده فركب لاستقبالهِ وكان هذا ولي عهده لانهُ لم يرزق غيره فلما التقى بهِ تقدم اليهِ وعانقهُ وقبلهُ ثم دخل الملك الى قصره وجلس على تخت مملكتهِ وجمع خواصهُ وارباب دولتهِ وقص عليهم قصتهُ وما جرى على مراكبهِ وابطالهِ وما قاسى من عنترة بن شداد وكيف كانوا قد انتصروا عليهِ

واخذوا بعض مراكبه وكيف هاج البحر عليهم واظلم الجو وغابت جميع كواكبه ثم قال لهم ياقوم وبعد هذا يجب ان ناخذ لانفسنا الحذر والاحتراز من عنترة فارس الحجاز ونتاهب لملتقى الاعداء فان سلموا من الغرق في هذه الليلة فلابد لهم ان يطلبونا فاذا كنا على حذر كان اسلم لنا ثم امر الملك الليلمان في تلك الساعة النقباء ان يعلموا الرجال باخذ الاهبة للقتال وارسل الى سائر القلاع يستحثهم على المسير الى ارضه ليكونوا عونًا له عند الصدام فاجابوه في السمع والطاعة وتجهزوا من تلك الساعة واخذوا الاهبة للحرب والقتال ولقاء عنتر وهرقل ابن الملك قيصر ومن معهما من الابطال فما كان اكثر من ثلاثة ايام حتى اقبلت العساكر مثل الجراد الطائر فامر الملك الليلمان باخراج الجرايات والعلوفات وتجهز في ثلاثين الف عنان قد لبس كلهم الحديد وتدرعوا بالزرد النضيد وهم من كل فارس شديد وبطل صنديد ورحلوا طالبين عساكر الملك قيصر وابنه هرقل وعنترة الفارس الضرغام وساروا ثلاثة ايام

قال ولما كان في اليوم الرابع اشرفت عليهم اصحاب القرى جافلين ومن عسكر الروم هاربين واخبروا الملك الليلمان بخبر العساكر والفرسان فامر الليلمان الابطال ان ياخذوا الاهبة للقتال والحرب والنزال فتاهبوا كما امرهم وقد نزلت الرجال لاراحة انفسهم وخيلهم قبل القتال فما لبثوا اكثر من ساعة حتى طلع عليهم الغبار فاظلمت منه الاقطار واقتم ضوء النهار ساعة وبعدها بانت رايات الملك قيصر وفي المقدمة ابو الفوارس عنتر وصهلت الخيول الصافنات وخفقت البنود والرايات ودقت الطبول والكوسات ونعرت البوقات

قال الراوي فركب الملك الليلمان وحوله القسوس والرهبان وضربت كوساته ونعرت بوقاته وتقابل الفريقان واصطدم الجيشان وحان الحين وزعق غراب البين وصهلت الخيول ولمعت النصول واشتاقت الى القتال الفرسان وهمهمت الابطال والشجعان وتقدم الملك الليلمان وقوى قلب الشجعان ورتب العساكر في الميدان واصطفت الصفوف واعتدلت المئات والالوف فعندها برزت الشجعان وتراسلت الفرسان وخرجت الخيالة من تحت الاعلام والبنود فصار عنترة يفترسهم افتراس الاسود وقاتل قتال العرب الجاهلية اصحاب النخوة والحمية ولم يزل في الميدان ينهب ارواح الفرسان من الابدان من بكرة النهار حتى صارت الشمس في قبة الفلك الدوار ولاقى بصدره الاهوال والاخطار واهلك من الافرنج مائة فارس كرار فرأى ملك الافرنج من عنترة ليثًا مغوارًا واسدًا هدارًا فغضب وصارت عيناه مثل شعل النار فعند ذلك عزم على البراز في بقية ذلك النهار الا ان عنترة لم يهل

الافرنج دون ان اطبق عليهم فاطبقوا عليه بجملتهم وجردوا المشرفيات وهم كالجبال الراسيات

قال الراوي فعند ذلك صرخ الملك هرقل في اجناده فحملت والى الافرنج صدمت فارتجت تلك الارض في الطول والعرض وانزعجت سكان تلك التخوم وكان ذلك اليوم على الافرنج يوماً مشئوم راجت فيه سوق القتال وجرى الدم وسال وهانت المنية على العبيد والاحرار وولى الجبان وركن الى الفرار وما زالوا على هذه الحال الى ان اذن النهار بالارتحال واقبل الليل بالانسدال هذا وشيبوب وولده الخذروف حوالي عنتر يحميان جواده الابجر وراكبه الفارس المغوار وقد تمنوا ان تلك الحال تدوم عليهم ما دام النهار ولا يشاهدون موجات تلك البحار ولم يزل شيبوب والخذروف يدوران حول عنترة كيفما مال حتى ولى النهار واقبل الليل بالاعتكار فخسرت خيالة الافرنج وتضعضعت وتاخرت الى الوراء واندفعت وقد عاينوا من عنترة الليث العبوس والبطل الشروس ما تشيب منه اللمم والرؤوس وكان قد قتل منهم خلقاً لا يقع عليهم عيار ولولا الليلمان لكانت طلبت الفرار وقد انفصلت الطوائف عند اقبال الظلام ونزلت في مضاربها والخيام وحمل الملك الليلمان من عنترة ما لا تحمله الجبال وعلم انه قيل من الاقبال لانه كان يظن في نفسه ان لا احد من سائر الطوائف يقدر ان يقف بين يديه ولا يقابله في الحرب والنزال ولما راى من عنترة تلك الفعال اقسم ان لا يفتح باب الحرب غيره باكر النهار ولا يبرز لعنترة سواه من الفرسان لياخذ لمن قتل من ابطاله وبني عمه بالثار وقد بات تلك الليلة متفكراً في الحرب والكفاح ولا يصدق ان يصبح الصباح وما زال حتى بان النهار فركبت الجموع ولمعت الاسنة والدروع واصطفت الصفوف وتعدلت الميات والالوف وساروا في وسط الميدان وقوف فهم الملك الليلمان بالخروج من شدة الحنق واذا بعنترة قد سبق فجال وصال وطلب البراز والقتال فما اتم كلامه حتى برز اليه من عساكر الافرنج فارس كالاسد الغضبان على حصان سريع الجريان وعليه درع محلاة بالذهب تاخذ بالبصر ومن فوقها ثوب حرير يحير الفكر وعلى صدره صليب من الذهب الاحمر مكلل بالياقوت والجواهر وعلى راسه واكتافه خمس لوءلوءات كبار تذهل النظار

قال الراوي وكان ذلك الفارس الملك الليلمان ولما توسط الميدان نادى ويلك يا اسود الجلد لقد اكثرت الكلام واطلت المقام فدونك ضرب الحسام وابرز الي حتى اسقيك كاس الحمام فلما سمع عنترة هذا الكلام صار الضياء في عينيه كالظلام وحمل عليه حملة الاسد الغضبان فالتقاه الملك الليلمان وجردا البيض الصفاح وتطاعنا بالرماح فكانت لها ساعة

زهقت فيها الارواح فراى الملك الليلمان من عنترة فارسًا لا كالفرسان وشجاعًا لا يقاس بالشجعان ونظر عنترة اليهِ بعين خبير وعرف منهُ التقصير واخذا في الكر والفر والهزل والجد والقرب والبعد حتى حك الركاب بالركاب فتمطى عنترة بركابيهِ وضرب الليلمان بصارمهِ المهند ضربة بطل امجد طير راسهُ عن الجسد فمال عن الجواد ووقع في تلك الوهاد يخور في دمهِ و يضطرب في عندمهِ ولما نظرت الافرنج ملكها قتيلاً وعلى وجه الارض جديلاً حملت على عنترة بجملتها وقد اظهرت شدتها فعند ذلك امر الملك هرقل عساكره بالحملة فحملت وعلى الافرنج هجمت

قال الراوي فعندها اتخت الافرنج وحملت وضربت طبولها واقبلت وللمعمعة طلبت وعلى الممات والهلاك عولت وقامت الحرب على ساق وقدم وتولى الجبان الخوف والندم وهانت على الشجاع المنيـة ونزلت بالقوم الرزية وحمل عنترة على الفرسان وهجم على الاقران ودفع بصدره الرجال وسقاهم كاس الوبال وكان كلما لاقى فارسًا قمعهُ او شجاعًا صرعهُ ولم يزل يختلس الارواح حتى تاخرت عساكر الافرنج عن قتالهِ وطلبت الرواح ورأت في الهزيمة لانفسها الفرج فلله در عنترة وما فعل فانهُ خرق الصفوف وسقى الافرنج كاسات الحتوف فتاخروا في مقام الحرب وعجزوا عن الطعن والضرب فتبعهم عنترة فارس البطاح والملك هرقل ليث الكفاح ومن معهُ من عساكره الاسود الوقاح واخذوا يطعنون في ظهورهم بالرماح ولما امسى الليل واعتكر التقى الملك هرقل بعنتر وقبل صدره ولهُ شكر فقبل عنترة يديه ودعا لهُ واثنى عليهِ

قال الراوي ثم ساروا الى الخيام وكان قد انسدل الظلام فهنأ الملك هرقل عنترة الهمام بالسلامة من القتال والصدام فشكره عنترة واثنى عليهِ ودعا لهُ بطول البقاء ولابيهِ ثم انهم تناولوا الطعام واخذوا الراحة للمنام واقاموا حرسًا على انفسهم خوفًا من الاعداء اللئام وناموا الى ان اصبح الصباح فقاموا وجمعوا اسلاب القتلى والخيول والبغال وانفذوها الى المراكب التي اتت معهم من القسطنطينية وعزموا بعد ذلك على الرحيل طالبين جزيرة الكافور وقلعة البلور وسارت العساكر والفرسان قاصدين اخذ البلد من ابن الملك الليلمان

قال الراوي هذا ما كان من هولاء واما ما كان من عساكر الملك الليلمان فانهم لما انهزموا من عنترة لم يزالوا في هزيمتهم الى ان وصلوا الى جزيرة الكافور وقلعة البلور ونادوا بالويل والثبور وعظائم الامور ودخلوا على ابن الملك الليلمان المسمى بسرجوان وكان شيطانًا في صورة انسان وهو بعد ابيهِ ولي عهده والحاكم على عشيرتهِ وجنده فلما صاروا

عنتره ورأى حالهم سألهم عن ابيهِ وما نالهم فنعوا اليهِ اباه واخبروه بقتلهِ وان قاتلهُ عنترة بن شداد فعند ذلك غشي عليهِ ولما افاق نادى يا ويلكم اخبروني كيف كان امركم فقالوا لهُ يا ملك قتلت الرجال ونهبت الاموال وخلفنا الملك مجندلاً على الرمال فدع عنك البكاء وانتخ نخوة الابطال

قال الراوي فلما سمع منهم هذا المقال قال لهم يا ويلكم انتم سرتم في ثلاثين الف راكب والملك بشجاعتهِ معكم يدكم برايهِ وما افلحتم فكم كان عدد الجيش الذي دهاكم ورماكم بهذه المصائب فقالوا والله يا ملك ان جيش الاعداء لا يبلغ عشرين الفاً من الابطال ولكن ما قتل الملك وكسرنا الا فارس اسود على جواد كالليل اذا اظلم وفي يده صارم مهند وما حمل على جمع الا تبدد وشرد بين يديهِ شرود الغنم من امام الاسد ومعهُ رجلان كانهما عفريتان يحميان جواده بالنبال ولم تخط نبالهم اكباد الرجال. هذا حديثنا والمقال فدبر نفسك للقتال واعلم انهم اليك قاصدون والى نحوك واردون فلما سمع سرجوان مقالة الفرسان علم انهُ قد اخذهم الفزع والخذلان فنهض من ساعتهِ مثل الاسد الغضبان واقسم انهُ لا يبقي من عساكر الملك هرقل انسان وقال لا ارجع الى الاوطان دون ان اقتل عنترة الاسود القرنان واقود ملوكهم اسارى في الذل والهوان وبعد ذلك اسير في البحر الى القسطنطينية واقتل الملك قيصر المهان فيبان لاهل الملة النصرانية اينا اقدر واعلى مكان ثم انهُ بعد هذا المقال اخذ الاهبة للقتال وكان قد وصل اليهِ عساكر بعدد الرمال بعد مصير ابيه الى الزوال لانهم كانوا قد تجمعوا من الجزائر واتوا فوجدوه قد سقي كاس الردى والوبال فعزوه بابيهِ فجردهم في ساعة الحال وعرض في ذلك اليوم الفرسان فكانوا الف جبار من جبابرة القوم الشجعان ففتح خزائن السلاح وفرق عليهم عدد الكفاح وخفقت الرايات ودقت الكوسات وسار الملك سرجوان في خواص الاجناد وقد اعتدوا بعدة الحرب والجلاد فاصبحوا كانهم من قوم عاد او من الفراعنة الشداد واستدعى الملك سرجوان بابن عم ابيهِ الملك كوبرت الذي قدمنا ذكر قصته مع الجارية باسهاب ومن اجله جرت هذه الحروب والاسباب ولما حضر كوبرت بين يديهِ سجد له وسلم عليهِ فامره بالجلوس بعد ما نصب لهُ كرسياً من الذهب الاحمر مطعماً بعاج وابنوس ثم اشار الملك الى من حولهُ وقال يا معاشر النصرانية انتم تعلمون ان ليس لي ولد وانا طالب هذه العساكر القادمة ولا اعلم كيف يكون حالي معهم فان فزت فبسعدي واقبالي وان قتلت فبفروغ اجالي فالان قد ارتضيت ان يكون ابن عمي الملك كوبرت ملكاً من بعدي وهو ولي عهدي وصاحب حلي وعقدي

فاشهدوا عليّ وهذا ميثاقي وعهدي فجميعكم اطيعوه ومهما امركم به فلا تخالفوه فلما سمع القوم كلام سرجوان اجابوه بالسمع والطاعة ثم انه خلف لكوبرت اهل البلد وترك عنده عشرة الاف فارس من الفرسان الانجاب واوصاه بحفظ البلد واليقظة والاحتراز على ما فيها من النساء والاولاد والاصحاب وفي الغد سارت العساكر وهو في مقدمتها وعند الزوال نزل بهم واكلوا ما راج من الطعام وشربوا المدام واعطوا العين حظها من المنام ولما اصبح الصباح رحل طالبًا عساكر الملك قيصر وهرقل وفارس عبس الامير عنتر ولم يزالوا يجدون السير الى ان ولى النهار فثار عند ذلك من بين ايديهم غبار سد منافس الاقطار وحجب ضوء الشمس عن الابصار فعلم سرجوان انه غبار الاعداء فامر العساكر بالنزول في ذلك المكان لانه رآه صالحًا للمجال والجولان فنزلت العساكر وضربت السرادقات والخيام واركزت البيارق والاعلام ثم ركبوا الخيول الصافنات وتقدمت من الافرنج الكبراء والقادات وركب الملك سرجوان واشتبكت حوله القنطاريات وعلى راسه الاعلام والرايات قال فلما انكشفت الطائفتان وحققوا بعضهم بالعيان حملت طائفة الافرنج بشدتها فالتقتها جيوش الملك هرقل وقد اظهرت حدتها وقويت قلوبها بعنترة لانه سيف نقمتها وشجاع مملكتها واصطدم الجيشان وضجت القسوس والرهبان من كل جانب ومكان وجرت الدماء كالغدران وكان لهم يوم مشهود تشيب له الاطفال في المهود وخرق عنترة الصفوف واورد الافرنج موارد الحتوف وطلب الملك سرجوان وشيبوب بين يديه والخذروف برميان الاعداء بالنبال فيصيبان مقاتل الرجال ويحاميان عن يمين الابجر والشمال وعنترة طالب العلم الاخضر وصليب الجوهر ليقتل حامله وينال امله وكان هذا براي شيبوب فارتفعت عليهم الاصوات من كل جانب وسلت القواضب وحملت الكتايب والمواكب وعزت المطالب وقاتل الملك سرجوان اشد قتال وجندل الفرسان والابطال واقبل وقد دارت به القسوس والرهبان وعلا دخان البخور الى العنان وما زالوا سائرين سيرًا بطيئًا وجاء البطريق وترجل الى الملك سرجوان ومسح على راسه وصلى عليه صلوة الموت وتلا عليه فصلاً من الانجيل ونهاه في ذلك اليوم عن القتال وامره بتبطيل الحروب والنزال فاجابه الى ذلك وسمع منه ما قال وافترق الخلق بعد الاتصال ورجع عنترة وقد كثر غيظه وزاد لما انه لم ينل منه مراد . فهوّن شيبوب ما صعب من الشان ونزلت عساكر الملك هرقل ودارت حوله من كل مكان فقال عنترة لشيبوب ويلك يا ابن الام ما خبر اصحابنا في هذا اليوم وما جرى للافرنج مع عساكر الروم فقال يا ابا الفوارس قد عزم البطريق ان يصلي عليهم صلاة الموت المحتوم عليهم ان يجوا من

الغموم فقال ويلك ياشيبوب وحق الحي القيوم ما هذا الاشوم على الافرنج لا على الروم اذل الله سبالهم ولا وفق اعمالهم

قال الراوي ولما نزلوا الخيام تناولوا شيئاً من الطعام وقد اقبلت عليهم جيوش الظلام فخاف الفريقان واضرموا النيران ولم يزالوا على ذلك الحال حتى طلع الفجر ولاح فركبت الابطال وشهروا الصفاح ومدوا الرماح الطوال وطلبوا الحرب والقتال واختلطت العساكر وارتفع الغبار وسد منافس الاقطار وتصادم الروم والافرنج وحملوا وصار شيبوب والخذروف برميانهم بالنبال وكثرت الاهوال وجرى الدم وسال وقاتل الافرنج في ذلك اليوم قتال من كره الحياة واشتاق الى فناه وداموا كذلك الى نصف النهار وعنترة يضرب فيهم بالسيف البتار ويطعن بالرمح الخطار ويصول فيهم ويجول ويرمي الفرسان عرضاً وطول فبينما هو كذلك اذ التقى بالملك سرجوان وهو يحرض الابطال على الحرب والنزال فحمل عليه حملة الاسد الغضنفر وجرت بينهما حروب تعمي البصر وتحير الفكر فحل بالملك سرجوان التعب والخذلان فعندها صاح فيه عنترة وحمل عليه حملة جبار لاقي النوائب والاخطار وطعنه بالرمح في جانبه الايسر طلع نصفه من جانبه الاخر فلما نظرته خيالة الافرنج قتيلاً وعلى وجه الارض جديلاً هاجت واضطربت وماجت واطبقت على عنترة كانها القضاء والقدر وعظمت الاهوال وجرى الدم وسال وزادت نار الحرب اشتعال . وحل بالكل الوبال

قال الاصمعي وماجلا في ذلك اليوم ظلام القتال واجرى الدم كالغيث الهطال الا فارس بني عبس الرئبال لانه فتك في الاعناق والعواتق ونكس الاعلام والبيارق ومازال القتال يعمل الى ان ولى النهار واقبل الليل بالاعتكار وطلبت الافرنج الفرار وتركت خيامها واموالها وسرادقاتها ورحالها فنزل هرقل في مضارب الافرنج وكذا الامير عنترة وفرح هرقل بالنصر والظفر واخذ يثني على عنتر وقد حار من قتاله وحربه ونزاله وباتوا تلك الليلة ولما طلع الصباح رحل الملك هرقل وعنتر وتبعا الافرنج على الاثر واما عساكر الافرنج فانهم بعد قتلة الملك سرجوان ظلوا في هزيمتهم حتى اشرفوا على البلد ودخلوا قلعة البلور ونعوا سرجوان الى كوبرت فتجددت عليه الاحزان ومزّق ثيابه وعلم ان كل هذا كان بسببه فامر بتحصين البلد فحصنوها وحصنوا الجزيرة وجهز كوبرت نفسه للحصار ورتب العساكر على الاسوار ثم جمع ارباب الدولة وخواص المملكة والقسوس والرهبان وشاورهم كيف يتدبر ذلك الشان فقالوا له الصواب انك تدخل البلد وتأمر بغلق الابواب لان بلدنا

حصين ووطيد التركين وقلعتنا مانعة وفيها المياه نابعة فلو اقام عليها الاعداء اعواماً وعم وا كالنسور لما قد روا عليها بامر من الامور ثم تسير وتعلم الملك صافات صاحب جزيرة الواحات ليأتي اليك بعساكره ويدفع عنا هذا العدو بقوته ويريحنا منهم بشجاعته ومعرفته فقال الملك كوبرت هذا رأي سديد ليس لنا عنه محيد ولكن لابد لي ان التقي بعساكر الملك قيصر وابارز ذلك الفارس المسمى عنتر لعلي آخذ منه بثار اخوتي وافرج بقتله كربتي وكان الملك كوبرت يرى في نفسه قوة عظيمة وشجاعة جسيمة وكان شاباً تربى في نعيم ودلال ولم تجرِ عليه اهوال وقال لابد لي من براز عنتر فان وجدت لي فيه مطمعاً نلت الوطر والا نعلم الملك صافات ليأتي الينا في اسرع الاوقات فاجابوه الى ذلك واقاموا في الانتظار الى ضحى النهار فعندها اقبلت العساكر كالبحار الزواخر وخفقت الرايات والاعلام وهجمت الابطال والجنود وصار الغبار مثل الرواق الممدود فتلقاهم عنتر وحمل كالاسد الغضنفر وقد همت تلك الخلائق ان تحمل على بعضها البعض واذا بفارس قد برز من تحت الاعلام على جواد اسود كلون الظلام وفي يده سيف مجوهر ماضي الشفار يسير الموت مع صاحبه اينما سار. وما زال هذا الفارس يخطر حتى صار بين الصفين وشهر نفسه بين الفريقين ثم كشف عن وجهه فبان كانه البدر بقد كغصن بان يقطف الورد من خديه والظباء تغار من جفنيه وكان هذا الفارس الملك كوبرت ولما صار بين الفريقين ورمقته انظار الطائفتين اعاذوه من نظر العين فسأل البراز بلسان عربي فصيح ونادى يا عسكر الروم هل من مقاتل هل من مناضل من عرفني فقد أكتفى ومن لم يعرفني فما بي من خفا انا الملك كوبرت بن الملك شهرمان الذي قتل عنترة اخوتي سوبرت ونوبرت والخليجان وقد انتشيت عند قيصر مدة من الزمان ونظرتم ما أُعطيت من الرفعة وعلو الشان فلا يبرز اليَّ الا فارس بني عبس عنترة الاسود الذي طغي وتمرد حتى اخذ منه بثار اخوتي واشفي منه غصتي

قال الراوي فما اتم الملك كوبرت كلامه حتى صار عنترة قدامه وكظم غيظه وابتسامه ونظر الى حسن كوبرت واعتدال قوامه وتامل في ملاحته وحسنه

الكتاب الثاني والاربعون بعد المائة

من سيرة عنترة بن شداد العبسي

وظرافته ورآه شاباً مليح بوجه صبوح وقد رجيح فاستحى ان يقاتله وضحك خجلاً ونظر اليه متبسماً وفي محاسنه متاملاً ثم اطبق عليه وتقاتلا قتالاً يلين الحديد وتعاركا في الميدان حتى

كانت من كوبرت اليدان وضعفت منهُ الساعدان اما عنترة فشفق عليهِ في قتالهِ وعف عن قتلهِ لحسنهِ وجمالهِ وطاولهُ في المجال ثم اختطفهُ من سرجهِ اخذه اسيرًا وسلمهُ الى شيبوب شده كتاف وقوى منهُ السواعد والاطراف فلما راتهُ عساكره اسيرًا اغلقوا الابواب وصعدوا على الاسوار وفوا انفسهم على القتال والحصار ونزلت عساكر الملك هرقل بن قيصر ورجال الامير عنتر وداروا حول الجزيرة واسوار البلد وشدوا عزايمهم واظهروا الجلد وشهر اهل البلد ما عندهم من السلاح والة الحرب والكفاح

قال الراوي وكان سور البلد حصينًا والموضع وطيدًا مكينًا فاقاموا على تلك الحال خمسين يومًا ولما كانت الليلة الحادية والخمسين اخذ عنترة القلق والافتكار والارق لاجل غيبتهِ وبعده عن الديار واخذ يفتكر في ركوبهِ البحار وقدومهِ على الاخطار فصاح باخيهِ شيبوب ويلك ياابن السوداء قدم لي الابجر فقد غلبت على قلبي الفكر وزاد بي القلق والضجر واشتهي ان اكون هذه الليلة لنفسي ولهذا الجيش حارس لان قلبي خائف ومن الرجوع آيس فقدم لهُ شيبوب الابجر فاستوى على ظهره وخرج من السرادق وكان الليل قد مد رواقهُ على المغارب والمشارق وسار شيبوب والخذروف بين يديه مثل البرق البارق

قال الراوي فبينما هم على هذه الحال واذ لاحت من عنترة التفاتة فراى نارًا بعيدة تارة تضيء وتارة تطفأ فارتعب من عنترة فواده واشتعل خاطره وتاه رشاده وقال لشيبوب اما تنظر الى هذه النار وحق ذمة العرب لقد اشغلت مني لاجلها الاسرار لان بلد اعدائنا حصين محصور ورجالهُ حافظون السور فمن ترى اضرم هذه النار فقد اضطربت مني الافكار فقال شيبوب ياابن الام وما الذي يضرنا من هذه النار او ينفعنا حتى اضحيت من اجلها في افتكار فقال عنترة ويلك اما نظرت الى ما جرى لنا في بلاد اليمن على اميا عراعر من تلك النار التي دبرتها تلك العجوز الساحرة ونخاف ان تكون هذه مكيدة تجلب لنا مضرة او ترمينا بحسرة فقال ياابن الام ان تلك النار اضرمت بحيلة مسعود بن مصاد على عبلة فهل تعلم ان لبنت عمك الان معاند في هذه البلاد او يقدر ان يحبها احد ويخوض في هذه البحار والوهاد فاصرف عنك هذا الوهم واكف شر هذا الهم فما لك في هذه البلاد معاند ولا عدو ولا حاسد والا انت كما قيل المحب مولع بسوء الظن فتبسم عنترة من مقالهِ وقال ويلك قلبي يحدثني ان هذه النار لبعض السحرة وقد اظهرها حتى يدبروا علينا امرًا يصل الينا منهُ ضررٌ ولعل رب زمزم والمقام ما ساقني من الخيام الا لسبب من الاسباب فسر بين يدي واقصد هذه النار فلا بد لي من كشف هذه الاخبار

قال الراوي فسار شيبوب والخذروف بين يديهِ وعنترة تابع منهما الاثار حتى انتهى بهم المسير الى اجمة عظيمة مشتبكة بالادغال والاشجار والقمر تجلى في كبد السماء حتى اضحى الليل كالنهار ولم يزل شيبوب والخذروف سائرين بين تلك الاشجار وعنترة تابع لهما الاثار حتى وصلوا الى مرج تجري فيهِ الانهار وقد اشرقت زهور جنانهِ وفاح عبير ورده وسوسانهِ وتمايلت اغصانهُ واهتزت قضبانهُ فتقدم شيبوب والخذروف حتى اشرفا على نهر عريض كبير الجنبات وبجانبهِ جوشن عالٍ مرتفع ولهُ باب بمصراعين وفوقهُ شباكان مشرفان على المكان المقدم ذكره والنار التي راوها كانت ترسل نورها من شبابيك البلور فمن كثرة القناديل والشموع المضية في الداخل يرى من الخارج ضوءها كثير اللمعان والبريق كانهُ نار الحريق فتقدم عنترة واخوه شيبوب وولده الخذروف الى جانب ذلك النهر واخذوا يتاملون في جوانبهِ علهم يرون مكاناً يجتازون منهُ فراوا جسراً مصنوعاً ببكر وسلاسل فترجل عنتر عن ظهر جواده الابجر وربطهُ بشعرة من ذيلهِ كيلا يصهل وقال لاخيه شيبوب اعبر انت وولدك الخذروف قدامي وانا اكون متابعاً لكم ومحامياً فامتثل شيبوب والخذروف كلامهُ وسارا وتبعهما عنتر وحسامهُ بيده مشهر وقد حدثتهُ نفسهُ بانهُ يلقى عسكر ولما صاروا في الجانب الثاني من النهر تقدموا وطلبوا القصر وساروا الى ناحية الشباك ثم انصتوا فسمعوا من داخلهِ اصواتاً زهية وكلاماً باللغة العربية وقائلاً يقول وحق المسيح والدين الصحيح لقد اجتمع عليَّ في هذه الليلة هم عظيم وليس قلبي بسليم فانصت عنترة وشيبوب والخذروف حتى يسمعوا باقي الكلام وكل منهم قلبهُ مخطوف لانهم كانوا قد توهموا انهُ كلام بعض السحرة وخافوا من امور تكون عليهم مدبرة فقال شيبوب لاخيهِ عنترة يا ابن الام ربما يكشفون امرنا ويطلعون على خبرنا فيقسمون علينا بالاقسام العظام ويحضرون ملوك الجن والعمار وترتج لهم الاقطار فاخفيا الحس واقلا من الكلام لعلنا نعلم شانهم ونعود عنهم بسلام فقال عنترة وحق الملك العلام لقد صدق شيبوب فعندها قطعوا الكلام واذا بقائل يقول يا ملكة الزمان وفريدة العصر والاوان قد عرفنا ان قلبك مشغول من اجل الملك كوبرت فوا اسفاه على شبابه المليح وقده الرجيح ونطقهِ الفصيح فعلم عنترة بذكائهِ ان المتكلم والمخاطب هما من النساء فانصت حتى يسمع باقي الكلام فسمع قائلاً يقول لا وحق عيسى بن مريم ليس عندي من اسر الملك كوبرت همٌّ ولا غم ولا ابالي بالحصار ولا بما جرى وصار وانما خوفي وفكري من اجل الملك صافات صاحب جزائر الواحات وانا خائفة ان يسمع بخبرنا وما تم علينا فينفذ الينا عسكره ويوصل الينا شره لانهُ ملك عظيم وجبار جسيم وحاكم على جميع هذه الاقاليم . والجزائر كلها تحت

حكيه الى حد بلاد الاندلس لاول البحر المشهور اما الملك كوبريت فما على قلبي من اسره مضرة وانا قادرة على خلاصه من يد قناصيه فقالت لها المتكلمة يا ملكة كيف تصلين الى خلاصه من يد الملك هرقل بن قيصر فقالت ومن هو هرقل حتى يذكر الا تعلمين ان حكمه بيد فارس العرب وشجاعها المنتخب البطل القسور ابي الفوارس عنتر قال هذا كله يجري وعنترة اضحى كانه في دنيا اخرى وقال لشيبوب والخذروف وحق البيت العتيق المطهر والركن والحجر ما بقي لي من هذا المكان براح حتى يطلع الصباح واكشف عن هذا الخبر وابصر من ذا الذي يفوه بذكر عنتر فقال شيبوب يا اخي اصبر الى النهار وانا اكشف لك حقيقة الاخبار ثم سمعوا الجارية الاولى تقول للثانية يا ملكة ان عنترة الذي ذكرتيه هل يعبد الدين القويم فقالت لها لا . انه يعبد البيت الحرام ويعظم الالهة والاصنام وهو رجل اسود ولكن قلبه اقوى من الجلمد فلو ان لي من يوصل اليه مني كتابا او كلام لما اصبح الصباح الا والملك كوبريت عندنا في هذا المقام فلما سمعوا ذلك الكلام قال شيبوب لعنترة يا اخي وحق ذمة العرب لا بد لي من ان اناديها واقول لها انا شيبوب اخو عنتر فحمليني اليه ما تريدين من الخبر فقال عنترة افعل ما بدا لك فها انا والخذروف نتوارى خلف هذا المكان حتى نعلم ما يتم لكم من الشان فعندها نادى شيبوب يا صاحبة هذا المكان انا هو شيبوب اخو عنترة فحمليني الرسالة والخبر لاوصله اليه فلما سمعت الجواري كلام شيبوب رجفت منهن القلوب فقالت لهن الجارية المقدم ذكرها ويلكن ما هذا الفزع فما لاحد عليكن طريق او الوصول اليكن والتسليق ثم انها تقدمت الى الشباك ونادت واحدة من الجوار ويلك هاتي مصباحا وسيري امامي الى ناحية الشباك الذي على النهر فان كان المنادي شيبوب فانا اعرف الناس به واعلم وقد قضيت حاجتي وبلغت امنيتي وخلص معشوقي ومنيتي فاخذت الجارية القنديل وسارت قدامها وبقيت الجواري خلفها حتى وصلت الى الشباك ونظرت الى شيبوب وقالت له يا فتى من انت فانك ازعجتنا وبصياحك ارجفتنا فقال لها يا صبيحة الوجه انا شيبوب اخو عنترة وقد سمعتك تقولين من اين لي صديق يوصل خبري اليه ويقبل عني يديه فناديتك حتى اوصل اليه خبرك واقضي حاجتك وابلغك وطرك

قال الراوي فلما سمعت الجارية كلامه تفرست فيه فعرفته حق المعرفة فالتفتت الى الجواري وقالت لهن هذا شيبوب ثم نادته ويلك اين تركت اخاك عنتر ومالي لا ارى معك ولدك الخذروف الاسد الغضنفر فقال لها شيبوب اراك عارفة بنا حق المعرفة فقالت نعم وهل لك ان تاتيني باخيك الى هذا المقام قبل ان يولي الظلام فقال شيبوب وقد تحير عقله ان اخي هاهنا

يسمع كلامك وهو اليك ناظر وما يسمع حائر ثم نادى ويلك ياابن الام هيا واسمع خبراً يحير النواظر فنادت الجارية ياابا الفوارس وزين المجالس اقسمت عليك بحياة عيني عبلة ان تستجيب دعائي وندائي وتتقدم حذائي فعندها اقبل عنترة وهو فرح مستبشر وحيا وسلم وقال لها بحق البيت الحرام وزمزم والمقام اما انت الجارية مريم فقالت نعم ياابا الفوارس انا جاريتك مريم وحديثي عجيب وامري غريب فان كنت راغباً في سماعه فاعطني ذمامك وشرفني باقدامك حتى افتح لك الباب وتدخل عندنا فاعلمك بالاسباب فقال عنترة لك مني الذمام انت وجميع جوارك واهل هذه الجزيرة كلها اكراماً لك واما دخولنا الى هذه الديار فيكون عند طلوع النهار فقالت ياابا الفوارس انا اطلع عندك واقبل قدمك ويدك

قال الراوي ثم انها فتحت الاقفال وقالت ياابا الفوارس اما نحن على القول الاول من الذمام فقال بلى وحق رب البيت الحرام فعند ذلك خرجت وامرت باخراج الشموع وجلست بين يدي عنتر وصار الجميع على شاطىء النهر فامرت مريم الجوار ان يحضرن الطعام على رؤوس الخدام واكلوا جميعاً ثم انها حدثته بكل ما جرى لها وكيف اخذها كوبرت ونزل بها في البحر وما زالت تحدث عنترة وشيبوب والخذروف اليها ناظران ومن كلامها متحيران حتى اتت على خبر تزوجها كوبرت ملك جزيرة الكافور الذي هو عندهم ماسور فطيب عنترة قلوبهن ووعدهن بخلاص كوبرت من الاعتقال وارساله على احسن حال ولم يزالوا في حديث ومقال حتى اصبح الصباح فقالت الجارية مريم لعنترة ياابا الفوارس انجز وعدك بمسيرك معي الى القصر فاجابها الى سؤالها وامر شيبوباً ان ياتيه بجواده فقال شيبوب انا وحق ذمة العرب لا اخاطر بروحي في دخولي هذا القصر المعمر والحائط المدور فقالت مريم وقد تبسمت لا تخف فلا ينالك مني الا كل ما تتمناه فعندها امره عنترة بالدخول في صحبته فدخلوا داخل القصر وشيبوب والخذروف في صحبتهم فلما صاروا داخل المكان نظروا الى بستان قد حوى من سائر الازهار وفيه من غرائب الاشجار ما يحير الافكار وفي وسط البستان قصر عالي البنيان مشيد الاركان ودايره منقوش وعليه صور وتماثيل ما يحير الناظر ويذهل الخاطر ومكتوب على بابه هذا الشعر

الا ياقصر لا يدخلك حزنٌ ولا يغدر بصاحبك الزمانُ

فداخلك السرور به مقيمٌ وظاهرك السعادة والامانُ

فتقدمت الجارية وقبلت يد عنترة واجلسته على سرير فحار عنتر مما راى وابصر

قال الراوي وما استقر بهم الجلوس الا والموائد قد وضعت وفيها انواع الاطعمة

من ما كل الملوك في صحائف من الذهب والبلور فنهضت الجوار وقد من الطعام ونهضت مريم وشدت وسطها بزنار ومدت السماط والموائد بنفسها قدام عنترة بن شداد وقالت دونك الزاد ياحامية عبس وتاخرت لتقف بالخدمة فقال عنتر لا وحق ذمة العرب لا فعلنا ذلك الا حتى تجلسي وتاكلي معنا من هذا الطعام والا فلا حاجة لنا منكن بهذا الاكرام فجلست مريم الى جانب عنترة ولما نظر الخذروف الى عنتر وهو يريد ان ياكل وراى وجه الجارية قد تغير قال لعنترة ياعم لا تاكل من هذا الزاد لاني اخاف ان يكون مسموماً فنهلك كلنا في هذه البلاد فقال عنترة ويلك وكيف خطر لك الان هذا الخاطر ولما وضعوا الطعام على النهر ما تكلمت بمثله فماذا صار منه فقال الخذروف ياعم نعم كلامك صحيح ولكن ذلك الطعام كان عندهم مصنوعاً لهم لا من اجلنا ولم يكن لهم علم بمجيئنا لاننا اتيناهم على غفلة فاحضروا ما عندهم حال العجلة اما هذا الطعام الذي اتي به الان ما كان الا على علم بنا ومعرفة فكيف اننا من اجل اكلة طعام نقتل ارواحنا ونذوق الحمام فما هذه فعال اهل الحزم والعقل ياابن الكرام فلما سمع شيبوب من ولده هذا الكلام نهض اليه وقبله بين عينيه وقال له عنترة لله درك انك اعرف من ابيك بالدواهي والخبر فلما سمعت الجارية كلام الخذروف تغير لونها وقالت وحق المسيح والسيدة ام النور ما انت عندي الا اعز من عيني وما فيها من النور فلا تفتكر في شيء من هذه الامور ثم انها مدت يدها الى اناء من الفضة وجعلت تاخذ من كل قصعة ملعقة حتى اخذت من جميع القصع واكلت ثم قالت لعنترة دونك العيش وازل ما بقلبك من الوهم والطيش فعند ذلك مد عنترة يده واكل من الطعام وزالت منه الاوهام وكذلك شيبوب والخذروف وطابت قلوبهم ولم يزالوا حتى اكتفوا من الطعام فقدمت لهم طستاً من ذهب وابريقاً من الفضة وصبت على يد عنترة الماء وكذلك فعلت بشيبوب والخذروف ثم امرت الجوار فاحضرن الكاسات والطاسات والاباريق وروقت الخمر الصافي العتيق وفعلت معهم في المدام كما فعلت في تقديم الطعام وبعد شربها ملات قدحاً وقدمته الى عنترة فتناوله منها وشرب وكذلك اخوه شيبوب وولده الخذروف ثم بعد ذلك امرت باحضار الجنكيات والمطربات من النساء الافرنجيات الا ان عنترة لما بلغ المرام فرح بذلك المقام حتى تخيل انهم في منام او اضغاث احلام ودارت الاقداح بالسرور والافراح وتناول عنترة كاسات الخمور وقد هانت عنده سائر الامور فلما نظر الخذروف الى ما فعل عنترة ناداه ياعم لا تسرف بالشراب فتعدم الصواب وتأنّ على نفسك لانك مع اعدائك وكان شيبوب والخذروف جالسين وعيونهما تدور في

جوانب القصر يمينًا وشمال خوفًا على عنترة من الوبال

قال الراوي فلما عرفت مريم ما هم فيهِ من الجدال نادت بعض الجوار وكلمتها باللغة الافرنجية فمضت وغابت ساعة ومعها حق من الذهب الاحمر فاخذتهُ مريم وفتحتهُ واخرجت منهُ ثلاث خرزات كبيرة من الجوهر تاخذ بالبصر وتحير الفكر وتقدمت الى عنترة وقالت يا ابا الفوارس انت لا تهنأ ما دام هذان العبدان يدوران حواليك ولا يحضر بين يديك طعام ولا شراب الا ويدخل قلبك منهُ اوصاب اذ يوهمانك انهُ مسم وانت بصحة كلامهما تتوهم فلاجل نفي الاوهام ولايقافك على الصحيح بالتمام خذ هذه الخرزة واحملها بيدك فان عرقت كفك على المائدة فاعلم ان الطعام مسم والا فكل ولا تتوهم فاربطها بذراعك فانها تزيل همومك واوجاعك واعلم انها من خاص الجوهر ومن الذخائر التي تذخر لانهُ اخرجها الحكيم افريدون من بعض الكنوز وفيها سر الطلسم والرصد والقسم واعلم يااابا الفوارس ان كل من حملها لا يلم بهِ عدو ولا يقدر عليهِ احد بسوءٍ وان هذه الثلاث الخرزات من احسن الذخيرات التي اخرجها ذاك الحكيم وقدمها للملك الليان وكان يحفظ بها ويحترز عليها كل الاحتراز ثم انها اتت بشريط من الذهب الاحمر وادخلتهُ في الخرزة وقالت لعنتر خذ واربطها بذراعك ولا ترمها في ليل ولا في نهار ففرح بذلك عنتر واعطت الثانية الى الخذروف فوضعها في عنقهِ واعادت الاخرى للحق وختمت عليها فقال لها شيبوب يامولاتي لمَ لا تعطيني الاخرى فقالت لهُ اما انت فقد تولاك الكبر فلا يخشى عليك الخطر ولكن ولدك شابٌ يحتاج اكثر منك وانا لا بد لي من امور تجري لي فاحتاجها ثم رجعوا الى ما كانوا عليهِ من السرور والافراح وتناول الاقداح وشرب الراح الى ان صار اخر النهار فطلب عنترة الاذن بالانصراف الى قومهِ فقالت لهُ يااابا الفوارس انت تعلم ان حق الضيافة ثلاثة ايام فلماذا كرهت عندنا المقام فقال عنترة ياسيدة الملاح ان الملك هرقل بن قيصر يكون في هذه الساعة من اجلي في اوصاب اذ ليس عنده مني خبر ولا علم بمسيري الى هنا وانا خائف عليهِ ان تخفى عنهُ اخباري فيصبح قلقًا بانتظاري فقد عولت على المسير اليهِ في هذه الساعة وان شاء الله لا بدلي ان اعود غداً عندك وفي صحبتي الملك هرقل واكون قد اطلقت لك الملك كوبرت فنحضر كلنا عندك في هذا المحضر فلما سمع الجارية كلام عنتر فرحت بذلك واذنت لهُ بالمسير فودعها وامر شيبوبًا فقدم لهُ الابجر فركب وسار شيبوب والخذروف بين يديه ومريم وجوارها حواليه ولما خرج من ذلك المكان وابعد عن البستان وقف وامر مريم بالرجوع فقالت لهُ أترى يكون بعد

هذا الفراق اجتماع فوعدها عنترة بالرجوع عن قريب وخلاص الملك كوبرت من الاسر والتعذيب ولم يزل سائرًا حتى وصل الى العسكر ونزلوا في الخيام قبل قدوم الظلام وكانت العساكر مضطربة الخواطر من اجل غيبة عنتر واعلموا الملك هرقل فزادت به الفكر وسال عنه في العسكر فلم يقف له على خبر فقال له بعض الوزراء ايها الملك الموقر ربما يكون قد ذهب للصيد والقنص فعند ذلك ارسل جماعة تقتفي اثره وتكشف خبره فساروا وعادوا في ثاني الايام دون ان بروا عنترة البطل الهمام فقلق هرقل وتحير واخذه القلق والضجر ولم يزل في اضطراب وفكر حتى وصل البشير بقدوم عنتر ففرح بذلك واستبشر ونهض اليه وسلم عليه واجلسه الى جانبه وسأله عن احواله فحدثه عنترة بقصته واخبره بحديث الجارية مريم وانه وعدها بالمجيء عندها في ثاني الايام فلما سمع هرقل من عنترة ذلك الكلام قال له يا ابن الكرام كيف طاب لك الطعام وشرب المدام دون ان اكون معك في ذاك المقام فقال له عنترة والله يا ابن الكرام ما شربت قدحًا من المدام الا وشخصك امامي من دون الانام فقال هرقل يا حامية عبس لقد اخبرتني باحسن خبر واعلمتني بامر ازال عني الفكر وشوقتني الى رؤية تلك الجارية وان انظر ذلك القصر والمرج الاخضر فلما سمع عنترة كلامه علم انه يحب الجارية مريم وهو بها مغرم وان هيبة ابيه كانت تمنعه من وصالها فقال له وقد تبسم اعلم ان هذه الجارية قد اخذت عليّ العهود والميثاق اني لا اتاخر عنها ولا انعاق فقال هرقل لا بد لي من المسير في صحبتك فقال عنترة يا مولاي من اسعد ايامي اذا سار مثلك امامي ثم نهض عنترة طالبًا مضاربه والخيام لاجل الراحة والمنام واما هرقل فتزايد به وجده والغرام ولم يزل على تلك الحال الى ان اذن الليل بالزوال فامر الوزير ان يكون من جانب العدو على حذر واوصى مقدمي العسكر وركب بعد ذلك فرسه وسار حتى وصل الى خيمة ابي الفوارس عنتر فقام وسلم عليه واجلسه الى جانبه فقال له هرقل يا ابا الفوارس ان عيني لم تذق طعم الكرى في هذا الليل الدامس وذلك لما بي من الهواجس فاسرع بنا الى القصر حتى يزول عنا الضيق والحصر وان اردت فنحن نطلق كوبرت ونكرمه غاية الاكرام فقال عنترة اما اطلاق كوبرت في هذه الساعة فليس بصواب ولكننا ندعه الان ونوصي به جميع خدامه ونامرهم باكرامه فقال هرقل صدقت فيما نطقت ثم انه ارسل المماليك والغلمان واوصى بكوبرت ومن معه من الاسارى والفرسان فاجابوه الى ما قال ثم قام هرقل ولبس الفخر اثيابه وركب جواده وامر عنترة بالمسير معه فركب الاثنان وشيبوب والخذروف بين ايديهما ولم يطلعا احدًا على امرهما ولم يزالوا سائرين في ذلك البر الى ان وصلوا الى

القصر واعلموا مريم بالخبر فدعت الخذروف وسالته عن الحال فقال لها قد وصل عمي عنتر ومعه الملك هرقل فتبسمت وقالت له امض اليهما ودعهما ياتيان على الرحب والسعة والكرامة والدعة فرجع واعلمهما بالخبر فسارا وتبعهما شيبوب والخذروف في الاثر الى ان وصلوا الى الروضة فتلقتهم مريم بالافراح وجلسوا عندها واخذوا في الحديث والكلام ثم اشارت الى بعض الجوار ان يهيئن الطعام ويحضرن المدام فسارت الجوار وجلست في معهم ساعة من الزمان وبعد ذلك اتت الجوار الى مولاتهن وقلن لها لقد فعلنا ما امرتنا به فنهضت قائمة على الاقدام وقالت لهم انعموا يا موالينا بالتفضل الى مكان قد اعددته لخدمتكم حتى نتشرف برؤيتكم فعند ذلك نهض عنترة وسار هو والملك هرقل بين ذلك الشجر وهم رجالة وجواد الملك هرقل مع الخذروف وشيبوب يقود جواد عنتر وما زالوا سائرين الى ان وصلوا الى مكان فيه قلعة عالية البنيان مشيدة الاركان لا يعلوها الطير الطائر ويعجز عن ادراكها نظر الناظر ورأوا تحتها مرجًا يشوق النفوس ويزيل عن القلب الهم والبوس فتقدموا الى ان بلغوا ذلك المكان واذا به دار عالية البنيان مبشرة سكانها بالامان موزرة بالنسيج والسياج مزدانة بالذهب الوهاج والابراج وفي وسطها ماء كبحر عجاج متلاطم بالامواج فدهش لذلك هرقل وعنتر وقال عنترة له قل يا ملك الزمان والله ما ملك الافرنج الا ملك عظيم فقال نعم يا ابا الفوارس لانهم كثير والاموال حسنو الاحوال ثم ان الجارية نصبت لكل منهما سريرًا من العاج مصفحًا بالذهب الوهاج وبسطت في الدار من فرش الحرير الوان حتى اضحت كانها مقصورة من مقاصير الجنان وصفت اواني الذهب والفضة واوقدت مجامر العود والعنبر ولما استقر بهم القرار احضر لهم الطعام على رؤوس الجوار والخدام وقالت لهم مريم يا موالي اذا حضر الطعام بطل الكلام فعند ذلك تقدموا كلهم واكلوا حتى اكتفوا فامرت الجوار باحضار الاواني والاباريق فاحضرتها ملأى من الخمر العتيق

قال الراوي وبعد ان انتشوا من المدام قال عنترة لمريم اريد ان اسالك عن شيء فلا تخفيه عني فقالت قل يا ابا الفوارس فقال لقد طفنا هذه الجزيرة من كل مكان فما وجدنا للدخول الى هذه القلعة سبيلاً ولا مسلكًا لانسان فقالت وقد تبسمت يا فارس عبس وعدنان ان العبور الى القلعة من هذا الباب الذي في البستان لان له سردابًا تحت الارض ينتهي الى القلعة وهذا السرداب ثقب في صخر من قديم الزمان وهو من صنعة اليونان له درجات عريضة صنعت لبلوغ الاغراض يصعدها الفارس وهناك سرداب له ثلاثة

الابواب فيها مهالك قواتل صنعة الحكماء والعقلاء الاوائل ثم انهم عادوا الى ما كانوا عليه
واخذوا يتناهلون كؤوس الشراب فبينما هم على هذه الحال واذا بالباب المقدم ذكره يتحرك
كأن احدًا داخلة يريد ان يفتحهُ بلا مفتاح فعندها نهض عنترة على قدميهِ وقد اسودت الدنيا
في عينيهِ وجذب سيفهُ وصاح في شيبوب اخيهِ وقال لهُ انهض وقدم الابجر واسرع وعلى نفسك
احذر فنهض واتاه بالابجر فقام مسرعًا وامتطى ظهره باسرع من لمح البصر وجرد شيبوب
والخذرف بايديهما الخناجر والسيوف وتبعهم الملك هرقل بن قيصر فقال شيبوب لاخيهِ
ويلك يا ابا الفوارس اما قلت لك ان قلبي خائف من هولاء النساء فقال لهُ عنتر سر
قدامي ولا تتاخر وتفرج على قتال يورخ من بعدي ويذكر ثم انهُ نظر الى هرقل فراى لونهُ
قد تغير فقال لهُ يا مولاي اتخاف من الانكاد ومعك عنترة بن شداد فثبت جنانك ولا تغير
من ذلك الوانك فوحق الركن والحجر والبيت العتيق المطهر لو ظهر من هذا الباب امة
ربيعة ومضر لالتقينهم بقلب اقوى من الحجر ونثرت جماجهم نثرا وراق الشجر ولا اترك احدًا
يصل اليك بسوءٍ ولا ضرر فحمد هرقل عنترة ولهُ شكر فلما رات الجارية مريم ذلك تغيرت احوالها
وتقطعت اوصالها ونهضت مسرعة على اقدامها وسارت نحو عنترة وقالت لهُ يا ابا الفوارس
لم هذه الفعال وما الذي تغير عليك من الاحوال اما سبق منك الينا الامان عند ما آكلنا
الطعام فلماذا سللت الحسام فقال لها عنترة وحق البيت الحرام انا لا ابرح مقيمًا على العهد والذمام
لك ولمن معك من الرفاق والخدام ان لم يفاجئنا منكن غادر او يبادرنا مبادر ماكر
فقالت لهُ مريم ايها الاسد الغضنفر ان الذي خطر ببالك لا يتصور فقال لها عنترة اعلمي انهُ
ما وقع عندي الارتياب الا من تحرك هذا الباب فقالت لهُ يا ابا الفوارس ان هذا الامر
لا يحصل لك منهُ مضرة ولا ياتيك منهُ الا الفرح والمسرة فان عندنا في هذه القلعة جواري ابكار
كنت قد وصفت لهن صفاتك فاظن انهن يردن مشاهدتك فان اذنت لهن بان
يتشرفن برويتك فنعم والا فيرجعن من حيث اتين فلما سمع عنترة كلامها سكن ما بهِ من
الغيظ والكدر وزال عنهُ ما كان قد اعتراه من الفكر وقال لها اذا كان الامر على هذا المنوال
فدعيهن يخرجن الى هنا وبشريهن بالسرور ونوال المنى ثم ان عنترة بعد ذلك ثنى رجلهُ
من الركاب وهو يطيل النظر الى نحو الباب واذا بهِ قد فتح وخرج منهُ عشر جوارٍ نهد ابكار
كانهن الاقمار وفي وسطهن جارية كانها الشمس وقد كسفت حسن الجميع بغرائب جمالها
البديع وتلك الجوار عن يمينها وشمالها كانهن الحور فلما نظر عنترة الى هذا الجمال طار عقلهُ
وحار لبهُ وما زالت تلك الجارية تميس وتتخطر في ذلك المرج الاخضر حتى قربت من

عنتر فاندهش وتحير لانهُ راى منها بهاء يزري ببهاء الاقمار ونورًا يفوق نور الشمس في رابعة النهار وكان على تلك الجوار من الحلي ازهاها واثمنها ومن الحلل اجملها واحسنها

قال الراوي ولهذه الجارية وجه مثل الورد الغض قد فاقت الجوار الناهدات والابكار الفاتنات كما قال فيها بعض واصفيها

تثنت كغصن البان مالت بهِ الصبا ... وماست فما ابهى واشهى واعذبا

ولاحت ثناياها لنا اذ تبسمت ... فخلناها صاح بدر تمٍ وكوكبا

وارخت من الليل البهيم ذوائبًا ... فعاد الضحى من ذلك الليل غيهبا

ولما تجلى وجهها في ظلامة ... اضاءَت لها الاكوان شرقًا ومغربا

تشبه بالغصن النضير قوامها ... ومرشفها شهد وقد طاب مشربا

واعينها النجل القواتل في الوغى ... تتيم صبًا بالفراق تعذبا

صبوت اليها صبوة عنترية ... ولا عجبًا للمدنف الصب ان صبا

قال الراوي واقبلت الجارية تخطر في ثياب الدلال وترفل في اردية الجمال ولما وصلت نهضوا اجلالاً لها على الاقدام وزادوا لها في الاكرام ولما نظرها عنترة تاه عقلهُ وتحير ثم ملأ القدح من صافي المدام وناولها اياه وقد غلب عليهِ السرور في ذلك المقام فاخذت كاس المدام وجلست الى جانبهِ وجوارها في خدمتها قيام فغاب هرقل عند رويتها عن الوجود وغدا حاضرًا في صفة مفقود ثم اخذ عنترة القدح وملاه ثانيًا وثالثًا وقال لها لقد شرفتنا بنقل اقدامك الينا وصار فضلك علينا فقالت لهُ لقد شرفت بكم ارضنا وبلغنا من السعادة قسمنا وحظنا فتعجب عنترة من فصاحة لسانها وعذوبة خطابها وبيانها وقال لمريم ما اسم هذه الجارية ومن هو ابوها من الملوك والفرسان فقالت لهُ يا فارس الزمان هذه يقال لها مريمان بنت الملك الليلمان الذي قتلتهُ انت في الميدان واخت الملك سرجوان الذي جندلتهُ عن ظهر الحصان فعند ذلك نهض قائمًا على الاقدام وزاد لها في الاكرام وقد غرق في بحر هواها والهيام ثم اخذوا في تعاطي كؤوس المدام وغنت المغنيات وترنمت الجنكيات ورقصت الجوار الافرنجيات

ثم اخذت مريمان العود وزغزغتهُ باناملها فحنّ وانّ فعندها اخذ عنترة القدح وملاه وناولها اياه فاخذتهُ منهُ وضربت على الاوتار وانشدت الاشعار الى ان رقص المكان وطرب الملك هرقل وعنترة الفرسان ثم شربت الكاس التي كانت في يدها ولم يزالوا في هناء وسرور يتعاطون شرب الخمور ويتناشدون الاشعار الى ان ولى النهار

الكتاب الثالث الاربعون بعد المائة

من سيرة عنترة بن شداد العبسي

قال الراوي فعند ذلك قال شيبوب الملك هرقل ايها الملك الهمام هيا بنا للمسير قبل ان يدركنا الظلام و يغلبنا السكر الكثير فلا نقدر على المسير فقال الملك هرقل هذا هو الصواب والامر الذي لا يعاب ثم قال عنترة للجارية ياسيدة الملاح وكوكب الصباح اننا نستاذنك في الرواح فقالت له يا فارس الزمان الامر في هذا وغيره اليك وليس هنا احد يحكم عليك ونهضت الملكة مريمان الى الملك هرقل وسقته من كاسها ومسحت فمه بعصابة راسها وقالت له ياملك القسطنطينية أهكذا سبقت اليكم الوصية ان تفعلوا هذه الفعال في حقنا حتى خربتم بلادنا وقتلتم ملوكنا وضيقتم علينا بهذا الحصار فقال لها يا ملكة قد جرى هذا الذنب من ابيك في الاول فالتزمنا الى اجزاء ما لم يكن لنا عليه المعول فقالت له لقد مضى ما مضى الان وانا اسالك اطلاق الملك كوبرت من الذل والهوان فيكون لكم عبدًا مامورًا على طول الزمان فقال لها الملك هرقل يا روح الارواح وحياة اشراق جبينك الوضاح وجمالك الذي قد فاق على كل الملاح ليس لي في اسر الملك كوبرت ارب قليل ولا كثير بل هو لهذا الفارس الجواد الطويل النجاد عنترة بن شداد وانا لاجلك اسأله اطلاقه فان اجابني الى هذا الامر اليسير كان الاعتذار اليك في التقصير فلما سمع عنترة هذا الكلام قام قائمًا على الاقدام وقال له يامولاي وحق الكعبة والبيت الحرام والرب الباقي على الدوام لو ان في يدي كل من تحت السماء من النساء والرجال لاطلقتهم لهذا الوجه الهلال ثم قال لها ياملكة طيبي نفسًا وقري عينًا فقد قبلنا سوالك واجبنا مقالك وفي غداة غد يكون الملك كوبرت هنا ان شاء رب الارض والسما

قال الراوي ثم انهم ركبوا وساروا وذهبت ايضًا الملكة مريمان وفي قلبها من الملك هرقل لهيب النار وشيبوب والخذروف بين ايديهم ومشت الملكة بضع خطوات قدام الملك هرقل وقد صار عندها منه شاغل عظيم وما منهما الا من ترك قلبه عند صاحبه مقيم ولم يزالوا سائرين حتى وصلوا الى عسكرهم وهم في هموم وفكر ونزل هرقل في مضاربه واجلس الامير عنتر الى جانبه ولما استقر بهم الجلوس واطمأنت منهم النفوس قال عنترة لاخيه شيبوب أيتني بالملك كوبرت فما كان باسرع مما حضر بين يدي الامير عنتر وسلم على هرقل واليه اعتذر فقال له عنترة يا كوبرت هل تحفظ الصنيعة حتى نطلقك وعلى امورنا واحوالنا نطلعك

فقال لهُ يافارس عدنان وحاوي قصب الرهان انا لست ممن يضيع عنده الاحسان واقسم بين كون الاكوان اني اكون لكم عبدًا على طول الزمان فاتخذني من بعض اصحابك حتى اشير وجميع قومي في ركابك

قال الراوي فلما سمع عنترة كلامهُ قال لهُ ياملك الزمان اعلم ان المدينة مدينتك والقلعة قلعتك ونحن تحت حكمك وطاعتك ولكن على شرط ان تقسم لي يمينًا انك تكون تحت امر الملك قيصر ولا تخرج من طاعتهِ ولا تتغير وتحمل اليهِ الخراج والعداد من سائر هذه البلاد والا وحق الركن والحجر والبيت العتيق المطهر ضربتك بهذا الحسام على وريديك طيرت راسك من بين كتفيك فقال لهُ كوبرت ياابا الفوارس اذكر لي انت صفة اليمين التي تريد ان احلفها فاجيبك الى ما تريد ولا اعدل عن قولك ولا احيد فعند ذلك تقدم شيبوب وقال لهُ ان كنت تريد ان تحلف كما رسم اخي فانا الذي اخترع لك اليمين واحلفك قدام هذا المحضر فقال الملك كوبرت اخبرني عن هذه اليمين كيف تكون فقال قل وحق المسيح صاحب المعجزات الذي بقدرتهِ الالهية قد احيى الاموات وظهرت براهينهُ في كل قطر ومكان بقدرتهِ وقدرة ابيهِ الواحد الديان الذي لا اله الا هو ولا شريك لهُ في ملكهِ انك لا تخون في العهود فلما سمع كوبرت هذا الكلام قال وحق المسيح ان هذه يمين لا استطيع في اذني ان اسمعها فكيف يكون لي ان اتغصص بها واتجرعها ثم انهم ما زالوا بهِ حتى حلف تلك اليمين التي اخترعها شيبوب وهو يرتعد منها ويخشى ان يكون من الناكثين بها فعند ذلك طابت منهم القلوب وفكهُ الامير عنترة من الوثاق وجاد عليهِ بالاطلاق واكرمهُ بعد الهوان لما سمع منهُ تلك الايمان وخلع عليهِ الملك هرقل خلعة سنية من خلع الملوك اصحاب الرتبة العلية

قال الاصمعي ثم ان كوبرت فرح واستبشر واعتزّ بعد الاهانة وانتصر واركبهُ هرقل جوادًا اشقر بمركب ذهب احمر من جنائب ابيهِ الملك قيصر وسار طالبًا المرج الاخضر وما عنده ما جرى بين عنترة ومريم ومريان خبر الا انهُ فرح بما حصل من الفكاك بعد ان كان في ضيق الخناق وسوء الارتباك ولم يزل سائرًا حتى بلغ باب القصر وهو فرحان بخلاصهِ من ذلة الاسر ففتحت لهُ الابواب ودخل البلد واجتمعت اليهِ الاحباب والاصحاب ووقعت الضجة لقدومهِ بالفرح والاستبشار في تلك الاقطار ولما جلس على سرير ملكهِ اخذ يقص على ارباب دولتهِ ما جرى لهُ مع عنترة في غيبتهِ واخذت مريم تحدثهُ بما جرى لها مع عنترة في ذلك المكان وكيف شفعت فيهِ الملكة مريان ففرح بذلك الشان وبعد ذلك

ركب وسار الى القلعة وانفذ خلف كبار البلد وجماعتهِ فحضرت ارباب دولتهِ من كل جانب ومكان واخبرهم بما جرى لهُ من الخبر والصلح الذي وقع بينهُ وبين الامير عنتر ففرحوا غاية الفرح واتسع صدرهم وانشرح

قال الراوي وعند الصباح ركب الملك كوبرت في فرسان عشيرتهِ واعيان مملكتهِ ومعهُ كبار البلد وساروا طالبين الملك هرقل وكان اول من علم بذلك الامير عنتر فركب والتقاهم بعيداً عن الخيام وانزلهم في سرادق كبير للملك هرقل وزاد لكوبرت في الاكرام واقاموا هناك ثلاثة ايام ثم نقلهم كوبرت الى القصر وزاد لهم في الكرامة وقد صفت لهم الاوقات ونهبوا اللذات والمسرات مدة عشرة ايام فشكا الملك هرقل حب الجارية مريمان الى الامير عنترة واباح لهُ بسره واظهر لهُ ما في صدره فلما سمع عنترة ذلك المقال استدعى بكوبرت في عاجل الحال واستشاره في خطبة الجارية لهرقل فقال لهُ يامولاي لابد لي من مشاورتها في هذا المقال ثم انهُ في ساعة الحال سار اليها وقص ما جرى عليها فكانت هي الى هذا الحال اشهى من المعطشان الى بارد الماء الزلال فاجابت بالسمع والطاعة فخرج من عندها في عاجل الحال وقصد عنترة الفارس الريبال وعرف الملك هرقل بالخبر ففرح بذلك واستبشر وزفت الملكة مريمان الى الملك هرقل وبعد ذلك قدموا انية المدام واخذوا يتنادمون بما يجلب الافراح ويزيل الاتراح ثم قال الامير عنترة لمريم اسمعينا شيئاً من الحانك وفصاحة لسانك فقالت لهُ مريم السمع والطاعة واخذت العود وطيبت منهُ الاوتار وضربت بطرائق تحير الافكار واستجدت خاطرها ونبهت سرائرها وانشدت

أشجتك بالتغريب في تغريدها ... فظننت سعداً كان بعض عبيدها
وشدت فايقظت الرقود بشدوها ... واعادت الايقاظ طيب رقودها
خود شدت بلسانها وبنانها ... حتى تشابه صوتها بنشيدها
فكأن نغمة عودها في صوتها ... وكأن رقة صوتها في عودها
كملت صنائع وصفها فكانما ... ورثت اصول العلم من داوودها
نسبي العقول فصاحة وصباحة ... فتحار بين ظريفها وبليدها
من لهجة مكسوبة او بهجة ... منسوبة تجلى لعين حسودها
اني لاحسد عودها اذ عاينت ... عطفيهِ او ضمتهُ بين نهودها
واغار من لثم الكؤوس لثغرها ... واذوب من لمس الحلي لجيدها

قال الراوي ولما فرغت مريم من ابياتها دنت من الامير عنترة وقالت هيا يافارس العرب

واسالك عذرًا عما بدا مني من سوء الادب فقال عنترة لاخيهِ شيبوب قدّم الابجر فقدمهُ وسار والملك كوبرت وجميع الجوار مع مريم سائرون في خدمة عنترة بن شداد والملك هرقل بن قيصر وفي ايديهم الشمع المكوفرا حتى وصلوا الى الموضع الذي اعدَّ للمنام فانصرف الجماعة ورقد عنترة ونام وقد اختلى هرقل بزوجتهِ مريمان بدر التمام

قال الراوي . وفي الصباح اقبل الامير عنترة على الملك هرقل وهنأهُ بما نال فقال لهُ لم ابلغ الامال الا بهمتك ايها الاسد الرئبال فلما سمع عنترة كلامهُ داخلهُ الفرح واتسع صدره وانشرح وقال لهُ ياملك لست الا من بعض غلمانك واحد خدامك واعوانك ثم انت اليهم كبار البلد بالهدايا والتحف مما يعجز عنهُ الواصف اذا وصف وبعد ذلك اولموا الولائم عشرة ايام ودارت بينهم الافراح والمسرات وخافوا على المقدمين والسادات ثم ان كوبرت تقدم الى هرقل والامير عنترة وقال لهما ارجو منكما ان تسيرا معي الى القلعة وتنظرا ما فيها من الخزائن والاموال فاجاباهُ ونهض عنترة وهرقل وجماعة من الحجاب والاصحاب وبين ايديهم المماليك بالسيوف والحراب حتى وصلوا الى الباب الذي خرجت منهُ الجوار فقال لهم الملك كوبرت تفضلوا ثم فتح لهم الباب ودخل قدامهم الى ذلك المكان

قال الراوي . لقد حدثني من ادركتهُ من المعمرين من بني عبس عن شيبوب وولده الخذروف انهما قالا نظرنا الى الدرج وقد نقر في صخر احمر وهو مرتفع لايكاد يدركهُ الانسان اذا كان على ظهر الحصان وقد بني بدرجات عرض الواحدة عشرون ذراعًا وطولها ثلاثون وقد صنعت بغير اعوجاج ولا ميل وذلك لاجل صعود الخيل فسرنا عن يمين الباب مقدار مائة ذراع فرأينا بابًا ثانيًا اعظم من الاول واحسن تركيبًا واطول وهو من العود القماري ومساميره من الفضة والذهب وهو في غاية العجب فلما فتح الباب رأينا فارسًا مقبلاً الينا من غير ارتياب وهو على فرس اجرد و بيده صارم مهند فنادى اخي عنترة لكوبرت ياملك ما حال هذا الفارس النازل الينا ولماذا شهر سيفهُ علينا فقال كوبرت متبسماً ايها الفارس الادهم هذا ليس من الناس بل صورة من النحاس قد صنعتهُ الصناع وحكماء هذا الزمان وتركوه لحفظ هذا المكان فقال لهُ عنترة يا ملك اذا كان هذا لِمَ هذا التمثال لا يرد هجمات الابطال فقال لهُ كوبرت يا ابا الفوارس لا تقل هذا المقال فانك غير عالم بمثل هذه الاحوال فان الانسان اذا وصل الى هذا المكان يدور هذا التمثال هو وفرسهُ اسرع من البرق فلو صادف سيفهُ حجرًا صلدًا قطعهُ نصفين فقال لهُ عنترة وحق الذي يعلم ما لا يدركهُ الانسان ان هذا من عجائب الزمان وما رايت طول عمري مثل هذا التمثال

ولا رايت مثل هذه الاحوال

قال الراوي . ثم قال الامير عنترة لكوبرت ياملك تقدم اليهِ قليلاً وارجع لننظر ماذا يصنع فسار كوبرت حتى قرب منهُ واذا بهِ قد دار مثل اللولب وانقض مثل الكوكب فحار عنترة واخذه العجب وقال لكوبرت ياملك الزمان وكيف يكون خروجنا من هذا المكان وقد عرض لنا مثل هذا القرنان ووقف لنا في الطريق وقد امسك علينا راس المضيق ومنعنا عن المراد والطلب بهذا السيف المشطب فقال لهُ كوبرت اعلم ياابا الفوارس وزين المجالس اننا اذا اردنا الدخول من هنا نبطل حركتهُ ولا يلمّ بنا عطب فقال لهُ عنترة افعل ما بدا لك وارنا طرفاً من اعمالك فتقدم كوبرت الى ذلك التمثال ومد يده في عاجل الحال قدام الامير عنترة الفارس الرئبال الى رزة وحلقة موضوعة في طابقة رخام فاقامها وكان فيها سلسلة من الذهب الاحمر في ساقية من حجر ممتدة الى وسط القلعة وفي تلك الطابقة نصف طابقة اخرى معلقة بشريط من الذهب الاحمر وهو في وسط تلك الساقية فاذا وصل الانسان الى تلك الطابقة وداس فوقها برجليهِ يجري الزيبق من ذلك المجرى فيدور في الحال ذلك التمثال وفي يده هذا الحسام الفصال فلو صادف جبلاً من الحديد لقطعهُ واذا اراد الانسان الدخول الى ذلك المكان يمنع الزئبق من الجريان فتبطل حركة التمثال و يعبر صاحب الموضع في ساعة الحال من غير اهمال

قال الراوي . ولما صنع كوبرت ما صنع من ابطال حركة التمثال عبر الملك هرقل هو والجماعة الذين معهُ وكان اخر من دخل عنترة وشيبوب والخذروف ولما دخلوا تقدم كوبرت والامير عنترة بن شداد ينظران اليهِ واذا بهِ قد عمد الى طابقة اخرى وهي مثل الاولى ورفعها بيديهِ وقد جذب تلك السلسلة الى ناحيتهِ الى ان نزلت في مستقرها من الطابقة المقدم ذكرها فجرى الزئبق كما كان ودار التمثال وعاد كعادته فحار عنترة مما عاين وابصر ثم انهم طلعوا في مراقٍ الى باب ثانٍ من الحديد باقفال من الفولاذ الشديد ففتح كوبرت الاقفال ودخلوا منهُ الى وسط القلعة فنظروا قلعة شاهقة قد بنيت بالحجر الاحمر تحير صفاتها الفكر ليس لها طريق ولا يصل اليها حجر منجنيق ابراجها حربية واركانها محكمة قوية

قال الراوي وفي وسط هذه القلعة عين ماء تجري تدير طاحوناً في جدول انقى من الزلال واحلى من العسل ثم اشرفوا على الاموال وخزائن السلاح فابصروا من الملك والانعام ما يذهل العقول فصاروا يتحدثون بحديث الرجوع الى الاوطان وعنترة يقول لكوبرت والله ياملك لقد اشتقنا الى الاطلال والمنازل والديار ثم ان عنترة جال في فكره ذكر محبوبتهِ

عبلة ذات الخد الاثيل والطرف الكحيل وتذكر بعده عن الاوطان فجرت دموعه على خديه مثل الغدران فانشد وقال

اعبلة ما قلب المتيم من صخر ... ليقوى على حمل الصبابة والهجر
اعبلة زوريني ولو سنة الكرى ... فوالله لا اسلو هواك مدى الدهر
فرفقًا بمضناك فان جفونه ... لقرحى لكن قلبة في لظى الجمر
تزيدين عزًّا كلما زدت ذلةً ... ولولا الهوى ما ذلت الاسد بالقفر
خليلي بالله اتركاني وصبوتي ... خليلي بالله اسعداني الى العذر
خليليَّ هيا بلغاها رسالتي ... وبثا لها شوقي وقصَّا لها امري
وقولا لها ذاك المتيم حالة ... سليب الكرى حيّ الهوى ميت الصبر
بليت بمن يصبو المحب لحبهـــا ... فظلت دموعي من غرامي بها تجري
خفاجية العينين سحرية الشذا ... جمالية الاعطاف وردية الشعر
تناظرت من بدرٍ منيرٍ اذا بدا ... وقبلت فاها فاستحال الى الخمر
لها لفتات الظبي لما تلفتت ... تفوق اذا مالت على الغصن بالنضر
على ان منها في العيون تشابهًا ... اذا ما تثنت في غلائلها الخضر
خضعت لها فاستاسرتني لحاظها ... وقد اوثقتني في قيودٍ من الشعر

قال الراوي وبعد ذلك اشرفوا على خزائن الاموال والسلاح فابصروا من الملك والانعام ما يذهل العقول فختموا على الجميع بختام عنترة ثم قال كوبرت لعنترة يا فارس عدنان انقضي يومنا في هذا المكان فقال عنترة لا بل نعود الى مكاننا الاول فعندها تقدم كوبرت وانزلهم في باب القلعة الذي يودي الى الجزيرة ولما صاروا في المدينة هرع الناس كلهم صفوف مئات والوف ينظرون الى عنترة بن شداد لانه غريب الخلقة والزي في تلك البلاد وصاروا يشيرون اليه بالاصابع من سائر الاماكن والمواضع وقد حاروا من عظيم خلقته وسواد لونه وكبر جثته ولم يزالوا سائرين حتى وصلوا الى القصر الذي كانوا فيه نازلين ثم تشاوروا في رجوعهم الى القسطنطينية ولما عزموا على ذلك دخل عليهم احد الغلمان يريد ان ياخذ لبعض القسوس اذنًا فاذنوا له بذلك وامروه ان ياتي به اليهم ولما دخل عليهم ذلك القس عرفوه وعن احواله سالوه وقام الملك كوبرت وسلم عليه وقبل يديه واقعده الى جانبه وكان هذا القس قد انفذه الملك كوبرت جاسوسًا الى مدينة الواحات

حتى ياتيهُ باخبار الملك صافات وكان اسمهُ بولس فقال لهُ كوبرت اخبرنا ما معك من الاخبار فقال لهُ ياموﻻي اعلم ان الملك صافات صاحب جزائر الواحات اليك قاصد وعليك وارد وهو في عالم عظيم وعسكره لايبان لهُ عرض ولا طول يملأ الجبال والسهول وهم لايملون من القتال ولا يضجرون من الحرب والنزال ولا يهابون كثرة الفرسان ولا يكترثون بالشجعان فلما سمع كوبرت ذلك الكلام اخذتهُ الحيرة وتقدم الى الملك هرقل والامير عنتر وشرح لهما ما وصل اليهِ من الخبر فطار عقل هرقل وتحير فقال لهُ الامير عنتر ما بالك ايها الملك المظفر فاني ارى لونك قد تغير فوحق من خلق البشر لابد لي ان اقلع منهم الاثر واما الملك صافات فسوف ترى ما يحل بهِ من النائبات وما ينزل عليهِ من البليات وساحكمك في نسائهِ والبنات ففرح هرقل وكوبرت بمقالهِ وشكروه على فعالهِ

قال الراوي وكان السبب في ركوب الملك صافات وطلبهِ تلك الجهات انهُ كان ساكنًا في شمال الارض وكان لهُ اربع مدن كبيرة وهي اعظم ما يكون في الاقطار ولهُ في كل مدينة سرير من العرعر معلق عليهِ تاج مرصع بالدر والجوهر وكان يفتخر بهذه المدن وليس لاحد بلكهِ مطمع ولا يقارنهُ ملك الا الملك جنطايل صاحب مدينة الاندلس وكان للملك صافات من هذه المدن جزائر الواحات وكان يجعل اقامتهُ فيها اكثر الاوقات وهي التي تسمى رومية الكبرى ومنها ظهر الاسكندر في الوري وكان فيها قصره الاعظم الذي كان فيهِ يتنعم وكان طولهُ ثلاثة فراسخ في عرض فرسخين وهو يحير نظر كل عين

قال الراوي ولهذه المدينة اسوار من الرخام الاحمر ولها ابراج كبيرة غرس في كل برج منها كثير من انواع الاشجار وفيهِ من غرائب الاثمار والماء يدور حول ذلك السور وفيها ايضًا قصور عالية البنيان قوية الاركان وعلى جنباتها من الاشجار ما يذهل النظار وقد جرت حولها الانهار وتفتحت الازهار وشدت البلابل باصواتها والهزار وكان الملك صافات كلما نظر تلك المدينة وما حوتهُ من المناظر البهية يعز عليهِ ان يخرج منها مخافة ان يراه القسوس والرهبان بعين النقصان وكان يذهب في اكثر الاوقات الى ظاهر البلد ويامر باحضار العساكر من سائر الاماكن وقد ذكرنا انهُ كان لهذا الملك اربعة من المدن الكبيرة التي لايوجد مثلها في سائر الاقطار اولها مدينة الواحات والثانية مدينة ديرونة والثالثة مدينة سكرونة والرابعة مدينة كفرونة ولما حدث ما حدث انفذ خلف العساكر فاتت اليهِ مثل البحار الزواخر وظلت ترد اليهِ مدة عشرين يومًا حتى اجتمع اليهِ مائة الف وخمسين الفًا وكلهم من الافرنج قد تنكبوا بالدرق واعتقلوا الرماح وتقلدوا البيض الصفاح

معتدين للقتال وملاقاة الاهوال فرحل بهم الملك صافات بعد ان استخلف مكانه ابن عم له يقال له مخايل وترك عنده عشرين الف بطل نبيل وامره باليقظة والاحتراز وسار طالبًا جزيرة الكافور وقلعة البلور وفي تلك الساعة رجع ذلك القس الذي انفذه الملك كوبرت واخبره بقدوم ذلك العسكر كما شرحنا في هذا الخبر وسمع بذلك الامير عنترة فازورّ منه البصر

ولنرجع الان الى سياق الكلام . وامر عنترة الملك هرقل والملك كوبرت بالرحيل وسرعة التحويل فدقت الكوسات ونعرت البوقات واستعرض كوبرت عساكره فوجدهم سبعين الف فارس فاختار منهم ثلاثين الفًا وامر الباقي بالرجوع ورحل في الثلاثين الالف الفارس وهم مثل الليوث العوابس

قال الراوي وسار الامير عنتر في اوائل العسكر كانه قلة من القلل او قطعة فصلت من جبل وما زال الجيش سائرًا مدة ثلاثة ايام حتى اشرفوا على مرج افيح . ماؤه يسرح وزهره قد تفتح فقال كوبرت لعنترة يا ابا الفوارس من الصواب ان ننزل في هذا المكان ونلتقي فيه الاعداء لانه يصلح للجولان وهو احسن مكان للقتال والحرب والنزال فاجابه عنترة بالسمع والطاعة ونزلوا في ذلك المكان وضربوا السرادقات والخيام واقاموا ثلاثة ايام على اكل طعام وشرب مدام وفي اليوم الرابع ساروا طالبين جزيرة الواحات والملك صافات فتجاربت الفرسان من سائر الجهات وسار الامير عنترة في اوائل الاقران كانه النمر الحردان ولما تمادى به السير تذكر الاهل والخلان وبعده عن الاوطان فتلهبت في احشائه النيران وجالت عبلة في خاطره فزاد به الهيمان وجرت دموعه كالغدران فانشد وقال

من حاكم بيني وبين عذولي ... الشجو شجوي والعويل عويلي
اقصر فما دين الهوى كفر ولا ... اعنده لومك لي من التنزيل
امسيت في دين الهوى متفردًا ... لكن اخاف عقوبة التعطيل
عجبًا لقوم لاتلين قلوبهم ... لحريق قلبي في الهوى ونحولي
دقت معاني الحب عن افهامهم ... فتأ ولوه اقبح التاويل
في اي جارحة اصون حبيبتي ... سلمت من التعذيب والتنكيل
ان قلت في عيني فثم مدامعي ... او قلت في قلبي فثم غليلي
لكن جعلت لها الفؤاد محكمًا ... وحجبتها عن عذل كل عذول
وثلثة لما نزلن عليّ قد ... ايقنت ان بنزولهن رحيلي

شيبٌ تبدي مثل صبح طالعٍ وفراق احبابي وفرط نحولي
ولقد سريتُ الى العدى في جحفل فتحصنوا بذوابلٍ ونصول
وبادهم يحكي الظلام بلونهِ وبغرةٍ منهُ وبالتكحيل
يزهو بتجليل اللجام كانهُ ملك محلى الراس بالاكليل
حتى اذا سمع العداة صهيلهُ ولوا وقد حاروا بكل سبيل
ارسلتهُ في اثرهم فكانهُ لم يقضِ لي امرًا وكان رسولي
فرقت جمعهم بحد مهندي فكانني اسد وراء نحيل
قد جودت لهم المنية بغتة وكذا الحمام يصيب كل عجول
ياعبل انت ضياء عيني فاحكمي في اعيني ياغاية المامول
ياعبل ان دام الزمان معاندي بالصبر احمل فوق كل حمولي

قال الراوي فلما فرغ عنترة من انشاده ترنح هرقل ابن الملك قيصر فوق ظهر جواده وقال لهُ وحق عيسى ياابا الفوارس ما لك في هذا الزمان منافس في الفصاحة ولا في البيان ولا في طلاقة اللسان والثبات في الميدان فالله يبلغك امانيك ويكمد قلوب حاسديك لانك نادرة الاوان وفريد هذا الزمان فشكره عنترة على هذا الكلام وزاد لهُ في الاحتشام ثم انهم داوموا سيرهم يقطعون السهول والكثبان هذا ما تم لهم من الامر والشان واما ما كان من الملك صافات صاحب مدينة الواحات فانهُ رحل بعساكره وخرج من البلاد طالبًا الملك هرقل وعنترة بن شداد ولما اقتربت العساكر من بعضها البعض طلع غبارهم فاسودت منهُ اقطار الارض وكان اجتماعهم في موضع يقال لهُ مرج الآس وعلا فيهِ الصياح ونعرت البوقات ودقت الكوسات وارتجت الجنبات وخفقت الاعلام والرايات

قال الراوي واشارت الطوائف الى بعضها بالحملة فاطبقوا على بعضهم مثل البحار الزاخرة وكانت لهم ساعة من اعظم الساعات طنت فيها اصوات القنا والقنطاريات ولعبت اسنة الرماح السمهريات والسيوف المشرفيات وجرت الدماء مثل السحائب الهاطلات وزمجرت الافرنج بلغاتها المختلفة وعلا الغبار حتى اظلمت منهُ الافاق وبذلوا شفار الرقاق واسنة السمر الدقاق وكان لهم يوم عجزت عن وصفهِ السنة الحذاق

قال الاصمعي وفي اخر النهار حمل الملك صافات وقاتل مع اصحابهِ قتالاً حارت منهُ الاعين الناظرات وسطا على الفرسان سطوة الغضب وشهر لهم سيف العطب وفرّق المواكب ومزق الكتائب فلما نظر الامير عنترة الى فعالهِ خاف منهُ على رجالهِ وابطالهِ فصدمهُ صدمة

الاسد الريبال وجرى بينهما حرب شديدة تشيب الاطفال وما فرق بينهما الا الظلام وعادت الطوايف الى الخيام وربحت الروم تحت الغبار بقتال الامير عنترة الفارس المغوار وخسرت الافرنج وظهر عليها الانكسار ولولا خوفهم من العار لطلبوا الهزيمة والفرار ولكنهم صبروا على البلاء والدمار خوفًا من الملك صافات وعلى الحريم والعيال وكسب الروم بعض خيام الافرنج والرجال ورجعوا وهم يشكرون عنترة ويثنون عليه ويشيرون بالدعاء اليه هذا ما كان من هولاء واما الملك صافات فانهُ رجع وهو كثير الكربات وجمع اليهِ ارباب دولتهِ واكابر عشيرتهِ ومن يعتمد عليهم من بطارقتهِ واستشارهم فيما يفعل في دفع هذا البلا الذي نزل عليهم لانهُ نظر في ذلك اليوم من قتال الامير عنترما حير منهُ البصر فقالوا لهُ ما في الامر الا اننا نصبر على قتال الاعداء ولو تجرعنا كؤوس الردى فان نصرنا عليهم فقد نلنا الوطر والا ننفذ خلف ابن الدبر والشاهد ونسالهُ ان يكون لنا على هولاء الشياطين مساعد ومتى وصل الينا هان الامر علينا فقال الملك لقد اشرتم بالصواب والراي الذي لا يعاب قال وكان الشاهد فارسًا همامًا وبطلاً ضرغامًا ملك اكثر البلاد وذلت لهُ سائر العباد وصارت ملوك الجزائر تهاديه وتترضاه وتداريه وكان الملك صافات يحبهُ ويواصلهُ بالتحف ويحمل اليهِ الهدايا وكان بينهما مودة قديمة ومحبة عظيمة فانفذ اليهِ جماعة من الاصحاب واقام ينتظر الجواب هذا ما جرى لهولاء من الامر والخبر واما ما كان من الامير عنتر وعساكر الملك قيصر فانهم نزلوا في الخيام وهم في فرح وابتسام ولما طلع الصباح ركبت الرجال وتبادروا الى القتال وشهروا السلاح وطلبت الافرنج عنترة بن شداد دون العساكر والاجناد وحملت الروم ايضًا وعنترة في مقدمتها وقد اظهر الاهوال وفعل فعالاً تعجز عنها الرجال وداموا على تلك الحال وهم في اشد قتال مدة خمسة ايام مع الليال

ولما كان اليوم السابع ضعفت الافرنج وظهر عليها الانكسار وعولت ان تطلب الفرار واذا بغبار ثار واسودت منهُ الاقطار فحدقوا عليهِ بالابصار حتى تمزق وانقشع وظهر من تحتهِ جيش جرار يزيد على خمسة الاف بطل مغوار وفي مقدمة الجيش فارس جبار وبطل هدار ولما راى ملك الروم على الافرنج مستظهرة اشار الى عساكره بالحملة فحملت وحمل هو حملة منكرة وكان هذا الفارس ابن الدبر والشاهد فانهُ لما وصلت اليهِ رسل الملك صافات لم يقر لهُ قرار بل سار بالعساكر وفي قلبهِ لهيب النار فوصل بهذه الفرسان كما شرحنا وحمل كما صرحنا اما عنترة فلما نظر عظم همتهِ صدمهُ صدمة اعظم من صدمتهِ ولما راى الملك صافات هذه الحملات زعق في العساكر فحملت وحاربت وقد استقبلت هذا والامير

عنترة يقوي فرسان الروم و يبضع بسيفهِ الرقاب والجسوم وداموا كذلك الى الظلام وطلبوا الانفصال من الحرب والقتال فما مكنهم ابن الدير والشاهد واخذ يقوي عزم فرسانهِ على الشدائد فعمل السيف الماحق والرمح الخارق وعرف عنترة مراد الافرنج اللئام فبذل فيهم الحسام تحت ستور الظلام ولم يزل السيف يعمل والدم يبذل حتى بان ضوء الصباح وقد ملوا من الحرب والكفاح وقفز عنترة الى الميدان وجال بين الصفين ولعب برمحهِ بين العسكرين ونادى ابرزوا يا اصحاب العزيمة فانني وحق رافع السموات العالم لا ارجع الى وطني الا بعد قتل ملككم صافات واخذ جزائر الواحات فدونكم الان البراز وسرعة الانجاز

قال الراوي وكان الامير عنترة يشير اليهم بهذا الكلام والملك صافات وابن الدير والشاهد لا يعلمان ما يقول بل نظراه وهو يصول ويجول وياخذ الميدان عرضاً وطول فعند ذلك علما انهُ يريد البراز كما جرت عادة ابطال الحجاز فهم الملك صافات ان يحمل عليهِ فنزل ابن الدير والشاهد عن ظهر الجواد وتقدم الى الملك صافات وقبل يديهِ وقال وحق المسيح والدين الصحيح لا يبرز اليهِ احد غيري وساتيك براس هذا الاسود وابليهِ بالويل والنكد

قال الراوي فلما سمع الملك صافات هذا الكلام وما اقسم بهِ ابن الدير والشاهد من الاقسام زاد فرحاً وابتسام وخلع عليهِ بدلة من الجوهر تساوي ملك كسرى وقيصر فخرج ابن الدير وهو راكب على ظهر حصان يسبق البرق اليمان ولما وصل الى الميدان صاح بالحصان فخرج من تحتهِ كانهُ الريح الهبوب او اللبوة الطلوب فالتقاه عنترة بقلب لا يخاف الرجال ولا يكترث بالابطال وثار على الاثنين الغبار وانعكف ودار بينهما الضرب واختلف ونظر ابن الدير والشاهد من عنترة فارساً لا يدارى وجواداً لا يبارى فمد القنطارية اليهِ ورمى روحه عليهِ وطلب انجاز الامر وكسر العسكر من بعد قتلة عنتر فثبت عنترة للطعنة حتى قاربتهُ وضرب القنطارية فطارت من يده واذهلتهُ فهمَّ ابن الدير ان يلوي راس الجواد ويرجع فضربهُ عنترة بالضامي على قمتهِ وكان قد استتر بطارقتهِ فقدها السيف مع البيضة ووصل الى راسهِ فقسمهُ قسمين فوقع الى الارض قطعتين واشار الى الروم براس السنان فحملت من كل مكان وغاصت فى طوائف الافرنج ونظر هرقل الامير عنترة وفعاله فحمل لمعونتهِ بباقي رجالهِ وجردوا السيوف الرقاق وشرعوا السمر الدقاق وخاضوا في بطون القتلى بالخيول العتاق ونثر عنترة الابطال و بددها وهتك بسيفهِ الرجال ومددها ولعب بمهج الرجال براس الرمح العسال وقطع بسيفهِ المفارق والاوصال فلما نظر الافرنج ابن الدير

قتيلاً وعلى وجه الثرى جديلاً عولوا على الهرب وقد عاينوا الموت والعطب فعند ذلك ثبتهم الملك صافات ونخى منهم الفرسان والقادات فطلبوا القتال واقتحموا الاهوال واضرمت نار الحرب وقد اشتعلت وحارت الخواطر وانذهلت والاعلام تنكست وما زال السيف يعمل ونار الحرب تشعل حتى اقبل الظلام فرجع كل جيش الى الخيام والدماء تسيل من اجسادهم وهم يتاسفون على من قتل من عساكرهم واجنادهم

قال الراوي ثم ان هرقل وعنترة بن شداد نزلا في سرادق من الديباج واخذا في تدبير القتال والحرب والنزال فقال عنتر لهرقل ابن الملك قيصر يا مولاي وحق رافع السماء بلا عماد غداً اترك الملك صافات وعساكره معفرين على وجه المهاد لانني اعرف انه ما ثبت العساكر الا هو ولولاه لكانت ركنت الى الفرار وولت الادبار ففرح الملك هرقل وكوبرت بكلام الامير عنتر وانشرح كل منهما واستبشر وعلما انه على ما يقول قدير ثم نهض عنترة يطلب المنام هذا ما كان من هولاء الاقوام واما ما كان من الملك صافات صاحب جزائر الواحات فانه نزل في السرادق وعنده من عنترة هموم خوارق فاحضر فرسانه الابطال وشكا اليهم ما لاقى في ذلك اليوم من الاهوال فقالوا له يا ملك الزمان وحق الواحد الموجود والاله المعبود ما فرق اليوم ابطالنا وجندل اقيالنا الا ذلك الفارس الاسود الذي ناره في الحرب لا تخمد لانه صال على الرجال وابادهم بحسامه الفصال فقال لهم صافات اذا كنتم ما خفتم الا من ذلك العبد الاسود فانا غداة غد اتيكم به اسيراً مقيد وقد هان الامر وتيسر وانكسرت همة العسكر فطابت قلوبهم بذلك الكلام ورتب عليهم الحرس ونام ولما ابرق الصباح ركبت الفرسان وطلبت الحرب والكفاح وفي دون ساعة ترتبت الصفوف وتعدلت الالوف وتقدم الامير عنترة ولعب برمحه والسنان حتى حير العقول والاذهان فتقدم اليه الف فارس وبينهم فارس كالاسد العابس طويل القامة والباع ملتف العضدين والذراع وعليه درع له لمعان وبريق وهو متقلد بسيف رقيق وعلى راسه بيضة عادية كالفضة المجلية وفي يده قنطارية امضى من المنية واحد من كل رزية وتحته جواد من الخيول الجياد يصلح ليوم الطراد وكان هذا الفارس هو الملك صافات صاحب جزائر الواحات ولما صار في الميدان صال وجال وكر في جنبات المجال وزعق زعقة تذهل الرجال وتطير عقول الابطال ونادى ويلكم يا كلاب الروم هل من مبارز هل من مناجز اليوم يوم الانفصال والانجاز فلا يبرز لي الا عنترة فارس الحجاز قال فما اتم ذلك الفارس كلامه حتى انقض عليه عنتر كانه القضاء والقدر واطبق عليه وناداه دونك الاسد المغوار والليث

الهدار فعند ذلك دمدم الملك صافات وشتم عنترة بلغته وكان جبارًا لا يلتقى وجبلاً لا يرتقى وجرى بينهما حرب تحير العقول لانهما لعبا بالارواح ووضعوها على اسنة الرماح ونظر عنترة منة فارس كفاح فزعق فيه وصاح وحك الركاب بالركاب واختلف بينهما الطعان والضراب والتقيا بضربتين اخف من نظر العين فكان الامير عنترة السابق فاصاب صدر الملك صافات بسيفه قطعة نصفين ورماه الى الارض قطعتين ولما حلت بالملك صافات هذه البلية تعوذت الافرنج من عظم تلك الضربة والرزية وخامر عقولهم الفزع واخذهم الخوف والهلع ولكنهم لما راوا ملكهم قتيلاً وعلى وجه الارض جديلاً صاحوا صيحات عاليات وحملت الفرسان من سائر الجنبات وضجت الطوائف حتى ارتجت الفلوات وحملت عساكر الملك قيصر مثل النيران وفي مقدمتهم عنترة سيد الشجعان واختلط الفرسان بالفرسان وضاق بالفريقين المكان وكان القتال الاعظم قريبًا من العلم لان عنترة جعلة قصده ولنحوه تقدم وقال لاخيه وولده احميا انتما ظهري وتفرجا على كري وفري ثم انة جعل يصدم بصدره تلك الامم وينكس علمًا بعد علم وينثر بسيفه القمم ويخرق الصفوف ويجدع الانوف حتى لحق حامل العلم الاخضر فطعنة طعنة اسد قسور فمال العلم وانكسر ولما رات الافرنج علمها وقد مال ايقنت بالو بال فالوت روؤس خيلها وتجرعت كؤوس العطب وعسكر الروم وعنترة لهم في الطلب الى ان مضى النهار وقدم الليل بالاعتكار فعادوا وهم فرحون بالنصر والظفر ورجع الامير عنتر الى المضارب والخيام فالتقاه الملك هرقل بالاكرام ونزل عنترة في سرادقه واجتمعت عليه البطارقة والرهبان وهنأوه بالنصر والامان وشكروه على اعماله وما اظهرلهم من قتاله وحربه ونزاله واقاموا في ذلك المكان ثلاثة ايام حتى ارتاحوا من تعب الصدام ثم بعد ذلك امر عنترة العساكر بالرحيل الى جزائر الواحات وزادت بالملك كوبرت المسرات بقتل الملك صافات لانة كان بمخافة الى الممات هذا وقد دقت الكوسات

الكتاب الرابع والاربعون بعد المائة

من سيرة عنترة بن شداد العبسي

ونعرت البوقات وصهلت الخيول الصافنات والامير عنترة في مقدمة العسكر وهو على ظهر جواده الابجر كانة الاسد الغضنفر معتقل برمحه الاسمر ومتقلد بسيفه الضامي الابتر وشيبوب والخذروف بين يديه يقطعان البر الاقفر ولم يزالوا سائرين في همة واهتمام مدة ثلاثة ايام وفي الليلة الرابعة طلبوا الراحة ولما طلع الصباح ركبوا الجرد القداح وتقلدوا بالبيض الصفاح

وما زالوا سائرين وهم في فرح واستبشار حتى تضاحى النهار فرأوا جزيرة الواحات فزادت بهم الافراح والمسرات وداموا كذلك حتى اشرفوا على واد عجاج متلاطم بالامواج فوقفت الفرسان وبهتت من ذلك الماء الخرار وما فيهم الا من احتار وعجبوا كيف تسببت لهم هذه الاسباب ومنعهم هذا الماء عن بلوغ المراد وصدهم عن العبور الى تلك البلاد وقد استدت في وجوههم المذاهب وعظمت عليهم المصايب اما عنترة فنزل في ذلك المكان وحوله العساكر والفرسان وهم في هم واحزان من عظم اشواقهم الى الاوطان فضربوا الخيام والمضارب وصفوا الخيول والجنايب ولما نزلوا في الخيام زادت بهم الاوهام فقال عنترة يا قوم كيف عبر من هنا الذين هربوا من قدامنا من عساكر الملك صافات ونجوا من الافات ولا مركب لهم في هذا المكان يعبرون به الى الاوطان فاشتهي ان اعرف اخبارهم واطلع على حقيقة اثارهم فقال شيبوب اسال يا ابن الام بعض الاسارى الذين معنا من اهل هذه الجزيرة عن هذا الماء فينبيك عنه فاحضر عنترة احد الاسارى من اقارب الملك صافات وساله عن هذا الماء وكيف عبروا من هذا المكان لما اتوا الى قتالهم بالفرسان فقال له البطريق يا مولاي وحياتك اننا قصدناكم وعبرنا من هنا وما كان في هذا الوادي نقطة من الماء وما رايته الا في هذا اليوم فعند ذلك ضاقت صدور المقدمين واشتغل قلب الملك هرقل وعنترة بن شداد لانهم كانوا قد املوا بسرعة العودة الى ديارهم والبلاد فعارضهم شيء ما كان لهم في حساب فاقاموا بذلك الوادي خمسة ايام وهم في هموم واوهام فقال عنترة للملك هرقل يا مولاي لابد ان يكون لهذا الماء مدخل ومخرج فاريد ان اركب غداً واقصد راس هذا الماء وابصر من اين يطلع والى ابن ينتهي فقال هرقل ليس من الصواب ان تفارق الاصحاب ولكن ننفذ خمسة انفار الى ناحية مجرى الماء مع اخيك شيبوب وخمسة الى ناحية منبعه مع ولده الخذروف ونامرهم ان يجدوا في المسير ويحققوا لنا خبر هذا الماء وحينئذٍ تظهر لنا صحة الاخبار ونعمل ما نحب ونختار فقال له عنترة افعل ما بدا لك حتى نتبع افعالك

قال الراوي ولما انفصل الحال قال شيبوب انا اسير مع احد الرجال وولدي الخذروف مع جماعة من الابطال فنعرف منبعه ومجراه واخره ومنتهاه ونتعرف الاحوال ونعود بلا مطال فاجابه عنترة الى ذلك المقال وقد رآه عين الصواب وما زالوا يتشاورون في المقال حتى طلع الفجر واستنار فدعا الملك هرقل عشرة ابطال من البطارقة الشداد وامر خمسة منهم بالمسير مع شيبوب وخمسة مع الخذروف ليكشفوا خبر هذا الماء الخرار ولا يعودون الا بحقيقة الاخبار فمضى كل فريق منهم في ناحية فاقام عنترة في انتظارهم خمسة ايام ولم يعودوا اليه

فضاق لذلك صدره وحار امره وخاف على اخيه وولده من صروف القضاء والقدر وجرى كذلك لهرقل ابن الملك قيصر فبينما هما كذلك واذا بشيبوب يعدو بين تلك الآكام كأنه ذكر النعام وفي اقل من لمح البصر صار بين يدي اخيه عنتر ففرح به عنتر واستبشر وقال له هات ما معك ياشيبوب من الخبر

قال الراوي فبينما عنترة يسال شيبوب واذا بغبار الخذروف قد ارتفع وهو تحته مثل البرق اذا لمع وما زال سائرًا حتى صار قدام عمه عنتر فسلم عليه وسمع لابن الملك قيصر هذا وشيبوب يقول له اعلم يامولاي انني سرت مع اصحابك خمسة ايام حتى وصلنا الى اول هذا الماء واذا به يخرج من سفح جبل لاحق بعنان السماء وهو انعم من المسن لا يعلو عليه النمل ولا يدركه ناظر ولا يلحق به الطير الطائر فعندها تركت اصحابي ورجعت على الاثر وهذا جملة ما عندي من الخبر فقال له الملك هرقل ومتى تصل اصحابك الى هذا المقام فقال يامولاي بعد خمسة ايام فقال ومتى فارقتهم قال البارح نصف الليل فتبسم هرقل من كلامه وتعجب من سرعة جريه على اقدامه ثم قال للخذروف وانت متى فارقت اصحابك يافارس الخيل فقال نصف الليل فقال ومتى يصلون قال بعد خمسة ايام قال وما رايت من امر هذا الماء فقال رايته ينزل في البحر ولما نظرت ذلك تركت رفاقي وعدت اليك فقال عنترة وكيف تقول انهم لا يصلون الا بعد خمسة ايام وانت فارقتهم نصف الليل فقال اي والله لا يصلون قبل هذه المدة ولو ركبوا ظهر الغمام فاشتغل سر عنترة بهذا الخبر وخشي ان يطول عليه المقام والمستقر

قال الراوي ولم يزالوا مقيمين مدة ثلاثة ايام وقد كثرت عليهم الاوهام واخذوا يحضرون اهل الرساتيق والقرى ويسالونهم عن خبر الماء فلا ينبئهم احد بنبإ ولما كان في بعض الايام اقبلت بطارقة الروم ومعهم ثلثة رهبان اتوا بهم من بعض ذلك المكان واحضروهم امام عنتر وهرقل بن قيصر فسالاهم عن الماء وان يخبروهما بصدق النبا فقالوا هذا ما عرف به احد من الجماعة ولا رايناه الا في هذه الساعة وما ظهر الا بعد قتل الملك صافات ملك جزيرة الواحات فلما سمع هرقل هذا الخبر ضاق صدره وتحير والتفت الى عنترة وقال له كيف التدبير في هذا الامر العسير فقال عنترة ما في الامر الا ان نعود على الاثار ونطلب ارضنا والديار فقال له الملك هرقل كيف نمضي بعد هذا التعب ونرجع دون ان نملك الجزيرة فقد وقعنا والله في حيرة فاذا رجعنا عنها تخرج من بعدنا العساكر والاجناد وينهبون القرى والبلاد ويقتلون من بقي من العباد وربما قتلوا كوبرت ويبلغون من قتله المراد

ويأخذون منا ثار من قتل لهم في هذه الديار فيضيع تعبنا في هذه البلدان ونكون قد اسأنا بعد الاحسان قال فبينما هم على مثل ذلك الكلام واذا باحد الرهبان وكان اكثرهم سنين واعوامًا اذ مضي عليهِ مائتان وستون عامًا تقدم الى الملك هرقل وعنترة واشار بالسلام وقال لهما ان اردتما معرفة هذا الوادي وهذا الماء فاحضرا راهب دير الصنم وقلعة ذات العلم فانهُ راهب هذه الاقطار واقدم من في هذه الديار فقال لهُ الملك هرقل ولماذا سمي هذا الدير بدير الصنم والنصارى لا يعبدون الاصنام وهو في دينهم حرام قال الراهب يامولاي لا صنم في الدير انما ذلك الصنم في قلعة ذات العلم الواقعة وراء الدير وكان من قديم الزمان يأتيه الزوار من كل مكان فهذا هو السبب في تسميتهِ بدير الصنم فلما سمع الملك هرقل ذلك امره بالمسير مع الرهبان الى الدير المذكور وان يحضروا راهب الدير امامهُ ليسالهُ عن تلك الامور فقال الراهب ان الراهب لا يفتح لنا الباب ولا يرد على احد جواب لانهُ منقطع عن البشر ولا يقدر ان يقف لهُ احد على خبر فقال هرقل لعنترة كيف التدبير في هذا الامر العسير فقال لهُ شيبوب الراي يامولاي ان تنفذوا اليهِ خمسمائة فارس يحيطون بالدير من كل جانب ويامرون الراهب بالحضور فان اجاب نلنا المراد والا يخربوا الدير ويجروا الراهب رغم انفهِ اليك فقال عنترة وحق علام الغيوب لقد اصبت ياشيبوب

قال الراوي فانفذ الملك هرقل خمسمائة فارس من الشجعان مع ذلك الراهب بلا توان وامرهم ان يسيروا الى دير الصنم و يأتوه براهبهِ مكرم وان ابي يخربوا الدير عليهِ ويقودوه ذليلاً الى بين يديه فركبوا في الحال وساروا طالبين دير الصنم وقلعة ذات العلم ولما وصلوا وقفوا على الباب فتقدم ذلك الراهب وطرق الباب طرقًا عنيفًا فطلع راهب الدير من قلايتهِ فراى الراهب والخيل في صحبتهِ فقال ماذا تريدون فقال الراهب ياابانا قد نزل علينا ملك من ملوك النصرانية يقال لهُ هرقل ابن الملك قيصر صاحب القسطنطينية وقد ارسلنا اليك وهو يامرك ان تسير اليهِ حتى يسالك عن امر هذه الديار وان ابيت ذلك هدم هولاء الفرسان الدير ونزلت بك المهالك بعد ان تصفع وتلطم فالراي ان تبادر الى خدمة هذا الملك المكرم والا فانت بشانك اعلم

فقال راهب الدير مالي سبيل الى المسير ولو لقيت التدمير . قال فلما سمعت الفرسان كلامهُ العنيد طلبوا باب الدير وارادوا هدمهُ بلتوت الحديد فلما رأى الراهب هذه الاسباب نادى ياقوم توقفوا عن كسر الباب فتوقف القوم ونزل الراهب وعلم ان لا بد لهُ من الخروج والا هدموا الدير والبروج فاتى الباب وقال ياقوم عزمت على المسير الى خدمة الملك الخطير

ثم فتح الباب وخرج اليهم وركب معهم وساروا به على الاثر حتى اوصلوه قدام الملك هرقل وعنتر فسلم الراهب وخدم وقال ما حاجتك ايها الملك المحترم فقال لهُ اريد ان تخبرني عن الماء الذي في هذا الوادي هل هو فيه من قديم الزمان او محدث في هذا المكان فقال ما غرضك في هذا الشان قال مرادي ان اعمر بهذه العساكر وافتح جزيرة الواحات فقال ايها الملك الجليل ما لك الى ذلك من سبيل وقد سمعت من الثقات انها لا تفتح الا بعد قتل الملك صافات و بهذا اخبرت الكهان من قديم الزمان فلا تتعب في ما لا تصل اليهِ ولا تقدر عليهِ بل اعرض عن هذه الفعال وارح نفسك من هذه الاعمال فالتفت هرقل الى عنتر وقال لهُ ماذا تقول في هذا الامر المعسر فالتفت عنترة الى الراهب وصاح فيهِ ويلك يا محتال يا ابن الانذال وحق الركن والحجر والبيت العتيق المطهر ان اخفيت عني جواب ما اسالك عنهُ ضربت رقبتك بهذا الحسام وسقيتك كاس الحمام قال فلما سمع الراهب هذا الكلام التجم من الفزع بلجام ثم انهُ اطلق لسانهُ وقوى جنانهُ وقال لعنترة قد صح الخبر وبان الامر واشتهر فاريد يا فارس الزمان بحق ما اقسمت بهِ من الايمان ان تخبرني عن سبب مجيئك الى هذه الديار وما هي بلادك والامصار فقال لهُ عنترة انا فارس الحجاز وسكني القفر والمفاز وقد اتيت خدمة للملك قيصر فعجل في الكلام قبل ان تموت وتقبر فقال الراهب امهلني ريثما اعود الى الدير لامر على بالي قد خطر واعود فاكشف لك الخبر فاجابهُ عنترة الى ذلك وارسل معهُ اخاه شيبوبا وصحبتهُ عشرة فوارس ولما وصلوا الدير تقدم الراهب وفتح الباب واخذ حاجتهُ وعاد معهم بلا ارتياب ودخل على عنترة وهرقل وجلس واخرج من كمهِ قطعة ثوب من الاطلس الابيض وفكها واخرج منها كتابا مجلدا وفتحهُ ونظر فيهِ . ثم اخذ يتفرس بعنتر ويحدق بشيبوب والحذروف النظر وقد اطال الفكر وكانت الحجاب وقوفا تنظر اليهِ وتبصر فقال عنترة يا فارس الزمان بحق الواحد المنان هل ظهر في هذا الزمان بارض مكة المولود الذي اسمهُ محمد الذي يامر الناس بالاسلام ويرمي عن الكعبة الاصنام وهل وقعت وقعتهُ بذي قار وانتصرت العرب على العجم عباد النار فقال عنترة والله يا راهب الخير اما ظهور هذا الرجل الذي تشير اليهِ بالاثار فالى الان ما سمعنا لهُ اخبار ولكن سمعنا بظهوره من الرهبان والاحبار وسالنا ربنا ان يمد لنا في الاعمار لندرك اشراق الانوار ونقاتل بين يديهِ الكفار ونكون من الصادقين الاخيار واما وقعة الفرس بذي قار فقد مضى عليها الزمان وتفرقت العجم في كل سهل وجبل بعد ان قتل منهم كل فارس و بطل فقال الراهب اتدري باي اسم نادت العرب فقال نعم كان نداؤهم يا لمحمد قال الراهب قد سمعنا ان كسرى قد انشق على راسهِ

الايوان فقال عنترة صدق من اخبرك وحق الحنان المنان فقال وهل ظهر في عرب ارض الحجاز وتلك البلاد فارس يسمى عنترة بن شداد قال نعم وانا ذلك الفارس الجواد وحية بطن الواد فقال له الراهب وحق الاله المنزه عن الصفات لا يكون فتح جزيرة الواحات الا على يديك بعد قتلة الملك صافات وعلى يديك تكون منيته وانت تملك ارضه وبلاده وتهلك عساكره واجناده وانا اريد ان اوضح لك اموراً مخفية باذن رب البرية فقال له عنترة قل واوضح لنا هذه الامور الغريبة فقال الراهب اعلم يا ابا الفوارس انه كان في هذه الديار ملك من الملوك الكبار وكان من كهان الزمان اسمه برق السرقي قد عرف من ياتي بعده الى بلاده فبنى تلك القلعة وصنع فيها علماً وسماها قلعة ذات العلم ونحت اسداً من الرخام وجعله على عامود من الرخام ايضاً وصنع صنماً من الذهب الاحمر عيناه من الياقوت الاصفر فاذا وقع هذا الاسد والصنم بطل الرصد وانعدم فارسل من له قوة على اقتلاع العمود فاذا وقع الاسد يغور الماء وينقطع اثره بعد ثلاثة ايام ويظهر لك الطريق ويتمهد فهذا ما عندي من الخبر اخبرتك به وحق من اخرج الماء من الصخرة ثم ان الراهب رفع راسه الى السماء وقال اللهمّ يا رب الارض والسماء ويا من علم آدم الاسماء ووضع الارض على تيار الماء ورفع السماء بحق ابراهيم وموسى يا من وضع الجبال وارساها واحصى الخلائق جمعاً واخرج من ظلمة الاحشاء نسمة تسعى بحق المولود بين زمزم والصفا وهو نبيك ورسولك محمد المصطفى اقبضني في هذه الساعة على دينه بغير رياء ولا خفاء يا قادر على جميع الاشياء ثم التفت الى الحاضرين وقال اشهدوا عليَّ انني على ملته مصدق برسالته ثم انه حول وجهه الى القبلة وفي عاجل الحال قضى نحبه ولحق بربه

قال الراوي فاقشعرت الجلود من اقسامه لما شرب كاس حمامه فامر عنترة بغسله فغسلوه وكفنوه ودفنوه اما عنترة فطالت حسرته وطلب من الله ان يطيل عمره ليرى وجه النبي ويموت على ملته وقال اللهمّ ان انقضى اجلي قبل اجتماعي بالنبي الامين فاقبضني على ملته واحشرني بين اهل محبته اللهمّ يا رب العالمين

قال الراوي ان الذي حدثني عن هذا الراهب هو ممن اثق به وبروايته ومن جملة المعمرين من بني عبس وقد حلف لي وكرر الاقسام انه سمع من فم عنترة هذا الكلام وقد اقتصرت في القول ما استطعت خوفاً من ان لا تقبله عقول السامعين قال اما عنترة فانفذ اخاه شيبوباً وجماعة من الرجال والفرسان الابطال وكانت تلك القلعة خراباً من زمن الاسكندر والخضر ابي العباس وكان سكانها اقواماً من الجان فقوي عليهم الاسكندر وخرب

القلعة والاركان والذي سلم منهم بقي مقيماً في ذلك المكان قال فطلع شيبوب وجماعته البرج ونظروا الاسد الذي على العمود والصنم فرموا الصنم والعمود رمياً شديداً فانفتح فيهِ سرداب كبير فدخل فيــهِ ذلك الماء وغار كانهُ البحر الزخار وبعد ثلاثة ايام نضبت تلك المياه ولم يبقَ منها قطرة واحدة ففرحوا بنيل المنى وزوال الهم والعنا ثم امر الملك هرقل والامير عنترة بنقل جميع ما كان في القلعة من الاموال والستور واخذوا الصنم المذكور ولما بان الطريق دخلت العساكر مثل البحار الزواخر طالبين جزيرة الواحات وقد زادت بهم الافراح والمسرات

قال الراوي وكان لحدوث الماء في ذلك الوادي سبب عجيب وامر غريب وهو انهُ لما قتل عنترة الملك صافات وولت عساكره الادبار كان لهُ ابن عم يقال لهُ ميخايل بن سامات وكان عظيماً بين الابطال خبيرًا بالمكر والاحتيال اعتمد الافرنج كلهم عليهِ ومالوا اليهِ وكان عارفًا بطلسم الماء فطيب قلوبهم ووعدهم ان يبعد العدى عنهم وانهُ لا يمكنهم من القدوم الى تلك الاطلال وان يردهم بلا حرب ولا قتال ففرحوا بهذه الاحوال وحلفوا لهُ انهُ يكون الحاكم عليهم ولما وصلوا الى ذلك الوادي وعبروا الى الجزيرة سار ميخائيل بنفسهِ الى الجبال فرأى فارسًا راكبًا على فرس منحوت من حجر فاقتلعهُ ورماه على وجه الارض فخرج الماء من سفح الجبل وتلاطمت امواجهُ وثار عجاجهُ وهذا الطلسم كان قد صنعهُ حكماء اليونان واحرزوا بهِ ذلك المكان فاندرس ملوك ذلك الزمان وبقي هو حتى آن الاوان وتغير الحدثان وسكن الوادي قوم من الجان وقطعت الطريق على الوراد والسكان فلما مرَّ بهم الخضر والاسكندر طلبهم الخضر ونهاهم فلم ينتهوا فاهلكهم باسم الله الاعظم وخرب القلعة وبقي منهم جماعة على دين الاسكندر وهم فيها مقيمون . ولنعد الى سياق الحديث قال وسار جيش الروم مع هرقل بن قيصر وفي المقدمة الامير عنتر وامامهُ اخوه شيبوب وولده الخذروف وتذكر عنترة الاوطان والاهل والخلان وما لقي من حوادث الزمان ففاضت دموعهُ كالغدران ثم انهم لم يزالوا سائرين حتى اشرفوا على جزيرة الواحات فوجدوها حالة عظيمة ترتج بسكانها ونظروا خيامًا ومضارب وسرادقات ومراتب وخيلاً مسرجة وجنايب مجنوبة واهلها تحت السلاح وقد علا منهم الصياح وكان السبب في ذلك هو ان ميخائيل بعد ان حكموه في البلد مكان ابن عمهِ الملك صافات وخلف لهُ كل من فيها من الامراء والسادات وصلت اليهِ الاخبار ان عساكر الروم قد كسرت الطلسم وغار الماء وهم واصلون اليهِ في جيش عرمرم فلما سمع بذلك امر كل من عنده بالخروج الى ظاهر المدينة

بالسلاح والزرد والجواشن والعدد فخرجوا في عالم لا يحصي له عدد ولا يعرف له مدد يزيدون عن ماية الف فارس مثل الاسود العوابس واقبلت عساكر الملك قيصر وفي مقدمتهم الامير عنتر فضاقت بهم تلك الارض وملانها الفرسان طولاً وعرض وانتشب بينهم القتال واشتد الحرب والنزال واظهر عنترة في ذلك اليوم الاهوال ومدد الرجال على الرمال وجندل الابطال في حومة المجال فاهتزت الجبال من شدة القتال فلله دره من ليث ادرع قاتل قتالاً لا يدفع ونثر الرجال عن ظهور الخيل واوقع بالافرنج الويل وبينما هو يجندل الابطال اذ وقع بميخائيل في وسط المجال وهو يفتك بالرجال ويسلب مهج الابطال فصدمه عنترة صدمة الاسد الزيبال وسطا عليه واستطال وطعنه بالرمح في صدره اطلعه يلمع من غفارة ظهره فانقلب عن جواده يختبط في دمه ويضطرب في عندمه فلما عاينت الافرنج ميخائيل وقد سقي كاس العطب الوت روؤس خيلها وطلبت الهرب فساقت الروم خلفها في الطلب ودخل الافرنج البلد وقد حل بهم البلا والنكد واغلقوا جميع الابواب وصعدوا فوق الاسوار ورموا بالنبال والاحجار فتقهقرت الروم الى وراء الجدار واقاموا على الحصار مدة ثلاثين نهار وعنترة يقول لقد طال علينا المطال واشتقنا الى العيال فقال شيبوب يا ابن الام اصبر حتى نفتح هذه الجزيرة وتتيسر هذه الامور العسيرة فقال له عنتر ويلك يا ابا رياح ولاي شيء جئنا وقطعنا هذه الجبال ولقينا هذه الاهوال الغير لهذه الاحوال ولكن يا اخي هذا البلد حصين وفيه العساكر بعدد الجراد فلا اظن اننا نبلغ منهم المراد الا بالصبر وحلول الميعاد فقال شيبوب وحق من رفع الخضراء بغير عماد ان قبلتم مشورتي بلغتم منهم المراد وفتحتم الجزيرة بغير عناد فقال عنترة وكيف نخالف مشورتك وفيها عين الصلاح فقل ما بدا لك يا ابا رياح فوحق خالق الانام ما فينا من يخالف لك كلام فقال يا ابن الام من الراي ان تامر هذه العساكر ان تقطع هذه الاشجار وتخرب هذه الرسوم والاثار وعند ذلك يتيسر لنا ما نختار فقال عنترة واذا فعلنا ذلك ماذا نربح وماذا يصل لاعدائنا من الاضرار فقال شيبوب اعلم ان اهل الجزيرة اذا نظروا قطع اشجارهم وخراب ديارهم لا يهون عليهم هذا الشان وربما طلبوا منكم الامان وفتحوا ابواب البلد بلا توان وبهذا الحال تبلغون منهم الامال فمن الراي ان تبادروهم بالخطاب وتعرفوهم الاسباب فان اجابوكم الى ما تريدون بلغنا المنى وزال العنا والا فبادروا الى قطع الاشجار وخراب الديار فاستصوب عنترة ذلك الكلام وامر بعض الاسارى ان ينادي اهل البلد ويخبرهم بما اتفقوا عليه وما تجدد ثم امر العساكر ان تزحف على البساتين والاسوار فزحفوا اليها مثل شعل النار وطلبوا الحيطان

وفي ايديهم المعاول فظن اهل البلد انهم طالبون القتال على انهم لما رواهم طالبين البساتين والاشجار التهبت قلوبهم بالنار لاسيما لما سمعوا المنادي ينادي بلغة الافرنج يا اهل المدينة قد امر الملك هرقل ملك البلاد الامير عنترة بن شداد بان تسلموا البلد ولكم على اموالكم وعيالكم الامان وان ابيتم نقطع اشجاركم ونخرب دياركم بعد ان تذوقوا وبال الحصار ليلاً ونهاراً لان الملك هرقل قد اقسم انه لا يرحل عنكم حتى يرمي حجار سوركم ويقتل رجالكم ويسبي نساءكم وعيالكم وكذا ابو الفوارس عنتر اقسم بانه يمحقكم بالسيف الابتر ولا يترك منكم بشر فنحن انذرناكم وقد اعذر من انذر وانصف من حذر

قال الراوي فلما سمع اهل البلد هذا الندا ايقنوا بالضرر والاذى لاسيما لما نظروا الروم قد حصنوا الاسوار وصياحهم اقلب الاقطار فنادوا عن فرد لسان الامان الامان ونادوا باسم الملك قيصر وعند ذلك دقت الكوسات ونعرت البوقات وتبادر الافرنج الى الابواب ففتحوها وخرجوا يطلبون من هرقل وعنترة الامان وفرح الملك هرقل بن قيصر وفرح عنترة واستبشر وفي دون ساعة فتحت ابواب البلد وخرجت القسوس والرهبان والبطرك الكبير والمطران لياخذوا على الملك هرقل العهود ولم يزالوا سائرين حتى دخلوا على الملك هرقل وقبلوا الارض بين يديه ودعا البطرك لهرقل ووالده قيصر بطول العمر والبقاء وتيسر الامر واخذوا عليه وعلى عنترة وكوبرث العهود وكان شيبوب والخذروف على الكل شهود وبعد ذلك دقت الكوسات وخفقت البنود والرايات وكثرت الافراح والمسرات في جزائر الواحات وركب الملك هرقل وعقدت فوق راسه البنود وعنترة الى جانبه كانه اسد من الاسود ودخلوا البلد في يوم مشهود وكان بين يدي عنترة اخوه شيبوب وولده وفي ايديهما السيوف والناس كلهم وقوف ينظرون الى الامير عنتر وهو فرحان لما ان الامر هان عليه وتيسر ودخلوا قصر الملك صافات فجلس هرقل على سرير الملك الذي انقضى ملكه ودولته وادركته منيته والى المقابر ارتحل فسبحان مغير الدول

قال الراوي وقد صنعت لهم الولائم والدعوات وطابت لهم الاوقات مدة عشرة ايام وبعد ذلك استحضروا الرجال وفتحوا خزائن الاموال فحارت منهم النواظر وكنا ذكرنا ان الملك صافات كان له اربعة قصور مفروشة بالحرير وفي كل قصر ايوان وتاج وحلة وسرير فاستولى ابن قيصر على الجميع وسار الى القصر الكبير فابصر فيه تاجاً ثميناً وراى منطقة من الجوهر وحلة مرصعة بالدرر معلق فيها خنجر وكانت هذه جميعها للملك الاسكندر وكان فرش ذلك القصر مما وفرت اثمانه وحسنت الوانه وقد نصب فيه سرير من العرعر قوائمه

من الذهب الاحمر والزبرجد الاخضر وما لبثوا حتي صنعت لهم اهل الجزيرة الولائم فاكلوا وشربوا ولذوا وطربوا وبعد ان رفع الطعام قدمت انية المدام واخذوا في الالتذاذ والطرب ورأوا في بناية ذلك القصر العجب فلاحت من عنترة التفاتة فرأى بابًا بمصراعين من الحديد الصيني ذا اربعة اقفال فقال ما هذا الباب وما داخلة فقالوا يا ابا الفوارس ان هذا من عهد ابائنا واجدادنا ولا نعهده الا مقفلاً ومفاتيح الاقفال معلقة فيه كما ترى ولا نقدر نحن ولا غيرنا على فتحه ولا يعرف احد ما داخلة فامر عنترة ان يفتحوه فلم يبق احد الا تقدم وكان كل من يمد يده ويمس المفاتيح يشعر بثقل فيها حتى يظنها كجبل لا يتزعزع وتاخذه الرعدة فيعود دون ان ينال المقصود ثم اتى هرقل بن قيصر وكوبرت والخذروف وشيبوب ولم يقدروا على اتمام المرغوب

قال الراوي فعند ذلك نادي شيبوب باخيه عنتر ويلك يا ابن الام ادركنا ومن هذه الشدائد خلصنا فتقدم لياخذ المفاتيح فرأتها الناس كانها ارتفعت اليه وسلمته نفسها دون ان يمسكها فتعجبوا غاية العجب وفرح بذلك عنترة غاية الفرح واتسع صدره وانشرح وتقدم الى الاقفال ففتحت باذن الكريم المتعال فاحدق نظره في ذلك البيت فرأى جوادًا ادهم كانه الليل الاعتم مربوطًا في سلسلة من الحديد وفي يديه ورجليه اربعة قيود وعلى القيود اسماء مكتوبة وطلاسم مرقومة وللجواد عينان كانهما مشعلان وقدامه مذود بلور ملآن من السمسم المقشور فقال عنترة ويلك ياشيبوب ان هذا جواد من الخيول البحرية وانا اريد ان اركبه فانه يصلح للحروب واترك الابجر يستريح من هذه الكروب فانه كبر في السن وتعب مما لاقى من الاخطار فلما اتم عنترة هذا الكلام قال له الجواد يا ابا الفوارس انا جواد لست اصلح للركوب في الميدان ولكني ملك من ملوك الجان يقال لي سلهب بن غيهب وقد اسرني الاستاذ الصالح الخضر ابو العباس في يوم وقعتنا مع الاسكندر ذي القرنين وكان قد التقاني عند قلعة ذات العلم بعد ان جرى لنا معه شيء يحير النظر واشرفنا على شرب كاس البوار فاتاني الخضر وقال لي ابق مسجونًا في هذا المكان حتى يظهر عنترة بن شداد فارس بني عبس وعدنان ويفتح هذه الجزيرة ويجلس على هذا السرير فيفتح هذه الاقفال ويحل عنك القيود والاغلال ويسيرك الى اهلك والاطلال وقد تم هذا بعناية باري الوجود الملك الاله المعبود وكل هذه المدة اقاسي الضر والالام واعلم انه لايقدر على فك اسري سواك يا بطل العراك فاطلقني ياابن السادة الكرام فما انا ممن يضيع معه الصنيع ولا تقدر ان تستغني عني في هذه الايام فقال له عنتر وقد تعجب وتحير وحق من سير الافلاك ان

كنت من الجان فانت من اكبر اعدائي ولا بد لي ان اعذبك عذابًا ما ذاقهُ احد سواك
ولا زيدنك بلاء فوق بلاك فقال الجني ماذا فعلت معك يا ابن شداد وباي شيء
اساءت اليك حتى تطلب لي الهلاك وانا في هذا الاسر من زمن الاسكندر ذي القرنين ولم
يسبق مني اليك اذى ولا قتلت امك ولا اباك وانا منتظر قدومك لاجل خلاصي فقال
عنترة انكم قتلتم ولدي الغضبان الفارس الفتاك فقال سلهب حاشاك من التعدي ايها البطل
العظيم وحاشا شمائلك ان تاخذ البريء بالسقيم اعلم ان الذين قتلوا ولدك الغضبان هم جن
وادي صارخ وهم اكبر اعدائنا الذين اريد اهلاكهم عن اخرهم وانا احلف لك بالواحد
المنان خالق الانس والجان اذا اطلقتني من اسري واخرجتني من هذا المكان اعينك
على اخذ ثار ولدك واقتل قاتلهُ فيشتفي قلبك وكبدك فعند ذلك رق لهُ عنترة واخذ
عليهِ العهود والمواثيق فقال لهُ يا اخا الجان كيف السبيل الى فتح هذه القيود واخراجك من
هذا المكان فقال سلهب يا حامية عبس ان المفاتيح تحت هذا المذود الذي قدامي فنظر
عنترة الى المكان الذي اشار اليهِ فراى بلاطة وفيها حلقة فرفعها فبانت المفاتيح تحتها ففتح القيود
وقال لسلهب سر في حال سبيلك واذكرني بهذا الصنيع فقال الجواد لعنترة اريد قبل كل
شيء ان اهتم لك في اخذ ثار ولدك الغضبان وان افي لك بالضمان والوعد بيني وبينك على
راس قلعة العمود المعروفة بذات العلم فقال لهُ عنترة لا باس سر في دعة الله وانا الحقك الى
هناك فقال سلهب لا تبطىء يا بطل العراك ثم ان الجني صفق بجناحيهِ وطار فانذهل عنترة
ومن معهُ من هذا الامر واخذهم الانبهار هذا ما كان من الملك سلهب بن غيهب واما ما
كان من عنترة الفرسان فانهُ اقام في جزيرة الواحات بمن معهُ من الرجال والسادات عشرين
يومًا وبعد ذلك حملوا الخزائن والاموال ونقلوها الى مضاربهم وعولوا على الرحيل فنزل
الملك كوبرت الى مدينة الكافور وقلعة البلور واستخلفوا من قبلهم حاكمًا في مدينة الواحات
وحلفوه على طاعة كوبرت وان يكون تحت امره فاجاب بالسمع والطاعة ثم رفعوا الاحمال
على ظهور البغال ورفعت على راس الملك هرقل البيارق وخفقت البنود والسناجق وساروا
من بكرة النهار حتى ادركهم المساء وكان قد قرب الميعاد الذي وعد العفريت بهِ عنترة
فباتوا قصد الراحة وعند الصباح دقت كوسات الرحيل وسار الملك هرقل وعنترة وهو
افرح الناس بالعودة الى بلاده والاجتماع باهلهِ واولاده وفي الغد نزلوا على الوادي المقدم
ذكره فما استقرَّ بهم النزول الا وملك الجن سلهب قدم على عنترة وحياه وسلم وكان قد اتى
عنترة ليفي بما وعده فلما نظر اليهِ عنترة عرفهُ فقال لهُ يا ابا الفوارس المراد من انعامك ان

تنقل الى خيامنا اقدامك فان الشرط الذي بيننا انى وقت اتمامه فاريد المسير انا وبنو عمي الى اعدائك فاجابه عنترة الى ذلك ودخل على الملك هرقل واعلمه بما عزم عليه وعول واوصاه بان لا يرحل بالقوم من ذلك المنزل حتى يعود اليهم بالغا الامل فاجاب بالسمع والطاعة ثم سار عنترة وبين يديه شيبوب وولده والملك سلهب وبينما هم سائرون سال عنترة الملك سلهب قائلاً اريد ان تخبرني أهذه الصورة هي صورتكم دائما فقال لا يا ابا الفوارس بل في اية صورة اردتها اتيك بها فاتبعني وسار سلهب امامه وعنترة وشيبوب والخذروف يتبعونه حتى وصلوا تحت الجبل الذي بالقرب من دير الصنم فسمعوا اصواتا وضجات ولغات مختلفة ولم يروا احداً فقال عنترة ياسلهب أأنتم هنا نازلون وفي هذا الوادي مقيمون فقال نعم يا ابا الفوارس وهذه الزوايا ملآى من بني عمي وعشيرتي ونحن عالم عظيم ولنا بين اعدائك وقائع وحروب من قديم وقاتل ولدك منهم واسمه طارق بن سنان وهو خال سهم النزال ام طود الاطواد الذي قتلها ولدك الغضبان واليوم عزمنا على قتالهم وحربهم ونزالهم واخذ ثار ولدك وكان هولاء من قبيلة شمهروس قاضي الجن فلم يتم كلامه الا وزعقة وقعت وضجة ارتفعت فسال عنترة عن الخبر فقال سلهب يا ابا الفوارس هولاء اعداك قد اتوا طالبين منا القتال والعراك فقم واركب جوادك وانظر العجب والاهوال فركب عنترة وشيبوب والخذروف في ركابه

قال الراوي وبينما هم كذلك واذا بالجن تركض وترهج في البطاح طالبة الحرب والكفاح قال عنترة فسرنا بعد ان ركبت جوادي الابجر وشيبوب والخذروف معي فسمعنا اصواتا عالية وصرخات متتابعة فخيل لنا ان الارض تزلزلت ولكننا لم نرَ من يقوم بتلك الحركات فقال عنترة ياسلهب وحق ذمـــة العرب كاننا بينكم ماسورون فقال سلهب ما هذا الكلام يا ابن شداد فوحق رب العباد ان اعداءك هم الذين سيكونون في الاسر والاصفاد فقال عنترة وحق ذمة العرب انا صادق فيما اقول لاننا لا نبصر باعيننا منكم ولا منهم احداً غيرك فقد ضاقت صدورنا وتحيرنا في امورنا فقال سلهب يا ابا الفوارس كانك تشتهي ان تبصرنا عيانًا فقال نعم فعند ذلك اخرج سلهب مكحلة من الذهب ميلها من الفضة وكحل بها عنترة وشيبوبا والخذروف فراوا جيوشًا مختلفة الاجناس وجموعًا وفيرة ولكنها ليست من الناس بل كلهم من طوائف الجان منهم ابدان بلا رؤوس ومنهم رؤوس بلا ابدان وبعضهم على صور الطيور والعض كالجمال والخيل والبغال والحيات واجناس كثيرة مختلفة الهيئات ونظر عنترة الى ملك الجن سلهب فراه على غير صفاته الاولى فانه كان قد تحول

الى صورة بني ادم وهو معمم ملثم وراكب جواداً ادهم ومتقلد بسيف مخذم ومعتقل برمح لهذم واخذ يكر على الابطال ويسقيهم كؤوس الوبال ففرح عنترة وتبسم وسار قليلاً واذا برجال طلعت وابطال من الجن اقبلت فجرى بينهم قتال أكيد يشيب لهوله الطفل الوليد ودام القتال وعظمت الاهوال ولما راهم عنترة في ميدان القتال اخذه من ذلك الاندهال اذ كان احدهم يرمي على رفيقهِ شرر النار فيصيره رماداً في الحال ولم يكن اكثر من ثلاث ساعات حتى انكسرت اعداء عنترة فعاد الملك سلهب ومعه خمسة رجال كالاطواد مكبلين بالاصفاد وقال لعنترة ياابا الفوارس هولاء اعداك فبرد بقتلهم نار كبدك واحشاك فهولاء الذين قتلوا ولدك الغضبان واحرقوا قلبك بالنيران

قال الراوي فلما سمع عنترة ذلك المقال لم يعد يعرف يمينهُ من الشمال وقال يااخي اشتهي ان اقتلهم بيدي حتى تنطفي نار كبدي فقال لهُ سلهب اعلم يافارس عدنان ان سيوفكم لا تقطع في الجان ولكن سيوفهم عليها اسماء وارصاد تعمل في الانس والجن فقال لهُ عنترة اعطني سيفك حتى اخذ بثاري واكشف عني عاري فناولهُ سلهب حسامهُ فاخذه منهُ وهجم عليهم وضرب بهِ رقابهم وبعد ذلك انطفات ناره وقر قراره وتذكر ولدهِ الغضبان فانشد ودموعه تسح كالغدران

دار لعبلة فوق المنصب العالي   وسعدها صاعدٌ للمشتري العالي
سقى دیارك غيثًا دائمًا غدقًا   يهي بمنسجمٍ الاسعاد هطال
ياعبل اني همامٌ فارسٌ شرسٌ   ونجم سعدي من فوق السهى عال
ياعبل قد شاب راسي في الحروب وكم   لقيت من نائبات بعد اهوال
والشيب في مفرقي ياعبل ينذرني   وهو الرسول يخبرني بترحال
ياعبل ما هد ركني في الزمان ولا   اضنى فوادي سوى فقدي لاشبالي
ياعبل فقد غصوب زادني حرقًا   شوقي الى فارس تحت الثرى بال
ومصرع الفارس الغضبان اورثني   جوى وقد زاد احزاني وبلبالي
جارت عليهِ الليالي والزمان معًا   والدهر دومًا بادبار واقبال
تعلوه اسياف قوم لاشبيه لهم   قد صوروا من حميمٍ ثم صلصال
جباههم لجزوع النخل تشبهها   بروّعون لاساد واشبالٍ
ثاروا علينا كما نار موّججة   يطير منها شرار للسهى عال
وصار اشخاصهم بالنار ترشقنا   حتى تفانى بنو سمي واخوالي

تبكي عليهم سيوف الهند مطلعة　تحت العجاج ويرثي كل عسال
مانمت حتى اخذت الثار مقتدرًا　بحد سيف صقيل المتن فصال
انا الشجاع الذي ما رمت منزلة　الا وادركها سعدي واقبالي

قال الراوي وكان عنترة ينشد هذه الابيات وسلهب منذهل من فصاحته وقوة جنانه فشكر عنترة واثنى عليه وقبله بين عينيه ثم طلب عنترة منه الاذن في المسير الى العسكر فاذن له وقال يافارس عدنان لو فعلنا معك مهما فعلنا لماجاز ينالك على ما اوليتنا من الاحسان ثم ودعه وسار في خدمته نصف نهار ثم ترجل وتقدم اليه وقبل في الركاب قدميه فرمى عنترة روحه عليه وقبله بين عينيه وامره بالعودة الى الاوطان وسار عنترة وهو باخذ ثاره فرحان وشيبوب والخذروف بين يديه يقطعان البر والقيعان حتى وصلوا الى العسكر ودخلوا على هرقل بن قيصر ففرح واستبشر ونهض قائمًا على الاقدام واخذ عنترة الى جانبه وسأله عما كان في غيابه فحدثه بجميع ما جرى له وكيف انه اخذ بثاره وبرد حر ناره فتعجب الملك هرقل من سعادة عنترة وفرح واخذه الطرب

الكتاب الخامس والاربعون بعد المائة

من سيرة عنترة بن شداد العبسي

ثم انهم باتوا تلك الليلة في ذلك المكان وهم فرحون بما نالوا من النصر وعلو الشان وفي الصباح امر عنترة العساكر بالرحيل فما اتموا الاهبة حتى بان لهم غبار ثم انقشع فظهرت من تحته رايات اندلسية وعساكر افرنجية ملأت الاقطار وسدت السهول والاوعار وكلهم يعبدون المسيح ويعتقدون بالواحد الجبار

قال الراوي وكان المقدم على هذه العساكر ملك يسمى عنان بن جنطايل صاحب مدينة الاندلس وقدامه القسوس والشمامسة والبطارقة والعمالقة وهم اتون قصد الحرب والقتال والعراك والنزال . وكان السبب في ذلك ان عنترة لما اسر في بلاد الشام على يد شيخ بني فزارة سنان لما كمن له في الرصيف ورتب له فيه الافرنج والروم وجماعة من بني غسان وهو على بني عبس غضبان بسبب اجارته عبد قيس قبضوا عليه وعلى من معه وكانوا اربعمائة فارس وذلك في نوبة ابي الدوح وقد ذكرنا ما جرى لهم من دخول النسوان على عنتر وخلاصهم من الضرر وكان الحارث الغساني ترك عنترة محبوسًا في الشام وسار لقتال عساكر العجم وكان مع الحارث ملك البحر سركنطين فارس الثالوث وكان هذا الفارس

ابن اخت الملك جنطايل ملك الاندلس ولما خلصت حليمة عنترة وقتلة وهزم العساكر طلب اصحابهُ البر الطويل حتى وصلوا الى الاندلس ودخلوا على جنطايل واعلموه بهذه الاخبار ونعوا اليهِ ابن اختهِ الفارس الكرار فصعب الامر عليهِ وكبر لديهِ وقام وقعد وارغى وازبد وحلف انهُ يسير بنفسهِ ليسكن قيصر برمسهِ ويقتل عنترة قاتل ابن اختهِ ويمحق شافتهُ ويبيد غابرتهُ ويملك رومية الكبرى والقسطنطينية العظمى ثم يسير بعد ذلك الى ارض الحجاز ويملكها ويخرب قلعتها وياخذ العراق وخراسان ويقتل كسرى انوشروان ويخرب بيوت النيران

قال الراوي وكان الملك جنطايل فارساً شديداً وجباراً عنيداً طويل القامة عريض الهامة وكان ابوه من نسل العمالقة يقال لهُ لطاع بن القعقاع وكان طولهُ اثني عشر ذراعاً وقد عاش ستمائة عام والى من بعده ولده لطاع وعاش ثلاثمائة عام الا ان ابنهُ جنطايل كان عمره في ذلك الزمان مايتين وسبعين عاماً وكان عظيم الخلقة هائل المنظر اصابعهُ تزيد على شبرين كبير اليدين طويل الرجلين واسع الجبهة جاحظ العينين لا تحملهُ الخيول العربية ولا النجب النجاوية لطول قامتهِ وعظم هامتهِ ولا تقلهُ الا الافيال وهو من الفرسان الاقيال لا يقاتل برمح عسال ولا بسيف فصال بل بعمود من الحديد الصيني وبالحراب والمزاريق وكان وزن عموده اربعة قناطير وتسعة امنان وكان ابوه قد تغلب على البلاد وملك المهاد وكان ملكهُ الى حد فلسطين الى فاس الى تونس للقيروان لاسكندرية لدمياط لصقلية لاسيوط للشجرتين لبلاد اخميم لبلاد النوبة الى حد بلاد السودان للبجاه لتكرور للواحات للصعيد للبهنسة لاهناس . وكل هذه البلاد كانت تحت يده طائعة لامره وتخاف من شره وتحمل اليهِ الخراج ولولا خوف الاطالة لشرحت لكم املاكه ملكاً ملكاً وجزيرة جزيرة ومدائنه وجميع بلاده وعدد عساكره واجناده ولكني اقتصر على هذه الاخبار حباً بالاختصار وبعد ان اقسم جنطايل تلك الايمان وسمع بقتل الملك الليلمان وابنهِ سرجوان وعلم ان عنترة بن شداد فارس بني عبس وعدنان ومعهُ جماعة من بني غسان وعدد من ابطال الروم مع هرقل ابن الملك قيصر قد ملكوا جزيرة الكافور وقلعة البلور واجلسوا فيها كوبرت وقد اطاعتهم سائر الجزائر التي تليها وصارت من تحت يدهم جميع ملوك الواحات وجزائرها وانهم قتلوا الملك صافات واقاموا ملكاً من قبلهم وجعلوا عليهِ الخراج والمال والعداد وان عنترة فتح لقيصر تلك الديار والجزائر لم يهن عليهِ قتل الملك صافات صاحب الواحات لان تلك البلاد كانت تحت يده وخراجها يحمل اليهِ بل صعب ذلك عليهِ وتمرمر وحلف

انهُ لا يترك من هذه العساكر احد ابيض ولا اسود وانهُ يقتل ابا الفوارس عنتر وهرقل بن قيصر وبعد ذلك يسير الى قيصر ويملك بلاده ويهلك كل فارس همام ويملك انطاكية وارض الشام وفي الحال استدعى ولده عنان وكان فارساً عظيماً في الميدان وقال لهُ اركب يا فارس الزمان في خمسين الف عنان وسر الى ذلك العبد الاسود المشؤوم واقتلهُ واقتل معهُ فوارس الروم وامحق منهم الاثر ولا تدع لهم ذكرًا يذكر ولا علمًا ينشر فقال لهُ سمعًا وطاعة وها انا سائر من هذه الساعة ثم امر عساكره باخذ الاهبة للسفر فاجتمع اليهِ سائر العسكر ففرق عليهم العدد والسلاح والخيول الملاح وركبت الفرسان وتاهبت الشجعان وامر بتقديم المراكب فتقدمت وسارت فيها الفرسان كالقطر الساكب

قال الراوي ثم ان الملك جنطايل ودع ولده وامره ان يكون من امره على حذر وقال لهُ لا ترجع حتى تقتل هرقل بن قيصر واسود بني عبس عنتر وسارت المراكب ولم يزالوا يجدون السير ليلاً ونهارًا الى ان وصلوا الى جزيرة الواحات فنزلوا من المراكب وركبوا الخيل وساروا ولاح لعنترة واصحابهِ غبارهم وظهر من تحتهِ الملك عنان ومعهُ عساكر وابطال بعدد الرمال فلما راهم الملك هرقل بن قيصر تغير لونهُ وتحير وخاف الملك كوبرت وانذعر ولولا خوف عساكر الروم من الفضيحة والعار لطلبوا الفرار وولوا الادبار

قال الراوي فلما راهم عنترة وقد تغيرت احوالهم قال لهم ما لي اراكم قد انزعجتم وما الذي رايتم حتى فزعتم فقال هرقل يا ابا الفوارس ان هذا ملك جبار لا تخمد لهُ نار وابوه من ثقل جثتهِ لا تحملهُ الا الافيال الكبار فقال عنترة يا ملك طب نفسًا وقرّ عينًا فما هم في الحرب الا كالاغنام اسوقهم بين يدي سوق البهائم في القتام فلا تفزعوا منهم ولو كانوا بعدد رمل البحار فانا وحدي افنيهم وحق العزيز الجبار بهذا السيف البتار اما انتم فلا تباشروا حربًا ولا قتالًا وانظروا كيف انثر روؤسهم على الرمال فما بينكم وبينهم الا زعقة من زعقاتي وقد تشتتوا في البر الاقفر ولا اترك الاول منهم يلحق الاخر فقالوا لهُ يا ابا الفوارس نحن ما فزعنا من هولاء الاشرار وانما فزعنا من ملكهم الغدار لانهُ فارس لا يقع على فروسيتهِ عيار وهو اسد كرار لا تحملهُ الخيول العربية والبحرية ولا يركب الا الافيال العتية ولا يقاتل بسيف مهند ولا برمح مسدد بل بعمد وهو شديد الباس صعب المراس قد ملك الاندلس الى اقصى بلاد فلسطين والجزائر البحرية والقبلية والغربية والشرقية والمصرية وهذه الارض هي تحت يده تحمل اليهِ الخراج والعداد ويخافهُ جميع من في هذه الاطلال وعساكره بعدد الرمال واما ابنهُ عنان فانهُ فارس العصر والزمان وشجاع هذا الاوان الا انهُ اقصر باعًا من ابيهِ في

الميدان وكانك بهِ وقد اتى الينا بالعساكر والجنود ولو علمنا ان هذه الامور تجري علينا لما اتينا الى هنا بل كنا صبرنا والتقينا الملك الليلمان في ارضنا والاوطان فلما سمع عنترة هذا الكلام قال لهرقل لاتخف من هولاء الفرسان والام فما هم عندي الا شبيه الغنم وها انا بين يديك وسوف ترى مني ما تقر بهِ مقل عينيك واما الذي ذكرتهُ عن الملك جنطايل الذي لا يجملهُ الاكل فيل طويل فلا يجزعك طولهُ وقده فاني بحسامي اقده لاني معود على قتل الافيال وانا في القيود والاغلال ولاسيما اني في الاهوال اتوسل الى ذخيرتي وحبيبي النبي المفضال فاسال الله الملك المتعال بحرمة هذا النبي الكريم ان لا يميتني حتى اراه بعيني وانظره واقاتل بين يديهِ وانصره واقتل في حبهِ كل جبار عنيد وشيطان مريد فعسى ببركة هذا النبي السعيد اقبض على كلمة التوحيد فلا تفزع ياملك الزمان ولو انطبقت علي الانس والجان فاني بهم ملي وبقتالهم وفي

قال الراوي ففرح هرقل واستبشر وامل بالنصر والظفر وعلم ان عنترة على ما يقول يقدر وفي ساعة الحال هدر عنترة وزمجر وامر اصحابهُ بالحملة على ذلك العسكر وزعق كوبرت في عساكر الافرنج فزمجرت ولحربها انتصبت وزعق عنترة في ذلك العسكر وداس فيهم بجواده الابجر وضرب بالسيف والرمح وما قصر وجعل الجماجم تتساقط كالاكر فلله دره من اسد قسور وليث غضنفر واما عساكر الافرنج فانها لما وقعت عينها على عساكر الملك هرقل والامير عنتر زعق في اوائلهم عنان بن جنطايل وحمل في اول العسكر وقد ثار الغبار واعتكر وحملت البطارقة والعمالقة وقطعت السيوف البارقة ورفعت عساكر الروم اصواتها وطعنت الافرنج بقنطارياتها وحلقت جماجم الاعداء بمرهفاتها فلله در عنترة بن شداد فانهُ بدد تلك العساكر والاجناد وجال بجواده الابجر وضرب فيهم بحسامهِ الابتر وفرقهم شذر مذر وتركهم عبرة لمن اعتبر وشيبوب والخذروف بين يديهِ كالنار ذات الشرر اما الملك عنان فلما راى فعال عنترة في الميدان حمل من تحت الاعلام وطلب الصدام فكثر الصياح والزحام وعظم القتال واشتدت الاهوال واندهلت عساكر الاندلس مما رات من الحرب والقتال الذي ما كان يخطر لهم على بال وقد جرت بينهم اهوال تشيب روءوس الاطفال قال ولم يزالوا على هذه الحال الى ان ولى النهار واقبل الظلام فعادوا الى الخيام وقد استظهرت الروم على عساكر عنان ولولا الخوف من العار لكانت عساكر عنان طلبت الهرب والفرار وعادت عساكر الروم وهم يثنون على عنتر فشكرهم ووعدهم بالنصر والظفر هذا ما كان من هولاء واما ما كان من عنان فانهُ لما عاد من الميدان وراى الارض امتلات من قتلى اصحابهِ غاب عن

صوابه وداخله الفزع وحل به الخوف والجزع ثم اوقدوا النيران وتحارس الفريقان الى الصباح فعند ذلك شكت عساكر الاندلس الى الملك عنان ما لقيت في ذلك اليوم من عنتر وانها عاينت الموت الاحمر فقال قد علمت انهُ ما فعل بكم هذا الامر الانكد الا ذلك العبد الاسود فانا في غداة غد ابارزه واقتلهُ واقتل من بعده هرقل بن قيصر وكوبرت وكل من معهم من العسكر لان ابي ما ارسلني الا لقتل هولاء الفرسان وامرني ان لا ابقي منهم على انسان وان اسبي حريهم والنسوان

قال الراوي وعند الصباح ركبت العساكر وترتبت الفرسان للكفاح واذا بفارس قد برز من عساكر الاندلس راكبًا على جواد من الخيل الجياد وهو كالاسد العابس فترجل في ركابهِ اكثر من الفي فارس ولما ولج الميدان سال عساكر الروم البراز وسرعة الانجاز وطلب هرقل بن قيصر وكوبرت وعنتر فلم يتم كلامهُ حتى قفز عنترة بالابجر وصار قدامهُ وكان هذا الفارس عنان ابن الملك جنطايل فجال معهُ عنترة بنية فاترة وطلعت عليهما الغبرة وكانت لهما ساعة عسرة واظهرا في القتال العجب حتى شكت الخيل من تحتهما التعب وكل عنان ومل وضعفت قواه وانحل فلما راى عنترة منهُ ذلك حاذاه حتى حك الركاب بالركاب وضربهُ بالسيف على هامته شقهُ الى نصف قامتهِ وزعق يالعبس الاجواد انا عنترة بن شداد فلما رات عساكر الاندلس ابن ملكهم قتيلاً وعلى وجه الارض جديلاً صاحوا على عنترة من كل فج وصارت الارض بهم ترتج فيالها من ساعة ما كان اشامها على الافرنج جرت فيها الادمية على الرمال وكثرت فيها الاهوال وحمل عنترة على الفرسان وهجم على الشجعان وملأ من قتلاهم الميدان وشيبوب والخذروف يحميان ظهره بالنبال فلله دره من بطل فانهُ خرق الصفوف ومزق الالوف وسقى عساكر الاندلس كاسات الحتوف قال ولم تكن الا ساعة من النهار حتى ولت اهل الاندلس الادبار وركنوا الى الفرار فتبعهم عنترة وهو يطعن في ظهورهم الى اخر النهار وعادوا وقد اهلكوا من الافرنج عددًا لا يقع عليهم عيار ثم امروا من معهم من الرجال بجمع الخيل الشاردة والاسلاب المبددة هذا ما كان من هولاء واما ما كان من امر الملك جنطايل ملك الاندلس فانهُ كان لابنهِ عنان في الانتظار حتى ياتهُ بعنترة بن شداد وهرقل وكوبرت ومن معهم في الاسر والاضرار ولم يزل يعلل نفسهُ بهذه الامال الى ان اقبلت بعض الرجال من عساكره المنهزمين وقد انوا صائحين صارخين وهم متقطعون من عشرة ومن عشرين يموجون مثل البحر الزاخر والاول منهم لا يلتفت الى الاخر ولما وصلوا الى المدينة اكثروا من البكاء والعويل واعلنوا بالويل والتنكيل فسمع الملك جنطايل

الصباح فسال عن الخبر فقالوا له ايها الملك قد وصلت العساكر مكسورين خاسرين مشتتين حائرين وقالوا قد قتل ولدك عنان وحلت بهِ الافات والذي قتلهُ هو شجاع العصر والاوان فارس بني عبس وعدنان الذي ملك تلك الجزائر والبلدان

قال فلما سمع الملك جنطايل هذا الكلام استوى عنده الضياء والظلام وغاب برهة عن الصواب ولما استفاق استدعى بعض الهاربين من الفرسان وقال لهم ويلكم اخبروني كيف قتل ولدي عنان في الميدان وهو سيد الفرسان واشجع من ركب على ظهر الحصان فقالوا له يا ملك الزمان اعلم ان الذي قتلهُ هو فارس اسود لهُ قلب اقوى من الحجر الجلمد حمل عليهِ وضربهُ بالسيف على هامهِ شقهُ الى بين اقدامهِ وبعد ذلك حمل علينا في ساحة المجال فقتل منا الرجال واباد الاقيال وهو يقول باللغة العربية اوغاد غير امجاد اما علمتم اني عنترة بن شداد فارس الجلاد وما دخلت الى دياركم الا لاهلك كباركم وصغاركم واملك بلادكم واسبي نساءكم واولادكم واقتل ملككم جنطايل الكلب العويل والوغد الهبيل واملك بلاد الاندلس والغرب واقتل كل فارس ندب وكان يمسك الفارس العظيم من ظهر الجواد ويضربهُ بالارض يرض عظامهُ رض . ثم يضيق على الناس في المجال ويمسك واحداً بيده اليمنى والثاني بيده الشمال ويرميهما على اثنين من الفرسان فيقتل الاربعة الرجال فلا يقدر عليهِ فارس وليس لهُ في هذا الزمان مقايس لان صدماتهِ تهد الجبال وطعناتهِ تقرب الاجال وجواده ان راى الفرسان ازدحمت عليهِ يفتح فاه كانهُ الغول او الاسد المهول فيدق في الفارس ينكسهُ عن ظهر الحصان ويعين صاحبهُ على لقاء الاقران فلا يصعب عليك ايها الملك ما ذكرناه لك عن هذا الانسان فما راينا مثلهُ الاك وليس لهُ ضد سواك ولا يقمعهُ فارس الا انت لانك اشد منهُ جناناً واقوى اركاناً فلما سمع جنطايل هذا الكلام صعب الامر عليهِ وكبر لديه واخذ بيده عموداً وبطش في الرجال فقتل عشرة ابطال فهرب الباقون من قدامهِ في عاجل الحال ثم قال لهم ويلكم يا انذال أمثلي يقال هذا المقال وتصفون هذا البدوي وما هو الا حلاب النوق وراعي الجمال ولولا خوفي من السيد المسيح لما تركت منكم بطريقاً صحيح فكيف تخوفوني من ذلك العبد الاسود اللكاع وانا الفارس الشجاع والقرم المناع فسوف ترون كيف ارغم انفهُ واورده حتفهُ وستنظرون ماذا افعل في حومة الميدان وانا على ظهر فيلي سير وان فاتي ساقتل ذلك العبد عنتر وكوبرت ومن معهُ وهرقل بن قيصر ومن يتبعهُ فلما سمعوا كلامهُ سكتوا ولم يعد احدهم يفوه بكلام بل قالوا ها نحن بين يديك وسوف ترى منا ما تقرُّ بهِ مقل عينيك

قال الراوي ثم انهُ في ساعة الحال امر رجالهُ بسرعة الارتحال والاستعداد للحرب والتطلع للطعن والضرب فتاهبوا للقتال وملاقاة الاهوال وزعقت البوقات ورفعت الرايات وعرض عسكره فكان عددهم خمس عشرة كرة وكل كرة ماية الف فارس كانهم الابالس ثم خرج بهم الى خارج البلد واقام مكانهُ ولده الصغير وكان اسمهُ عبد المسيح وترك عنده ماية الف فارس لحفظ البلد وكان ولده ذا عقل رجيح ولسان فصيح وركب الملك جنطايل على ظهر فيلهِ سير وان وسار طالبًا هلاك جيش الروم وعساكر الحجاز وتلك الرسوم وارتفعت على راسهِ الاعلام وقد زين لهُ الشيطان انهُ يلقى عنترة ومن معهُ من الفرسان هذا ما كان من هولاء واما ما كان من كوبرت وعنتر وهرقل بن الملك قيصر فانهم ساروا بعد ما كسروا ذلك العسكر ثم اقبل عنترة على كوبرت والملك هرقل وقال لهما الى ما قعودكما عن ذلك الطخير جنطايل ولماذا لا نسير اليهِ ونخرب دياره ونقتلهُ ونمحق اثاره ونسبي عيالهُ وننهب اموالهُ فقال هرقل نعم ما اشرت بهِ يا ابا الفوارس ثم انهم تجهزوا في ساعة الحال في مائتين من الابطال فقال عنترة وحق الملك المتعال لاسار معنا اكثر من مائة الف فارس اقيال ولو كان اهل الاندلس بعدد الرمال لقيتهم وحدي واكسرهم بقوة ساعدي وزندي وافنيهم بحد مهندي وسترى مني ايها الملك ما يورخ بعدي ويكتب في السير وينفقون على سماعهِ المال والبدر وما يجرى لي مع جنطايل ففرح بن الملك قيصر بذلك المقال وعلم انهُ يفعل اكثر مما قال ثم انهم قسموا العساكر نصفين وانتخبوا ماية الف فارس من الاعلاج الشداد كما قال عنترة بن شداد وركب عنتر على ظهر جواده الابجر وشيبوب والخذروف في ركابهِ وبين يديه وسار وسارت العساكر خلفهُ كانهم البحر الزخار وما زالوا سائرين مدة خمسة وثلاثين يومًا يقطعون تلك الارض الى ان تقاربت العساكر من بعضها البعض وثار الغبار واسودت منهُ الاقطار ثم انكشفت الرايات وظهرت البنود والازدهارات وتقابل الجمعان والتقى الفريقان وكان قتالهم عظيم في مكان يقال لهُ وادي الرميم وعلا الصياح ونعرت البوقات ودقت الكوسات وخفقت الرايات وكان الملك جنطايل في موخرة العسكر راكبًا على ظهر فيلهِ سير وان كانهُ الاسد الحردان لان الخيل تنفر من الفيل فتتاخر الى وراء العسكر وامر عسكره بالحملة فحملوا على بعضهم البعض ومالوا طولاً وعرض فعظمت الاهوال واهتزت الجبال وتقاربت الاجال وتصادمت الشجعان واختلط الجمعان وعمل السيف اليمان فلله در عنتر وما فعل في ذلك اليوم المنكر فانهُ فرق الابطال وبدد الاقيال وفتك بالشيوخ والشبان واجرى الدماء كالغدران وزاد وقود

الحرب نيران فارتجفت منه قلوب الشجعان وجندل من على الخيول الاقران ولم يزالوا على تلك الحال حتى ولى النهار واقبل الليل بالانسدال فافترقوا عن الحرب والقتال وعادوا الى الخيام واكلوا الطعام وقد ربحت الروم بقتال عنترة الفارس الكرار وخسرت الافرنج في ذلك النهار ولولا خوفهم من الملك جنطايل لكانوا طلبوا الفرار ورجعوا الى الديار على انهم صبروا على قتال الروم خوفاً من العار وقد نهبت الروم نصف خيام الافرنج والرجال ولما رجعوا من القتال اخذوا يشكون لعنترة ما لقوا من الاهوال و يشكرونه و يدعون له كيفما مال

قال الراوي هذا ما كان من هولاء واما ما كان من صاحب الفيل الملك جنطايل فانه غضب على عساكره ولامهم لما انهم تقهقروا في النزال وقال لهم يا ويلكم اما انتم رجال اما فيكم نخوة الابطال كيف تهاونتم عن انفسكم حتى كسركم هولاء الانذال فقالوا له اننا اهملنا امرهم حتى وصل الينا شرهم على انه لا بد لنا في غداة غد ان ندهمهم ونحمل عليهم جميعنا ولا نخلي منهم احداً واول ما نقتل ذلك الاسود عنتر ونقتل كوبرت وهرقل ابن الملك قيصر ومن معهم من العسكر ونذيقهم الموت الاحمر ففرح جنطايل بمقالهم وقد ظنوا انهم ينالون الوطر و يرزقون النصر والظفر ثم انهم بعد ان اكلوا الطعام تفرقوا للمنام ورتبوا الحرس و باتوا ولما اصبح الصباح ركبوا الجرد القداح واعتقلوا بالرماح و برزوا يطلبون الحرب والكفاح

قال الاصمعي فعند ذلك دقت الكوسات ونعرت البوقات وحملت العساكر من سائر الجهات وطعنوا بالرماح وجردوا البيض الصفاح وقد طاب لهم شرب كاس الممات وضاقت بهم الفلوات وربحت عساكر الروم على عساكر الاندلس وحمل عنترة وزعق زعقات ارتجت لها الارض وجال بالاعداء وضرب فيهم طولاً وعرض وشيبوب والخذروف بين يديه يرميان بالنبال فيخرقان بها نحور الرجال واشتد الحرب وكثرت الاهوال وايقن الفريقان بحلول الاجال وما زال السيف يعمل والرجال تقتل حتى ولى النهار واقبل الليل بالاعتكار فافترقوا عن الحرب ورجعت عساكر الاندلس وهم خائفون ومن ضربات عنترة فزعون فوبخهم الملك جنطايل على ذلك فقالوا له والله ما راينا عمرنا مثل هذه المصيبة وهذا العبد الاسود والصل الانكد فهو والله كانه صاعقة من السماء لاننا كنا نطلبه من كل جانب ونظن اننا نمزقه بالقنا والقواضب فيزعق في المواكب فيشتتها في المشارق والمغارب فقال لهم انا رايت هذا العبد في القتال كانه اسد الدحال ولولا خوفي من العار لكنت

من اول وهلة اهلكتهُ ولكن غداً لا بد من مبارزتهِ في المجال واقتلهُ واخذ بثار والدي عنان الفارس الريبال لاني اراكم على كثرتكم ما نفعتم وعند لزومكم فشلتم ثم ان جنطايل طلب المنام ولما طلع الصباح ركب العسكران ونزلوا الى الميدان فصف عنترة جيشهُ ورتبهُ ميمنة وميسرة وقلب وجناحين واصطفت عساكر جنطايل وبرز من بينهم فارس طويل راكب على فيل عظيم وكان هذا الفارس الملك جنطايل ولما صار في الميدان لعب بعموده بين الفرسان ومحل الضرب والطعان وصاح بصوت مثل الرعد القاصف وجعل يطلب عنترة ليبرز اليهِ فعند ذلك قال الملك كوبرت لعنتر والله يا ابا الفوارس انهُ سب وشتم وتكلم بكلام لا ينبغي ان يذكر فصعب ذلك على عنتر وقفز الى ساحة الميدان ومحل الضرب والطعان وعول على قتل جنطايل فلما تقدم الابجر وشم رائحة الفيل شخر ونخر ونشر ناصيتهُ وتقهقر فلما رأى عنترة جوادهُ على ذلك الحال ترجل عن ظهره واخذ الطارقة في يده الشمال وجرد في يمينهِ سيفهُ الفصال وانقض على جنطايل كانهُ الاسد اذا انذعر فعندها صاح فيهِ شيبوب وقال لهُ ويلك يا ابا الفوارس هل جننت او اعمى بصيرتك الكبر اخبرني ماذا تريد ان تفعل حتى ترجلت الى الملك جنطايل الذي كانهُ الاسد الغضنفر وتحتهُ هذا الفيل العظيم فاخشى عليك ان يدوسك ويسقيك كاس العدم فقال لهُ عنترة ويلك يا ابا رياح ما هذا الكلام كانك نسيت فعالي بن قبلة من الجبابرة العظام فوحق من لهُ البقاء والدوام لالقيت هذا الفارس الا بلا سلاح وترى ما افعل بهِ في هذه البطاح وسوف تحدث البشر فيما يجري بيني وبينهُ من العبر ثم ان عنترة خلع ما كان عليهِ من اللباس والزرد وقلع الخوذة من راسهِ ورمى الحديد ولبس حلة حمراء وتعمم بعمامة خضراء وتمنطق بمنطقة الملك كسرى وادار اذيالهُ في منطقتهِ ووثب كالاسد في وثبتهِ

قال الراوي فلما رات الروم ذلك انبهرت وحارت منهُ وتعجبت وتحدث كوبرت مع هرقل وقال لهُ اما تنظر الى ما فعل عنتر في هذا اليوم المنكر وكيف احتقر الملك جنطايل وفيلهُ الطويل فاني والله خائف عليهِ ان يقتلهُ جنطايل وينزل بهِ التنكيل واذا قتل عنترة لا نفلح بعده ابداً ويحل بنا الردى فما هذه الفعال واحتقاره الرجال فقال لهُ الملك هرقل لا تخف عليهِ فان عنترة ما راينا منهُ مثل هذا العمل ولكن سمعنا عنهُ انهُ عمره ما خاف من بطل فالملك جنطايل امامهُ من احقر البشر وقد بلغني ان عنترة بلغ هذا العمر كلهُ وما قهره في الحرب فارس ولا رات العرب لهُ مقايس واليوم يكون اخر عمر جنطايل وسترى ما يفعل بهِ هذا الفارس النبيل

قال الراوي فبينما كوبرت يحدث هرقل بهذا المقال واذا بزعقة تزلزل الجبال فظن الفريقان ان السما قد انشقت وان المواعيد قد حقت وتامل الناس بمن زعق فاذا هو عنترة فارس بني عبس الادهم وليثها القشعم فانهُ تمشى حتى قارب الملك جنطايل وضربهُ بسوط كان بيده فاضطرب الفيل في بعضهِ البعض واراد ان يهج في جنبات الارض فرده صاحبهُ بالعمود الذي بيده واخذ يجول بهِ طولاً وعرض وهو على ذلك الحال الهايل فقاربهُ عنترة وهو راجل وزعق عليهِ ثانيًا وهدر وزمجر فحمل عليهِ جنطايل كالاسد اذا انذعر فوثب عنترة اليهِ ودرقتهُ وسيفهُ بين يديه فصعب الامر على جنطايل لما راه خاليًا من السلاح وعلم انهُ احتقره فاستلب من تحتهِ حربة وزجهُ بها فسبحها عنترة فراحت خائبة بعد ان كانت صائبة فلطم جنطايل على قمتهِ وزجهُ بحربة ثانية ظن انها تكون القاضية فاخذها عنترة من الهواء وضرب بها جنطايل فجاءت في رقبة الفيل خرجت من خاصرتهِ فوقع الفيل على الارض واختبط في بعضهِ البعض

قال الراوي فغاب جنطايل عن الدنيا لما راى فيلهُ قد قتل وخطف عمود بيديه ووضعهُ على عاتقيه وجرى على قدميه حتى قارب عنترة وضربهُ بـــهِ فمال عنترة عنهُ فوقع العمود على الارض غاص الى نصفهِ وقد سلم منهُ عنتر وتعجب من شدة جنطايل البطل الغضنفر وفي عاجل الحال همز عليهِ وهز في يمينهِ الضامي الابتر وصاح بهِ فتخبل وارتعد منهُ وانذهل وضربهُ بشدة حيلهِ وقوتهِ فجاءت تلك الضربة على صرتهِ قسمته نصفين فوقع الى الارض قطعتين فعندها زعقت عساكر الروم وحملت واما عساكر الاندلس فانها لما رات ما فعل عنترة تخبلت وانذهلت وحملت تريد الخلاص فتلقاهم عنترة ومن معه من العساكر والاجناد واعانهُ على ذلك كوبرت وحمل الملك هرقل واخذ يحث الفرسان على الحرب والطراد فحملت تلك الخلائق كانها الجراد ورفعت اصواتها بالويل والشنار وتدفقت عليهم عساكر الافرنج مثل موجات البحار فتلقتها عساكر الروم واشتد بينهم الحرب والقتال وكثرت الاهوال وجرى الدم وسال وكان لهم يوم مشهود تشيب لهوله الاطفال في المهود . قال ولما رات عساكر الاندلس ما حل بهم من النقم تعوذوا بعيسى بن مريم مما فعل بهم الامير عنترة وقالوا والله ما هذا بشرًا ان هذا الاعفريت من عفاريت منفر يا ويلكم اطلبوا لانفسكم الهرب قبل ان يحل بكم العطب فعند ذلك ولوا الادبار وتبعتهم الروم الى اخر النهار ثم رجعوا وجمعوا المال ولما اجتمعت الرجال قبلوا ايادي عنتر وهنأوه بالنصر والظفر فاثنى عليهم وشكر ثم انهم تشاوروا هل يرجعون الى الديار او يسيرون الى

مدينة الاندلس و يفتحونها و بعد ان اقاموا عشرة ايام ساروا طالبين بلاد الاندلس وتلك الديار

قال الراوي هذا ما كان من هولاء واما ما كان من المنهزمين فانهم وصلوا الى الديار مشققي الثياب وقد اعلنوا بالبكاء والانتحاب وانقطعوا حائرين من عشرة ومن عشرين فلما وصلوا البلاد اعلنوا بالويل والثبور وعظائم الامور فلما رآهم اهل البلد على ذلك الحال اخذهم الانذهال فاجتمعوا اليهم وسالوهم عن ملكهم جنطايل وعمن انزل بهم التنكيل فقالوا قد فنيت الرجال وقتلت الابطال واضحينا في اسوا الاحوال فقالوا لهم ومن فعل بكم هذا الامر المنكر فقالوا فارس بني عبس عنتر وهو عبد اسود بلون القير والقطران الا انه شيطان بصورة انسان وشجاع لا يوجد مثله في هذا الزمان لانه لما التقى بملكنا جنطايل قتل من تحته الفيل وضربه بسيفه قده شطرين ورماه قطعتين فقالوا لهم ويلكم كيف جرت عليكم هذه الحال وعساكركم بعدد الرمال ومعكم الملك جنطايل سلطان الاقطار ورجعتم وقد حل بكم الدمار فحكوا لهم ما جرى وعلم الملك عبد المسيح بن الملك جنطايل بالخبر فقلق وتحير واستحضر المنهزمين وسالهم عن ابيه فاخبروه بما تم عليه وقصوا له الخبر من اوله الى اخره واوقفوه على باطنه وظاهره فقامت عيناه في ام راسه وانزعجت جميع حواسه ثم قال لهم ويلكم وهل ذلك الفارس شيطان او معه سحر او هو مارد من مردة الجان فقالوا لا وحق المسيح ما معه سحر ولا هو من الجان وما اهلكنا الا بسيفه والسنان وفي ركابه اثنان كانهما شيطانان كانا يحميان جواده ويضربان بالنبال فيصيبان بها مقاتل الرجال فلما سمع عبد المسيح ومن معه ذلك تقطعت ظهورهم وحاروا في امورهم ثم تشاوروا فيما يفعلون هل يقيمون حتى ياتوهم او يمضون هم اليهم ويقاتلونهم ثم قالوا لهم وهذا الاسود ماذا سمعتم عنه وما في نيته ان يفعل هل مراده الرجوع الى دياره او المجي الينا فقالوا سمعنا انه قاصد بلادنا لانه طمع في عساكرنا واجنادنا وقد حلف انه لابد له من اخذ هذه البلد ولو اقام عليها عشرة اعوام ويسير بعد ذلك الى البلاد الغربية ويفتحها ثم الى الديار المصرية ويملكها الى اقصى الصعيد وهو عن هذا القصد لا يحيد فقال لهم الملك وهل يعبد ذلك الاسود المسيح قالوا كلا فانه بدوي من سكان القفار لا يعبد الا الاصنام والاحجار فقال لهم والله لولا هذا البطل الاسود لما قدر هرقل بن قيصر وكوبرت على فتح قلعة ولا بلد ولا على اخذ جزيرة الواحات وقلعة الكافور ولو كان هذا الاسود عندنا لكنا اهلكنا اهل الدنيا ثم ان المنهزمين قالوا لهم خذوا حذركم لانكم قريبا ترونه عندكم فيبيد اقصاكم وادناكم فضاق صدر

الملك وامر باحضار كبار دولتهِ ورجال مملكتهِ واخبرهم بخبر عنترة وقال لهم ان ابي ما ولاني عليكم الا برضاكم وانتم تعلمون اني لا افعل امرًا من الامور ما يكن لكم فيهِ الراي فبماذا تشيرون عليَّ فاطرقوا ساعة في الارض وقالوا نحن لك و بين يديك وانت ملكنا فمرنا بما تريد لاننا عن امرك لانحيد فقال لهم ان هذا الاسود قد قتل الليلمان وابنة سرجوان وفتح جزيرة البلور وقتل الملك صافات وابن الدبر والشاهد وقد علمتم ان ابي ارسل اليهِ العساكر مع اخي عنان فاهلكهُ وافنى عساكره والفرسان فسار اليهِ ابي جنظايل فقتلهُ وقتل الفيل وانا قد عولت على امر فيهِ الصلاح لي ولكم وجمعتكم لاشاوركم بهِ واريد ان لا تهملوه وشاوروا بعضكم فيهِ فان رايتموه صوابًا فافعلوه والا فاشيروا بما ترونهُ واسرعوا بالجواب فاننا صرنا من امورنا على عجل ومن هذا الفارس في خوف ووجل فقالوا لهُ اخبرنا ايها الملك ماذا تريد ان تفعل فقال لهم اريد ان اصالحهُ واترك قتالهُ واردهُ بالتي هي احسن عن بلادنا لئلا يفني رجالنا و يقتل ابطالنا فقالوا لهُ ان ما قلتهُ هو الصواب لاننا نخاف من شر ذلك الاسود ان يدوس بلادنا و يفعل فيها مثلما فعل في غيرها

الكتاب السادس والاربعون بعد المائة

من سيرة عنترة بن شداد العبسي

قال نجد بن هشام فاتفقوا على هذا الشان وفي ساعة الحال وقعت البشائر بين الفرسان واخذوا يهيئون العلوفات وما يحتاجون اليهِ من الضيافات فبينما هم كذلك واذا بغبار ثار وملأ سائر الاقطار وبانت من تحتهِ العساكر كانها الجراد يقدمها فارس عبس عنترة بن شداد تخفق على راسهِ الاعلام والرايات فعند ذلك دقت الطبول ونعرت البوقات ولمعت الاسنة على رؤوس القنطاريات واقبل عنترة بين تلك العساكر كانهُ الليث الكاسر وشيبوب وولده الخذروف في ركابهِ كانهما فرخا نعام والى جانبهِ اليمين هرقل بن قيصر وكوبرت الى الجانب الاخر فلما راى اهل مدينة الاندلس ذلك الحال قالوا لملكهم ما فعلت ايها الملك الا غاية الامال وقد ازلت عن قلوبنا الهم والوبال فعند ذلك امر الملك بفتح ابواب المدينة وخرج هو وارباب دولتهِ وكبار مملكتهِ لملاقاة عنترة وجماعتهِ ودقت كوسات الفرح والمسرات ونشرت على راس الملك الاعلام والرايات وتقدم الملك ومن معهُ من الاجناد الى بين يدي عنترة بن شداد وسلموا عليهِ وعلى هرقل بن قيصر وكوبرت وعلى كل من حضر وفرحوا بصلحهم مع بعضهم البعض ونصبوا خيامهم في تلك الارض وما استقرَّ بهم المقام حتى

انتهم من المدينة انواع الطعام في اواني الفضة والذهب الاحمر المرصعة بالجوهر فاكل الخاص والعام و بعد ذلك قدموا انية المدام ودارت عليهم الكاسات والجام وكانوا قبل ذلك قد افردوا لعنترة وهرقل وكوبرت دارًا واسعة البنيان فدخلها وقد اقام لهم الملك على الخيام حرسًا ونقل لهم المفروشات والاواني والتحف شيئًا لايقع عليهِ عيار وصار كل يوم يركب معهم و يفرجهم على مدينة الاندلس وما حولها من البساتين والاشجار والاثمار والانهار

قال الراوي ولم يزالوا يجولون من مكان الى مكان حتى ادخلهم في بستان عظيم القدر والشان لايوجد مثلهُ في سائر الاقاليم كانهُ جنة النعيم انهارهُ جارية واشجارهُ باسقة واطيارهُ زاعقة قد تضاحك الزهر في جنباتهِ ونمت نفحات المسك في حافاتهِ وفيهِ قصر حسن البنيان مشيد الاركان فتعجب عنترة الفارس الهمام وكذلك هرقل وكوبرت ومن معهم في ذلك المقام واجلسهم الملك عبد المسيح على مكان عالٍ لايوجد مثلهُ في ذلك الزمان قد فرشوا فيهِ جميع انواع المفروشات والوسائد المحشوة بريش النعام فجلس هرقل في صدر المكان وجلس عنترة الى يمينهِ وكوبرت الى يسارهِ وامر الملك ان يمد السماط ووضعوا فيهِ من سائر اصناف الحلويات ولما فرغوا من اكل الطعام قدموا انية المدام ودارت عليهم الكاسات والطاسات وطابت لهم الاوقات ولم يزالوا على هذه الحال مدة سبعة ايام مع الليال

قال الراوي و بعد ذلك قام ملك الاندلس وخدم ودعا لابن الملك قيصر بدوام النعم وسالهُ ان يجعل عليهم خراجًا يحملونهُ اليهِ في كل عام بالرضا والاكرام واقاموا عنده مدة شهرين و بعد ذلك اخرج الهدايا والانعام من تحف تلك البلاد واعطاهم اموالاً لا تاكلها النيران فشكروهُ على ما غمرهم بهِ من الاحسان ثم ارادوا العودة الى الاوطان فقال لهم الملك عبد المسيح اريد ان اكاتب اهل البلاد التي تحت طاعتي وننظر من يطيعنا ومن يعصى علينا فمن اطاعنا فلهُ مالنا وعليهِ ما علينا وما عصى اعلمنا كم بهِ فتجعلونهُ يحمل الينا الخراج فعند ذلك مكثوا ليالي واياماً وفرح هرقل بما ملك من تلك البلاد والجزائر وعلم ان هذا بسعادة عنترة وكتب الملك عبد المسيح الى سائر البلاد النصرانية الغربية والاقاليم البحرية القاصية والدانية يعلمهم بما جرى وانهم دخلوا في طاعة الملك قيصر فلم تكن مدة حتى اطاع واجاب صاحب برقة وصاحب تونس والقيروان وهرمس صاحب اسكندرية والديار المصرية واول من قدم عليهم صاحب برقة ميخائيل فالتقوهُ واكرموهُ واتى بعده صاحب تونس والقيروان فانزلهم ملك الاندلس في اعلى مكان وكان اسم صاحب تونس عيطرون واسم صاحب القيروان مردوس ولم يلبثوا قليلاً حتى اتى اليهم صاحب

اسكندرية والديار المصرية واسمهُ هرمس بن الغرندس وقد اتى طائعاً لعبد المسيح بن جنطايل وما فعل ذلك هولاء الملوك الا لما سمعوا بفعل عنترة بجنطايل وهم كانوا على كل حال اضعف منهُ حالاً

قال الراوي وهولاء الملوك الذين ذكرناهم هم الذين اطاعوه والباقون عصوا عليهِ وقد خرجت الاخبار باجابتهم الى بعضهم البعض وماجت معهم العساكر في تلك الارض ودفعوا عنهم النائبات واتوا طاعة لعنترة ورضوا ان يزنوا لهُ الخراج في كل عام فعند ذلك مدوا لهم سماطات الطعام بعد ما سلموا على هرقل وكوبرت وعنتر وهنأوهم بالنصر والظفر وكانت قد طالت بهم الغيبة وداموا في اكرام مدة عشرة ايام وكان هولاء الملوك قد اتوا باموال لا تاكلها النيران فعند ذلك حلف عليهم صاحب برقة ان ياخذهم معهُ الى دياره وان ياكلوا ضيافتهُ فاجابوه بالسمع والطاعة وساروا معهُ في تلك الساعة وقد سار امامهم وهو فرحان باجابة الملوك وركب بين ايديهم عنترة وقد اشتدت لطول غيبتهِ ضيقة صدره وحار في امره هذا وبقوا سائرين ببطارقتهم وعساكرهم وخواصهم ووزرائهم واكابر دولتهم حتى قربوا من دياره فعندها لاقتهم اهل برقة بالفرح والمسرات وافاض الناس من الانعام وتجمعوا للقائهم من سائر الجزائر والوهاد وعبروا في زينة ما فرح بها شداد بن عاد وزينت البلد والاسواق واكثر الملك ميخائيل من الهبات وقد ترجل وسار ماشياً في ركاب عنتر فحلف عليهِ واركبهُ على ظهر جواده هو وهرقل ابن الملك قيصر حتى وصلوا الى مرج افيح والزهر في جنباتهِ قد فتح وزاد منهُ خرير الانهار وقد اشرقت جنباتــه وتكاملت صفاته وفاح ورده واهتزت قضبانه فانزلهم في ذلك المكان وجلست الملوك على قدر طبقاتهم وجلس عنترة وهرقل وكوبرت في صدر المجلس والملوك ينظرون الى عنترة بن شداد ويتعجبون من خلقتهِ وغلظ سواده وكبر اطرافهِ الشداد وقد امر الملك ميخائيل بمد السماطات فمدوها واتوا بالطاسات وكانت لحومها من سائر الوحوش والاطيار ما يحير النظار فتقدموا واكلوا واكل عنترة وقد طاب لهُ ذلك الطعام والالوان حتى امتلأت حواسهُ وجنباتهُ وبعد ما اكتفوا من الطعام دخل اولاد البطارقة بانية المدام في طشوط الذهب واواني الفضة وصبوا الخمر في الكوؤس كانهُ اللهيب يحكي وجنات الحبيب وخامرت الخمرة عقول السادات الا عنترة بن شداد فانهُ كان في تلك الحال وهو لا ينظر ذلك الا خيالاً لان جسمهُ حاضر وقلبهُ غائب في الديار والاطلال وشوقه لعبلة قد طال هذا والملوك تباسطهُ وتمازحهُ ولم يزالوا في بسط وانشراح مدة عشرة ايام والملك ميخائيل يزيد لهم في

الاكرام ثم قام من بينهم صاحب تونس عيطرون وقال لهم اريد منكم ان تشرفوا ارضي بوطىء اقدامكم واول من يسير في صحبتي الليث الامجد اسد الاساد عنترة بن شداد

قال الراوي ولما فرغ من ذلك الكلام سعي اليه واراد ان يقبل يديه فنهض عنترة على قدميه وقبله بين عينيه ثم انهم ساروا في تلك البراري والقيعان وما زالوا سائرين حتى وصلوا الى مدينة تونس الغرب وكان الملك قد ارسل مبشرين يعلمون اهل البلد حتى يطلعوا الى ملتقاهم فخرجت اهل البلد بالبوقات ونشرت الرايات واقبلت الملوك في موكب عظيم وترجل ملك تونس عيطرون وترجلت معهُ اكابر دولته ولم يزالوا الى ان دخلوا البلد دون ان يحصل لهم نكد وترجل ملك القيروان مردوس وعبد المسيح صاحب الاندلس واقسموا على عنترة ان لا يترجل وكذلك حلفوا على كوبرت وهرقل

قال الراوي ولما ترجلت الملوك ومعهم هرقل وكوبرت وابو الفوارس عنترة اجلسهم الملك عيطرون وعمل لهم المادب والمسرات عشرين يومًا وبعد ذلك قام الملك قيروان على الاقدام وتكلم وقرر عليه حمل الجزية في كل عام بعد ان يمضوا الى دياره ويا كلوا ضيافته فلما سمعت الملوك ذلك الكلام قاموا كلهم واجابوه الى ما يريد وقد فرح هرقل بطاعته لهُ وبعد ذلك ركبوا وساروا صحبة الملك مردوس ملك القيروان مدة سبعة ايام حتى وصلوا الى القيروان فدخلوا قصر الملك واقاموا هناك عشرين يومًا فعندها قام الملك هرمس صاحب الاسكندرية ودعاهم ان ياكلوا ضيافتهُ فاجابوه وذهبوا معهُ حتى وصلوا الاسكندرية فلاقتهم اهل المدينة بالطبول والنقارات وصنعت لهم الضيافات ولبثوا على سعة واكرام عشرون يومًا على التمام

قال الراوي ثم انهم طلبوا الاذن في الرواح والعودة الى البلاد بعد ان قرر عنترة عليهم الخراج والعداد فعندها قدم الملك هرمس لعنترة مائة راس من الخيل وعشرين بغلاً من البغال وعلى كل بغل صندوقان من المال والبعض منها قماش مصري وتحف اسكندرانيات وقال هذه هدية مني لابي الفوارس عنترة واما حمل الخراج فانهُ يكون للملك فحلف هرقل انهُ لا ياخذ شيئًا من مال ذلك العام وان خراج هذه البلاد الذي يدخل في هذه السنة لعنترة بن شداد واتفق معهُ الملوك انهم يرسلون لعنترة خراج هذا العام وقال هرقل يا ابا الفوارس هذه هدية تلك البلاد اقبلها وسرَّ بها الفؤاد فقالت الملوك وعندنا كذلك للملك عنترة اضعاف ذلك ثم اقبل هرمس ملك اسكندرية وقال لعنترة يا فارس العرب القاصية والدانية ألا تقيم عندنا في الديار المصرية فاننا قد احببناك وزادت فيك رغبتنا وان شئت

اعطيك اخت المقوقس ابنتي واشاركك في نعمتي واقاسمك في مملكتي فقال لهُ عنترة دامت لك نعمتك وسلم لك المقوقس وابنتك نحن قوم ما تعودنا السكنى في الجدران والبلدان ولا خاف الحيطان فلا نسكن الا في البراري والقيعان

قال الراوي فبينما هم في الكلام واذا برجل قد دخل عليهم وقبل الارض وابدى السلام وقال ايها الملك المفضال اعتد للحرب والقتال واجمع من عندك من العساكر والابطال وكان يقال لهذا الرجل شيناس وهو من خواص الملك هرمس فقال لهُ هرمس اخبرنا من اراد حربنا وقتالنا ومن يكون من الاجناس فقال لهُ قصدك صاحب البهنسه كندريوس بن كرماس . قال الراوي وكان كندريوس هذا وسندارس صاحب اهناس اخوي الملك جنطايل وكان السبب في ذلك انهُ لما قتل عنترة جنطايل وفيلة كما ذكرنا وانهزمت عساكره في ذلك البرا لفسيح واتوا الى ابن ملكهم عبد المسيح واخبروه بما كان من الامر الصحيح فصالح عنتر واستقال من قتالهِ واستعذر وكذلك كوبرتُ وابن الملك قيصر وارادوا الرجوع فعاقهم وقال لهم اصبروا حتى افحص امرما تحت يدي من البلاد واعلمهم ان مراده ترسيخ قواعد ملكهِ والذي لا يطيعهُ يرسل اليهِ عنتر ليبتليهُ بالموت الاحمر فاجابوه الى ذلك ففرح باجابة ملوك تلك الاقطار وذلك كلهُ من خوفهم من عنترة الفارس المغوار حتى دخلوا تحت طاعتهِ واخذوا يسيرون من مكان الى مكان في صحبتهِ

قال فلما سمع الملك كندريوس صاحب البهنسة ذلك الخبر شق عليهِ وقامت في ام راسهِ مقل عينيهِ وكان جبارًا عنيدًا وشيطانًا مريدًا لا يبارز فارسًا في ميدانهِ الا ويخطفهُ من ظهر حصانهِ وكانت تخافهُ سائر ملوك الصعيد ويخشاه القريب والبعيد وكان يحكم على صدور اخميم واهواز والسواد السديد والنوبة والبجاه وتلك الفلاه والبيد فلما سمع بما فعل ابن عمهِ عبد المسيح زعم ان ذلك الفعل امر قبيح فجمع وزراءه واهل مملكتهِ وقال لهم انظرتم اعمال ابن عمي وخطأ فعالهِ وكيف صالح ذلك الاسود عنترة ليستريح من قتالهِ ولم يكتفِ بذلك بل انهُ طلب مني الخراج والعداد في حال كون ابيهِ لم تكن الملوك تطيعهُ ولا تخاف سطوتهُ ولما قتل عصت على ولده عبد المسيح ولم تلتفت اليهِ فصالح هذا العبد الاسود حتى لا يبتلي بقتالهِ ودخل تحت العار والذل ولم يقاتل قتال ابيهِ واخيهِ واذا كان رأى نفسهُ لا يقدر على هذا الفارس الاسود لمَ لم يرسل اليَّ ويستنجد بي عليهِ لاسير اليهِ واخذ روحهُ من بين جنبيهِ فوا اسفاه على الملك جنطايل الذي خلف هذا الولد الجبان الذليل الذي لو كان عنده سداد تدبير وهو بعواقب الامور خبير لكان ارسل اليَّ واعلمني بما جرى عليهِ فسرت الى ذلك الفارس

الاسود وتجردت لقتالهِ وفعلت بهِ كما فعلت بمثالهِ فقال لهُ اكابر دولتهِ ايها الملك ان ابن عمك من خوفهِ وجبنهِ احتاج ان يداريه ويودي لهُ المال والخراج من مملكتهِ فقال لهم انا عولت ان اكاتب الملوك الذين كانوا تحت طاعة عمي جنطايل ونجمع جيشاً كبيراً ونسير الى عنترة وهرقل وكوبرت ومن معهم من الملوك ونقتلهم ونهلك اجنادهم وعساكرهم ونسير بعد ذلك الى جزائر الواحات ونملكها ونخلص ذخائر الملك صافات ونملك قلعة البلور فقالوا لهُ ايها الملك لقد تكلمت بالصواب فاكتب لنرى ما يرد الملوك عليك من الجواب فكتب الكتب وارسلها الى جميع من تحت يده من الملوك يطلب منهم العساكر والاجناد وكان من جملة من كاتب مارثونس صاحب قلعة دهشور وكان بطلاً عظيماً وجباراً جسياً وارسل الى سوغال صاحب الاشمونية وكاتب الى قرقاقيس صاحب اخميم والى كردوس صاحب اسوان والى ملك النوبة ومن تحت يده من السودان

قال الراوي ولما سمعت اهل الصعيد بقتل الملك جنطايل وتوليـة ابنهِ عبد المسيح ماجت من هذا الامر تلك الارض وكاتبوا بعضهم البعض واتى الملك مكشوح ملك البجاه والملك عفلق ملك النوبة وتلك البلاد والتأمت العساكر من تلك الجنبات واعتدوا بالعدد الكاملـة وكان اجتماعهم في اسوان ولما قدمت عساكر النوبة وتلك البلاد دخلوا معهم بخمسمائة فيل وعلى كل فيل اثنا عشر من السودان وهم عراة الاجساد كانهم من قوم عاد وليس في اوساطهم الا جلود النمورة وفي ايديهم الدرق والاعمدة والمزاريق والحراب والقسي والنشاب وكان عدد العساكر مئة وعشرين الف عنان ولما وصلوا الى مدينة اسوان خرج اليهم ملكها بالاقامات والضيافات واقاموا عنده ثلاثة ايام اجتمعت في اثنائها عساكر تلك البلدان ففرق عليهم العدد والسلاح وآلات الحرب والكفاح وساروا حتى وصلوا الى نقطة وكرمان فخرج اليهم صاحبها في عشرين الف عنان واخرج لهم ضيافات من سائر الالوان وساروا حتى وصلوا الى اشمونية وتلك الاقطار فخرج اليهم صاحبها واكرمهم وسار معهم في عشرين الفاً حتى وصلوا الى مدينة انصله وكان الحاكم عليها بطريق عظيم ممتد حكمهُ الى حد طنجه وكانت انصلة مدينة عظيمة وكان لها سور عظيم لم يبنَ مثلهُ في سائر الاقاليم وكان بناؤهُ بالحجر الاحمر وعلوه ثمانون ذراعاً واكثر ومن داخل السور قصور وغرف وبيوت وكل شيء مليح واهلها يعبدون المسيح فلما نزلت العساكر على انصله تلقاهم بطريقها جرجيس واضافهم مثلما فعل غيره وسار معهم في ثلاثين الف بطل ولم يزالوا سائرين الى ان وصلوا الى البهنسة واهناس فخرج اليهم بطريقهـا كندريوس بن كرماس وكان فارساً مغواراً وقد

اجتمعت اليه عساكر كثيرة واكثرت البطارقة من الزعاق والازهاج وكانت عليهم الدروع المذهبة واقبية الديباج المرقومة المكتبة وعلى رؤوسهم الخوذ العادية وبايديهم الدرق والسيوف المشرفية

قال الراوي . هذا والملك كندريوس راكب بينهم وقد تسربل بالحديد ثم اكثروا من الطبول والزمور حتى ارتجت بهم تلك الطلول ولما تقابلت الملوك في تلك الارض سلموا على بعضهم البعض واقبلوا على كندريوس وقالوا له وحق المسيح من يوم الذي قتل جنطايل دخل على قلوبنا حزن طويل وما العجب الا كيف تصادق عبد المسيح هو وعبد اسود وهرقل بن قيصر ووعدهما بان يزن لهما الخراج والعداد ويصادقهما على ما له من البلاد وقد ضالحته ملوك الشرق والغرب والاعجب من هذا كيف اطاعوه من غير حرب ولا قتال وقدموا له الخراج وقد ارسل اليّ لاطيعه فلما سمعت ذلك كاتبتكم وجمعتكم حتى نسير وامعي لنقتل ذلك العبد الاسود وننهب ما جمعه من الاموال وانتم معكم هولاء الافيال وهذه الرجال الاقيال فاستعدوا وسيروا اليه بجمعكم حتى اجمع بقية ما عندي من العساكر واتبعكم لانه قيل عن ذلك الاسود انه لايخاف احد ولا يهوله من العساكر كثرة العدد فان لم نجتمع على ذاك الشيطان المريد قتل كل من في النوبة وبلاد الصعيد ولم نبلغ ما نريد فلما سمعوا قوله قالوا له والله من الراي ان نجمع العساكر في ارض البهنسة فامر كندريوس باحضار عشرين بطريقاً وقدم كل واحد على عشرة الاف وقدم على الجميع بطريقاً جباراً اسمه بولس بن ماروس واوصاهم بان يشدوا قواهم على الحرب والقتال وساروا من تلك الساعة فخرجت اليهم الفرسان وصاروا يلتقونهم بالترحيب والاكرام وقد ملاوا الدنيا من الشرق الى الغرب فسمعهم ذلك البطريق واتى يعلم هرمس صاحب الاسكندرية

قال الراوي فلما تكلم ذلك البطريق بهذا الكلام وسمعه الخاص والعام هاجت العساكر وقالوا ماهذا الا امر عظيم حيث جمع كندريوس هذه العساكر ومراده ان ياتي الينا ونحن قد غفلنا عنه حتى تسببت لنا هذه الاسباب وعملوا شيئاً ما كان لنا في حساب وما كان الصواب ان نهمل امرهم حتى وصل الينا شرهم ولكن ما بقي الا مسيرنا اليهم بجمعنا ولا ندعهم ان يطاوا مواضعنا وارضنا فلما سمع عنترة ذلك الكلام حلف بمن ارسى الجبال وعلم وزنها كم مثقال ألاّ يسير اليهم احد من الملوك الثقال ولا سار اليهم الا هو في قليل من العساكر والابطال

قال الراوي فلما سمع الملوك كلام عنترة تعوذوا بالكنائس والصلبان وبعد ذلك اقبل عليهم هرمس وقال لعنترة ياابا الفوارس ان كلامك هذا قد زاد بنا الوساوس ولابد

لنا ان نسير معك في مائتي الف فارس واول من يسير انا في عساكري وارسل الى مصر واخبر ولدي المقوقس ليرسل من عندهُ من العسكر وتربحنا من همهِ الطويل وتفعل بهِ كما فعلت بابن عمهِ جنطايل وكذلك قال الملكان صاحبا تونس والقيروان واتفق معهم على ذلك القول صاحب برقة واتفقت سائر الملوك ان ترسل الى بلادها من يجمع عساكرها واجنادها فعند ذلك وثب عنترة من بين ذلك الجمع الكثير وقال لِمَ هذا التعسير انا اسير اليهم واقاهم بحد هذا الحسام الذكر واجعلهم عبرة لمن اعتبر وسوف تنظرون من خادمكم عنترة ما يؤرخ من بعده ويسطر فلما فرغ من ذلك الكلام حلف وشدد في الاقسام بمن لهُ البقاء والدوام انهُ من الغد يسير الى البهنسة واهناس ويدهم تلك العساكر وقال ان امر سفرنا قد طال ومرادنا العودة الى الديار والاطلال وكذلك قال كوبرت وهرقل بن قيصر واتفقوا على انهم يسيرون صحبة عنترة فيمن معهم من العسكر ولم يزالوا تلك الليلة في قيل وقال الى ان طلع النهار وارسل الملوك رسلاً الى بلادهم باتونهم بالعساكر ولما فرغوا مما دار بينهم من الكلام افتقد الرجال خيلهم وسلاحهم وركب قدامهم ابو الفوارس عنتر على ظهر جواده الابجر وكان عدد عسكره مائة الف وارسل معهم الملك هرمس عشرين الفاً من الابطال من اهل مصر والاسكندرية وخرجوا من الاسكندرية وسارت ملوك الغرب لوداعهم وعادوا ينتظرون عساكرهم ولم يزل عنترة وعسكره يجدون السير الى ان قربوا من دير هناك في سفح الجبل الاخضر يدعى دير المسيح واذ قد لاح لهم غبار حتى سد منافس الاقطار واظلمت منهُ سائر القفار وبعد ساعة انكشف وبان من تحتهِ قوم ما لكثرتهم عدد يقدمهم بطل غضنفر وفي عنقهِ صليب من الجوهر فلما اشرفوا عليهم دمدموا بالرومية وشتموهم بالافرنجية فحمل عنترة عليهم ونثر جماجمهم نثر الورق وحمل كوبرت الليث القسور فلم تكن الا ساعة حتى تركوا اعداء عبرةً لمن اعتبر والتقى عنترة ببطريقهم فضربهُ بالسيف على عاتقهِ اطلعهُ يلمع من علائقهِ فلما نظرت الاعداء بطريقها قتيلاً ولت الادبار وسعت في البراري والقفار

قال الراوي واما ما كان من المنهزمين فانهم ساروا حتى وصلوا الى ملوكهم واعلموهم بما حل بهم من الامر المبين وكيف قتل البطريق وقالوا لهم ما هذا البطل الاسود الا جبار عظيم لا يوجد مثلهُ في سائر الاقاليم فصعب ذلك عليهم وحلفوا ان لا بد لهم ان يقتلوا هذا الاسود وقد ركبت العساكر وجعلوا يجدون السير هذا ما كان من هولاء واما ما كان من عنترة ورفقتهِ والملوك الذين في صحبتهِ فانهم لما هربت المنهزمون من قدامهِ في تلك البراري والقيعان جعلوا يستعدون للحرب والطعان وفي اليوم الثالث طلع عليهم غبار عساكر

البهنسة والفيوم ولما نظرت عساكر هرقل غبارهم ركبوا خيولهم واعتدوا لقتالهم وركب عنترة
والى جانبه هرقل وجعل يرتب العساكر ميامن ومياسر واوقفهم قلبًا وجناحين وامرهم ان
يكونوا عند حملتهم صفين وما فرغ عنترة من هذه الحال الا واقبلت عساكر الاعداء وقد
وقعت العين على العين ودنا وفاء الدين ونقدم عنترة الى بين الصفين فلما نظرت الاعداء
طول قامته وكبر هامته اوقع الله الرعب في قلوبهم واطلقوا اعنة خيلهم وايقنوا بذلهم وويلهم
لكنهم عزموا على محاربته وخرج منهم بطريق يدمدم بالافرنجية وقال ارسلوا الي واحدًا منكم
حتى اخذه الى ملكنا يتكلم في امركم فقال عنترة لكوبرت يا ملك اظن ان هذا القرنان يطلب
منا الحرب والطعان فقال كوبرت لا يا ابا الفوارس انهُ قد اتى يطلب منا واحدًا حتى يمضي
الى ملكهم يستخبر عما نحن فيهِ من الشان فقال لهُ عنترة اذا كان الامر كذلك فاذهب انت
لانك عارف بلغتهم وقل لملكهم اذا وصلت اليهِ ان عنترة بن شداد صاحب العساكر والاجناد
يقول لكم سلموا انفسكم من غير قتال ولا نزال فقال كوبرت سمعًا وطاعة وانفذ عنترة كوبرت
يعطي الاعداء الجواب وذلك الفارس كان ارسلهُ البطريق بولس وظل واقفًا حتى اتى اليهِ
كوبرت فقال لهُ ذلك البطريق من الذي ارسلكم الينا حتى قتلتم فرساننا واجنادنا وطمعتم
في بلادنا فقال لهُ كوبرت نحن ما دخلنا هذه البلاد الا حتى نهلك عساكركم لما انكم عصيتم
علينا بحمل الخراج والعداد وان المقدم على عساكرنا عنترة بن شداد قد حلف بمن رفع
الجبال وخفض الوهاد ان لم تفعلوا ما فعلهُ غيركم من الملوك والا اهلككم فقال لهُ البطريق ترى
مقدمكم من اي البلاد فقال لهُ كوبرت هذا فارس الحجاز عنترة بن شداد الذي قهر سائر
فرسان العرب فلما سمع البطريق ذلك الكلام قال لكوبرت ارجع اليهِ وقل لهُ ان لا يطمع في
بلادنا كما طمع في بلاد غيرنا فاغتاظ منهُ كوبرت وقال للبطريق ويلك المثلنا يقال هذا
الكلام القبيح فلما سمع البطريق ذلك الكلام هجم على كوبرت وضربهُ ضربة جبار لا يبالي بنزول
الاخطار. فنزلت على عنق جواد كوبرت فابراه فوقع كوبرت. ثم انقض فارس على ذلك
البطريق وطعنهُ بالرمح في صدره اطلعهُ يلمع من ظهره وكان ذلك الفارس عنترة. فلما نظرت
الاعداء ما فعلهُ عنترة داخلهم الخوف وحمل عليهم موكب في عشرة الاف فتلقاهم كوبرت
وعنترة وزعقا فيهم وضربا ضربات قاضيات وطعنا طعنات نافذات وحملت معهما فرقة من
الروم وانزلوا بالافرنج البلاء والهموم وكانت لهم ساعة لا تقاس بالساعات فانذهلت الافرنج
من تلك الامور الهائلات

قال الراوي فلما رأت بقية العساكر ما حل باصحابهم حملوا على عنترة باجمعهم ليعينوا

اصحابهم على ما نابهم وتقدمت اصحاب الافيلة وعلى ظهر كل فيل اثنا عشر رجلاً وفي ايديهم الحراب والمزاريق والقسي والنشاب فلما نظر الملك هرقل وعبد المسيح الى تلك الحال حملا بجميع العساكر والابطال فعند ذلك اشتدت الاهوال وظهر الشجاع واختفى الجبان وعمل الصارم اليمان وقاتلت اصحاب الافيلة قتالاً شديد ما عليه من مزيد وتصايح العسكر واهل النوبة والبربر فلله درّ كوبرت الفارس الغضنفر وهرقل بن قيصر فانهما نثرا الفرسان على الصعيد مثل الاكر وظلوا على هذه الحال ثلثة ايام قومٌ منهم يقاتلون وقومٌ يناموں في تلك القفار وبعد ذلك بان على هرقل وعساكر عنترة الانكسار ولولا عنترة لكانت عساكرهم من اول يوم طلبت الانهزام لانهُ كان يحمل عنهم اكثر الاثقال

قال الراوي فلما كانت الليلة الرابعة شكوا الى عنترة تلك الحال وان خيلهم ما بقيت تصلح للمجال فوعدهم عنترة انهُ في الغد يقاتل الافيال فاطمأنوا لعلمهم انهُ قدير على هذه الفعال وبعد ذلك نزلوا في الخيام واقاموا لهم حرساً يحرسهم من الاعداء في الظلام ولما كان اليوم الخامس تبادروا الى القتال والحرب والنزال فبينما هم على تلك الحال واذا بغبار ثار حتى سد منافس الاقطار ثم انكشف عن عسكر جرار اشارتهُ تدل على انهُ اكثر من مائتي الف وهم عساكر مصرية يقدمهم الملك ميخائيل صاحب مدينة تونس والملك هرمس صاحب مصر والاسكندرية وكان السبب في قدوم تلك العساكر هو ان عنترة لما حلف وشدد في الاقسام ورحل بغير عساكر ومعهُ عبد المسيح وكوبرت وهرقل ابن الملك قيصر انفذ الملك هرمس الى ولده المقوقس ملك الديار المصرية يطلب منهُ عساكر وكذلك ارسل الى ميخائيل فلم تكن الا ايام قلائل حتى اتاهم من قبل ملك مصر ستون الف فارس واتاهم ايضاً من صاحب برقة اربعون الف فارس فلما وصلوا اليهم امروهم بالرحيل وسرعة التحويل الى نصرة عنترة فساروا حتى ادركوهم في تلك الساعة

قال الراوي فلما قربوا منهم ترجلوا اليهم وسلموا عليهم وقالوا لهم لا عدمنا همتكم ونشر المسيح اعلام نصره عليكم ثم اعلموهم بقتال السودان وكيف عطبت خيولهم من رمي السهام من السودان وانهُ لولا عنترة لاهلكوا جميع الابطال وقالوا قد وعدنا انهُ في هذا اليوم يقاتل الافيال ونحن لولا هذه الافيال لكنا مددناهم على بساط الرمال فقالوا لهم لا تفزعوا فقد اتت معنا خيل كثيرة خالية من الرجال ولما نظرت الاعداء ذلك الحال حل بها الذل والخبال فقال لهم ملك البجاة لا تفزعوا ولا تخافوا ممن قدم عليكم من هذه العساكر ففي هذا اليوم تروتهم بين انياب الافيال ونقتل عنترة بن شداد فعند ذلك اصطفت الصفوف

واصطفت عساكر البهنسة وقدامها الافيال وعلى ظهورها الابطال ترمي بالحراب والنبال فلما نظرت عساكر هرقل خافوا على انفسهم من الافيال فعند ذلك ابتدروا قدام ذلك العسكر ومعهم الامير عنتر وامامه شيبوب كانه البلاء المصبوب وجرى قدام تلك العساكر على قدميه ومسك قوسه وكنانته بيديه ووقف قدام الافيال بمقدار رمي السهم ووضع النبلة في كبد القوس وحرر على عين فيل من الافيال فلم تخطه بحكم القضاء والقدر بل وقعت النبلة في عين ذلك الفيل فعاد راجعاً على عقبه في ساعته وعينه قد غارت وزعق ذلك الفيل صوتاً ارتجت منه الفلوات فتبعته جميع الافيال وولت منهزمة والقت من على ظهورها من الرجال فوقعوا على الارض مكردسين فانقضت عليهم عساكر الروم فاسروهم وانزلوا بهم الذل والوبال فعندها حملت عساكر الروم وفي اوائلهم هرقل بن قيصر وحمل كوبرث وعساكره وحملت عساكر مصر والاسكندرية فعند ذلك اشتد النزال وكثرت الاهوال فولت عساكر البهنسة الادبار وتبعهم عنترة وعساكره وقد قتلوا شيئاً كثيراً من الافيال واهلكوا الرجال ورجع عنترة هو واصحابه ومن معه من الملوك والعساكر الانجاب وجمعوا الخيل والاسلاب

قال الراوي ولما اصبح الصباح جلست الملوك في خيامها وجمعت ارباب دولتها وعنترة بن شداد في مقدمتها وتشاوروا هل يرجعون او يرحلون فاتفق رايهم بمشورة عنترة أن يتبعوا العدى الى بلادهم ويقتلوا عساكرهم واجنادهم وان عصوا عليهم حاصروهم واهلكوهم وان اطاعوهم طلبوا منهم الخراج والعداد ثم انهم ساروا وتبطنوا القفار وتبعوا منهم الاثار هذا ما كان من هولاء واما ما كان من القوم الذين حل بهم الانهزام فانهم ساروا اكثر من يومين واذ قد لاح بين ايديهم غبار وعلا حتى سد الاقطار وانكشف عن عسكر جرار وهي عساكر الصعيد والبهنسة وفي مقدمتها كندريوس بن كرماس واخوه صاحب مدينة اهناس

قال الراوي وكان السبب في قدوم هذين الملكين انهما لما ارسلا بولس ومن معه والتقاهم عنتر وفعل بهم ما فعل من الامر المنكر وهربت المنهزمون ساروا حتى وصلوا الى ملكهم واخبروه بما فعل بهم عنترة بن شداد فجمع هولاء العساكر والاجناد وساروا بهم حتى التقوا بالمنهزمين فقال لهم كندريوس ويلكم ما هذه الحال واين العساكر والابطال فقالوا ايها الملك داستهم الافيال واهلكهم عنترة واحل بهم الوبال فقال لهم ويلكم انتم كنتم بعساكر تعدل عدد الرمال واهلكتكم هذه الشرذمة اليسيرة فقالوا ايها الملك لا تقل شرذمة يسيرة وما هي الا عصابة كثيرة ثم حكوا له ما تقدم ذكره من المقال فلما سمع كندريوس ذلك اسودت

الدنيا في عينيهِ وقال لهم سوف ترون ما افعل بعنترة ورفقتهِ وكيف اقتل هولاء الملوك الذين اتوا بصحبتهِ وآخذ بثارات عمي جنطايل واقتل ابنة عبد المسيح الذليل ثم انهُ ضم الرجال الى الرجال وسار هو في المقدمة يقطع البراري والقفار فما مضي عليهِ اول يوم واليوم الثاني الى الظهر الا والغبار من بين ايديهم غبّر والصفو تكدر وانكشف ذلك الغبار وبان عن بريق الزرد ولمعان الخوذ وعساكر ما لها عدد وكانت هذه العساكر المقبلة عساكر عنترة وكانت الملوك التي بقيت حفظت معها نحو ثلاثمائة الف فارس وكانت عساكر كندريوس خمسمائة الف عنان ولما نظرت العساكر الى بعضها البعض ماجت واضطربت في تلك الارض ودقت كوسات العسكرين حتى تزلزلت الارض من سائر الجنبات وطمعت عساكر البهنسة في عساكر الروم وحلت بهم الهموم ودمدمت عليهم السودان وساعدتها عساكر الفيوم وقويت عليهم بفروسية كندريوس ودخل على عساكر هرقل وكوبرت الفزع وحل بهم الهلع اذ قد جمعت عليهم خلائق من جميع الاجناس من افرنج وروم وعرب واهل الصعيد والسودان ولولا عنترة الفارس الكرار لكانوا طلبوا الهرب والفرار فبينما هم على تلك الحال واذا بغبار من نحو الجبل الاخضر قد ثار وبان من تحتهِ حديد يلمع واسنة تشعشع ورايات تونسية وسناجق قيروانية وفرسان كانهم الاسود وكان المقدم عليهم اصحاب تونس والقيروان وعددهم الف فارس نصفهم من تونس والنصف الاخر من القيروان

قال الراوي فعند ذلك خففوا ملبوسهم ووطنوا على الموت نفوسهم وزعقوا بالمسيح بن مريم والصليب الاعظم فلما رأت عساكر البهنسة الى تلك الحال وما اتى اليها من العساكر والابطال وتذكروا ما فعل بهم عنترة في القتال تولاهم الذل والخبال وقال لكندريوس الملوك الذين معهُ وحق المسيح ما انت الا من اعظم الجهال ولو كان لك عقل لما كنت تحارب مثل هولاء الابطال لاسيما وفيهم هذا الفارس الاسود وان لم تسمع منهم ما يقولون وتجيبهم الى ما يريدون والا سرنا اليهم واتفقنا كلنا عليك وخطفنا روحك من بين جنبيك لانك عدمت عقلك بالكلية اذ رمت قتال ملوك الغرب وملوك الديار المصرية فلما سمع كندريوس من الملوك مقالهم خاف من فعالهم واجاب سوالهم خيفةَ ان يتفقوا عليهِ وتخرج المملكة من يديهِ ودار بينهم الخطاب فرأوا الصلح عين الصواب

قال الراوي فعند ذلك كفوا ايديهم عن الطعان والضراب وشاع الخبر بينهم بهذه الاسباب فحصل للعسكر الانشراح والطرب وصاحوا الملك قيصر يامنصور ففرحت ملوك الغرب وعساكر مصر بتلك الامور وترجلت جميع الملوك وانتشروا في تلك الارض ثم ان

الملك كندريوس اهدى عنترة احسن هدية واعطاه شيئاً كثيراً من الخيول العربية ومن التحف او في عطية ومن خزائن تلك البلدان والديار ما يحير عقول النظار

قال الراوي وفرق صاحب البهنسة على الملوك وعنترة من تحف تلك البلاد فشكر عنترة الملوك على ما اولوه من الاحسان وارسل الهدايا التي اهدوها له الى مدينة الواحات وبلاد الملك صافات ثم ودعهم هو وكوبرت وهرقل وعزموا على الرحيل فما هان عليهم رحيلهم لانهم كانوا قد استانسوا بهم وكان اقصى مرادهم ان يسكن عنترة في بلادهم . قال ثم انهم ساروا بعد التوديع قاصدين جزيرة الواحات فلما بلغوها لاقاهم نائب البلد بالسرور والترحاب ونقدم كوبرت يبشر بسلامتهم وسار عنترة بمن معهُ في اثرهم واكلوا الضيافات ثم ساروا الى جزيرة الكافور وقلعة البلور وكان لدخولهم يوم عظيم يُعَدّ من الاعمار واضافهم كوبرت ثلاثة ايام واجتمع الملك هرقل بالملكة مريمان وشكوا الى بعضهما شدة الشوق والهيمان وبعد ذلك جهزوا الاموال والغنائم والهدايا في الصناديق واوصوا كوبرت ألاَّ يتوانى في حمل المال ولا يحتج بحالٍ من الاحوال ثم عزموا على المسير وخرج اهل البلد الى وداعهم ورحلت الملكة مريمان بنت الملك الليلمان وفي صحبتها بعلها هرقل واخذت معها كل ما كان لها من الاموال وجدوا معها في السفر والترحال وسار كوبرت لوداعهم يومين كاملين وبعدها حلف عليهِ عنترة وردَّهُ بعد ان اوصاه بحسن الخصال وحفظ العهود وقال لهُ ياملك ان عصيت فانت تعرف ما جرى لك ولغيرك فاقسم كوبرت انهُ لايكون غادراً ولا خواناً وتقدمت الجارية الى عنترة وقبلت يديهِ وشكرتهُ واثنت عليهِ ثم سارت العساكر في ذلك البر حتى وصلوا الى حافة البحر فنقلوا جميع الاموال الى مراكبهم وركبوا البحار وساروا ليلاً ونهاراً الى ان اقبلوا على مدينة القسطنطينية فارسوا على الساحل ولما بلغ الخبر الملك قيصر بوصول ولده ومعهُ ابو الفوارس عنتر فرح واستبشر وامر ان تزين الاسواق واكثر من العطايا والهبات وخلع على الامراء والسادات وبعد ذلك سار بالعساكر والاجناد حتى التقى

الكتاب السابع والاربعون بعد المائة

من سيرة عنترة بن شداد العبسي

بولده هرقل وعنترة بن شداد واخذ ولده الى صدره وقبلهُ في عارضيهِ ونحره وكذلك عنترة لما رآه ترجل اليهِ وقبل في الركاب قدميه فانحني الملك قيصر وقبل راسهُ واثنى عليهِ واخذه الى جانبهِ وسالهُ عن احوالهِ فحدثهُ بما جرى عليهِ من الحرب والطعان وكيف اخذ ثاره من

الجان وكان لدخولهم يوم مشهود ماجرى مثلة من الزمان ونزل الملك قيصر في قصره
واكرم عنترة غايـة الاكرام وذهب عنترة الى الدار التي اعدت لهٔ ولم يزل الى الصباح ثم
ركب في خدمة الملك قيصر فلما قرب من الابواب هم ان يترجل فقال لهٔ الملك قيصر
بحياتي عليك لا تفعل ثم اجلسهٔ بجانبهِ على التخت في الايوان وقد انتهم الخدام ووقفت بين
ايديهم على الاقدام وفي الحال احضر الملك قيصر مشايخ الدهانين والمصورين وقال لهم
اريد منكم ان تصوروا لي صورة هذا الفارس ولونهٔ وجثتهٔ وهيئتهٔ وجواده من الفضة ويصبغ
منها ما يحتاج الى صبغهِ فتقدم اليهِ رجل يقال لهٔ برد الماء وكان شيطانًا اصبغ اهل الارض
واشطر الحكماء في ذلك الزمان وقال لهٔ انا اصور لك صورته حتى يقول كل من رآها من
البشر هذا عنتر فقال لهٔ الملك قيصر ارني همتك واسرع في ذلك لاني اعلم ان هذا الفارس
ما بقي يقيم هنا لاجل شوقهِ الى اهلهِ وبنت عمهِ عبلة فقال الرجل نعم

قال الراوي فعند ذلك عمل الرجل قالبًا على صورة عنترة وقاس طولـهٔ وعرضهٔ
وجواده وكبر جثتهِ وعرض قامتهِ وحل ذهبًا على فضة وافرغ الكل في القالب واكمل
الصورة وادار حولها بالمبارد حتى ركب الاصابع باظافرها والسواعد والمرافق والزنود
ورجليه ويديه وتركهٔ راكبًا على ظهر جواده مشتملاً في لامة حربهِ وجلاده قابضًا على
سيفهِ بيديه وقد شق محاجر عينيه وجعلها من الياقوت الاصفر وصبغ حدقاتها ودوروكلها
بالدر والجوهر وترك الصوره كانها صورة عنتر وكان قد امره ايضًا ان يصور صورة شيبوب
وولده الخذروف ويكون الاثنان في ركابهِ فصورهما من النحاس الاصفر المخلوط بالذهب
واضاف الى ذلك كلهِ الصباغ والدهان وجعلهم كلهم سمر الالوان فلما تكاملت الصور
ورآها الناس اخذتهم البهتة والدهشة وظنوها عنترة ورفقتهٔ فصار الناس والوزراء يصعدون
الى الديوان ويرجعون على اعقابهم فقال الملك قيصر ما بالكم فقالوا ياملك ان عنترة
واخوتهٔ مسخوا من الرجال وصار كل منهم تمثال فنهض الملك قيصر هو ومن كان معهٔ
ودخلوا مكان الصور فلما رآها قيصر تعجب هو وبطارقتهٔ واحضر الصناع وخلع عليهم واعطاهم
عشرين الف دينار ثم ان الملك دعا بعنترة فما كانت ساعة حتى حضر بين يديهِ فاستقبلهٔ
احسن استقبال وقال لهٔ ياابا الفوارس بحياتي عليك لا يحصل عندك غيظ مما ترى من
الاشغال ولاجل محبتك فعلت ذلك على كل حال ثم سار هو واياه حتى دخلوا على
ذلك التمثال

فلما رأى عنترة صورتهٔ وصورة اخيهِ وابنهِ اندهش وتحير واخذه الوجل والتفت الى

الملك قيصر وقال لهُ هل عندك من يصور مثل صور البشر و يتعدى على صاحب القضاء والقدر ولا يخاف من الاثم والضرر فقال لهُ الذي اعلمك بهِ يا ابا الفوارس ان في دياناتنا الصور جائزة ولا نصور عندنا الامن نحبهُ ومن شدة محبتك عندي صورت صورتك في ديواني مع جندي واعواني حتي ابقى انظرك كلما اتى على بالي ذكرك فقال عنترة عليَّ بالحكيم الذي صور هذه الصورة حتي ارمي عنقهُ واقابلهُ بما يستحقهُ فاخذ الملك يلاطفهُ فسكن غضبهُ وجلسوا لاكل الطعام وصاروا يعيدون الحديث والكلام فعندها تقدم عنترة عند قيصر وقبل يديه وشكرهُ واثنى عليهِ وطلب منهُ الاذن في السفر والمسير الى الحجاز فاذن لهُ بذلك بعد ما خلع عليهِ واعطاه واكرمهُ وترضاه وكذلك شيبوب وولده الخذروف وجميع ما اتى مع عنترة من الهدايا من بلاد الجزائر ما اخذ منها عقالاً بل اعطاها كلها لعنترة وخلع على عمرو بن الحارث وحكمهُ في الشام مكان ابيهِ واعطاه الكوسات والاعلام وسار معهم مرحلة كبيرة ولكن قلبهُ مع عنترة بن شداد و بعد ذلك حلف عنترة عليهِ ورده واحسن لهُ الوداد

قال نجد بن هشام وسارت هذه الاقوام يقطعون البراري والآكام وفي قلب عنترة من فراق عبلة نار الاستعار لانهُ شم روائح القرب من الديار وما زالوا في سيرهم مجدين يقطعون القفار حتى اشرفوا على دمشق الشام وطلع اهل البلد لاستقبالهم الكهل منهم والغلام وقد فرحوا بالملك عمرو وعنتر ورأوا معهم ما يحير البصر وهبت عليهم نسمات اهل الحجاز وتذكر عنترة تلك الاراضي والمفاز وقد دخل على عبلة ففرحت بهِ فرحاً شديداً وقالت لهُ يا ابن العم اخبرني بحالك وما تم عليك وجرى لك مع الملك قيصر فحدثها بجميع ما جرى و بدخولهِ الى بلاد الجزائر واخذ ثار ولده الغضبان من الجان وما اعطاه الملك قيصر من الانعام والبدر وكيف اخذ لعمرو بن الحارث تشريفاً من قيصر بملك الشام كما كان لابيهِ على بني غسان ففرحت عبلة بعلو مرتبتهِ وفرحت بعمرو وارباب مملكتهِ وشكروا الامير عنتر بما فعل ودبر و بعد ايام قلايل طلب عنترة العودة الى اهلهِ فقال لهُ عمرو والله يا ابا الفوارس ان فراقك لا يهون عليَّ و يعز عليَّ ذلك فنريد غداة غدان نركب الى الصيد والقنص و بعد ذلك ناذن لك بالسفر ونحن معترفون بفضل مافعلتهُ معنا غاية الاعتراف فصبر عنترة ولما كان ثاني الايام خرجوا الى الصيد والقنص وتصيدوا الى قرب الاصفرار وعولوا على الرجوع الى الديار واذا هم بغبار قد ثار فوقف عنترة لاجل كشف الاخبار فانكشف وبان عن مائة فارس كرار والمقدم عليهم ورقة ابن الملك زهير فلما حقق كل منهم صاحبهُ تقدما الى بعضهما

وتعانقا و بكيا عند اللقاء وقال ورقة للامير عنترة يا ابن العم لقد ندم اخي على فراقك وقد انفذني الى خدمتك اسالك الرجوع الى حلتك فلما سمع عنترة ذلك الخبر فرح واستبشر وقال ايها الملك انا كنت سائرًا اليهم في هذه الايام من غير تعبك ومجيئك الى ارض الشام

قال الراوي ثم عادوا جميعهم الى دمشق الشام ونزلوا في الخيام واكرمهم عنترة غاية الاكرام ومن الغد ابرز عنترة الى البر الاقفر تلك الخيام والسرادقات ونعرت البوقات وسار ومعهُ عمرو بن الحارث واصحابهُ ثلاثة ايام ثم ودعهُ عنترة واقسم عليهِ وعاهده انهُ يزوره كل عام وسار عنترة والنوق قدامهُ تحدو طالبًا ارض الشربة والعلم السعدي ولم يزل الى ان اشرف على الديار فوجد الحي يموج بسكانه ويرتج بقطانهِ وهم ينادون واسيداه واملكاه فانزعج عنترة لذلك وطاش عقلهُ وتحير وبادر الى الملك قيس وسلم عليهِ وعانقهُ و بعد ذلك سالهُ عن الخبر فنعى اليهِ اخاه الحارث وزوجته لبنى فنال عنترة من ذلك منال عظيم لانهُ كان عنده اعزّ من اخيهِ مالك وسالهُ عن الذي قتلهُ فقال قيس يا ابن العم قتلهُ العيقفور اخو الخيثعور وكان السبب في قتل الحارث ان زوجتهُ لبنى قالت لهُ في بعض الايام يا ابن العم اعلم انني قد اشتقت الى اهلي واريد منك ان تنعم لي بزيارتهم حتى ابل شوقي منهم فاجابها الى ما طلبت واركبها في هودج مجلل بالحرير المدثر وفي اعلاه رصافية من الذهب الاحمر وزمامهُ من الابريسم الاخضر وسلمهُ الى عبد من عبيده وركب الحارث وسار معهُ خمسون فارسًا وما زالوا سائرين الى ان وصلوا الى ارض بني زهران وسمع بهم المعتمد بن بكر ابو لبنى فخرج الى الحارث واستقبلهُ احسن استقبال وفرح بابنتهِ وضمها الى صدره وشكر الحارث الذي اتى بها اليهم حتى يبلوا شوقهم منها واقام عندهم ثلاثة ايام وعادوا بعد ذلك طالبين ديار بني عبس والخيام بعد ان خدموا الحارث وزادوا في الاكرام ولما نظر العيقفور واصحابهُ الى الحارث وقدومهِ الى صهره وما فعل في حقهِ ونظر الى هودج لبنى عند المسير وذكر محبة اخيهِ لها وكيف قتلهُ عنترة من اجلها صعب عليهِ وكبر لديهِ وطاشت في راسهِ رياح النخوة لاجل اخذ الثار وكشف العار فقال لقومهِ يا بني عمي اعلموا انني قد تجددت عليّ مصيبتي وعظمت بليتي عند قدوم الحارث علينا وانتم تعلمون ان عنترة قتل اخي الخيثعور لاجلها واخذ روحه على رغم انفهِ والان قد وجدنا لنا فرصة لاخذ الثار وكشف العار فجدوا بنا حتى نلحق الحارث ونقطع عليهِ طريقهُ ونعدمهُ توفيقه فاجابهُ بنو زهران وبنو كهلان وجدوا خلفهُ في البراري والقيعان فبينما الحارث سائر بزوجتهِ وما عنده علم باحد ياتي اليهِ او يقدم عليهِ واذا بنواصي الخيل قد طلعت وفرسانها قد بدرت وهي تنادي الثار الثار البدار البدار اين تنجون من هذه

القفار فقد آن لنا ان نستوفي ديوننا ونقر بذلك عيوننا فلما سمع الحارث منهم ذلك الكلام قال لبني عمه يا بني عمي هذه خيل بني زهران وقد اتوا يطالبوننا بالثار الذي لهم علينا من قديم الزمان وقد طمعوا فينا لقلتنا وبعدنا عن ديارنا فموتوا كراماً ولا تعيشوا لئاماً فعندها حملت بنو عبس بالصوارم والقنا وودع الحارث زوجتهُ لبنى وقال لها هذا هو يوم الفراق الذي ما بعده تلاق الى يوم التلاق فقالت لهُ يا حارث اعطني خنجرك لان لي بهِ حاجة فقال لها وما هي قالت اخذه في يدي فان غدرتك يد الزمان سقيت نفسي بهِ كاس الهوان ولا ادع انساناً يملكني من بعدك فناولها اياه وعاد وقد ادركهُ العيقفور فقال لهُ ويلك يا وغد قومهِ ولئيم عشيرتهِ لحقتني الى هذه الديار لتاخذ مني بالثار ابشر بالدمار وقلع الاثار

قال الراوي هذا ولبنى شرعت سجاف الهودج واذا بصرخة من تحت الغبار وكانت من العيقفور وقد استجاد خصمه بطعنة في صدره اطلع السنان يلمع من ظهره وبعدها مالت الفرسان على بني عبس وعدنان فقتلت منها اثني عشر من السادات وهرب الباقون في الفلوات ونظرت لبنى الى زوجها بين القتلى فرمت روحها عليهِ ونادت واسيداه وا ابن عماه والتفتت الى العيقفور الواقف على راسها وكان مراده اخذها وقالت لهُ شلت انامك وفصلت اعضاؤك ومفاصلك لقد قتلت سيد قومهِ وملك عشيرتهِ ورئيس قبيلتهِ ثم انها بكت وانشدت تقول

فياليتني من قبل القاهُ في الثرى | اساوي بمن دارت عليهِ الدوائرُ
لعمري ما بالموت عارٌ على الفتى | وقد جربتهُ في الحروب الاكابرُ
ومن كان مما يحدث الدهر جازعاً | فلا بد من يوم يرى وهو صابرُ
وليس لمخلوق من الموت مهربٌ | وليس على الايام والدهر غائرُ
فما الحي مما يحدث الدهر ناجياً | ولا الميت مهما يصبر الحي ناشرُ
وكل شبابٍ او جديدٍ الى البلى | وكل امرءٍ حقاً الى الله سائرُ
وكل قرينٍ للقرين مفارقٌ | وكل ابن انثى تحتويهِ المقابرُ
مليك بني عبس فوا لهفي لـهُ | لقد نالهُ ما كنت منـهُ احاذرُ

قال الراوي ولما فرغت لبنى من هذا المقال رمت روحها وغشي عليها في الحال فاتى اليها بنو عمها ورفعوها الى هودجها ليردوها الى اهلها فاستفاقت من غشيتها وقد زادت بها بليتها فنظرت واذا بالخنجر الذي اخذتهُ من الحارث الى جانبها فاخذتهُ بيدها وضربتهُ في صدرها طلع يلمع من ظهرها فوقعت على وجه الارض فلما رأى قومها هذا الامر العجيب علا منهم البكاء والنحيب ثم انهم اوروها هي والحارث في قبر واحد وعادوا الى الديار واطلعوا اباها

على هذه الاخبار فحزن عليها حزنًا عظيماً وقال لله درها على هذا الفعل الذي لا يفعلهُ الا كل كريم هذا ما كان من بني زهران واما ما كان من بني عبس وعدنان فانهم داموا في هزيمتهم يقطعون البراري والقفار حتى وصلوا الى الديار ودخلوا على الملك قيس وقصوا عليهِ ما جرى وصار فلطمت اللواطم وزادت المآتم وفي تلك الايام وصل الامير عنتر ورأى ما هم فيهِ من الامر المتكر فسأل واستخبر فاوقفوه على جلية الاثر فبكى وتحسر واقسم بالركن والحجر والبيت العتيق المطهر ومن حجَّ اليهِ واعتمر انهُ لا يرجع حتى يقلع من بني زهران الاثر وينزل بهم الذل والعبر ثم انهُ ركب في ستمائة فارس كانهم الليوث العوابس وركب زيد بن عروة ورجالهُ وقد تغيرت من عنترة احوالهُ واخذ معهُ ثلاثة من اخوة الملك قيس ليدلوه على الطريق وكان معهم ايضًا بعض الرجال الذين اصابتهم الفجعة فانهم ساروا ليروا مكان الوقعة ولم يزالوا سائرين بسرعة حتى بلغوا مكان المعمعة ونظروا الى قبر الحارث فترجل كل راكب وترجل ايضًا الامير عنترة وبكى وأنَّ واشتكى وتصاعدت منهُ الزفرات وانشد هذه الابيات

يادهر سيفك في الاحبة يقطعُ ... ارفقْ بمهجة مدنفٍ لا يهجعْ
قد هدَّهُ طول البعاد ومسهُ ... الم الفراق وقلبهُ يتوجعُ
يادهر ما انصفت في حكم الهوى ... سهران ويحك والاحبة هجعُ
رحلوا وبانوا واستقل ركابهم ... سحرًا وقلبي نحوهم يتقطع
ساروا ولم ادري اوان لقائهم ... قسماً بهم لا قمتُ حتى يرجعوا
هذي منازلهم قفارٌ بعدهم ... يشدو الحمام عليهم ويسجعُ
يادار اين القاطنون واهلهم ... آثارهم بالابرقين تجمعُ
ياعين سحي بالبكا من بعدهم ... منكِ العقائق في المحاجر تدمعُ
اين العمالقة الجبابرة الذ ... ين نأَوا ودورهم قفارٌ بلقعُ
اين الاكاسرة الاوائل كلهم ... ذهبوا وراحوا للمقابر اجمع
هذا قضاه المنا في خلقهِ ... والنـاس كلهمُ لذا يتوقع
هذا هو السرّ الذي قهر الورى ... والله يفعل ما يشاء ويصنع
امري لهُ وعلى رضاه توكلي ... والعفو منهُ عن ذنوبي اوسع

قال الراوي ولما فرغ عنترة من هذه الابيات ابكى العيون واثار الشجون واقام على قبر الحارث ثلاثة ايام ونحر عليهِ مائة ناقة وفي اليوم الرابع رحلوا طالبين ارض بني زهران

زهران هذا ما كان من هولاء واما ما كان من بني زهران فان مشايخهم اقبلوا على العيقفور بن همام وقالوا له اعلم انك لاجل ثار اخيك قد اضرمت علينا نارًا تحرق الكبار والصغار وجلبت لنا بقتل الحارث بن زهير الهلاك والبوار لان بني عبس لا يقعدون عن اخذ الثار فقال لهم يا بني عمي انا حاسب هذا الحساب واعلم انهم ياتون الينا وانا مذ الان سائر استنجد بابن عمي المهلهل بن مسروق سيد بني قحطان حتى يعيننا على بني عبس ويرميهم بالتعس والنكس وان لم ياتوا الينا سرنا نحن اليهم فلما سمعوا ذكر المهلهل طابت قلوبهم وانكشفت كروبهم وعلموا ان ما في سائر العربان من يساويهِ في الميدان ثم ان العيقفور ركب من ساعتهِ ومعهُ جماعةٌ ورؤساء عشيرتهِ وسار يجد السير حتى قدم على المهلهل ودخل عليهِ فاكرمهُ غاية الاكرام واقام عنده ثلاثة ايام ثم ان العيقفور تقدم اليهِ وشرح لهُ قصتهُ واسهُ قتل الحارث بن زهير بثار اخيهِ وقد سمع ان بني عبس وعنترة بن شداد اتون اليهِ وانهُ اتى مستجيرًا بهِ فقال لهُ طب نفسًا وقر عينًا ثم انهُ صاح من وقتهِ وساعتهِ في كبراء عشيرتهِ وامرهم بالمسير في صحبتهِ فاجابوهُ الى طلبتهِ وركبت معهم بنو ضبيان وهم كانهم العقبان وركب المهلهل بن مسروق على جواد ادهم وساروا الى ان اشرفوا على ديار بني زهران فاستقبلوهم احسن استقبال واقاموا في الكرامة ثلاثة ايام وفي اليوم الرابع قال لهم المهلهل يابني عمي ان كنا لم ناتكم الا لاجل الضيافة فالولائم قدامنا وان كنا ما اتينا الا للقتال فهيوا بنا حتى نسير الى بني عبس قبل قدومهم علينا لان ادنى الناس من يغزى في اطلالهِ ففرح قومهُ بذلك الشان وساروا في عشرين الف عنان ولما تمادى بهم المسير وسرعة الجد والتشمير اشار المهلهل يقول

انى انا الموصوف في قومهِ تعرفني الابطال يوم النزال
اجندل الاقران من هيبتي واصرع الشجعان وسط المجال
كم بطل جندلتهُ في الثرى معفر الخدين دامي القذال

وما زالوا مجدين في السير الى ان التقى العسكران ببعضهم البعض وقد ملأوا تلك الارض وكانت بنو عبس تنادي يالثارات الحارث وبنو زهران تنادي يالثارات الخيثعور ونظروا الى بني عبس فطمعوا فيهم لاجل قلتهم وما كان ظنهم ان بني عبس ياتونهم في هذه الشرذمة اليسيرة ولما التقوا حملوا على بعضهم البعض والتحم بينهم القتال ولم يزالوا كذلك الى وقت الزوال فافترقوا عن القتال واوقدوا النيران وتحارس الفريقان ولما اصبح الصباح اعتدوا للحرب والكفاح فبينما هم على ذلك الشان واذا بالعيقفور برز الى الميدان وطلب براز الاقران

وقال انا العيقفور الذى قتلت الحارث بن زهير وتركت لحمهُ رزقًا للوحوش والطير واليوم انزل بكم البلاء والضير وابليكم بدماركم وافني صغاركم وكباركم فلم يتركهُ ميسرة بن عنترة ان يتم كلامهُ حتى قفز اليهِ وصار قدامهُ وانشد وقال

انا الاسد المعروف عند الجحافل   وكل فتى بي عارفٌ غير جاهل
اذا ما انتشرت الفوارس في الوغى   ابيدهم بالمرهفات الفواصل
بكل ردينيٍّ تخال سنانهُ   سنا قبسٍ في مركبٍ غير آفلِ
ولا بد هذا اليوم افني جموعكم   والقيكم بين الحصى والجنادل

ثم ان ميسرة بعد انشاده حمل على العيقفور وصار قدامهُ وطلبهُ باهتمامهِ وجالا حتى طلع عليهما الغبار وغابا عن اعين النظار وعدلا عن طريق السلامة وسل كل منهما حسامهُ هذا وعنترة متطاول الى الغبار وقلبهُ على ولده قد طار واذا بزعقة عظيمة وقائل يقول يالعبس لاشقيت فتيتهُ الفرسان واذا بهِ ميسرة وكان قد اتعب خصمهُ وضايقهُ وضربهُ على هامه فعندها جهرت بنو عبس بالفرح والاستبشار وقفز عنترة الى ولده ميسرة وقال لهُ لا شلت يداك هذه والله ضربة تشفي العليل وتروي الغليل ثم عاد ميسرة الى ميدانهِ وجال حول العيقفور بحصانهِ وانشد وقال

كم من كريمٍ بسلاحٍ راجحٍ   مقدم يوم الوغى مكافحٍ
يمشي كمشي القرن في الصحاصح   غادرتهُ مني بضربٍ ناصح
وفيهم اقمت للنوائح   سمر القنا ومرهف الصفائح

ثم ان ميسرة طلب البراز وسأل الانجاز فلم يتم كلامهُ حتى صار المهلهل قدامهُ واجابهُ على شعره وقال

ابقوا على الارواح قبل هلاكها   برجوعكم جمعًا الى الاوطانِ
فلقد قتلتم سيدًا ما مثلهُ   حلو الشمائل في بني زهرانِ
من كان يسمو بالمكارم في الورى   بالجود والمعروف والاحسانِ
واذا التقت حلق البطان رايتهُ   ماضي العزيمة ثابت الاركانِ
حتى رماه الدهر منهُ بنكبةٍ   فغدا صريعًا في محل طعانِ
لهفي عليهِ وليتني في يومهِ   القى الردى وطوارق الحدثانِ
اوردتهُ حتفًا بضربة صارمٍ   فابشر بطعنة ذابل مرانِ

فلما سمع ميسرة شعره اراد ان يجاوبهُ فاطبق عليهِ المهلهل بن مسزوق في الميدان فلاقاه

الاخر في الجولان وجالا مثل الاسود ولان من تحت حوافر خيلها الحجر الجلمود وضايق المهلهل ميسرة ولاصقهٔ وطعنهٔ بالرمح في صدره اطلعهٔ من غفارة ظهره ثم التفت نحو بني عبس وطلب البراز وكان عنترة لما قتل ولده ميسرة غشي عليهِ وصار يضطرب مثل السمكة في الشبكة فصاح فيهم المطال وقال لهم يا بني عبس ما هذا الاشتغال ونحن في مقام الاهوال. فان علم المهلهل بما تم على خالي من الغشوة حمل علينا بجيوشهِ وساء منقلبنا فدعوا خالي على ما نالهُ على فقد ولده وكونوا على يقظة ثم قفز بالجواد وصار في صدر المهلهل وقال لهُ ويلك يا ملعون لقد اضرمت على نفسك نارًا لا تخمد واليوم يكون اخر ايامك وتشرب كاس حمامك ثم انهُ مال نحو ميسرة وقبلهُ وضمهُ الى صدره وهو ملطخ بدمهِ وعاد الى ظهر الحصان وقد اشتعلت في قلبهِ النيران. واطبق على المهلهل وجالا طويلاً واعتركا مليًا فعند ذلك افاق عنترة من غشوتهِ وقد صارت عيناه في ام راسهِ وهو مثل الاسد المسلوب على شبلهِ وعاد الى ظهر جوادهِ وقال يا بني عمي اما وجد فيكم من يبرز الى هذا الفارس ويشفي غليلي بقتلهِ فقالوا والله يا ابا الفوارس قد برز اليهِ ابن اختك المطال وهو معهُ في القتال فجعل عنترة يتطاول الى المعمعة وقد جرت على خده الدمعة والاثنان في القتال مشتبكان وقد امتدت اليهما الاعناق فعندها اطبق المهلهل على المطال فاكربه والهبه وضربهُ بالسيف على راسهِ انزلهُ الى حد اضراسهِ فانقلب المطال عن مركبهِ فعند ذلك علت الضجة من بني غيلان وظهر عليهم الفرح والاستبشار ونظر عنترة المطال قتيلاً فاحترق فؤاده وتفتتت من الحزن اكباده فهمز بالحصان وقد كره الحياه وهانت عليهِ مفارقة دنياه وفاضت بالدموع عيناه ولما صار في الميدان نظر الى ولده وابن اختهِ مطروحين ففاضت عبراتهُ وزادت حسراتهُ واشتهى ان تكون في ذلك اليوم وفاتهُ ولا يرى بروحهِ الذل في حياتهِ ثم زعق بالمهلهل وقال لهُ ويلك يا لئيم قومهِ والله لا رفعت السيف عن صغير ولا كبير ولاقتلنك انت وقومك اجمعين ثم انهُ بعد ذلك صال وجال واخذ يرثي ابنهُ وابن اختهِ المطال وانشد وقال

ارقتُ وقد نام الاخلا وهاجني	من النوح همٌّ في الفؤاد وجيع
وفارقت احبابًا ذخرت لوحدتي	وها انا من ذا في الفؤاد مروع
اذا عبرة كفكفتها بعد حسرة	انت واستهلت حسرة ودموع
سابكي على الندب الهمام بادمعٍ	اذا ناح ورق في الغصون صدوع
لقد هدَّ ركني خطبهُ ومصابهُ	وقلبي لذكراه المغاض نجيع

كأن لم يجاورني ولم يمس ليلةً · اراه ولم نصبح ونحن جميع
فمن ذا الذي يبقى قريراً وقد راى · احباه ذا ميت وذاك صريع
فدمعي على الهطال يهطل فجعةً · وقلبي فيهِ لوعةٌ وصدوعُ

فلما سمع المهلهل شعر عنترة اراد ان يحمل عليهِ وظن انهُ يفعل بهِ كما فعل بن قبلة فزعق عليهِ عنترة ويلك يا لئيم قومهِ لاقتلنَّ بهذين الفارسين الجميع . الرفيع منكم والوضيع فلما سمع المهلهل قولهُ ونظر الى جسرتهِ استهول صورتهُ وكبر جثتهِ فزعق عليهِ ويلك يا اسود يا زنيم اما آن لزمانك ان يحول اتحسب ان الزمان كلهُ لك أما تعلم انهُ كما يضحكك يبكيك وكما يسعدك يشقيك وكما يسرك يضرك وكما حلالك يغرك وكما شد ظهرك باولادك احرق عليهم عند الكبر فوادك . اعلم ان هذا اخر ايامك وبهِ اعجل حمامك وسوف اخذ لسائر العرب منك بالثار واحرق قلبك بالنار فاقبل مني ما اشير بهِ عليك فقال لهُ عنترة ما الذي تشير بهِ عليَّ يا رديء الاصل فقال هو ان تسلمني نفسك حتى اعطيك الذمام بعد ان تعترف بشجاعتي وتنقاد لهيبتي وتقول بين هولاء العرب اشهدوا عليَّ انني طليق سيف هذا الفارس وعتيقة والا فدونك الحرب والقتال وابشر بالخذلان وقصر الاجال

فلما سمع عنترة ذلك الكلام ازداد غيظهُ غيظاً وناداه ويلك أتطمع في الحياة بعد ما قتلت ولدي وابن اختي وتظن اني لا اخذ منك بالثار ثم انهُ اشار اليهِ يقول

طاب الحمام لفقد السيد البطل · بالبيض طوراً وبالخطية الذُبل
كم قد اباد لدى الهيجاء من بطل · يوم الكريهة والابطال في خبل
اريد ميسرة الندب الهمام اذا · صارت قساطل نار الحرب في شعل
وبعده الفارس الهطال احرقني · خير الفوارس من حاف ومنتعل
لا عشتَ بعدهما ان لم اكن عجلا · على الاعادي باخذ الثار بالعجل

قال الراوي ثم اطبق كل واحد منهما على صاحبهِ وراى عنترة خصمهُ شديداً فطاولهُ في الميدان ثم انهُ صرخ فيهِ ارعشهُ وقاربهُ حتى حك الركاب بالركاب وضربهُ بالصارم القرضاب على قمتهِ نزل السيف الى نصف قامتهِ فانقلب عن ظهر الجواد كانهُ طود من الاطواد وبرد غليل عنترة بن شداد وداس عليهِ بحوافر الجواد فعند ذلك حملت عليهِ بنو زهران وهم ينادون يا اسود يا زنيم اذاقك الله العذاب الاليم وشلت اناملك وفصلت مفاصلك لقد قتلت بطلاً هماماً ومن العار ان نقتلك وانت عبد زنيم في مقابلة سيد كريم ثم حملوا عليهِ في عشرين الف فارس مثل الليوث العوابس فصرخ عنترة في وجوهم ونادى ويلكم

يالئام اليوم املأ من قتلاكم البيداء ثم انهُ حمل وحملت وراءه بنو عبس الاجواد والتحم
بين الفريقين القتال والطراد وثبتت بنو زهران وكان لهم يوم تشيب لهوله الولدان
هذا وعنترة ما وقع على خصم الا حطمهُ وما زالوا على هذه الحال حتى اقبلت جيوش
الظلام فافترقوا وعادت بنو عبس بعددها القليل وقد قتلت من اعداها اكثر من الفين
وعاد عنترة وهو مثل شقيقة الارجوان وعادت بنو زهران وبنو ضبيان وقد بان فيهم
النقصان وعلموا انهم في خسران فاجتمعت اكابرهم يتشاورون فيما يفعلون فقال بعضهم
الراي عندنا ان نجعل اكفاءنا دروعنا ونقاتل بين ايدي حريمنا حتى نفنى جميعنا والا ان
انهزمنا وطلبنا الفرار لا يبقى ديار ولا من ينفخ بنار ثم انهم صاروا يشجعون بعضهم البعض الى
الصباح فركبوا الى الحرب والكفاح فحمل عليهم عنترة وتبعتهُ بنو عبس وفرقوا عددهم
وابادوا مددهم وحمل عنترة على الاعلام فنكسها وكسرها ثم رجع ومن معهُ من الرجال
ومعهم ستمائة اسير. ثلثمائة من بني ضبيان وثلثمائة من بني زهران فضرب رقابهم عن بكرة
ابيهم وحمل هو ومن معهُ على ابياتهم فقتلوا منهم خلقًا لا تعد ولا تحصى وتركوا ديارهم
بلاقع ثم انهم رجعوا الى موضع المعمعة واخذوا ميسرة والمطال وادرجوها في الاكفان
وحملوها على ظهور الجمال وعادوا طالبين ارض الشربة والعلم السعدي وعيون عنترة تفيض
بالدموع ثم انهم ساروا الى احياء بني اسد ونزلوا عليهم فهربوا من بين ايديهم وخلوا لهم
المال فقال عنترة ياقوم هكذا حال الغنم اذا شمت رائحة الاسد تشرد في البر والفدفد ثم انهُ
اقام على المياه ثلاثة ايام الى ان استراح وفي اليوم الرابع رحل يطلب ديار قومهِ فبينما هو
سائر واذا بغبرة قد طلعت وعجاجة قد ارتفعت والى الجو صعدت وبعد ساعة تمزقت
وبان من تحتها بريق الصفاح وقدامهم فارس شديد كانهُ برج مشيد والى جانبهِ فارس اخر
يشابهه في الزي والمنظر الا انهُ اوفى منهُ قامة وامنع دعامة ولما نظروا الى عنترة وكثرة ما
معهُ من الاموال وذلك السبي الكثير طمعوا فيهِ ووقفوا عن المسير ونظر عنترة الى حسن
خيلهم وعددهم فطمع فيهم وفي قلة مددهم فوقف دونهم وقال يابني الاعمام من يكشف لنا
خبر هولاء القوم ومن اي العرب هم حتى نكون منهم على يقين وتزداد عندنا بمعرفتهم
البراهين فبينما هو معهم في الكلام والمقال واذا بفارس برز من بين تلك الابطال واطلق
نحو بني عبس حصانهُ ولم يزل حتى قرب من عنترة ونادى ياوجوه العرب اخبرونا بانسابكم
وبينوا لنا احسابكم فان كنتم لنا اصدقاء فياهناءكم وان كنتم لنا اعداء فيافناءكم فهذه الخيل
التي ترونها هي من بني قضاعة اهل الفتوة والشجاعة والمقدم علينا عمرو بن جلهمة القضاعي

المكني بذي الكلب الفارس الندب واخته الهيفاء قناصة الرجال فانتم من تكونون من الابطال فاوجزوا المقال واكشفوا حقيقة الحال قال وما اتم هذا الفارس كلامهُ حتى برز اليهِ من بني عبس واحد يقال لهُ اسد بن ماجد فانقض عليهِ مثل العقاب وكان عنترة قد امره برد الجواب فلما قاربهُ وحاذاه اطلق لسانهُ وناداه وقال لهُ يا فتى ميز امامك وانظر ما قدامك فنحن بنو عبس الاجواد ومقدمنا فارس الطراد عنترة بن شداد

قال الراوي فلما سمع الفارس ذلك الكلام صار كانهُ الجم بلجام وعاد راجعًا الى صاحبهِ وقال ايها البطل الهمام هولاء بنو عبس الكرام والمقدم عليهم عنترة بن شداد فارس الجلاد فلما سمع عمرو ذو الكلب ذلك المقال اهتز على سرجهِ ومال ونادى يا للعرب الا ما ابركها من غزوة تقرُّ بها العين اذ استوفي مالي على هذا الفارس من الدين لانهُ هو الذي اسر ابن عمي المتعجز بن فايز القضاعي اذ قبض عليهِ وسلمهُ الى خفاف بن ندبة حتى قتلهُ وضرب منهُ الرقبة قال الراوي وكان هذا الفارس بطلاً كمي . وسبب تسميتهِ بهذا الاسم الذي هو انهُ كان لهُ كلب مثل الاسد الرهيص ياكل بهِ الغفارات فسموه ذا الكلب وكان بطلاً لا يطاق في مواقف الحرب وكانت لهُ اخت تلقب بقناصة الرجال واسمها الهيفا وكانت اشد باسًا من الابطال في مقام الضرب والنزال فاتفق انها حضرت مع اخيها ومن معها من الفرسان في دعوة بعض الخلان فالتقوا بعنترة في ذلك المكان وارسل عمرو ذو الكلب واستخبر فعرف ان هذا عنتر فبرز اليهِ لاخذ الثار وكشف العار فالتقاه عنترة واخذا بالحرب والصدام الى ان اقبل الظلام فافترقا على سلامة وطلبا الراحة للمنام . ولما اصبح الصباح برز عمرو ذو الكلب الى مقام الكفاح وطلب عنترة الفرسان وتقابلا في الميدان وما زالا في اشد قتال حتى اقبل الليل بالانسدال ورجع كل منهما الى اصحابهِ فسالت عمرًا اختهُ عن فروسية عنتر فقال لهم والله انهُ اسد غضنفر تخضع لهُ رقاب الشجعان وقد امسيت الليلة من قتالهِ تعبان على اني غدًا اجعلها معهُ وقعة الانفصال واذيقهُ الوبال

قال الراوي هذا ما كان من هولاء واما بنو عبس فانهم سألوا عنترة عن عمرو وفروسيتهِ فقال والله يا بني عمي انهُ فارس ريبال ولكن غدًا اجعلها معهُ وقعة الانفصال ولما اصبح الصباح برز عمرو الى الميدان وطلب عنترة فارس الطعان فجاولهُ الى الظهر فقصر عمرو وعرف ان عنترا اسد غضنفر وزال من عمرو الطمع فرمى الرمح من يده وتبسم في وجه عنتر وطلب مصافاتهُ فاجابهُ الى ما اراد واتفقا على المحبة والوداد وقال عمرو ذو الكلب انا صرت عبسيًا عدنانيًا فقال لهُ قومهُ ونحن ايضًا فقال عمرو يا ابا الفوارس قد اخترت ان اكون باقي عمري في ركابك

وقالت الهيفاء كذلك وفعلت كما فعل اخوها ثم مشى العسكران في ركاب عنترة وعادوا طالبين العلم السعدي وارض الشربة فالتقاهم بنو عبس الكرام بالتجلة والاحترام هذا وعنترة لا تنشف دمعته على ولده ميسرة وابن اخته المطال وما بقي في الحي الا من بكى لبكاه واتى اليه وعزاه الا الربيع بن زياد واخوه عمارة القواد . والربيع يقول اتبع الله المقيمين بالراحلين لان سعادة عنترة قد ولت وايامه اضمحلت فقد اخذ الزمان يسترد ما اعطاه واقترب موته وفناه

قال الراوي ودفن عنترة ميسرة والمطال بجانب العلم السعدي وجعلهما في قبر واحد وذبح على قبرهما مائة ناقة وجعل لحمها لاهل الفقر والفاقة وحزن عليهما حزناً كثيراً وبقي على ذلك مدة طويلة لكنه جعل يتسلى بعمر ذي الكلب وزيد بن عروة وانزل بني قضاعة في ابياته وصار يقضي معهم اكثر اوقاته هذا وقد جعلت عبلة تسليه وتحسن مداراته وتقول له يا ابن العم ان الله تعالى اخذ ما اعطى وهو الاحق بالاخذ والعطا وما دمت انت تعيش وتبقى فلا يدخل على بني عبس بؤس ولا شقا فاستسلم لحكم القضاء قال ولما كان في بعض الايام ركب عنترة وركب صحبته عمرو ذو الكلب واخته الهيفا وزيد بن عروة ورجالهم الكرام وطلبوا الصيد والقنص وغابوا في البر ثلاثة ايام وعادوا الى الاحياء ومعهم شيء كثير من الوحوش وقد فرحوا بتسلية عنترة عما نزل به من الهموم والالام ولما قربوا من الخيام اذا بالضجة قد علت من النساء والخدام وكثر النوح والتعداد في ابيات بني قراد فسال عنترة عن الخبر فقيل له يا مولانا قتل اخوك شيبوب ونزلت به الكروب فاندهش عنترة وحار ولحقه الانبهار فبينما هو كذلك واذا بالخذروف اقبل وهو مشقوق الثياب بادي الانتحاب قد حثا التراب على راسه وانزعجت جميع حواسه ودموعه تجري على خديه كالامطار واخذ يدق على صدره بالاحجار فلما راه عنترة على تلك الحال لم يتمالك عقله دون ان رمى روحه عليه ولطم على وجهه حتى بدا الدم من منخريه وغشي عليه لان شيبوباً كان عدته في الشدائد وعمدته في الاوابد فترجل عمرو ذو الكلب وبكى وان واشتكى وفعلت كذلك سائر اخوته ولما افاق عنترة من غشيته دخل الى مضربه والخذروف في صحبته فراى شيبوباً مذبوحاً وراسه مقطوعاً وهو جسد بلا روح فصاح ووقع مغشياً عليه وجرى على الخذروف مثلما جرى عليه ثم اجتمعت بنو قراد وعملوا ماتماً عظيماً واكثروا من النواح والتعداد واستدعي عنترة عبد شيبوب ومن كان معه في البيت وسالهم عما كان من امره فقالوا والله يا مولانا انك لما مضيت انت الى الصيد وتخلف اخوك شيبوب في الاحياء قدم عليه عبد من العرب فاستجار به فاجاره وساله عن حاله فقال له انني من عبيد بني محارب وكنت

اعشق امة وهي تعشق غيري فغرت من ذلك ودخلت عليهما وهما نائمان وذبحتهما ولم اجد من التجي اليهِ من الانام الا اخاك عنترة الفارس الهمام

ثم بكى وانتحب فرحمهُ شيبوب ورق لهُ ولما كان الغد دخلنا على شيبوب فرايناه مذبوحًا وهو جثة بلا روح وراسهُ في ناحية و بدنهُ في ناحية والعبد الذي استجار بهِ ما وجدناه ولا علمنا لهُ خبر فبكى عنترة وتحسر ولحقهُ الاسى والضجر ثم دفن اخاه شيبوبًا في جنب ميسرة والمطال ونحر على قبره شيئًا كثيرًا من النوق والجمال وحزن عليهِ حزنًا شديدًا وبقي مدة طويلة لا يرد جوابًا ولا يبدي خطابًا ولا علم قاتل اخيهِ حتى يمضي اليهِ و ياخذ روحهُ من بين جنبيه فلازم التعداد و بقي مسلوب الفواد

قال الراوي وكان السبب في قتل شيبوب اننا ذكرنا في اول السيرة ما جرى لما سرق ناهب بن المخنلس الجواد واوصلهُ الى لقيط بن زرارة فبعد موت المخنلس نشأ لهُ اخ يقال لهُ سارح السلال وكان افرس من اخيهِ ومن اصحاب الفضائح الذين يفتخرون بالقبائح فاتفق انهُ راى ذات يوم جارية فخطبها من ابيها فقال لهُ ابوها ياولدي انت تعلم انهُ لا يخطب بنات السادات الا من ياخذ الثار و يكشف العار فكيف تقدم على هذه الامور وانت رجل ماسور فقال وعند من ثاري قال ثار اخيك عند عنترة بن شداد وشيبوب فمتى قتلتهما واخذت ثارك زوجتك ابنتي فقال سارح اشهد عليك فاعلن لهُ واشهد على نفسه انهُ متى اخذ ثاره يصاهرهُ فمضى سارح حتى وصل الى ديار بني عبس ولم يجد عنترة بل وجد شيبوبًا وعمل عليهِ هذه الحيلة واقام عندهُ ثلاثة ايام في بيت المضيف وفي الليلة الرابعة نام شيبوب عنده يوانسهُ و يسليهِ فصبر على شيبوب حتى استغرق في المنام وقام اليهِ وذبحهُ من وريديهِ ورجع طالبًا حلة قومهِ وعند الصباح دخل الخذروف على ابيهِ فوجده في الحالة التي قدمنا ذكرها اما عنترة فحرم على نفسهِ الطعام والشراب واقام يتنشق الاخبار حتى يعرف قاتل اخيهِ هذا ما كان من هولاء واما ما كان من سارح السلال فانهُ لما قتل شيبوبًا سار يقطع البراري والقفار حتى وصل الى الديار واخبرهم انهُ قتل شيبوب وانزل بهِ الكروب وانهُ وجد عنترة غائبًا وقال لهم لو كان حاضرًا لقتلتهُ ففرح قومهُ وعملوا الولائم ونحروا النحور وداوموا الفرح والسرور ثم ان سارحًا طلب زوجتهُ من ابيها فانعم لهُ بها ودامت افراحهم سبعة ايام وزفت زوجتهُ اليهِ وطاب لهُ المقام

قال الراوي هذا ما كان من هولاء واما ما كان من عنترة فانهُ لما زادت بهِ الاحزان والالام نظر الى اخيهِ جرير وابن اخيهِ الخذروف وقال لهما اما تقدران ان تكشفا ما بقلبي

من الكروب وتعرفا لي قاتل اخي شيبوب فاذهبا وطوفا الحلل والقبائل ولا تعودا الا بصحة الخبر ولو اقمتما عاماً كامل فقالا سمعاً وطاعة ثم انهما خرجا في الحال وظفقا يطوفان الحلل الى ان كان في بعض الايام والخذروف سائر في البر والاكام اتت طريقة على بني ضهية فوجدهم في مهرجان والجواري ينقرن بالدفوف والعبيد يلعبون بالسيوف وهم في فرح وسرور وقد مدوا السماطات ودارت عليهم الكاسات فتقرب وسال بعض الرعيان وقال له يا ابن الخالة ما لي اراكم في مهرجان أعندكم عرس لبعض الفرسان فقال له الراعي نعم يا ابن الخالة عندنا عرس لرجل شجاع وقرم مناع وهو سارح السلال اخو الخناس الذي قتله عنترة وقد سار الى عنترة ليقتله فلم يجده فوجد اخاه شيبوباً فقتله واخذ ثاره وهذا العرس عرسه فلما سمع الخذروف ذلك الخبر رجع على الاثر واخبر عمه عنتر ففرح واستبشر واعلم رجاله بان قاتل اخيه قد ظهر وهو رجل من بني ضهية يقال له سارح السلال وامرهم بالمسير لاخذ الثار وكشف العار فركبوا وساروا بهمة جرية الى ان وصلوا الى بني ضهية وشنوا الغارة على مراعيهم واموالهم وساقوا نوقهم وجمالهم فوصل الخبر الى اهل الحلة فركبت الرجال واعتدت الابطال وساروا هم وحلفاؤهم الذين دعوهم لحفلة العرس ولحقوا عنترة ورجاله فلما نظر عنترة غبارهم قدم الغنيمة الى بين يديه واستقبلهم بصدره واخذ ينادي يالثارات الامير شيبوب وحملت معه الرجال وزادت الاهوال ولم يزالوا في حرب وقتال حتى مضى النهار واقبل الليل بالاعتكار فافترقوا عن بعضهم البعض بعد ما امتلأت بالقتلى جنبات الارض واوقدوا النيران وتحارس الفريقان ولما اصبح الصباح ثار القوم الى الكفاح فتقدمت الرجال الى بشر بن عبد اللات الدهمي والمرقال بن جندلة الضهوي وشكوا لهما ما لقوا من حرب بني عبس من الاهوال ولاسيما من عنترة الضرغام الذي خضعت له الاسد في الاجام وقالوا لهما نحن لسنا كفوءاً له فليخرج اليه واحد منكما يقتله ويفتخر بقتله بين قبائل العرب ذوي الرتب وان كنتما عاجزين عن قتاله فاخبرانا حتى نطلب الهرب ونترك له الاموال والسلب

قال الراوي فلما سمع بشر هذا الكلام همّ ان يبرز اليه ويبلغ المرام فسبقه المرقال بعد ما طيب قلوب الرجال ووعدهم ببلوغ الامال وبرز الى الميدان وطلب عنترة واكثر عليه الفشار وعرفه بنفسه وركوبه الاخطار فقفز اليه عنترة وقال له ويلك يا اخس الرجال اتهددني برجالك وحربك ونزالك فاليوم ارمل عيالك واقطع بهذا السيف اوصالك

قال الراوي ثم اطبق كل واحد على خصمه وجاول المرقال عنترة ساعة من النهار

فراه بحرا زخار لا يقع عليهِ عيار فندم على نزولهِ اليهِ لكنهُ اختار البوار على الهزيمة والعار وراءه عنترة منهُ التقصير وقاربهُ حتى حك الركاب بالركاب وضربهُ بالسيف على راسهِ نزل يهوي الى تكة لباسهِ وحمل على الميمنة قلبها وعلى الميسرة اتعبها فلما رات بنو ضهية ذلك اقبلوا على سارح بالملام وقالوا لهُ هذا الذي جلبتهُ علينا من الوبال لاجل ثار اخيك فلا وقيت حادثات الايام والليال فلم لا تبرز الى خصمك وتكفينا شره في المجال فاخذت سارح الحمية ونخوة الجاهلية وبرز الى عنترة وصاح بهِ وقال لهُ ويلك انا سارح اخو المخلس قاتل اخيك شيبوب واليوم الحقك بهِ وانزل بك الكروب فلم يكلمهُ عنترة بكلام بل اخترط الضامي الابتر وضربهُ ضربة جبار لا تبقي ولا تذر قسمهُ قسمين ورماه الى الارض قطعتين وداسهُ بالجواد وفرج ما بقلبهِ من الاحقاد

الكتاب الثامن والاربعون بعد المائة

من سيرة عنترة بن شداد العبسي

ثم انهُ صال وجال وطلب الابطال فتقدمت عند ذلك بنو ضهية الى بشر بن عبد اللات الدهي وشكوا اليهِ حالهم فوعدهم باخذ ثارهم وكشف عارهم ثم ركب ظهر جواده ولبس آلة حربه وجلاده وبرز الى الميدان فلم يدعه عنترة يفتل العنان دون ان طعنهُ بالرمح في صدره اطلعهُ من غفارة ظهره وشالهُ على راس السنان ورماه الى بني ضهية فوقع على فارس قتلهُ هو والحصان

قال الراوي فحمل بنو ضهية على عنترة فعندها نادى عمرو ذو الكلب يالعبس يالعدنان انجدوا فارسكم الاسد وسيفكم المهند فحملت بنو عبس وحمل عمرو ذو الكلب واخوتهُ قناصة الرجال واشتد القتال وكثرت الاهوال وجرى الدم وسال ولم يزل السيف يعمل حتى ولت بنو ضهية وبنودهان وتفرقوا هاربين في البراري والقيعان فدخل عنترة واصحابهُ خيامهم ونهبوها وقلعوا الاحياء وما فيها والتقى عنترة بعمرو ذي الكلب فشكره على فعالهِ ثم انهم انثنوا راجعين الى الاوطان وعنترة في اوائلهم كانهُ النمر الحردان وهو حزين القلب ودمعهُ مسكوب من حزنهِ على اخيهِ شيبوب

قال الراوي وما زالوا يقطعون القفار حتى وصلوا الى الديار ونزل عنترة فاستقبلتهُ عبلة وانحنت على صدره وجعلت تقبلهُ في عارضهِ ونحره وهناتهُ بالسلامة وفرحت بقدومهِ ولما استقر بهِ المقام اتاه الملك قيس وسلم عليهِ وعزاه في اخيهِ شيبوب ونظر عمارة الى ما اتى بهِ عنترة من

الاموال فانشقت مرارتهُ من الغيظ واخذه البلبال وقال لاخيهِ الربيع ترى متى انظر قتلة عنترة وافرح بصرعهِ قبل موتي ولو بيوم واحد فقال لهُ الربيع اعلم يا اخي ان عنترة قد دنا بوارهُ وقرب دمارهُ كيف لا وقد فقد اولاده وقتلت حماتهُ وكثرت اضداده فسمعهم احد محبي عنتر فبلغهُ الخبر فنما غيظ عنترة وزاد وثارت بقلبهِ الاحقاد فقال لهُ عمرو ذو الكلب يا ابا الفوارس لا تغتم فما دمت انت سالمًا لا يزالون اليك محتاجين و بسيفك على الاعداء منتصرين فقال عنترة وحق صحبتك لو وصفت لك ما فعلت من الجميل مع بني زياد وما قابلوني بهِ من الفساد لاخذك العجب فقال يا ابا الفوارس هذا يدل على خساسة اصلهم ورداءة فعلهم وشؤم تدبيرهم فان كنت تريد الرحيل عن بني عبس رحلنا من عندهم وتركناهم نهبًا للعربان وديارهم مسكنًا للبوم والغربان وانا وقومي لا نفارقك واينما سرت سرنا معك فشكره عنترة على كلامهِ وتسلى بهِ عن اولاده وخلانهِ واشتغل بانتهاب اللذات والافراح والمسرات وكانت الهيفاء اخت عمرو ذي الكلب قد الفت عبلة دون النساء وراق لها الزمان وصارتا كانهما روحين في جسد وجعلتا على بعضهما البعض المعتمد هذا وعبلة تحدثها بما لقيت من قبائل العربان وما قاسى عنترة من اجلها من الهوان وما فعلت بهم بنو زياد من قبيح الفعال والفساد فاخذت الهيفاء تسليها وتقول لها يا اختي دعي ما مضى وفات ولا تتعرضي لاحكام رب الارض السماوات فبينما هما ذات يوم جالستين واذا بعمرو اخي عبلة داخل عليها وهو يبكي وقد قامت عيناه في ام راسهِ وانزعجت من الغيظ سائر حواسهِ فقامت اختهُ اليهِ وقبلتهُ بين عينيهِ وقالت لهُ جعلت فداك اخبرني ماذا حل بك فقال لها يا اختاه اما كفانا ما لقينا من اول الزمان وما فعلهُ حامينا عنترة وكيف بدل خوفنا بامان حتى يتكلم بحقهِ بنو زياد كلامًا قبيحًا ويضمرون لهُ الفساد لاسيا الربيع واخوهُ عمارة القواد فقالت لهُ عبلة وما الذي جرى منهم وما الذي سمعتهُ من المكائد عنهم فقال لها خرجت في جماعة من بني عمنا نطلب المعاش والمكسب كعادة فرسان العرب فوقعنا في بني فهد وسقنا اموالهم واخذنا نوقهم وجمالهم فخرجت الينا فرسانهم وابطالهم فانتصرنا عليهم وعدنا سالمين و بغنائمنا فرحين فلما وصلنا الى الديار سمعت الربيع يقول لاخيهِ عمارة الا ترى عمرًا اخا عبلة كيف ان عنترة قواه حتى صار شجاعًا وقرمًا مناعًا يغزو البلاد والقبائل و يشرد العرب عن الاحياء والمناهل ونسي ما هو فيهِ من الذل والعار والويل والشنار فقال لهُ عمارة ها قد انصرم حبل عزمهم وانهدم ركن مجدهم وقد قرب زوالهم وكانك بهم وقد هلك عنترة عبدهم فقال الربيع يا وهاب ومتى هلك عنترة تصبح بنو قراد مثل الكلاب وعبلة في ابياتنا مثل الامة واخوها ذليلاً مهانًا ولا بد ان نحكم فيهم

يا ثريد فيمسون عندنا اقل من العبيد وكانك بالعرب وقد اكلتهم بعد عنترة اكل الثريد ويصبحون عبرة للقريب والبعيد وكان عمرو اخوها يحدثها بهذا الكلام ودموعها على خدودها سجام وقال لها والله يا اختي لما سمعت كلامهم انفطرت مرارتي وذبت بحسرتي ولولا خوفي من ان تثور الفتنة لقتلت الربيع وعمارة شر قتلة واخذنا ثارنا منهم بعوامل الاشطان واحرقنا قلوبهم على جمر النيران

فلما سمعت عبلة ذلك الكلام اعتراها الهم والهيام ودخلت الى مضربها وبكت حتى بلت عقودها وانصرف اخوها عمرو وتركها على هذه الحال زائدة الهم والبلبال ·

قال الراوي وكان عنترة يتسلى بزيد بن عروة عن ابيه واخيه وقد نزل في قلبه اعز من ابيه واشتغل ايضًا بعمرو ذي الكلب وصار لا يأكل ولا يشرب الا معها وداموا على ذلك الحال في اهناء عيش واقبال فانصرف عنترة ذات يوم الى ابيات بني قراد فالتقى بالهيفاء قناصة الرجال وهي طالبة خيام اخيها فاعادت عليه جميع ما قالته الربيع فتعجب من ذلك الامر الفظيع ولما وصلت الى مضاربها اخبرت اخاها عمرًا بالقصة فقال لها والله اني لاعجب من عنترة كيف يصبر على هولاء الاوغاد فقالت اخته والله يا اخي ما عنترة الا درة يتيمة عند من لا يعرف لها قيمة لاسيما عبلة يا اخي فاني لا اقدر ان اصف صفاتها وقد ذكرت ان عمارة عادى عنترة من اجلها وانا وحق الاله العظيم لولا خوفي من عتابها لكنت افعل بعمارة مثلما فعلت بابن عمي قتادة فقال لها يا اختاه نحن عند هولاء القوم ضيوف فلا يليق بنا ان نلقي بينهم النفرة هذا ما كان من عمرو واخته واما الامير عنترة فانه دخل الى مضربه فوجد عبلة له في الانتظار وقد قل منها الاصطبار وهي بادية الدمعة كثيرة اللوعة فلما رآها على ذلك الحال زاد بلباله وتغيرت احواله وسألها عن بكاها وسبب شكواها فاخبرته بالخبر وقالت له يا ابن العم ما هذا الحال فانا والله ما عدت اقدر على احتمال هذا الاذلال فطيب قلبها ونام الى الصباح فاتاه عبد الملك قيس وقال يا مولاي اجب سيدي فانه يدعوك فقام عنترة وخرج طالبًا الملك قيس فلقيه عمرو ذو الكلب وسلم عليه فقال عنترة سر بنا يا مولاي الى الملك قيس فسارا حتى اذا وصلا اليه وجدا عنده جميع اخوته وسائر اهله وعشيرته وهم يتذاكرون بما جرى لهم من قديم الزمان وما تجدد عليهم من الاحزان فدخلا فقام لها الجميع على الاقدام وقام الربيع موافقًا الجماعة فجذبه اخوه عمارة من ذيله وقال له اقعد وما قدر هذا اللئيم حتى نقوم له ففهم عنترة ما فعله ابنا زياد فاخذته عليهما الاحقاد ونظر عمرو ذو الكلب ذلك فعلم ان الامر يوءل الى فساد ثم جلس الساداث وارباب المقامات وجلس عنترة وعمرو

ذو الكلب بجانبهِ وقد احتفل المجلس واخذوا يتذاكرون بما جرى لهم من الوقائع وتذكر الملك قيس قتلة اخيهِ الحارث فانقلب المجلس بالبكاء والنحيب وتحسرت بنو عبس تحسر من ايقن بالهلاك عن قريب فقال ورقاء ابن الملك زهير والله يا بني عمي هذه دلائل قلع الاثار وخراب الديار فما تحترمنا العرب وتهابنا الا بهيبة ابن عمنا عنتر و بهيبة هذا السيد الاخر واشار الى عمرو ذي الكلب الذي قد منّ الله علينا بهِ في هذا الزمان وازال عنا بقربهِ الهم والاحزان . قال فقام عمرو على اقدامهِ وخدم ودعا وتكلم وقال ياسادات العرب واهل المناصب والرتب لست اذكر بوجود هذا الاسد الباسل والقرم الحلاحل واشار الى عنترة الذي قهر الفرسان بشجاعتهِ واوقع الخوف في قلوب العرب والعجم بجسارتهِ وابكم البلغاء في فصاحتهِ و براعتهِ وانا عتيق سيفهِ ومن بعض غلمانهِ واخترت ان اكون باقي عمري من خلانهِ فاتركوا عنكم العتاب والعناد واصرفوا الضغاين والاحقاد وتفكروا بمن مضى من الاباء والاجداد واعلموا انهُ ما طاب لي المقام عندكم واقمت بارضكم الا لاكون فدى لكم وعبدًا للملك قيس وعنترة بن شداد وقد تبعتهُ وتركت ارضي وجعلتهُ من الدنيا حظي فشكره قيس واثنى عليهِ و بعد ذلك اخذوا يتطاربون في الكلام وقلوب بني زياد ملتهبة بنار الاضطرام وقد تعجبوا من عمرو كيف أسره عنترة وقهرهُ مع فروسيتهِ وطول قامتهِ وعظم هامتهِ فقال عمارة للربيع يااخي لو نظرت اختهُ قناصة الرجال وما حازت من الحسن والجمال لحرت فيها وسبتك معانيها فلها عينان احد من السيوف الصقال فوالله يااخي اشتهي ان اتزوج بها فقال الربيع اسكت اخرس الله لسانك اما تستحي يامذلول الشارب ان تكون لهذه الفارسة مقارب فوالله ان تعرضت لها قتلتك لاننا سمعنا انها قتلت ابن عمها لما تعرض لها وانا والله قد كرهت الحياة من جهالتك لانك تغضب علينا الناس بحماقتك كل هذا يجرى بين الربيع وعمارة والناس مشتغلون بالاحاديث اما عنترة فان بالهُ كان عند بني زياد وما خفي عليهِ امرهم واحتفل المجلس باعادة الحديث وتذكروا ما كان عليهم مكتوب وافتكروا بقتلة شيبوب فقال الملك قيس والله لقد عدمنا رايهُ وتدبيره وتاسف عليهِ الجميع الا عمارة والربيع

قال الراوي و بلغني ان عنترة لما تذكروا شيبوبًا تهاطلت الدموع من عينيه وتجددت احزانهُ واغمي عليه فاخذ الملك قيس يسال عمرًا عن قتال عنترة مع بني ضبية فحدثهم بهِ وكيف انزل بهم عنترة الرزية وكيف قتل سارحًا قاتل اخيهِ واخذ الاموال وعفا عن الحريم والعيال هذا وقد فتح عنترة عينيهِ ونظر الى الجماعة الذين حواليهِ وعمرو يذكر لهم الوقعة التي جرت وقال لهم ان الآجال مقدرة ولا اعتراض على حكم القضا وانا اقبلهُ بكل

الرضى ولكن خالقي سلط عليّ من لا ينام ولا يغفل عن كشف ستري ويطلب هلاكي وضري فوالله لقد عيل صبري وحرت في امري فوحق من رفع السبع الطباق وقدر الاجال والارزاق لئن لم تنتبه اعدائي من مساوي الاخلاق لاشتتنهم في الافاق لاني كلما واصلت قطعوا وكلما حلمت وعفوت ظلموا وكلما احتملت من بني زياد جهلوا وهذا الملك قيس يسمع خطابي ويرد جوابي والا وحق من سطح الارض وزينها بالنبات رحلت عنكم وجعلتكم دابي في كل الاوقات

فلما سمع الملك قيس هذا الكلام علم ان النوبة عظيمة فقال يا ابا الفوارس نحن قد اجتمعنا لنصرف ما عندنا من الاحزان ونغسل قلوبنا من الجفا والادران فما مضى فقد مضى فبالله عليكم يا بني الاعمام اقلوا من الاحقاد فانني خائف عليكم مما رايتكم فيه في المنام فقال عنترة يا ملك ما على هذه العشيرة اضر من جميلك الربيع واخيه عمارة واعلم ان فيهما نقع الخسارة فلما سمع الربيع ذلك رجع الى خبثه ودهائه وقال يا ابا الفوارس لا تبرح في قلبك مبغوضين وقد شمت فينا العدو والحسود فما الذي بلغك عنا من النميمة حتى ما تركت لنا عند احد قدراً ولا قيمة فقال له لما قدم ابن عمي عمرو من سفرته ماذا قلت له حتى تغيرت حالته وبم غيره اخوك عمارة فاندهل الربيع وتحير وعلم ان الكلام وصل الى عنتر فرجع الى المحال وقال والله يا ابا الفوارس ما كان كلام اخي معه الا على سبيل المزاح. ما ذكرك بشيء من القبح ونحن طول دهرنا لا نعرف منك الا الاحسان وتتعطف علينا بالفضل والامان وما نحن الا تحت ظل سيفك والسنان وانت حامينا من جميع العرب ومزيل عنا الغم والكرب فلما سمع عنترة كلام الربيع لان جانبه وترك ما كان عزم عليه لانه كان رقيق الفؤاد حليم الطبع فعند ذلك تكلم الامير عمرو ذو الكلب وقال يا بني عبس الكرام اتركوا هذا الكلام ودعوا الملك قيس يحدثنا بخبر المنام فامتثلت الناس مقالة واقبلوا على الملك قيس وقالوا له ايها الملك ها نحن قد ابطلنا الكلام فحدثنا بما رايت في المنام فقال لهم يا بني الاعمام انا ما جمعتكم الا لهذه الاسباب التي انا منها في حساب فوحق من يعلم السر المكنون لو قدرت لجعلت ابن عمي عنترة في سواد العيون لانه ما اخذ لنا بثار اخي غيره ونحن في الحصون فقام عنترة وقبل الارض وقال له يا ملك الزمان ما انت الا ملكنا والحاكم علينا واليك تشد الرحال وانت معدن الجود والافضال فدعنا الساعة من هذا الكلام واشرح لنا ما رايته في المنام فقال الملك قيس يا بني عمي انه لما اتاني نعي اخي الحارث نابني من ذلك هم عظيم وحزن جسيم ولما نمت رايت نفسي كاني طائر بين السماء والارض وحولي طيور جوارح مختلفة الالوان لا تشبه بعضها البعض ثم رايت

طيوراً من العقبان والنسور وقد انقضت علينا فاخذنا في الهرب وهي خلفنا في الطلب ولم نزل كذلك حتى افترقنا ثلاث فرق الفرقة الواحدة طلبت الجبال والفرقة الثانية خطفتها تلك العقبان والفرقة الثالثة غرقت في البحار وما بان لها اثار فانتبهت مرعوباً وانا والله خائف من عاقبة هذا المنام فبالله عليكم يا قوم الزموا مع بعضكم الوداد ودعوا عنكم الشر والعناد وانزعوا من بينكم الاحقاد لان تفريقنا قد دنا وسوف يحل بنا العنا

قال الراوي ولم يزالوا على مثل ذلك الكلام حتى اتاهم العبيد بالطعام ودار بينهم الحديث الى الظلام ثم تفرقوا الى الخيام وسار الامير عنترة وعمرو ذو الكلب الى الابيات واخذا بانتهاب المسرات وسألت عبلة عنتر عما كان من الخبر وعن دعوة الملك قيس فاخبرها بما سمع ورأى وما جرى بينه وبين الربيع بن زياد ثم قال لها يا ابنة العم وحق من خلق العباد لابد ان افني سائر بني زياد الاوغاد واجعلهم مثلاً بين العباد فقالت له يا ابن العم لم لا ترحل بنا من عند اعداك وتنزل على بعض محبيك واصدقاك فقال والله يا بنت العم لا ارحل من هذه الديار حتى اقلع من بني زياد الاثار وابر بقسم اقسمته فتكونين قد حلفت يميناً ما خنته

قال الراوي ولما انصرف الناس من عند الملك قيس لم يبق عنده غير عمارة والربيع فقال الربيع كيف ترى ايها الملك كلام عنترة بحقنا والى متى يحتقرنا وانت حصننا فقال قيس انا ما بقي لي سبيل الى مضادة عنتر لاسيما وقد التجأ اليه عمرو الاسد الغضنفر فقال عمارة ايها الملك العظيم كيف اكون انا عمارة ويذلني عبد شداد الزنيم فوحق ذمة العرب لابد لي من قتله واوقع به العطب وكان اليوم في نيتي ان اقوم اليه واخذ روحه من بين جنبيه ولكني خفت من فسخ ذمامك فلما سمع قيس ذلك الكلام قال والله يا عمارة انك طالب شيئاً لا تقدر عليه فلست والله من رجاله وانا الملك قيس ملك هذه الارض والبلاد ومع هذا كله لا اقدر ان اقاوم عنترة بن شداد فدع عنك البغي والعناد واعلم انه لو قتل عنترة لاكلتنا العربان واذا التحق به اقل شيء من الامتهان لما ابقى منا عمرو واخته انسان فقوما وانصرفا عنا ودعانا من القال والقيل فما منا الا من هو لسيف عنترة محتاج وبين يديه ذليل فعند ذلك قاما وخرجا في الحال ومضيا وقد زادت نارهما اشتعال قال وباتت بنو عبس في وسواس من حلم قيس وفي ثاني الايام قام جرير يهيىء الابجر لاخيه عنتر فاذا بعبد من عبيد الملك قيس قد اقبل عليه وكان رفيقه وانيسه وصديقه وجليسه وكان اسمه ناصحاً وكان يحب جريراً محبة شديدة فلما راه جرير سعى اليه وقال له يا اخي هل لك من حاجة اقضيها فقال والله ما لي من حاجة ولكن سمعت البارحة حديثاً في حق اخيك عنتر وانيت لاعلمك به حتى تكونوا

من بني زياد على حذر فقال وماهو يا ابن الخالة فاخبره بما جرى بين قيس و بين الربيع وعمارة وانهٔ طردها فلما سمع جرير هذا الخبر اثنى على العبد وشكر ثم انصرف العبد وخرج عنترة من مضربهِ وركب جوادهُ فاخذت عبلة توصيهِ بسرعة العودة لانها اضحت في تلك الايام لاتجد عنهُ اصطباراً ليلاً ولا نهاراً ثم انهُ سار طالباً اصحابهُ واخوه جرير سائر في ركابهِ يحدثهُ عن عمارة والربيع فلما سمع عنترة ذلك ضاقت عليهِ المسالك وقال لجرير اكتم هذا الكلام عن عبلة فانهُ لابد ان اقتل بني زياد شر قتلة ثم انهُ سار فالتقاه عمرو ذو الكلب واختهُ قناصة الرجال وهي كانها الاسد الرئبال فبادأه بالسلام وتقدم عمرو الى جنب الامير عنتر فراى وجههُ مغيرٍ وقد بان عليهِ الشر وظهر فقال لهُ ماشانك يا ابا الفوارس ومالي اراك كثير الهم والوساوس فقال يا اخي ماذا اقول في قوم قرب فناهم فلعن الله بني زياد ما اكثر دهاهم اما سمعت يا اخي شكرهم لنا في الظاهر وهو خلاف ما انطوت عليهِ الضمائر فوحق خالق الاوائل والاواخر لابد ان افنيهم بحد هذا السيف الباتر ثم اخبره بما قال عمارة من الاول الى الاخر

قال الراوي فقالت لهُ قناصة الرجال لاتضيق يا اخي صدرك فانا وحياة اختي عبلة ان شئت اخطفهم من اول وهلة واقتلهم اشأم قتلة لان عبلة حدثتني بما فعلوه في حقها ولولاك لكنت افنيت بني زياد وقطعت هذه الفتنة والعناد فشكرها عنترة وقال لها اصبري الان فلا بد لي من دمارهم وخراب ديارهم وان اقتل بني زياد وارحل من هذه البلاد فقال عمرو ذو الكلب اه ما اطول بالك انجز هلاك الخوان واخل من اعدائك الديار والاوطان وكل من جرد في وجهك حسام انزلنا بهِ الاعدام ثم انهم ساروا حتى التقوا بالملك قيس والربيع وعمارة فتقدم قيس الى جانب عنترة بعد ما سلم عليهِ وعلى من صحبهُ وسلاه عن شغل قلبهِ فشكره عنترة واثنى عليهِ ثم سار الملك قيس من حول الغدير وقال اعلم يا ابا الفوارس انهُ قد بقي في قلوبنا بعض الاحزان وانا عزمت ان اعمل وليمة اجمع فيها السادات والفرسان لنصرف عنا صروف الزمان بوجود هذا السيد واشار الى عمرو ذي الكلب الذي اولانا الجميل والاحسان لاننا من يوم عرفناه ما حضر معنا مسرات ولا نالهُ منا كرامات فعسى ان يكون الزمان منا قد هجع وهابنا عدونا وانقمع فقال لهُ عنترة افعل ما تريد ايها السيد الرشيد

قال الراوي وقضوا بالنزهة ذلك النهار ثم رجعوا طالبين الديار فقال عنترة لعمرو والله يا اخي قلبي نافر من دعوة الملك قيس لانهُ دعاني غير مرة الى وليمة واراد ان يقبض عليَّ و يسلمني الى الملك الاسود واخبره بالقصة وقال لهُ لولا ان الله ينصرني لاهلكوني فوالله قد كرهت صحبتهم فتعجب عمرو وقال لهُ اذا كان الامر كذلك وذهبنا الى الوليمة نترك خيلنا

مع العبيد على باب المضرب ونجعل سيوفنا مسلولة ولا نسرف في شرب الخمر واذا راينا ما لا يعجبنا بذلنا سيوفنا في الجميع وقتلنا عمارة والربيع هذا ما كان من هولاء واما الملك قيس فانهُ امر بجزر الجزور وترويق الخمور واراد ان يصرف الهم بالسرور ولا يدري انهُ يحدث من بعض الامور امور ودعا السادات وفتح خزاينهُ واخرج الخلع وغير عن اصحاب الحزن ملابسهم واراد بذلك جبر خواطرهم وان يزيل الحقد من رؤوسهم ويوكد بينهم العهد والايمان حتى يكونوا في صفا وامان وارسل الى الامير عنتر وامره ان يحضر ومعهُ صديقهُ عمرو فمضت العبيد واعلمتهُ وكان جالسًا مع عبلة والهيفاء وهو يحدثهما بما جرى مع بني زياد الاذلاء

قال الراوي فقال للعبيد اذهبوا الى مولاكم وقوموا بالخدمة فانا سائر وراءكم وقال لقناصة الرجال اذهبي الى عمرو واعلميه بهذا الحال واخبريه ان ياتي عندي حتى ندبر ما يكون فيه رشده ورشدي لانهُ اضحى معتمدي بعد فراق اخي وولدي فذهبت اليهِ واعلمتهُ بالدعوة وامرتهُ بالمسير الى عنتر فثار كانهُ الاسد القسور وركب جواده وسار حتى وصل الى عنتر فوجده لهُ في الانتظار وهو غائص في بحار الافتكار ثم انهم ساروا الى الوليمة فراوها قد احتفلت بالسادات والامراء والقادات فدخلوا وابدوا السلام فقاموا لهم على الاقدام وحيوهم بالاكرام وجلسوا عن يمين الملك قيس وكان الربيع وبنو زياد يجلسون عن يساره واخذ كل منهم مقامهُ ودارت عليهم الكاسات وغنت المولدات وطابت لهم الاوقات فعند ذلك اطنب الامير ورقا في مدح الامير عنترة وقام اليهِ والكاس في يده واثنى عليهِ فانفطرت مرارة الربيع وعمارة وكان عنترة جالسًا في مكان مرتفع ينظر اليهما فسمع الربيع يقول لاخيهِ عمارة ابن حماة عنتر واولاده فانهُ فقد الكل وذاب فواده واصبح وحيدًا فريد . لا يبدي ولا يعيد فلو وجد من يقتلهُ وهو سكران ويذيقهُ كاس الحين لما كان ينطح فيها كبشين فقال عمارة والله انك لصادق في هذا الكلام وسوف ترى ما افعل فيهِ يا ابن الكرام فوحق ذمة العرب لا بد لي من قتلهِ وابلغ منه المرام

قال الراوي فلما سمع عنترة ذلك الكلام صار الضياء في عينيهِ ظلام وضاقت الدنيا عليهِ وبقي لا يعرف ما بين يديهِ فسل سيفهُ من غمده وهزه حتى دب الموت من افرنده وسعى نحو الربيع وتقدم اليهِ فقام الربيع واقفًا على قدميهِ وظنهُ اتيًا ليسلم عليهِ ونهض عمارة ومال الى وراء اخيهِ فرفع عنترة يده حتى بان سواد ابطهِ وضرب الربيع بسيفهِ الابتر ضربة جبار لا تبقي ولا تذر فاجتازت الضربة من الربيع الى عمارة مثل لمح البصر فوقعا الى الارض

اربع قطع

قال الراوي فلما نظر قيس ذلك لطم على وجهه حتى بدا الدم من انفه وشق ثيابه وبهت كل من حضر من فعل عنتر وايقنوا بحلول العبر وانقلب الحي بما فيه وخرجت المدللة بنت الربيع زوجة الملك قيس وابنته الجانة وقد تهتكتا وهلبت الخيل وانقلبت المسرات بالويل وقطعت الذوائب وقامت الاحزان وندبت النوادب واحس الملك قيس بالشتات وشرب كاس الممات وتحسر على ما فات وصار النور في عينيه ظلام وايقن بصحبة المنام واكثر البكاء والنواح ولطمت الجمانة واكثرت الصياح وقامت المآتم في الابيات وحثوا التراب على روؤسهم وضاقت من ذلك الامر نفوسهم

قال الراوي ولما قتل الربيع وعمارة اظهر عمرو ذو الكلب عظيم اهتمامه وعزم ان كل من عارض عنترة سقاه كاس حمامه ثم ان عنترة واصحابه طلبوا ظاهر الخيام وفي يد كل واحد منهم حسام وركبوا خيولهم وعادوا الى ابياتهم فوجدوا القناصة قد اعتدت بعدتها عند سماع الصياح وعبلة تبكي على عنتر فرآته سالماً من الضرر ثم قال عمرو لعنترة اتاذن لي ان اقيم الحرب على قدم وساق واشتت بني زياد وبني عبس في الافاق قال وبينما هم كذلك واذا بورقا اقبل وقال يااباالفوارس لقد بيضت وجهك بهذا العمل فيقول لك اخي قيس اما ان ترحل عنه او يرحل هو ويترك لك الديار والاطلال فعند ذلك ودع عنترة ورقا واثنى عليه والدموع تتناثر من عينيه وقال له والله ياسيدي اني ما بقيت اجاور عبسياً ابداً لا قيساً ولا خلافه لا وحق العزيز الجبار ما بقيت اتكل الا على الله وعلى نفسي ولا اترجى الخير من صاحب الا من فرسي وسيفي ورمحي وترسي ثم قام من ساعته وقوض خيامه للارتحال وفعل عمرو كذلك واخته قناصة الرجال وسار عنترة وآل قراد قدامه ورحل عن بني عبس يطلب له منزلاً ينزل فيه ويتخذه سكناً وقال انا ما بعدت عن بني عبس وعدنان الا لاعرفهم بما يكون لي ولهم من الامر والشان فقال له عمرو واين تنزل بنا يااباالفوارس فقال له نقصد ارض العراق ونقيم فيها ونتوكل على الملك الخلاق او ننزل على جانب الفرات وافني بسيفي كل من هناك من الجبابرة العتاة فقال عمر ذو الكلب الامر اليك وها نحن بين يديك

قال الراوي فسار عنترة بالظعن والاموال واخذ يقطع المنازل والاطلال والعرب تجفل من بين يديه حتى وصلوا الى بحر الفرات قبالة مدينة عانة جنب خليج يسمى العارضيات فضرب هنالك خيامه واقام على اكل وشرب وقد امن من غوائل الزمان لان العرب كلها تخافه وكان عنترة قد نظر الى قناصة الرجال بعين المحبة فتحدث مع اخيها عمرو بزواجها

فشاورها اخوها فرضيت وفي الحال ضربت قبة الزفاف ودخل بها عنتر وبات معها الى وقت السحر وجرى كل ذلك وعبلة ما عندها خبر وفي ثاني الايام ساق الى عمرو مهرها على سبيل الهدية الف ناقة عصافيرية وخمسمائة من نوق جبل الدخان وخمسين امة وخمسين عبداً ومائة راس من الخيل وقضى معها العيش الهنيء وسره مكتوم عن عبلة ونسي بني عبس وارض الشربة هذا ما كان منه واما ما كان من بني عبس والملك قيس فانه بعد رحيل عنترة امر قيس بدفن الربيع وعمارة ونحر على قبرها النحور ثم اقبل على بني عبس وقال لهم اعلموا يا بني عمي لا بد للعرب ان تطمع فينا بغيبة عنترة لانها ما كانت تخافنا الا من اجله فلا عدتم تفارقوا الاطلال واحترزوا لانفسكم والعيال ولا تباتوا الا وانتم لابسون السلاح ومستعدون للكفاح فعندها تحسرت بنو عبس على فقد عنترة الفرسان وعزموا ان لا يفارقوا الاوطان

قال الراوي اما عنترة فلما نزل على الفرات جعل دابه شرب الراح ومداومة الافراح ودام على ذلك سنة من الزمان ووصل خبره الى قيصر ملك الروم وكان قيصر عزل عمرو ابن الحارث عن دمشق وولى عليها رجلاً من الروم يقال له طيفورس فاتصل الخبر بعنترة فسار الى دمشق وقتل طيفورس واعاد عمراً الى موضعه فعلم بذلك قيصر وخاف من عنتر واستشار وزيره فقال له من الراي ان تتخذ عنترة صديقك وقد سمعت انه غضبان على قومه وهجر ارضه ونزل على الفرات فالراي ان تدعوه الى بين يديك وتستميله اليك عسى ان ينفعنا في وقت الحاجة اليه لانه رجل مسعود الطالع فاستصوب قيصر هذا المقال وجهز له هدية في الحال وامر الوزير بالمسير اليه فسار الوزير حتى وصل الى عنترة ودعاه الى الملك قيصر ليجدد معه العهود فاجاب بالسمع والطاعة وقال للوزير اذهب انت بالسلامة واذا عرضت للملك حاجة فليدعني اليها فرجع الوزير الى قيصر واخبره بما قال عنتر ففرح بذلك واستبشر ثم انه لما كان في بعض الايام ورد على قيصر كتاب من ابن اخته بلقام صاحب رومية العظمى ففضه وقراه وعرف معناه وكان السبب في ذلك ان ملكاً من ملوك الافرنج يقال له بهمند بن موران وهو اخو الخليجان الذي قتله عنترة واخو سوبرت ونوبرت وكوبرت وكان عنترة قد قتل الخليجان كما قدمنا في اول السيرة لما حاصر مدائن كسرى وقتل اخويه سوبرت ونوبرت وبعد ذلك اصطلح مع قيصر وكان للخليجان اخ يقال له بهمند صغير السن ولما كبر ونشأ صار فارساً لا يطاق وعلقماً مر المذاق وكان ملك مدينة افرنجة وقلعة كفرنجة بركب في مائة الف فارس فاخبروه بما جرى على اخوته وكيف قتلهم عنترة بن شداد وكيف صالحه

بعد ذلك الملك قيصر .
قال الراوي فلما سمع بذلك شخر ونخر وقال ان الجهاد مع قيصر وعساكره مليح ثم عمر المراكب واوسقها رجالاً وكان عددها الف وسبعمائة وبعد ذلك سار طالباً رومية الكبرى وملكها بلقام بن مرقش ابن اخي الملك قيصر وكان بلقام فارساً شديداً فلما نظر الى تلك المراكب وقد احدقت برومية الكبرى امر بغلق ابوابها ونصبت الات الحصار وكانت هذه المدينة من المدن الكبيرة المذكورة في تلك الاعصار وهي بناية الغلس وفيها اربعة وعشرون برجاً وخمسة وعشرون بنده وطولها فرسخ وعرضها كذلك فاقاموا عليها القتال خمسة واربعين يوماً فلما راى ابن اخي الملك قيصر تلك الاهوال ارسل الى عمه كتاباً يخبره بحقيقة الاحوال
قال الراوي فلما سمع وزير الملك قيصر بذلك الخبر قال ما لهُ الا عنتر لان ملك افرنجة ما اتانا الا لاجل اخذ ثاره وعنترة متى سمع فيه لا يقعد عنهُ فراى الملك هذا الراي صواباً فكتب الى عنترة كتاباً يعلمهُ بما تم عليه ويدعوه اليه فتعجب عنترة من ذلك الحال وارسل فاحضر عمراً اذا الكلب في الحال واخبره بما جرى واستشاره في امر قيصر ونوبته فقال لهُ يا ابا الفوارس من الراي ان تسير الى نصرته وتكون من جملة رعيته وتقوم في خدمته وتهلك اعداءه وحساده فلما سمع عنترة هذا الكلام قال ايها الوزير لو عاداه كسرى انوشروان هدمنا على راسه الايوان لانهُ بادانا بالاحسان فاستجاد الوزير راي عنترة وانفذ في الحال خلف الرجال وامرهم بالمسير وكان قد صحب عنترة الف فارس من بني عبس ومن جملتهم زيد بن عروة ورجالهُ وسبيع اليمن وابطالهُ وانضم الى عنترة من بني غسان خمسة الاف من الفرسان ولما انفذ قيصر يستنجد بعنتر سار اليه في سبعة الاف فارس وخلف في الحلة الهيفاء قناصة الرجال وترك عندها الفي فارس من بني قضاعة وامرهم لها بالطاعة واوصاها بالمال والعيال فقالت لهُ سر يا ابا الفوارس وكن مطمان البال فلو اتانا عسكر كسرى لما قدر ان ينال منا منال فطاب بقولها قلب عنتر وعلم انها على ما تقول تقدر ثم انها ودعتهُ وسار عنترة طالباً الملك قيصر ولم يزل حتى وصل الى انطاكية ودخل على الملك قيصر ففرح به واستبشر وحياه بسلامه فشكره عنترة على انعامه ثم اعلمهُ بجميع الخبر ومسير بهمند بن موران وكيف انهُ خرج من جزيرة افرنجة وقلعة كفرنجة وهو في اربعمائة الف عنان من اشد الفرسان وانهُ في ابطاله وجنده وعسكره محاصر مدينة رومية الكبرى ثم حدث عنترة بسائر ما تم وجرى
قال الاصمعي فلما سمع عنترة من قيصر هذا الكلام قال لهُ ايها الملك الهمام لاجعلنهُ

احديثا بين الانام واترك سائر الخلق والبشر يتحدثون بما يجري بيني وبينه فلما سمع قيصر من عنترة ما قال وما ذكر فرح واستبشر وامل ببلوغ الوطر وخلع عليه وعلى من معه من الفرسان وامرهم ان ينصبوا لهم المضارب والخيام وينزلوا من اتى في صحبة عنترة على باب البلد وافرد له ولصديقه عمر ذو الكلب وسبيع اليمن وزيد بن عروة ووجوه العشيرة الدور والقصور واخذوا في ضيافة عنترة واقام عنترة ومن معه من الفرسان الكرام في ضيافة الملك قيصر سبعة ايام فلما كان اليوم الثامن دخل عنتر على الملك قيصر وقال له ياملك الزمان كانا ما اتينا عندك الا لاكل الطعام وشرب المدام وها قد وصل الينا جميلك واحسانك وعميم فضلك وامتنانك وما بقي الا المسير الى الاعداء اللئام حتى اجعلهم احدوثة بين الانام

قال فلما سمع قيصر منه هذا الكلام فرح فرحاً شديداً وابدى الابتسام ثم جهز ثلاثمائة الف من العسكر وقال له خذ معك هذه العساكر تعينك على الحرب والطعان فقال له عنترة ايها الملك دعني من هذا المقال وخلِّ عندك هذه الابطال فالامر يسير والخطب حقير واعلم اني ما عودت نفسي المسير بالعسكر الكثير وانا اقضي هذه الاشغال بهذه الفرسان التي معي واعود الى مكاني وموضعي فلما سمع الملك كلام عنترة وما ابداه من السبب تعجب كل العجب وقال في نفسه ما على وجه الارض مثل هذا الفارس المنتخب ثم قال له يا ابا الفوارس ليس بالاحتراز من باس فخذ ولو مائة الف فارس فقال عنترة ياملك الزمان اذا كنت جهزت معي كل هذا العسكر فما يفعل عنتر وانا اريد ان اقضي هذا الشغل بنفسي ولا اكلف احداً من غير جنسي فلما سمع قيصر كلامه ضحك وقال خذ معك مائة الف فارس ويكون الكل تحت رايك ومن جماعتك فاستحى عنترة منه وقبل يديه وبعد ذلك امر الوزير ان يجهز له عساكر وينفذها في صحبته وان تكون تحت امره وطاعته فقابله الوزير بالسمع والطاعة وخرج من وقته والساعة وعرض العسكر واختار منه مائة الف فارس وباتت العساكر خارج انطاكية مستعدة بالعدد وما زالوا على تلك الحال الى ان اذن الليل بالزوال

قال الراوي فعند ذلك ركبت العساكر وسار الوزير مع عنترة يودعه وكان عنترة في اوائل الفرسان ولم يزالوا سائرين وهم في فرح ومسرّة الى ان اقبلوا على رومية الكبرى فراوا العساكر محيطة بها وقد اشرفت على التسليم وكان عساكر ملك افرنجة قد اقاموا على حصارها ثمانية شهور حتى ضاقت منهم الصدور وفرغ ما عندهم من الزاد والعلف وكان للملك رومية اخت اسمها مريم وكانت احسن اهل زمانها حازت جميع الحسن والجمال وافرغتها يد القدرة

في قالب الدلال

قال الراوي فلما طال عليهِ الحصار عول ان ياخذ اختهُ ليلاً ويهربا في الاقطار ولكنهُ خاف من اهل رومية اذا فقدوه ان يكفوا عن حصار البلد ويسلموها للاعداء فانهلت من عينيهِ الدموع وتنفس الصعداء من فواد موجوع فقالت لهُ اختهُ اقلّ من البكاء والنحيب فلعل الفرج قريب . فاذا وصلت الى عمك قيصر وحدك ماذا تقول لهُ أتقول تركت مدينتي بما فيها من العوالم واتيت بروحي سالم فالراي عندي انك تصبر على القتال وتكشف عنك هذه الاحوال

قال الراوي فلما سمع بلقام من اختهِ هذا المقال نبه عزيمتهُ وفي ساعة الحال طلب الرجال وسراة الابطال ووعدهم بالخلع والاموال وقال لهم كانكم بالعساكر وقد اقبلت من عند عمي قيصر ومن صبر لا يخسر فلما سمع اكابر الروم مقالهُ وافقوه على اعمالهِ ثم خرجوا من عنده وذهبوا الى ابراج المدينة وقاتلوا قتالاً عظيماً ودام القتال على تلك الاسوار واحد واربعين نهاراً بعد الثمانية شهور حتى ضاقت الصدور وقتل من اصحاب رومية ابطال وجندلت اقيال فبينما هم على تلك الحال وقد ايقنوا بالسبي واذا بالعساكر اقبلت بعدد كالجراد وفي مقدمتها عنترة بن شداد ومن خلفهِ فرسانهُ الاجواد ووراء الكل مائة الف فارس من الروم كانهم الاساد . قال فلما رأت اهل رومية تلك العساكر فرحت واستبشرت وقاتلت الافرنج بالاحجار من فوق الاسوار قتالاً يذهل الابصار فلما رات الافرنج ذلك القتال علموا ان قلوبهم قد قويت بتلك الابطال فكفوا ايديهم عن الحصار وصبروا حتى نزلت العساكر الرومية وفتحوا لهم ابواب المدينة وامروا العساكر بالدخول اليها فقال عنترة للوزير انا لا ادخل البلد حتى اقضي حاجة الملك قيصر واسقي ملك الافرنج الموت الاحمر فلما سمع الوزير ذلك الكلام زاد بهِ الابتسام وصار قلبهُ اقوى من الحجر واقبل عليهِ وقال لهُ نعم ما قلت يا ابا الفوارس ثم ان الوزير امر خدمهُ ان تضرب الخيام في ظاهر البلد فضربت ونزلت تلك العساكر واستراحت الخيل فلما نظر ملك الافرنج ذلك الامر وان عساكره رجعت عن المدينة صعب عليهِ وتحسر ثم احضر ارباب دولتهِ وقال لهم لا يهولنكم ما رأيتم من هذه العساكر فسوف اترك الاوائل لا تقدر ان تلحق الاواخر

قال الراوي فلما سمعوا مقالهُ حمدوا فعالهُ وقالوا لهُ ايها الملك لو صادمتنا الجبال لصدمناها فلما سمع الملك كلامهم طاب قلبهُ وباتت العساكر تحرس بعضها البعض في تلك الارض الى ان اصبح الصباح فركبوا على ظهور الجرد القداح واصطفت العساكر الا انهاما

امهلت ولا صبرت بل حملت فعند ذلك اصطدم الجيشان وحامت على القتلى النسور والعقبان
وفرقهم عنترة تفريق الغنم من كثرة ما حمل عليهم وهجم وداموا كذلك الى ان ولى النهار واقبل الليل
بالانسدال قال ونظر ملك الافرنج الى تلك الارض فرآها امتلأت من اصحابه وحل به الجزع
وقد افترق الجيشان واوقدوا النيران وشكت الافرنج الى ملكها ما لاقت من عنتر الليث القسور
قال الراوي فلما سمع مقالهم ورأى شكواهم اقبل عليهم وقال لهم انا اعلم انه ما افنى جمعكم
وانزل بكم الوساوس الا ذلك الفارس وانا ثاري عنده دون الروم والعجم لانه قتل
اخوتي فوحق الواحد الديان لابرز اليه في غداة غد الا انا فقالوا له ايها الملك اكفنا انت
شره فقال لهم غداً اكفيكم امره واصرم لكم عمره ثم انهم تفرقوا للمنام بعد ما اكلوا شيئاً من
الطعام وعند الصباح ركبت العساكر وهمت ان تحمل على بعضها البعض واذا بفارس قد
خرج من الافرنج وصار في حومة الميدان وقال من عرفني فقد اكتفى انا بهند اخو الملك
الخلجان لا يبرز لي الا عنترة قاتل اخي حتى اخذ منه بالثار فما اتم كلامه حتى صار عنترة قدامه
فانطبقا وزعقا وحنقا وكان مع ملك الافرنج ثلاث حراب كل حربة مثل الشهاب فقاتل
عنترة الى نصف النهار فكل من قتاله ومل ولما رأى نفسه مع عنترة تحت النقصان خاف
من القلعان فاخذ من تحت فخذه حربة وضربه بها وكان عنترة قد عرف مرامه
فاضاعها بمعرفته فضربه بحربة ثانية ابطلها بخبرته فاغتاظ منه بهند وضربه بحربة ثالثة خطفها
عنترة من الهواء وردها الى صاحبها فدخلت في صدره خرجت تلمع من ظهره فلما رات الافرنج
ملكها قد قتل حملت على الروم وهجمت فالتقتها تلك العساكر وبذلت الروم في الافرنج
المضارب وقويت قلوبهم بفارس الاعارب ولم تكن الا ساعة من النهار حتى ولت الافرنج الادبار
قال الراوي وبعد ذلك وقعت البشائر في مدينة رومية وقد فرحوا بما تم وجرى ورجع
جميع الفرسان فاستقبلتهم الجواري والنسوان وفي ايديهن خلوق المسك والزعفران وقدام
الكل مريم اخت بلقام فنثرت على عنترة المسك والزعفران وكان قد وقع لها عنده محبة عظيمة
لانها سمعت اخباره قبل ان تراه هذا وقد رجع عنترة كانه حلة من الارجوان وقدامه
اكابر الروم ولم يزالوا سائرين حتى وصلوا الى قصر المملكة فنصبت لهم اسرة من العرعر مصفحة
بالذهب الاحمر وجلس السادات والامراء مثل الوزير وعنترة وبلقام وتبادلوا الحديث
والكلام
قال الراوي فلم تكن الا ساعة حتى مد السماط وعليه من الطعام مما دب وطار ووقف
الغلمان بالكاسات على رؤوسهم وما زالوا كذلك حتى شبعوا ورفعت الاواني والزبادي

ثم قدموا انية المدام وكلها من ذهب وجوهر وفضة و ياقوت اصفر لم يوجد مثلها عند كسرى وقيصر لانها تشبه الاواني التي رآها الوزير عند عنترة على جانب الفرات وما زالوا

الكتاب التاسع والاربعون بعد المائة

من سيرة عنترة بن شداد العبسي

في اكل طعام وشرب مدام الى الصباح وداموا على تلك الحال تسع ليال وفي الليلة العاشرة عزم عنترة على الرحيل واستشار بذلك الوزير فقال له يا ابا الفوارس لك عندي بشارة وهي فائدة بلا خسارة فقال له ما هي ايها الوزير لا زلت بالخير بشير فقال ان الملك بلقام ابن اخي قيصر الهمام لما انقذته مما كان فيه وقتلت حساده واعاديه بعد ان كان قد اشرف على الانكسار وخراب الديار احتار باي شيء يكافيك على ذلك فما كان عنده اعز ولا اكرم من اخته مريم فقد وهبك اياها وهي فريدة عصرها ووحيدة دهرها فقال عنترة معاذ الله ان آخذ على فعل الجميل جائزة لان قيصر قد غمرني بجميل احسانه وانا غارق في بحر عطائه وامتنانه . وهذا شيء مكروه عند العرب والروم وهوان يتزوج الرجل من غير ابناء جنسه وتكون زوجته تعبد غير معبوده فقال له الوزير يا ابا الفوارس لو يملكها احد من الاعداء الاشرار لاستخدمها ليلاً ونهاراً كما يستخدم الجوار فهي وكل من في رومية عتقاء سيفك وامناء خوفك

قال الاصمعي فلما سمع عنترة ذلك الخطاب انعم واجاب . وكان السبب في ذلك ان الله تعالى القى محبة عنترة في قلب مريم حتى انها احترمت المنام وزاد بها الوجد والغرام فاعلمت اخاها باحوالها وقالت له يا اخي لقد زادت بي الى عنترة الاشواق واخذني عليه الوجد والاحتراق وان ذهب من هذه الديار دون ان اكون معه هجت على وجهي في القفار او اغرقت روحي في البحار

قال الراوي فلما سمع اخوها مقالها ورأى حالها واذلالها قال لها يا اختاه انا مرادي ان يأخذك جارية ونفتخر بهذا الفارس عند كل قائم وجالس وسوف اتحدث مع الوزير ليدبر لنا هذا الامر الخطير وكان هذا الحديث بينه وبين اخته في الليل فلما طلع الصباح اتى الوزير لاجل السلام فحدثه بما حل باخته من الوجد والغرام واراد ان يتقرب الى عنتر فارس البدو والحضر فلما سمع الوزير هذا الخبر مضى الى عنترة واعلمه بذلك السبب فكان اليه ارغب وقال للوزير انا لا اخالفك في ما تقول ومهما اشرت به علي فهو لدي

مقبول . قال الراوي ففرح الوزير ودخل قصر الملك واخبره بان عنترة بعد ان امتنع اجاب واستمع وفي ساعة الحال دخل عنترة على الملك بلقام ودعا وسلم فامره بالجلوس فجلس ثم نهض الوزير واخذ بيد عنترة ووضعها في يد الملك وصافحهُ وعاقده على الزواج و بعد ذلك وقعت البشائر ونحرت النحور وخرجت الاماء والجزائر وانقلب القصر بالفرح واستهموا في عمل العرس ورتعت الناس في اكل طعام وشرب مدام سبعة ايام وفي الليلة الثامنة زفت مريم الى عنتر فكانت ابهى من الشمس والقمر ثم دخل عليها ورافقت لهُ الايام وصفت الاوقات وانقادت اليهِ المسرات ولبث في ذلك المكان مدة شهر من الزمان و بعده عزم على المسير وقال للملك اريد ان تبقى اختك عندك وانا آتي الى زيارتك كل مدة من الزمان فقال لهُ الملك يا ابا الفوارس هذا شيءٌ متعلق بعقول النساء وانا اعلم ان اختي لا تقدر ان تصبر عنك لا صباح ولا مساء ولكني اشاورها فان رضيت ان تبقى عندي بذلت لك في حفظها جهدي وان طلبت معك الرواح فان فراقكما عندي مثل فراق الابدان للارواح ثم دخل الملك قصره واحضر اختهُ وقص عليها الخبر وان عنترة اراد السفر فقالت لهُ انا اول من سار في صحبتهِ واكون بين اهلهِ وعشيرتهِ لان قلبي متعلق بمحبتهِ ولا اريد منك مالاً ولا آخذ من مالي عقالاً

قال الراوي فلما سمع عنترة ذلك الخبر ازدادت محبتهُ لمريم وما كان قصده ان يتركها عند اخيها الا خوفهُ من غضب عبلة وقناصة الرجال ولكنهُ سكت على مضض وقال في نفسهِ انا اخذها عند عمها قيصر واتركها في مدينة القسطنطينية واكون بالقرب منها وآمن عليها من عتب القناصة وعبلة ثم انهُ بعد ذلك دخل على مريم وضحك في وجهها وتبسم وقال لها ليس عندي اعز منكِ ولا اسافر الا ان تكوني معي ولم اقل لاخيكِ هذا الكلام الا لعلمي انهُ لا يقدر ان يصبر على فراقكِ فلما سمعت مريم ذلك الكلام فرحت وزاد بها الابتسام وقالت يا ابا الفوارس اني قد بغضت بعدك الاوطان وليس لي صبر عنك ولا سلوان فعذرها عنترة على تلك الحال لما وقع في قلبهِ من المحبة لان الفراق بين المحب والمحبوب حالة صعبة وبعد ذلك تأهب للمسير واهتم ملك الروم بتجهيز اخته وامر رجالهُ ان تنقل ما لها من الامتعة والرحال وصناديق الاموال وجهز الخيل والبغال واخرج ما يلزم من الخيام والانعام في ثلاثة ايام وفي اليوم الرابع ساروا في البر والقفار وكان قد خرج مع مريم مائة جارية من بنات الروم كانهن اللؤلؤ المنظوم عليهن الحلي والحلل وثلثمائة بغل وجمل محملة اثاث وقماش وعقود ولآلىء وجواهر وكان عنترة سائرًا والوزير الى جانبهِ ينادمهُ والرايات على رؤوسهم تخفق ولم يزالوا

يقطعون البراري والقفار الى ان وصلوا الى القسطنطينية في ضحى النهار فوصلت المبشرون الى قيصر ففرح واستبشر وخرج الى اللقاء في اكابر قومهِ والاصدقاء والتقى بعنتر فلما نظر عنتر الى الملك قيصر ترجل الى ان وصل اليهِ وقبل في الركاب قدميهِ فقبلهُ قيصر بين عينيهِ واشار اليهِ بالركوب فركب على مركبهِ واخذه قيصر الى جانبهِ وحادثهُ وسارت خلفهُ المواكب من كل جانب وقدامهُ النوابِ وهي ماشية كلها في الركاب الى ان قربوا من المدينة فرأوا اهلها قد اظهروا الفرح والزينة ثم ترجل كل الفرسان ولم يبقَ راكبًا الا الملك قيصر والامير عنتر وكان عنترة كلما اراد ان يترجل يمنعهُ الملك قيصر ولما وصلوا الى قصر المملكة نصبت لهم كراسي من فضة وذهب فجلسوا عليها بهيبة وادب واجلس قيصر عنترة الى جانبهِ وجعل يحادثهُ ويسالهُ عما جرى لهُ وعنترة يرد عليهِ سوالهُ فاخذه من ذلك العجب وحرك راسهُ من شدة الطرب ثم اخبره بزواجهِ ببنت اخيهِ ففرح بذلك هو وسائر ذويهِ وبعد ذلك امر بمد السماط فمدوه واتوا بالطعام فاكلوا الى ان اكتفوا ثم قدمت اواني المدام وملأوا الكاسات وشربوا بالطاسات ولم يزالوا على ذلك الاكرام مدة ثلاثة ايام وبعد ذلك اشتاق عنترة الى عبلة ومن في تلك الحلة والتفت الى الملك قيصر وقال لهُ ايها الملك اني قد اشتقت الى العيال والاهل والاطلال فقال قيصر يا ابا الفوارس يعزُّ عليَّ فراقك فقال عنترة يا ملك من الراي ان تتم عليَّ فضلك وتبقي مريم بين اهلك وانا كل برهة آتي عندك لان مالي الى اخذها معي من سبيل فلما سمع قيصر كلام عنتر فرح واستبشر وامل ان يزوره في كل مـــدة ثم امر في ساعة الحال ان يخلى لمريم في القصر دار ففرشوا ذلك المكان وقامت فيهِ بامان ولما عزم عنترة على السفر خلع عليهِ الملك قيصر وعلى جميع من معهُ من الفرسان من بني عبس وغسان واكثر لهم من الاموال والنوق والجمال ثم سار عنترة طالبًا دياره والاطلال وفي جانبهِ عمرو ذو الكلب وزيد بن عروة ولم يزالوا سائرين يقطعون البراري والقفار مدة واحد وثلاثين نهار ولما وصلوا الديار تلقاهم الكبار والصغار والاماء والاحرار وكان لهم نهار يعد من الاعمار ودخل عنترة على عبلة بعد سلامهِ على النسوان وفرحت المقيمون بالقادمين وعمرت المنازل بالقاطنين ثم عمل عنترة وليمة وذبح الذبائح ودعا الى الولائم كل غاد ورائح وداموا على تلك الحال مدة سبعة ايام وكانت مدة قيام عنترة على الفرات سبع سنين وهو في الذ عيش وهناء وخافتهُ جميع العربان وصارت تاتيهِ الهدايا من كل جانب ومكان ونسي بني عبس وعدنان

قال الراوي هذا ما كان من عنترة واما ما كان من الغادر الخسيس الاسد الرهيص

فانهُ اخذ يترقب اخبار عنترة وصار من يوم الذي اكحلهُ واعماه يسال عنهُ ان غاب او حضر وكان قد وصل اليهِ الخبر ان عنترة قتل الربيع وعمارة ابني زياد وغضب على قومهِ ورحل عنهم ونزل على الفرات ثم سار الى بلاد الروم لمحاربة عدو ظهر على قيصر فصار الاسد الرهيص يتنشق الخبر الى ان عاد عنترة سالم ومعهُ تلك الاموال والغنائم واقام في الفرات ورتع في ذلك المكان الفسيح والملوك تهاديهِ وهو قاعد مستريح

قال الراوي فلما سمع الاسد الرهيص تلك الاخبار اشتعل فواده بلهيب النار وتذكر ثاره وما جرى عليهِ وكيف ان عنترة اكحلهُ واعمى بصره فذرفت الدموع من عينيه وزاد بلاوهُ وعض كفيه وكان قد تعلم رمي النشاب وهو اعمى حتى صار يرمي بهِ على الصوت فيصيب الغرض واذا مر عليهِ طائر وزعق يرميهِ على ناحية صوتهِ فيقتلهُ وياتيهِ عبده بهِ فيا كلهُ ولما كان بعض الايام عول ان يسير الى عنتر في ذلك البر الاقفر لعلهُ يقدر ان يصيبهُ بضرر فعند ذلك استدعى بعبده نجم فاتى اليهِ ووقف بين يديه فقال لهُ ويلك يا نجم اما ترى ما جرى عليَّ من عبد بني عبس الادهم وكيف اكحلني وتركني حزينًا في حالة العدم وها قد مضت عشر سنين وانا اعمى وصرت عبرةً بين الورى فقد آن اخذ الثار وكشف الذل والعار لان قد وصلني الخبر انهُ نازل في البر الاقفر ومقيم على جانب الفرات وهو في الذ عيش واهناه فعولت ان اخذك معي واسير في البراوي الخوال واكمن لهُ في بعض الدحال لعلي اقدر ان احتال عليهِ واخذ روحهُ من بين جنبيه لان هناك دحال يقال لها العارضيات ولعل يقع لي في العارضيات امور مقضيات

قال الراوي فلما سمع عبده مقالهُ رق لهُ ورثى لهُ وفي ساعة الحال شد لهُ على ظهر ناقة فاستوى على ظهرها من غير عاقة وهو يقول اللهمَّ يا رب العرش العظيم بحرمة زمزم والحطيم والخليل ابراهيم ان تبلغني من عنترة صرعتهُ واتلاف مهجتهِ لانهُ اذا نزل القضاء عمي البصر وحارت الخواطر والفكر ثم اخذ معهُ قوسهُ وكنانتهُ ونبلاً مسمومًا في جعبتهِ واخذ عبده زمام الناقة بيدهِ وسار طالبًا ارض العراق وهو الى منيتهِ ينساق الى ان وصل الى جهة الفرات واكمن بهِ عبده في مكان مشتبك بالاشجار والماء الكثير الخرار وكان في جانب الفرات نهر سياح بالماء القراح وكانت مضارب عنتر بين النهر والفرات من الجانب الاخر فنظر العبد الى تلك المضارب والخيام والرايات والاعلام وسمع اصوات المزاهر وغناء الاموات والحرائر والناس مع عنترة في الفرح والسرور والغبطة والحبور لان هيبتهُ كانت قد دخلت في قلوب العرب من بعد منها ومن اقترب فلما نظر العبد الى ذلك قال لهُ يا مولاي والله

لقد خاطرت بنفسك غاية الخطر ولا يقدر احد ان يغالب القضاء والقدر ولا ارى لك في الوصول الى عنترة سبيلاً وكل من خاطر بهِ اصبح قتيلاً واذا اراد الله امرًا بامر يهيء لهُ اسباب فقال لهُ يا عبد الخير صدقت في هذا المقال والخطاب وها انا مختبي لهُ في هذه الاجمة وفي يدي القوس والنبلة المقومة ومتى سمعت صوتهُ ارميه بهذه النبلة ولو عشت من بعده فرد ليلة وقد رضيت ان اهلك بعده بساعة واحدة وارجو من الله المعونة والمساعدة

قال الراوي وكان بين الاسد الرهيص وخيام عنترة النهر وهو بقدر رمية نشاب فاكمن العبد فيه بقية يومهِ الى ان اقبل الليل باغساقهِ ومد على الخافقين رواقهُ فقال لعبده نجم اخرجني من هذه الاجمة حتى اشرف على الحلة بحيث اسمع اصواتها واتجسس حالاتها والمجال بيننا قريب غير بعيد فقربني اليهم يا خير العبيد فوالله لا بد لي ان اترك بيني وبين عنتر حديثًا يورخ بعدي في السير فعند ذلك اخرجهُ الى ظاهر الاجمة واتى بهِ الى شفير النهر واقعدهُ مقابلة ابيات عنتر وبرك الاسد الرهيص في ذلك البر الاقفر على ركبتيهِ واوتر قوسهُ بكلتا يديه وضع النبلة في كبد القوس وهو ينتظر ما حكم بهِ الله عليهِ

قال الراوي ومن القضاء والقدر ان عنترة سمع نبيح الكلاب من ناحية تلك الهضاب فقال لاخيهِ جرير قم واكشف لنا الخبر وما بال الكلاب تكاثر في هذه الليلة الصياح فقال جرير لعنترة والاسد الرهيص يسمع والله يا اخي انا لا ارى احدًا ولكن اسمع نبيحًا في ناحية النهر فلما سمع عنترة كلام اخيهِ وثب من مرقده ولبس ثيابهُ واخذ سيفهُ وتقدم الى شفير النهر وهو يقول لاخيهِ جرير وحق الملك القدير لو هجم الليلة على الحلة امة ربيعة ومضر لاذيقنهم الموت الاحمر واخاف ان يكون بعض القوم قد قصدنا او بعض السلالين يريد ان يسل خيلنا او احد قد سمع انهُ قلت قوانا وحيلنا فهيهات ان يقدروا ان يمدوا اياديهم الينا فما لهم الى ذلك من سبيل ولا يقدرون ان ياخذوا من عندنا لا كثيرًا ولا قليل قال ومن القضاء والقدر الذي ما للعبد منهُ مهرب ولا مفر ان عنترة لما بلغ شفير النهر وقف هنيهةً وجعل وجههُ الى ناحية الاسد الرهيص وجعل يبول فلما سمع الاسد الرهيص صوت خرير البول اوتر النبلة في كبد القوس ورمى على الصوت فلم يشعر عنترة الا والنبلة وقعت في خصيتيه ودخلت الى امعاه فلم يتزعزع وكان جرير واقفًا عن بعد فسمعهُ يقول

يامن هو الرامي بنبلة قوسهِ　　جوزيت منا شرنا واذانا

فلقد رميت النبل صبت لقربة　　فقطعت منها العرق والشريانا

الله يقطع منك زندك عاجلاً ... وتذوق حرباً دايماً وطعانا
لو كنت اعلم من رمالك تخونا ... يا نبل في ليل بريد فنانا
لاذقته كاس المنية عاجلاً ... وبري الوحوش لديهِ والعقبانا

قال فلما سمع الاسد الرهيص تهديد عنترة ووعيده ظن سهمهُ اخطأ ووقع في قربة السقا فمن عظم ما دخل عليهِ من الخوف والفزع والغيظ والجزع نشفت مرارتهُ ومات من وقتهِ وساعتهِ فتقدم عبده وحركهُ فرآه قد مات وشرب كاس الافات فتركهُ موضعهُ وركب الناقة وطلب حيهُ ومرابعهُ ديار بني نبهان من غير توان وهو خائف من عنترة فزعان وعاد عنترة الى خيامهِ واخوهُ جرير قدامهُ وعنترة يتململ مما جرى لهُ حتى دخل على عبلة واخبرها بتلك الفعلة فانزعجت وبكت وصرخت وولولت وندبت ولطمت فانقلب الحي بسكانهِ وارتج بقطانهِ فتبادرت نحوهُ الرجال وسالوه عن تلك الحال واتى زخمة الجواد وال قراد فاخبرهم بقصتهِ وما جرى عليهِ من غصتهِ فسالتهُ عبلة من اين اتتهُ تلك النبلة فقال من هذا الجانب ولست اعلم من هو الذي اوقعني في هذه المصائب فعند ذلك تعرى جرير من ثيابهِ ومن شدة غيظهِ رمى روحهُ في النهر وما زال حتى قطعهُ ودخل الى الجانب الاخر وفي قلبهِ نيران السعير فوجد الاسد الرهيص على جانب الغدير وهو ميت والقوس الى جانبهِ فلما نظر جرير اليهِ لطم على وجههِ حتى بدا الدم من انفهِ وعاد الى اخيهِ واخبره بما راه فقنط عنترة من نفسهِ وايقن بانقطاع حسهِ وامر اخاه ان ياتيهُ بهِ فعاد الى الغدير واتى بهِ بين يدي اخيهِ عنترة فلما نظر اليهِ تفكر في ما جرى منهُ عليهِ وانشد

مرض العدو فسرني ... وبلغت بالمرض المنى
فمتى يموت واشتفي ... ويزول عن قلبي العنا
واعيش بعد وفاتهِ ... بين الانام بلا عنا
واكون من فرحي بهِ ... بالحي مكتسب الثنا
ويسرني اني اراه ... في الحرير مكفنا
وادوس ترب ضريحهِ ... واقول تدري من انا
واقول بعد طلوعهِ ... ونزولهِ دار الفنا
من عاش بعد عدوه ... يوماً فقد بلغ المنى

ثم ان عنترة قال ها قد عشت من بعدك ولا نلت مني يا قرنان قصدك ولكن يا فرحة فرسان العرب ان مت وشربت كاس العطب ولكن الاله يجعل لكل مينة سبب وهذا حكم من

عن الابصار احتجب ثم امر اخاه ان يرمي الاسد الرهيص في النهر حتي لا يعرف لهُ قبر لا بل الندي ثراه وجعل النار مثواه فقبل جرير مقالهُ وتاسف على ما جرى لهُ وبات عنترة طول ليلتهِ ارقًا سهرانًا قلقًا وهو في امر عظيم وحال جسيم فعند ذلك قالت لهُ عبلة يا ابن العم كيف تحمل هم نبلة وانت لا تخاف من اسنة الرماح ولا من شفار الصفاح فعند ذلك حدثها بما جرى لهُ مع الاسد الرهيص من الخبر واطلعها على جلية الاثر وقال لها يا ابنة العم اعلمي انهُ قد وافى الردى وما بقي لي حياة ابدًا فلما سمعت عبلة ذلك الكلام بكت وولولت وصاحت ولطمت على خدودها واكلت لحم زنودها وشقت اثوابها وعظم بكاؤها وانتحابها فاجتمع اهالي الحي عليها وتبادروا اليها وقالوا لها ما بالك وما الذي جرى لك فحكت لهم ما قال عنترة فدخلت عليهِ النساء والرجال وقالوا لهُ شد عزمك يا ابا الفوارس فانت فيك كل جرح مثل فم القربة وما خفت منها فكيف تخاف من هذه النبلة فقال يا بني العم والله اني احس ان النار اشتعلت في جسدي وما هذه النبلة الا مسمومة حتى فعلت بي هذه الفعال ثم انشد وقال

الا يا عبلَ نوحي عند قبري ... اذا ثارَ العجاج بكل قفرِ
وقولي للشوامت ان تمادت ... مدى الايام في سرٍّ وجهرِ
رعاك الله من عبدٍ نجيبٍ ... تلاقي في الكريهة الف حرٍّ
واني ليثها في كل حربٍ ... ابيد حماتها والخيل تجري
وشربي من دم الابطال صرفًا ... على النغمات في برٍّ وبحرِ
فسعدي قد هوى بعد ارتفاعٍ ... وقد حطَّ الزمان رفيع قدري
وقد امسيت حيرانًا كئيبًا ... احسُّ على حشاي لهيب جمرِ
وقد آيست من رامٍ رماني ... بسهمٍ قصدهُ اخماد ذكري
لحاك الله من رامٍ مصيبٍ ... يجوز بسهمهِ تقصيف عمري
حديد مستقٍ وقضيب نبعٍ ... ومن عصب البعير وريش نسرِ
فما اجتمع الجميع سوى لامرٍ ... بصرع مهجتي ونجاز امري
وقد زعمت عبيلة لا ابالي ... حديث خرافة يا اخت عمرِ

وفي الغد اتتهُ مشايخ قومهِ واجتمعوا حواليهِ وصاروا يبكون عليهِ فقال لهم يا سادات البدو والحضر اقلوا من هذا البكا والانين والاشتكا فانهُ يعلم بحالي رب السماء الذي اهلك ثمود وعاد والفراعنة الشداد والجبابرة والعتاة وكل من سكن الفلاة فهو الرب القادر القاهر الذي

يحكم على عباده بما امضاه فلا اعتراض عليه في ما قضاه وقد فرغت الليالي والايام وانطوت كانها اضغاث احلام ولو عاش الانسان الف عام لابد ان يشرب كاس الحمام

قال الراوي ثم التفت الى عبلة وقال لها يا بنت العم اعلمي اني انا ميتٌ لامحال و بعدي لاتقوم لبني عبس راية ولا يبقى منهم لا ابيض ولا اسود تختطفهم العرب في كل قطر وبسبب وتطالبهم بالثار من سائر الاقطار فقومي يا بنت العم واركبي حصاني والبسي درعي اليماني واعتقلي برمحي وحسامي ويكون في صحبتك ابوكِ واخوكِ وانا اعلم انهما لايحميانكِ ولا يرعيان لك جانبًا ولا يردان عنك طالبًا ولا بد لك من قرين يحميك ومن الاعداء يقيك فعليك باحد هذين البطلين اما عامر بن الطفيل واما زيد الخيل فاخطبيه لنفسك ولا بد ان يخمد حسك لانهُ من بعدي لا يعرف احد لك مقدارولكنهم يحمونك من انذال العرب الاشرار فكوني لاحدهما اهلاً وهو يكون لك بعلاً واذا سرت في الطريق فلا تسلمي على رفيق وسيري على هذا المعني فلا يشك احد بانك انا فتهابك الفرسان وتخافك الشجعان فلما سمعت عبلة منهُ المقال اجابتهُ الى هذا السوال وقد زاد بها البكاء والاعوال فلما سمع الحاضرون كلام عنتر ما منهم الا انذهل وتحير و بكى وتحسر ثم ان عنترة اقبل على عمرو ذي الكلب وقال لهُ يا اخي ما لي وصية عندك الا زيد بن عروة فاحتفظ عليهِ لاجلي

قال الراوي ولقد بلغني عن زيد بن عروة ان عمرًا عطف عليهِ وصار عنده اعز من روحه وكان زيد فارسًا لا يطاق وعلقمًا مر المذاق فلما سمع عمرو وصية عنترة امتثل امره وعيل صبره وقسم عنترة مالهُ على بني قضاعة و بني قراد واوصى بنصف النوق والجمال لزوجتهِ قناصة الرجال لانهُ علم انها من بعده ليس لها مسعف ولا ناصر فحلفت انها لاتاخذ من مالهِ شيئًا يسوى عقالاً واوصى عمرًا باخته ومن معها من بني قضاعة فقال عمرو يا ابا الفوارس انا الا اكلفك هذا الامر بل انا اوصل عبلة الى مكان تامن فيهِ واعود فقال عنترة لا وحق الملك المعبود لا رضيت بذلك ابدًا فقال عمرو ولِمَ ذلك يا ابا الفوارس فقال حتى لا يقال عني ان عنترة حامية عبس وعدنان سار يخفر عند الموت خيفة من العربان وهذا شيء لا افعلهُ وحق الملك الديان فسكت عمرو عن هذا الخطاب ثم نهض عنترة بقلب قوي مع ما هو فيهِ من الالم والضرر والبس عبلة درعهُ وقلدها سيفهُ ورمحهُ واركبها فرسهُ والتفت الى عمر ذي الكلب وقال الحمد لله هذا حال الدنيا الفانية لا تدوم على فرد حال وانشد يقول

الا حيِّ المنازل من قطامِ ... وحيِّ دار عبلة بالسلامِ
ديار تخفق الارياح فيها ... وفيها الخير عامًا بعد عامِ

وقفتُ بها انادي الحي جهرًا اساٸلة فلم يسمع كلامي
دع الابطال والبر الخوالي وهات الرمح واضرب بالحسام
الا يا عبلَ لا تنسي مقامي اذا عاينت اطناب الخيام
وابكي السيف والرمح الرديني واقري بالسلام ثرى عظامي
اتنسيني وقد طلعت علينا كتاٸب نجدة لبني قطام
تركت حماتهم في القاع صرعى وولوا تحت اذيال القتام
ورمحي ان طعنت به طعينًا يخرُّ مجندلاً فوق الاكام
الا يا عبلَ لا لاقيت سوءًا ولا نكرًا على مر الدوام
الا يا عبلَ ابكي ثم نوحي ولا تدعي البكاء الى الزحام

قال الراوي فلما سمع عمرو منه ذلك المقال زاد به البكا والاعوال وبكت اخته قناصة الرجال وتحسرت كيف غدرت به الايام والليال ثم ان عنترة اركب عبلة وركب هو في الهودج وسارت امواله وانعامه قدامه وسارت من خلفه فرسان بني قراد واخذوا يقطعون الارض والبلاد والعبيد بين اياديهم طالبين ارض الشربة والعلم السعدي وعنترة يتململ من شدة الضر وهو كثير الوجد والاحزان ويعاين الموت الوان وكان يريد الوصول بعبلة الى الديار لعلها تنجو من كيد الاعداء الاشرار ثم انه اخذ يودعها ويبكي بحرقة ودبلة فسالت دموعها مثل السيل اذا سال وابكت جميع الرجال وبينما هم على هذه الحال واذا بعمرو ذي الكلب قد لحقهم الى تلك الديار لانه ماهان عليه فراق عنتر فسار خلفه يقتفي منه الاثر الى ان ادركه بين تلك الربي والاكام ولم يزل سائرًا معه مدة ثلاثة ايام

قال الراوي وقد زاد بعنترة الالم وعاين بعد الوجود العدم فاقبل على عمرو وقال له بحياتي عليك امض الى اهلك وعشيرتك واسكن انت واهلك واختك في قبيلتك لانني اعلم ان بني عبس تقصدهم العربان ولا يتركون منهم انسان فيتعب قلبك غاية التعب وانت ليس لك طاقة بمعاداة العرب ومالي عندك وصية الا زيد بن عروة وان تاخذ ثاري من بني نبهان ولا تخلي منهم انسان فقال له عمرو طب نفسًا وقر عينًا فسوف اخذ بثارك ولكن لا افعل شيئًا حتى تاتيني اخبارك ثم ودعه وسار مقدار ساعة من النهار وقفل طالبًا دياره وقد زادت لفقد عنترة ناره فاقبل عنترة على اخيه جرير وعلى ابن اخيه الخذروف وقال لهما سيرا وبلغا اهلي وعشيرتي وانا اعلم انكما بقيتما تنظران صورتي فانعياني لهم ومزقا الثياب بين ايديهم وبلغا سلامي لهم وحيياهم وقولا لهم ان يحموا حريمي بعد فقدي ويمانوا كما حميت

بحريمهم في حياتي فعند ذلك سار الخذروف وجرير وفي قلبها نار السعير قد شقا الثياب واعلنا البكاء والانتحاب اما عنترة فانهُ زاد بهِ الالم فامر عبيده ان تسوق الاموال والنعم وكانت عبلة راكبة على الابجر وهي حزينة على عنتر الى ان اصبح الصباح واضاء بنوره ولاح فمروا بحلة من بعض الحلل فراى من فيها ذلك الهودج وراوا عبلة راكبة بين الابطال فقال رجل منهم يا بني عمي هذا عنترة سائر ومعهُ عبلة زوجته طالبًا اهلهُ وعشيرتهُ فقال رجل منهم يابني عمي ان هذا الفرس فرس عنترة والسلاح سلاحهُ واما القامة فما هي قامتهُ ولا الهمة همتهُ وان صدقني حذري ما هذا الراكب الا عبلة بنت مالك وابن عمها عنترة حلت بهِ المهالك فسيروا بنا نقتفي اثارهم ونكشف اخبارهم فسارت خلفهُ الرجال وكانت هيبة عنترة تمنعهم من الوصول اليهم فاتفق ان القضاء والقدر كشف لهم عن حقيقة الخبر وعلموا ان هذا الفارس ليس عنترة بل ابنة عمهِ عبلة فقال واحد اذا كان الامر كذلك احملوا عليهم حتى نوردهم المهالك فحملوا على بني عبس في ساعة الحال وتبادروا نحوهم طالبين الحرب والقتال فصاحت عبلة ادركنا يا ابن العم فسمع صوتها عنتر وهو يقاسي نزع الموت الاحمر فرفع سجاف الهودج وزعق زعقة عظيمة ادوت لها الجبال فجاوبتهُ تلك القفار الخوال ونادى اوغاد غير امجاد انا عنترة بن شداد اليوم اريكم كيف يكون الحرب والجلاد

قال الراوي فلما سمعت العرب صوتهُ تطايرت في تلك الارض يزاحم بعضها البعض وهم يقولون لانفسهم ويلكم اطلبوا النجاة والا ذقتم موت الفجاة فهذه حيلة من حيل هذا الشيطان الذي لا يقاومهُ انسان حتى ينظر من يتعرض الى اهلهِ فيعجل بوارهم وينزل بهم دمارهم هذا ما كان من هولاء من الخبر واما ما كان من ابي الفوارس عنتر فانه بعد هزيمة القوم نزل من الهودج وافرغ عليهِ سلاحه وتقلد بسيفهِ واعتقل برمحهِ وركب جواده الابجر وودع عبلة وهو يتكرب ويتوهج ثم امرها ان تركب الهودج وقال لها سيري بين يدي في هذا البر الاقفر واعلمي يا ابنة العم ان هذه الايام من الايام التي تذكرو فيها تذكرين عنتر وتعلمين اني حميتك في حياتي ومماتي وها انا وراءك بسيفي وقناتي فعند ذلك طلعت عبلــة الى هودجها وهي تتحسر على عنترة ودموعها على خديها منحدرة اما عنترة فلما شعر بدنو الاجل وقطع من حياتهِ الامل اركز رمحهُ واستند عليهِ وصارت دموعهُ تنحدر من عينيهِ ثم قال لاعمامهِ سيروا اجمعين فعسى ان تصلوا الى حيكم سالمين فانا هالك لامحالة فدعوا عنكم الاطالة فقال لهُ مالك يا ابا الفوارس ابق راكبًا في الهودج ونحن نبذل ارواحنا دونك فيا طالما حميتنا بسيفك ورمحك

قال الراوي فلما سمع عنترة كلام عمهِ مالك قال لهُ يا عم ان كل ما تقولهُ صحيح وما انتم الا

فرسان الحرب والجلاد ولكن ما اسمكم عند العرب عنترة بن شداد فسيروا في سبيلكم عسى ان تبلغوا اوطانكم سالمين وتدخلوا دياركم واطلالكم آمنين فتعلموا اني حميتكم في حياتي ومماتي ورددت الاعداء عنكم فسيروا بالسلامة لا اوحش الله اوطانكم منكم فعندها ساروا وتركوا عنترة سائراً وراءهم على الاثر ودموعة لاجل فراق عبلة مثل المطر

قال الراوي هذا ما كان من هولاء واما ما كان من العرب الذين هربوا عند سماع صوت عنتر وفروا لما راوا وجهة الاغبر فان اكثرهم رجع الى الديار ولم يبق منهم غير اربعين فارساً مغوار ظلوا سائرين وراء عنتر يقتفون خلفة الاثر الى ان وصلوا الى وادي الظبا وكان قد عبر الظعن فيه وعنترة على ظهر جواده مستند على رمحه في بعض نواحيه تارة يسير واخرى يقف الى ان وصل الى فم الوادي والمضيق وهو راس الطريق فهناك زاد الوجع عليه فوقف واركز رمحة واستند عليه فخرجت روحة من بين جنبيه وكانت العرب من بعيد واقفة تنظر اليه ولم يجسر احد ان يقدم عليه لانهم ظنوه في قيد الحياة وانة واقف يطلب قتال من قصده واتاه

قال الراوي وقد طال وقوف العرب ونظرهم اليه وكل واحد من بعيد يرمقة بعينيه فقال بعضهم لبعض ويلكم ارجعوا على اعقابكم والا عدمتكم اهلكم واحبابكم فقال واحد منهم يابني عمي وحق ذمة العرب لقد تحيرت في امر عنتر ولا شك انة هلك واندثر والا فما كانت هذه الحالة حالتة ولا هذه الوقفة وقفتة لانة ما هو رعديد ولا جبان ولا يخاف من لقاء الاقران وكان القوم واقفين لا يعلمون شانة وجواده الابجر واقفاً لا يتجاوز مكانة وما زالوا في حيرة واندهال الى ان اذنت الشمس بالزوال فقال واحد منهم احملوا عليه واطلبوا لقاه فوالله لو انة في قيد الحياة لما احتمل كل هذا الاحتمال ولا دام على هذه الحال وان كنتم لا تحملون عليه ولا تقدرون ان تصلوا اليه فقدموا الى جواده الابجر حجرة تكون طالباً فاذا رآها طلبها فان كان عنترة نائماً يستفيق ونعلم خبره على التحقيق فنتقدم اليه ونسلم عليه ونقول لة اتينا اليك وفي قصدنا ان نسلم عليك ونقبل يديك وان كان ميتاً يقع من ظهر الجواد فلما سمعوا مقال المقدم عليهم راوه عين الصواب ثم نزل احدهم عن حجرته وكانت طالباً فاطلقها نحو الابجر فطلبتة وصهلت والى نحوه اقبلت فلما راها الابجر تقدمت اليه طلبها فوقع عنترة على الارض كانة برج مشيد او سدّ من حديد فعند ذلك ساقت الخيل اليه واقبلوا بجمعهم عليه وقد تعجبوا من امره وقالوا لة يالك من بطل عظيم فقد ذدت عن قومك سالماً وعديماً ورددت عنهم وانت في قيد الحياة وحميتهم بعد الوفاة

قال الراوي وبلغني من الرواة الصادقين ان العربان لما راوا من عنترة هذه الحالات وانه حمى قومه بعد الممات اخذوا يترحمون عليه ويقولون والله لقد كنت في حياتك شجاعاً كريم وبعد مماتك حميت قومك والحريم ثم انهم تركوه في الفلاة بلبسه وسلاحه والة حربه وكفاحه .قال وارادوا مسك جواده الابجر فلم يقدروا ان يلحقوه لانه اختفى واخترق البراري والقفار والسهول والاوعار ولم يعد يالف احداً من البشر بعد فارسه الامير عنتر ثم سار الاربعون الفارس الى ديارهم وبثوا هذا الخبر وهم يتاسفون على عنتر وقد عجبوا من شدة عزمه وثباته وكيف صان الحريم في حياته ومماته

قال الراوي هذا ما كان من امر هولاء واما ما كان من الخذروف وجرير فانهما لم يزالا يجدان المسير وهما في حالة التعس والنكس حتى وصلا الى حي بني عبس فنعيا اليهم عنتر واخبراهم بحقيقة الخبر وانه اوصاهما بان يسلما على الملك قيس وجميع بني عبس ويخبراهم ان يحموا حريمة كما حمى حريمهم فلما سمع الملك قيس بذلك الخبر طار من عينيه الشرر وفي الحال شق ما كان عليه من الثياب وابدى البكاء والانتحاب وقامت في بني عبس المآتم وندبت النوادب وارتمت الخيام والمضارب وهلبت الخيول والجنائب وعمل اللطم من كل جانب وايقنت بنو عبس بالفناء والمعاطب وخرج الملك قيس في اخوته الاطائب وهو راجل غير راكب ولطم على وجهه وقال والله لقد ذهب عزنا وانهدم ركننا فياشماتة الاعداء بنا وبعد ذلك دعا جريراً والخذروف ودمعة على خده مذروف واستعاد منهما الحديث وكيف كانت ميتة عنترة فاخبراه بجميع ما جرى له وتم عليه وناله واعلماه بان عبلة وبني عبس خلفهما وهم اليهم واصلون وقالا اننا نخشى ان تخطفهم العرب الطاغون لان عنترة قد هلك ومات وحلت به الافات فلما سمع الملك قيس هذا المقال امر اخوته ان تركب في سائر الابطال لملاقاة القادمين فلم تكن الا ساعة حتى ركب الجميع وساروا الى ان التقوهم بالبكاء والانتحاب وحثوا على روسهم التراب ثم سالوهم عن عنترة فاخبروهم بحاله وانه انقطع عنهم في وادي الظبا فسارت بنو عبس بجمعها لتكشف خبره وهي تعلن بالصياح والبكاء والنواح حتى وصلوا الى ذلك الوادي فوجدوا عنترة مطروح وهو جسد بلا روح فبكوا عليه حتى كادت ارواحهم تروح وتركوا الدمع على الخدود مسفوح ثم حملوه ورجعوا به طالبين الديار وفي قلبهم عليه لهيب النار وكانت عبلة قد وصلت الى الاحياء وخرجت اليها البنات والحريم والنسا معلنات بالويل والاسا وللشعور ناشرات وللخدود لاطمات وعن الوجوه كاشفات

ثم اقبلت ابطال بني عبس على الاثر ومعهم ابو الفوارس عنتر وقد سقي كاس مانوي وانقضت لذة اوقاته فعند ذلك لطمت الخدود ونشرت الشعور وما بقي احد من الرجال الا وقد جرت دموعة بانهمال هذا والملك قيس قد انذهل وتحير مما نظر وابصر لاسيما لما نظر الى تلك الحال التي عليها عنتر ثم امر بغسله ودفنه الى جانب اخيه مالك ففعلوا ذلك بعد ما كفنوه والبسوه درعهُ وقلدوه بسيفه وترسه وفتحوا قبر مالك بن زهير وانزلوه فيه لانهُ كان صديقهُ في الحياة وصار ضجيعهُ في الوفاة وبعد دفنه ذبح الملك قيس على قبره خمسائة ناقة تفرق على اهل الفقر والفاقة والف راس من الغنم للفقرا والخدم ثم تقدم الملك زهير بن الملك قيس الى قبر عنترة وبكى وأنّ واشتكى وانشد يقول

الدهر يومان ذا امنٌ وذا حذرُ ... والعيش شطران ذا صفوٌ وذا كدرُ
قل للذي بصروف الدهر عاندنا ... هل عاند الدهر الا من لهُ خطرُ
وفي السماء نجومٌ لا عداد لها ... وليس يكسف الا الشمس والقمرُ
وكم على الارض من خضرا و يابسة ... وليس يقصف الا اليانع النضرُ
والعود من حزن غنى لمنشده ... الغصن يقطع في الادواح والشجرُ
اما ترى البحر تعلو فوقهُ جيف ... وتستقرُّ باقصى قعره الدررُ
وكم سقتنا الليالي من نوائبها ... صرفاً من السم لا يبقي ولا يذرُ
كنا جميعاً غوافي الدهر فرقنا ... لنا التسلي وفي ابائنا عبر
ياصاح دنياك لا تامن لها ابداً ... تعيش سلماً من الافات لا ضرر
يامعشر الناس من كان الزمان لهُ ... مساعداً فليكن من رايه الحذر
احسنت ظنك بالايام اذ حسنت ... ولم تخف سوء ما ياتي به القدرُ
وسالمتك الليالي فاغتررت بها ... وعند صفو الليالي يحدث الكدر

قال الراوي ثم انهُ بعد ذلك ذبح على القبر خمسائة ناقة وخمسائة راس غنم وبعد ذلك اقبلت عبلة الى القبر وهي مكشوفة الراس زايدة الوسواس وقد قل جلدها وحيلها واكثر ندبها وعويلها وعلمت انها بعد عنترة قرب اوان رحيلها وكانت النساء والحريم كلها معها تبكي بين الرجال والسادات واخذت ترثي عنترة بهذه الابيات

ألا ليت شعري عبلة من يعينها ... وعنترة امسى بعرصة بلقع
ألا ليت شعري عبلة من يصونها ... وعنتر لا يدري نداها ولا يعي
ألا ليت شعري عبلة من يجيبها ... اذا ما دعت يافارس الخيل اسرع

انادي ولا القى هماماً يغيثني ... ولا فارساً يحمي حماي وموضعي
الا ليت شعري من لعبلة بعده ... اذا نادت الابطال هل من سميذع
الا ليت شعري هل يعي بعد نومه ... ويرثي لذلي راحماً لتوجعي
سلامي على قبر حواه وضمه ... سلام حزين ذائب القلب موجع

فلما فرغت عبلة من هذه الابيات لم يبق قلب الا واحرقته ولا جفن الا وادمعته ثم ان الملك قيساً جمع بني عبس اليه ليشاورهم فيما يعولون عليه فلما اجتمعوا قال لهم يا بني عمي اعلموا انه قد مات من كان يبذل روحه دوننا و يصون حريمنا واولادنا وانتم تعلمون ان العرب ثاراتهم عندنا كثيرة والراي اننا نرتحل من هذا المكان قبل ان تجتمع علينا سائر العربان اذ يعلمون بموت عنترة حامينا فيحتاطون بنا ويمسكون الطرقات علينا ويطلبوننا من كل جانب ومكان و يحل بنا الذل والهوان فعند ذلك اجابوه بالسمع والطاعة وتاهبوا للرحيل وسرعة التحويل فبينما هم مهتمون بالرحيل واذا بغبرة قد ثارت ثم انكشفت عن سبعة فوارس في همة اية همة يقدمهم دريد بن الصمة

قال الراوي وكان السبب في ذلك ان الخبر وصل الى دريد بموت عنتر وتحقق الخبر فصاح واعلن بنداه واركناه واعزاه ياليت شعري من يكون بعدك يا ابا الفوارس لا بي النظر آه لو كنت تفدى لافديك بالسمع والبصر و ياليتني ما عشت حتى سمعت هذا الخبر ثم انه اقام له ماتماً ثلاثة ايام

قال الراوي وبعد ذلك انفذ الكتب الى سائر اصدقائه ينعي اليهم وفاة عنتر الليث القسور والكتب التي ارسلها كانت الى محبي عنترة مثل هاني بن مسعود وجبار بن عامر الكندي وعمرو بن معدي كرب الزبيدي وملاعب الاسنة وعامر بن الطفيل وذي الخمار وزيد الخيل وقد دعاهم ان ياتوا عنده حتى يذهب واياهم الى العزاء ويقيموه في ارض بني عبس فلما وصلت كتب دريد بن الصمة الى قبائل العرب اولي الهمة واصحاب الشدة والعزمة اجابوه بالسمع والطاعة ولم يكن الا قليل حتى اجتمعت القبائل وركب الفارس والراجل وبكى الجميع على عنتر وكلهم عليه تحسر واجتمعوا عند دريد الليث القسور فلاقاهم واكرم مثواهم فاجتمعوا اليه وعزوه بعنترة وبكوا عليه واجروا دموعهم مثل المطر وما منهم الا من ندب عليه وتحسر

قال الراوي وبعد ذلك ساروا طالبين ديار بني عبس ليحضروا العزاء ويشفون انفسهم بالبكاء ولم يزالوا سائرين الى ان رات بنو عبس غبائرهم كما ذكرنا فلما نظر جرير

غبارهم ذهب ليكشف اخبارهم فلما عرفهم رجع الى الملك قيس واخبره بقدوم هولاء السادات فخرج الملك قيس واخوته وسائر اهله وعشيرته وفرسان بني عبس وعدنان وتلقوهم وفي احسن مكان انزلوهم هذا والملك قيس قد انهلت مدامعهُ كالسيل وقل منهُ الحيل وضجت رمال عالج وتلك البطاح من البكاء والنواح وكان اكثرهم بكاء واشدهم انينًا واشتكاء دريد بن الصمة صاحب العزيمة والهمة وتباكت من حوله سائر امراء العرب من بعد منها ومن اقترب واقاموا يبكون ويندبون ثلاثة ايام بلياليها وبعد ذلك كفوا عن البكاء والعويل وجلست الناس وحزنهم طويل فعند ذلك نهض دريد بن الصمة على قدميهِ واشار نحو قبر الامير عنترة بيديهِ وزادت بهِ الاشجان وتصاعدت منهُ الزفرات واشار يرثيهِ ويقول

ياعين سحي وابكي ابن شداد بكاء عبرة عين شجوها بادِ
يامن راى بارقًا يبدو بلا ارق حزنًا على الاسد المطروح في الوادي
اسقي بهِ قبر ليث الحرب عنترة في خير قبر ثوى افديهِ من فادِ
ابا الفوارس من للحرب مثل فتى قد كان ركني وحصني عند اضدادي
شهاد النجبة وقاع اعمدة سداد داهية فتاح اسداد
فخار داعية قتال طاغية جلاء رابية فتات اكباد
قوال محكمة نقاض مبرمة فراج مكربة جياش رداد
جماع كل خصال الخير قد علموا زين العرين ونكل الظالم العادي
فلا وعهدك لا انساك ياملي حتى تعود اليهِ ياابن شداد
ابا الفوارس لو تنظر ابا نظر يبديك شجو الاخلا سعلك الناد
والله ما زلت ابكي عنترًا ابدًا ما سارت النجب يومًا او حدا الحادي

فلما فرغ دريد من شعره هاجت الرجال والابطال وما منهم الا من بكى وقل مصطبره وزادت فكره ورثى عنترة وكذلك فعلت عبلة وزبيبة وسائر النساء وطرقتهن حوادث الطارقات المريبة ومزقن الثياب ودققن على الصدور ولطمن الخدود ونشرن الشعور حزنًا على عنتر البطل القسور وقلقت العشيرة وزاد بهم النواح من خوفهم على اهليهم من السبي والافتضاح فعند ذلك ساروا عن اخرهم ونادوا ياحامية العشيرة لو نظرت عيناك الى اهلك وقد ايقنوا بالشتات والهلاك وابتلوا من بعدك باشأم الحادثات

قال الراوي وبعد ذلك قام دريد بن الصمة واجلس الرجال واسكت الناس عن البكاء والاعوال فلما جلست السادات اقبل على بني عبس وقال لهم يا آل عدنان قد كان

الذي كان فاطلبوا من الله النصر والامان لانهُ للقلوب المنكسرة جابر وعلى قبض ارواحنا قادر فاسمعوا ما ابديه لكم من المقال لاجل عنترة وما لهُ من الجميل والافضال وانا اريد ان انصحكم ايها السادة الابطال لانكم حملتم دماء سائر العرب من بعد منها ومن اقترب وانتم تعلمون انهُ ما كان يحميكم من سائر العرب الا عنترة الفارس المنتخب وبما انهُ قد قضى اجلهُ ومات فسوف تقصدكم العرب من كل الجهات و يطالبونكم بالثارات وانا اعلم انكم لا تقدرون على دفع شرهم ولا تستطيعون على حربهم وقهرهم فاشير عليكم براي تسلمون فيهِ من الموت والحمام وهو ان تتحصنوا بالجبال المنيعة والاكام واعلموا انهُ لابد للعرب ان تاتيكم لاجل الدماء التي لها عليكم وقد سمعت بذلك قبل وصولي اليكم وقدومي عليكم فكونوا من امركم على حذر واطلبوا رؤوس الجبال والبر الاقفر

فلما سمع الملك قيس من دريد ذلك المقال بكى ودمعهُ سال وايقنت بنو عبس بدنو الاجال ثم قال قيس لدريد ما ترى ياابا النظر وما نفعل بعد هلاك حاميتنا عنتر فقال ما لكم الا ان تتحصنوا بالجبال والتلال وتتركوا فيها الحريم والعيال والاولاد والاطفال وانا لا افارقكم اكثر من خمسة ايام وست ليال فاني اسير واجمع فرساني والابطال وانيكم بشجعان واقيال واصلح امري معكم وعلى اعداءكم انجدكم قال ولم يقل لهم دريد ذلك الكلام الا تطييباً لقلوبهم لانهُ يعلم الحالة وانهم هالكون لا محالة فلما سمعت ابطال بني عبس منهُ هذا المقال شكروه ودعوا لهُ واستصوبوا رايهُ ومقالهُ و بعد ذلك الحال عول دريد على الارتحال فيمن صحبهُ من الرجال فتقدم ابو عبلة مالك في ظلام الليل الحالك ودخل على عامر بن الطفيل وقص عليهِ الخبر وما اوصاه بهِ عنتر وانهُ قبل موتهِ بقليل ارتضاه ان يكون ازوجتهِ عبلة بعلاً وتكون هي لهُ اهلاً وذلك لاجل صونها من الاعداء فلما سمع عامر واكابر بني قومهِ ذلك المقال اطرقوا الى الارض وبقي عامر في انذهال وكان عندهُ دريد والعزبان فلما سمعوا كلام مالك ابي عبلة وراوا اطراق عامر واكابر عشيرتهِ وفرسان قبيلتهِ اشار دريد والجماعة على عامر ان يجيب مالكاً ابا عبلة الى ذلك السوال فعند ذلك سمع عامر واجاب واخذه بذلك الفرح والاعجاب ثم انهُ مد يده في الحال الى ابيها وصافحهُ عليها بعد ما ضمن لهم الصداق من الجمال والنياق وعاهدهم انهُ لا يدخل بها حتى يسوق صداقها اليها و يعطيها كل ما يرضيها ثم انهم بعد ذلك عولوا على الرحيل فاخذت عبلة جميع مالها وودعت اهلها فقالوا يعز علينا فراقك وابوها واخوها ما هان عليهما ذلك وقالا هذا فراق ما بقي بعده تلاق فسيري مع بعلك وانظري كيف يكون معهُ حالك و بعد ذلك طلب كل امير دياره

واهله وامصاره وارتحل عامر بن الطفيل بعبلة وهي باكية العين والمقلة ودموعها على خدودها منهلة ولم يزل سائرًا الى ان وصل الى حي بني عامر ونزل في دياره وقر قراره وبعد ذلك احضر مشائخ عشيرته وابطال قبيلته واعلمهم بقصته واعلم بذلك بن خاله بن مالك ففرحوا له بذلك وباتصاله بعبلة ابنة مالك الا انهم مامنهم الا من تحسر وحزن على ابي الفوارس عنتر

قال الراوي ثم ان عامرًا بعد ذلك ساق الى عبلة المهر والصداق الذي وقع عليه الرضى والاتفاق وهو الف ناقة والفا شاة وعقدان من الجوهر وعشرون عبدًا وثلاثون امة وخلتان كل منها بالذهب معلمة وبعد ما ارسل المهر والصداق دخل عليها وصفي له الدهر

الكتاب الخمسون بعد المائة

من سيرة عنترة بن شداد العبسي

وراق وصارت عنده في الذ عيش واهناه واطيبه وارضاه هذا ما جرى لهولاء واما ما كان من بني عبس فانهم بعد ذهاب دريد من عندهم اقبلوا على الملك قيس يستشيرونه في امرهم علّه ينقذهم من شر اعدائهم وغدرهم

قال الراوي وكانت جميع ابطال العرب قد سمعت بخبر عنتر ولما صح عندهم انه مات واندثر تحركت منهم اصحاب الثارات وغليت الاحقاد الكامنات وراموا قتال بني عبس وان ينزلوا بهم التعس والنكس واما بنو فزارة فلما مات عنترة طمعت ببني عبس وعدنان وراموا هم وحلفاوهم بنو غطفان ان يذيقوهم كؤوس الذل والهوان فامر حصن بن حذيفة وسنان بن بن ابي حارثة بحضور امراء بني فزارة اليه فلما صاروا بين يديه قال لهم اعلموا ان الملك قيسًا وبني عبس قد افنوا ساداث بني فزارة واحلوا بنا الخسارة وما فعلوا بنا هذا الفعل المنكر الا بقوة حاميهم عنتر فالان وقد زال عنهم سعدهم ومات عنترة عبدهم اريد ان اطلبهم بثار ابي حذيفة وحمل صاحب الرتبة المنيفة وبدم الذين قتلهم قيس على جفر الهباة واعدمهم لذيذ الحياة وبمن قتل بعدهم من بني بدر وامزج بدمائهم ماء ذلك النهر واعلموا ان بني عبس قد دنا بوارهم وخربت ديارهم ولا بد لي من قتل صغارهم وكبارهم وانا اعلم ان العرب كلها تطلبهم وتاتيهم فالاوفق ان اكون انا السابق الى هلاكهم وفناهم فاسبي اولادهم ونساهم وانهب سائر اموالهم ونوقهم وجمالهم كما فعلوا معي ومع قومي من قبلي فلما سمعت مشائخ بني فزارة من حصن ذلك المقال لاموه ولم يستصوبوا هذه الفعال وقالوا له يا حصن انتم قتلتم منهم وهم قتلوا منكم وهم على كل حال من بني عمكم وقومكم فاعتصبوا معهم وكونوا لهم بالمساعدة

ودعوا عنكم اللجاج والمعاندة لئلا تهلكوا انتم في كرة واحدة فقال سنان بن ابي حارثة يا ويلكم انسيتم ما حل بكم من الاذلال وما رماكم به بنو عبس من النكال فلو كانوا بني عمنا لما فعلوا بنا تلك الفعال واعلموا اننا اذا افنيناهم بالسيف البتار وبيضنا عمايمنا عند سادات العرب الاخيار واخذنا لمن قتل من قومنا بالثار وانفسخ ما بيننا وبين بني عبس من الزمام تكون قد فعلنا الصواب ونلنا غاية المرام لانهم ابادونا وبسيوفهم افنونا ومن يابى الركوب معنا عليهم في الحال نقتله ونسقيه كاس الوبال فلما سمعت الجهال من سنان هذا المقال غليت الاحقاد في قلوبهم وقالوا لحصن لابد لنا من الركوب عليهم ومن تكلم بكلام او قال ان بني عبس لنا اهل او بني اعمام سقيناه كاس الحمام ثم انهم تحالفوا على مثل هذه الحال وهموا بالحرب والنزال وسكتت مشايخهم عند سماعهم هذا التهديد والمقال وقالوا لهم افعلوا ما تريدون ونحن لكم تابعون ثم ان حصنًا جمع بني فزارة وكانوا ثمانية الاف فارس من كل مدرع ولابس وارسل الى حلفائهم بني ذبيان يدعوهم الى الركوب معهم على بني عبس وعدنان

قال الراوي فلما حضرت بنو مرة وبنو ذبيان اطلعوهم على حقيقة الحال فركبوا في الفي بطل فصارت بنو فزارة والاحلاف عشرة الاف ثم انهم ساروا في ذلك اليوم وحصن امام القوم ممتطيًا حجرة ابيه الغبراء وهي من تحته كانها البرق الخاطف وهو غائص في شكيمته غارق في لامته يجر رمحه من وراء ظهره والراية على راسه تظلله وسادات بني فزارة وذبيان من حوله والكل ممتثل امره

قال وكان قد وصل الخبر الى بني عبس بمسير بني فزارة اليهم وقدومهم عليهم وانهم طالبون منهم القتال والحرب والنزال ويأملون اخذ الثار وكشف الذل والعار وان الذي اثار هذه الفتنة هو سنان الغدار وعلموا بما دار من المقال بين جهال بني فزارة والعقال وانهم ركبوا في بني مرة وذبيان طالبين منهم ثارهم وكشف عارهم وان هذا الامر كامن في قلب حصن من يوم جفر الهباة لا ينساه اذ ان اباه حذيفة اوصاه عند ما قتل وحلت به الوفاة وكان حصن حينئذٍ صغيرًا فضمه ابوه اليه وقبله بين عينيه وقال له يا ولدي ما عاد لي مناص من شر بني عبس ولا خلاص لانهم قوم طغاة ولا بد ان يقتلوني وها انا اوصيك فاحفظ وصيتي فان كبرت وصرت امير وخضع لك كل سيد خطير واطاعك من بني عمك كل صغير وكبير خذ بثاري من بني عبس وعدنان ولا تبقِ منهم انسان ولا تقل انهم اهل واقارب فما هم الا حيات وعقارب فما صدق حصن ان سمع بموت عنتر حتى ركب وسار في هذ العسكر طالبًا اخذ ثاره وكشف عاره

قال الراوي هذا ما كان من هولاء واما ما كان من بني عبس فانهم لما اجتمعوا عند الملك قيس ليستشيروه فيما يفعلون ولاية الجهات يقصدون قال لهم يابني عمي قد بلغتني اخبار عن بني فزارة بانها راكبة عليكم ومجتمعة اليكم وطامعة في قتالكم ونهب اموالكم وهي تومل اخذ ثارها وكشف عارها وقد كثر طمعهم فينا لما فقدنا ناصرنا وحامينا فارس الحرب والجلاد عنترة بن شداد ومرادهم ان يشمتوا بنا الاعادي والحساد واما نحن فما بقي لنا احد نلتجي اليهِ ولا معولٌ نعول عليهِ فياحسرتاه عليك ياابا الفوارس ومن كان لنا حافظًا وحارس

قال الراوي فلما سمعت ابطال بني عبس كلام الملك قيس كثر منهم البكاء والنحيب وما منهم الا من اضحى كئيب وذكروا عنترة وايامهُ وكيف كانت تهابهم بهيبتهِ اخصامهُ فقال لهم الملك قيس ايها السادات مامضى وفات لا ترجعهُ الحسرات ولا فيض العبرات فان عنترة مات وصارت عظامهُ رفات ولا بد ان تطلبكم العرب من كل قفر وسبسب واعلموا انهُ ليس لكم ملجا تلتجئون اليهِ ولا معول تعولون عليهِ ولا ينجيكم من حتوفكم الا قوائم رماحكم ونصول سيوفكم فان الموت تحت العز احسن من الحياة تحت الذل فموتوا كرامًا ولا تعيشوا لئامًا واحفظوا قول ابن عمكم عنترة في بعض قصائده حيث يقول

لا تسقني كاس الحياة بذلة ... بل فاسقني بالعز كاس الحنظل
كاس الحياة بذلة كجهنم ... وجهنم بالعز افخر منزل

ولما انتهى الملك قيس من كلامهِ اقبل عليهِ اخوه نوفل وقال لهُ ياأخي وانا عندي راي اخر فيهِ السداد والخير والرشاد فقال لهُ قيس قل ياأخي ما بدالك فعسى ان يكون في هذا الراي اصلاح حالنا وحالك فقال نوفل ياأخي اعلم ان لكل شيء بداية ولكل بداية نهاية ولكل حال اوان ولا يدوم حال على انسان ونحن نعلم انهُ ما كان عزنا وسعدنا بين العباد الا بهيبة ابن عمنا عنترة بن شداد فكم اذل الابطال من اجلنا وقهر الفرسان بسببنا والان بما انهُ قتل ومات وشرب شراب الافات فما عادلنا بعده حياة واعلموا ان الصبر عند النوائب من اعلى المراتب والراي عندي اننا نسير باهلنا من هنا وظعننا وقومنا معنا ونقصد جبال الردم و وادي الرمل ونحصن هنالك ونحصن حريمنا واولادنا ما بين تلك الدكادك ونجمع جميع اموالنا في تلك الجبال ونتجرد بعد ذلك للقتال وحرب من ياتي الينا من الفرسان والابطال لانك تعلم ان عنترة دخل هذا المكان ومعهُ مائتا فارس وحمى نفسهُ من الجن والابالس واخذ سائر اموال العرب والعجم وقهر الفرس وجبابرة الديلم وما بالى باحد من

الامم لانهُ مكان حصين منفرد لا يقدر على الوصول اليهِ احد الا اذا دخل من راس المضيق فاذا تحصنا بهِ لا نبالي بعدو ولا صديق لانهُ اذا كان في باب هذا المكان عشرة من الفرسان حموا انفسهم من اهل الارض في الطول والعرض فلما سمع كلامهُ الملك قيس وسادات بني عبس الانجاب علموا انهُ غاية الصواب. وفي ساعة الحال هدوا المضارب والقباب ورموا ما كان لهم من الخيام وقلعوا الاطناب وحملوا الرحال على الجمال وشدوا الهوادج واركبوا فيها العيال وبعد ذلك تقلدوا بالسيوف الصقال واعتقلوا بالرماح الطوال وساروا طالبين جبال الردم ووادي الرمال

قال الراوي هذا ما جرى من بني عبس وعدنان واما ما كان من بني فزارة فانهم ساروا طالبين بني عبس وقتالهم قاصدين اخذ ثارهم وكشف عارهم وكان حصن وسنان من قبل ان يسيرا الى لقاء بني عبس الاخيار ويفارقا اهلها والديار ارسلا كتبهما الى سائر عرب البر والقفار يقولان فيها يامعاشر العربان وابطال الزمان لكم البشارة في موت سيد بني عبس عنتر الذي لا يحمد على فعلهِ ولا يشكر فاركبوا واطلبوا ثاركم وازيلوا عنكم عاركم ولا تقولوا ان بني فزارة وحصن بن حذيفة لهم ابناء عم ولا من جملة الاقارب والله ياقوم اني انا اكبر اعداهم وجل قصدي موتهم وفناهم فلا تكارموهم من اجلي بل اركبوا عليهم وافنوهم وان قدرتم عليهم لا تبقوهم وانا اول من يركب عليهم واوصل اذاي اليهم

قال الراوي ثم ان حصناً وسناناً ارسلا الكتب الى سائر امراء قبائل العرب سكان البر والسبسب واخبراهم بموت عنترة بن شداد واستحثاهم على اخذ ثارهم وكشف عارهم

قال الراوي فسارت عبيد حصن بالكتب الى سائر الجهات وكانت قلوب العرب مستعرة بنار الحقد على بني عبس فما وصل كتاب الى احد من الاعراب الا وامتثل واجاب وسار والاخذ الثار وكشف العار هذا ما كان من هولاء واما بنو عبس فانهم ساروا كما ذكرنا بنية وعزم طالبين وادي الردم وما زالوا سائرين الى ان وصلوا الى ارض يقال لها الورس فيها اشجار ومياه واطيار تسبح الله الواحد القهار فنزلوا لاخذ الراحة في ذلك المكان ولم يعلموا ما يكون من حوادث الزمان وطوارق الحدثان وما استقر بهم النزول حتى طلع عليهم الغبار ساعة من النهار ثم انكشف عن فرسان الاعراب كلهم بالدروع والعدد يقدمهم بنو فزارة وذبيان وخلفهم سائر العربان مثل بني غنى وكلاب وزهران وطباب وفي الصباح اتت بنو مذحج ونبهان وسنبس وخولان ثم اتى بنو زعرة وصعصعة وكلب ويربوع ومرة فملأوا القيعان وداروا ببني عبس من كل مكان فبكت بنو عبس على الحريم والعيال لما

شاهدوا هذه الحال واخذوا يودعون بعضهم البعض وفي الصباح اقبلت بنو ذهل وشيبان وعروة والسكاسك والسكون وزغبة ورباح وقشير والطماح وكنانة وقحطان ونمير والعين وحنظلة وطي وعدي وتيم وثقيف ونعيم وحمير وكندة وسعد وهمدان حتى ملأوا السهول والوديان

قال الاصمعي وكان عدد العرب التي تجمعت على بني عبس الف الف وثلاثمائة الف فلما نظرت بنو عبس الى هذه القبائل ماجوا في تلك الارض طولاً وعرض وظنوا انه قد دنا يوم العرض ولما نظر قيس الى حالهم قال لهم ما بالكم يا بني عمي قد فزعتم من الموت والحمام فلا تهدموا ما بنيتم لكم من الفخر وعلو المقام فموتوا كراماً ولا تعيشوا لئاماً فنحن لا نريد حياة بعد ذلك الاسد الاسود والبطل الامجد الذي كانت تهابنا لاجله عرب الاقطار وانتشرت الاخبار بشجاعته في سائر الامصار فاخذه من بيننا القضاء والقدر الذي ما للعبد منه مفر وهيهات ان يسمع لنا الزمان بحامية مثل عنتر وهذه القبائل قد اقبلت عليكم من جميع الجهات فاصبروا على مر النائبات وهذا الموت امامكم وانا واخوتي قدامكم واعلموا انه لم يبقَ لنا نصير ولا مسعف ولا مجير فلما سمعت بنو عبس هذا الكلام ايقنت بشرب كاس الحمام وركبت خيولها واعتقلت برماحها وتقلدت بنصولها ثم تقدم الملك قيس امام بني عبس بغير خيفة فاستقبله حصن بن حذيفة ولما تقاربا قال له حصن ويلك يا ابن زهير لقد اقبل عليك الشر وذهب عنك الخير وما بقي من اجلك واجل بني عمك الا القليل ولا بد ان يبقى حديثكم جيلاً بعد جيل فكم قد نهبتم الارواح وضربتم في العرب بالصفاح وحماكم عنترة في المساء والصباح فاين الان ابو الفوارس ومن كان لكم حافظاً وحارس فما حسبتم حساب انقلاب الازمان وصدمات طوارق الحدثان انسيتم يوم جفر الهباة فان نسيتموه فانا لا انساه

قال الراوي فلما سمع الملك قيس من حصن هذا المقال قال له والله يا حصن ما بلغت منا المراد ولا شفيت غليل فواد لان الموت طاب لنا من بعد حاميتنا واعلم ان المنية لا تغفل عن احد لا ابيض ولا اسود فدع عنك ما تشير اليه وما عزمت عليه فقال له حصن كيف ترى الان حالك يا ابن زهير وقد مضى عنك عنتر وبقيت هدفاً للسهام للقضاء والقدر فاليوم وحق ذمة العرب لا بد من سبي ابنتك الجمانة واهتك منها الستر والصيانة فقال له قيس يا لئيم أتفتخر بالفعل الردي والعمل الذميم فقال له حصن لا بد من ان تصبح ابنتك في قبضتي واخذها من قدامك واسقيك كاس حمامك ثم انه مضى الى ماواه وقد ايقن ببلوغ مناه ودخل الخيام وحدث سنانًا بما جرى بينه وبين قيس من الكلام

قال الاصمعي وعند المســاء اجتمع بنو عبس فاقبل عليهم الملك قيس وقال اعلموا يا بني الاعمام اننا قد وقعنا في مخالب الحمام ولا يقدر على خلاصنا احد من الانام وقد ارتايت لكم رأيًا فان فعلتموه بلغتم الارب ولا يموت الا من اجله اقترب فقالوا يا ملك اشر علينا بما قد عنّ لك لان ما فينا الا من ايقن بالهلاك فقال من الراي ان نلبس النساء والبنات والعبيد والاموات ثياب الحرب ونركبهن الخيل في هدوات الليل ونهجم على بني فزارة بعد ما نعرقب الجمال ونذبح الاطفال ولا نترك لاعدائنا عقال ونحمل حملة واحدة على هذه العربان ونقصد مضرب حصن وسنان وننزل بهما الذل والهوان واذا ثارت العربان اختفينا بينهم ويقصد كل واحد منا مكان فاستصوبوا راية ونهضوا في ساعة الحال والبسوا النساء الزرد والحديد وكانت نساء عبس شجيعات قد تعودن ركوب الخيل وخوض البراري في ظلام الليل وما مضى من الليل ساعة حتى قضوا اشغالهم وفرغوا من اعمالهم وبعد ذلك عمدوا الى الجمال فعرقبوها والاطفال فذبحوها وجمعوا الاثاث واشعلوا النار وركبوا الخيل العوال وانضموا الى بعضهم البعض وكانوا اثني عشر الفًا اربعة الاف رجال واربعة نساء واربعــة عبيد ولم ياخذوا شيئًا سوى الذهب والجوهر وما تبقى اكلتــهُ النار ولما قضوا اشغالهم علا صياح الجمال حتى ازعج القفار واضاءت تلك البطاح من لهيب النار فصاحت بنو عبس صوتًا واحد ارتجت له الجبال والفدافد ونادوا يا لعبس يا لعدنان يا لثارات عنترة فارس الزمان ثم ركبوا وحملوا على بني فزارة ولما رات العربان تلك الحال اخذتها الحيرة والانذهال ولم يعلموا السبب وايقنوا بالبلاء والعطب وحملت بنو عبس بلا جزع ولا خيفة وقصدت مضرب حصن ابن حذيفة واحدقوا ببني فزارة من كل جانب ووضعوا السيف في من قدامهم من الاعراب فعند ذلك علا الصياح حتى اقلب الروابي والبطاح وطلب القوم بني فزارة لانقاذهم من هذا المصاب فمنعتهم ملوكهم والمقدمون عليهم وقالوا لهم ان امتزجتم بهم في هذا الظلام وقعت بكم الخسارة كما وقعت ببني فزارة والصواب اننا نقصد خيام بني عبس وننهبها ثم نقتل من بقي في الخيام ونسبي الحريم والعيال ما دام العرب مشغولين بالقتال فعند ذلك قصدوا المضارب فراوا تلك النيران المضرمة تلعب بالخيام والثياب والامتعة ووجدوا جميع النوق والجمال معرقبة ولم يروا احدًا من النساء ولا من الرجال فسالوا من هناك عن هذا الحال فاخبروهم ان بني عبس قد ذبحوا الاطفال وعرقبوا الجمال واحرقوا جميع اموالهم بالنيران والبسوا النساء والصبيان السلاح واركبوهم معهم للحرب والكفاح

قال الراوي فتعجبت العربان من هذا الشان وقال بعضهم لبعض هذه وحق ذمة

العرب نخوات الابطال وهم الرجال هذا ولم يزل القتال يعمل الى نصف الليل ونزل على بني فزارة الذل والويل وقتل منها اربعة الاف ومن بقية العرب بان اضعاف لان بني عبس قاتلت قتال من لا يرجع ولم يبق لهم في الحياة مطمع فشفوا الاكباد واهلكوا الاعداء والحساد وكان اول من قتل من بني فزارة في هذه الوقعة عشرة من الاعيان منهم الحارث وحصن وسنان وجماعة من المقدمين والفرسان واكابر بني فزارة وقد نزل عليهم الذل والخسارة والسبب في ذلك انهم بينما كانوا كلهم مجتمعين في مضرب حصن يتحدثون في امر بني عبس طرقتهم بنو عبس وهجمت كانها سهام المنايا اذا ارسلت فنهض حصن ليخرج والجماعة من حواليه فادركتهم الخيل وحملت عليهم بعد ما طرحوا منهم الفي فارس فعند ذلك صاح حصن بعبيده ان يقدموا له فرس ابيه الغبراء حتى يركبها ويهرب في الصحراء فادركته بنو عبس في خمسمائة فارس وقيس في اوائلهم وكان قد راى حصناً وضع رجله في الركاب حتى يركب ويطلب لنفسه الهرب فخشي ان يفوز بالفرار فيضيع تعبه ويتحسر فحمل عليه وطعنه طعنة من فاز بالظفر فوقعت في جنبه الايمن خرجت من الجانب الايسر فوقع صريعاً يعج علقماً ونجيعاً واما سنان بن ابي حارثة ومن معه فلم يقدر احد منهم ان يركب بل رجعوا كلهم الى داخل المضرب وقد ايقنوا بالموت والعطب فعند ذلك نادى قيس يا بني عمي الثار الثار البدار البدار قبل الهلاك والبوار فقد اخذت ثاري بيدي وشفيت من الاعداء كبدي فدونكم انتم اخذ الثار من الظالم الغدار الداهية الحادثة سنان بن ابي حارثة فادركوه قبل ان يطلب الهرب فانه دخل المضرب فترجل من بني عبس الاشاوس اكثر من ثلاثمائة فارس ودخلوا المضرب فوجدوا سنان ومعه اكثر من خمسين فارساً من بني فزارة فاوقعوا بهم الذل والخسارة وبعد ذلك خرجوا وقد انجزوا الامر وشفوا غليل الصدر ثم ركبوا وساقوا خلف بني فزارة وهم مهزومون وللنجاة يطلبون فصاحت بنو فزارة على العرب وطلبت منها المعونة للنجاة من العطب فتناخت القبائل وحملت الجحافل واقبل نحوهم الفارس والراجل وتواردت اليهم اهل الغدران والمناهل واطبقوا على بني عبس من كل جانب فتشتت شمل بني عبس وحل بهم التعس والنكس فلله درهم من فرسان شجعان فقد قاتلوا الف الف وثلاثمائة وستين الفاً وكانت قد قاتلت من اول الليل الى وقت الصباح حتى اضحت اشباحاً بلا ارواح وبعد ذلك اطبق عليهم نحو اربع مائة الف فارس وزادت بهم الوساوس فلم تكن الا ساعة حتى امتلات الارض بالقتلى وهلكت الاماجيد وفنيت منهم الاماء والعبيد وكذلك النساء والبنات والصبيان وتشتت باقيهم في القيعان ولم ينج من بني عبس الا من

كان بجواده سابق واراد سلامته العزيز الخالق

قال الراوي وكان الملك قيس ممن سلم في تلك الوقعة وطلب الفلاة وابنته الجمانة على جواده داحس وهي راكبة وراءه ولم يزل سائرًا بها مدة خمسة ايام الى ان وصل الى نهر الفرات وهو يظن ان الاعداء وراءه فلما اشرف عليه اراد العبور من جانب الى جانب خيفة ان يكون العدو له طالب فلكز الحصان ودفعه بشدة فهمز به الجواد الى وسط الفرات وعام فارخي له المقود والجام فمر في نهر الفرات واذا بالجمانة قد وقعت من ورائه فغرقت في البحر واما قيس فانه نجا بجواده وطلع الى البر من ذلك الجانب وقد امن من المعاطب فعند ذلك هدا ما كان فيه وانشرح ونشف اثوابه الا انه حزن على ابنته وعلى باقي اصحابه واخوته ثم ركب جواده وسار من اول النهار يقطع الربي والقفار حتى بلغ ارضًا يقال لها ارض الصوامع وجبل نجوم وهي من اراضي بلاد الروم فسار فيها ليلتين ويومين وفي اليوم الثالث اصبح في ارض واسعة ومياه نابعة وفي وسط تلك الارض صومعة وفيها راهب فدخل عليه قيس وقتله واقام مكانه ياكل ويشرب مما كان عنده من الطعام والمدام مدة ليال وايام

قال الراوي وفي بعض الايام بينما كان قيس جالسًا متفكرًا في ما جرى عليه من الاحكام واذا بثلاثة فرسان قد اقبلوا عليه من صدر تلك البرية ونزلوا عن خيولهم يطلبون الراحة فتبينهم واذا هم اخوته نوفل ونهشل وورقا فلما عرفهم صاح من اعلى الصومعة ياللعرب فرفعوا روسهم فعرفوه وقالوا جل من جمعنا من بعد الشتات ثم انه نزل الى اخوته وهو يكفكف دمعته وقد تذكر مملكته واهله وقبيلته وولده زهير وكذلك اخوته فانهم لما راوه بكوا واكثروا من العويل حتى اشتفى منهم الغليل فقال لهم قيس يا اخوتي ما بقي من العمر الا القليل ثم ادخلوا خيولهم الى ذلك المكان بسرعة واطلقوها حول الصومعة وقد زهدوا بالدنيا ولبسوا المسوح السود واقاموا في ذلك المكان وقد توكلوا على الملك المعبود

قال الراوي هذا ما جرى لهولاء واما بقية بني عبس فتشتتوا في الافاق وشاع خبرهم بين جميع العرب من بعد منها ومن اقترب وبلغ الخبر عامر بن الطفيل فصعب ذلك عليه وكبر لديه وعظم مصابه ومزق ثيابه واكثر بكاءه وانتحابه وسمعت بذلك عبلة ابنة مالك فتاوهت واكلت لحم زنودها وزاد بكاوها وتعديدها على ابيها واخيها وبني عمها واهاليها وتذكرت ايام عنترة البيض وبني عبس في العيش الرغيد ثم تنهدت وتحسرت واشارت تقول

سابكي على من كان يحمي ديارنا ويمنع عنا الضد حين يصول
لقد كان كشافًا اذا اشتبك القنا لاهل الضنا والعالمون تجول

فمن بعده ماطاب لي عيش ساعة ولا زلت ابكي والدموع تسيل
عليه سلامي كلما هبت الصبا سلام محب قد عراه نحول

قال الراوي فلما سمع عامر شعر عبلة رقّ لها وشكرها على فعالها الا انهُ ما هان عليهِ ان تمدح عنتر واضمر لها في قلبهِ الضرر ولم يظهر لها ذلك الا مخادعة لها لانهُ لم يهن عليهِ ان ترثي عنترة ولا تبكيهِ وكانت عبلة تنفر من عمرو ولا تلتفت اليهِ بل انها شغلت نفسها بالنوح والبكاء فتركها مدة من الايام وهي على ما هي عليهِ وبعد ذلك امر العبيد ان يضربوا لهُ خيمة على تل عالٍ يقال لهُ ثنية الرخم وكان تحت ذلك التل غدير ماء واشجار وكان ذلك المكان قريب من الحي وكان حينئذٍ زمان الربيع وقد تبهرجت الارض بحسنها البديع ففعل العبيد ما امره مولاه ونقل الى تلك الخيمة من المدام والطعام ما يكفي جملة ايام وبعد ذلك اخذ عامر عبلة ومضى الى تلك الخيمة ولبثا فيها يتنزهان ويأكلان ويشربان وفيما جرى لبني عبس يتحدثان فقال لها عامر ياعبلة والله لو اتى الحيّ بنو عبس وقصدوني لكنت حميتهم ورددت العدى عنهم وكانت الناس ترى من اشجع انا ام عنتر

قال الراوي فلما سمعت عبلة من عامر ذلك المقال علمت انهُ غير قادر على ما قال فالتفتت اليهِ وقالت لهُ هيهات الندم على ما فات ولكن شتان ما بينك وبينهُ وما بقي الزمان يخلف مثلهُ فلما سمع عامر مقالها غضب منها وقال لها بماذا تفضلين عنترة عليَّ وانا اقوى منهُ حسبًا ونسبًا واجل منهُ امًا وابًا فقالت لا بل هو احسن منك بكل شيء فلا تذمهُ اذا كان ميتًا وانت حي فلم يرد عليها جوابًا بل قال في نفسهِ وحق ذمة العرب لابد ان اقتلها واتبعها باسودها ولما كان اليوم الثاني وهما جالسان يتحدثان جانت من عبلة التفاتة فرأت افعى الى نحوهما تسعى فقالت لهُ ياعامر انظر هذه الحية فانها نحونا قاصدة فوثب عامر واستل سيفهُ وتقدم الى الافعى وضربها قتلها وعجل مرتحلها وعاد وجلس مكانهُ وقد اوشك ان يمد من التعجب لسانهُ فضحكت عبلة فسألها عن السبب فقالت خطر على بالي شيء قال وما هو قالت لهُ اني تذكرت الاسد الغضنفر ابن عمي عنتر لانني كنت جالسة معهُ في بعض الايام واذا باسد هجم على الخيام فقام اليهِ واخذ روحهُ من بين جنبيهِ وعاد اليَّ كانهُ لم يفعل شيء فانت قتلت دودة من ديدان الارض وعدت وانت تعبان فلما سمع عامر كلامها ازداد حنقهُ وقام في ساعة الحال من ذلك المكان ورجع الى الحلة واخبر فرسان القبيلة بما جرى لهُ مع عبلة فقالوا لهُ اعلم ياعامر انهُ لو خلا بها قيصر او كسرى او الاسكندر لما افتكرت الا في عنتر ثم اتفق ولهام على قتلها مخافة ان تخبر عنهُ اهل الحلة فيعتريهِ العار فصبر الى الليل وامر الجوار ان يخنقنها

وقال في نفسهِ موتها ولا فضيحتي فامتثلن ما امر وخنقنها ومضت عبلة كانها ما كانت هذا ما
جرى لهولاء واما بنو عبس فانهم لما تفرقوا كما قدمنا وطلبت الفرقة الواحدة مكة والثانية
اليمن والثالثة العراق وكان في الفرقة التي طلبت مكة زهير بن قيس واخوه فضالة فقال
زهير يا بني عمي ان نحن دخلنا ارض اليمن هلكنا لان ما لنا فيها صديق ولا محام ولا رفيق
والكل لهم علينا ثار جديد وقديم فالاولى ان نتبع بني عمنا الى مكة ونحتمي بزمزم والحطيم

قال الراوي وكان مالك ابو عبلة واخوها وعمها زخمة الجواد قد سلموا من تلك
الوقعة وكانوا مع زهير وفضالة فقال مالك ابو عبلة لزهير دونك ما تريد فنحن لك اطوع
من العبيد ثم انهم ساروا الى مكة فوجدوا الموسم قد انقضى ونزل السيد عبد المطلب
عن كرسي القضا فعادوا راجعين ولاثار بني عمهم متبعين حتى وصلوا قرب الديار فعرج ابو
عبلة واخوها وعمها الى ارض بني عامر وسالوا عن عبلة فاخبروهم بما جرى لها فعادوا وقالوا
نحن رائحون الى الملك الاسود نخبره بما جرى وتجدد فعلم عامر بذلك فركب في جماعتهِ
وجد واخلفهم حتى ادركوهم وقتلوا ابا عبلة واخاها ونهبوا اموالها وهربت رجالها حتى وصلوا
الى مكة فوجدوا العرب قد تفرقت منها فاجتمعوا بالسيد عبد المطلب جد النبي المنتخب
واعلموه بقتلة عنترة الفارس الخطير فحزن عليهِ حزنًا كثير وقال وحق زمزم والحطيم ما بقي
يوجد مثلهُ ابدًا فقالوا يا شماتة القبائل فينا وسوف يجتمعون بعده علينا ويطلبوننا من كل
مكان ويبلوننا بالذل والخذلان ولا ندري ما جرى على ملكنا قيس من نوائب الزمان
قال فبينما هم يتحدثون واذا بغبار ثار وسد منافس الاقطار ثم انكشف من تحتهِ رجال من
بني عبس الاخيار فالتقوا بهم وسلموا عليهم واقاموا هم واياهم في البيت الحرام وطاب لهم المقام

قال الراوي هذا ما كان من هولاء واما ما كان من عمرو ذي الكلب الفارس الريبال
واختهِ قناصة الرجال فانها بعد ان ودعا عنترة قبل موتهِ بقليل واكثرا عليهِ العويل سارا
الى ديارها وكانت الهيفاء بالامر المقدر والقضاء المدبر قد حملت من عنتر ولما دنا يوم
ولادتها ولدت بنتًا سوداء كانها الليلة الظلماء تشبه اباها عنتر في اللون والمنظر فسبحان
خالق البشر ومصور الصور وبعد ذلك سالت قناصة الرجال اخاها قائلة ماذا اسميها فقال
عنيترة لانها تشبه اباها في اللون والمنظر ولعلها تخلفهُ في الشجاعة والفروسية والبراعة وتحيي
ذكره بين سائر القبائل

فاخذت امها في تربيتها الى ان بلغت من العمر اثني عشر عامًا فاعتادت ركوب الخيل
واخذت تسير مع امها واخيها في النهار والليل واخذا يعلمانها الجولان في الميدان وابواب الحرب

الطعان حتى مهرت في كل ابواب الحرب وخدائع الطعن والضرب وكانت متيقنة ان عمرًا ذا الكلب هو ابوها ولم تكن تعلم بامر عنتر ولم يخبرها به بشر وكانت لا تركب الا وهي ملثمة ولا تعرّف انها من ربات الحجال بل كل من رآها يظنها من فحول الرجال ولم يكن احد من اهلها ولا غيرهم يجسر ان يبادئها بسو ولا يجرأ ان يقاومها عدو ففي ذات يوم ركب خالها عمرو وسار الى بعض البراري والآكام في خمسة الاف فارس همام وطلب بهم الغزو الى بلاد اليمن فلما توسطوا البر الاقفر اعترضهم اسد هائل المنظر فهم عمرو ان يترجل اليه ويهجم عليه واذا بعنيترة تقدمت اليه وقالت وحق ذمة العرب وشهر رجب والنبي المنتخب والرب الذي عن العين احتجب لا برز اليه الا انا واسقيه كاس الفنا ثم ترجلت عن الجواد واخذت سيفها في يدها وسارت نحو الاسد بقلب مثل الجلمد فلما راها الاسد اقبلت نحوه هدر وزمجر وزعق زعقة تفلق الحجر فقصدته عنيترة ولم تكترث به وهزت السيف حتى لمع الموت من افرنده وتضاحكت المنايا من حده فوثب الاسد اليها بسرعة فاستقبلته بضربة بين عينيه قطعته شطرين فوقع على الارض قطعتين

قال الراوي وكان هذا السيف صاعقة قد اهداه الى عنترة بعض الملوك العمالقة فلما قتلت عنيترة الاسد شكرها القوم وتعجبوا من فعالها وكان افرحهم بذلك خالها ثم انها مسحت السيف بجلد الاسد وقد امنت الضر والنكد ففرح خالها بهذه الفعال وقال في نفسه ان الله رزقنا عوض عنترة الفارس الرئبال ثم انهم ساروا يقطعون البراري والقفار ليلاً ونهار الى ان وصلوا الى اول بلاد اليمن وقاربوا ديار صنعاء وعدن فبانت لهم حلة من الحلل وكان ذلك عند السحر فراوها عظيمة تذهل البصر بقباب وخيم وعبيد وخدم واموال ونعم وكانت هذه الحلة لاخت الحارث ابي سبيع بن الحميري وكانت عمة ذي الخمار وكان عنترة طول عمره ماطرق تلك الديار فلما راى عمرو تلك الحلة وما فيها من الاموال صاح باصحابه دونكم هذه الغنيمة التي لها قدر وقيمة فلما سمعت عنيترة كلام خالها وقد تقدم امام القوم اطبقت هي ومن معها على تلك الحلة واخذتها عن بكرة ابيها وتركتها وراءها وهمت ان تلوي عنان جوادها واذا بالنفير قد وصل الى الحلة والخيل قد طلعت من بني حمير وفي اوائلها غلام كانه الاسد بقلب اقوى من الجلمد فلما قرب من خيل بني قضاعة كشف عن وجهه اللثام واذا هو بوجه مثل بدر التمام وكان هذا الغلام يسمى اسد الفلا فصاح ويلكم يا مذلولين كيف تغيرون علينا وتاخذون اموالنا وتهجمون على الحية الرقطاء والذئبة المعطاء سيدة بني حمير الزرقا ولبوة اللقا

قال الراوي فلما سمعت عنيترة كلام ذلك الغلام ابدت الضحك والابتسام وقالت له ويلك يا مخذول الشارب واخس الاعارب نحن بني قضاعة اهل الفتوة والشجاعة والفروسية والبراعة ثم قومت نحوه السنان وقالت له دونك الطعان والتق عنيترة القضاعية وذُد عن نفسك البلية

الكتاب الحادي والخمسون بعد المائة

من سيرة عنترة بن شداد العبسي

فحملا على بعضهما في الميدان واخذا في الضرب والطعان وثار عليهما الغبار ساعة من النهار وبعدها انكشف الغبار وبان للابصار واذا بعنيترة على اسد الفلا قد تغلبت وصاحت صياح اللبوة وانصبت عليه انصباب الغيث اذا هطل وضربته بالسيف على عاتقه اطلعته يلمع من علائقه ثم صالت وجالت وقالت هل من مبارز هل من مناجز هذا موقف الفخار والضرب بالبتار فعند ذلك اخذت تبرز اليها الفرسان وهي تسقيهم كؤوس الهوان حتى قتلت خمسة وعشرين وتركتهم على الارض مطروحين فلما رأت بنو حمير هذا الامر المنكر اطلقوا الاعنة وقوموا الاسنة وحملوا حملة رجل واحد فاستقبلتهم بنو قضاعة وفي اوائلهم عنيترة وخالها عمرو ذو الكلب في مائة فارس وتركوا الباقين حول المال والنوق والجمال ثم ان عنيترة نادت انا لبوة الفجاج الضاربة بالحسام الوهاج انا قاتلة الرجال انا مبيدة الابطال وصاحت بقومها وحملت كانها الصاعقة النازلة والمنية الواصلة وانقضت على الفوارس وابلتهم بالذل والوساوس ثم حمل ايضاً عمرو ذو الكلب وعمل في القوم كما تعمل نار الحرب وصارت الفرسان قدام عنيترة تتكبكب وهي تضرب بقلب اقوى من الحديد واصلب حتى نكست الفرسان وابادت الشجعان واهلكت الاقران في ساحة الميدان فرأت بنو حمير من عنيترة واصحابها فرساناً واي فرسان يرون الموت مغنماً والحياة مغرماً فعند ذلك ولوا الادبار وركنوا الى الفرار فتبعتهم بنو قضاعة في ثلاثة الاف فارس وانفرد منهم ثلاثمائة فارس وساقت الاموال والنوق والجمال وما زالت بنو قضاعة خلف بني حمير حتى تشتتوا في البر الاقفر ولم يسلم منهم سوى مائة وخمسين والباقون اضحوا قتلى على وجه الارض مطروحين اما الزرقا فكانت نازلة على جانب واد من اودية تلك الارض يبعد عن موضع الوقعة نحو فرسخ تتحدث مع اكابر قبيلتها ووجوه عشيرتها وتاكل وتشرب وتلتذ وتطرب فلما سمعت ما حل بقومها من العبر قالت ويلكم ومن طرق ديار بني حمير وتجرأ ان يقرب من الموت الاحمر فقالوا فرسان بني قضاعة اهل

الفروسية والشجاعة وعددهم ثلاثة الاف فارس كلهم ابطال اشاوس وفي اوائلهم فارس اسمر طويل القوام حسن المنظر وهو الذي اظهر على اطلالنا ونهب اموالنا وقتل رجالنا فلما سمعت الزرقا ذلك المقال زاد بها البلبال وما عادت تدري اليمين من الشمال وقالت ويلكم انا سمعتم هذا الفارس ابن يكني من العرب والى من ينتسب فقالوا سمعناه يقول في اول حملاته انا فارس قبيلتي وحامي عشيرتي انا ابوة الوقائع وفارسة المعامع انا ابنة عمرو ذي الكلب سيد الابطال انا بنت قناصة الرجال وهي يامولاتنا التي قصدتك الى هذه الديار وقتلت ابن ابيك الفارس المغوار ونزلت بنا القتل والبوار

قال نجد بن هشام فلما سمعت الزرقا من رجالها ذلك الكلام صارت الدنيا في اعينها ظلام ولطمت على وجهها وراسها وزاد بلبالها ووسواسها وقالت للعبيد ائتوني بجوادي وعدة حربي وجلادي فاحضروها اليها في الحال فركبت وطلبت المجال

قال الراوي وكانت عنيترة قد هجمت على الخيام وسقت الفرسان كووس الحمام وفعلت هي وفرسانها فعل الجبابرة العظام الذين يرومون ان يبقوا لهم ذكراً على ممر الايام فلما رات الزرقا فعالها ونظرت قتالها وهي تطرد الفرسان من بين الخيام وتسوقهم امامها سوق الاغنام حملت في خمسة الاف فارس فالتقت العساكر بالعساكر وجالوا في الميدان واخذوا في الحرب والطعان وصبرت بنو قضاعة على القتال وقاست من بني حمير الاهوال وطمعت بنو حمير فيهم وسطت بكثرتها عليهم ولما رات عنيترة تلك الحال وان بني عمها في اضيق مجال طلبت الزرقا واخذت معها في القتال وطال بينهما الحرب والنزال فرات الزرقا من عنيترة حرباً مهولاً وطعناً وبيلاً ورات عنيترة منها التقصير فحملت عليها حملة صادقة وقلبت الرمح وطعنتها بعقبه في صدرها رمتها عن الجواد وانقضت عليها واوثقتها كتافاً وسلمتها الى بعض عبيدها وطمعت في بني حمير واذاقتهم الموت الاحمر الذي لا يبقي ولا يذر وحملت حملات ابيها عنتر فلما رات بنو قضاعة ما فعلته بهم بعد اسرها الزرقا قويت قلوبهم وحملوا لحملتها وذاقت بنو حمير من بني قضاعة ساعة بالعلامس ساعة فما كان لهم سبيل الا الهرب وتفرقوا في جنبات البر والسبسب هذا وسيوف بني قضاعة تعمل في ظهورهم اوفى عمل واشتد بهم الخوف والوجل وضاق باعينهم السهل والجبل فعند ذلك رجعت عنيترة ورفاقها وهي مثل اللبوة وامرت بتقديم الاسارى الى بين يديها ففعلوا وكانوا خمسمائة اسير ثم انهم رجعوا طالبين بلاد شريف وقد فرحوا بذلك النصر المنيف اما الزرقا فقد تغير حالها وزادت عليها الهموم وهي سائرة معهم موثوقة بالحبال تنشد وتقول

ابا اسرني القوم اللئام تعديًا   وامي بالهيجاء شرقًا كذا غربا
فتحت بلاد الحميريين بالقنا   وخافت ملوك الارض من سطوتي رعبا

قال الراوي فلما فرغت الزرقا من شعرها قالت لها عنيترة ويلك ارجعي الى طلعتك وقيسي بكفك منزلتك فقد اسرتك صغيرة السن بنت من قاتل العرب والعجم والفرس والديلم وفتك في كل شجاع غشمشم عمرو ذي الكلب الحنشم فلما سمعت الزرقا كلام عنيترة ندمت على لقائها غاية الندم لما علمت انها بنت ذلك الاسد الضيغم ولم يزالوا سائرين حتى وصلوا الى ديارهم ونزلوا فيها وقر قرارهم فعند ذلك امرت عنيترة ان يضربوا للزرقا اربع سكك من الحديد ويواظبوها بالضرب الشديد وجعلت تطلب منها الفداء بالاموال والنوق والجمال والزرقا تقول لعنيترة ايتها السيدة الكريمة مهما طلبت مني احضره بين يديك ولا ابخل به عليك فارسلي احد عبيدك الى بني عمي ياتونك بالمال والنوق والجمال

قال الراوي هذا ما كان من هولاء واما المنهزمون من بني حمير فلما رجعت عنهم بنو قضاعة آبوا الى اوطانهم فراوا الغربان تنوح في ابياتهم وقد شبعت من لحوم ساداتهم والديار قفرًا خراب ياوي اليها البوم والغراب فلما راوا ذلك بكوا بكاء شديدًا ثم قال بعضهم لبعض يابني عمي ان البكاء والاساء لا يصلح الا للنساء فالصواب ان ترسلوا الى سبيع بن الحارث وتعلموه باسر عمته الزرقا لبوة اللقا فهو ياخذ لكم الثار ويكشف عنكم العار

قال الراوي فاستصوبوا هذا الراي وانفذوا احد العبيد الى ذي الخمار يعلمه بالاخبار فسار العبد يقطع البراري والقفار الى ان وصل الى منازل ذي الخمار ودخل عليه وقبل يديه واعلمه بما جرى على عمته من الاسر والاضرار وخراب الديار فلما سمع ذو الخمار انذهل عقله وحار وقال للعبد ويلك ومن اسر عمتي من ملوك العرب وتجرأ عليها من السادات ذوي الرتب فقال له العبد والله يامولاي اسرتها عنيترة بنت عمرو ذي الكلب القضاعية التي اقر لها بالشجاعة كل من في البرية وافنت رجالنا وفرساننا وابطالنا وقتلت اسد الفلا وذهبت بعمتك ومن اسر معها الى بلادها وقد سمعنا انها قد تركتها بين اربع سكك من الحديد وواظبتها بالعذاب الشديد

قال الراوي فلما سمع ذو الخمار ذلك الكلام صار الضياء في عينيه ظلام وصاح سيف العرب يالها من مصيبة ما اعظمها وبلية ما اشأمها ثم انه نادى بمن عنده من بني حمير وقال لهم خذوا اهبتكم للسفر فوحق الواحد الاحد الدائم الى الابد لاخليت من بني قضاعة احد فلما سمعت بنو حمير كلامه اخذوا اهبتهم للرحيل من غير تطويل

قال الراوي هذا ما كان من هولاء واما ما كان من بني عبس فانهم اجتمعوا في مكة وقد امنوا من الهلكة وفي بعض الايام قال الملك زهير لبني عبس يابني عمي اسمعوا ما اقول لكم من الخطاب واعلموا انهُ غاية الصواب فقالوا قل ما بدا لك ايها الملك المهاب فقال اننا جمرة العرب قد جار علينا الزمان ورمانا بالذل والهوان فموتوا كرامًا ولا تعيشوا لئامًا فالراي عندي ان تعودوا الى لقاء فرسان العرب ولكن بعد ان نشاور السيد عبد المطلب فعسى ان يجدنا في بعض فرسانهِ فاستجاد بنو عبس كلام زهير وقاموا من وقتهم الى السيد عبد المطلب واعلموه بذلك السبب فقال لهم معاذ الله ان القي الفتن بين القبائل وافني الفارس والراجل لاسيما وقد ظهر سيد الانام ومصباح الظلام ورسول الملك العلام سيد ولد عدنان الذي ينطق بفضلهِ القرآن فلما سمع زهير هذا الكلام قال يابني عمي اهل الميت اولى بالبكاء ولا ياخذ ثارنا احد غيرنا ثم جمع بني عبس من مكة وسار بهم مدة ثلاثة ايام وفي اليوم الرابع التقتهم اربع قبائل من العرب فلما راوهم صاحوا يالالعرب هولاء من بني عبس وعدنان الذين كان حاميهم عنترة بن شداد ثم انهم حملوا عليهم وبذلوا الحسام فيهم وحان عليهم الحين وصاح فوق روُّوسهم غراب البين وتكردست على بني عبس الخيل وكالوهم كيل وما بقي لهم لا اخ ولا صديق ومزقوهم كل ممزيق وهج زهير على وجههِ ومعهُ نفر قليل وصار مثلاً لكل جيل ولما انقطع الحس من بني عبس مالت العرب على بني فزارة وقالوا هولاء بنو عمهم ومن لحمهم ودمهم فساروا اليهم واغاروا عليهم فحموا انفسهم ساعة من النهار وبعد ذلك لعب فيهم السيف البتار ونزلت عليهم احكام الملك القهار فلما راى من بقي من بني عبس وبني فزارة ما حل بهم من الدمار هجوا على وجوههم في القفار وركنوا الى الفرار وما نجا منهم الا القليل والباقون اضحوا بين قتيل وجديل

قال الراوي وكان عينة بن حصن مع من نجا في هذه الوقعة الا انهُ غدا كثير البكاء والفجعة وساروا طالبين ارض العراق وتلك النواحي والافاق ولما وصلوا الى الحيرة تقدم زهير وعينة والذين سلموا من تلك النوبة ودخلوا عند الملك الاسود وسلموا عليهِ وارخوا العمائم في الرقاب وبكوا في ذلة وانتحاب وحكوا لهُ جميع ما تم عليهم من العبر بعد موت حاميهم عنتر فقال الملك الاسود سبحان من حكم على بني عبس بتشتيت الشمل وفراق الوطن والاهل وبالحال استدعى زهير بن قيس وخلع عليهِ وامره ان يكون موضع ابيهِ وكذلك فعل بعينة بن حصن وخلع عليهِ وامره ان يكون مكان ابيهِ وصارا عند الملك الاسود في اعز مكان وكلما ركب يركبان الى جانبهِ وما زالوا على ذلك الحال بقية ذلك العام

حتى كمل للنبي صلى الله عليه وسلم اربعون عام وانزل عليه القرآن معجزا في البيان وظللة الغمام وسارت بحديثه الركبان وسلمت عليه الاحجار ونطقت له الاشجار والخضير له الجذع وكلمة الضبي وطلعت له شمس الرسالة الى سائر النواحي والامصار وبانت له الدلائل التي عهدت لها النظار ودعا الناس الى دين الله القويم وهداهم الى صراط مستقيم وخوفهم بالوعد والوعيد وانزل عليه القرآن المجيد وسمعوا منه من التخويف والتهديد هو الله من اراد هداه ومن ختم على قلبه من الكافرين عماه وسارت اخباره بهذه الاشياء في سائر الدنيا و بلغ الخبر الملك الاسود ان قد ظهر النبي محمد ودعا الناس الى توحيد رب الارض والسماوات و بان له في المعجزات آيات

قال الراوي فلما سمع زهير بن قيس هذه الاخبار قال لهم يا بني عمي اني قد اشتهيت ان ازور هذا النبي العربي لانني كنت اسمع اخباره من ابي الله يكشف عن العرب الضيم ويدعو الى توحيد وارزق الوحش والطير و يعرفهم الحلال من الحرام والنور من الظلام وانا قد رايته من الصواب ان نمضي اليه ونسلم عليه واملا بجماله واكون من جملة اصحابه ومن معه وادخل في هذا الدين القويم والصراط المستقيم فلما سمع اصحابه كلامه ومقالة اجابوا ورجاله سؤاله وقالوا له نعم ما رايت ايها الامير من هذا الراي والتدبير فافعل ما بدا لك فاننا تابعون افعالك فعند ذلك قام زهير من عندهم ومضى عند الملك الاسود واعلمه انه يريد المسير الى النبي محمد و يبصر ان كانت العرب اطاعته او قامت على مخالفته فقال له الملك الاسود افعل ما بدا لك فلعلك تأتينا بعلم يقين وتكشف لنا عن هذه البراهين فودعه زهير وخرج طالبًا المسير فيمن معه من بني الاعمام وهم بنو عبس الكرام ولما عزموا على المسير وشدة التشمير عرضوا على عينة السفر فيمن معه من بني عمه فقال لهم عينة امضوا أنتم قدامي وانا الحقكم في بني اعمامي

قال الاصمعي وكان عينة بن حصن قد قال لزهير ذلك المقال لانه خاف ان رافقه في الطريق يلتقيهم احد يعرفهم فيعدمهم التوفيق او يلقاهم قوم من العرب سكان البر والسبسب فيسقونهم كؤوس العطب فعند ذلك سار زهير فيمن معه من بني عبس ولم يزالوا سائرين ليلاً ونهارا بلا هدو ولا قرار طالبين النبي المختار الى ان وصلوا الى مكة وتلك الديار وكان جملة من بقي من بني عبس اربعة عشر رجلاً سوى زهير وفضالة منهم الاكثر بن رماح وسمرة بن الوشاح وغياض بن ناهب وناهض بن ناشب وقرواش بن غاشم وزخمة الجواد بن قراد والعيثوب بن ماجد وفرقد بن خالد وسعد بن مجالد وجهير

بن حيير وفضالة وزهير ابنا قيس وكان عمرو بن نفيلة العدوي رضي الله عنه قد سمع بظهور النبي صلى الله عليه وسلم وظهور اياته ومعجزاته فترك زيدًا ابنه مكانه ومضى الى حضرة النبي صلى الله عليه وسلم واسلم على يديه وبعد مدة من الزمان وصل هولاء الاقوام الى مكة وتلك الاوطان وهم بنو عبس وعدنان وزهير امامهم ودخل وتقدم وحيا وسلم ففرح بهم النبي وتبسم وقال لهم يا فتيان بني عبس وعدنان وفرسان الزمان لماذا اتيتم ولاي شيء قدمتم فقالوا اتينا يا رسول الله نسلم عليك ونسلم على يديك فانا زهير بن قيس وهذا اخي وهولاء بنو عمي فعند ما عرض النبي عليهم الاسلام وسلم عليهم السلام فكان اول من تقدم زهير واخوه فضاله واقروا بالشهادة وهي لا اله الا الله محمد رسول الله وبعده تبادرت بنو عمومتهم بكثرتهم ودخل الاسلام في قلوبهم ففرح النبي واكرم زهيرًا وبني عبس غاية الاكرام واكل هو واياهم الطعام وقال النبي اذا اتاكم كريم قوم اكرموه

قال الراوي ثم ان زهيرًا جعل يحدث النبي بحديث بني عبس وما جرى لهم من القتال والنكبات وكيف تفرقوا في سائر الجهات ثم حدثه بحديث عنترة وما كان من فعاله الشداد وكيف هجم على سائر البلاد فقال النبي لقد كان لبني عبس عبد نجيب فلو ادركته لسعدت به ثغرة في الاسلام ثم انه قال لاصحابه ولمن حوله من الحضار حدثوا اولادكم بحديث عنترة البطل المغوار فانه يشجعهم على لقاء الكفار ويترك لهم قلبًا قويًا على لقاء الفجار فعند ذلك اقبل زهير على النبي فقال له يا زهير لا تنعقد الراية الا على اربعين رجلاً من الاسلام قال يا رسول الله كنا عالمًا عظيم وكان لنا في الفروسية خطب جسيم فافنتنا سيوف العرب وفرقتنا في كل قطر وسبسب ولم يبق منا الا من ترى

قال الاصمعي فبينما زهير بين يدي النبي يحدثه واذ اقبل عليه عينة بن حصن بمن معه من بني فزارة فلما ورد على النبي وسمع ان زهيرًا وبني عبس اسلموا عند ذلك بادر هو ومن معه الى الاسلام ورغبوا في دين الملك العلام فقال زهير يا رسول الله هولاء بنو عمي ولحمي ودمي فاعقد لي الامارة فقال النبي الان صحت لك الامارة يا زهير ثم عقد له النبي الامارة وكتب له كتابًا مكتوبًا عليه بالبياض لا اله الا الله محمد رسول الله وجدد الامارة لبني عبس وسار عينة بن حصن من تحت راية زهير بن قيس وصفت قلوبهم لبعضهم البعض وقد انزل الله تعالى في حق زهير وعينة الاية ﴿واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم اعداء فالف بين قلوبكم فاصبحتم بنعمته اخوانًا وكنتم على شفا حفرة من النار فانقذكم منها﴾ وصحت الامارة لزهير وانضاف اليه عينة وتمام الاربعين فارسًا فاقبل عليهم النبي وقال لهم اضربوا لكم الخيام

والقباب وقال لهم تعلموا القرآن والادب والسكون واضربوا لكم الاطناب والبيوت قال زهير يارسول الله العرب خلق كثيرة ونحن طائفة يسيرة ووراءنا اولاد ونسوان وباقي حلفائنا ونريد ان نسير ونأتي بالاولاد والحريم ونجعل مقامنا عند زمزم والحطيم نقرا بين يديك القرآن العظيم ونقاتل بين يديك من يخالفك من العربان ومن يعصي امرك واول من نقتل كسرى وقيصر فقال لهم النبي افعلوا ما بدا لكم لا اعتراض عليكم في اصلاح شانكم وسيروا بارك الله فيكم وبالخير والانعام يجازيكم

قال الراوي ففرحوا بدعاء النبي وودعوه وساروا طالبين الحيرة حتى ياخذوا الحريم والاولاد ويعودوا بهم الى مكة ويامنوا من الاعداء والحساد ولما توسطوا البر والوهاد اقبل عينه على زهير وقال له الراي عندي يا ابن العم اننا متى وصلنا الى البلاد ندخل على الملك الاسود ونستنجد به على عرب الفدفد ونسأله ان ينفذ معنا خيلاً تخفرنا الى ان نصل الى ديارنا واطلالنا فلما سمع زهير هذا الكلام قال والله ما انا فاعله ولا احتاج اليه لان دعا رسول الله خير لنا من كل احد وما زالوا سائرين الى الحيرة فوجدوها منقلبة والاعلام منكسة والدنيا مرتبكة فقالوا ما الخبر وماذا جرى فاخبروهم ان الملك الاسود قد مات وشرب شراب الآفات فدخلوا الى وسط الديوان فوجدوا المنذر بن النعمان جالسًا على دست المملكة والناس يعزونه وهو لا يبدي حركة وكان هذا الولد من المتجردة اخت قيس بن زهير وكان ابوه النعمان ولما قتله كسرى انوشروان وصلب اصحابه على باب الديوان بعد ما رماه الى الفيل وطالبه بالمظالم والغبون وكان من امره ما كان وقد سبق عن ذلك الكلام كان هذا الولد طفلاً صغيرًا وهو مع امه فلما تزوج بها الملك الاسود بعد اخيه النعمان اقامت عنده مدة من الزمان وقتلها وعجل من الدنيا مرتحلها واخذ المنذر ورباه ولم يترك الملك احدًا سواه لانه على كل حال ابن اخيه وما زال على هذا الشان مدة من الزمان حتى كبر وانتشى وترعرع ومشى فعلمه الخط والبيان وتفرس مع الفرسان ودام عند عمه الملك الاسود في اعز مكان الى ان مات وواروه التراب وكان له يوم عظيم ولما كان بعد السبعة ايام والمنذر في دست المملكة جالس والعرب تعزيه في عمه وهو ساكت واذا بالامير زهير وعينه بن حصن قد اقبلا وسلما عليه وعزياه في عمه الملك الاسود وهنآه بما اليه من الملك قد تجدد وفرح زهير بولاية ابن عمته ولما كان اليوم العاشر من ولاية المنذر تجهز يريد ان يجدد السفر الى المدائن حتى ياخذ الولاية من عند الملك كسرى فعندها اخذت الفرسان اهبتها ولما كان اليوم الحادي عشر سار طالبًا مدائن كسرى وزهير عن يمينه وعينه بن

حصن عن شماله فلما وصلوا الى المدائن دخلوا على الملك كسرى وساروا بين يديه واعلموه بموت الملك الاسود وان هذا الغلام ابن النعمان فعند ذلك امر الملك كسرى ان تخلع عليه الخلع وان تقاد الجنائب اليه وبين يديه فدقت البشائر وفرحت بذلك الصغار والاكابر وفرح المنذر فرحاً عظيماً بتلك الخلع والانعام واقام عند كسرى سبعة ايام

قال الراوي ولما كان اليوم الثامن استاذن المنذر كسرى بالسفر فاذن له وخلع عليه وعلى زهير وعلى عيينة وارباب دولته وقد فرحت العرب بولايته وساروا حتى بلغوا الحيرة فخرج اليهم كل من فيها وفرحوا بولاية الملك المنذر . قال ولما بلغت بتوليته فرسان العرب اتت اليه من كل قفر وسبسب ومعهم الهدايا والاموال وكان كلما اتى امير او ملك من ملوك العرب ومعه انصاره ينظر زهيراً وعيينة جالسين عن يمينه ويساره فهابت الملوك بني عبس الشجعان لانهم صاروا للملك المنذر وزراء واعوان وانكفت عنهم ايادي العرب من بعد منها ومن اقترب واصبح زهير وعيينة بن حصن عند المنذر في اعز مرتبة واعلى منزلة لا تقضى حوائج الناس الا على ايديهما وداموا على هذه الحال الى ان وفدت اخبار مستنكرة بان قد نشأ في بني قضاعة فارس يقال له عنيترة وهو من اقارب عمرو ذي الكلب وانه قد هان عليه كل صعب فقال زهير ان عمراً كان مصاحباً لعنترة ومواخيه ولعله رزق ولداً وسماه باسمه فلا بد من ان نقصد دياره ونستقصي اخباره

قال الراوي هذا ما كان من هولاء واما ما كان من ذي الخمار فانه لما سمع باسر عمته نادى ببني عمه وعشيرته بان يسيروا معه الى نصرته ليخلص عمته فما منهم الا من اجاب وفي ساعة الحال ركبوا الخيول واعتقلوا بالرماح وتقلدوا بالنصول وساروا طالبين بني قضاعة فلما وصلوا الى بلاد الشريف نظر ذو الخمار الى تلك الارض فقال رحمة الله عليك يا عنترة بن شداد فوالله كانت هاهنا منزلته لما دخل الى هذه الارض فواحسرتاه على قبر حواه ثم خنقته العبرة فبكى بوجد وحسرة ولما سكن روعه قال لاشك ان الهبل يريد ان يرميني هذه المرة في مثل نوبة غمرة ولما وصلوا الى تلك الديار نظرتهم العبيد والرعيان فساروا الى الخيام ليعلموا عنيترة بهذا الشان فلما وصلوا الى مضربها وجدوها جالسة والعبيد من حولها واقفة فقبلوا الارض بين يديها وقالوا يا ملكة قد اتتنا خيل تريد الغارة علينا ورأينا في اوائلهم فارساً كانه قلة من القلل او قطعة فصلت من جبل وهو ينادي باصحابه الثار الثار انا سبيع بن الحارث الملقب بذي الخمار فلما سمعت عنيترة هذا المقال قالت ان صدقني حذري هذا هو ذو الخمار المعدود بسبعة الاف فارس ثم انها صاحت على فرسانها وقالت

الى ونيكم عدوكم ويبرز الى يسبي حريمكم وينهب اموالكم وامرت العبيد ان يقدموا لها الجواد
فاتوها به فامطته وساريت تطلب الضرب والطعان فتبعها الابطال والفرسان الاانهم ما
خرجوا من الخيام حتى ساق ذو الخمار النوق والاغنام وكانت عنيترة لما خرجت من الخيام
وكلت عليها مائة فارس ولما ساق ذو الخمار اموال بني قضاعة اوقف مائتي فارس تحرسها
ووقف في عشرة الاف فارس فلما نظرت عنيترة تلك الحال اكبت راسها في قربوس
سرجها وحملت بقلب اقوى من الحجر وزعقت يا مذلولين من انتم من الرجال حتى تغيروا
على اموال بني قضاعة وفيهم عنيترة بنت عمرو وذي الكلب ام الزعازع ولبوة الوقائع اتركوا
لي ويلكم الغنيمة وانجوا بنفوسكم والا تذوقون كؤوس حتوفكم

قال ثم انها حملت وارادت ان تبرز الى ذي الخمار واذا بفارس قد سبقها من بني قضاعة
فحمل على ذي الخمار وتحاربا وتلاحما واذا بقائل يقول يا حمير انا ذو الخمار الاسد الكرار
واذا به يسوق القضاعي اسيرًا ثم عاد ذو الخمار الى الميدان وقال هل من مبارز فبرز اليه عمرو
ذو الكلب وصال وجال في الميدان مع سبيع واخذا في معاناة الحرب فتلقاه عمرو بضرب اشد
احر من لهيب الجمر وما زالا على تلك الحال حتى اقبل الليل بالانسدال فافترقا على
سلامة وتحارس الفريقان الى الصباح فعند ذلك ركبت الفرسان واقبل سبيع على سادات
بني حمير وقال الراي عندي ان نحمل عليهم فرد حملة فعند ذلك حملت بنو حمير على بني قضاعة
وعملت السيوف الصقال وكثر الحرق وزاد القلق وعنيترة في ساحة الميدان تجول على
الاقران فلله در بني قضاعة كم اهلكت من الابطال وقد عملت عنيترة فيهم اوفى عمل وما
زالوا على هذه الحال الى ان ولى النهار فافتقد عند ذلك سبيع رجالة فوجد ان قد قتل منهم
الف وخمسمائة فارس ووقع في بني حمير الارتجاف ثم ان عنيترة وخالها افتقدا من قتل لهما
فوجدا خمسمائة فارس فلما علمت عنيترة ذلك صعب عليها وقالت أابتاه انا غداة غد ابرز
الى الاعداء واول من اقاتل سبيع بن الحارث

فلما سمع عمرو ذو الكلب مقالها قال والله ما ذو الخمار الا فارس كرار قالت يا ابتاه غدًا
ابرز اليه واهلكه ثم بعد ذلك اكلوا الطعام وقاموا للمنام ولما طلع الصباح ثارت الرجال
للحرب والكفاح وصال كل فارس وقيل وعمل بينهم السيف الصقيل فبينما الناس في قطع
الجماجم واذا بمناد ينادي يا ويلكم كفوا اياديكم عن القتال يا بني قضاعة واصبروا مقدار ساعة
فلما سمعت بنو قضاعة هذا المقال كفوا اياديهم عن القتال واذا بفارس قد خرج وتحته جواد
ادهم وهو ينادي يا بني قضاعة على مهلكم فانا اقضي لكم كل هذه الاشغال انا ام الزعازع

عنيترة ثم كشفت لثامها وجردت حسامها ونادت اين سبيع بن الحارث فليبرز الى مقام الطعان فما اتمت كلامها حتى برز اليها سبيع وحمل عليها حملة جبار عنيد فاستقبلته واحترزت من مضاربه فعند ذلك علا فوقهما الغبار وما زالا على تلك الحال حتى حيرا جميع الابطال وذاق ذو الخمال حرباً ما رأى مثلها في سائر الاعصار وايقن بالهلاك والتلف واراد الهزيمة من بين يديها لكنه صبر خوفاً من العار فاخذ معها في الجرالعجر كاسعر عنيترة كلما طال عمرها كيدها تقوى قوتها ونشاطها وفيه شيبت من ذي الخال اللهم وكادم ان يلوي براس جواده ويهرب من المشابات وينفي فلما راى سبيع حالته مع عنيترة جالته عدم همهم عليها وحم وتمطى وحمل حملة كلها على رجليه فانقطع سير الركاب فوقع على وجهه الى الارض كانه مطرود من الاطراف فلحقته عليه عنيترة واخذته اسيراً فلما نظر حمير ذو الكلب تلك الامور ترجل اليه وشد يديه ورجليه وسلمه الى جماعة من الفرسان وقد قويت قلوب بني قضاعة فلما راى بنو حمير سبيع قد اسر حملوا عن بكرة ابيهم فالتقتهم بنو قضاعة واوقعوا بهم الذل والشناعة وتقدمت الفرسان وقدامهم عنيترة وساقوا لهم الموت الاحمر الهوان مالت الشمس نحو الاصفرار فولت بنو حمير الادبار وبنو قضاعة وراءهم وقد اهلكوا منهم وقدامهم وبعد ذلك امرت عنيترة الناس ان يسرعوا بالنقلة الى تلك الوديان الفساح ففعلوا واوسعوا في البراري والفلا ليستريحوا من تلك القتلى وقد انهزمت بنو سبيع الى جانب حمير الزرقاء هذا ما كان من هؤلاء واما ما كان من المنهزمين فانهم كانوا الفاً ومائتي فارس فمشوا وروا فيما يفعلون وبأي الملوك يستجيرون فقال بعضهم لبعض اطلبوا بنا الملك المنذر بن النعمان واعلموه بهذا الشان فلما اتفقوا على هذا الاتفاق ساروا طالبين بلاد العراق وما زالوا على هذه الوتيرة حتى وصلوا الى الحيرة ودخلوا على المنذر واعلموه بما جرى فقال لهم من الذي دهاكم وبشره رماكم فقالوا قد بلينا بقوم كانهم الجبال وهم بنو قضاعة واول من فتك بنا حاميتهم عنيترة وهي كانها النار المسعرة وقد اسرت الزرقاء فمضى سبيع حتى يخلصها فاسرته وحملت علينا في فرسان بني قضاعة فلاقونا بشفار السيوف فلما سمع المنذر مقالهم رثى لحالهم وكان الملك المنذر صاحب قوة وعزم فامر بتجهيز العساكر وبعد ذلك عزم على الرحيل وخرجت الفرسان بستة الاف عنان وتركوا بالحيرة زيداً بن عمرو بن نفيلة ورحل الملك المنذر بهذه الشرذمة القليلة وسار يقطع البراري والقفار الى ان وصل الى مكان المعمعة وامر بان تنزل العساكر في تلك الساعة وان يكتب كتاباً ويرسل الى بني قضاعة لينذرهم ويحذرهم فتقدم الكاتب وكتب عن لسان المنذر اما بعد فالسلام على عنيترة وعلى بني قضاعة

ومن هو حاضر في تلك الساعة انه حين وقوفكم على هذا الكتاب لا يكون لكم جواب الا انكم تطلقون شيبان وعمتة الزرقا ولا تحتجوا بسبب من الاسباب فاترك دياركم خراب وقد اعذر من انذر والا فان كنتم كما يقال عنكم فدونكم اللقاء ولا تظنوا انني كمن لاقيتم من الفرسان والملوك بل ستنظرون باعينكم من يسعد ويشقى فاني لا اخاف من كثرة القبائل ولا من الفارس والراجل والسلام على من اطاع ووافق واللعنة على من عصى ونافق

قال الراوي ثم انهُ دعا رجلاً واعطاه الكتاب فسار حتى وصل الى مضارب بني قضاعة وقصد مضرب عنيترة فاستاذنوا لهُ بالدخول عليها فاذنت لهُ فلما مثل بين يديها دفع اليها الكتاب فاخذتهُ منهُ وامرت بقراءتهِ فقراوه عليها فلما سمعتهُ وعلمت ما فيهِ وفهمت معانيه امرت بصفع الرسول ومن معهُ واكثرت لهم من الاهانة والعذاب وفي الحال مزقت الكتاب وابيضت شفتاها واحمرت عيناها وقالت لاكان المنذر ولا استكان ولا عمرت بهِ الاوطان ولا كانت بنو شيبان ولا كانت العرب جمعًا جليلها وحقيرها ورفيعها ووضيعها أمثلي يهدد المنذر وانا فارسة العصر ثم انها صرخت في بني عمها النفير النفير في هذه الساعة يابني قضاعة فركبوا وما ابعدوا عن الحلة حتى طلع عليهم الغبار وبان الملك المنذر امام جيش بني قضاعة وعلم انهم ما بادأوه لا بسمع ولا بطاعة ولم يزالوا سائرين حتى وقعت العين على العين فعند ذلك حملت الطائفتان حتى ارتجت منهم الوديان فكم ترى من راس قد طاح ودم قد ساح هذا وعنيترة امام القوم وقد كردست الفرسان وصاحت في قومها يارجالي اجعلوا هذه الوقعة وقعة الانفصال فلما فهم قومها كلامها اكبوا روسهم في قرابيس سروجهم وكشروا على انيابهم هذا وبنو شيبان نظرت الى بني قضاعة وعنيترة قدام القوم تهدر وتزمجر وجعلت كل قصدها الى الملك المنذر حتى وصلت اليهِ وحملت عليهِ وضربت حامل العلم على قمتهِ فلما نظر ارباب دولتهِ تلك الضربة تباعدوا عنهُ وصار المنذر واقفًا وحده وهربت عنهُ اهلهُ وجماعتهُ فانقضت عليهِ عنيترة واخذتهُ اسيرًا فلما رات بنو قضاعة ان عنيترة قد اخذت المنذر اسيرًا طمعت في بني شيبان فقتلوا منهم الفين وحان عليهم الحين وولوا منهزمين وتبعهم بنو قضاعة مقدار فرسخين ثمَّ رجعوا عنهم وجمعوا الاسلاب وساقوا الاساري فقال الملك المنذر لبني قضاعة أنسيتم صنيعة النعمان وفضلهُ عليكم فقالت لهُ عنيترة من هو النعمان ومن هم ملوك الزمان هذا ولم يزالوا سائرين حتى وصلوا الى الديار واستقر بهم القرار. هذا ما كان من هولاء واما ما كان من المنهزمين فلما هربوا من تلك الديار ساروا حتى وصلوا الى الحيرة واخبروا بما لقي الملك المنذر من الذل والاسر وكيف جرت عليهِ نوائب الدهر

فلما سمع زهير وعينة ذلك الكلام جدّ بهما الغيظ وقالا للوزير ما عندك من الراي والتدبير في خلاص الملك المنذر فقال الوزير من الراي ان ناخذ العسا كر ونسير فاستصوب زهير راية وامر بني عبس بالارتحال فلما تجهز الجميع قال زهير للوزير انا و بنو عمي نقضي الاشغال لان عمرًا ذا الكلب براعينا لاجل عنترة حامينا لانة قد اقام عندنا مدة من الزمان وهو لنا من الاصدقاء والخلان اما عنيترة فلا نعلم من في ولا الحي الذي ربيت فيه و بعد ثلاثة ايام سار زهير وعينة عند عمرو ذي الكلب ليسالاه عن ذلك الامر الصعب فلما وصلوا الى الحي وقع النفير وركب الحاجب والوزير وركبت ايضًا بنو قضاعة في الوقت والساعة وقد ظنوا انهم اعداهم فعند ذلك تقدم زهير امام القوم وقال لا باس عليكم اليوم انا زهير بن قيس فلما سمعت بنو قضاعة بذكر بني عبس تقدم عمرو ذو الكلب اليه وقبل الارض بين يديه وكانت عنيترة الى جانب خالها فلما راتة فعل هذه الفعال قالت له يا ابتاه ما هذه الاحوال أأكون انا ام الزعازع واخضع لاحد من الرجال فقال لها قد ظهر الحق وهؤلاء من بني عمك ولحمك ودمك وهم بنو عبس وعدنان والان ظهر السر بعد الكتمان وانت بنت مذل الفرسان وفارس الزمان وقد رجعت الوديعة الى اهلها فلما سمعت عنيترة من خالها ذلك الكلام قالت له يا ابتاه اراك تضيع نسبي النست انت ابي فقال لها يا فارسة الطراد ما ابوك الا عنترة بن شداد وهذا ابن الملك قيس بن زهير فعند ذلك تبسمت عنيترة واظهرت الفرح والسرور وترجلت عن ظهر جوادها وسلمت عليه بحشمة وادب وقبلت رجلة في الركاب وتقدم عمرو ذو الكلب الى زهير واخبره بحديث عنيترة وانها بنت عنترة فلما ترجلت عنيترة ترجلت بنو قضاعة و بنو عبس وعدنان وزهير ومن معة من الفرسان ونزلوا في الخيام و باشروا اكل الطعام وترويق المدام واحب زهير عنيترة محبة عظيمة وقال الحمد لله الذي اخلف علينا عنترة بن شداد حتى نرجع كلنا الى الحي والبلاد وحدث زهير عمرًا بان المنذر بن النعمان وامة المتجردة بنت زهير فلما سمع عمرو وعنيترة ذلك الكلام امرا العبيد ان يطلقوا الملك المنذر وهكذا فعلوا بالزرقا وسبيع وخلعوا عليهم الخلع الغوال واطلقوا جميع الاسارى وجددوا الولائم وشرب المدام واقاموا على ذلك المرام سبعة ايام ثم سال ذو الخمار عن جلية الامر فاعلموه ان عنيترة بنت عنترة قال ولا عجب لان هذه اللبوة من ذلك الاسد و بعد ذلك طلب المسير والرواح الى الديار فمنعتة عنيترة وقالت له يا سبيع والله ما انت الا فارس الاقطار فقال لهـا يا ام الزعازع لا عدت احضر حربًا ولا البس عدة جلاد من بعد ابيك عنترة بن شداد و بعد ذلك فلا اتكبر على خدمتك فلما رات عمته ما عزم عليه لم تجد اصطبارًا من فرقتها له فقالت

الشيرة يا بنت الكرام الذي لي بالسفر فحدها الاذنت لهم بالمسير وانطلقت كل امير وسار طالبين الديار وفي اليوم الثامن طلب المنذر السفر والرواح فاذنت له بالسفر وعند الصباح ودع عنيترة وسار حتى وصل الى الحيرة وقد خرجت الى لقائه النساء والرجال والتقى المنذر بالوزير ومن معه من الابطال ولما وصلوا اليه سلموا عليه وجلس المنذر على تخت مملكته وبعد ذلك اخبرهم بخبر عنيترة ففرحت الناس بهذا الخبر وكانت عنيترة قد منعت زهير وبني عبس عن الرواح وقالت له انا اولى تجد مثلك فقالت بنو عبس افعلي ما بدا لك فنحن كلنا تابعون فعالك ثم كاتبت عنيترة من لها من الاصدقا والحلفاء وقالت لزهير كاتب انت حلفائك ومن يعز عليك ويهواك واول ما نبدا ببني عامر اذ نقتل منهم الاكابر والاصاغر مثلما قتلوا عبلة زوجة ابي وقتلوا اباها واخاها وكان قد اتصل اليها خبر عبلة وما فعل بها عامر بن الطفيل ثم انهم كاتبوا قبائل العرب هذا ما كان منهم واما ما كان من عامر بن الطفيل فانه لما بلغه ظهور النبي المختار اقبل على فارس يقال له زيد بن ربيعة وقال له قم بنا الى هذا الرجل الذي ظهر بمكة حتى نقطع اثره فقال زيد افعل ما بدا لك ثم اتفقا على ذلك وركبا وسارا الى مكة ونزلا عند مرأة سلالة كانا يعرفانها وهي اخت عبد الله بن سلول المنافق فلما استقرا في دارها خدمتهما واقاما عندها يريدان فرصة بالنبي فبينما هما كذلك واذا بجبريل سقط على النبي وكان جالسًا في بيت فاطمة الزهراء وقال له يا محمد ربك شفق عليك لان عامر بن الطفيل وزيد بن ربيعة يريدان قتلك فارسل الله يعلمك بذلك ثم ان النبي خرج من بيت فاطمة وجلس في المجلس واذا بعبد الله بن سلول المنافق قد اقبل في جماعة من اصحابه وكان النبي يعرف المؤمن من المنافق فلما اقبل عبد الله بن سلول المنافق الى المسجد اقبل عليه النبي وقال له يا عبد الله امض الى دار اختك وائتني بمن عندها من بني عامر فلما سمع عبد الله كلام النبي سار الى دار اخته وطرق عليها الباب ففتحت له فلما دخل على اخته قالت له اهلاً وسهلاً ومرحبًا يا اخي ثم قال لها عندك ضيوف من اقارب بعلك فقالت نعم قال دعيهم ينجون بار واحهم والا اهلكهم محمد

قال الراوي فلما سمعت ذلك تغير لونها ودخلت على عامر بن الطفيل وزيد بن ربيعة وقالت النجوا بر وحيكما على حين غفلة والا قتلكما محمد شر قتلة فلما سمعا ذلك ركبا خيولهما وسارا طالبين بني عامر وضعفا ايام وامتنعا عن اكل الطعام ثم دعا عليهم النبي فمات عامر بالخناق وزيد بن ربيعة مات تحت ارجل الخيل

قال الراوي هذا ما كان من هولاء واما ما كان من عنيترة وبني عبس وزهير بن قيس

فانهم كاتبوا الاصدقاء والحلفاء واول كتابه وصل الى عمر بن معدي كرب فابي ان يسير وقال انا بعد عنترة لا اقاتل مع احد ولا انجد لا ابيض ولا اسود ثم وصل الكتاب الثاني الى هاني بن مسعود فابي ايضاً المجيء وكذلك حجار بن عامر الكندي و بعد ذلك عادت بنو عبس وعمر ذو الكلب الى ارض الشربة والعلم السعدي وصارت الركبان في ذكرهم تحدو الى ان كان بعد ثلثة اعوام اذ سمع بذكرهم عمر بن معدي كرب فاتى الى ديار بني عبس يزور عمراً ذا الكلب وعنيترة ويهنئها بالعودة الى الاوطان واجتماعها بالاهل والخلان ففرحا بذلك فرحاً شديداً واكرماه غاية الاكرام ولما كان اليوم الثالث خلعت عنيترة على عمرو بن معدي ومن معه من الرجال وفي اليوم الرابع اقبل عليهم هاني بن مسعود فاكرمته عنيترة غاية الاكرام ولم يات اليها هولاء الفرسان الا لما علموا انها عنيترة بنت عنترة وانها اعادت بني عبس وعدنان كما كانوا من قديم الزمان فاتوا يهنئونها و ينظرون اليها فاقامت لهم الضيافات واصبحت ارض بني عبس ترتج بالقاطن وتموج بالساكن وقد نزلت العرب في اماكنها وهم فرحون بعنيترة التي احيت ذكر بني عبس وعنتر بعد ان كان قد اندثر

قال الناقل واقامت العرب تواد بني عبس وعنيترة ورتعوا في عيش رغيد الى ان كان بعض الايام اذ اقبل عليهم نجاب وبيده كتاب فتلقته العبيد والخدام وانزلوه عن مطيته عند الخيام فسار الى مضرب عنيترة وكانت جالسة فيه ولديها سادات العرب من ربيعة ومضر وهي بينهم كالاسد القسور فتقدم النجاب وناولها الكتاب وطلب في الحال الجواب فاخذته عنيترة ودفعته الى زيد بن عروة وكنا قد ذكرنا ان زيداً هذا لما قتل ابوه اخذه عنترة الى منزله بعد ان اخذ ثاره ممن قتل اباه وقتل على قبره ثلثمائة رجل وكان زيد طفلاً صغيراً فرباه عنترة الى ان حضرته الوفاة فسلمه الى عمرو ذي الكلب واوصاه به فقبل عمرو الوصية ورباه في العيشة المرضية وعلمه الخط والفروسية وقد شهد له كل من في تلك الاقاليم وكانت له اليد الطولى في الخط والقران وفي الشجاعة والبراعة فصار عند عنيترة كاتب الديوان يكتب الكتب الى سائر العربان كما كان ابوه عند عنترة الفرسان

قال الراوي وكان عروة قد رزق هذا الولد من ودعة اخت طود الاطواد وقد ذكرنا زواجه بها لما دخل عنترة الى تلك البلاد وكان لعمرو ذي الكلب ابنة اسمها الرباب فازوجه بها ووقعت بينهما المحبة والوداد مدة سنة من الزمان ورزق منها غلاماً فسماه عروة على اسم جده وصار زيد عند عنيترة في ارفع مقام

الكتاب الثاني والخمسون بعد المائة

من سيرة عنترة بن شداد العبسي

ومثلما كان عنترة يحب اباه هكذا احبتهُ عنيترة ولما اعطاها النجاب الكتاب اخذتهُ ودفعتهُ الى عروة وكان الكتاب من الملك المنذر وسبب ذلك هو ان المنذر كان يرسل الى كسرى في كل عام الهدايا والانعام فاتفق انهُ جهز في تلك السنة الاحمال والمال وارسلها الى كسرى انو شروان مع سرية من الفرسان وقدم عليهم ابن عمهِ وكان يقال لهُ ماء السماء وهو بن عمرو ابن هند اخي الملك النعمان فاخذ المال وسار طالبًا المدائن بتلك الرجال حتى وصل الى برية برقعيد فخرج عليهم الف فارس من العرب وخمسمائة من الروم يقدمهم فارس كانهُ الاسد الهجوم ونادى ويلكم خلوا المال وانجوا بانفسكم فناداه ماء السماء ويلك من تكون ايها اللئيم حتى تتعرض للملوك اصحاب الاقاليم فقال لهُ ذلك الفارس ويلك يا ابن الانذال المثلي يقال هذا المقال وانا في هذه الجبال لا اعرف لا عماً ولا خال فهذا مقام الضرب والطعان ثم انقض على بني لخم وتبعتهُ الخمسمائة الفارس من الروم وهو ينادي انا الغضنفر بن مريم انا الفارس الغشمشم لابد ان ابليكم بالنقم وما زالوا على ذلك الحال حتى نكس الابطال وابلاهم بالذل والنكال فولوا الادبار وتركوا لهُ الاموال وما زال يضرب فيهم الى اخر النهار فقتل منهم مايتي فارس كرار واسر ماء السما وملك الغنيمة وعاد الى الخيام فلما استقر بهِ المقام امر ان تعرض عليهِ الغنيمة فقدموها اليهِ فوجدها ذات قدر وقيمة ففرح فرحًا عظيماً وبات تلك الليلة في ذلك المكان وعند الصباح طلب الرحيل فشدوا ماء السما وربطوه على ظهر بعير وساروا يقطعون القفار والبيد طالبين قلعة برقعيد فلما وصلوا اليها لاقتهم فرسان الروم والعرب وكان هذا الفارس قد نشا في القسطنطينية عند ملك الروم وهو ابن بنت اخي الملك قيصر وكان اسمها مريم وقد رزقت هذا الولد وكان اسمر اللون كبير الجثة ولما كبر ظهرت شجاعتهُ فخاف منهُ قيصر وقدمهُ على عشرة الاف فارس وارسلهُ الى قلعة برقعيد وجعلها مسكنهُ ووطنهُ هذا ما كان من هولاء واما المنهزمون فانهم ما زالوا يجدون السير حتى وصلوا الى الحيرة ودخلوا على المنذر واخبروه بقتل الرجال وسلب الاموال فلما سمع المنذر هذا المقال قال لهم ومن فعل بكم هذه الفعال واخذ منكم الاموال فاخبروه بكل ما جرى وباسر ابن عمهِ ماء السما فقامت عيناه في ام راسهِ وانزعجت جميع حواسهِ واقبل على وزيره زيد بن عمرو وقال لهُ ماذا تشير بهِ ايها الوزير فقال ايها الملك

قد سمعت ان هذا الفارس لانظير لهُ في الشجاعة فما لهُ الا عنيترة بنت عنتر لانها اسرت مثل الزرقا وسبيع الاسد الغضنفر فارسل اليها واعلمها بالخبر ففرح المنذر واستبشر وامر الوزير ان يكتب الى عنيترة فكتب كتاباً وسلمهُ الى رسول فاخذهُ وسار يقطع البراري والقفار حتى وصل الى ديار بني عبس ودخل على عنيترة وسلمها الكتاب فاخذتهُ والى زيد بن عروة اعطتهُ فاخذهُ زيد وقراه وسمع الحاضرون معناه فقالت عنيترة لزهير بماذا تشير فقال لها ما لنا الا المسير وان نكون لامر المنذر سامعين ولقضاء حاجتهِ مبادرين فقالت لهُ السادات كلنا نكون بخدمتك ثم ان عنيترة امرت الفرسان بالتجهيز و بعد ثلاثة ايام ركبت بنو عبس و بنو قضاعة وتقدمت عنيترة قدام الفرسان وسار القوم يقطعون المناهل والغدران حتى وصلوا الى الحيرة فخرج لاستقبالهم المنذر واهل مملكتهِ والتقاهم احسن ملتقى ودخلوا الحيرة في ذلك العسكر الممدود وكان لدخولهم يوم مشهود وفرحت بهم الكبار والصغار وضربت لهم بظاهر الحيرة الخيام والسرادقات والاعلام فنزلت فيها العساكر ونقلت اليهم العلوفات وباتوا تلك الليلة وفي ثاني الايام دخلت عنيترة على المنذر باكابر جماعتها وسلموا عليهِ فقام لهم وترحب بهم والى جانبهِ اجلسهم وقرب عنيترة اليهِ واكرمها واخذ يحادثها ويوانسها وقال لها ياام الزعازع اني ارسلت المال الى الملك كسرى انوشروان كما جرت العادة من قديم الزمان وارسلت معهُ خمسة الاف فارس مع ابن عمي فخرجت عليهم خيل من برية برقعيد وانزلوا بهم التنكيد وكانت تلك الخيل خمسمائة فارس ومعهم جبار عنيد يقال لهُ الغضنفر ابن بنت اخي قيصر وهو فارس عظيم و بطل جسيم قد قطع الطرقات ونهب القوافل وقتل السادات واسر ابن عمي ماء السما فارغب اليك ان تقصديه وانا ارسل معك عشرة الاف عنان فتسيرين بهم الى قلعة برقعيد وتقتلين ذلك الفارس العنيد وتخلصين منهُ ابن عمي وتزيلين همي وغمي وتخربين القلعة وتعودين اليَّ بالسرعة فقالت لهُ ايها الملك الاوحد وحق الواحد الاحد لاسار معي غير بني عمي وهم بنو عبس و بنو قضاعة فاقضي حاجتي واعود اليك فعندها انذهل المنذر من شجاعتها وتعجب واهتز من الطرب وقال قد اخلف الله على بني عبس عنيترة بنت عنترة بن شداد فاحيت ذكره بين العباد ثم انهُ اقبل عليها وقال لها ياام الزعازع ما في الكثرة من باس ولا يذمها احد من الناس فقالت لهُ ايها الملك انا لا اسير الا في بني عمي حتى لا اكلف احد لا ابيض ولا اسود فاسير اليهِ وحدي واقهره بقوة ساعدي وزندي فما قدر ذلك اللئيم حتى اسير اليهِ بهذا العسكر وانا وحدي قادرة على دماره وخراب دياره فلما سمع المنذر ذلك الكلام زاد بهِ الفرح والابتسام ثم انها نهضت من ساعتها ومضت

الى خيمتها واحضرت فرسانها وابطالها وجماعتهـــا واختارت منهم الفي فارس منهم عمرو ذو الكلب وزيد بن عروة وسبيع اليمن وزهير بن قيس وعينة بن حصن وغياض بن ناشب وزخمة الجواد ومعاوية بن راشد واختارت من باقي السادات الفي فارس واعطاهم المنذر الزرد والسلاح والة الحرب والكفاح وما يكفيهم من ماكول ومشروب وسارت عنيترة بمن معها وهي قدام القوم كانها لبوة شمطاء او حية رقطاء وما زالت سائرة تقطع القفار ليلاً ونهار حتى اقبلت على قلعة برقعيد ورات الرعيان والعبيد فلما نظرت الرعيان الغبار في تلك التلال اخبروا الرجال فاستعدوا للحرب والقتال واما عنيترة فانها امرت فرسانها ان تنهب الاموال فتبادرت الرجال وساقت تلك الاموال فهربت العبيد والرعيان وطلبت الجبال الى ان وصلوا الى القلعة واعلنوا بالصياح فنفر الرجال وسال الغضنفر عن الخبر فاعلموه بما جرى وتدبر فقامت عيناه في ام راسه وانزعجت جميع حواسه وخرج للعبيد واستعاد منهم الحديث وقال لهم ويلكم يا لئام من ذا الذي يجسر ان يدوس ارضي من عرب او اعجام فقالوا ايها الملك ما طرق ارضك واغار على بلادك الا عشرة فوارس كانهم اسود عوابس يقدمهم فارس اسمر كلون الظلام وله صوت مثل صوت الاسد في الاجام وهو ينادي انا عنيترة فلما سمع الغضنفر ذلك الخبر طار من عينيه الشرر وامر الفرسان بالركوب واعتد بعدة جلاده وعلا ظهر جواده وخرج امام القوم وطلب بني عبس وبني قضاعة فراهم قد خربوا الرستاق وانزلوا بمن فيه الذل والشناعة فعندذلك حمل كانـــه الاسد الريبال والتقت الابطال بالابطال هذا وعنيترة تكردس الرجال ونشتتهم يمينًا وشمال واما الغضنفر فانه مال على الرجال وابلاهم بالنكال ورات منه بنو قضاعة الموت الاحمر وقاتلت قتالاً لا يبقي ولا يذر ولم يزل القتل يعمل والدم يبذل حتى اظلم الظلام فافترق الجيشان ونزلت كل طائفة في مكان واوقدوا النيران وفي الصباح تبادرت الناس الى الحرب والكفاح وبرزوا الى الميدان ومقام الضرب والطعان واذا بفارس خرج من بين الصفين وصال وجال وطلب الحرب والقتال وكان ذلك الفارس الغضنفر الاسد القسور فهمت عنيترة ان تخرج اليه واذا بفارس سبقها وكان ذلك الفارس زيد بن عروة فاستل سيفه وهجم على الغضنفر فتلقاه هذا بقلب اقوى من الحجر وكافحه ساعة من النهار ودنا منه وصاح فيه فخبله ومد يده الى جلباب درعه واقتلعه من سرجه ورفعه على يده وسلمه الى عبده فشد كتافه وقوى اطرافه

قال الراوي فلما نظرت عنيترة ذلك صعب عليها وكبر لديها وهمت ان تخرج بنفسها الى الميدان ومحل الضرب والطعان واذا بعينة بن حصن سبقها وحمل على الغضنفر فتلقاه

هذا كانهُ القضاء والقدر وتضاربا ضرباً احر من الجمر وامر من الصبر ثم ان الغضنفر قلب الرمح وضربهُ بعقبهِ فوقع عن ظهر الجواد وكاد ان يعدم الرشاد واخذ اسيراً وسيق حقيراً ثم جال الغضنفر فبرز اليهِ غياض بن ناشب فما تركهُ يفتل العنان حتى رماهُ عن ظهر الحصان ولم يزل ينزل اليهِ فارس بعد فارس حتى اسر سبعين فارساً عشرين من بني عبس وعشرين من بني فزارة وثلاثين من بني قضاعة وكلما همت عنيترة ان تبرز الى الميدان تسبقها الفرسان فصعب الامر عليها وكبر لديها وطار الشرر من عينيها وارادت ان تبرز اليهِ واذ قد سبقها عمرو ذو الكلب الفارس الندب فالتقـــاه الغضنفر كانهُ الليث القسور وحملا على بعضهما البعض وارتجت من حوافر خيلهما الارض وثار عليهما الغبار وغابا عن الابصار وجرى بينهما قتال يحير الافكار ويقصر الاعمار وما زالا كذلك حتى ولى النهار

قال الراوي فعند ذلك افترقا على سلامة ورجع كل منهما الى اصحابهِ ونزلت الطائفتان واوقدت النيران وتحارس الفريقان ودخل الخوف على بني عبس من الغضنفر وحملت عنيترة هماً عظيماً وحلفت تلك الليلة انها لا تاكل طعام ولا تهنأ بمنام حتى تلتقي بالغضنفر وتبليـــه بالضرر ثم التفتت الى خالها وقالت لهُ كيف رايت خصمك في المجال فقال لها والله لا يلتقى مثلهُ لانهُ فارس ريبال خبير في الحرب والقتال وعمري ما رايت مثلهُ بعد عنترة الفرسان لا في عدنان ولا في قحطان اي وحق الكريم المنان ولقد قاسيت منهُ تعباً ونصب وكلت مناكبي والركب ولو كان قد جد معي في الطعان لكان اخذني من وسط الميدان واقول يا ام الاشبال انك لا تقدرين عليهِ في الحرب والنزال فغضبت عنيترة من مقالهِ وقالت لهُ سوف ترى فعالي من فعالهِ هذا ما كان من هولاء واما الغضنفر فانهُ فرح تلك الليلة بالنصر والظفر ثم باتوا الى الصباح فعندها خرجت الفرسان الى الحرب والكفاح وبرز الغضنفر الى الميدان وصال وجال وطلب مبارزة الابطال فبرز اليهِ عمرو ذو الكلب واخذ معهُ في الطعن والضرب وجرت بينهما عجائب واهوال حيرت عقول الرجال وداما على تلك الحال حتى مالت الشمس الى الزوال فقل من عمرو الاصطبار فعلم خصمهُ منهُ ذلك فطعنهُ بعقب الرمح قلبهُ واخذه اسيراً ففرحت الروم والعرب ووقعت الدهشة على بني عبس وقضاعة واما عنيترة فانها هاجت وماجت وطلبت الغضنفر كانها القضاء والقدر وتبعتها بنو قضاعة وبنو عبس الغرر فالتقاها الغضنفر وهدر وزمجر وحمل عليها وصرخ فيها صرخة ادوت لها الجبال وتطاعنا وتحاربا تحت الظلام كانهما اسود الاجام واظلمت عليهما الغبرة وكانت لهما وقعة عسرة فعند ذلك سلا الصفاح فانها اعجل لقبض الارواح وهجمت بنو عبس وكان في اوائلهم

زهير بن قيس والتقت الابطال بالابطال واشتدت الاهوال فما كنت تسمع الا وقع الحوافر وضرب البواتر تحت الظلام العاكر وصلصلة الحديد وبريق الزرد النضيد وكانت ليلة مقتمة غابت فيها النجوم وعمل السيف اليمان وجرى الدم مثل الطوفان

قال الراوي وما زالوا كذلك حتى اصبح الصباح فافترق العسكران لاخذ الراحة وافترقت عنيترة والغضنفر بعد ما جرى بينهما حرب تحير الفكر ورات عنيترة من خصمها فارسًا مر المذاق وعلقمًا لا يطاق وكذلك الغضنفر راى منها فارسة زمانها وقد تعجبت الفرسان من حربهما وافتراقهما على سلامة دون ان يعلم احد على صاحبه علامة وقد اخذ كل منهما الراحة ساعة من الزمان وبعد ذلك برز الغضنفر الى الميدان وجال يمينًا وشمالا فوثبت اليه عنيترة فتلقاها كانه النار المستعرة وارتفع لها ضجات وتصادما تصادمات الجبال الراسيات وكانت لها ساعة تقشعر منها الجلود ويلين من حرارتها الحجر الجلمود وداما كذلك الى اخر النهار فكلت عنيترة وملت وضجرت من المعاركة وعظم في اعينها الغضنفر لانه بطل اغلب اقوى منها واصلب فلما راى الغضنفر ان قد صار اخر النهار خاف ان ياتي الليل ولا يبلغ من خصمه ما يختار فانقلبت احداقه وقطر انفه دمًا واشداقه فخافت عنيترة منه فقام في ركابه وتمطى في بداده وضربها بالسيف صفحًا فوقعت واندهشت واصابتها الفجعة واخذها اسيرة وقادها حقيرة فعند ذلك هجمت بنو عمها ليخلصوها فالتقاهم الغضنفر وعمل فيهم اوفى عمل ولم يزالوا على ذلك الحال الى وقت الزوال فافترق الجيشان وعولت بنو قضاعة على الهرب واذا بزهير بن قيس اقبل عليهم وقال لهم يا بني الاعمام انرجع الى الديار ونترك حاميتنا في الاسر والاضرار كي يقال عنا قد تركوا ساداتهم ماسورين وولوا منهزمين فالراي اننا نثبت ونبصر ما يجري لنا مع هولاء الملاعين او نقتل اجمعين هذا ما كان من هولاء واما الغضنفر فانه لما راى وجه النصر فرح واستبشر وتعجب منه العسكر كيف قدر على عنيترة بنت عنتر فاتوا اليه وقبلوا يديه وقالوا له ايها السيد ماذا تنتظر من هذه العاهرة وبني عمها اقتلهم وارحنا من شرهم ودعنا نحمل على قومهم في هذه القفار والبيد ونطرحهم على الصعيد فقال غدًا اريكم ما افعل بهولاء الفرسان ولما اصبح الصباح امر الغضنفر ان ياتوه بعنيترة فاحضروها اليه وقد بان عليها الذل والانكسار فقال لها ويلك يا فاجرة انضمنين للملك المنذر قتلي واخذ الغنيمة من يدي وحق المسيح ومريم ان لم تفدي روحك ومن معك من الاسرى بالمال انزل بكم النكال ثم انه سل سيفه من غمده واراد ان يبطش بها فما طاوعه قلبه وارتعشت يده وتفتت كبده واحبها كل عضو في جسده ووقع السيف من يده من عظم ما اخذه عليها

من الاشفاق فامر عبيده ان يعيدوها الى الشد والوثاق

قال الراوي وكان الغضنفر بن عنتر لانبا ذكرنا قبل هذا الكلام ان عنترة تزوج بمريم اخت بلقام وابقاها عند قيصر وكانت قد حملت من عنتر ولما تمت ايامها لتلد ولدت هذا الولد لونهُ اسود اغبر مثل ابيهِ عنتر فلما راه قيصر جفل قلبهُ منهُ وتركهُ في القصر كي لا يراه احد ولما بلغ اشده اعطاه خمسة الاف فارس من خواصهِ وامره ان يقيم في برية برقعيد هو ووالدته ومن له من الخدم والعبيد فاخذوا جميع ما يخصهم من المال وساروا حتى وصلوا الى قلعة برقعيد فوجدوها احسن بقعة في تلك الاطلال فاقاموا فيها ونفذ حكم الغضنفر على الفرسان وصار يركب الخيل و يتعلم ابواب الحرب والطعان ونشا فارساً لا يطاق وعلقماً مر المذاق وشاع ذكره في سائر الافاق وصار ينهب القوافل و يقطع الطرقات وما زال على هذه الحال حتى وصل اليهِ خبر المال الذي ارسلهُ المنذر الى كسرى انوشروان فسار اليهِ واخذه وكان ما كان وكانت امهُ تغار عليهِ ولم تعلمهُ من امر ابيهِ بشيء وتقول لا بد لبني عبس الاخيار ان يطرقوا هذه الديار وعند ذلك اعلمهُ بخبر ابيهِ واعرفهُ باهلهِ ويلتئم شملهم بشملهِ وما زالت صابرة الى ان جرى ما جرى وعلمت ان ابنها اسر اختهُ عنيترة ففرحت بذلك وركبت وسارت الى ابنها فنظرت العساكر تطلب القتال والحرب والنزال فارسلت تقول لولدها ان ياتي عندها فاتى اليها وسلم عليها وقال لها يااماه ليهنيك الظفر بما فعلت بهولاء الابطال الذين ارسلهم المنذر لخلاص المال وقد اسرت عنيترة بنت الانذال فقالت لهُ وفق الله مسعاك ياولدي واذل اعداك ارني عنيترة فامر ان ياتوه بها ومن معها من الاسارى قال فلما نظرت مريم اليها قالت سبحان مبدع البشر ومصور الصور ثم انها بكت وانت وشكت فقال لها يااماه ما سبب بكائك فانهُ احرق قلبي وفتت كبدي فقالت لهُ ايها الامير والسيد الخطير قد اتضح الحق وبان فانا اطلعك على شيء ما كان لك في حسبان وهو ان عنيترة هذه هي اختك من ابيك عنتر وحق مصور الصور فانهُ تزوج بي لما اتى رومية وقتل بهمند ونصر الروم على الافرنج وبالحقيقة انت ابن عنتر فارس البدو والحضر

فلما سمع الغضنفر من امهِ هذا المقال اعتراه الانذهال وقال لها يااماه ولِمَ لم تعلميني قبل الان حتى انزلت بانسبائي الذل والهوان فقالت لهُ ياولدي سبب ذلك هو ان بني عمك انقرضوا وتفرقوا في الوديان فخفت عليك ان تطلبك العرب من كل مكان اذا علموا انك من بني عبس وعدنان ولم اعلم انك فارس ريبال ولما صفا لهم الزمان وعادوا الى ما كانوا عليهِ من رفعة الشان وخافهم جميع العربان بظهور اختك ام الزعازع ولبوة

الوقائع التي احيت اسم ابيها ونشرته في ارفع مكان وجمعت شمل العشيرة بعد ما تشتت ولما اخذت انت احمال كسرى علمت ان المنذر ملك العرب لابد ان يطلب بني عبس وعدنان وفي اوائلهم ام الزعازع قاهرة الشجعان وكان في نيتي ان اعرفك بهم فتدعوهم اليك ويقيمون عندك في هذه القلعة وكان في ظني انهم ياسرونك ويقدرون عليك فها انت اسرتهم وانتهى الامر على هذا الحال واظهرت لك الحق من المحال فهم بنو عمك ومن لحمك ودمك قال فتعجب الغضنفر غاية العجب وفرح واخذه الطرب واقبل على امه وقبل يديها فقبلته هي في صدره وقالت له هناك الله بما اعطاك من الفروسية والشجاعة والقوة والبراعة ومن هو مثل ابيك فارس الفرسان وعربك الذين شاع اسمهم في البلدان ولاسيما اختك التي ذكرتها الركبان وها انت اسرتها بين الفرسان فعند ذلك ضحك الغضنفر وقال وحق مالك الممالك لقد صدقت في مقالك لاني حين غضبت عليها واردت قتلها ما طاوعني قلبي على ذلك واخذني من امري العجب لاني قتلت كثيرًا من العجم والعرب وما شفقت الا على هذه السوداء بنت الاسود ثم قام وامه ومشيا حتى وصلا الى المضرب الذي فيه عنيترة وفرسانها ودخلا عليهم وامر الغضنفر ان يحلوا وثاقهم واقبل على عنيترة وجعل يقبل راسها وفعلت هي كذلك ثم تقدم الى عمرو وزيد بن عروة وقبلهما فانذهلوا مما راوا ولم يعلموا السبب فقالت ام الغضنفر لعنيترة ايتها الاميرة قد ظهر الحق بعد الخفا وزال الحقد واقبلت ايام الصفا فهذا الامير الغضنفر اخوك من ابيك عنتر واخبرتها بجلية الخبر وما جرى لها مع عنتر لما عبر الى رومية الكبرى وقتل بهمند اخا الجيجان وكيف تزوج بها وتركها في القسطنطينية عند عمها قيصر وبينت لها القصة من اولها الى اخرها واطلعتها على باطنها وظاهرها فعند ذلك صرخت عنيترة ومن معها من الرجال وعمرو ذو الكلب وسائر الابطال وقامت بينهم الافراح وانسعت صدورهم بالانشراح واقبلت عنيترة على اخيها واعتنقته والى صدرها ضمته وقبلته عمرو ذو الكلب بين عينيه وكذلك زيد بن عروة ومن معهم من الرجال وقد ظهرت عندهم المسرات وارسل الغضنفر لبني عبس واعلمهم بواقعة الحال فتعجبوا غاية العجب واهتزوا من الطرب وركب عند ذلك الملك زهير وبنو عبس وبنو فزارة وبنو قضاعة وساروا حتى اقبلوا على خيام الغضنفر فلاقاهم هو وجماعته وعانقهم وترجل الى الملك زهير بن قيس وسلموا على بعضهم البعض وزادت افراحهم ومسراتهم وطابت اوقاتهم وهنأ الملك زهير عنيترة بجمع شملها باخيها وبعد ذلك اخذهم الغضنفر الى القلعة وامر بذبح الاغنام وترويج الطعام واضافهم ضيافة عظيمة ذات قدر وقيمة وداموا على ذلك سبعة ايام ولما كان اليوم الثامن

قالت عنيترة لاخيها يا اخي لقد طال علينا المطال فمرادنا العودة الى الاطلال وانت تعلم اني ما اتيت الا في طلب المال فان كان باقياً منهُ شيء فاحضره حتى نرسلهُ الى كسرى انوشروان اكراماً للمنذر لان لهُ علينا فضلاً وامتنان وان كان قد عدم فقل لي حتى ارسل عوضهُ من مالي ولا ندع للمنذر علينا عتباً ولا ملاماً لانهُ بعث هذه الاموال الى كسرى مداراة عن بلاده واما نحن يا اخي فمال العرب كلهُ لنا وفي يدنا فعند ذلك شكرها اخوها على مقالها وقال لها يا اختاه وانا قادر على جميع العربان وملوك الزمان وقد حويت افخر الجواهر الحسان لاسيما انت يا فارسة عدنان ولا اريد اكثر من هذا الحظ الوافر ولا اريد مالاً ولا نوقاً ولا جمالاً بل اريد ان اكون انا وسائر من عندي في قلعة برقعيد غلمانك وجندك واعوانك وان عارضك احد من الانام قطعت راسهُ بهذا الحسام واعينك على العرب اللئام الذين اهلكوا بني عبس الكرام واخذ بثار ابي الفارس الهمام واقتل من اجلهِ الاعراب والاعجام واما مال الملك المنذر فما عدم منهُ عقال بل هو باق مثلما اخذناه ففرحت عنيترة وانكبت تقبل يدي اخيها وقالت لهُ لاعدمتك من شقيق واخ ورفيق فاحضر المال بين يدي لا راه فامر في الحال باحضار المال ثم احضر ماء السما واخلع عليهِ خلعة سنية وامرتهُ عنيترة ان يسير بالمال الى كسرى وارسلت معهُ خمسمائة فارس ولما كان الصباح سار ماء السما بمن معهُ الى المدائن ثم ان الغضنفر التفت الى من حولهُ من الابطال وامرهم بان يتجهزوا الى السفر والرحيل فاجابوه بالسمع والطاعة وخرجوا في الوقت والساعة وقضوا اشغالهم وصاروا خارج القلعة واما امهُ فما هان ذلك عليها فقالت لهُ يا ولدي انا لا اطيق فراقك لاني دائماً اشتاقك ومن اجل هذا ما كنت اعلمك باهلك فالان اينما سرت سرت معك واينما رحلت رحلت معك فقال لها على الرحب والسعة والكرامة والدعة

ولما اصبح الصباح امر الغضنفر بالرحيل وان يجمعوا المال والسلاح ففعلوا كما امرهم وركبوا وركبت معهم مريم في هودج مجلل بالدر والمرجان اما عنيترة فركبت جواداً عظيماً وضربت لها لثاماً وانتخب الغضنفر من العسكر ثلثة الاف وامر الباقين بالعودة الى الديار وساروا يقطعون البراري والقفار الى ان وصلوا الى بني عبس وعدنان فاقيمت لهم الافراح وداموا على اكل طعام وشرب مدام الى ان كان في بعض الايام واذا بفارس وصل الى حي بني عبس ودخل على عنيترة ودفع اليها كتاباً من الملك المنذر يدعوها الى حضرتهِ فتجهزت في الحال وسارت معها الابطال والملك زهير الى جانبها والغضنفر وباقي الرجال بين يديها الى ان وصلوا الى الحيرة ودخلوا على المنذر فقام لهم على الاقدام وسلم عليهم واجلسهم في احسن مقام

وسالم عما جرى من الامور والاحكام فاخبروه بما جرى وكيف سيّروا الاموال الى كسرى ففرح بذلك وخلع على الجميع وهنأ عنيترة باخيها الغضنفر وبعد مدة عولوا على الرحيل وساروا حتى وصلوا الى حيهم ولما قربهم القرار صنعت عنيترة وليمة عظيمة واجتمعت دريم بقناصة الرجال واعلمتها بالحال وارسلت الكتب الى الحلفاء والاصدقاء ان ياتوا اليها فاجابوها عن بكرة ابيهم الا عمرو بن معدي كرب وهاني بن مسعود فانهما قالا نحن حلفنا اننا بعد عنتر لا نقاتل احدًا من البشر ولا نسير الا الى مكة ونقصد النبي المختار ونسلم على يديه · اما باقي العربان فاتوا الى بني عبس وقالوا لهم اننا نقاتل قدامكم حتى نهلك جميع العرب وكان من جملة من اجاب الديال بن الغضبان لان الغضبان لما قتل كانت زوجتهُ منهُ حاملاً فذهبت الى اهلها و بقيت هناك الى ان ولدت غلامًا ذكرًا وسمتهُ الديال وما زال ينمو و يكبر حتى بلغ مبلغ الرجال وصار موصوفًا بالفروسية وشاع ذكره في سائر عرب البرية وكان كلما اراد ان يمضي الى جده عنترة تمنعه امه من خوفها عليهِ حتى قتل عنترة فسمع الديال بقتل جده فبكى وتناثرت الدموع من عينيهِ وعمل لهُ العزاء سبعة ايام ونشا هذا الولد من بني عبس وامرهُ اهل الحلة عليهم الى ان انفذ لهُ زهير وعنيترة ذلك الكتاب فسمع واجاب وسار اليهم في الفي فارس ولما وصل بقومهِ الى بني عبس التقتهم عنيترة وخالها عمرو ذو الكلب وتباكوا عند اللقاء واكرموا الديال ومن معهُ من الرجال وبعد ذلك اتى دريد بن الصمة ومعهُ خمسة الاف فارس وخفاف بن ندبة ودثار بن روق فالتقاهم بنو عبس وانزلوهم في تلك الارض وكذلك اتت عرب الامصار من البراري والقفار لانهم سمعوا شيئًا ما سمعوه من عنترة في زمانهِ فعند ذلك تذكر دريد بن الصمة ايام عنترة بن شداد وما جرى عليهِ من الاعداء والحساد لانهُ كان من اصدقائهِ الكبار وعند ذلك تباكت الناس ونزلوا عن الخيول وشقوا ما كان عليهم من الثياب واقلبوا الحي بالبكاء والانتحاب واقاموا في العزاء سبعة ايام ولما كان اليوم الثامن ساروا يقطعون الروابي والكثبان والمناهل والغدران والعرب تهاديهم خوفًا من سيوفهم والسنان وهم سائرون بمن معهم من العساكر طالبين ديار بني عامر وقد عول الغضنفر على قتلهم وقلع اثرهم وسارت خلفهُ العساكر بالقنا والبواتر والرايات والاعلام والملك زهير في مقدمتهم

قال الراوي فبينما هم سائرون واذا بغبار قد ثار حتى سد منافس الاقطار وبعد ذلك انكشف للنظار وبان من تحتهِ خمسمائة فارس فلما نظر بنو عبس تلك العساكر القادمة عليهم مضوا اليهم والتفت الغضنفر الى بعض بني عمهِ وقال لهُ ياسالم امض الى هولاء القادمين

واسالهم عن احسابهم وانسابهم فمضى اليهم سالم وسالهم عن احسابهم وانسابهم فما اتم كلامه الا والكوسات دقت والطبول ضجت وبعد ذلك ظهر من تحت الاعلام فارسان كانهما اسدان الواحد اسمر غميق السمرة والاخر ابيض ملطخ بحمرة ونادى هيا ياوجه العرب اما سوالك عن احسابنا وانسابنا فنحن من بني عبس انا ياسر بن ميسرة وهذا ليث الميدان ابن مازن بن قراد واما سوالكم من ابن جئنا فمن دمشق الشام وقد اتينا من تلك البراري والكثبان حتى نعينكم ونساعدكم على اخذ الثار وكشف العار فتعجبت الفرسان واهتزت طرباً من هذا الكلام وظنوا انهم في منام وكان للتقائهم بياسر وليث الميدان حديث عجيب وامر مطرب غريب وهو اننا ذكرنا قبل هذا الكلام ان عنترة لما غضب على بني عبس ورحل عنهم ونزل على الفرات انفذ زوجة ميسرة وزوجة مازن الى دمشق الشام عند حليمة فلما سارتا اليها استقبلتها بالانعام والاكرام واقامتا عندها مدة ايام فولدت زوجة ميسرة ولداً ذكراً بارعاً في الجمال وفي ثاني ليلة ولدت زوجة مازن ولداً ذكراً ايضاً كانه الهلال فسمت زوجة ميسرة ولدها ياسراً وزوجة مازن سمت ابنها ليث الميدان وربي الولدان في دمشق الشام عند عمرو بن الحارث الوهاب الى ان كبرا فاعطاهما بلاداً وضياع وزاد لهما في الخراج والاقطاع واتصلت اخبارهما الى سائر البلاد وفي تلك الايام سمعا بقتل عنترة بن شداد وما جرى لبني عبس الاجواد وكيف تشتتوا بعده في البلاد فعملا عزاء لعنترة سبعة ايام ثم اتصلت بهما الاخبار ان عنيترة عولت على اخذ الثار وكشف العار وشاعت اخبار ظهور الغضنفر وانه ابن عنتر وقد عزم على اخذ الثار وكشف العار ففرح بذلك ملك الشام وارسل من يكشف له الخبر فرجع الرسول واخبره انه قد ظهر الغضنفر بن عنتر فشاعت الاخبار في بلاد الشام وسمع بذلك ياسر وليث الميدان فركبا في ساعة الحال وصحبتهما خمسمائة من الابطال وما زالا مجدين السير حتى التقيا ببني عبس وسلمت الاحباب على الاحباب وتعانقوا وتباكوا من شدة الفرح ونزل كلهم في تلك الارض ونصبوا الخيام واركزوا الاعلام وعمل لهم الغضنفر وليمة عظيمة واقاموا في ذلك المقام سبعة ايام والحلفاء بهم محدقون ثم ان الغضنفر لما اجتمعت عنده تلك العرب امر بالركوب فركبوا اجمعين وما زالوا يجدون السير ليلاً ونهار مدة عشرين يوماً حتى اشرفوا على بني عبس ونظروا الى تلك المنازل الدوارس فعند ذلك تذكروا الايام القديمة وبكوا وتنهدوا من قلب حزين فلما نظر الغضنفر بكاهم قال لهم ما بالكم تبكون فقالوا ان هذه الديار ديارنا وقد دفن ابوك هاهنا فلما سمع هذا الكلام اخذه البكاء والاعوال وكذلك عنيترة زاد بها

الانذهال ونزل الغضنفر في تلك المنازل وتميزها عرضاً وطول وكذلك فعلت بنو عبس واقاموا في بكاء ونواح مدة خمسة ايام وفي اليوم السادس ذهبوا سائرين في تلك القفار واذا هم بنجابين كانهما الطير الطائر فلما راهما الغضنفر جد في الطلب فهربا من امامه فقال لهما لا تخافا فلكما الامان مني ومن سائر العربان فنحن بني عبس وعدنان فلما سمع النجابان ذلك المقال اخذهما الانذهال لانهما يعلمان ان بني عبس اندثروا ثم سار الغضنفر ومن معهُ حتى وصلوا اليهما وقالوا لهما ما حالكما وما الذي جرى عليكما ومن اي عرب انتما فقالا نحن من بني عبس وعدنان واننا من اعدائنا هاربان فبالله عليكم لا تعينوا القوم الظالمين فلما سمعت بنو عبس كلامهما تعجبوا من احوالهما وعند ذلك تقدم الملك زهير اليهما فعرفهما وترجل اليهما واعتنقهما و بكى على عنترة وايامهِ وما اصابهُ في زمانهِ و ترجلت باقي الرجال وسعوا نحوهما باستعجال حتى عرفوا حقيقة الحال وعلموا انهما جرير اخو عنترة والخذروف بن شيبوب وكان السبب في ذلك انهُ لما مات عنترة اخذ جرير الخذروف عند روضة ابن منيع فرأياه جالساً في مكان رفيع فتقدم جرير وقال حيى الله الامير صاحب السيف والقلم فلما سمع روضة كلامهُ العجيبة فصاحة لسانهِ فقال لهُ يا مولد العرب من ابن انتما فقال يا مولاي نحن من بني عبس فلما سمع روضة بذكر بني عبس قام على اقدامه وقال حياك الله يا شيخ العرب صاحب الحسب والنسب وحيا عربك فكيف حالهم بعد فارس الزمان ثم أنّ و بكى واظهر الحزن والاشتكا وقال لجرير من تكون من بني عبس قال انا اخو الفارس الخطير وهذا الذي معي هو الخذروف بن شيبوب فعند ذلك ضمهُ الى صدره فاقاما عنده في الضيافة سبعة ايام و بعد ذلك عزل لجرير والخذروف المضارب والخيام والنوق والجمال والعبيد والخدام وقال هذا كله بحكمكما وملك يدكما واقاما عند روضة في امان مدة من الزمان وبعد ذلك رحل روضة مع قومهِ طالبين غزو بني ضمرة وركب جرير الى جانبهِ والخذروف بن شيبوب وما زالوا سائرين حتى اشرفوا على بني ضمرة وساقوا الاموال والاحمال وهربت العبيد طالبين الجبال ووقع النفير في بني ضمرة فركبت كالعقبان طالبين الحرب والطعان فالتقوا ببني سعد خارج الخيام وكان عطارد بن ربان ملكاً على تلك القبيلة لانهُ كان من الفرسان المذكورة فصدم بني سعد بصدره فطلع الغبار الى العنان وما زالوا في طعن وصدام الى ان ولى النهار فعند ذلك افترق الفريقان وكان الربح في ذلك اليوم لبني سعد ولما طلع النهار ركبت الفرسان ونزلت في مقام الجولان وزادت في بني ضمرة الاطماع واذاقهم بنو سعد ساعة من الساعات انزلوا بهم فيها الذل والبليات فعند ذلك ولوا الادبار وركنوا الى الهرب والفرار

ونهبت بنو سعد نوقهم وجمالهم ودخل جرير الى ابيات بني ضمرة فوجد فيها اموالاً تعجز عن حملها الاجمال ورأى بنت الملك عطارد وكان اسمها امية فاخذها جرير مع جملة الاموال وكذلك فعل الخذروف وسلموا ما اخذوه الى عبيدهم وكان الخذروف قد نظر الى امية بنت الملك عطارد فرمت في قلبهِ جمرة وفي الغد اخذوا يقطعون القفار ولم يزالوا سائرين الى ان وصلوا الى الديار ونزلوا في الخيام وبعد سبعة ايام شاور جرير الامير روضة بزواج امية بالخذروف فعمل لهم الفرح مدة ثلاثة ايام ورابع يوم زفت بنت الملك عطارد الى الخذروف

قال الراوي اما الملك عطارد فلما جرى لهُ ما جرى هج على وجههِ في القفار ودخل على الملوك الكبار وشكا حالهُ اليهم فوعدوه بانهم يعينونهُ في جميع الحلفاء والاصحاب وانضمت بنو ضمرة من روس الشعاب وقصدتهُ العربان من كل مكان حتى صار في عشرة آلاف فارس فسار بهم الى ان وصل الى بني سعد واحاط بهم ونهب اموالهم فوقع في الحلة النفير وركب الكبير والصغير والتقت الابطال بالابطال واخذوا في الحرب والنزال وبعد ساعة ولى بنو سعد الادبار وسبى الملك عطارد ومن معهُ البنات الاحرار واخذوا جميع ما كان قد احتوى عليهِ الخذروف وجرير وعادوا طالبين الاطلال واما جرير والخذروف فلما رايا ما قد حل ببني سعد من المصائب وليا هاربين وما زالا يتنقلان من حلة الى حلة حتى التقيا ببني عبس وكان قد عرفهم الملك زهير فنظر الى جرير وقال للغضنفر وعنيترة هذا عمكما اخو ابيكما وكان لهُ اخ ثان اسمهُ شيبوب وكان جناح ابيكما وهذا الولد ولده واسمهُ الخذروف ففرح الجميع بذلك الخبر ونزلوا في تلك الارض وباتوا في هناء وافراح وفي الصباح ركبوا الجرد القداح فحلف الخذروف انهُ لا يركب جواداً وقال للغضنفر اني اكون في خدمتك كما كان ابي بخدمة ابيك عنتر وساروا طالبين ديار بني عامر ولما اقبلوا على الحي ووقعت العين على العين حملت بنو عبس على بني عامر وانزلوا بهم الذل والويل وما زالوا في ضرب حسام الى ان اظلم الظلام وافتقدت بنو عامر من قتل منهم فوجدوهم الفاً وخمسمائة فارس فنزل بهم الهم وايقنوا بقلع الآثار وخراب الديار فاقبلوا على عامر بن الطفيل وقالوا ما جلب لنا هذا الهم غيرك فقال يا بني عمي قروا عيناً وطيبوا قلباً فغداً ان شاء الله انزل الى الميدان واخذ بثار من قتل لنا من الشجعان ولما اصبح الصباح ركبت الفرسان وتبادروا الى الميدان فبرز عامر بن الطفيل الى الميدان وطلب براز الفرسان فارادت عنيترة ان تبرز اليهِ فسبقها الغضنفر وانقض على عامر كانهُ الاسد وتطاعنا بالرماح وتضاربا بالحسام حتى ابهرا النظار

مقدار ساعة من النهار فعند ذلك صاح فيه الغضنفر صيحة مثل الرعد وطعنة اقلبة عن مركبه ونادى الغضنفر يالثارات عبلة ابنة مالك فانقض الخذروف على عامر شده كتاف فلما رأت بنو عامر ان حاميها اسير انحلت عزائمها وارتخت قوايها وحملت تروم خلاصة فاستقبلهم الغضنفر وعنيترة وتبعها باقي العساكر وحملت بنو قضاعة بقلوب غير مرتاعة وصاحوا الثار الثار واطلقوا فيهم الصارم البتار والتفت عنيترة بغشم بن مالك فزعقت عليه اذهلته وطعنته في صدره طلع السنان يلمع من ظهره فوقع قتيلاً وفي دمائه جديلاً ولما رات بنو عامر ملاعب الاسنة قد قتل انهزموا في القفار وتركوا لبني عبس الديار وعنيترة وراهم تنادي يالثارات عبلة هذا وقد شفوا فوادهم ونالوا من بني عامر مرادهم واسروا كبشة ام عامر واخته ونزلت بنو عبس في الخيام ودار بينهم الكلام في قتل هولاء اللئام فقال الغضنفر للخذروف قدم عامر بن الطفيل فاحضره الى بين يديه فقال له أرايت عاقبة البغي فلم قتلت عمي مالك وولده عمرا وزوجة ابي عبلة فقال له يافارس عدنان انا ما قتلت عبلة الا لاسباب اضطرتني الى ذلك رغماً عن ارادتي واعلمه عامر بالسبب الذي الجاه الى قتلها وقال له خشيت ان تعلم العرب بذلك فتعيرني به فقتلت عبلة ثم هرب ابوها واخوها وطلبا ارض العراق فطلبها بنو عامر وقتلوها خيفة ان يمضيا الى الملك الاسود ويخبراه بذلك فيجرد علينا العساكر والفرسان من كل جانب ومكان وانا ما اخذت من مال عبلة عقالاً وقد اعترفت بالخطا ومثلك من قدر وعفا

قال سعيد بن مالك فلما سمع الغضنفر كلامه وقد اعترف بذنبه وجهله ناداه ياعامر وتربة ابي عنتر ما كان في نيتي الا قتلك ولكن قد عفوت عنك بشرط ان تحضر لي ما اخذت من المال وما كان على عبلة من الحلي والتاج والمهر كوكب ابن الابجر وامه سكاب فقال له ياحامية عدنان ارد لك جميع ما ذكرته واسوق الى عمها زخمة الجواد ديتها ودية ابيها واخيها وانت تعلم انهم قتلوا منا خلقًا كثيرًا واختك عنيترة قتلت ابن خالتي ملاعب الاسنة فقال له الغضنفر انفذ واحضر الجميع وبعد هذا يكون لك معنا كلام فانفذ عامر الى علقمة واخبره بما جرى له مع الغضنفر فانفذ للغضنفر جميع ما طلب فعند ذلك حل عامرًا من وثاقه وخلع عليه واطلق له اخته وامه فشكروه وعادوا الى قومهم ففرحوا بهم وفي تلك الايام ولدت سكاب مهرًا ادهم فسر به الغضنفر وقال للخذروف ما نسمي هذا المهر قال غيهب فتسلمه الخذروف واخذ بربيه ثم عزموا على الرحيل الى ديار بني عبس واذا بغبار قد ثار ثم انكشف وبان من تحته ماية فارس اسود وبينهم هودج عال بهلال من ذهب

ولما وصلت هولاء الفرسان الى امام بني عبس وعدنان نزلت من الهودج جارية مليحة القوام كانها البدر التمام فعلموا انها من بنات الملوك ثم ترجلت الفرسان الذين معها ولما اقبلت اعلنت بالبكاء والنواح وكشفت عن وجه كانه كوكب الصباح ولما نظرها ياسر وليث الميدان ترجلا اليها وقبلا يديها وسالاها عن حالها وما جرى لها وكانت هذه حليمة بنت الحارث الوهاب صاحب دمشق الشام وكان سبب وصولها امر غريب افضى الى قتل رجالها ونهب اموالها فاتت مستجيرة بالغضنفر واخيه عنيترة ثم سالوا عن حالها وما جرى لها فقال ياسر يا عم هذه ربتني وربت ابن عمي وقد ربينا في نعمتها ونعمة اخيها وكان والدك حاميها لان لها عليه وعلينا جميلاً وقد اتت مستجيرة مما الم بها ثم نظرت حليمة الى الغضنفر واجرت دموعها كالمطر على ابيه عنتر فقال لها الغضنفر اخبريني بحالك واشرحي لي مقالك وقلي من بكاك فانا ابلغك مناك فقالت له لقد خربت ديارنا وقتلت رجالنا فقال لها من فعل بكم هذه الفعال اجابته ملك من ملوك الافرنج يقال له الجوفران بن كوبرت ملك جزيرة الكافور وقلعة البلور فانه خرب البلاد وجار على العباد وحلف انه لا يترك مملكة الا ويملكها ولا قبيلة الا ويهلكها فلما سمع الغضنفر من حليمة هذا الكلام التفت الى من حوله من الفرسان وقال لهم ما تقولون في هذا الشان فقالوا الامر اليك قال الراي عندي اننا نلقى هذا العدو ونكفي الناس شره ثم نعود الى اخذ ثارنا فاستصوبوا رايه واتفقوا على المسير الى الشام حتى يلتقوا بالجوفران وفي الصباح نشرت الرايات على راس الملك زهير وركب الغضنفر وركبت حليمة في هودجها وراء الجميع وما زالوا سائرين حتى وصلوا الى الشام فعند ذلك قال الخذروف للغضنفر سر خلفي واتبعني حتى اوصلك الى الفلاة واقطع بك البساتين وانزلك على خيام الاعداء فتبعه الغضنفر ومن معه حتى وصلوا الى الجانب الغربي ونظرتهم الافرنج فظنوا انهم اتوا لنصرتهم ولما علموا انهم من بني عبس طمعوا بهم لقلتهم وزحفوا عليهم مثل البحر اذا زخر وكانت بنو عبس خمسة الاف والافرنج عشرة الاف عدا الذين في الحصون وكان الجوفران قد سير الى انطاكية ثلاثين الفا وترك في دمشق عشرة الاف ودام الحرب حتى اظلم الظلام وافترقوا الى الخيام وفي الصباح ركب الجوفران وركبت معه الفرسان ولما بلغوا الميدان برز منهم فارس على جواد اشهب تربية ملوك العرب وطلب البراز فبرز اليه ياسر بن ميسرة وحمل عليه حتى حك الركاب وضربه بالسيف على عاتقه اطلعه يلمع من علائقه ثم برز اليه اخو المقتول فما تركه يجول حتى ضربه بالرمح في صدره اطلعه يلمع من ظهره وصال وجال ونادى يا افرنج ابرزوا الى ياسر بن ميسرة فبرز اليه فارس

اقتله وكان جندله ولم يزل يبرز اليه فارس بعد فارس حتى قتل خمسين وعاد عند الظلام
وقد تعجب الجوفران من فعال ياسر وكان كلما اراد ان يبرز اليه يمنعهٔ اهل دولته وفي الصباح
برز فارس من فرسان الافرنج الى الميدان وطلب البراز فهم ياسر ان ينزل اليه فسبقهٔ ليث
الميدان ابن مازن فحمل وزعق زعقة ادوت لها الوديان وصدم الفارس الافرنجي وضربهٔ
على هامهِ شقهٔ الى بين قدميه فلما راى الجوفران تلك الضربة تقدم الى الميدان فسبقهٔ فارس
من فرسانهِ وبرز الى ليث الميدان فتلقاه وضربهٔ بالسيف رماه فعند ذلك حملت الفرسان
على الفرسان ولم يزل السيف يعمل والدم يبذل حتى اقبل الليل بالاعتكار ودقت طبول
الانفصال فنزلوا الخيام ودار بينهم الكلام فقال الغضنفر لدريد بن الصمة يا ابا النظر لو
كانوا انصفونا في البراز لكنا افنينا ابطالهم بحد الحسام فقال دريد يا حامية عبس لا بد لنا من
البراز هذا ما كان من هولاء واما ما كان من الجوفران فلما نزل في خيامهِ ورأى انهٔ فقد
من عساكره الف وسبعمائة فارس قام وقعد وارغى وازبد وحلف انهٔ ينزل الى الميدان
وياسر الفرسان وفي الصباح اصطف الجيشان وبرز ياسر بن ميسرة واذا بجيش الافرنج هاج
وماج وخرج منهٔ الف فارس مشاة يقدمهم فارس اسمر مهول عظيم العرض والطول ولما
توسط الميدان اشار الى المشاة بالرجوع وكان ذلك الفارس الجوفران فارس الاقطار
ومالك الجزائر والبحار فحمل على ياسر وجال معهٔ في الميدان وطعنهٔ بعقب الرمح رماه فاخذه
الافرنج اسيرًا ثم قال ابرزوا يا فرسان الحجاز فقفز اليهِ ليث الميدان وطعنهٔ طعنة جبار فمال
عنها الجوفران وصبر عليهِ حتى جاوزه الحصان واخرج رجله من الركاب ورفسهٔ فرماه على
وجه الارض واخذه اسيرًا ثم عاد وطلب الحرب فاخذت تبرز اليهِ الفرسان وهو ياسرهم
وبعد ذلك خرج اليهِ دريد ولما قاربهٔ ناداه الجوفران احترز على نفسك يا شيخ من الطعان
وطبق عليهِ بقلب اقوى من الصخر واخذ معهٔ في الكر والفر حتى ابهرا النظار وكلت منهما
الزندان فقال لهٔ يا شيخ ما كان ظني فيك هكذا فانني لما رايت كبرك ودمعتك تجرى من
مقلتك ظننت ان ذلك من خوفك من الطعن والضرب فعند ذلك ناداه دريد والله
خاب ظنك واخطا سهمك وانا متحير في امرك فقال لهٔ ما معني هذا الكلام قال اني اراك
فصيح اللسان ومضاربك مضارب عبسي وعدناني وعندك فضل وادب وقد خالفت صفة
الافرنج فهذا غاية العجب فقال لهٔ ان الله قادر ان يخلق من الابيض اسود ومن الاسود ابيض
واما كلامي فتعلمتهٔ من صغرسني فقال لهٔ دريد يا فارس الخيل اما بكائي فهو على فارس
كان اسد الفرسان يقال لهٔ عنترة قد قتل غدرًا ولما برزت اليك نظرت قتالهٔ مثل قتالك

فتذكرت عنترة وعظم قتاله

قال سعيد بن مالك فلما فرغ دريد من كلامهِ اطبق عليهِ الجوفران فتلقاه كانهُ النمر الجردان واخذا في الضرب والطعان فنظر دريد من حرب الجوفران ما حير منهُ الاذهان وراى الجوفران من دريد حرباً تشيب لها الولدان فعند ذلك مال الجوفران الى دريد ولاصقهُ وسد عليهِ طرقهُ وطرائقهُ وقبض على جلباب درعه وجذبهُ اقتلعهُ من سرجه ورجع بهِ الى الخيام وقد اقبل الظلام فلحق ببني عبس والغضنفر الاحزان وفي الصباح ركبت الطائفتان تطلب الحرب والكفاح واذا بالجوفران برز الى الميدان ونادى بين الفريقين لا يبرز الا من هو بالشجاعة موصوف وان كنتم خائفين من شرب كاس الحتوف سلموا انفسكم على رغم الانوف فما اتم كلامهُ حتى صار الغضنفر قدامهُ وناداه دع عنك الهذيان فاليوم ترى مني الموت عيان فلما سمع الجوفران كلامهُ قال لهُ اترك جهلك وخذ حذرك قبل حلول اجلك ثم دارت بينهما حرب تشيب الاطفال وداما الى اخر النهار وما زالا على هذه الحال ثلاثة ايام وبينما هما في كر وفر وضرب وطعان صدم الغضنفر الجوفران وضربهُ ضربة هائلة ظن انها قاضية وقال خذها من فارس عدنان فوقعت في كتفهِ قطعت درعه وبلغ السيف لحمهُ فساح دمهُ فصبر عليها واخذ معه في الصدام حتى اظلم الظلام وافترقا على سلامة فضمد الجوفران جرحه ونام وفي الصباح برز الى الميدان وحملا على بعضهما وتصادما

الكتاب الثالث والخمسون بعد المائة

من سيرة عنترة بن شداد العبسي

صدمات منكرة الى اخر النهار وتيقن كل منهما انهُ لا يرجع الى الديار وخاف الغضنفر انهُ لا ينال من خصمهِ ما يختار فلاصقهُ وضايقهُ وسد عليهِ طرقهُ وطرائقهُ وقام في ركابهِ وتمطى في بداديهِ واراد ان يضربهُ بالسيف فمن قوة حنقهِ عند تمطيهِ في البداد انقطع الدوال من ناحية الشمال وسقط عن الجواد الى الارض فانقض عليهِ الجوفران اخذه اسيراً وعاد الى سرادقهِ وهو فرحان وفي الصباح برز الى الميدان واذا بعنيترة نزلت الى المجال وصرخت صرخة ادوت لها الجبال وارادت ان تحمل عليهِ فصرخ فيها الجوفران وابتدرها بضرب يقرب الاجال من الصباح الى قرب الزوال ولكنها ثبتت جنانها فعند ذلك اخذ الغيظ من الجوفران كل ماخذ وضربها بالسيف صفحاً على راسها فسقطت على الارض فانقض عليها جماعة الجوفران وشدوها كتافاً وساروا بها الى الخيام ووضعوها مع الغضنفر وفي الصباح ركبت بنو عبس فاقبل

الخذروف بن شبيوب على عمرو وقال له يا امير انا لا بد لي ان ادخل عسكر الافرنج وارجع معهم الى الخيام واسعى بخلاص اولاد عمي عنيترة والغضنفر ولو لقيت في خلاصهم الموت الاحمر ثم انه خلع اثوابه ولبس اثواب تصلح لهذه الاسباب وكان قد فاق اباه بالمكر والحيل وبالاتفاق العجيب كانت عساكر الافرنج قد ركبت للقتال لانها طمعت في بني عبس بعد اسر عنيترة والغضنفر وحملت الصفوف وتلاطمت الالوف بالالوف ولم يزالوا في الحرب والقتال الى ان دنت الشمس الى الزوال فافترقوا عن بعضهم البعض ونزل الجوفران في سرادقه وكاد الغيظ ان يخنقه فحانت منه التفاتة فراى الخذروف ينظر الى خيمة الاسارى بنظر خفيف فقال ائتوني بهذا الرجل فاحضروه بين يديه ولما اقبل الخذروف عليه صلب على وجهه وكشف راسه فقال له الجوفران من انت وما دينك اصدقني المقال والا قطعت راسك بهذا السيف فقال يا مولاي انا من بلاد ساسان وقد جار عليّ الزمان وفقدت الاهل والخلان فقال الجوفران ومن فعل بك هذه الفعال فقال له ما فعل بي هذه الفعال الا هولاء الاسارى اوباش الرجال ثم انه ابدى الحسرات فشفق عليه الجوفران وقال له دع عنك البكاء فنحن ناخذ لك ثارك ونامرك ان تضرب منهم الرقاب وترمي لحومهم للكلاب فقم الان وعاقبهم فقد وكلتك بهم لتعذبهم فنهض الخذروف الى خيمة الاسارى وكانت بجانب سرادق الجوفران فرفع سجاف الخيمة وتقدم نحو دريد بن الصمة وصرخ عند نظره اليه وقد زاد له في السب والشتم وقال له هذا هو الذي قتل ولدي واحرق عليه كبدي ثم تقدم اليه ولطمه بين كتفيه واخذ يعض اذنيه ويضرب به على يديه ورجليه والجوفران يضحك عليه ودريد يشتمه و يقول من انت ايها اللئيم المفتري اوضح لي عن اسمك واهلك وعشيرتك فتبسم الخذروف فعرفه الغضنفر وقال يا ابا النظر هذا عمي وما اتى الا ليخلصنا من هذا الاسر ثم تفرس فيه دريد فعرفه فقال له ومتى قتلت لك ولدك ونهبت اموالك حتى قطعت لحيي باسنانك فتبسم الجوفران و بينما هم على هذه الحال اقبلت عشر جوار ودخلن على الجوفران و بينهن جارية صاحبة مقام

قال الراوي فلما قربت من الجوفران قام لها على الاقدام ثم جلست وبادأته بالكلام وقالت له ما بالك ايها الملك تكثر الضحك على غير عادتك فقال لها يا اماه لقد اضحكني هذا الرجل الساساني لان ليس له في خدمة الملوك من ثان ثم اخبرها عن الخذروف وما سمع من كلامه فقالت له اين هو قال لها عند الاسارى فامرت ان يحضروه اليها فاحضروه فنظرته والتفتت الى الملك وقالت له يا ولدي هذا سلال محتال وقد اتى ليخلص منكم الاسارى بالمحال

فقال الجرفران للخذروف اصدقني بالكلام والا ضربت رقبتك فقال الخذروف يا ملك
لا تفعل لاني ما تكلمت معك بزلل وما انا الا من بني ساسان وقد احسن عليَّ بك الزمان وعلمت
غرضي والشان وما جرى لي من الذل والهوان فحار الجوفران من كلامه ثم انه نادى في بعض
حجابه وامر باحضار الغضنفر فاحضروه بين يديه فقال له قد صح عندي انك شجاع والكذب
لا يليق بالشجعان والصدق احسن فبحق من تعتقده من رب زمزم والمقام وبحق البيت الحرام
والمشاعر العظام هل تعرف هذا الرجل ابن اللئام فقال الغضنفر وقد تعجب من تلك
الاقسام وقال له يا ملك لا انسبه فان الكذب قبيح ولا اقول والله الا الصحيح ان هذا الرجل
ابن عمي ومن لحمي ودمي ومفرج همي وغمي وفداني ليخلصنا فلما سمع الخذروف كلام الغضنفر
قال له بعدما تمرمر ليس الذنب عليك بل الذنب على من اتى يروم خلاصكم فقال الغضنفر
ويلك يا خذروف هل اكذب واصير معيرة عند العرب اما سمعت انه حلفني برب زمزم
ومنى المستحق الحمد والثنا فتعجب الجوفران من فصاحة الخذروف وصدق الغضنفر وهو
في مقام الخطر وامر بان يقيدوه بقيد ثقيل ووكل به وبالاسارى عشرين من العبيد واوصاهم
بالاحتراز لعلمه انهم فرسان الحجاز ثم قام الى منامه ولما اصبح الصباح ركبت الطوائف وتقابلت
الفرسان واتسعوا في الجولان وتضاربوا بالبتار وسطا السيف في حكمه وجار ولم يزل السيف
يعمل والدم يبذل الى ان ولى النهار وارتحل واقبل الليل وانسدل وقد تحير الجوفران
وتبلبل من قتال بني عبس وما عملت في ذلك اليوم من العمل وعادت الطائفتان من الحرب
والطعان واعجب ما جرى من احاديث العربان ان الجوفران لما نزل في سرادقه واحاطت
به عظماء دولته اقبلت امة لجاري عادتها ودخلت عند الاسارى فوجدتهم مما حل بهم حيارى
فتعجبت من امرهم وهالها عظم صبرهم فقالت لهم من اي البلاد انتم فقال دريد يا ملكة نحن
ثلث قبائل انا من هوازن وجشم وهذا الفتى ورفيقه ابنا عمي واشار الى دثار وخفاف بن
ندبة وهولاء الفرسان الاربعة هم من بني عبس وعدنان واشار الى الغضنفر وعنيترة وياسر
وليث الميدان والخذروف فعند ذلك تقدمت ووقفت على راس الغضنفر وقالت له يا فتى
انت من بني عبس قال لها نعم فقالت له ما يكون منك ابن شداد عنتر فقال لها ابي فقالت
وما اصابه فقال قتل ظلما وعدوان قالت ومن قتله من الاقران قال رجل اعمى يقال له
الاسد الرهيص ضربه بالسهام قالت وابنة عمه عبلة ما فعل بها الزمان قال قتلها رجل من
بني عامر يقال له عامر بن الطفيل كان تزوجها بعد قتل ابي قالت وهذا السلال هو ابن
عمك شيبوب قال نعم قالت وعمك شيبوب ماذا جري عليه قال قتل ثم قال لها الغضنفر

اني اراك عارفة بنا وبانسابنا جيد المعرفة فقالت له ان اموركم كانت تصل الينا من السفار فطيبوا قلوبكم فانا اسيركم الى بلادكم ففرحوا بمقالها وشكروها على فعالها ثم ذهبت من عندهم ووعدتهم بالخلاص وارسلت لهم ماكلاً ومشرباً

قال الراوي واتفق في تلك الليلة ان الجوفران راى في نومهِ مناماً وطلب في الصباح تفسير ما رآه وضاق صدره واحضر مفسري الاحلام فقالوا له ياملك ابدِ لنا ما رايته في منامك وما الذي ازعجك من احلامك قال رايت كانني قد اقبلت على سرادقي وجلست على سريري واذا بكتفي اليمنى اختلجت وطلع منها يد مثل يدي وامتلات من اصل كتفي حتى لحقت باصابعي وكفي فقلت في نفسي قد بطلت همتي عن القتال وانا خائف من هذه الاهوال واذا بها قد التأمت وصارت يداً واحدة واستيقظت وانا متكدر الخاطر مما لقيته من احلامي فبينوا لي ذلك ان كان فيكم احد عارفاً بتفسيره فتعجب الجميع من ذلك المنام وعجزوا عن تفسيره فاغتاظ الجوفران وتمرمر واذا باحد اكابر دولتهِ قام على الاقدام وقال له ياملك الزمان ان اردت ان تعلم تاويل هذا المنام فاحضر الاسارى واستخبرهم لانهم يعرفون التاويل وكان الغضنفر ايضاً قد راى مناماً وكان يقصهُ على دريد ويقول لقد لقيت امراً عجيباً ارجو من الرب القدير ان تكون عاقبتهُ خيراً فقال دريد ابدهِ لي لعلي اعرف معانيه فقال له رايت كاني في حفرة نظير القبر وقوم يهددوني بالقتل وقد القوني في تلك الحفرة ومضوا فقمت واقفاً على اقدامي اريد الخروج فرايت في تلك الحفرة منطقة من الذهب مرصعة بالدر والجوهر فمددت يدي ومسكتها واذا فيها منطقتان فشددت وسطي فيهما واذا بهما صارتا منطقة واحدة فقال له دريد ان تفسير منامك يدل على ظهور اخ لك عن قريب فقال الغضنفر ياابا النظر من اين يتفق هذا وابي قد عدم فقال دريد على سبيل الملاعبة والمجون انا اخبرك كيف يكون ان امك مريم تتزوج ببعض الملوك وترزق منهُ ولداً ذكراً فيصير اخاك فقال لها الخذروف وقد زاد بهِ الغضب ربما يكون الجوفران اخاك وقد حملت بهِ بعض النساء من ابيك عنتر لانهُ يشبهك باللون والقد والمنظر فقال دريد وحق البيت والحجر والركن اليماني المطهر ان الجوفران اشبه الخلق بالغضنفر فقال الخذروف وقد ضحك من هذا المقال انكم تعللون انفسكم بالمحال وبالخلاص من القيود والاغلال فبينما هم في الكلام واذ دخل عليهم الحاجب وامرهم بالحضور الى الجوفران فامتثلوا امره وساروا ودخلوا عليهِ فامرهم بالجلوس وان يفسروا ما رآه في المنام وذكر لهم الرويا كما وصفناها فقال له دريد ايها الملك الذي ظهر لي من تعبير احلامك وتفسير ما رايته في منامك هو انهُ يظهر لك اخ وله

عساكر مثل عساكرك ويتغلب عليك بعض الملوك وياخذ منك بلادك فقال له ياشيخ
اني مابت واني لاتتزوج ابدًا وما الامر الا كما قلت انه يتغلب عليّ بعض الملوك ثم ان الجوفران
اخذه هم ووسواس حتى ضاقت منه الانفاس وقال ما في الامر الا ان اقتل هولاء الاسارى
الذين اسرتهم وارمي روسهم الى اصحابهم حتى تنحل عزايمهم واحمل عليهم واكسر عساكرهم
وابدد جحافلهم واعود الى بلادي عن قريب قبل ان يظهر علي عدو غريب ثم انه دعا
سيافه وامره ان يضرب رقاب الاسارى فقال الخذروف لاستر الله عليك واحل بك الارتباك
اهذا يكون جزاؤنا في تعبير رؤياك فقالت عنيترة قد سلمنا امرنا الى رب الارباب ومنزل
السحاب هذا والجوفران قد صاح بسيافه وامره بضرب رقابهم فاقبل عليهم السياف ووقف
على راس الغضنفر وشهر فوق راسه الحسام ورفع يده بالسيف واذا بام الجوفران وصلت
الى ابنها فنهض قائمًا اليها واجلسها الى جانبه وسالها عن سبب مجيئها فقالت له ايها الملك
على ماذا عولت فاني اراك في حركة فاخبرني عما عزمت عليه فقال قد عولت على قتل
هولاء الاسارى وان ارمي روسهم الى اصحابهم واشفي بذلك غلي حتى تنحل عزائمهم وافرق جمعهم
واطرحهم على الصعيد وابلغ منهم ما اريد وارجع الى بلادي عن قريب فقالت له ياولدي
ما هذا صواب وربما من ذلك ينفتح عليك باب من الابواب لانك تعلم ان وراء هولاء من
لا يغفل عنهم فان قبلت رايي فلا تقتلهم الا حتى تصل الى بلادك وجزائرك ومعك عساكرك
واجنادك حتى يعلم سائر الطوائف الذين كانوا يترقبون عارك لانك قتلت الذين كانوا
يعيرونك بهم وانك قد اخذت ثارك

قال الراوي فلما سمع الجوفران كلام امه قال لها وحق المسيح لا اذوق هذه الليلة طعام
ولا اتهنأ بمنام حتى اضرب روءوس هولاء اللئام فقالت له يا ابني لاتفعل لئلا يحل بك الندم
فغضب لما سمع منها ذلك الكلام والح على السياف وامره ان يضرب رقابهم ويحل بهم
الاتلاف فصار السياف يتقدم ويتاخر ويراقب كلام امه ولما راته مصممًا على قتلهم تقدمت
اليه وقد تذكرت جميل عنترة واحسانه اليهم وماصنع معهم من المكرمات وكيف قتل عدوهم
الملك صافات وكيف سلم اليهم جزائر الواحات فقالت له بلسان الافرنج ياولدي كيف يطيب
خاطرك بقتل اخوتك واولاد عمك فلما سمع كلامها صارت عيناه مثل الجمر وقال لها من
هم اخوتي واولاد عمي وما هذا الكلام فقالت له ياولدي ان هذين الاثنين هما اخواك ونسبهما
لاحق بنسبك وابوهما عنترة هو ابوك وهذه عنيترة اختك والغضنفر اخوك فلما سمع الجوفران
كلام امه قامت عيناه في ام راسه وانزعجت منه جميع حواسه وقال لها اليس ابي الملك

كوبرت فقالت له ياولدي اسمع كلامي فان حديثي عجيب وامري مع ابيك غريب لانهُ لو كتب على اوراق الشجر لكان عبرة لمن اعتبر ثم انها انعطفت عليهِ وتقربت بنفسها اليهِ واخذت تحدثهُ بحديثها وكان الكلام باللسان الافرنجي واخبرتهُ القصة من الاول الى الاخر وما جرى لها من اول الزمان وما سبق حديثهُ في هذا الديوان من امر عنترة بن شداد وما جرى لهُ مع الملك قيصر لما حضر الى القسطنطينية وتلك البلاد وكيف ان الملك قيصر اهداها الى ابي الفوارس عنتر وكيف تزوجها وكيف اراد شيبوب قتلها وكيف كان الامر بين كوبرت وبينها وانها قد علقت من عنترة واعادت اليهِ القصة من اولها الى اخرها وقالت ياولدي هذه جملة الخبر وقد بان لك الامر واشتهر وانت بعد هذا برايك اخبر وقد اطلعتك على ما كان من الامور المخفية ولم اكتم عنك شيئًا من القضية

قال الراوي فلما سمع الجوفران هذا المقال اخذتهُ الحيرة وقال لها ياأماه الم يكن احد من هولاء القوم معكم في ذلك الزمان كي اسالهُ عن هذا الحديث ليكون لك حجة وبرهان فقالت لهُ ياولدي ان اباك لما دخل الى الجزائر ما كان معهُ الا هرقل بن قيصر واخوه شيبوب وابنهُ الخذروف فقال من هو من هولاء الجماعة الخذروف فقالت هو السلال الذي هو بالخداع موصوف وهو الذي اتى بالحيلة ليخلص منك الرجال من الشد والاعتقال فعند ذلك امر الجوفران باحضاره اليهِ فاحضروهُ في ساعة الحال فقال لهُ الجوفران انت الخذروف قال نعم انا بن شيبوب اخي عنترة بن شداد المعروف فقال لهُ الجوفران ويلك ياخذروف هل دخل ابوك جزيرة الكافور وحضر مع عمك عنترة في قلعة البلور فان كان ذلك حقيقًا فاخبرني كيف كان ذلك واصدقني المقال فخاف الخذروف عاقبة هذه الاسباب وقال في نفسهِ ربما يكون عمي قد قتل من يعز على الجوفران فياخذ الان بثاره مني ويقضي عليَّ فارتبك في امره ولكنهُ علم ان لابد لهُ من اخباره فقال لهُ كان من عمي ذلك قبل موتهِ ثم ان الخذروف تذكر ايام ابيهِ شيبوب وعمهِ عنتر فجرت دموعهُ على خديه كالمطر وتنهد وتحسر فعندها ابكى ابني عمهِ عنيترة والغضنفر واخذ الجوفران من بكائهم الهلع والرجفان وقال للخذروف هل تعرف احدًا من الذين كانوا بذلك الزمان نساء ام رجال فقال والله يامولاي لا اعرف احدًا الا الملكة مريم والملك كوبرت وذلك منذ خمسين سنة لما سافرت فقال لهُ الجوفران اذا رايت الملكة مريم هل تعرفها فقال الخذروف نعم فقال الجوفران هل اجتمعت بها في غير جزيرة الكافور قال يامولاي في مدينة قيصر وقد مضى لنا فيها ايام كانت بهجة وسرور ثم اخذ يحدثهُ بالقصة من اولها الى اخرها وشرح لهُ باطنها وظاهرها وما جرى لعنترة والملك

كوبرت وقال له هذه حكايتي وقد وافق كلامه كلام الملكة مريم كما تقدم فصح عند الجوفران انه ابن عنترة وانه من بني عدنان فعندها قال يا خذروف وهل حملت الجارية مريم من عنتر فقال له اي وحق خالق البشر ولاجل هذا كان يريد قتلها عمي عنتر حتى لا يكون له منها في بلاد الافرنج ولد ذكر

قال الراوي فعند ذلك امر الجوفران باحضار عشرة جوار وقال لامه اذهبي واخفي نفسك عن هولاء الرجال فاذا طلبتك فاحضري اليّ ويكون في صحبتك هولاء العشرة الجوار ويكون ملبوسك مثل ملبوسهن حتى يكون ذلك اقوى برهانًا فاجابته بالسمع والطاعة وقامت من حضرته في تلك الساعة ثم ان الجوفران امر باحضار الجواري الى حضرته وكنّ كما امرهنّ قد لبسنَ لبسًا واحدًا فدخلنَ عليه ووقفنَ بين يديه فصاح على الخذروف وقال له فليهدأ روعك وليسكن عنك الفزع والخوف قل لي من هي الملكة مريم في هولاء الجوار فعند ذلك رمقهنّ الخذروف وحقق فيهنّ النظر وناداه يا مولاي وحق العزيز الغفار ان الملكة مريم ليست بين الجوار وحاشا تلك الملكة ان تتمثل بغير نساء الملوك الكبار وهي ملكة زوجة ملك صاحب قلاع وامصار فتبسم الجوفران من كلامه وطاب قلب الخذروف عند ابتسامه وايقن بالامان هذا كله يجري والغضنفر واخته عنيترة ودريد بن الصمة و بقية الفرسان قد حاروا في امورهم وتقطعت من شدة الخوف ظهورهم هذا والسياف واقف فوق روؤسهم يدور حواليهم و ينتظر الامر بضرب رقابهم ثم ان الجوفران استدعى امه فحضرت كما امر مع جملة العشر الجوار وقد لبس الجميع حلل الافتخار ووقفن بين يدي الجوفران بذلك الزي والملبوس بعد ما سلمن وخدمن فامرهن بالجلوس والتفت الى الخذروف وقال له اية هي الملكة مريم من هولاء الجوار قال مرهن ان يكشفنَ عن وجوههن لاتحقق الاخبار فامرهنّ الملك بذلك فكشفنَ عن وجوه مثل الاقمار فاطال الخذروف في وجوههنّ النظر واذ قد كشف عن وجه الملكة مريم وكان لها وجه كالشمس فلما نظر اليها صرخ بملء صوته وقد زال عنه الخوف والفزع وكاد من شدة الفرح ان يغشى عليه ويقع وقال وحق البيت الحرام وزمزم والمقام هذه هي الملكة مريم زوجة عمي عنتر الاسد القسور

قال الراوي فعند ذلك امر الملك بعض الابطال ان يتقدم ويحل وثاق الخذروف وقام هو على الاقدام وتقدم الى الجوفران ووقف بين يديه فنظرت الملكة مريم الى الخذروف باعين احد من السيوف فانكب على يديها بقلب ملهوف وصار يقبلها وقد استقر منه الفواد فعند ذلك دمعت عين الجوفران واخذته الشفقة الاخوية وحقته الرعدة والرجفان

وطار قلبه على اخوته فقام بعاجل الحال اليهم بنفسه واخذ السيف من يد السياف فايقن الاسارى بالتلف لانهم لم يعرفوا ما وقع بين الملك وامه ثم تقدم الى اخيه الغضنفر وحل كتافه وفك قيده وفعل كذلك بعنيترة وامرها بالقيام فقاما على الاقدام وقبض على يد الغضنفر بيده اليمين وقبض على يد عنيترة باليسار واجلسها معه على السرير فنالهما الفرح والاستبشار ثم قدموا بقية الاسارى الى بين يديه وقد زال عنهم الفزع وقرت اعينهم بذلك ثم ان الجوفران قال لامه اشرحي حديثك لهولاء الفرسان كما حدثتني بهذا الشان واخبريهم ما اخبرتني به ليزدادوا معرفة بذلك فعند ذلك شرعت الملكة مريم تحدث دريد والجماعة الماسورين بلسان عربي فصيح واخبرتهم من اول الامر الى اخره وما كان من ذلك القول الصحيح والخذروف يحدثها بالتصريح وفي اخر الحديث قالت ان هذه الاميرة عنيترة واخاها الغضنفر اخوا والدي من ابيهم عنتر

قال الراوي واعجب ما في هذه السيرة ان الخرزات التي كنا قد ذكرناها قبلاً وهي التي كانت مريم قد اعطت منها واحدة لعنترة عند دخوله القصر من اجل الطعام السام لما جرى بينه و بينها ما تقدم من الكلام كانت ثلاثاً فاعطت عنترة واحدة واعطت الخذروف واحدة وحفظت الثالثة عندها اما عنترة فلما تزوج بالقناصة اعطاها تلك الخرزة واوصاها بحفظها واعلمها بمنافعها فلما ولدت بنتها عنيترة وظهر منها ما ظهر خافت عليها من مكائد العرب فاعطتها تلك الخرزة قال ونظرت الملكة الى عنيترة فرات الخرزة المذكورة في عنقها فصاحت صيحة مذعرة وقالت للجوفران قد ازددت والحمد لله برهاناً بما بان لي من الامر والشان فقال لها وما هو قالت ان الخرزة التي اعطيتك اياها وامرتك ان تجعلها في عنقك لتقيك من كل امر مكروه كنت اعطيت مثلها الى ابيك عنتر وما هي في عنق اختك عنيترة وقد بان الحق وظهر ثم انها قالت لعنيترة يا بنتي اريني هذه الخرزة التي في عنقك عسى ان يكون فيها اظهار الحق ببركتك فنزعتها عنيترة وناولتها للملكة مريم فاخذتها وسالت الخذروف عن الخرزة التي ذكرناها فحدثها بحديث زوجته امية الضمرية وانه اعطاها اياها ليلة دخوله عليها وما جرى لها وكيف كبست حلتها وما حل بها من السبي وما اصابها من الرزيئة وفي تلك الساعة ايقن الجوفران وتحقق انه ابن عنترة فقام على الاقدام وقبل وجه اخته عنيترة واخيه الغضنفر و بان له الامر وظهر ثم عانق دريدا وبني عمه وفعل كذلك ببني عبس السادات وفي دون ساعة دقت الكوسات ونعرت البوقات وعظمت المسرات فسمع بنو عبس اصوات الزمور والنقارات وصهيل الخيول الصافنات فركبت الرجال والفرسان وركب

عمرو ذو الكلب واخته الهيفا وركب زيد بن عروة والديال بن الغضبان وقالوا ما هذا الفرج في عساكر الافرنج فوالله قد قتلوا اصحابنا وسقوهم كاس الهوان

قال الراوي ونظرت الافرنج العرب قد ركبت وعلى القتال عولت فاخبروا الجوفران بذلك فامر ابن عمه الخذروف ان يسير الى بني عبس ويعلمهم بما جرى وان الجوفران قد ظهر ابن عنتر وهو اخو عنيترة والغضنفر فما كانت الا ساعة حتى صار الخذروف بين يدي عمرو ذي الكلب فوجده طائر القلب وهو على غاية الحذر فناداه يا امير ليهدأ روعك وليطمان قلبك واني اشكر الله الثنا على ما اولانا من الفضل والنعم فقال له عمرو اكشف لي الامر وصحة الخبر وازل من قلبي الفكر هل خلص من الاسر عنيترة والغضنفر فقال له نعم وقد ظهر ان الملك الجوفران هو ابن عمي عنتر واخذ الخذروف يشرح لعمرو القصة فزادت افراحه وعظم انشراحه واشتاق الى روية ام الزعازع واخويها الغضنفر والجوفران ومن معهم من الفرسان فسار وسار معه الملك زهير وزيد بن عروة وسبيع اليمن والديال بن الغضبان وسادات بني عبس وبني قضاعة وركبت الهيفا وقد اشتاقت الى روية ابنتها ام الزعازع وساروا الى ملتقى بعضهم البعض بالسرور والاقبال بعدما كانوا عازمين على الحرب والقتال ولم يزالوا سائرين والخذروف امامهم حتى وصلوا الى سرادق الجوفران وراى الغضنفر عمرًا ذا الكلب وزهير وسادات بني عبس وعدنان قد اقبلوا وعلى وجوههم علامات السرور فقال للجوفران يا اخي هذا الملك زهير سيد بني عبس وعدنان والذي في جانبه الامير عمر سيد بني قضاعة الى حد بلاد السودان فعندها قام لهم الملك الجوفران والتقاهم احسن ملتقى وزال عن الطائفتين البؤس والشقا والتقى عنيترة والغضنفر بعمرو ذي الكلب ومن معه من الفرسان واخته قناصة الرجال وظهر الخفا وبان الكتمان وزال الاشتباه واتضح البرهان وجلس الملك زهير الى جانب الجوفران بعد ما سلمت الفرسان على الفرسان ثم انهم اجتمعوا في السرادق وحققت لهم الحقائق وبلغوا من بعضهم البعض المراد وزالت من قلوب الطائفتين الاحقاد وارسل الغضنفر الخذروف يبشر الملك عمرًا واخته حليمة بما جرى فسار حتى وصل اليهما وحدثهما بجميع الامور فهنالك دقت الكوسات ونعرت البوقات وزادت الافراح وامر الملك عمرو بفتح الابواب وقد زالت عنهم المخاوف من سائر الجهات وركب الملك عمرو في خواص قومه وحجابه وسار الى خدمة الجوفران والغضنفر واختهما ام الزعازع عنيترة بنت عنتر والتقى الملوك ببعضهم البعض في اطراف الخيام واستقر بهم الحال وانقطع القيل والقال

قال الراوي وكان السبب في هذه الاحوال وخروج الجوفران واصل هذا القتال

منها عجيبًا وامرًا غريبًا وهو انهُ لما ولدت الملكة مريم الجوفران ونظر الملك كوبرت صورتهُ نفر قلبهُ من رؤيتهِ وقال لها يا مريم انا ابيض اشقر وانت كذلك فمن اين هذا السواد لهذا الولد وحق المسيح ان لم تصدقيني المقال قتلتك في الحال فقالت يا ملك ان هذا الولد من عنترة بن شداد وقد انعم الله بهِ علي وعليك في هذه البلاد فقال لها كوبرت لقد صدقت في قولك وانا اعلم انهم غصبوك على نفسك ولكن هذا الولد ان تركناه عندنا نصير معيرة بين الناس والملوك فقالت وكيف التدبير قال نقتلهُ ونريح قلوبنا من العار قالت ان كان لا بد من ذلك فامهل علي ريثما ارضعهُ وبعد ذلك اقتلهُ لان قلبي لا يبغضهُ فلعلي اسلوه هذا كلهُ يجري وصاحب الامر يدبر الامر وهو الذي يكفل الولد في بطن امهِ فاخذت الطفل الى حضنها ولقمتهُ ثديها فرضع وفتح عينيهِ فوقع الحنو في قلبها عليهِ وكثر عليهِ تاسفها وزاد لاجلهِ تلهفها وتناثرت دموعها على وجنتيها فنظرها كوبرت وكان يحبها فتقدم اليها ولاعبها وزاد في قربها وقال لها ما بالك يا ملكة وقاك الله كل بوءس وهلكة قالت ابكي على هذا الطفل الصغير الذي لا علم لهُ بالقتل والتدمير وهو على كل حال ولدي وقطعة من كبدي فانا يا ملك لا يهون علي قتلهُ لامرين الاول انهُ كما تعلم ولدي وقلبي قد تعلق بهِ والثاني ان عنترة متى رجع من جزيرة الواحات وعبر علينا لا يخفى هذا الامر عنهُ وربما يخبره بعض الجوار والخدام فان علم بقتل ولده يخرب هذه الارض والبلاد ويسبي النساء والاولاد وان كان لا بد لك من قتلهِ فاقتلني قبلهُ ولا تريني قتل مثله ثم انها اكثرت من البكا والانين والاشتكا وكان الملك كوبرت يحبها كما ذكرنا فرحمها لما راى دموعها تجري على خديها وخاف من عنترة لانهُ يعرفهُ بطلاً كرارًا فعدل عن قتل الولد واخذتهُ امهُ وسلمتهُ الى الدايات واقامت لهُ الجوار والمرضعات ولم يزل عندها الى ان مضى عنترة الى حيث سار وقضى الاشغال وعاد من الحرب والقتال وكانت غيبتهُ ثلث سنين وكان قد تركها حاملاً ولم يعلم شيئًا من تلك الامور ولم يدر ما في الكتاب مسطور ولما عاد كان الغلام عندها في خباها مذخور

قال الراوي ولم يزل الولد يكبر وينمو ويد القدرة تكتنفهُ حتى ركب الخيل وصارت حولهُ المماليك والابطال وكل منهم يتقرب اليهِ الى ان مات الملك كوبرت وشاعت اخبار موته في تلك الديار والجزائر القريبة فعصت عليهم جزيرة الواحات وتجهز ملكها شمروط في عسكر عظيم وسار طالبًا جزيرة الكافور وقلعة البلور فوصلت الاخبار الى الملك الجوفران فجمع العساكر وسار بها الى لقاء شمروط والتقت العساكر بعضها ببعض وحملت الطائفتان واوسعوا طولاً وعرض وتقاتلوا قتالاً شديد وملات القتلى تلك البيد ولم يزالوا كذلك

حتى فرق بينهم الليل وفي الصباح تبادروا الى الخيل وتقاتلوا اشد قتال ولم يزالوا كذلك
حتي انقضي النهار وانفصلت الطائفتان وتحارس الفريقان وفي الصباح تبادروا للكفاح
وجردوا البيض الصفاح وسطا الجوفران على اعداه و بلغ منهم مناه والتقى بالملك شمروط
في وسط المعمعة وهو ينكس الابطال ويطعن في صدور الرجال فحمل عليهِ حملة بطل
لايخشي الاهوال ولاصقهُ وصاح في وجههِ اعظم صياح وضربهُ بسيفهِ اطاح راسهُ وجرى
دمهُ وساح وحمل على صاحب العلم وضربهُ بالسيف على صدره خرج من قفا ظهره فوقع
على الارض ومال العلم فاخذه قبل ان يقع وهزم الامم وصار يطعن في صدور الفرسان ويذيقهم
الهوان وحملت من خلفهِ الشجعان وعاونوه على الحرب والطعان وكان لهم ساعة تشيب
لهولها الولدان فتفرقت عساكر شمروط وولوا الادبار وركنوا الى الفرار ومنهم من ترجل
الى الجوفران وطلب منهُ الامان وملك الجوفران اموال شمروط ودخلت تحت طاعتهِ جميع
رجاله وفرق الخلع على ابطاله وقسم عليهم تلك الاموال ووهبهم النوق والجمال واستمال
قلوبهم اليهِ ورحل طالبًا جزيرة الواحات وقد رفعت فوق راسهِ الاعلام والرايات ودقت
بين يديهِ الكوسات ولم يزالوا سائرين حتي دخلوا الجزيرة وكان لدخولهم يوم مشهود عقدت
فيهِ الرايات والبنود وترجلت بين يديهِ العساكر ولاقاه كبار الدولة ودخل القصر وجلس
على كرسي مملكتهِ ثم قام يدور في القصور وقد اخذه الفرح والسرور وخضعت لهُ البلاد
ودانت لهُ العباد فعند ذلك دعا والدتهُ الملكة مريم فاتت وفرحت بما وصلت اليهِ من النعم

قال الراوي وبينما الجوفران يتفرج في بعض الايام على قصر الملك اسكندر ويدور
في جوانبهِ وينظر ما فيهِ من العجائب ومعهُ حجابهُ وقومهُ ونوابهُ وكان قد اتخذ لهُ من جزيرة
الواحات وزيرًا عاقلاً وكان هذا رجلاً فاضلاً وكان يفرج الجوفران على ذلك القصر وما
فيهِ ويدور معهُ في جميع نواحيهِ جعل الجوفران يتامل في حسن مبانيهِ وكلما مرَّ بمكان يسال
الوزير عنهُ فيخبره وما زال ينتقل من مكان الى مكان حتى وصل الى قبة الاقفال التي تقدم
ذكرها حين حضر ابو عنترة الى ذلك المكان ولم يقدر على فتحها غيره لما وجد فيها الجواد
الذي هو ملك الجن وخلصهُ مما كان فيهِ من القيود والاغلال واعانهُ هذا على اخذ ثار
ولده الغضبان لما وقع لهُ مع الجن ما وقع من الحرب والقتال وقد تقدم الكلام عليهِ وليس
بالاعادة افادة فلما وصل الجوفران الى ذلك المكان امر بفتحهِ في عاجل الحال فالقوا ما عليهِ
من الاقفال وفتحوه ودخل الجوفران فنظر صورة راكبة على ظهر كبش اسود فاحتار من
امرها وسال الوزير عنها فاخبره بخبرها ثم وجدوا مخدعًا فيهِ صندوق كبير ففتحوا الصندوق

فوجدوا في داخلهِ ثوب حرير وفي ذلك الثوب لوح من ذهب وعليهِ نقوش وكتابة يكاد نورها يلتهب فقراها الوزير واذا فيها ان هذه المدينة تفتح على يد فارس يكون اشبه الناس بهذه الصورة وهذه احاديث عن الاقدمين منقولة ثم ان الوزير جعل يشرح للملك الجوفران ما تقدم ذكره من الكلام وما جرى لعنترة في هذا المكان وحدثهُ بحديث ابيهِ كوبرت وكيف ان عنترة قتل اعمامهُ الخلجان وسوبرت وتوبرت والملك الليلمان وقتل بعده ابنهُ سرجوان وكيف تزوج هرقل بعد ذلك بابنتهِ مريمان وكيف شدده الملك قيصر حتى فعل ذلك وقتل صافات ملك جزائر الواجات وسار بعد ذلك الى جزائر الاندلس وحدثهُ بما جرى من الاول الى الاخر وكشف لهُ الباطن والظاهر قال فتعجب الجوفران من ذلك وقال للوزير ايها الاب الكبير وعنترة اين يكون من البلدان حتى اسير اليهِ واقتلهُ واخذ منه بالثار واكشف بقتلهِ عن ملك النصرانية العار فقال لهُ الوزير ايها الملك هو في برّ اغبر وملك اقفر يقال لها برية الحجاز وهي كثيرة الخطر صعبة المسالك فقال لهُ ومن اين الطريق الى تلك الاكام قال من بلد يقال لها دمشق الشام فقال ودمشق لمن تكون من الحكام قال هي تحت حكم قيصر ملك الروم

قال الراوي فحلف الملك الجوفران وشدد الاقسام وقال اني لا اشرب مدامًا ولا انام حتى اخرب القسطنطينية واقتل قيصر واملك الشام وادخل بعساكري الى الحجاز واقتل عنترة بن شداد واخذ بثار عمي ومن قتل لهُ من الاولاد واكيد الاعداء والحساد ثم انهُ امر عساكره بالرحيل وسرعة التحويل فاخذوا اهبتهم ولم تمضِ مدة يسيرة حتى فرغ من جميع اشغالهِ وسار في عساكره وابطالهِ وسافرت والدتهُ معهُ من خوفها عليهِ لكنها ما قدرت تعلمهُ بشيء حتى جرى ما ذكرنا وعرف الجوفران اخويهِ عنيترة والغضنفر ولنعد الان الى سياق الحديث قال واجتمع الملوك في السرادق عند الملك الجوفران وخلع عليهم الخلع الغالية الاثمان وحملهم على الخيل البحرية التي لا يوجد مثلها عند كسرى ولا قيصر وحدثهُ اخوه الغضنفر بقتل ابيهِ عنتر وشرح لهُ ما كانوا عليهِ عازمين وعلى اخذ ثاره قادمين وكيف ان حليمة اتت اليهم واستجارت بهم وكيف اتوا معها لينصروها وجرى لهم ما جرى ثم اخبره ايضًا انهُ اخذ عظام ابيهِ عنترة وجعلها في نطع ادم وحلف انهُ لا يدفنهُ دون ان ياخذ بثاره من العرب الذين قتلوهُ وثار بني عبس من القبائل التي قامت عليهم بعد موت ابيهِ فعند ذلك امر الجوفران باحضار عظام ابيهِ عنترة وكانت من يوم اخرجوها من القبر لا تفارقهم لا في سفر ولا في حضر فاحضروها في عاجل الحال الى بين يديهِ في نطع ادم مخاط عليهِ فبكى الجوفران

وتباكت من حواليه الرجال وتصارخت الابطال تقرباً الى قلب اولاد عنترة وقام دريد بن الصمة وبكى اعظم بكاء وبكي بعده بقية الابطال فعندها قام الجوفران ومعهُ بنو عبس النعمان فتقدم دريد بن الصمة ليشاركهم بما هم فيه من الملمة فاقسم عليه الجوفران بان لايفعل لاهو ولا بنو عمه شيئاً وقال يا ابا النظر اهل الميت اولى بالبكاء ثم لبست سائر الملوك وامراء العربان وجميع الاقران والفرسان لبس السواد ولم يبقَ كبير ولا صغير الا وتظاهر بالحداد ونصب الجوفران لهُ بيتاً من الشعر حالك السواد وجعلت بنو عبس وبنو قضاعة مضاربهم كلها سوداء وكذلك فعلت الافرنج عساكر الجوفران وبعد ذلك اقاموا في دمشق عشرة ايام وعشر ليال ثم عزموا على الارتحال فاحضر الجوفران جميع عساكره وجهزهم وامرهم بالسفر الى بلادهم واماكنهم وقال لوالدته يا امي هل تختارين السفر معي او ترجعين الى مدينة الكافور فقالت يا ولدي مالي على فراقك مصطبر ثم انهم عزموا على المسير الى بلاد الحجاز وتجهزوا لاخذ الثار فعندها تقدم الغضنفر الى اخيه الجوفران وقدم لهُ مركوب ابيه عنترة وهو جواده كوكب وقدم لهُ الدرع الاجيجي والدرع المذهب وقال يا اخي هذا مركوب ابيك وسلاحه وهذا سيفهُ الضامي الابتر وانت احق بذلك مني لانك ولده الاكبر فقال الجوفران وحق من خلق الشمس والقمر لاركب جواداً ركبتهُ ولا البس سلاحاً لبستهُ وانت احق مني واولى لاني انا العبد وانت المولى

الكتاب الرابع والخمسون بعد المائة

من سيرة عنترة بن شداد العبسي

ثم تقدم ومسك بركاب اخيه الغضنفر وحلف عليه برب البيت والحجر ان يركب كمن لهُ امر فركب الغضنفر والجوفران وبقية العسكر وساروا طالبين ارض الحجاز يريدون اخذ الثار وكشف العار وعنيترة والغضنفر افرح الخلق باخيهما الجوفران ولم يزالوا سائرين ليلاً ونهاراً يقطعون القفار وقد اتفقوا ان يجعلوا اول غزوهم ديار بني نبهان حتى ياخذوا منهم بالثار ويقلعوا منهم الاثار فبينما هم سائرون التفت الملك زهير الى الجوفران والغضنفر وقال لهما الراي اننا نسير الى الديار ليستانس بنا السكان وتجتمع الينا الاهل والخلان وينظر ابن عمنا الجوفران الاهل والاوطان فاستصوب الجميع مقالهُ وجدوا في سيرهم حتى وصلوا الى الديار وقرَّ بهم القرار ونصب بنو عبس بيوت الشعر التي صنعها لهم الجوفران وانست الديار بالسكان وكان عدد بني عبس في سالف الزمان اربعة الاف عنان وكلما فقد واحد ينشأ

غيره من الشبان فلما انتهى بهم الامر الى ان اجتمعت عليهم العربان وفعلوا بهم ما تقدم ذكره وشتتوهم في الوديان وقتلوا حصن بن حذيفة وسنان لما اشار الملك قيس على بني عبس أن يعرقبوا الجمال ويذبحوا الاطفال ويخرجوا النصلان وخرج بنو عبس وخرجوا في الصحارى والوديان ولم يزالوا حتى اتى عليهم هذا الاوان وانت اليهم الملوك والفرسان فاجتمعوا من كل مكان واقاموا تحت ظل الاميرة عنيترة والغضنفر والجوفران وكان عددهم ثلثة الاف عنان وبنو قضاعة اربعة الاف من الشجعان واجتمع اليهم من اصدقائهم وحلفائهم اربعة الاف فصاروا في احد عشر الف فارس ضاقت بهم تلك الصحاري والوديان ونصبوا ابياتًا على العلم السعدي للغضنفر واخيه الجوفران واخذ بنو عبس بعمل الولائم وراق لهم الزمان وانضاف الى عنيترة الخذروف وجرير وزخمة الجواد وزيد بن عروة وسبيع اليمن بن مقري الوحش وياسر بن ميسرة وليث الميدان والديال بن الغضبان وكان لغصوب بن عنترة ولد في بني قضاعة يقال له اسد الفوارس وكان بطلاً مداعس فانضاف الى عنيترة مع جملة الفرسان وكان يعد من جملة الاقران وكان لكل واحد من هولاء خيل وجنائب واموال واصدقاء وحبائب وكان بنو زهير قد انقرضوا ولم يبقَ منهم الا زهير بن قيس وكانت عنيترة واخواها يعتبرونه ويعدونه من جملة الملوك الكبار مثلما كان عنترة يفعل مع ابيه قيس واما بنو زياد فانقرضوا عن اخرهم ولم يبقَ منهم ديار ولا نافخ في نار ولقد ذكر الناقل لهذه الاخبار انه لم يبق منهم الا الشمر بن زياد قال وصار اولاد عنترة الابطال حماة القبيلة مكان ابيهم اما الملك قيس بن زهير واخوته فقد ذكرنا انهم آووا الى تلك الصومعة وامنوا من سائر العربان واقاموا فيها ثلاثة اعوام الى ان بلغتهم اخبار بني عبس واعادة دولتهم مثلما كانوا من قديم الزمان وقد خافتهم جميع العربان وانه قد نشأ فيهم بنت اسمها عنيترة بنت عنترة بنت قناصة الرجال وانهم رجعوا الى ارض الشربة والعلم السعدي وان فضالة وزهير حاكمان على الف وخمسمائة من بني عبس وبني فزارة وعنيترة وخالها عمرو ذو الكلب حاكمان على خمسة الاف من بني قضاعة وهم في امان واطمئنان من نوائب الزمان وقد خافت بني عبس وعنيترة سائر العربان فلما تحقق قيس ذلك واخوته من السفار قال لاخوته ما عندكم من الراي فقالوا له انت احق منا بالراي السديد والامر الحميد فقال لهم الراي عندي اننا نسير ونطلب ارض الشربة والعلم السعدي ولعل الزمان انتبه من سكرته فقال له اخوته نعم ما قلت والصواب بما اشرت فعندها شدوا على خيولهم وركبوا وساروا طالبين ديارهم حتى قربوا من ديار بني قحطان واجتازوا ارض بني نبهان فرأتهم الرعيان فعرفوهم وكانت سائر العرب

تعرف بني عبس عبيدها وصناديدها لانها طائفة قليلة واعداها كثيرة لاسيما الملك قيس واخوته فقام عليهم الصياح وانتهم العبيد من سائر البطاح وكانوا اكثر من ثلاثمائة فقال قيس لاخوته موتوا كراماً ولا تعيشوا لئاماً فلا بد من ضرب الحسام فقال له اخوه نوفل نعم ما قلت يااخي وكان قيس واخوته من الفرسان المعروفين ثم انهم حملوا على عبيد بني نبهان ولم تكن غير ساعة حتى قتلوا منهم تسعين فارساً فعول العبيد على الهرب والنجاة من العطب واذا بغبار ثار من ناحية بني نبهان وظهرت من تحته الفرسان وكانوا اكثر من خمسة الاف عنان قاصدين الملك قيساً واخوته لان العبيد اخبروا السادات فركبوا في الحال وطلبوهم ولما راى قيس القوم قال لاخوته اطلبوا الهرب والنجاة من العطب فلووا رؤوس خيلهم وطلبوا الفرار فاخذت عليهم فرسان بني نبهان سائر الطرقات وطلبوهم من كل الجهات فلحقوا منهم نهشل وكتير فقتلوهما اما قيس فكان راكباً جواده داحس وقد ذكرنا حديث هذا الجواد وما كان عليه من الخفة والرشاقة فطار بقيس في الفلاة فطلبته الخيل يميناً وشمال فما لحقته ولم يزل سائراً حتى وصل الى نهر الفرات فرمى جواده فيه فغرق الاثنان .

قال الراوي هذا ما كان من هولاء واما ما كان من بني نبهان فانهم لما راوا قيساً قد رمى روحه في النهر وغرق هو وداحس قال بعضهم يالك من فارس كرار اخترت العدم على العار ثم انهم رجعوا عنه نادمين وبكى بعضهم عليه ولاموا انفسهم لما انهم اساءوا اليه واما ورقاء فلما اشتغل بنو نبهان بقيس وبمن قتل من اخوته نجا بنفسه وما زال سائراً الى الليل وكان جواده قد تعب وقل منه الحيل ولكن الله سبحانه وتعالى شدد قواه وظل سائراً الى الصباح وكان قد قارب ارض بني عامر فحاد عن الطريق وسار طالباً ارض الشربة والعلم السعدي وهو مشتاق الى الاهل والاحباب وقد نكبة الدهر في اخوته نكبة اية نكبة ولما اقبل الى الديار هطلت دموعة كالامطار وما زال يشق في جواده الخيام حتى تبادرت اليه العبيد والخدام وعرفوه فاقبلوا عليه وقبلوا يديه وكثر الصراخ والزعاق وانهلت الدموع من الاماق وتبادرت اليه الرجال واقبلت عليه الابطال ووصل الخبر الى زهير وفضالة ابني قيس فخرجا ماشيين على الاقدام وكاد يغشى عليهما من شدة الفرح فلما رآهما ورقا اعتنقهما وضمهما الى صدره واخذ يقبلهما ثم اقبلت عنيترة ومعها اخاها عمرو وذو الكلاب وجرير والخذروف فسلمت على ورقا وتبادر اليه جرير والخذروف وتذكروا زماناً مضى وبكوا على ما جرى لهم من احكام القضا ثم انهم ساروا جميعاً الى مضارب فضالة وجلسوا للحديث فاخبرهم ورقا بما جرى له ولاخوته من بني نبهان وكيف قتلوا اخويه نهشل وكتير وكيف غرق قيس وجواده

قال الراوي فلما سمع فضالة كلام عبده ورقا بكى بكاء شديد ما عليه من مزيد فقالت له
عنيترة ما بالك ايها الملك تبكي لا ابكى الله لك عيناً ولا شمت بك انسان فكيف تبكي
ونحن حواليك وجميعنا بين يديك وكل واحد منا يقاوم جميع العربان فدع عنك البكاء
وسر بنا الى بني نبهان لناخذ منهم بثار ابيك وثار ابي سيد الفرسان ونقلع اثارهم ونخرب ديارهم
ثم التفتت الى خالها عمرو ذي الكلب وقالت له ياخال خذ اهبتك للقتال والطعن والنزال
واوص رجالك وهيئ ابطالك ثم انها صرخت في بني عبس بالركوب فركبت بنو عبس
في الحال وركب الجوفران والغضنفر وصرخت على فضالة فقام وامر الجوفران والغضنفر
جريرًا والخذروف ان ياتيا بثوب من الديباج الاحمر وبالنطع الذي فيه عظام عنتر فاتيا
بذلك ولفوا العظام في ذلك النطع والثوب الاحمر وهيأوا هودجًا عاليًا مبهجًا واحضروا جملاً
بازلاً وحملوه عليه وكان مكللاً بالدر والجوهر ووضعوا عليه ثيابًا موشاة بالذهب الاحمر
وزينوا ذلك الجمل باحسن زينة حتى صار يساوي ملك الاكاسرة ونادوا بالرحيل ونشرت
راية العقاب واجتمعت حولها الشيوخ والشباب واتى عينة بن حصن ومعه جميع بني فزارة
وبني غطفان واتى جميع الاحباب والتاموا في ذلك المكان حتى صاروا خمسة عشر الف
عنان فركبت عنيترة والجوفران والغضنفر وجميع بني عبس ومن حضر وما فيهم الا من بكى
على عنتر وساروا بالعدد والحديد والزرد النضيد حتى وصلوا الى بني نبهان وفي الحال
اخذوا النوق والجمال واوقعوا الضرب في العبيد فعلمت بنو نبهان وتجاروا كانهم العقبان
فالتقاهم بنو عبس وفتكوا بهم بالسيف والسنان وزعقوا بهم وقالوا ويلكم يااوغاد انهم ناخذ
منكم بثار عنترة بن شداد وثار قيس بن زهير معدن الجود والخير وننزل بكم الهم والضير
وهذا الامير عنترة في الهودج يسمع ويرى ويشاهد جميع ما يجري فلما سمعت بنو نبهان
ذلك الحديث وان عنترة جالس في الهودج ولوا الادبار وركنوا الى الفرار فتبعتهم بنو عبس
والجوفران والغضنفر وعنيترة وجميع ذلك العسكر الى اخر النهار وبعد ذلك رجعوا عنهم
وقد لموا الاسلاب والمضارب والقباب وتركوا تلك الارض خراب يزعق فيها البوم
والغراب وما سلم من بني نبهان الا من كان جواده سابقًا وزمحه خارقًا وبعد ذلك ساروا
الى بني الضباب وافنوا منهم الشيوخ والشباب وجمعوا الاسلاب والقباب والمال والنوال
ثم ساروا الى بني ضبية وفجأ وهم تحت ظلام الليل وانزلوا بهم الذل والويل واخذوا بثار
الامير شيبوب وانزلوا بهم الهموم والكروب وبعد ذلك سار قوم منهم الى بني مذحج وبعض
الى بني رياح واخرون الى قبيلة بني الصباح وملاوا من قتلاهم الروابي والبطاح واخذوا

المال والعيال وساروا طالبين بني نخيف وبني نمير وبني جبير وبني عامل ونزلوا عليهم كانهم الغيث الهاطل ونفذ فيهم حكم الملك القادر ولم تزل بنو عبس تنتك بالقبائل حتى لم تترك منها الا فرساناً قلائل ثم رجعوا طالبين الديار وقد اخذوا لعنيترة ولبني عبس بالثار وكشفوا عنهم العار وجمعوا المال والنوق والجمال حتى ملاوا بكثرتهم تلك الروابي والتلال ثم ساروا حتى اشرفوا على ارض الشربة والعلم السعدي فخرج المقيمون الى لقاء القادمين وهناوهم بالسلامة ونزلوا وهم فرحون وبعد ذلك قسمت عنيترة على الفرسان المال والنوق والجمال وبعد ذلك نحروا النوق وروجوا الطعام واكلوا وشربوا ولذوا وطربوا واقاموا على تلك الحال مدة ثلاثة ايام وثلاث ليال وبعدها اراد الغضنفر ان يحفر قبر ابيه وينزله فما تركته عنيترة وقالت لا ادفن ابي حتى اكتب الى جميع قبائل العرب وابصر ماذا يردون علينا الجواب فلما سمع اخوتها وبنو عبس ذلك الخطاب راوه عين الصواب وقالوا لها ايتها الاميرة افعلي ما بدالك فلا احد يخيب سوالك فشكرتهم عنيترة على مقالهم ثم انها امرت في الحال ان ينتخبوا لها العبيد الاجواد العارفين بالارض والبلاد

قال الراوي فلم تكن الا ساعة من النهار حتى انت العبيد فامرت عنيترة زيد بن عروة ان يكتب الكتب الى ملوك العربان الذين اشتركوا في دماء بني عبس وعدنان فقال زيد يا اميرة ماذا اكتب من الحديث والبيان فقالت اكتب نعلم ملوك الزمان والعربان الشجعان ان عنيترة والملك الجوفران والغضنفر اولاد الامير عنتر والملك فضالة بن قيس امروا بان تاتي المقدمون منكم بالنوق والجمال لاجل نحرها على قبر عنترة الاسد الرئبال وتجلسوا في العزاء مع اولاده من غير تعويق وكل من سمع واعتذر عن المجيء فلا يلومه الا نفسه ويجازي بالقدوم عليه ووصول الاذية اليه وبعد ان كتبت الكتب سارت بها العبيد وشرعت في قطع القفار والبيد

قال الراوي وكانت كل قبيلة يصل اليها الكتاب تجيب بالسمع والطاعة وبالحال يرحل الامير منهم في خواص عشيرته ومقدمي قبيلته وياتي بالنوق والجمال والاغنام والهدايا الى بني عبس امراء القبائل مستصحبين الفارس والراجل منهم من اتى خوفاً من اولاد عنتر ومنهم محبةً في ابيهم الاسد القسور وكان اول من قدم على بني عبس من اصحاب الشجاعة والهمة الشيخ دريد بن الصمة ولما ثار غباره ركبت بنو عبس وتلقوه ثم اتى بعده ذو الخمار ومعه طائفة من بني جمير فركبت بنو عبس الى لقائه وذبحوا لهم النوق والاغنام وروجوا لهم الطعام فشكرهم دريد على هذه الفعال واخبروه كيف اخذوا الثار وكشفوا عنهم العار فهناهم بالسلامة وما

تالوه من علو القدر والشان والكرامة و بعد ذلك سلم على الجوفران و بكى فبكى الحاضرون ولما اصبح الصباح ركبت بنو عبس الاجواد الجرد القداح واعتقلوا بالرماح وداروا حول البيوت واذا بغبار قد طلع من كل جانب ثم انكشف للنظار عن الامير عامر بن الطفيل ومعه من تبقى من بني عامر وهم على الخيول الضوامر واتت ايضاً بنو زبيد يقدمهم عمرو بن معدي كرب و بعده اقبلت بنو شيبان يقدمهم الامير هاني بن مسعود رضي الله عنه ثم اقبلت قبيلة بني يربوع وحاميها عتبة بن شهاب في نفر من قومه واقبل بعده زيد الخيل في خمسة انفار من بني نبهان لان بني عبس كانوا قد افنوهم ثم اقبلت بنو مشاجع و بنو مذحج و بنو عامل و بنو غر واتت بعده بنو حسي و بنو ضهية و بنو صباح وقبيلة بني وشاح وقبيلة بني سعد يقدمها حصن المازني ثم اقبلت بنو كندة اصحاب الشجاعة والشدة يقدمها حجار بن عامر ثم اتي بنو ضمرة و بنو مرة واخذت القبائل تتلاحق ببعضها البعض حتى ملأت الارض

قال الاصمعي وكان كلما وصلت قبيلة ياخذ بنو عبس سلاحها خارج المضارب والخيام وتدخل من غير سلاح وهذا كله تدبير الخذروف الذي هو بالمكر والحيل معروف لانه كان قد خشي على بني عبس من كثرة العرب التي تاتيهم فدبر هذا التدبير وقد شاور عنيترة والجوفران والغضنفر وفضالة بهذا الخطاب فراوه صواباً ثم ان بني عبس اقاموا الفي فارس بالسلاح يدورون حولهم في المساء والصباح حتى يحفظوهم من العرب القادمة لانهم كانوا مشتغلين بالعزاء وكان من يعتمد عليهم من فرسانهم متقلدين بالسلاح وفي ايديهم الحراب حذراً ممن قدم عليهم من الاعراب لان ما منهم قبيلة الا وافنت بنو عبس اكثر من نصفها ولم يزل ورود العرب الى بني عبس متواصلاً مدة عشرين يوماً ولما كان اليوم الحادي والعشرين انقطع المدد ولم يبق من المدعوين احد فعند ذلك شرعوا في حفر قبر عنترة ودفنوه قدام تلك الخلائق ووضعوا عليه التراب و بكت عليه الشيوخ والشباب ثم امر الملك فضالة ان ياتوه بسبعمائة ناقة فاجابوه بالسمع والطاعة فذبحها على قبر عنترة و بكى بكاء شديداً ثم تقدم بعده عيينة امير بني فزارة ونحر ثلثمائة ناقة و بكى ساعة ثم تقدم بعده الديال بن الغضبان وذبح اربعمائة ناقة ثم تقدم ياسر بن ميسرة ونحر ستمائة ناقة و بعده اتى اسد الفوارس ابن غصوب ونحر خمسمائة ناقة و بكى على جده عنتر وتاخر ثم تقدم ابن مازن اخي عنترة وذبح على قبر عمه ثلثمائة ناقة و بكى ثم تقدم من بعدهم صاحب الشجاعة والهمة الشيخ دريد بن الصمة فمزق اطماره ولباسه ووضع التراب على راسه و بكى بكاء شديداً و بعد ذلك نحر على القبر اربعمائة ناقة وارسل من عينيه العبرات ورثاه ببعض الابيات ثم قام بعده سبيع بن الحارث الملقب

بذي الخمار وقصف رمحه الخطار وانطلق في قلبه لهيب النار واتى الى قبر عنترة ورثاه ونحر عليه اربعمائة ناقة ثم نهض بعده عامر بن الطفيل وقد قل منه القوى والحيل واجرى دموعه على خده مثل السيل ومزق اثوابه وعلا بكاؤه وانتحابه ورثى عنترة ونحر على قبره ثلثمائة ناقة

قال الراوي وما استتم عامر رثاه وبكاه الا والقلوب تشققت والدموع انحدرت والابطال صاحت واذا برجل متسربل بثياب سود صرخ صوتاً جرح الكبود فتبينته العساكر والجنود واذا به الامير هاني بن مسعود وبين يديه مال ممدود وقد طلب به قبر الفارس المفقود وشمر عن ساعديه والزنود ووضع المال على القبر ونحر عليه ستمائة ناقة ومزق جميع لباسه ووضع التراب على راسه ورثى عنترة وبكاه وقد قل حيلة وقواه

قال الاصمعي فلما فرغ هاني من رثائه وبكائه قام من بعده صاحب التواريخ والعجب مفرج الهموم والكرب الامير عمرو بن معدى كرب وقد عظمت احزانه والتهبت نيرانه واكثر بكاه وزاد عويله وشكواه واتى قبر الامير عنترة ودموعه على خدوده منحدرة ونحر على القبر خمسمائة ناقة ومزق اطماره وكسر قناته وقص ذيل جواده وكثر انتحابه وتعداده وارسل هامل العبرات ورثاه وابدى الحسرات

قال الناقل ولولا خوف اطالة الكلام لاوردنا جميع ما انشدته العربان والفرسان ورثت به عنترة شجاع الزمان وكان منهم من رثاه حزناً عليه ومنهم من رثاه خوفاً ورهبة ثم انهم بعد ذلك جلسوا على بساط العزاء والاحزان والعرب تاتي اليهم من كل مكان وعنيترة والجوفران والغضنفر لا ياخذهم ملل ولا ضجر والقوم مقيمون عندهم في غاية الاكرام الى ان كان بعض الايام واذا بغبار قد ثار فارسلوا اليه الابصار فرأوا فرساناً على خيول اخف من الغزلان ولم يزالوا سائرين حتى وصلوا الى المضارب والخيام فنزلوا عن خيولهم واتوا امام عنيترة والجوفران والغضنفر وسلموا سلام العرب بحشمة وادب وقالوا للغضنفر يافارس الزمان قد قدم اليكم الملك هرقل بن قيصر ليحضر عزا ابيكم سيد الفرسان

قال وكان السبب في مجيئه الى تلك البلدان ان عمرو بن الحارث الغساني صاحب ارض الشام كان في كل وقت يسال عن بني عبس ويأخذ اخبارهم ويكشف اثارهم فلما سمع انهم غزوا العرب وقهروا الفرسان من ذوي الرتب واطاعهم القريب والبعيد اعلم الملك قيصر بما سمع من الخبر فارسل اليهم ولده هرقل ليعزيهم بابيهم ويهنئهم بما وصل اليهم وامره بعد العزاء ان يخلع عليهم على قدر مقاماتهم فاجاب بالسمع والطاعة وخرج من تلك الساعة بالاموال والانعام والخلع والرجال والفرسان والجوار الروميات والخيول المسومات فلما وصل الى الشام اقام

فيها اياماً الى ان استراح ثم رحل ومعهُ عمرو بن الحارث الغساني وتبطنوا تلك البراري والبطاح حتى قربوا من تلك الديار فارسل هذه الفوارس يخبرون بني عبس بقدومهم فركب الى لقاء هرقل دريد وذو الخمار وهاني بن مسعود وعمرو بن معدي وعتبة بن شهاب وزيد الخيل وابوهُ وركبت العربان وحماة القبائل والفرسان واما الغضنفر والجوفران وعنيترة وليث الميدان و ياسر بن ميسرة وعمرو ذو الكلب وجرير والخذروف فبقوا مقيمين على بساط العزاء والتقت الفرسان بالملك هرقل والملك عمرو بن الحارث في ابعد مكان ودعوا لهما بالبقاء وعلو الشان ولما وصلوا الى العلم السعدي نزل الملك هرقل وجميع العسكر بالقرب من قبر عنتر ومشي هرقل حتى صار بازائهِ واتكا على سيفهِ و بكى وامر بذبح الف ناقة فنحروهـا وساروا حتى وصلوا الى القوم وجلسوا على بساط العزا فنهضوا جميعهم وشكروا هرقل وعمراً واقاموا ذلك اليوم يتحادثون في ماجرى من الامر والشان وما فعلوه مع العربان في اخذ ثارهم وكشف عارهم وعند الصباح اقبلت عليهم العبيد والرعيان من ابعد مكان يخبرونهم انهُ قد ظهر من المشرق غبار سد الاقطار فارادوا ان يرسلوا من يكشف الخبر واذا بمائة فارس مقبلة اليهم على عجل ولما قربوا منهم عرفوهم وكانوا من بني لخم وجذام وبني شيبان وقدامهم الملك المنذر بن النعمان فخرجت اليهِ الملوك والامراء والفرسان وترجلوا قدام الملك المنذر ولاقوهُ الى ابعد مكان فقال لهم اركبوا وسيروا ولاقوا بن كسرى

قال الاصمعي . وكان السبب في حضور هذين الملكين حديثاً عجيباً وحالاً غريباً وهو انهُ وصل الى الملك كسرى اخبار خارجي قد خرج وملك بعض البلاد الخراسانية وكان اسم ذلك الخارجي بوريق بن برشان فاحضر كسرى الوزراء والحجاب واستشارهم فيما يفعل فقال لهُ وزيره الموبذان ياملك الزمان ان الاكاسرة من قديم الزمان كانوا اذا عصت العرب يردونها الى الطاعة بالعجم واذا عصت العجم يردونها بالعرب فمن الراي ان ترسل الى نائبك على العربان المنذر بن النعمان وتامره ان يطلب الفرسان من سائر البلاد ولاسيما قد سمعنا ان عنترة بن شداد قد ظهر لهُ ثلاثة اولاد كانهم الاساد وفيهم جارية تسمى عنيترة فاقت الاقران وقهرت الشجعان وفارس يسمى الغضنفر والثاني الجوفران وقد تيسر الامر وهان فعند ذلك امر الملك كسرى ان يكتب الى نائبهِ المنذر كتاباً يسير به الى اولاد عنترة وكل من في ارض الحجاز فلما وصل الكتاب الى المنذر رد الجواب باحسن ايراد وقال لهُ ان فرسان الحجاز جميعها عند اولاد عنترة بن شداد وقد تجمعت الى عزاء عنترة ولهم مدة سبعين يوماً في تلك البلاد فلما وصل الجواب الى كسرى بما كان وما

ثمّ قال وحق النار والنور من الواجب علينا ان نعزيهم ونقيم بواجب خدامنا واصحابنا لان عنترة لهُ عندنا خدمات كثيرة فقال لهُ الوزراء هذا راي صائب فعند ذلك امر بتجهيز العساكر والكتائب والخيول والتشاريف والجنائب بمراكب الذهب الاحمر وعشرين خلعة مزركشة باصناف المعادن لاجل اولاد عنتر وخلع كثيرة لغيرهم من الفرسان ثم امر ولدهُ شهريار ان يسير الى الحيرة وياخذ معهُ المنذر بن النعمان ويسير واياه الى بني عبس ويهنئ اولاد عنترة باخذ ثارهم ويخلع عليهم الخلع فاجابهُ بالسمع والطاعة ثم تجهز وركب في تلك الساعة وقد رفعت على راسهِ الاعلام والرايات ودقت الكوسات

قال الراوي ولم يزالوا سائرين حتى وصلوا الى الحيرة فخرج اليهِ المنذر والتقاه واكابر دواتهِ حواليهِ ورحب بهِ وحياه ونزل عنده في قصر المملكة ثلاثة ايام والمنذر يزيد لهُ بالاكرام والانعام وبعد ذلك رحل من الحيرة الى ارض الحجاز ومنازل بني عبس وتلك الديار وقد سبق المنذر يبشرهم كما ذكرنا فنهضت الملوك والامرا وسار الجميع الى لقاء ابن كسرى واقبلت العساكر والعشائر من العرب والعجم وكل فارس مقدم ودقت الكوسات والطبول وانزعجت الارض عرضًا وطولًا وتلاقى الملكان وترجل هرقل لابن الملك

الكتاب الخامس والخمسون بعد المائة

من سيرة عنترة بن شداد العبسي

كسرى واراد ابن كسرى ان يترجل فاقسم عليهِ هرقل ان لا يفعل وسعى اليهِ وقبل يديهِ فانحنى ابن كسرى وقبلهُ بين عينيهِ واشار بالركوب اليهِ فركب وركبت الملوك والفرسان وساروا جميعًا الى ان قربوا من قبر عنترة فترجل ابن الملك كسرى وسعى الى القبر وامر وزيره بزرجمهر ان يذبح عليهِ الف ناقة وجمل ثم اقبل على بني عبس وعزاهم فقام الملك زهير وقبل الارض بين يديهِ وشكرهُ واثنى عليهِ وفعلت كذلك اولاد عنتر وكل من حضر ونصبوا لهُ كرسيًا من الابنوس والعاج مصفحًا بالذهب الوهاج فجلس ابن الملك كسرى عليهِ ووقف المنذر وهرقل بين يديهِ ينتظران ما يشير اليهِ ووقفت بقية الفرسان حواليهِ ولم يزالوا على مثل ذلك الكلام مدة سبعة ايام وبعد ذلك امر ابن الملك كسرى باحضار الخلع فاحضروها بين يديهِ فقام على قدميهِ وخلع على الملك زهير خلعة سنية وخلع على الغضنفر خلعة خضراء مطرزة بالذهب وعممهُ بعمامة مزركشة واهداه جوادًا من افخر خيول العرب وخلع على عنيترة خلعة عظيمة ذات قدر وقيمة ووضع على راسها تاجًا مرصعًا بالجوهر

واركبها جوادًا اشقر وخلع على الجوفران خلعة ما حوت مثلها ملوك الزمان وخلع على بقية الفرسان ولم يبق احد الا واعطاه من نعمهِ وافاض عليهِ من كرمهِ ثم خلع على هرقل بن قيصر خلعة عليها النفوس تتحسر وعفاه من حمل الخراج في تلك السنة وخلع على عمرو بن الحارث والمنذر بن النعمان خلعًا غالية الاثمان ولما اراد الرحيل وهب سرادقة الى الجوفران وخلع عنهم اثواب السواد ولبسوا آلة الحرب والجلاد وداموا على تلك الحال عشرة ايام وبعد ذلك قام الملك المنذر على قدميهِ واومأ الى الحاضرين بين يديهِ وقال لهم اعلموا يا سادة العرب وذوي الرتب ومن حضر في هذا المكان من الملوك والفرسان ان الملك العادل كسرى انوشروان قد ظهر لهُ عدو في ارض خوارزم وخراسان ويطلب منكم النجدة عليهِ والمسير صحبة ولده اليهِ حتى تقلعوا منهُ الاثار وتخربوا منازلهُ والديار فماذا تقولون وبم تجيبون . قال الراوي فما استتم المنذر كلامهُ حتى صارت عنيترة واخوها وابن الملك قيصر قدامهُ وقالوا لهُ ايها الملك الاوحد نحن احق بهذه الخدمة من كل احد ولا نكلف بها احد بل كلنا نسير الى العدو ونقلع اثاره ونخرب دياره ثم نهض الملك زهير واقفًا على الاقدام ووقفت سائر الاقوام وقالوا جميعنا نمضي بهذا الشان ونسير في خدمة ملك الزمان فعند ذلك تقدم الملك المنذر اليهِ وقال لهُ يا ملك ما بقي لنا الا المسير فاخذت الفرسان اهبتها للحرب والجلاد وساروا جيشًا واحدًا وفي اوائلهم اولاد عنترة بن شداد وجماعة من بني قضاعة وبني غطفان وكامل الجيش خمسة الاف فارس كلهم ابطال قناعس وتركوا الباقين في الاطلال لحفظ المال والعيال ورحل ابن كسرى طالبًا دياره والمنذر بن النعمان قدامهُ وهم في عشرين الف فارس ولم يزالوا يقطعون البراري والقيعان حتى وصلوا الى منازل كسرى انوشروان فامران يخرجوا لهم الضيافات والعلوفات وباتوا تلك الليلة وفي الغد ساروا وجرير والخذروف قدام اولاد عنترة الى ان وصلوا الى الايوان فترجلوا ومشوا وكان قدامهم المنذر وقد راوا ما ادهشهم واذهلهم لانهم نظروا حجابًا وامراء ونوابًا ووزراء وسادات وكبراء جالسين على كراسي الذهب والفضة ولما وصلوا قدام كسرى قبلوا الارض امامهُ ودعوا لهُ بالعز والنعم ففرح كسرى بهم وقام اليهم وتحقق اولاد عنترة فراهم يشبهون اباهم فبكى على ايامه وتحسر واجلسهم الى جانبهِ وبعد ساعة حضر السماط وفيهِ انواع الطعام من قطا وسماني وافراخ الحمام ولما اكتفوا من الطعام قدموا انية المدام وسقوا الكبار والصغار ولم يزالوا على تلك الحال مدة سبعة ايام وكسرى يزيد لهم بالاكرام والانعام وبعد ذلك امر الوزير ان يجهز معهم عشرين الف فارس من فرسان العجم وابطال الديلم وفي اليوم الثامن سارت

العساكر طالبة بلاد خوارزم فلما وصلوا اليها وجدوا الخارجي قد ملك اكثر البلاد ومعهُ عساكر بعدد الجراد

قال الراوي . ونزلوا في تلك الارض ملأً وهاطولاً وعرض فنظرتهم عساكر الخارجي ولم يعلموا من اين اقبلوا لان عساكر كسرى لما خرجت من المدائن سارت على عجل حتى وصلت الى تلك الساحة فما درى بهم احد حتى ضربوا الخيام ونزلوا في ذاك المقام ولما راهم الخارجي تحير في امرهم وقال في نفسهِ ندعهم هذه الليلة وعند الصباح نرسل اليهم رسولاً وننظر ماذا يجيبون فان طلبوا القتال قاتلناهم وافنيناهم والا عفونا عنهم واطلقناهم ولما اظلم الظلام اقبلت عنيترة والجوفران والغضنفر الى الملك زهير وقالوا لهُ قد اقبلنا اليوم على هذا العسكر فظنونا تعبنا من السفر واقمنا في هذه الساحة لاخذ الراحة فمن الراي ان نصبر عليهم حتى يستغرقوا في المنام فنحمل عليهم ونكبسهم في الظلام وندوسهم بالخيل وهم في الخيام ونفنيهم عن اخرهم من غير مطال وتكون وقعة الانفصال فاستجاد زهير رايهم وقال لهم افعلوا ما بدا لكم فانا وجميع بني عبس تابعون لكم فعند ذلك امروا العبيد ان ينادوا في العسكر بان يتاهبوا للقتال والحرب والنزال قال فلم يمض من الليل ثلثهُ حتى صاروا على ظهور الخيل وتدرعوا بالزرد واكثروا العدد . اما عساكر كسرى فقد تعجبت مما جرى وقالوا ما هولاء العربان الا فرسان الزمان ولو لم يكن اولاد عنترة كذلك لما هابتهم اهل الممالك ثم ركبت عنيترة وركب الغضنفر والجوفران وليث الميدان والديال بن الغضبان واسد الفوارس ومجيد بن مالك وزيد بن عروة وسابق ولاحق وعمرو ذو الكلب وهاني بن مسعود وجبار بن عامر وخفاف بن ندبة ودثار بن روق والعباس بن مرداس وذو الخمار وعمرو بن كرب والملك زهير و بنو عبس وعدنان وجميع الفرسان واجتمعوا في موكب واحد وساروا وقد سترهم الظلام حتى وصلوا الى خيام الاعداء وهم غارقون في المنام وصاحوا فيهم وهجموا عليهم واطلقوا فيهم السيف فانتبهوا من منامهم مرعوبين فعندها عملت القواضب وانقضت العرب عليهم مثل السلاهب وعظمت الاهوال وجرى الدم وسال وانزلت العرب والعجم بعساكر الخارجي النقم وكان السعيد من ركب جواده وانهزم وقصد اولاد عنترة السرادق فلم يدر الخارجي بوزيق الا وثلاث فوارس مثل الاسود هاجمون عليهِ ووضعوا السيف في من حواليهِ ولم تكن الا ساعة حتى انزلوا بهم الذل والويل وهجمت عنيترة على بوريق وضربتهُ على كتفهِ فجرحتهُ وهمت ان تترجل اليهِ واذا بجرير والخذروف اخذاه اسيرًا وقاداه ذليلاً حقيرًا و بعد ذلك لعب السيف في عسكره فتمزقت كتائبهُ وتبددت مواكبهُ

ودام القتال الى ان اقبل الليل على الارتحال وما سلم الامن هرب وتاه في البر والسبسب ولما اصبح الصباح نظرت عساكر كسرى فرأت القتلى قد ملأت الصحراء فعند ذلك نهبوا السرادقات والخيام والخيل والسلاح ولم يتركوا شيئاً في ذلك المكان وقدا وثقوا الجمال والبغال وساروا الى مضاربهم وبقي الخارجي في اسوأ حال وقد ايقن بالهلاك والوبال ولما استقر بهم المقام امر الغضنفر ان ياتوه بالخارجي وكانوا قد كتفوه وشدوا يديه ورجليه حتى كاد ان يغشى عليه ولما حضر بين ايديهم ونظر الغضنفر اليه امر ان يشدوا جراحه و يوثقوه شديداً حتى يحضروه قدام كسرى ليفعل به ما يشاء و يريد ففعلوا ذلك واقاموا في تلك الاكام ثلثة ايام وفي اليوم الرابع حملوا الاثقال على الخيل والجمال وركبت العساكر وساروا الحان وصلوا المدائن فبلغ كسرى قدومهم فارسل العساكر لملاقاتهم فلاقوهم وسلموا على بعضهم البعض وهنأوهم بالسلامة ونزلت العساكر في تلك الارض وفي الغد دخلوا على كسرى و بوربق معهم فراوه لا يعي من الفرح فسلموا عليه وقبلوا الارض بين يديه فقام لهم وترحب بهم واكرمهم غاية الاكرام واجلسهم في احسن مقام ثم قدموا الخارجي بين يديه وهو من ألم الجراح مغشى عليه فلما راه كسرى على ذلك الحال قال له ويلك يا ابن الانذال ما الذي حملك على هذه الفعال فقال له بوربق حملني على ذلك ارتفاع المنازل وان اكون موضعك في هذا الايوان نازل فلا تظن انك اخذتني بحذاقتك وقوتك وشجاعتك بل ارسلت لي عسكراً دهمني في الظلام وفعلوا بي فعل اللئام وهجمت عليّ هذه العاهرة فجرحتني في كتفي والا فما كنت قادراً ان تمسكني قال فاغتاظت عنيترة من كلامه وطوت يدها الشمال وضربته في صدره اطلعتها من ظهره فلما نظر كسرى تلك الضربة انذهل هو وكل من حواليه من ذلك العمل وقال لها لا شلت يداكِ ولا شمتت بكِ اعداكِ يا قاهرة الفرسان وحامية الميدان فقالت عنيترة يا ملك الزمان وحق الواحد المنان ما كان مرادي افعل ذلك وكان في نيتي ان اشفع فيه كي تحسن اليه وترده الى مكانه على انه لما تكلم بهذا الكلام استوجب شرب كاس الحمام فقال لها كسرى والله ما فعلت الا الصواب والامر الذي لا يعاب وامر ان نعلق جثته على الايوان حتى يكون عبرة لخوارج العجم فعلقوه حسبما امر و بات فرجة للناس و بعد ذلك خلع كسرى على اولاد عنترة الخلع الغالية الثمن وخلع على المنذر ملك العربان الخلع الحسان ثم ركبوا خيولهم وعادوا الى خيامهم فرحين مستبشرين وحدثوا ملكهم زهير بما جرى لهم قدام كسرى من قتل الخارجي بوربق وكيف امر بصلبه وتفرج عليه كل عابر طريق وكيف فرح كسرى بهم ولم يزالوا يتحدثون الى ان اظلم الظلام فتفرقوا الى المنام وعند الصباح

قام الملك المنذر والملك زهير واولاد عنترة وركبوا خيولهم وساروا الى حضرة الملك العادل كسرى انوشروان ولم يتخلف احد من العربان حتى دخل الايوان

قال الراوي فلما وصلوا اليه قبلوا الارض بين يديه فامرهم بالجلوس وقربهم اليه ولما استقر بهم المقام احضر لهم الطعام فاكل الخاص والعام ثم تقدمت انية المدام ودارت بها السقاة فشرب اولاد عنترة وجميع السادات وداموا على هذا الحال ثلاثة ايام وليال وبعد ذلك تقدم المنذر الى كسرى وطلب منهُ الاذن بالعودة الى الاوطان فقال لهُ ياملك العربان اليوم تخلع على الفرسان وتجازيهم على فعالهم وغداً يرحلون بامان ثم انهُ امر المنذر والموبذان ان يخلعوا على جميع العربان ولا يتركوا احداً من الفرسان الا ويكرموه بالعطاء والاحسان

قال الراوي فمضى المنذر والموبذان ومعهما العبيد والغلمان وفتحوا الخزائن والاموال واعطوا الفرسان والابطال والاقران وخلعوا عليهم الخلع الغالية وما تركوا احداً الا واعطوه من المال وانعموا على اولاد عنترة وعلى من معهم من الفرسان وفي ثاني الايام اجتمعت الفرسان وساروا الى كسرى انوشروان ودخلوا عليهِ وقبلوا الارض بين يديهِ وطلبوا منهُ الاذن بالمسير فاذن لهم بذلك الشان وجدد بينهم العهد والايمان فودعوه وعادوا الى الخيام وحملوا جمالهم والبغال وركبوا خيولهم وتقلدوا بنصولهم وودعوا المنذر والموبذان وساروا يقطعون البراري والقيعان طالبين الديار والاوطان ولم يزالوا سائرين الى اخر النهار فنزلوا على بعض الغدران واكلوا شيئًا من الطعام واقاموا في ذلك المكان ثلاثة ايام وبعد ذلك ساروا والملك زهير في اوائل الفرسان ووراه اولاد عنترة وبنو عبس وعدنان وهو راكب على ظهر جواده الذي اهداه اياه كسرى وكان هذا الجواد اعجوبة لا يوجد مثلهُ في ذلك الزمان وكان للمهلهل سيد بني نبهان وسوف ياتي عليهِ الكلام ولم يزالوا سائرين الى المسا فنزلوا على غدير ماء وسقوا خيلهم واكلوا وشربوا وناموا وفي الصباح ودعهم هاني بن مسعود وحجار بن عامر وعمر بن معدي كرب وزيد الخيل وذو الخمار ومن معهم من الفرسان والابطال وعادوا الى الاوطان ورحلت بنو عبس وعدنان ولم يزالوا سائرين مدة عشره ايام الى ان قربوا من الديار والاوطان فباتوا على بعض الغدران وكان ذلك المكان يقال لهُ دارة جلجل وعند الصباح عزموا على الرواح فافتقد العبيد جواد زهير فلم يجدوه فتحيروا من امره واغتاظ الملك زهير فقالت عنيترة ايها الملك لا تضيق صدرك فوحق خالق البشر لابد ان اذيق من اخذ جوادك الموت الاحمر ولو وصل الى الشمس والقمر فنهض جرير وقال لزهير ياملك لا تحزن فانا لا ادعك ترحل من هذا المكان الا راكبًا

جوادك ثم انه تعمم وتكم وفعل الخذروف مثلما فعل وقال جرير لعنيترة يا بنت اخي لا تبرحوا من هنا حتى ناتيكم بالجواد وبمن اخذه ولو طفنا سائر البلاد

قال الراوي وسار جرير وابن اخيه الخذروف واخذا يقطعان الاودية والاوعار والسهول والقفار ويقتفيان الاثار ويستقصيان الاخبار ليلاً ونهار مدة ثلاثة ايام وفي اليوم الرابع بان لهما اثر الجواد في ناحية بني ضمرة ففرحا وجدا في سيرها ذلك اليوم والليل فرايا فارساً سائراً امامهما فتبعاه وسارا وراه وهما يخفيان امرهما منه في احاقيف الرمال الى ان مضى من الليل اكثره وقد كلّ ذلك الفارس من السير والسفر فنزل على بعض الغدران وهو خائف فزعان وحل حزام الجواد فتبين جرير والخذروف الجواد فاذا به جواد زهير بن قيس والسلال الذي اخذه جالس على جانب الغدير يغسل يديه ورجليه فنظره جرير واذا به شاب ابيض اعطر كانه فلقة قمر لا نبات بعارضيه فحانت من السلال التفاتة فراى جرير والخذروف فطار الدم من منخريه وقام على قدميه واخذ خنجره في يده وقصدهما فاخذا اهبتهما للهجوم عليه وان يوصلا الاذية اليه وصار جرير عن يمينه والخذروف عن شماله وكل مجتهد في دماره فعلم انه معهما على خطر فانهزم قدامهما عند الصباح واوسع في البر والبطاح فاقتفيا اثره وصارا كلما اجتمعا عليه يهمز كانه الغزال واذا قصده بالضرب لم يجدا له خيال وقد اختفى عنهما في اقل من ساعة فحار جرير والخذروف من هذه النعال وقالا ما هذا بشر ان هذا الا من الجان وقال الخذروف وحق باري النسم وموجد الانسان من العدم ما سمعت ولا رايت مثل هذا فيمن تقدم وما بقي في الامر الا اننا ناخذ جواد الملك ونعود به اليه فقال جرير نعمَ ما قلت يا ابن الاخ ثم انهما اخذا الجواد وسارا به من وقتهما دون ان يركبه احد منهما وبينما هما سائران اذ طلع عليهما غبار سد منافس الاقطار وكان السبب في ذلك ان السلال الذي سرق الجواد رجع الى بني ضمرة واخبرهم فركبت الفرسان واقتفوا اثار جرير وابن اخيه الخذروف اما ذلك السلال فكان يقال له عمرو بن امية الضمرية وقد نشا في بني ضمرة ولم يعرف له اب وتربي في بيت عطارد ونشأ ناراً محرقة وصاعقة مبرقة لا يهاب الرجال ولا يخشى الابطال وكان ذلك الجواد قد اخذه زهير من بني نبهان من خيل المهلهل وكان قد وصف بين يدي عطارد سيد بني ضمرة فهام قلبه به وكان اسم الجواد المطال وكان لا يوجد مثله في سائر البلاد ولما اعيا على عطارد امر الجواد امتنع عن الرقاد ووعد السلالين بالنوق والجمال فساروا الى ديار بني نبهان فلم ينالوا من الجواد منال من كثرة العبيد والرجال فسمع عمرو من النساء ان ملك القبيلة في قلبه حسرة من الجواد فدخل

عليهِ وقبل الارض بين يديه فضحك عطارد في وجههِ وقال لهُ ما حاجتك يا عمرو فقال لهُ بلغني ايها الملك من بعض الرجال انك لفي حسرة من الجواد المدعو الهطال فقال لهُ عطارد اي والله يا عمرو لقد حرمني الطعام ولذيذ المنام قال عمرو انا اتيك بالجواد وحق رب العباد قال عطارد فان فعلت اشاركك في مملكتي واساويك في نعمتي فلما سمع عمرو ذلك الكلام ضرب لثام وخرج من قدام عطارد ومشى بين المضارب والخيام وخرج من البيوت واوسع في البر كانهُ ذكر النعام ولم يزل سائرًا مدة خمسة ايام وفي اليوم السادس وصل الى ديار بني نبهان فنزل على بعض الغدران واقام ينتظر قدوم الليل واذ طلع عليهِ غبار بني عبس وبني قضاعة فتبعهم ثلاثة ايام وفي اليوم الرابع دخل بين المضارب والخيام وتخطى العبيد والغلمان الى ان صار وراء المضرب الذي فيهِ الجواد فذبح من كان فيهِ من العبيد وساعدتهُ السعادة والتوفيق وسحب الجواد وخرج بهِ من المضرب ونجا بهِ وقد ستره الليل فلما اصبح الصباح انتبه العبيد فلم يروا الجواد فاعلموا الملك زهير وتبعهُ جرير والخذروف وادركاه على الغدير الذي تقدم ذكره ونجا منهم بعد القتال الشديد كما وصفنا وقادا الجواد وسارا ثلاثة ايام وفي اليوم الرابع نزلا على غدير ماء وناما وما افاقا الا واقبلت عليهما الخيل كانها السيل وقدامهم رجل اخف من الغزال وهو ينهب الارض كانهُ ريح الشمال وامسكوا جريرًا والخذروف وساقوهما قدامهم الى بني ضمرة وحبسوهما في مضرب ووكلوا عليهم العبيد وشددوا عليهم بحفظهما كل التشديد فعلمت امية ان عند ابيها عطارد جماعة من بني عبس وعدنان فدخلت على جرير والخذروف وتحققتهما فعرفتهما فعندها هملت عيناها بالدموع ورمت روحها على الخذروف وقبلتهُ بين عينيهِ فضمها الى صدره وتفرسها فاذا بها زوجتهُ التي تزوج بها في بني سعد لما اغار روضة بن منيع على ديار بني ضمرة وقتل رجالهم ونهب اموالهم وسبى عيالهم وقد ذكرنا حديثها قبل الان وانها في الحسن والجمال نادرة المثال وانها زفت الى الخذروف في بني سعد وبقيت معهُ الى ان اغارت بنو ضمرة على بني سعد واسروا منهم وفرقوهم في القيعان ونهبوا ما عندهم من المال وسبوا النسوان وخلص الملك عطارد ابنتهُ امية وكانت حاملاً من الخذروف وسار بها الى الاوطان وما مضت عليها ايام حتى ولدت ولدًا ذكرًا كانهُ القمر فاحبهُ الملك عطارد وجدَّ في تربيتهِ الى ان كبر ومشى ولما بلغ اشده نشا نارًا محرقة وصاعقة مبرقة وفارسًا معدوم المثال اذا ركب على الجواد يقاوم الرجال واذا جرى على قدميهِ لا تسبقهُ الخيول العوال واقام الى ان سمع ان جده عطارد قد تولع بالجواد الهطال الذي عجز عن سلهِ كل سلال فسار عمرو في طلبهِ

واخذه من بني عبس وهم عائدون من عند كسرى وجرى من الحديث ما جرى واسر جرير والخذروف ودخلت عليهما امية وعرفت الخذروف وقالت له انا زوجتك وهذا عمرو ولدك ثم ان امية خرجت الى ابيها عطارد واعلمته بالحال وكان ابوها عالمًا بذلك الا انه لم يعرف شيبوبًا بين الرجال وكانت امية تقول لعمرو لما كبر ان اباك مات في بعض الغزوات وذلك خوفًا من انه يتركها ويمضي الى اهله بني عبس السادات فكتمت الامر الى ان جرى ما جرى واتى الخذروف الى ديارها وتحرك عشقها وبلبالها وقد ذكرنا انها كانت احبت الخذروف محبة عظيمة فلما اعلمت اباها بذلك احضر عمرًا اليه وقال له يا ولدي اعلم ان الرجل الذي هو عندنا اسير مع عمه هو ابوك وهو من افخر العرب وصاحب حسب ونسب وهو الخذروف بن شيبوب اخي عنترة بن شداد الذي افتخر على العرب وساد وبنى له بيتًا رفيع العماد

قال الراوي فلما سمع عمرو كلام جده تحير وخرج من عنده ودخل مضرب ابيه الخذروف وفرح واستبشر ووقع على صدره وقبله في نحره وبعد ساعة اتت العبيد والخدام بالخلع والانعام وحلوا الخذروف وعمه جريرًا واركبوهما الخيل ومشى عمرو في ركاب ابيه الخذروف وقلبه ملهوف وساروا الى مضرب عطارد ملك بني ضبة فخرج الى لقائهم بنفسه ولما راوه ترجلوا واعتنقوا بعضهم البعض ودخل بهم المضرب واجلسهم الى جانبه وامر بنثر البخور وترويق الخمور وعملوا الولائم وفرح عمرو بابيه الخذروف وداموا مدة ثلثة ايام وهم في اكل طعام وشرب مدام وبعد ذلك اشتاقوا الى الاوطان فدخل الخذروف على زوجته امية وكان ابوها قد انزلها هي وبعلها في اعز مكان وجعل لها خيامًا وخيولاً وجنائب وعبيدًا وغلمانًا ونوقًا وفصلانًا وكان الخذروف كانه ملك وسلطان واعلمها انه اشتاق الى اهله والديار وانه يريد السفر هو وعمه جرير فقالت امية وانا اسير في صحبتك ثم اعلم ولده بذلك فقال يا ابتاه لا صبر لي على فراقك فلما سمع الخذروف كلام زوجته وولده ذهب الى جرير وقال له يا عم حدثت زوجتي وولدي بالمسير فقبلا فقال جرير لابد من اذن حميك بذلك فقال الليلة ادع زوجتي تعلمه وتستاذنه ولما كان الليل دخلت امية على ابيها وحدثته بذلك الامر فقال عطارد اعلمي يا ولدي ان بعلك فارس الخيل وخواض الليل وكذلك بنو عبس وعدنان وقد سمتهم العرب فرسان المنايا والموت الزوام فمنهم كل فارس همام وبطل ضرغام وقد سمعت انه نشا عندهم بنت اسمها عنيترة قد اذلت الفرسان وقهرت الشجعان واعادت ملك بني عبس كما كان واسرت ذا الخمار وعمته الزرقا وقتلت ولدها اسد الفلا

وقالت المنزلة العليا فان اختار زوجك ان ياخذك فالامر اليه في هذا الشان وتكونين عنده في امان فسرت امية كل السرور ومضت فاخبرت الخذروف ففرح غاية الفرح واتسع صدره وانشرح ثم ان عطارد جهز ابنته وحمل لها ستين جملاً واركبها في هودج من العرعر واركب معها الجوار والخدم وارسل معها الف فارس من كل مدرع ولابس واعطاها خمسمائة من النوق والجمال وثلاثمائة من الخيل والبغال واربعين جارية وخمسين عبدًا وسار لوداعها بارباب دولته واكابر عشيرته وساقت العبيد الاموال وساروا مدة يومين وثلاث ليال فعندها حلف جرير والخذروف على عطارد بالرجوع فودعهم ورجع بجماعته وسار الخذروف بزوجته وولده وعمه الى جانبه والاحمال سائرة قدامهم وقد فرح الخذروف بما اعطاه الملك المنان الذي لا يشغله شان عن شان قال وداموا سيرهم ليلاً ونهار حتى اشرفوا على الديار فنظرت بنو عبس الغبار وراوا الخيل والجمال والعبيد والاحرار فظنوا انهم من بعض الاعداء فاعلموا زهيرًا وفضالة وعنيترة فاشار زهير الى بني عبس بالركوب فقالت عنيترة ماهذا بصواب ايها الملك المهاب بل انا اركب في الف فارس واكشف لكم الخبر فان كانوا اعدا انزلنا بهم العبر

قال الراوي وفي الحال ركبت الفرسان وتاهبوا للقتال ولما تقربوا من القوم عرفوهم جيد المعرفة فالتقتهم الاميرة عنيترة ومن معها من الرجال بالسرور والاقبال وساروا جميعًا الى الحي فالتقتهم بنو عبس احسن ملتقى وقد زال عنهم البوس والشقا ودقت الكوسات ونعرت البوقات وعظمت المسرات وشرعوا في عمل الولائم والدعوات ودانت لهم الايام واقاموا يقطعونها با كل الطعام وشرب المدام وصفا لهم الزمان وخافتهم ملوك العربان ونامت عنهم يد الحدثان ووقعت هيبتهم في قلوب العرب اصحاب الحسب والنسب وقهروا الجبابرة واذلوا الاكاسرة وداموا في هنا وسرور حتى اتاهم هادم اللذات ومفرق الجماعات فسبحان من لا يموت وله القدرة والملكوت

انتهى المجلد السادس

وهو تتمة سيرة عنترة بن شداد العبسي

بالمطبعة الادبية في بيروت في ا[illegible] سنة ١٨٨٥